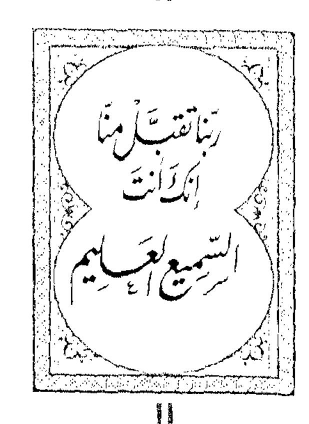

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com
قصص
الصالحين
و
الصالحات
فضيلة الشيخ
محمود المصري
أبو عمار
مكتبة الصفا
ضياء سعيدة

قصص الصالحين والصالحات

بسم الله الرحمن الرحيم



١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م

رقم الإيداع: ٢٠١٢/٢٢٠٦٨

الترقيم الدولي: 978-977-6430-18-1

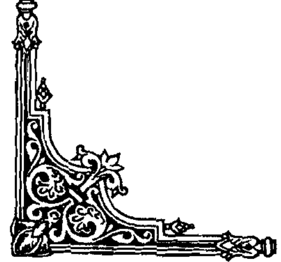
مكتبة الصفا للنشر والتوزيع

أولاد الحاج عويس أمين صالح

١٢٧ ميدان الأزهر / أمام الجامع الأزهر / القاهرة ت ٢٥١٤٧٢٢٠
١ درب الأتراك / خلف الجامع الأزهر ت ٠١٠١٤٣١١١٤ - تليفاكس ٢٥١٤٧٩٧٤

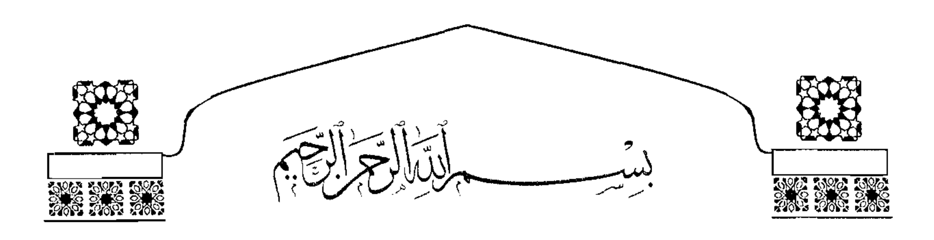
قصص الصالحين و الصالحات

فضيلة الشيخ
أبو عمار
محمود المصري






بسم الله الرحمن الرحيم



مقدمة الناشر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اتبعه بإحسان إلى يوم الدين، فما زال فضل الله العظيم الكريم يتوالَى علينا بالتوفيق لإخراج ونشر الكتب النافعة، المبينة لشرع ربنا تبارك وتعالى، فقد مَنَّ علينا سبحانه بالتوفيق لإخراج عدة طبعات جديدة للمصحف الشريف، حرصنا فيها على غاية الإتقان فى جميع ما يتعلق بها.

كما وفقنا لإخراج كتب تفسير كتاب الله العزيز، سواء كان كاملًا، أو مفرقًا على هيئة سورة تلو السورة، أو مجموعة سور، أو موضوع تلو موضوع، كآيات الأحكام وغير ذلك من العلوم المتعلقة بالكتاب العزيز، كما وفقنا لإخراج كتب الحديث النبوى الشريف والتى عليها قوام هذا الدين وهى بيان وتفسير لكتاب الله العزيز، والتى قام بها الجهابذة الأولون من سلفنا الصالح علماء الحديث، الذين وفقهم الله عز وجل لتوصيل الدين وتبليغه كتابًا وسنةً، قولًا وفعلًا، نصًّا وفَهمًا وعملًا.

وقد أخرجنا بفضل الله عدة كتب كموطأ الإمام مالك، وصحيحى الإمام البخارى ومسلم، وسير أعلام النبلاء، وفتح البارى بشرح صحيح البخارى، وشرح صحيح مسلم وغيرها من الكتب المتضمنة لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم روايةً ودرايةً، وشرحًا وبيانًا.

وأيضًا وفقنا لإخراج كتب العلوم الشرعية التى تخدم الكتاب والسنة

بشتى الأشكال. والتى قام بها من تبع الأولين بإحسان لبيان مراد الله ﷻ فى كتابه وسنة رسوله ﷺ، فى صور شتى ما بين المطول والمختصر- رحمنا الله وإياهم وغفر لنا ولهم، وأحسن إلينا وإليهم.

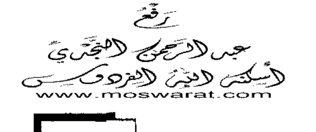
ويسرنا اليوم أن نقدم هذا الكتاب الذى بين يديك أخى القارئ وهو كتاب: «قصص الصالحين والصالحات»، وهو إضافة جديدة لإصداراتنا والتى نرجو من الله ﷻ أن يتقبلها منا قبولًا حسنًا، وأن ينفع بها الإسلام والمسلمين.

إنه نعم المولى ونعم النصير.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

مكتبة الصفا

جعلها الله منارًا لخدمة العلم والدين



بين يدى الكتاب

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضلَّ له، ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[1].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾[2].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾[3].

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدى هدىُ محمد ﷺ، وشر الأمور مُحدثاتها، وكل مُحدثة بدعة وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة فى النار.

أما بعد:

فإن للقصة أثرًا عميقًا فى النفوس؛ لما تحتويه من عناصر التشويق، وجوانب الاعتبار والاتعاظ، وهى وسيلة يستخدمها الدعاة، والهُداة، والمصلحون للوصول إلى قلوب الناس وعقولهم؛ كى يرتقوا بهم من

---

(١) سورة آل عمران: الآية (١٠٢).

(٢) سورة النساء: الآية (١).

(٣) سورة الأحزاب: الآيتان (٧٠، ٧١).

الظلمات إلى النور، ويأخذوا بأيديهم إلى الطريق القويم، فيُسلموا وجوههم لله ﷻ.

ولا ينتفع بهذا القصص إلا أصحاب القلوب التقية النقية وأصحاب الفطر والعقول السوية.. قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[1].

فمن خلال القصص تظهر السنن الربانية واضحةً جليَّةً حيث يجعل الله ﷻ النصر والتمكين للمؤمنين ويجعل الهلاك والعذاب والنكال للكافرين والمكذبين ... كما قال رب العالمين: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[2].

۞ ولقد كتبت فى الفترة السابقة مجموعة من الكتب القصصية التى أردت من خلالها أن تتربى قلوبنا على طاعة الله والبُعد عن معصيته، وكذلك البُعد عن مظالم العباد... فكان من بين تلك الكتب كتاب: «قصص نهاية الظالمين»، «قصص التائبين»، «قصص الزاهدين»، «مفاتيح الفرج» وذلك؛ لأنه بالمثال يتضح المقال... فقد يقع أحدنا فى كربٍ شديدٍ وحينما يقرأ سير الذين فرَّج الله كربهم يتجدد الأمل فى قلبه ويؤمن بأن الفرج قريب جدًّا.

وحينما يقرأ فى سير الذين أذنبوا فلما تابوا تاب الله عليهم، ورزقهم التوبة والإنابة وجعلهم من عباده الصالحين...فيتجدد الأمل فى قلبه أنه إذا

---

(١) سورة يوسف: الآية (١١١).

(٢) سورة هود: الآية (١٢٠).

أذنب ثم تاب فإنَّ الله ﷻ سيتوب عليه.

وحينما يقرأ فى سير الصالحين فإنه تعلو همته من أجل أن يكون مثلهم فى الصلاح والتقوى.

وحينما يقرأ فى سير الزاهدين يعلم يقينًا أن الدنيا لا تساوى عند الله جناح بعوضة... فلا يتصارع من أجلها، ولا يضحى بدينه من أجل دنيا فانية.

وحينما يقرأ كيف كانت نهاية الظالمين فإنه يخشى أن يكون مثلهم فيبتعد كل البعد عن ظلم العباد.

وهكذا تكون القصة الواقعية سببًا فى أن يتعايش العبد مع أحداثها وأن يتشبه بالصالحين ليكون مثلهم.

تشبَّهوا إن لم تكونوا مثلهم   إن التشبُّه بالكرامِ فلاحٌ

۞ وها أنا أقدم اليوم لإخوانى وأخواتى وأهلى وأحبابى هذا الكتاب «**قصص الصالحين والصالحات**» راجيًا من الله (جل وعلا) أن يجعلنا منهم وأن يحشرنا معهم، وأن يرزقنا جميعًا صحبة النبى ﷺ فى الجنة.. إنه ولى ذلك والقادر عليه.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

وكتبه الفقير إلى عفو الرحيم الغفار



نعمتان مغبون فيهما كثيرٌ من الناس

۞ اعلم - أخى الحبيب - أن الناس فى هذا العالم على سفر أول منازلهم المهد وآخرها اللحد، والوطن هو الجنة أو النار، والعمر مسافة السفر، فسنين العمر مراحله، وشهوره فراسخه، وأيامه أمياله، وأنفاسه خطواته، وطاعته بضاعته، وأوقاته رؤوس أمواله، وشهواته وأغراضه قُطَّاع طريقه، وربحه الفوز بلقاء الله تعالى فى دار السلام مع المُلك الكبير والنعيم المقيم، وخُسرانه البعد عن الله مع الأنكال والأغلال، والعذاب الأليم فى دركات الجحيم ... فالغافل فى نَفَسٍ من أنفاسه حتى ينقضى فى غير طاعة تقربه إلى الله زُلفى، متعرض فى يوم التغابن لغبينة وحسرة ما لها منتهى، ولهذا الخطر العظيم والخطب الهائل، شمَّر الموفقون عن ساق الجد، وودعوا بالكلية ملاذ النفس، واغتنموا بقايا العمر»[١].

أذان المرء حين الطفل يأتى ... وتأخير الصلاة إلى المماتِ
دليلٌ أن محياه يسير ... كما بين الأذان إلى الصلاةِ

قال ﷺ: «**نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ**»[٢].

وقال عمر رضي الله عنه: «التؤدة فى كل شىء خير إلا فى أعمال الخير للآخرة».

وقال ﷺ: «**ما من ساعة تمر بابن آدم لم يذكر الله فيها إلا حَسِر عليها يوم القيامة**»[٣].

---

(١) إحياء علوم الدين (١/ ٣٩١).

(٢) صحيح: رواه البخارى (٦٤١٢) كتاب الرقاق.

(٣) حسن: رواه البيهقى فى الشعب (١/ ٣٩٢، رقم ٥١١)، وأبو نعيم فى الحلية (٥/ ٣٦١)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٧٢٠).

بل يوضح النبى ﷺ أن الإنسان سيُسأل عن سنوات عمره كلها بين يدى الله (جل وعلا).... قال ﷺ: «**لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يُسأل عن خمس** - وفى رواية: **لا تزول قدما عبدٍ حتى يُسأل عن أربع** - **عن عمره فيم أفناه؟ وعن شبابه فيم أبلاه؟ وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه؟ وماذا عمل فيما علم؟**»[1].

ومن هنا كان السلف الصالح الذين تربُّوا بين يدى المُربى الأول ﷺ الذى ربَّاه الله (جل وعلا) ليربى به الأمم والأجيال، عبر العصور والأزمان - يعرفون قدر الوقت وقيمة العمر، فكانوا يحرصون كل الحرص على كل لحظة من العمر ألا تمر إلا فى طاعة الله فهم يعلمون أن من عقوق الزمن أن تمضى الساعات بلا فائدة فى دينهم أو دنياهم.

قال ابن مسعود: ما ندمت على شىء كندمى على يوم غربت شمسه، نقص فيه أجلى ولم يزد فيه عملى.

إذا مرَّ بى يوم ولم أقتبس هُدًى
ولم أستفد علمًا فما ذاك من عمرى

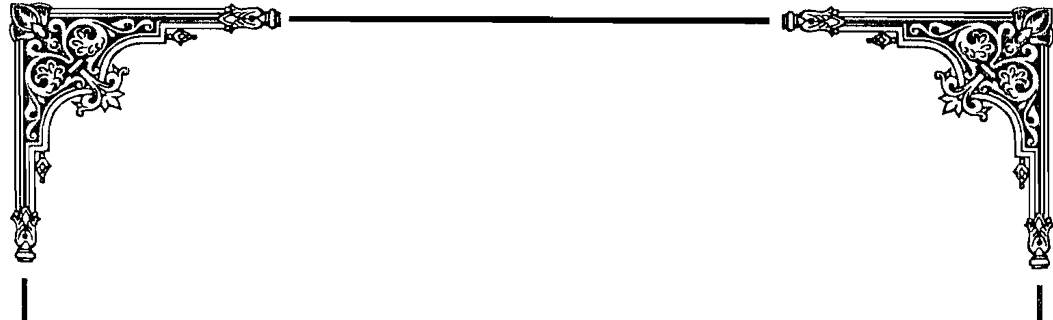
هكذا كانت حياتهم لا تكاد تمر عليهم ساعة إلا فى طاعة الله (جل وعلا) لأنهم علموا وأيقنوا أن الوقت هو الحياة، وأن العمر هو الساعات، وأن الإنسان (أيام) فإذا ذهب يومه ذهب بعضه.

---

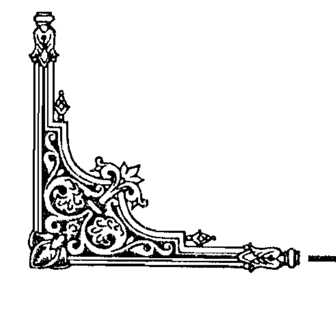
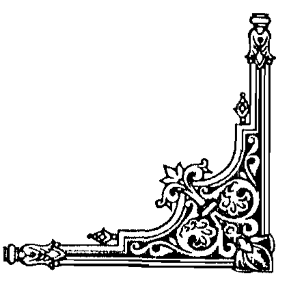
(١) حسن: رواه الترمذى (٢٤١٦) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧٢٩٩).







قصص الصالحين والصالحات





الإيمان هو السعادة

صاحب أعمال وأموال، كان يملك مجموعة من الشركات بالولايات المتحدة الأمريكية، وكان يعمل فى أحد هذه الشركات شاب مسلم.

وكان صاحب الشركات كلما مرَّ عليه وجده مبتسمًا، وعلامات السعادة بادية على وجهه، مع أن صاحب الشركات كان دائم الحزن والاكتئاب.

فسأله صاحب الشركات عن سبب هذه الابتسامة التى تنمُّ عن الفرح والسعادة؟

فقال: لأننى مسلم.

فقال له: لو أسلمتُ، أجدُ هذه السعادة التى تشعر بها؟

قال: نعم.

فأخذه الشاب المسلم إلى أحد المراكز الإسلامية، فشهد شهادة الحق، ثم انفجر فى بكاءٍ شديد، فسُئل عن سبب هذا البكاء، فقال: لأول مرة فى عمرى أجد طعم السعادة: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَـٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾[١].

فالقلوب لا تصل إلى مُناها حتى تصل إلى مولاها، ولا تصل إلى مولاها؛ حتى تكون صحيحة سليمة، والسعادة سعادة القلوب، والشقاء شقاء القلوب، والقلوب لا تسعد إلا بالله ﷻ ومحبته وعبادته: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾[٢] [٣].

---

(١) سورة الزمر: الآية (٢٢).

(٢) سورة الرعد: الآية (٢٨).

(٣) طريق السعادة (ص: ٥١).

جنة الدنيا

۞ قال شيخ الإسلام ابن تيمية: إن فى الدنيا جنة من لم يدخلها، فلن يدخل جنة الآخرة.. قالوا: ما هى؟. قال: إنها جنة الإيمان.

وقال مرة: ما يصنع أعدائى بى؟ أنا جنتى وبستانى فى صدرى، إنَّى رحت فهى معى لا تفارقنى، إن حبسى خلوة، وقتلى شهادة، وإخراجى من بلدى سياحة.

وكان يقول فى محبسه فى القلعة: لو بذلت ملء هذه القلعة ذهبًا، ما عَدلَ عندى شكر هذه النعمة، أو قال: ما جزيتهم على ما تسببوا لى فيه من الخير.

وقال مرة: المحبوس مَنْ حُبس قلبه عن ربه - تعالى -، والمأسور من أسره هواه.

ولمَّا دخل القلعة وصار داخل سورها نظر إليه وقال: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾[1].

قال ابن القيم: وعلم الله ما رأيت أحدًا أطيب عيشًا منه قط، مع ما كان فيه من ضيق العيش، وخلاف الرفاهية والنعيم، بل ضدّها، ومع كان فيه من الحبس والتهديد والإرهاق، وهو مع ذلك من أطيب الناس عيشًا، وأشرحهم صدرًا، وأقواهم قلبًا، وأسرَّهم نفسًا، تلوح نضرة النعيم فى وجهه.

وكنا إذا اشتد بنا الخوف، وساءت منا الظنون، وضاقت بنا الأرض، أتيناه، فما هو إلاَّ أن نراه ونسمع كلامه، فيذهب ذلك كلّه، وينقلب

(١) سورة الحديد: الآية (٣١).

انشراحًا، وقوةً، ويقينًا، وطمأنينة.

فسبحان من أشهد عباده جنته قبل لقائه، وفتح لهم أبوابها فى دار العمل، فأتاهم من روحها ونسيمها وطيبها ما استفرغ قواهم لطلبها والمسابقة إليها»[١].

قال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[٢].

۞ **كان بعض العارفين يقول:** «لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه: لجالدونا عليه بالسيوف».

وقال آخر: «مساكين أهل الدنيا؛ خرجوا منها وما ذاقوا أطيب ما فيها؟ قيل: وما أطيب ما فيها؟ قال: محبة الله تعالى ومعرفته وذكره والأُنس به سبحانه وتعالى».

وقال آخر: «إنه لتمرّ بالقلب أوقات يرقص فيها طربًا حتى أقول إن كان أهل الجنة فى مثل هذا إنهم لفى عيش طيب».

فمحبة الله تعالى ومعرفته ودوام ذكره والسكون إليه والطمأنينة إليه وإفراده بالحب والخوف والرجاء والتوكل والمعاملة بحيث يكون هو وحده المستولى على هموم العبد وعزماته وإرادته، هو جنة الدنيا والنعيم الذى لا يشبهه نعيم، وهو قرة عين المحبين، وحياة العارفين. وإنما تقرُّ عيون الناس به على حسب قرة أعينهم بالله ﷻ، من قرَّت عينه بالله، قرَّت به كل عين، ومَنْ لم تقر عينه بالله، تقطعت نفسه على الدنيا حسرات[٣].

---

(١) انظر «صحيح الوابل الصيب» ص (١٩ – ٥٩).

(٢) سورة النحل: الآية (٧٩).

(٣) «الوابل الصيب»: ٩٦ – ١٧.

أطيب مضغتين.. وأخبث مضغتين

۞ كان لقمان عبدًا حبشيًّا نجارًا، فأمره سيده أن يذبح شاة، فذبح شاة. فقال: ائتنى بأطيب مضغتين فى الشاة، فأتاه باللسان والقلب، ثم مكث أيامًا، فقال: اذبح شاة، فذبح، فقال: ائتنى بأخبث مضغتين فى الشاة، فألقى إليه اللسان والقلب، فقال له سيده: قلت لك حين ذبحت: ائتنى بأطيب مضغتين فى الشاة، فأتيتنى باللسان والقلب، ثم قلت لك الآن حين ذبحت الشاة ائتنى بأخبث مضغتين فى الشاة فألقيت اللسان والقلب؟، فقال: إنه لا أطيب منهما إذا طابا، ولا أخبث منهما إذا خَبُثا.

المؤمن يستمد قوته من إخلاصه لله (جل وعلا)

كانت هناك شجرة تُعبد من دون الله، فقام رجل مؤمن من بنى إسرائيل وأخذ فأسًا؛ ليقطعها فلقيه إبليس فقال له: ما تريد؟ قال: أريد أن أقطع تلك الشجرة التى تُعبد من دون الله.

فقال له إبليس: لا تستطيع لأننى سأمنعك من ذلك.

فقام الرجل العابد وضربه وطرحه أرضًا، وسار إلى الشجرة؛ ليقطعها فاعترضه إبليس مرة ثانية فضربه العابد وطرحه أرضًا، فاعترضه إبليس للمرة الثالثة، وقال له: هل لك فيما هو خير لك، لا تقطعها ولك ديناران كل يوم إذا أصبحت عند وسادتك.... قال: فمن أين لى ذلك؟

قال: أنا لك. فرجع فأصبح فوجد دينارين عند وسادته، ثم أصبح بعد ذلك فلم يجد شيئًا فقام غضبًا؛ ليقطعها فتمثل له الشيطان فى صورته وقال: ما تريد؟ قال: أريد قطع هذه الشجرة التى تُعبد من دون الله تعالى.

قال: كذبت ما لك إلى ذلك من سبيل، فذهب ليقطعها فضرب به الأرض وخنقه حتى كاد أن يقتله.

قال: أتدرى من أنا؟ أنا الشيطان... جئتَ أول مرة غضبًا لله فلم يكن لى عليك سبيل، فخدعتك بالدينارين، فتركتها فلما جئت غضبًا للدينارين سُلطت عليك.

ومن هنا نعلم أن العمل إذا لم يكن خالصًا لوجه الله تعالى فإن صاحبه لا ينتفع بثمرة هذا العمل فى الدنيا، أو الآخرة، وأن العبد يستمد قوته من إيمانه بالله وإخلاص العمل له (جل وعلا).

لئلا يُقال ذهب الوفاء من الناس

۞ رُوى أن النعمان بن المنذر، كان له يومان: يوم بؤس، لا يظفر فيه بأحد إلا قتله - وهذا قبل الإسلام- ويوم نعيم لا يصادف فيه أحدًا إلا أنعم عليه.

وفى يوم بؤسه، ظفر برجل بعيد كل البعد عن وطنه وأهله، ولما قُدِّم لكى يُقتل طلب مُهلة ثلاثة أيام يعود فيها إلى أهله، ثم يرجع إلى الملك لينفذ فيه حكم القتل. فطلب الملك منه كفيلًا يضمنه لهذا الأمر، فنظر الرجل إلى وجوه الحاشية لعله يجد ذا مروءة يكفله، فوقع اختياره على رجل يُدعى - شريك - فخجل منه شريك، وضمنه على أنه إذا غاب عن الموعد المحدد تقدم للقتل بدلًا منه، وذهب الرجل، وغاب ثلاثة أيام، وجاءت ساعة الموعد، ولم يحضر الرجل، فتقدم شريك للقتل، وحزن عليه القوم، وجعلوا يتطلعون إلى الطرق من كل ناحية، فإذا بشخص يظهر من بعيد تحت الغبار، فأخروا قتل شريك حتى يظهر خبر هذا الآتى من بعيد، وما هى إلا لحظات حتى جاء الرجل وفاءً لموعده، فتعجب الناس من هذا الوفاء، وكأنما أصيبوا بغاشية، وكان الملك أشد إعجابًا منهم مما جعله يسأل شريك، ويقول له: لِمَ كفلته؟. فقال: خوفًا من أن يُقال: ذهبت المروءة من الناس. وسأل الرجل: لِمَ حضرت إلى القتل؟ فقال: لئلا يقال: ذهب الوفاء من الناس. فقال الملك: وأنا عفوت عنكما، لئلا يقال: ذهب العفو من الناس. ومن ذلك اليوم أبطل الملك «النعمان بن المنذر» تلك العادة الظالمة[١].

---

(١) المستطرف (١/ ٢٢١).

۞ إن الوفاء نعمة جليلة يمتن الله بها على من يشاء من عباده... فمن أوفى بعهد الله من توحيده وإخلاص العبادة له أوفى الله بعهده من توفيقه إلى الطاعات والعبادات ولذا قال رب الأرض والسموات - جل وعلا-: ﴿ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَـٰهَدتُّمْ ﴾ (١).

وأهل الوفاء هم أهل البر والصدق والتقوى فلقد وصف الحق -جل وعلا- أهل البر فكان من بين أوصافهم ﴿وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَـٰهَدُواْ﴾ ثم ختم الآية بقوله: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ (٢).

وأهل الوفاء هم أهل الفردوس الأعلى فلقد وصف الله عباده المؤمنين بصفات جليلة وكان من بينها: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَـٰنَـٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴾ ثم قال بعدها: ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴾ (٣).

---

(١) سورة النحل: الآية: (٩١).

(٢) سورة البقرة: الآية: (١٧٧).

(٣) سورة المؤمنون: الآيتان: (١٠-١١).

وفاء السموأل[(١)]

۞ لما أراد امرؤ القيس المضى إلى قيصر ملك الروم، أودع عند السموأل دروعًا وسلاحًا وأمتعة تساوى جملة كثيرة، فلما مات امرؤ القيس، أرسل ملك كِندة، يطلب الدروع والأسلحة المودعة عند السموأل.

فقال السموأل: لا أدفعها إلا إلى مستحقيها، وأبى أن يدفع إليه منها شيئًا، فعاوده، فأبى وقال: لا أغدر بذمتى، ولا أخون أمانتى، ولا أترك الوفاء الواجب علىَّ.

فقصده ذلك الملك من كندة بعسكره، فدخل السموأل فى حصنه وامتنع به، فحاصره ذلك الملك، وكان ولد السموأل خارج الحصن، فظفر به الملك وأخذه أسيرًا، ثم طاف حول الحصن، وصاح بالسموأل فأشرف عليه من أعلى الحصن، فلم رآه قال له: إن ولدك قد أسرته، وهو ذا معى، فإن سلمت إلىَّ الدروع والسلاح رحلت عنك، وسلمت إليك ولدك، وإن امتنعت من ذلك؛ ذبحت ولدك وأنت تنظر، فاختر أيهما شئت.

فقال له السموأل: ما كنت لأخفر ذمامى[(٢)] وأُبطل وفائى، فاصنع ما شئت،... فذبح ولده - وهو ينظر - ثم لما عجز عن الحصن رجع خائبًا، واحتسب السموأل ذبح ولده، وصبر محافظة على وفائه، فلما جاء الموسم وحضر ورثة امرئ القيس، سلم إليهم الدروع والسلاح، ورأى حفظ ذمامه، ورعاية وفائه، أحب إليه من حياة ولده وبقائه، وقال فى ذلك:

وفيتُ بأدرع الكندى إنى ... إذا ما خان أقوامٌ وفيتُ

---

(١) السموأل: شاعر جاهلى حكيم.

(٢) أى: ما كنت لأخون عهدى.

عفوٌ يَفوق الخيال

۞ لمَّا فَتَحَ العربُ بلاد الأندلس، اعتدى شابٌّ إسبانى على فتى من العرب وقتلهُ، ثُمَّ فَرَّ هاربًا.

وحدث أَنْ مرَّ فى طريقهِ بحديقةٍ على بابها رجلٌ هَرِمٌ، يبلغ عمرهُ نحو مائة سنةٍ، فاستغاث به الشاب الإسبانى، فأخفاهُ الرجل فى حجرة بالحديقة.

وبعد فترة من الزمن ليست بالكبيرة، حَضَرَ النَّاسُ يحملون القتيل، ووقفوا به على باب الحديقة، فتأمله الرجلُ فوجده ابنه، فحزن ووقع على الأرض مغشيًّا عليه، ولكنه أخفى حزنه، وكتم غيظه، وانتظر حتى دخل الليل... ثُمَّ ذهب إلى الشَّاب، وعَرَّفَهُ أَنَّ القتيلَ ابنهُ.

فخاف الشَّاب الإسبانى، وأيقن أَنَّ الرجل لا محالة سيقتله.

فهدَّأ الرجل روعه (فزعه)، وأزال خوفه، وقال له: قد استغثتَ بِى فأغثتكَ، وليسَ مِنْ دينى أن أنقضَ عَهْدِى مَعَكَ، فكُنْ آمِنًا مِنى، ولكن لا آمن عليكَ مِنْ قومى أن يقتلوك، ففِرّ من هذا البلد، وانجُ بنفسك... وزَّودهُ بألف درهم.

فأثَّر هذا الوفاء، وذلك الخلق الكريم فى هذا الفتى تأثيرًا شديدًا، فقال باقتناع: إِنَّ للإسلام فضائل لو عَمِلَ بها أهله لكانوا من أرقى أُمم الأرض[1]!!.

(١) السيد أحمد الهاشمى، «المفرد العَلَم فى رسم القلم» (ص ٢٨٠، ٢٨١).

نِعم الرب ربك

۞ وجاء فى مناقب عبد الله بن المبارك رضي الله عنه أنه كان يقاتل فى جيش خُراسان وحدث أن خرج لمبارزة مجوسى، فلما جاء وقت صلاة العصر استأذن المجوسى فى هدنة قصيرة يؤمِّنه فيها على نفسه حتى يفرغ من الصلاة، وقال له عاهدنى على الأمان حتى أُتمم صلاتى، فلما جاء الغروب وهو وقت الصلاة عند المجوسيين؛ لأنهم يعبدون الشمس ويصلون لها وقت الشروق والغروب ... طلب المجوسى من عبد الله هدنة ليؤدى صلاته فعاهده على ألا يفتك به وقت الصلاة، ولكنه نظر إليه وهو ساجد ووسوس له الشيطان أن يقتله وبينما هو يعد نفسه للوثوب عليه هتف به هاتف سماوى أن اتقِ الله يا عبد الله ﴿ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ﴾[1] فتراجع عنه وهو يردد هذه الآية وكان المجوسى قد فرغ من صلاته فسأله: لقد هممت بى سوءًا ثم عُدت دون أن تفعل شيئًا؟ فأخبره بما قاله الهاتف ﴿ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا ﴾ فقال المجوسى نِعم الرب ربك يا عبد الله وإن ربًّا يعاتب حبيبه من أجل عدوه لهو رَبٌّ عظيم. ثم أسلم على يديه وحَسُن إسلامه. وكل هذا أيضًا ببركة الوفاء.

---

(١) سورة النحل: الآية: (٩١).

لا غدر ولا خيانة

❁ صالَح أمير المؤمنين معاوية بن أبى سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الروم على مالٍ يؤدونه لَهُ، وعقد هدنة معهم، وأخذ أُناسًا منهم رهائن؛ ليضمن عدم غدرهم وخيانتهم...

ولكنهم غدروا وخانوا، فرفض المسلمون وعلى رأسهم أميرهم معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن يستحلوا قتل الرهائن؛ لأن هؤلاء الرهائن لا ذنب لهم، ولم يكونوا مع الغادرين، فَهُمْ أبرياء فى الحقيقة، ورأى المسلمون أن يكون مَبْدَؤهُمْ عدم مقابلة الغدر بغدرٍ مثله، بل مقابلة الغدر بالوفاء، وجعلوا شعارهم: «وفاءٌ بغدرٍ خيرٌ من غدرٍ بغدرٍ». فأنزل الله عليهم تأييده ونصره وفتحه المبين[1].

---

(١) الدكتور محمد الصادق عرجون، «الموسوعة فى سماحة الإسلام»، (١/ ٣٦٦-٣٦٨).

فأين الله

۞ قال نافع: خرجت مع ابن عمر فى بعض نواحى المدينة ومعه أصحابٌ له، فوضعوا سُفْرةً لهم فمرّ بهم راع، فقال له عبد الله: هَلُمَّ يا راعى فأصِبْ من هذه السُّفْرةَ. فقال: إنى صائم. فقال له عبد الله: فى مثل هذا اليوم الشديدِ حرُّه، وأنت فى هذه الشِّعاب فى آثار هذه الغنم وبين الجبال ترعى هذه الغنم وأنت صائم؟ فقال الراعى: أبادر أيامى الخالية. فعجب ابن عمر، وقال: هل لك أن تبيعنا شاةً من غنمك نَجْتزِرها ونُطعمك من لحمها ما تفطر عليه ونعطيك ثمنها؟ قال: إنها ليست لى، إنها لمولاى، قال: فما عسَيت أن يقول لك مولاك إن قلتَ: أكلها الذئب؟ فمضى الراعى وهو رافعٌ إصبعه إلى السماء، وهو يقول: فأين الله؟.

قال: فلم يزل ابن عمر يقول: قال الراعى: فأين الله فما عدا أن قدِم المدينة، فبعث إلى سيده، فاشترى منه الراعى والغنمَ، فأعتق الراعى ووَهب له الغنم[1]... ثم قال له: لقد أعتقتك هذه الكلمة فى الدنيا فأسأل الله أن تُعتقك يوم القيامة.

(١) صفة الصفوة (٢/ ١٨٨).

عُبيد بن عمير.. قمة في المراقبة

۞ كَانَتِ امْرَأَةٌ جَمِيلَةٌ بِمَكَّةَ وَكَانَ لَهَا زَوْجٌ فَنَظَرَتْ يَوْمًا إِلَى وَجْهِهَا فِى الْمِرْآةِ فَقَالَتْ لِزَوْجِهَا: أَتَرَى أَحَدًا يَرَى هَذَا الْوَجْهَ لَا يُفْتَنُ بِهِ؟ قَالَ: نَعَمْ.

قَالَتْ: مَنْ؟ قَالَ: عُبَيْدُ بْنُ عُمَيْرٍ، قَالَتْ: فَائْذَنْ لِى فِيهِ فَلأَفْتِنَنَّهُ.

قَالَ: قَدْ أَذِنْتُ لَكِ، فَأَتَتْهُ كَالْمُسْتَفْتِيَةِ فَخَلا مَعَهَا فِى نَاحِيَةٍ مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ.

قَالَ: فَأَسْفَرَتْ عَنْ مِثْلِ فَلْقَةِ الْقَمَرِ، فَقَالَ لَهَا: يَا أَمَةَ اللهِ!

قَالَتْ: إِنِّى قَدْ فُتِنْتُ بِكَ فَانْظُرْ فِى أَمْرِى.

قَالَ: إِنِّى سَائِلُكِ عَنْ شَىْءٍ، فَإِنْ أَنْتِ صَدَقْتِينِى نَظَرْتُ فِى أَمْرِكِ. قَالَتْ: لَا تَسْأَلْنِى عَنْ شَىْءٍ إِلا صَدَقْتُكَ.

قَالَ: أَخْبِرِينِى لَوْ أَنَّ مَلَكَ الْمَوْتِ أَتَاكِ لِيَقْبِضَ رُوحَكِ أَكَانَ يَسُرُّكِ أَنِّى قَضَيْتُ لَكِ هَذِهِ الْحَاجَةَ؟

قَالَتِ: اللَّهُمَّ لَا. قَالَ: صَدَقْتِ.

قَالَ: فَلَوْ أُدْخِلْتِ فِى قَبْرِكِ وَأُجْلِسْتِ لِلْمُسَاءَلَةِ أَكَانَ يَسُرُكِ أَنِّى قَضَيْتُ لَكِ هَذِهِ الْحَاجَةَ؟

قَالَتِ: اللَّهُمَّ لَا. قَالَ: صَدَقْتِ.

قَالَ: فَلَوْ أَنَّ النَّاسَ أُعْطُوا كُتُبَهُمْ وَلا تَدْرِينَ تَأْخُذِينَ كِتَابَكِ بِيَمِينِكِ أَمْ بِشِمَالِكِ أَكَانَ يَسُرُّكِ أَنِّى قَضَيْتُ لَكِ هَذِهِ الْحَاجَةَ؟

قَالَتِ: اللَّهُمَّ لَا. قَالَ: صَدَقْتِ.

قَالَ: فَلَوْ جِىءَ بِالْمَوَازِينِ وَجِىءَ بِكِ لَا تَدْرِينَ تَخِفِّينَ أَمْ تَثْقُلِينَ أَكَانَ

يَسُرُّكِ أَنِّى قَضَيْتُ لَكِ هَذِهِ الْحَاجَةَ.

قَالَتِ: اللَّهُمَّ لاَ. قَالَ: صَدَقْتِ.

قَالَ: فَلَوْ وَقَفْتِ بَيْنَ يَدَيِ اللهِ لِلْمُسَاءَلَةِ أَكَانَ يَسُرُّكِ أَنِّى قَضَيْتُ لَكِ هَذِهِ الْحَاجَةَ.

قَالَتِ: اللَّهُمَّ لاَ. قَالَ: صَدَقْتِ.

قَالَ: اتَّقِى اللهَ يَا أَمَةَ اللهِ، فَقَدْ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْكِ وَأَحْسَنَ إِلَيْكِ.

قَالَ: فَرَجَعَتْ إِلَى زَوْجِهَا، فَقَالَ: مَا صَنَعْتِ؟ قَالَتْ: أَنْتَ بَطَّالٌ، وَنَحْنُ بَطَّالُونَ! فَأَقْبَلَتْ عَلَى الصَّلاةِ وَالصَّوْمِ وَالْعِبَادَةِ.

قَالَ: فَكَانَ زَوْجُهَا يَقُولُ: مَا لِى وَلِعُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ، أَفْسَدَ عَلَىَّ امْرَأَتِى، كَانَتْ فِى كُلِّ لَيْلَةٍ عَرُوسًا، فَصَيَّرَهَا رَاهِبَةً[١].

---

(١) أخرجه ابن الجوزى (ص/ ٢١٠، ٢١١) فى ذم الهوى، وأورده ابن القيم (ص / ٣٤٠) فى روضة المحبين.

الربيع بن خُثيم..وخوفه من الله (جل وعلا)

۞ عن عبد الرحمن بن عجلان، قال: بتُّ عند الربيع بن خثيم ذات ليلة فقام يُصلى، فمر بهذه الآية: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾[١]، فمكث ليلته حتى أصبح ما جاوز هذه الآية إلى غيرها ببكاء شديد.

۞ وعن أبى وائل قال: خرجنا مع عبد الله بن مسعود، ومعنا الربيع ابن خثيم، فمررنا على حدَّاد فقام «عبد الله» ينظر حديدة فى النار، فنظر «الربيع» إليها فتمايل ليسقط، فمضى «عبد الله» حتى أتينا على أتون[٢] على شاطئ الفرات، فلما رأى «عبد الله» النار تلتهب فى جوفه قرأ هذه الآية: ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ثُبُورًا﴾[٣].

قال: فصعق الربيع فاحتملناه فجئنا به إلى أهله، قال: ثم رابطه إلى المغرب فلم يفق، ثم إنه أفاق فرجع عبد الله إلى أهله.

۞ وفى يوم من الأيام تدخل عليه ابنته عائشة التى كان يحبها حبًا شديدًا فوجدته ساجدًا وقد أطال السجود كأنه ثوبٌ مطروح وقد جاءت العصافير فوقفت على ظهره من طول فترة سكونه وسجوده، فانتظرت حتى فرغ من صلاته فقالت: يا أبت ألا تستريح وتنام، فإن الناس ينامون.

فقال: إن خوف البيات فى النار لا يدع أباك ينام.

وكان الربيع إذا قيل له: كيف أصبحت يا أبا يزيد؟ قال: أصبحنا ضُعفاء

(١) سورة الجاثية: الآية: (٢١).

(٢) الأتون: الفرن.

(٣) سورة الفرقان: الآيتان: (١٢-١٣).

مُذنبين، نأكلُ أرزاقنا، وننتظر آجالنا[١].

وكان الربيع بن خثيم إذا أصبح قال: مرحبًا بملائكة الله، اكتبوا: بسم الله الرحمن الرحيم، سبحان الله، والحمدُ لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر.

وقال لرجل: لا تلفظ إلا بخير، فإن العبد مسؤول عن لفظه، مُحصًى ذلك عليه كله ﴿أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ﴾[٢][٣].

وقال: إذا تكلمت فاذكر سمع الله إليك، وإذا هممت فاذكر علمه بك، وإذا نظرت فاذكر نظره إليك، وإذا تفكرت فاذكر اطلاعهُ عليك، فإنه يقول: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾[٤][٥].

وقال: أقلُّوا الكلام إلا بتسعٍ: تسبيح، وتكبير، وتهليل وتحميد، وسؤالك الخير، وتعوُّذك من الشر، وأمرك بالمعروف، ونهيك عن المنكر، وقراءة القرآن[٦].

يحفر قبرًا لنفسه في بيته

۞ ولقد بلغ الربيع مبلغًا عظيمًا من خوفه من الله (جل وعلا) حتى أنه كان قد حفر قبراً في فناء بيته.. وكان إذا أحسَّ أن قلبه قد تعلق بشيء يسير من الدنيا يدخل القبر ويُغلق على نفسه حتى يكاد أن يختنق ثم يقول: ﴿رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾[٧] ثم يفتح القبر ويقول لنفسه: ها أنت يا نفس قد رجعت إلى الدنيا مرة أخرى فافعلي صالحًا لعلك تُرحمين.

(١) حلية الأولياء (٢/ ١٠٩).
(٢) سورة المجادلة: الآية: (٦).
(٣) صفة الصفوة (٣/ ٦٧).
(٤) سورة الإسراء: الآية: (٣٦).
(٥) صفة الصفوة (٣/ ٦٨).
(٦) حلية الأولياء (٢/ ١٠٩).
(٧) سورة المؤمنون: الآيتان: (٩٩، ١٠٠).

علي بن الحسين.. وخشيته من الله (جل وعلا)

۞ وها هو على بن الحسين بن على (زين العابدين) يُسطِّر على جبين التاريخ صورة مشرقة من الخوف والخشية من الله (جل وعلا).

۞ كان إذا توضأ أخذته رِعدة واصفرَّ لونه فيقول له أهله: ما الذى يحدث لك عند الوضوء؟ فيقول: تدرى بين يدى مَن أريد أن أقوم.

۞ وكان يُطيل السجود ويستغرق فيه حتى كان الناس يلقبونه بالسَّجَّاد وكان فى قمة الإحسان فى عبادته حتى لقبه الناس بزين العابدين.

قال سفيان بن عيينة: حَجَّ على بن الحسين، فلما أحرم واستوت به راحلته اصفرَّ لونه، وانتفض، ووقع عليه الرعدة، ولم يستطع أن يُلبِّى. فقيل له: مالك لا تُلبى؟ فقال: أخشى أن أقول: لبيك، فيقول لى: لا لبيك. فقيل له: لابد من هذا. فلما لبَّى غُشى عليه، وسقط من راحلته؛ فلم يزل يعتريه ذلك حتى قضى حَجَّة [1].

۞ وقال محمد الباقر: كان أبى علىُّ بن الحسين يُصلى فى اليوم والليلة ألف ركعة. فلما حضرته الوفاة جعل يبكى، قلت له: يا أبه! ما الذى يُبكيك؟ فوالله ما رأيت أحدًا طلب الله مثل طلبك! ما أقول هذا أنك أبى. فقال: يا بنى، إنه إذا كان يوم القيامة، لم يبق ملك مُقرب، ولا نبى مرسل إلا كان لله ﷻ فيه المشيئة، إن شاء غفر له، وإن شاء عذَّبه [2].

۞ وقال طاوس: إنى لفى الحجر ذات ليلة، إذ دخل على بن الحسين، فقلت: رجل صالح من أهل بيت النبوة، لأستمعن إلى دعائه الليلة. ثم قام

---

(١) تهذيب الكمال (٢٠/ ٣٩٠) - تاريخ ابن عساكر (١٢/ ٢٠ أ).

(٢) تهذيب الكمال (٢٠/ ٣٩١) - تاريخ ابن عساكر (١٢/ ٢٠ أ).

يصلى إلى السَّحر، ثم سجد سجدة، فجعل يقول فى سجوده: عبدك يا رب نزل بفنائك، مسكينك يا رب بفنائك، فقيرك يا رب بفنائك.

قال طاوس: فحفظتهن، فما دعوت بهن فى كرب إلا فُرج عنى[١].

وكان يقول: اللهم إنى أعوذ بك أن تُحسِّن فى لوامع العيون علانيتى، وتُقبِّح فى خفيات القلوب سريرتى؛ اللهم كما أسأتُ فأحسنتَ إلىَّ، فإذا عُدت فَعُدْ علىَّ.

وكان يقول: إن قومًا عبدوا الله رهبة، فتلك عبادة العبيد؛ وآخرين عبدوه رغبة، فتلك عبادة التجار؛ وقومًا عبدوا الله شكرًا، فتلك عبادة الأحرار[٢].

وقال أبو نوح الأنصارى: وقع حريق فى بيت فيه على بن الحسين وهو ساجد، فجعلوا يقولون له: يا ابن رسول الله النار! يا ابن رسول الله النار! فما رفع رأسه حتى طُفئت. فقيل له: ما الذى ألهاك عنها؟ قال: ألهتنى عنها النار الأخرى[٣].

۞ ولقد رآه طاووس بن كيسان مرة يقف فى ظلال البيت العتيق يبكى بكاءً شديدًا ويدعو دعاءً من القلب.

فوقف يراقبه حتى إذا هدأ من شدة بكائه اقترب منه وقال له: يا ابن رسول الله ﷺ لقد رأيتك على تلك الحالة ولك فضائل ثلاث أرجو أن تنجو بها يوم القيامة بين يدى الله (جل وعلا).

فقال زين العابدين: وما هن يا طاووس؟

---

(١) تهذيب الكمال (٢٠/ ٣٩١) - تاريخ ابن عساكر (١٢/ ٢٠ أ).

(٢) الحلية (٣/ ١٣٤) - تاريخ ابن عساكر (١٢/ ٢٨ أ).

(٣) صفة الصفوة (٢/ ٩٤) - تاريخ ابن عساكر (١٢/ ١٩ ب).

فقال طاووس: الأولى أنك ابن رسول الله ﷺ.

والثانية: هى شفاعته لك ﷺ.

والثالثة: الرجاء فى رحمة الله (جل وعلا).

فقال زين العابدين: يا طاووس... أما انتسابى لرسول الله ﷺ فإن ذلك لا يعطينى الأمان بعد أن سمعت قول الله (جل وعلا):

﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ ﴾ [١].

وأما شفاعة جدى لى فإن الله يقول: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ ﴾ [٢].

وأما رحمة الله تعالى فهو يقول: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [٣].

---

(١) سورة المؤمنون: الآية: (١٠١).

(٢) سورة الأنبياء: الآية: (٢٨).

(٣) سورة الأعراف: الآية: (٥٦).

من دَقَّ عليه الصراط في الدنيا عرض له في الآخرة

۞ أيها الأخ الحبيب... أيتها الأخت الفاضلة:

استقيموا على الصلاة والصيام والزكاة والحج وقراءة القرآن وصلة الرحم وسائر الطاعات لتفوزوا بالمغفرة والرحمات ولتظفروا برضوان رب الأرض والسماوات فيكشف عنكم الكُربات ويكتب لكم الخلود فى نعيم الجنات.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَـٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾[2].

فنحن جميعًا نسأل الله (جلَّ وعلا) فى كل صلاة أن يهدينا وأن يوفقنا إلى السير على صراطه المستقيم وذلك عندما نقرأ: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾

فوالله لو استقامت قلوبنا وجوارحنا على الصراط المستقيم فى الدنيا لاستقام لنا الصراط فى الآخرة - والجزاء من جنس العمل-.

قال سهل التُسترى: من دق عليه الصراط فى الدنيا عرض له فى الآخرة، ومن عرض عليه الصراط فى الدنيا دق عليه فى الآخرة. ومعنى هذا أن من

(١) سورة فصلت: الآيات: (٣٠ - ٣٢).

(٢) سورة الأحقاف: الآيتان: (١٣، ١٤).

ضيَّق على نفسه فى الدنيا باتباع الأمر واجتناب النهى وهو حقيقة الاستقامة على الصراط المستقيم فى الدنيا، كان جزاؤه أن يتسع له الصراط فى الآخرة، ومن وسع على نفسه فى الدنيا باتباع الشهوات المحرمة المضلة حتى خرج عن الصراط المستقيم ضاق عليه الصراط فى الآخرة بحسب ذلك، والله أعلم.

رأى بعض السلف رجلًا يضحك، فقال له: ما أضحكك؟ إنك لن تقر عينك أبدًا حتى تترك جهنم وراءك[١].

فسعادة من لزم الصراط المستقيم أنه مطمئنٌّ لحسن العاقبة، واثق من طيب المصير، ساكن إلى موعود ربه، راضٍ بقضاء مولاه، مُخبت فى سلوكه هذا السبيل، يعلم أن له هاديًا يهديه على هذا الصراط، وهو معصوم لا ينطق عن الهوى، ولا يتبع مَن غوى، قوله حُجَّة على الورى، محفوظ من نزغات الشيطان، وعثرات الأقران، وسقَطَات الإنسان: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ﴾[٢].

وهذا العبد يجد السعادة فى سلوكه هذا الصراط، لأنه يعلم أن له إلهًا، وأمامه أسوة... والكتاب فى يده والنور فى قلبه، وهو ذاهب إلى نعيم، وعامل فى طاعة، وساعٍ إلى خير: ﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾[٣].

أيـن مـا يُـدعى ظلامًـا يـا رفيـق الـدرب أَيْنـا

(١) التخويف من النار للإمام ابن رجب الحنبلى - (ص: ١٨٦، ١٨٧) بتصرف.

(٢) سورة الرعد: الآية: (١١).

(٣) سورة الأنعام: الآية: (٨٨).

إنَّ نـــــــــــــــــــــورَ الله في قلبــــــــي وهـــــذا مـــــا أراهُ

وهما صراطان: معنوى، وحسى، فالمعنوى: صراط الهداية والإيمان، والحسى: الصراط على متْن جهنم، فصراط الإيمان على متن الدنيا الفانية له كلاليب من الشهوات، والصراط الأخروى على متن جهنم له كلاليب كشوْك السعدان، فمَن تجاوز هذا الصراط بإيمانه تجاوز ذاك الصراط على حسب إيقانه، وإذا اهتدى العبد إلى الصراط المستقيم زالت همومه وغمومه وأحزانه[1].

فمن كان يسقيه الماء إذا عطش!!

۞ انظر لهذا القلوب التى امتلأت خوفًا وخشية من الله (جل وعلا) فها هو رجل يُقاد إلى القتل ظُلمًا ومع ذلك انظر ماذا صنع.

قَالَ الأَعْمَشُ: لَمَّا جِيْءَ بِسَعِيْدِ بنِ جُبَيْرٍ، وَطَلْقِ بنِ حَبِيْبٍ، وَأَصْحَابِهِمَا دَخَلْتُ عَلَيْهِمُ السِّجْنَ، فَقُلْتُ: جَاءَ بِكُمْ شُرْطِيٌّ مِنْ مَكَّةَ إِلَى القَتْلِ، أَفَلاَ كَتَّفْتُمُوْهُ وَأَلْقَيْتُمُوْهُ فِي البَرِّيَّةِ؟! فَقَالَ سَعِيْدٌ: فَمَنْ كَانَ يَسْقِيْهِ المَاءَ إِذَا عَطِشَ[2].

(١) لا تحزن: (ص: ١٩٠، ١٩١).

(٢) «السير» (٤/ ٣٤٠).

على بن الحسين.. قمة في العفو

۞ قال عبد الرزاق: جعلت جارية لعلى بن الحسين تسكبُ عليه الماء ليتهيأ للصلاة، فسقط الإبريق من الجارية على وجهه فشجَّه، فرفع عليٌّ رأسه إليها، فقالت: إن الله يقول: ﴿وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ﴾. فقال: قد كظمت غيظى. فقالت: ﴿وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ﴾ فقال: قد عفا الله عنك. قالت: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾[1]. قال: اذهبى فأنت حرة[2].

وقال عبد الله بن عطاء: أذنب غلام لعلى بن الحسين ذنبًا استحق منه العقوبة، فأخذ له السوط،... فقال: ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغۡفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ﴾[3] وقال الغلام: وما أنا كذلك، إنى لأرجو رحمة الله، وأخاف عذابه، فألقى السوط وقال: أنت عتيق[4].

وقال موسى بن داود: إن على بن الحسين دعا مملوكه مرتين فلم يُجبه، ثم أجابه فى الثالثة، فقال: يا بنى، أما سمعت صوتى؟ قال: بلى. قال: فمالك لم تجبنى؟ قال: أَمِنتُك. قال: الحمد لله الذى جعل مملوكى يأمننى[5].

وقال عبد الغفار بن القاسم: كان على بن الحسين خارجًا من المسجد، فلقيه رجل فسبَّه، فثارت إليه الموالى والعبيد، فقال عليٌّ: مهلًا على الرجل. ثم أقبل عليه فقال: ما سُتر عنك من أمرنا أكثرُ، ألك حاجة نُعينك

---

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٣٤).

(٢) تاريخ ابن عساكر (١٢/ ٢٢ أ)، والبداية والنهاية (٩/ ١٠٧).

(٣) سورة الجاثية: الآية: (١٤).

(٤) تاريخ ابن عساكر (١٢/ ٢٣ ب و ٢٤ أ).

(٥) تاريخ ابن عساكر (١٢/ ٢٢ أ).

عليها؟ فاستحيا الرجلُ ورجع إلى نفسه. فألقى عليه خميصة[١] كانت عليه، وأمر له بألف درهم[٢].

وقال أبو يعقوب المُزنى: كان بين الحسن بن الحسن وعلى بن الحسين بعض الأمر، فجاء حسن إلى على وهو مع أصحابه فى المسجد، فما ترك شيئًا إلا قاله له، وعلىٌّ ساكت، فانصرف حسن. فلما كان الليل أتاه فى منزله، فقرع عليه بابه، فخرج إليه، فقال له على: يا أخى، إن كنت صادقًا فيما قلت، فغفر الله لى، وإن كنت كاذبًا فغفر الله لك، والسلام عليكم. وولَّى، فاتبعه حسن فلحقه، فالتزمه من خلفه وبكى حتى رثى له، ثم قال: لا جرم، لاعدت فى أمر تكرهه. فقال على: وأنت فى حِلٍّ مما قلت لى[٣].

وقال ابن أبى الدنيا بإسناده: كان عند على بن حسين قوم، فاستعجل له خادم بشواء كان فى التنور، فأقبل به مسرعًا: فسقط السفود[٤] من يده على بُنَىّ لعلى أسفل الدرجة، فأصاب رأسه فقتله، فوثب علىٌّ، فلما رآه قال للغلام: اذهب فأنت حُرٌّ... أعلم أنك لم تتعمد قتله.... وأخذ فى جهاز ابنه[٥].

---

(١) الخميصة: كساء أسود مربع له علمان. القاموس (خمص).

(٢) تاريخ ابن عساكر (١٢/ ٢٣ ب)، وصفة الصفوة (٢/ ١٠٠.)

(٣) تاريخ ابن عساكر (١٢/ ٢٤ أ)، وصفة الصفوة (٢/ ٩٤).

(٤) السفود: حديدة يشوى بها: القاموس (سفد).

(٥) تاريخ ابن عساكر (١٢/ ٣٤ أ)، وصفة الصفوة (٢/ ١٠٠).

ينجو من الموت بحيلة طريفة

۞ كان الهُرْمُزان من أهل فارس، قد تحصَّن في قلعةٍ ومعه اثنا عشر رجلًا، وحاصرهم أبو موسى الأشعرى رضي الله عنه، ثُمَّ أتى بهم أسرى إلى المدينة في منزل عمر بن الخطاب رضي الله عنه فلم يجدوه، وعرفوا أنه بالمسجد، وكان نائمًا متوسدًا رداءه بلا حارس، فقالوا: الله حارسه.

فاستسقى الهرمزان (أى: طلب الشرب).

وقال عُمر رضي الله عنه: لَا نَجْمَعُ عَلَيْكَ الْقَتْلَ وَالْعَطَشَ.. اشْرَبْ، لَا بَأْسَ عَلَيْكَ فَإِنِّى غَيْرُ قَاتِلِكَ حَتَّى تَشْرَبَ الْمَاءَ.

فَرَمَى الْهُرْمُزَان الْإِنَاءَ مِنْ يَدِهِ، فَأَمَرَ عُمَرُ رضي الله عنه بِقَتْلِهِ!!

فَقَالَ الْهُرْمُزَان: أَوَ لَمْ تُؤَمِّنِّى (أى: تُعطينى الأمان)؟!

قَالَ عمر رضي الله عنه: وَكَيْفَ؟

قَالَ: قُلْتَ: لَا بَأْسَ عَلَيْكَ، فَإِنِّى غَيْرُ قَاتِلِكَ حَتَّى تَشْرَبَ الْمَاءَ.

فشهد الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّام، وَأَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، وَأَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِىُّ رضي الله عنهم بِأَنَّهُ قَدْ صَدَقَ... فَقَالَ عُمَرُ رضي الله عنه: لَقَدْ أَخَذَ أَمَانًا وَلَا أَشْعُرُ.

فَقَالَ الْهُرْمُزَان: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنَّ مُحمدًا عبده ورسوله!!

فَقَالَ عُمَرُ رضي الله عنه: فما أخَّرك عن الإسلام؟!

قال: خشيت يا أمير المؤمنين أن يُقال: إن إسلامى إنما جزعًا من الموت...

فقال عمر رضي الله عنه: إنَّ لفارس عقولًا استحقت بها ما هى عليه من المُلك.

ثُمَّ كان سيدنا عُمر رضي الله عنه يشاوره فى خَراج الجيوش إلى أرض فارس ويعمل برأيه(١).

---

(١) «زاد المُربين من القصص التربوى الهادف» لإبراهيم بدر شهاب الخالدى (٣٦٧).

موقف عجيب بين الحسن ومحمد ابن الحنفية

۞ولكى تعرف مدى حب محمد ابن الحنفية لأخيه الحسن بن على فتأمل معى هذا الموقف العجيب.

فى يوم من الأيام حدثت جفوة بين محمد ابن الحنفية وأخيه الحسن بن على فما كان من ابن الحنفية إلا أن أرسل إلى الحسن يقول له:

إن الله فضَّلك علىَّ...

فأمك فاطمة بنت محمد بن عبد الله ﷺ

وأمى امرأة من بنى (حنيفة).

وجدُّك لأمك رسول الله، وصفوة خلقه...

وجدِّى لأمى جعفر بن قيس.

فإذا وصلتك رسالتى فتعالَ إلىَّ لتصالحنى حتى يكون لك الفضل والسبق علىَّ فى كل شىء، فلما وصلت تلك الرسالة الرقيقة إلى الحسن بكى وذهب إلى أخيه محمد ابن الحنفية وصالحه.

الأدب مَنجاة

۞ قيل: إن ملكًا من ملوك الفرس قرَّب إليه طباخه طعامًا، فوقعت منه نقطة على المائدة على الملك، فأعرض الملك عنه إعراضًا تحقق به الطباخ أنه سيقتله، فأمسك الطباخ بالإناء وكفأه، وألقاه على المائدة وعلى الملك.

فقال الملك: ما حملك على ما فعلت، وقد علمت أن سقوط النقطة قد تؤدى إلى قتلك؟

فقال الطباخ: استحييت أن الناس تسمع عن الملك أنه استوجب قتلى واستباح دمى مع قديم خدمتى ولزومى حرمته فى نقطة واحدة أخطأت بها يدى فأردت أن يَعْظُم ذنبى ليحسن بالملك قتلى ويُعذَر فى قتلى، من فعل مثل فعلى، فعفا عنه الملك وأمر بإعطائه جائزة.

حلم زين العابدين رضي الله عنه

۞ كان من الذين عُرفوا بالحلم الكثير وبالسماحة والمروءة فى مواقف الشر والغضب على بن الحسين المشهور «بزين العابدين» فقد استأجر رجل من بنى أمية سفيهًا ليستفزه وينال منه، فأسرع الرجل إلى علىٍّ وهو جالس بين أتباعه وأحبائه وجعل يشتمه وينال من قدره ويختلق عليه القبائح والعيوب وسيدنا علىٌّ ساكت لا يجيبه بشىء حتى أفرغ كل ما فى جُعبته من شتائم وسباب وهنا قال له علىٌّ: يا أخى إن كنتُ كما قلت فغفر الله لى وإن لم أكن كما قلت فغفر الله لك.

ما أجمل الصدق في الرجال

۞ يُقَاَل إن الحَجَّاج بن يوسف الثقفى كان قوى البأس شديد البطش، صارمًا فى سياسته وحُكمه، ولا يجرؤ أحد أن يواجهه بنقد أو كلام.

وحدث أن خطب المسلمين يوم الجمعة، فأطال خطبته حت مَلَّ المسلمون وضاق الوقت، وكاد يدركهم العصر، فصاح من جانب المسجد شاب جرىء وقال له فى شجاعة: أقصِر أيها الأمير فإن الوقت لا ينتظرك، والرب لا يعذرك، وكادت تفوتنا الصلاة ... فاستشاط الحجَّاج غضبًا، واشتعل غيظًا، وأمر فقُبض عليه وأُدخل السجن حتى ينظر فى شأنه، فتخوَّف أهله بطش الحجَّاج وأيقنوا أن ابنهم مقتول لا محالة، فاجتهدوا حتى دخلوا على الحجَّاج وكلموه فى شأن ابنهم، ورجوه ألا يؤاخذه على جرأته عليه، وادَّعوا كذبًا بأنه مجنون، فأجابهم الحجاج قائلًا: إن أقرَّ ابنكم بهذا خلَّيت سراحه، فخرجوا من عنده، واحتالوا على السجَّان، حتى أحضر إليهم ابنهم وقالوا له: لا سبيل إلى نجاتك من القتل إلا أن تتظاهر بالجنون أمام الأمير فرفض الشاب الشجاع ذلك. وقال: معاذ الله أن أُنكر نعمة الله علىَّ، وأتظاهر بمرض قد عافانى الله منه، فلما بلغ الحجاج قوله وأنه مُصِرٌّ على ألا يكذب عفا عنه وأخرجه من السجن وهو يقول: ما أجمل الصدق فى الرجال فإنه عنوان يقين، ومنبع رجولة وإيمان.

عفوت عنه لصدقه

۞ ويشبه ذلك أيضًا ما وقع للحجَّاج مع رجلين من أعدائه.

فقد روت كتب الأدب أن اثنين من خصوم الحجاج اتُهما بالمؤامرة على قتل الحجاج فلما قبض عليهما أمر بقتلهما، فلما قُدِّم أحدهما للقتل قال: أصلح الله الأمير إن لى عليك يدًا بيضاء، وأحب أن تعفو عنى بسببها فقال الحجَّاج: وما ذاك؟ قال الرجل: لقد دافعت عنك فى مجلسٍ ما. كان يُساء إليك فيه، فقال له الحجَّاج: إن هذه دعوى تحتاج إلى بيِّنة وشهود، فأشار إلى شريكه فى المؤامرة وقال: كان هذا حاضرًا.. فأقبل الحجاج على المتهم الثانى وقال له: أحَقٌّ ما يقول هذا؟ قال له: نعم، فقال له: ولماذا لم تدافع عنى مثل ما دافع هذا الرجل؟ قال له: لأنى أكرهك ... وهنا أدركت الحجاج مروءته وقال للحاضرين: أُشهدكم أنى قد عفوت عن هذين الرجلين، عفوت عن هذين الرجلين، عفوت عن الأول ليده عندنا، وعفوت عن الآخر لصدقه فى هذا المجال ولترفُّعِه عن الكذب فى أشد الخطوب.

اسكت يا هذا فقد أنكحك الصدق

۞ قالوا: إن بلالًا مؤذن رسول الله ﷺ كان حبشيًّا أسودًا وكان الإسلام قد رفع من شأنه وقرَّبه من رسول الله حتى أصبح له فى كل قلبٍ مكانة وعند جميع المسلمين منزلة وكرامة.

وكان له أخ يريد الزواج فخطب امرأة من قبيلة مخزوم وهى قبيلة كما نعلم عريقة فى حسبها ونسبها ولا ترضى بمثل بلالٍ صهرًا لها فلما أصر أخو بلال على خطبة هذه المرأة المخزومية، رضخ بلال لقوله، وتوجَّه معه إلى أشراف مخزوم، وعرض عليهم رغبة أخيه فى مصاهرتهم، وقال لهم: يا قوم نحن مَن قد عرفتم كنا عبيدًا فأعتقنا الله، وكنا ضالين فهدانا الله وكنا فقراء فأغنانا الله وإنى أخطب منكم لأخى ابنتكم، فإن تنكحوها له فالحمد لله، وإن تردُّونا عن قصدنا فسوف يغنينا الله فرحب القوم به، وأكرموا وفادته، وقبلوا شفاعته وقالوا: مرحبًا بمؤذن رسول الله وجليس من يأتيه الوحى من قِبَل الله ثم زوَّجوه بنتهم.

فلما خرجوا من عندهم أقبل أخو بلال عليه يلومه ويُعنفه ويقول له: يا أخى هلا ذكرت لهم مواقفنا فى الإسلام فقد أبلينا مع رسول الله بلاءً حسنًا، فقال له سيدنا بلال: اسكت يا هذا، فقد أنكحك الصدق فكن يا أخى مع الصادقين.

حلم الأحنف بن قيس رَحِمَهُ اللَّهُ

۞ قالوا: إن الأحنف بن قيس بلغ من الحلم مبلغًا عظيمًا إلى حد أنه كان يُضرب به المثل فى الحلم ... ومن ذلك قول أبى تمام فى سينيته يمدح أحمد بن المعتصم أمير المؤمنين:

إقبال عمر فى سماحة حاتم　　　فى حلم أحنف فى ذكاء إياس

ولقد حدَّثوا عنه: أنه كان قصيرًا دميمًا ولم يكن بأغنى قومه ولا بأشجعهم ومع ذلك ساد عشيرته وذلك لما فطره الله عليه من الحلم والحزم وسلامة الرأى وبُعد النظر وحسن التصرف إذا أطلَّت المشاكل أو التوت المعضلات.

وقد سُئل يومًا: نراك عظيم الحلم فممن تعلمته فأجابهم الأحنف قائلًا: تعلمته من قيس بن عاصم المنقرى كنا فى مجلسه يومًا نتلقى نُصحه ونستمع من حِكَمه وهو جالس محتبيًا وبينما نحن كذلك إذ أقبل أبناؤه عليه ومعهم فتًى مقتول يتشحط فى دمه وفتى آخر مُكبَّل بالسلاسل والقيود فكان المقتول ابن قيس والمُكبل هو قاتله وكان ابن أخيه فأقبل عليه أبناؤه وقالوا له: قامت مشاحنة بين هذين فقتل ابن عمنا أخانا ولم نفعل به شيئًا إلا بعد رأيك وأمرك فماذا تأمرنا؟ فالتفت إلى القاتل وقال له يا ابن أخى لماذا فعلت هذه الجريمة الشنعاء فو الله لقد عصيت ربك ورميت نفسك بسهمك وقتلت ابن عمك، ثم أنشد هذين البيتين:

أقول للنفس تصبيرًا وتعزية　　　إحدى يدى أصابتنى ولم تُرِدِ

كلاهما خلف عن فقد صاحبه　　　هذا أخى حين أدعوه وذا ولدى

ثم سكت قليلًا وقال لأكبر أبنائه:

حلّ وثاق ابن عمك وافكك قيوده عنه وادفن أخاك وسُقْ إلى أمه مائة ناقة دية ابنها فإنها غريبة عنا ... قال الأحنف فو الله ما فَكَّ حَبوته ولا غيَّر جلسته، ولا قطع حديثه الذى كان يتحدث فيه، فكنا نعجب من حلمه فى مواقف الفتن والشرور.

ومن هنا عظَّمته كل القبائل، وأجمعت على حبه العشائر، وكان فى قبيلته سيدًا وزعيمًا وهو الذى قال فيه الشاعر يبكيه يوم موته:

فما كان قيس موته موت واحد ... ولكنه بنيان قومٍ تهدَّما

حلم أبي مسلم الخولاني رَحِمَهُ اللَّهُ

كان أبو مسلم الخولانى من كبار التابعين وكان حليمًا سمحًا وشهمًا كريمًا ... قالوا أنه حدث خلافٌ بينه وبين أحد أتباعه فأساء إليه صاحبه إساءة بالغة، وظن أنه سُيعاقَب عليها ولا بد من أن ينتقم منه. ولكن أبا مسلم فاجأه بحلمه، فلم يُصدق نفسه، ولم يطمئن إلى أن أبا مسلم حلم عليه، فجعل يعتذر ويُلح فى طلب العفو منه، وأبو مسلم يطمئنه حتى سأله القَسَم على أنه قد عفا عنه، فأجابه أبو مسلم: سبحان الله يا أخى قد كنت تسىء فنحلم عليك أفلما أحسنت نسىء إليك، فأقبل الرجل على أبى مسلم وجعل يُقبل جبينه ويده، ويقول: والله يا سيدى هكذا تكون الرجال، وهكذا تكون المروءة وهكذا يكون الشمم والإباء.

حلم ومروءة معَن بن زائدة

ومما يدل على حلم معن وسماحته: ما حُكى أنه لما طلب أبو جعفر المنصور الإمام سفيان الثورى لينتقم منه بزعمه، لما كان سفيان ينكر عليه، ويغلظ له القول، سافر إلى أرض اليمن متغيبًا عن شرِّه، فلم يزل ينتقل فى اليمن من بلدٍ إلى بلد، ومن قرية إلى قرية وكان يقرأ عليهم حديث الضيافة ليُضيفوه، ويَسلم من سوء الفهم فلما آوى بعض القرى ذات ليلة سُرق فيها لبعض الناس شىء، فاتهموا سفيان لكونه غريبًا عندهم، وأتوا به إلى معن ابن زائدة، وقالو له أصلح الله الأمير، هذا سرق متاعنا وأنكر، فقال له مَعِن: ما تقول؟ قال: ما أخذت لهم شيئًا. فقال لمن حوله: فقوموا فلى معه كلام، فلما بعدوا عنه قال ما اسمك؟ قال: أنا عبد الله، قال: ابن من؟ قال: ابن عبد الله.

قال: قد علمت أن الناس كلهم عباد الله وأبناء عبيد الله، قال: ما اسمك الذى سمَّتك به أمك؟ قال: سفيان، قال: ابن من؟ قال: ابن سعيد، قال: الثورى، قال: أَبُغية أمير المؤمنين؟ قال: فنكت بعودٍ بيده فى الأرض ساعة، ثم رفع رأسه لى، وقال: اذهب حيث شئت، فلو كنت تحت قدمى هذه ما حرَّكتك[1].

---

(١) مرآة الجنان (١/ ٢٤٨).

ثمرة الغضب المريرة

۞ ومن خير ما رُوى فى ذم الغضب ما نقله صاحب كتاب العقد الفريد قال: «كان لامرأة أعرابية غلام (ابنها) كانت تحبه وتعتز به، وكانت تخرج من حين إلى حين تطلب رزقها وكانت تترك طفلها فى رعاية كلبها الأمين فكان الكلب يقوم على حراسته ويدفع عنه كل أذى، وبينما كان الكلب يُحمحم حول الطفل يومًا وأمه خارج المنزل إذ أقبل عليه ثعبان يريد أن يؤذيه فهجم عليه الكلب وقطَّعه إربًا إربًا ثم خرج إلى دهليز البيت وكأنما كان ينتظر صاحبته ليزف إليها بشرى انتصاره على أخطر عدو كان يتربص بابنها سوءًا، ولم تلبث المرأة أن عادت إلى منزلها، وما كادت عينها تقع على فم الكلب وتراه مُلطخًا بالدم حتى أخذها الغضب، وتملَّكها الفزع، وظنت أن الكلب قتل ابنها، فلم تملك نفسها أن قتلته ثم أسرعت لتنظر ولدها فإذا هو حَيٌّ يضحك ويلعب وحوله الثعبان مُقطع ومُمزق ففهمت كل شيء وعلمت أن الغضب قد أعمى عينها وقلبها عن الصواب وأنها تسرَّعت فى حُكمها على الكلب الذى حفظ لها حياة ابنها من الموت وقضى بأنيابه على عدوه اللدود فجعلت تندب وتبكى فيه الوفاء والإخلاص».

دعوة رحيمة

❁ لقد كان صلة بن أشيم رَحِمَهُ اللَّهُ يرفض الدعوة التى تقوم على الشدة والغلظة.

بل كان يرفع شعار البسمة والرحمة فى دعوته لكل من حوله.

❁ وتعالوا بنا لنتعايش مع موقفين من مواقف دعوته الرحيمة.

فقد كان فى كوكبة من أصحابه، يتحدثون فى أمر دينهم ويتسامرون، وبينما هم على هذه الحال مَرَّ بهم شاب ناضر الشباب رائع المحُيا، وقد أطال الشاب ثوبه حتى جعل يجره على الأرض إعجابًا بنفسه، وقد تبختر فى مشيته، فثار أصحابه على الشاب وأرادوا أن يؤذوه بألسنتهم، فقال لهم صِلةُ ابن أشيم العدوى: دعونى وإياه، أكفكم أمرهُ، ثم قال للشاب فى رفق وتودد: يا ابن أخى، إن لى عندك حاجة.

فتوقف الشاب على المسير وقال: وما هى يا عم؟

فقال: أن ترفع ثوبك، فإن ذلك أنقى لك ويحفظك مما تحمل الأرض، وأتقى لربك، وأقرب لسنة نبيك.

فخجل الفتى وقال: السمعُ والطاعةُ يا عم!! ثم بادر ورفع إزاره ومشى معتدلًا.

فنظر صِلةُ لأصحابه قائلًا: ما رأيكم؟! إن هذا أحسن وأجود مما كنتم تريدون، ولو أنكم ضاربتموه لضاربكم. وأبقى إزاره مرسلًا يمسحُ الأرض.

فتبسم أصحابه وشكروا له حُسن صنيعه، وجمال الحلم فيه[1].

---

(١) عصر التابعين / أ. عبد المنعم الهاشمى (ص: ٣٧٨ - ٣٧٩).

۞ أما الموقف الثانى:

فقد مرت به طائفةٌ من شباب البصرة وفتيانها، وقد امتلأت وجوههم حيوية ونشاطًا، وجرى فى عروقهم دم الشباب وأيفع كلٌّ منهم، وشَبَّ عن الطوق شامخًا، يلهو ويلعب، ويسرح ويمرح.

مرت هذه الكوكبةُ من فتيان البصرة لاهية لاعبة فحياهم بلطفٍ، وخاطبهم برفق، ثم أوقفهم وجعل يتحدث إليهم قائلًا: ما تقولون فى قوم أزمعوا وعزموا سفرًا لأمرٍ عظيم، غير أنهم كانوا فى النهار يحيدون عن الطريق ليلهوا ويلعبوا، وفى الليل يبيتون ليستريحوا، فمتى ترونهم يُنجزون رحلتهم وسفرهم ويبلغون غايتهم؟!

ثم انصرف إلى غايته ولم يكرر الحديث ولم ينتظر سماع الإجابة، بل ترك الفتية وذهب، وكلما لقيهم قال مقولته هذه.

فقام شابٌّ منهم وقال: والله ما قصد الشيخ بكلامه سوانا، فنحن بالنهار فى لهوٍ مستمر، وفى الليل فى نوم طويل، وانطلق إليه فاتَّبعه وصاحبه وسمع منه، ولم يفارقه حتى مات.

أحسِن إلى من أساء إليك

۞أشرف المأمون يومًا من قصره، فرأى رجلًا وفي يده فحمة، وهو يكتب بها على حائط القصر، فقال المأمون لأحد غلمانه: انزل إلى ذلك الرجل، فأمسك بيده، واقرأ ما كتب، وائتنى به.

فنزل الغلام فأدركه، وقبض على يده، وقرأ ما كتب فإذا هو:

يا قصر جُمّع فيك الشؤم واللوم حتى يعشِّش فى أرجائك البوم

يوم يعشش فيك البوم من فرحى أكون أول من ينعاك مرغوم

فقال له: أجب أمير المؤمنين... قال: سألتك بالله، لا تذهب بى إليه، قال: إنه يراك.

فلما مَثُل بين يديه، قال الغلام: وجدته قد كتب كذا وكذا، وذكر البيتين.

فقال المأمون: ويلك!! ما حملك على هذا؟

فقال الرجل: يا أمير المؤمنين، إنه لم يَخْفَ عنك ما حواه هذا القصر من خزائن الأموال، والحُلى، والحُلل، والطعام، والشراب، والفُرُش، والجوارى والخدم، فمررت عليه وأنا فى غاية من سوء الحال من الجوع والعطش، ولى يومان ما أستطعم فيهما بطعام ولا شراب، فوقفت ساعة، وفكّرت فى نفسى، وقلت: هذا القصر عامر، وأنا جائع، فلا فائدة له، فلو كان خرابًا ومررت به على تلك الحالة لم أعدم رُخامةً، أو خشبة، أو مسمارًا أبيعه وأتقوّت بثمنه ... أَوَ ما علم أمير المؤمنين – أعزه الله تعالى – أنه قيل:

إذا لم يكن للمرء فى دولة امرئٍ نصيبٌ ولا حظٌّ تمنّى زوالها

وما ذاك عن بغضٍ ولا عن كراهة ولكـــن يــــرى نفعـــه بانتقالهـــا

فقال المأمون: يا غلام، أعطه ألف دينار، وأطعمه، واسقه، وقال له: يا هذا، هى لك فى كل سنة ما دام قصرنا عامرًا بنا[1].

۞ شتم رجلٌ الأحنف، وجعل يتبعه حتى بلغ حَيَّهُ، فقال الأحنف: يا هذا! إن كان بقى فى نفسك شىء، فهاته وانصرف، لا يسمعك بعض سُفهائنا، فتلقَى ما تكره[2].

۞ وعن عبد الله بن أبى بكر عن رجل من العرب، قال: زحمت رسول الله ﷺ يوم حنين، وفى رجلى نَعلٌ كثيفة، فوطئت على رِجل رسول الله ﷺ فنفحنى نفحة بسوطٍ فى يده، وقال: «بسم الله، أوجعتنى».

قال: فبتُّ لنفسى لائمًا أقول: أوجعتُ رسول الله ﷺ فبتُّ بليلة كما يعلم الله، فلما أصبحنا إذا رجل يقول: أين فلان؟ قال: قلت: هذا والله الذى كان منى بالأمس. قال: فانطلقت وأنا متخوفٌ، فقال لى رسول الله ﷺ: «**إنك وطئت بنعلك على رجلى بالأمس فأوجعتنى، فنفحتك بالسوط، فهذه ثمانون نعجة فخذها بها**»[3].

(١) المختار من نوادر الأخبار (ص ٧٤) – محمد بن أحمد المقرىّ.

(٢) عيون الأخبار، ابن قتيبة (١/ ٢٨٧).

(٣) صحيح: رواه الدارمى، وصححه الألبانى فى السلسلة الصحيحة (٣٠٤٣).

دخل الجنة ولم يسجد لله سجدة واحدة

۞ كَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَقُولُ لأصحابه: حَدِّثُونِي عَنْ رَجُلٍ دَخَلَ الْجَنَّةَ لَمْ يُصَلِّ قَطُّ. فَإِذَا لَمْ يَعْرِفْهُ النَّاسُ سَأَلُوهُ: مَنْ هُوَ؟ فَيَقُولُ: أُصَيْرِمُ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ عَمْرُو بْنُ ثَابِتِ بْنِ وَقْشٍ.

قَالَ مَحْمُودُ بْنُ لَبِيدٍ: كَانَ الْأُصَيْرِمُ يَأْبَى الْإِسْلَامَ عَلَى قَوْمِهِ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ وَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى أُحُدٍ بَدَا لَهُ الْإِسْلَامُ فَأَسْلَمَ، فَأَخَذَ سَيْفَهُ فَغَدَا حَتَّى أَتَى الْقَوْمَ فَدَخَلَ فِي عُرْضِ النَّاسِ، فَقَاتَلَ حَتَّى أَثْبَتَتْهُ[1] الْجِرَاحَةُ، قَالَ: فَبَيْنَمَا رِجَالُ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ يَلْتَمِسُونَ قَتْلَاهُمْ فِي الْمَعْرَكَةِ إِذَا هُمْ بِهِ، فَقَالُوا: وَاللهِ إِنَّ هَذَا لَلْأُصَيْرِمُ، وَمَا جَاءَ بِهِ؟! لَقَدْ تَرَكْنَاهُ وَإِنَّهُ لَمُنْكِرٌ لِهَذَا الأمر! فَسَأَلُوهُ: مَا جَاءَ بِكَ يَا عَمْرُو؟ أَحَدَبًا[2] عَلَى قَوْمِكَ، أَوْ رَغْبَةً فِي الْإِسْلَامِ؟

قَالَ: بَلْ رَغْبَةً فِي الْإِسْلَامِ، آمَنْتُ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَأَسْلَمْتُ، ثُمَّ أَخَذْتُ سَيْفِي فَغَدَوْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَاتَلْتُ حَتَّى أَصَابَنِي مَا أَصَابَنِي.

فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ مَاتَ فِي أَيْدِيهِمْ، فَذَكَرُوهُ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «إِنَّهُ لَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ»[3].

---

(١) أي: أُصيب إصابات بليغة حتى لم يستطع الحركة من كثرتها وشدتها.

(٢) حَدَبَ عليه: عطف عليه ونصره.

(٣) رواه أحمد (٥/ ٤٢٨)، ورجاله ثقات كما في مجمع الزوائد (٩/ ٣٦٢-٣٦٣)، وفي الإصابة (٢/ ٥٢٦) حَسَّن إسناده أيضًا.

حلم النبي ﷺ كان سببًا في إسلام حَبر اليهود

۞ أعطى الحبرُ اليهوديُّ (زيدُ بن سَعْنَةَ) النبى ﷺ ثَمَانِينَ مِثْقَالًا مِنْ ذَهَبٍ فِى تَمْرٍ مَعْلُومٍ إِلَى أَجْلٍ كَذَا وَكَذَا..

وَقَبْلَ أَنْ يَحلَّ الْأَجَلُ بِيَوْمَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ جَاءَ (زيدُ بن سَعْنَةَ) إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَخَذَ بِجَوَامِعِ قَمِيصِهِ وَرِدَائِهِ، وَنَظَرَ إِلَيْهِ بِوَجْهٍ غَلِيظٍ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَلَا تَقْضِينِى حَقِّى؟! إِنَّكُمْ يَا بَنِى عَبْدِ الْمُطَّلِبِ قَومٌ مُطْلٌ (أى: تؤجلون الوفاءَ بالدَّينِ مرةً بَعْدَ أُخْرى)!!

فغضب عُمر بن الخطاب رضي الله عنه غضبًا عظيمًا، وشدَّدَ له فى القولِ... والنبى ﷺ يتبسَّمُ..

فقال النبى ﷺ: «**أنا، وهو، كنا إلى غير هذا منك أحوج يا عُمَرُ. تَأْمُرُهُ بِحُسْنِ التَّقَاضِى. وَتَأْمُرُنِى بِحُسْنِ الْقَضَاءِ**».

ثُمَّ قَالَ النبى ﷺ: «**لَقَدْ بَقِيَ مِنْ أَجلِهِ ثَلَاثٌ**».

وأمر رسول الله ﷺ عمر رضي الله عنه أن يؤدى إليه ماله، ويزيده عشرين صاعًا من تمرٍ لأجل ترويعه (أى: تعويضًا له عن الفزع الذى سببه له سيدنا عمر رضي الله عنه).

فلما أعطاه عُمر بن الخطاب رضي الله عنه حقَّه وزاده، قَالَ زَيْدٌ: مَا هَذِهِ الزِّيَادَةُ يَا عُمر؟!

قَالَ عمر رضي الله عنه: أَمَرَنِى رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ أَزِيدَكَ مَكَانَ مَا رُعْتُكَ (أفزعتك).

قال زيد: أَتَعْرِفُنِى يَا عُمَرُ؟!

قَالَ عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَا.

قال: أَنَا زَيْدُ بْنُ سَعْنَةَ!!

فقَالَ عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ متعجبًا: الْحَبْرُ (أى العالِمُ)؟... فَمَا دَعَاكَ أَنْ تَفْعَلَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ مَا فَعَلْتَ، وَتَقُولُ لَهُ مَا قُلْتَ؟!

فَقالَ: يَا عُمَرُ لم يكن من علامات النبوة شىءٌ إلا وقد عرفته فى وجه رسول الله ﷺ حِينَ نَظَرْتُ إِلَيْهِ، إِلَّا اثْنَتَيْنِ، لَمْ أَخْبُرْهُمَا مِنْهُ... يَسْبِقُ حِلْمُهُ جَهْلَهُ، وَلَا يَزِيدُهُ شِدَّةُ الْجَهْلِ عَلَيْهِ إِلَّا حِلْمًا وَقَدْ خَبَرْتُهُمَا فيه.

ثُمَّ أسلم (زيد بن سعنة) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ونطق شهادة الحق، بفضل حلمه ﷺ، وحَسُن إسلام زيد، وَشَهِدَ مَعَ النبى ﷺ الغزوات، ثُمَّ تُوفِّى فِى غَزْوةِ تبُوكَ مُقْبِلًا (أى: على القتال) غَيْرَ مُدْبِرٍ[1] (غير هارب).

(١) أخرجه الحاكم (٣/ ٦٠٤-٦٠٥).

أسلم اليهودي لأن النبي واساه في مرضه

۞ إن من أعظم أخلاق الإسلام وتعاليمه الحث على دفع السيئة بالحسنة، والإحسان إلى الجار ولو كان من ألدَّ الأعداء، فقد روتْ كتب السيرة عن النبى ﷺ أنه كان رحيمًا بأعدائه من اليهود، فقد كان له جارٌ يهودى مُؤذٍ، حيث كان يأتى كل يوم بقمامته ويضعها أمام بيته ﷺ، وهو يعامله برحمة ورفق، ولا يقابل إساءته بالإساءة، بل كان يأخذ القمامة ويلقى بها بعيدًا، دون أن يخاصمه[١]، وذلك لأنه ﷺ كان يعيش لأهداف سامية، وأخلاقٍ رامية، وهى تخليص البشرية من العناء، وإسعادها بعد الشقاء.

وفى يوم من الأيام انقطعت أذية الجار اليهودى، فلم يعد اليهودى يرمى القمامة أمام بيته، فقال ﷺ: «**لعل جارنا اليهودى مريض فلا بد أن نزوره ونواسيه**».

تأمل هذه الرحمة، كيف أشفق على رجل يؤذيه بالقمامة، وهو – علاوة على ذلك – على غير دينه، فهو يهودى الديانة، فذهب إليه فى بيته يزوره، فوجده مريضًا كما ظن، فلاطفه بالكلام، واطمأن على حاله.

إنه نُبل الأخلاق وسُمو النفس، بل قل: عظمة العظماء.

اندهش اليهودى من زيارة محمد ﷺ، الذى جاء يواسيه فى مرضه، ولطالما كان يؤذيه وهو صحيح معافى، فعلم أنه رسول الحق، فلم يملك إلا أن يؤمن برسالته، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله[٢].

---

(١) وإن كانت هذه الرواية ضعيفة رغم شهرتها.

(٢) رسالة إلى الغرب – هذا هو محمد ﷺ الرسول الذى يعظمه المسلمون (١/ ٧).

جئتكم من عند خير الناس

۞ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، أَخْبَرَ: أَنَّهُ غَزَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ قِبَلَ نَجْدٍ، فَلَمَّا قَفَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَفَلَ مَعَهُ، فَأَدْرَكَتْهُمُ القَائِلَةُ فِي وَادٍ كَثِيرِ العِضَاهِ [١]، فَنَزَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ تَحْتَ شَجَرَةٍ، فَعَلَّقَ سَيْفَهُ بِغُصْنٍ مِنْ أَغْصَانِهَا.

قَالَ: وَتَفَرَّقَ النَّاسُ فِي الْوَادِي يَسْتَظِلُّونَ بِالشَّجَرِ.

قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ رَجُلًا أَتَانِي وَأَنَا نَائِمٌ، فَأَخَذَ السَّيْفَ فَاسْتَيْقَظْتُ وَهُوَ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِي، فَلَمْ أَشْعُرْ إِلَّا وَالسَّيْفُ صَلْتًا فِي يَدِهِ [٢]، فَقَالَ لِي: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قَالَ: قُلْتُ: اللهُ، ثُمَّ قَالَ فِي الثَّانِيَةِ: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قَالَ قُلْتُ: اللهُ، قَالَ: فَشَامَ السَّيْفَ فَهَا هُوَ ذَا جَالِسٌ».

فعفا عنه النبي ﷺ وتركه يذهب إلى حال سبيله.

فجاء الرجل إلى قومه، وقال لهُمْ: جئتكم من عِندِ خير الناس [٣].

---

(١) العضاه: شجر عظيم له شوك.

(٢) صلتًا: مبرزًا بارزًا ومستويًا.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٢٩١٠)، ومسلم (٨٤٣).

أليست نفسًا؟!

۞ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنَ أَبِى لَيْلَى، قَالَ: كَانَ سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ، وَقَيْسُ بْنُ سَعْدٍ قَاعِدَيْنِ بِالقَادِسِيَّةِ، فَمَرُّوا عَلَيْهِمَا بِجَنَازَةٍ، فَقَامَا..

فَقِيلَ لَهُمَا: إِنَّهَا مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ (أَىْ مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ)!!

فَقَالاَ: إِنَّ النَّبِىَّ ﷺ مَرَّتْ بِهِ جِنَازَةٌ فَقَامَ، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّهَا جِنَازَةُ يَهُودِىٍّ.

فَقَالَ ﷺ: «أَلَيْسَتْ نَفْسًا؟!»[1].

۞ وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما، قَالَ: مَرَّتْ جَنَازَةٌ، فَقَامَ لَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَقُمْنَا مَعَهُ.

فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّهَا يَهُودِيَّةٌ!!

فَقَالَ: «إِنَّ الْمَوْتَ فَزَعٌ، فَإِذَا رَأَيْتُمُ الْجَنَازَةَ فَقُومُوا»[2].

(١) متفق عليه: رواه البخارى (١٣١٢)، ومسلم (٩٦١).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٩٦٠).

جاءه الرسول ﷺ في المنام فأسلم

۞ قَالَ هلال بن المحسن: رأيت فى المنام سنة تسعٍ وتسعين وثلاثمائة رسول الله ﷺ قد وافى إلى موضع منامى ، والزمان شتاء، والبرد شديد، والماء جامد، فأقامنى فارتعدت حين رأيته، فقال: لا ترتعد، فإنى رسول الله، وحملنى إلى بالوعة فى الدار عليها دورق خزف وقال: توضأ وضوء الصلاة. فأدخلت يدى فى الدورق فإذا الماء جامد، فكسرته وتناولت من الماء ما أمررته على وجهى وذراعى وقدمى، ووقف فى صُفة وصلَّى وجذبنى إلى جانبه وقرأ: ﴿ٱلْحَمْدُ﴾، و﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾، وركع وسجد، وأنا أفعل مثل فعله، وقام ثانيًا وقرأ: ﴿ٱلْحَمْدُ﴾، وسورة لم أعرفها، ثم سلَّم، وأقبل علىَّ وقال: أنت رجلٌ عاقل محصل، والله يريد بك خيرًا فلِمَ تَدَع الإسلام الذى قامت عليه الدلائل والبراهين، وتقيم على ما أنت عليه؟ هات يدك وصافحنى، فأعطيته يدى فقال: قل أسلمت وجهى لله، وأشهد أن الله الواحد الصمد الّذى لم يكن له صاحبة ولا ولد، وأنك يا محمد رسوله إلى عباده بالبينات والهدى.

فقلت ذاك، ونهض ونهضت، فرأيت نفسى قائمًا فى الصُّفة، فصحت صياح الانزعاج والارتياع، فانتبه أهلى وجاءوا، وسمع أبى فقال: ما لكم ؟ فصحت به فجاءوا، وأوقدنا المصباح وقصصت عليهم قصتى، فوجموا إلا أبى فإنه تبسم، وقال: ارجع إلى فراشك، فالحديث يكون عند الصباح... وتأملنا الدورق، فإذا الجمد الذى فيه متشعث بالكسر، وتقدم والدى إلى الجماعة بكتمان ما جرى، وقال: يا بُنى، هذا منامٌ صحيح، وبشرى محمودة، إلا أن إظهار هذا الأمر فجأة، والانتقال من شريعة إلى شريعة

يحتاج إلى مقدمة وأهبة، ولكن اعتقد ما وُصِّيت به، فإننى معتقد مثله، وتصرف فى صلاتك ودعائك على أحكامه... ثم شاع الحديث، ومضت مدة فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ ثانيًا على دجلة فى مشرعة باب البستان، وقد تقدمت إليه وقبَّلت يده فقال: ما فعلت شيئًا مما وافقتنى عليه وقررته معى؟ قلت: بلى يا رسول الله، ألم أعتقد ما أمرتنى به، وتصرفت فى صلاتى ودعائى على موجبه؟ فقال: لا، وأظن أن قد بقيت فى نفسك شُبهة، تعالَ.

وحملنى إلى باب المسجد الذى فى المشرعة، وعليه رجل خراسانى نائم على قفاه وجوفه كالغرارة المحشوة من الاستسقاء، ويداه وقدماه منتفختان، فأمرَّ يده على بطنه وقرأ عليه فقام الرجل صحيحًا معافى. فقلت: صلى الله عليك يا رسول الله فما أحسن تصديق أمرك وأعجز فعلك.... وانتبهت.

فلما كان فى سنة ثلاث وأربعمائة رأيت فى بعض الليالى كَأن رَسُول اللهِ ﷺ راكبًا على باب خيمة كنت فيها، فانحنى على سرجه حتى أرانى وجهه، فقمت إليه وقبَّلت ركابه ونزل فطرحت له مخدة وجلس، وقال: يا هذا، كم آمرك بما أريد فيه الخير لك وأنت تتوقف عنه. قلت: يا مولاى، أما أنا متصرف عليه؟ قال: بلى، ولكن لا يغنى الباطن الجميل مع الظاهر القبيح، وأن تراعى أمرًا فمراعاتك الله أولى، قم الآن وافعل ما يجب ولا تخالف. قلت: السمع والطاعة.

فانتبهت ودخلت إلى الحمام ومضيت إلى المشهد وصليت فيه، وزال عنى الشك، فبعث إلىَّ فخر الملك فقال: ما الذى بلغنى؟ فقلت: هذا أمر كنت أعتقده وأكتمه، حتى رأيت البارحة فى النوم كذا وكذا. فقال: قد كان

أصحابنا يحدثونى أنك كنت تصلى بصلاتنا، وتدعو بدعائنا وحمل إلىَّ دست ثياب ومائتى دينار فرددتهما وقلت: ما أحب أن أخلط بفعلى شيئًا من الدنيا، فاستحسن ما كان منى وعزمت أن أكتب مصحفًا فرأى بعض الشهود رسول الله ﷺ فى المنام وهو يقول له: تقول لهذا المسلم القادم نويت أن تكتب مصحفًا، فاكتبه، فبه يتم إسلامك.

قَالَ: وحدثتنى امرأة تزوجتها بعد إسلامى قالت: لما اتصلت بك قيل لى إنك على دينك الأول فعزمت على فراقك، فرأيت فى المنام رجلًا قيل أنه رسول الله ﷺ ومعه جماعة قيل هم الصحابة، ورجل معه سيفان قيل إنه على بن أبى طالب، وكأنك قد دخلت فنزع علىٌّ أحد السيفين فقلدك إياه وقال: ها هنا ها هنا. وصافحك رسول الله ﷺ، فرفع أمير المؤمنين رأسه إلىَّ وأنا أنظر من الغرفة فقال: ما ترينَّ إلى هذا؟ هو أكرم عند الله وعند رسوله منك ومن كثير من الناس، وما جئناك إلا لنعرفك موضعه، ونُعلمك أننا زوجناك به تزويجًا صحيحًا فقَرِّى عينًا وطِيبى نفسًا فما ترين إلا خيرًا. فانتبهت وقد زال عنى كل شك وشبهة[1].

---

(١) المنتظم (١٦/ ١٣) لابن الجوزى.

أسلم بسبب الإنصاف

۞ بعث أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه زياد بن حدرد الأسدى على عُشُور العراق والشام (العُشور: هى الضريبة التى تُفرض على السفن التجارية وهى تُشبه الجمارك حاليًا)، وأمره أن يأخذ من المسلمين ربع العُشر، ومن أهل الذمة نصف العُشر، ومن أهل الحرب (أى المشركين) العُشر.

فمرَّ رجلٌ من تغلب من نصارى العرب ومعه فرس فقوَّمها (قدَّرها) ابن حدرد بعشرين ألفًا، وقال للتغلبى: أعطنى الفرس، وخذ مِنى تسعة عشر ألفًا، أو أمسك الفرس، وأعطنى ألفًا. فأعطاه التغلبى ألفًا وأمسك فرسه، ثُمَّ مرَّ عليه راجعًا مرة أخرى، فقال له: أعطنى ألفًا أخرى! فقال التغلبى: كلما مررتُ بِكَ تأخذ منى ألفًا. قال: نعم. قال: فرجع التغلبى إلى عُمر بن الخطاب رضي الله عنه فوافاه بمكة، وهو فى البيت، فاستأذن عليه، فقال له عُمر رضي الله عنه: مَنْ أنتَ؟! فقال: رجلٌ من نصارى العرب.

وقصَّ عليه قصته، فقال لَهُ عُمر رضي الله عنه: كفى، ولم يزدهُ على ذلك.

فرجع التغلبى إلى زياد بن حدرد الأسدى، وقد وَطَّنَ (ألزمَ) نفسهُ على أن يعطيه ألفًا أخرى، فوجد كتاب عُمر رضي الله عنه قد سبق إليه، يقول فيه:

مَنْ مَرَّ بِكَ فأخذتَ منه صدقةً، فلا تأخذ منه شيئًا إلى مثل ذلك اليوم من الأسبوع القادم إلا أن تجد منهُ فضلًا (تبرعًا عن طيب نفسٍ).

فقال التغلبى: والله كانت نفسى طيبة أن أُعطيك ألفًا، وإنى أُشهد اللهَ أنى أصبحتُ على دين الرجل الذى كتب إليك هذا الكتاب (أى دين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو الإسلام)[1].

---

(١) الدكتور محمد الصادق عرجون، «الموسوعة فى سماحة الإسلام» (١/ ٤٠٩).

لا تدعُ عليه فإنه من أولياء الله

۞ قال مالك بن دينار: كان لى جار يتعاطى الفواحش فتبرأ منه الجيران وأتونى شاكين متظلمين منه فأحضرناه وقلنا له: إن هؤلاء الجيران يشكرون منك فسبيلك أن تخرج من هذه المحلة، فقال: أنا فى منزلى لا أخرج منه، فقلنا له: تبيع دارك! قال: لا أبيع دارى، ولا يمكنكم أن تُخرجونى منها، فقلنا له: نشكوك إلى السلطان، فقال: إن السلطان يعرفنى وأنا من أعوانه، فقلت له: ندعو عليك، فقال: إن الله أرحم بى منكم. قال: فغاظنى ذلك منه، قال: فلما أمسينا قمت وصليت فلما فرغت من الصلاة دعوت عليه ونمت، فهتف بى هاتف: لا تدعُ عليه فإنه من أولياء الله. قال: فلما انتبهت أتيت إلى باب داره ودققت عليه الباب، فلما خرج ورآنى ظنَّ أنى جئت لإخراجه من المحلة، فقال لى كلامًا كالمعتذر، فقلت: ما جئت لذلك المعنى ولكن جئت لأنى رأيت كذا وكذا، فعند ذلك وقع عليه البكاء وقال: إنى تُبت بعد ما كان هذا الأمر ... وخرج من البلد ولم أره بعد ذلك، فاتفق أنى حججت فى بعض السنين، فرأيت فى المسجد الحرام حلقة فتقدمتُ إلى الحلقة فرأيت ذلك الشاب عليلًا مطروحًا، قال: فلم ألبث حتى قالوا: قضى الشاب نحبه رحمه الله تعالى[١].

---

(١) المواعظ والمجالس (٢٧٣-٢٧٤).

تبديل السيئات إلى حسنات

۞ قَالَ الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ لِرَجُلٍ: كَمْ أَتَتْ عَلَيْكَ؟

قَالَ: سِتُّونَ سَنَةً.

قَالَ: فَأَنْتَ مُنْذُ سِتِّينَ سَنَةً تَسِيرُ إِلَى رَبِّكَ يُوشِكُ أَنْ تَبْلُغَ.

فَقَالَ الرَّجُلُ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

فَقَالَ الْفُضَيْلُ: أَتَعْرِفُ تَفْسِيرَهُ تَقُولُ: أَنَا لِلَّهِ عَبْدٌ وَإِلَيْهِ رَاجِعٌ، فَمَنْ عَلِمَ أَنَّهُ لِلَّهِ عَبْدٌ، وَأَنَّهُ إِلَيْهِ رَاجِعٌ، فَلْيَعْلَمْ أَنَّهُ مَوْقُوفٌ، وَمِنْ عَلِمَ أَنَّهُ مَوْقُوفٌ، فَلْيَعْلَمْ أَنَّهُ مَسْئُولٌ، وَمَنْ عَلِمَ أَنَّهُ مَسْئُولٌ، فَلْيُعِدَّ لِلسُّؤَالِ جَوَابًا.

فَقَالَ الرَّجُلُ: فَمَا الْحِيلَةُ؟

قَالَ يَسِيرَةٌ، قَالَ: مَا هِيَ؟

قَالَ: تُحْسِنُ فِيمَا بَقِيَ يُغْفَرُ لَكَ مَا مَضَى، فَإِنَّكَ إِنْ أَسَأْتَ فِيمَا بَقِيَ، أُخِذْتَ بِمَا مَضَى وَبِمَا بَقِيَ.

﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[1][2].

(١) سورة الفرقان: الآية: (٧٠).

(٢) «جامع العلوم والحكم» لابن رجب (٢/ ٣٧٥).

طبيب يتوب على يد رجلٍ أُمي

۞ وها هو رجل بسيط لم يتعلم العلم الشرعى ولكن قلبه قد امتلأ بحب الله والرغبة فى نصرة دين الله (جل وعلا) فحضر يومًا درسًا لأحد الدعاة وفى أثناء الدرس قال الشيخ: قال رسول الله ﷺ: «**كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان فى الميزان حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم**»[1].

فتحرك قلب هذا الرجل البسيط لهذه الكلمات وخرج بعد انتهاء الدرس وقد عزم على أن يدعو إلى الله بهذا الحديث فبدأ يدخل على البقال ويقول له: «**كلمتان خفيفتان على اللسان...**» ثم يدخل على الجزار.. إلى أن أصبح همه كله أن يُعلم الناس جميعًا هذا الحديث.

وفى يوم من الأيام يُصَاب هذا الرجل بمرضٍ خطير.. ويدخل غرفة العمليات ويُجرى له الدكتور عملية جراحية خطيرة - وكان هذا الدكتور لا يُصَلِّى ولا يعرف طريق المسجد.

وفجأة قام الرجل بعد إجراء العملية ولم يفق بعدُ من المخدِّر فقال: يا دكتور! فقال له الدكتور: هل تريد شيئًا؟! فقال له الرجل: «**كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان فى الميزان حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم**» ثم مات الرجل!!

فتعجب الدكتور من هذا الرجل الذى قام وهو تحت تأثير المخدر ليقول له هذا الحديث العظيم.

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦٦٨٢)، ومسلم (٢٦٩٤).

فتاب هذا الدكتور بسبب تلك الحادثة وذهب ليطلب العلم الشرعى حتى أصبح الآن من أشهر الدعاة إلى الله تعالى.. وكل ذلك فى ميزان حسنات هذا الرجل البسيط الذى لم يتعلم العلم الشرعى ولكنه أخلص فى الدعوة إلى الله تعالى بحديثٍ واحدٍ تعلَّمه وذهب يدعو به الناس إلى الله تعالى[1].

(١) «صور من حياة الأنبياء والصحابة والتابعين» للمصنف(٢/ ٦١٢).

الحياة الطيبة

۞ يقول أحد أذكياء الإنكليز: بإمكانك وأنت فى السجن من وراء القضبان الحديدية، أن تنظُر إلى الأُفُق، وأن تُخرج زهرةً من جيبك فتشُمَّها وتبتسم، وأنت مكانك، وبإمكانك وأنت فى القصر على الديباج والحرير، أن تحتدَّ وأن تغضب وأن تثورَ ساخطًا من بيتك وأسرتك وأموالك.

إذًا السعادة ليستْ فى الزمان، ولا فى المكان، ولكنَّها فى الإيمان، وفى طاعة الدَّيَّان، وفى القلب. والقلب محلُّ نظرِ الرَّبِّ، فإذا استقرَّ اليقين فيه، انبعثت السعادة، فأضفَتْ على الروح وعلى النفس انشراحًا وارتياحًا، ثم فاضت على الآخرين، فصارت على الظِّراب وبطون الأودية ومنابت الشجر.

أحمد بن حنبل عاش سعيدًا، وكان ثوبه أبيض مرقَّعًا، يخيطه بيده، وعنده ثلاث غُرَفٍ من طين يسكنها، ولا يجد إلا كسر الخبز مع الزيت، وبقىَ حذاؤه - كما قال المترجمون عنه - سبع عشرة سنة يرقِّعها ويخيطها، ويأكل اللحم فى كل شهر مرَّةً، ويصوم غالبَ الأيام، يذرع الدنيا ذهابًا وإيابًا فى طَلَب الحديث، ومع ذلك وجدَ الراحة والهدوء والسكينة والاطمئنان؛ لأنه ثابت القَدَم، مرفوع الهامة، عارفٌ بمصيره، طالبٌ لثوابٍ، ساعٍ لأجرٍ، عاملٌ لآخِرةٍ، راغب فى جنَّةٍ.

وكان الخلفاء فى عهده - الذين حكموا الدنيا - المأمون، والواثق، والمعتصم، والمتوكل، عندهم القصور والدُّور والذهب والفضة والبنود والجنود، والأعلام والأوسمة والشارات والعقارات، ومعهم ما يشتهون، ومع ذلك عاشوا فى كَدَر، وقَضَوْا حياتهم فى همٍّ وغمٍّ، وفى قلاقلَ وحروبٍ وثوراتٍ وشغبٍ وضجيجٍ، وبعضهم كان يتأوَّه فى سكرات الموت نادمًا

على ما فرَّط، وعلى ما فعلَ فى جنبِ الله.

ابن تيمية شيخ الإسلام، لا أهل ولا دار ولا أسرة ولا مال ولا منصب، عنده غرفةٌ بجانب جامع بنى أمية يسكنها، وله رغيفٌ فى اليوم، وله ثوبان يغيِّر هذا بهذا، وينام أحيانًا فى المسجد، ولكن كما وَصَف نفسه: جنَّته فى صدره، وقَتْله شهادة، وسجْنه خلوةٌ، وإخراجهُ من بلده سياحةٌ؛ لأن شجرة الإيمان فى قلبه استقامتْ على سُوقها، تُوتى أُكُلَها كلَّ حين بإذن ربِّها، يمُدُّها زيت العناية الربانية، ﴿يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۚ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ﴾[1]، ﴿كَفَّرَ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَأَصۡلَحَ بَالَهُمۡ﴾[2]، ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ﴾[3] ﴿تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِهِمۡ نَضۡرَةَ ٱلنَّعِيمِ﴾[4].

خرج أبو ذرّ رضى الله عنه وأرضاه إلى الرَّبذة، فنصبَ خيمتَهُ هناك، وأتى بامرأته وبناته، فكان يصوم كثيرًا من الأيام، يذكُر مولاه، ويسبِّح خالقه، ويتعبَّد ويقرأ ويتلو ويتأمَّل، لا يملك من الدنيا إلا شَمْلةً أو خيمة، وقطعةً من الغنم، مع صحفةٍ وقصعةٍ وعصا، زاره أصحابُه ذات يوم، فقالوا: أين الدنيا؟ قال: فى بيتى ما أحتاجه من الدنيا، وقد أخبرنا ﷺ أن أمامنا عقبة كئودًا لا يجيزها إلا المُخفُّ.

كان منشرح الصدر، ومنثلج الخاطر، فعنده ما يحتاجه من الدنيا، أما ما زاد على حاجته، فأشغالٌ وتَبِعاتٌ وهمومٌ وغمومٌ.

---

(١) سورة النور: الآية: (٥٣).

(٢) سورة محمد: الآية: (٢).

(٣) سورة محمد: الآية: (١٧).

(٤) سورة المطففين: الآية: (٢٤).

هكذا تاب اللصوص توبة صادقة

۞ خرجت جماعة من اللصوص ذات ليلة تقطع الطريق على قافلة أتاهم خبرها، فلما جَدُّوا في السعى للقائها، وتوغل الليل ولم يعد لهم من جهد أو وسيلة لتبينها، فهى لا شك قد حطَّت رحالها حتى الصباح، حيث لم يستطع اللصوص تبيُّن مكانها، ووجدوا عن بُعْدٍ منزلًا مهدَّمًا به أثرة من نار، فذهبوا إليه وطرقوا الباب، وقالوا: نحن جماعة من الغُزاة المجاهدين فى سبيل الله، أظلم علينا الليل، ونريد أن نبيت فى ضيافتكم ... فأحسن الرجل استقبالهم، وأفرد لهم غرفته، وقام على خدمتهم، وقدم لهم أكل أهل بيته، وكان للرجل ولد مُقعَد قد شلَّه المرض عن الحركة.

وفى الصباح خرج اللصوص، وقام الرجل وأخذ الوعاء الذى كان فيه فضل مياههم وباقى اغتسالهم، وقال لزوجته: امسحى لولدنا بهذا الماء أعضاءه، فلعله يشفى ببركة هؤلاء الغُزاة المجاهدين فى سبيل الله، فهذا الماء باقى وضوئهم واغتسالهم.

وفعلت الأم ذلك.

وفى المساء رجع اللصوص إلى دار الرجل وقد غنموا وسرقوا وانتهبوا ليقضوا ليلتهم فى خُفية عن أعين قد تكون تترصدهم، ووجدوا الولد المُقعَد يمشى سويًا!، فقالوا لصاحب الدار وقد تعجبوا واندهشوا: أهذا الولد الذى رأيناه بالأمس وفى الصباح مُقعَدًا؟!

قال الرجل: نعم، فلقد أخذتُ فضل مائكم وبقية وضوئكم، ومسحته به، فشفاه الله ببركتكم..، ألستم غُزاة مجاهدين من أهل الله؟!!

فأخذوا فى البكاء والنشيج وقالوا له: أيها الرجل اعلم أننا لسنا غزاة، وإنما نحن لصوص قُطَّاع طريق غير أن الله قد عافى ولدك بحُسن نيتك، ولقد تُبنا إلى الله توبة نصوحًا.

وخرجوا يوزعون المال على الفقراء والمحتاجين، وتحللوا من الذنب، وتحرروا من الكذب، وتقدموا إلى جيش المسلمين يلتحقون به، ليكونوا فعلًا - كما كذبوا أولًا - غزاة مجاهدين فى سبيل الله.

هكذا أسلمت العائلة كلها

❁ هكذا أسلمت عائلة معروف بن فيروز (معروف الكرخى) رَحِمَهُ اللَّهُ:

قال عبد الله بن صالح: كان معروف قد بادأه الله ﷻ بالاجتباءِ فى حال الصِّبا، يُذكرُ أن أخاه عيسى قال: كنتُ أنا، وأخى معروف فى الكُتَّاب، وكنا نصارى، وكان المعلّم يعلم الصبيان آبٌ وابن، فيصيح أخى معروف: أَحدٌ أَحدٌ. فيضربه المعلّم على ذلك ضربًا شديدًا. حتى ضربه يومًا ضرْبًا عظيمًا، فهرب على وجهه.

فكانت أمى تبكى وتقول: لئن رَدّ الله علىَّ ابنى معروفًا، لأتبعنّه على أى دينٍ كان.

فقدم عليها معروف بعد سنين كثيرة، فقالت له: يا بنى على أىّ دين أنت؟ قال: على دين الإسلام. قالت: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ... فأسلمتْ أمى، وأسلمنا كلّنا[1].

---

(١) صفة الصفوة (٢/ ٣١٨-٣١٩).

أسلم بسبب حُسن الجوار

۞ حُكى عن مالك بن دينار أنه استأجر دارًا من يهودى فحوَّل اليهودى مُستحمه فى الدار التى كان فيها إلى مكان كان على البيت الذى فيه مالك وإذا الجدار مُهدَّم تدخل النجاسة منه إلى بيت مالك فى محرابه يقصد بذلك أذاه... ومالك ينظف البيت كل ليلة ويكنسه ولم يقل شيئًا حتى أتى على ذلك مدة فعرف صبره فدخل عليه فقال: ما الذى صبَّرك على مقاساة هذه المشقة دون أن تخبرنى بذلك؟!.. فقال: قول نبينا ﷺ: «**ما زال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه**»[1] قال فأسلم اليهودى وحَسُن إسلامه.

يبتسم بعد موته!!

۞ عن عبد الله بن العجلى قال: حدثنى أبى قال: إن رِبعى بن حراش لم يكذب كذبة قط، وكان له ابنان عاصيان على الحجَّاج، فقيل للحجاج: إن أباهما لم يكذب كذبة قط، لو أرسلت إليه فسألته عنهما ... قال: أين ابناك؟ قال: هما فى البيت. قال: قد عفونا عنهما بصدقك.

۞ عن الحارث الغنوى قال: آلى رِبعى بن حِراش أن لا يضحك حتى يعلم فى الجنة هو أو فى النار؟

قال الحارث الغنوى: فلقد أخبرنى غاسله: أنه لم يزل متبسمًا على سريره، ونحن نُغسله حتى فرغنا من غسله[2].

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٥٥٧٧)، ومسلم (٥٦٦٩).

(٢) صفة الصفوة (٣/ ٢١-٢٢).

مات ساجداً لله (جل وعلا)

۞ يقول وهب بن منبه رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

كان ملك من ملوك الأرض أراد أن يركب إلى أرضٍ، فدعا بثياب يلبسها، فجيء بثياب فلم تُعجبه، فقال: ائتونى بثياب كذا وكذا حتى عَدَّ أصنافًا من الثياب. كل ذلك لا تعجبه حتى جيء بثياب وافقته، فلبسها، ثم قال: جيئونى بدابة كذا، فجيء بها فلم تعجبه، ثم قال: جيئونى بدابة كذا فلم تعجبه حتى جيء بدابة فوافقته فركبها.

فلما ركبها جاء إبليس فنفخ فى منخره نفخة فعلاه كِبرًا.

قال: وسار وسارت الخيول معه، فهو رافعٌ رأسه لا ينظر إلى الناس كِبرًا وتعظُّمًا، فجاءه رجلٌ ضعيفٌ رث الهيئة، فسلَّم عليه فلم يرد عليه السلام، ولم ينظر إليه، فقال له: إنه لى إليك حاجة، فلم يسمع كلامه.

قال: فجاء حتى أخذ بلجام دابته، فقال: أرسِل لجام دابتى فقد تعاطيت منى أمرًا لم يتعاطه منى أحد.

قال: إن لى إليك حاجة، قال: انزل فتلقانى، قال: لا الآن.

قال: فقهره على لجام دابته، فلما رأى أنه قد قهره قال: حاجتك؟ قال: إنها سرٌّ أريد أن أُسرها إليك.

قال: فأدنى رأسه إليه فسارَّه، وقال: أنا ملك الموت.

قال: فانقطع، وتغير لونه، واضطرب لسانه، ثم قال: دعنى حتى أرجع إلى أهلى وأقضى حاجتى وأودعهم؟

قال: لا والله لا ترى أهلك أبدًا.

قال: فقبض روحه فى مكانه فخرَّ كأنه خشبة.

قال وهب بن منبه: وبلغنى أيضًا أنه لقى عبدًا مؤمنًا فى تلك الحال، فسلَّم عليه فردَّ عليه السلام، فقال: إن لى إليك حاجة؟

قال: هَلُمَّ فاذكر حاجتك.

قال: إنها سرٌّ فيما بينى وبينك.

قال: فأدنى إليه رأسه ليُساره بحاجته، فسارَّه فقال: أنا ملك الموت.

قال: مرحبًا وأهلًا، مرحبًا بمن طالت غيبته علىَّ، فو الله ما كان فى الأرض غائب أحب إلىَّ أن ألقاه منك.

قال: فقال له ملك الموت: اقضِ حاجتك التى خرجت لها.

قال: ما لى حاجة أكبر عندى، ولا أحب من لقاء الله.

قال: فاختر على أى شىءٍ أقبض روحك.

قال: وتقدر على ذلك؟

قال: نعم ... أُمرت بذلك.

قال: نعم إذًا، فقام وتوضأ، ثم ركع وسجد، فلما رآه ساجدًا قبض روحه[1].

(١) انظر الحلية (٦/ ٢٠٢).

لا هروب من الموت

۞ ذكرت جريدة «القصيم» - وهي جريدة قديمة كانت تصدر في البلاد - ذكرت أن شابًّا في دمشق حجز ليسافر، وأخبر والدته أن موعد إقلاع الطائرة في الساعة كذا وكذا، وعليها أن توقظه إذا دنا الوقت، ونام هذا الشاب، وسمعت أمه الأحوال الجوية في أجهزة الإعلام، وأن الرياح هوجاء، وأن الجو غائم، وأن هناك عواصف رملية، فأشفقت على وحيدها وبخلت بابنها، فما أيقظته أملًا منها أن تفوته الرحلة؛ لأن الجو لا يساعد على السفر، وخافت من الوضع الطارئ، فلما تأكدت من أن الرحلة قد فاتت، وقد أقلعت الطائرة بركابها، أتت إلى ابنها توقظه فوجدته ميتًا في فراشه.

﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[1]....

۞ وذكر الشيخ على الطنطاوى في سماعاته ومشاهداته: أنه كان بأرض الشام رجل له سيارة لورى، فركب معه رجل في ظهر السيارة، وكان في ظهر السيارة نعش مُهيأ للأموات، وعلى هذا النعش شراع لوقت الحاجة، فأمطرت السماء وسال الماء فقام هذا الراكب فدخل في النعش وتغطَّى بالشراع، وركب آخر فصعد في ظهر الشاحنة بجانب النعش، ولا يعلم أن في النعش أحدًا، واستمر نزول الغيث، وهذا الرجل الراكب الثانى يظن أنه وحده في ظهر السيارة، وفجأة يُخرج هذا الرجل يده من النعش؛ ليرى: هل

(١) سورة الجمعة: الآية: (٨).

كَفَّ الغيث أم لا؟ ولما أخرج يده أخذ يلوح بها، فأخذ هذا الراكب الثانى الهلع والجزع والخوف، وظن أن هذا الميت قد عاد حيًّا، فنسى نفسه وسقط من السيارة، فوقع على أم رأسه فمات.

أينما تكونوا يدرككم الموت

۞ عن شهر بن حوشب قال: دخل ملك الموت على سليمان فجعل ينظر إلى رجل من جُلسائه يديم النظر إليه فلما خرج قال الرجل: مَن هذا، قال: هذا ملك الموت عليه السلام، قال: لقد رأيته ينظر إِلَيَّ كأنه يريدنى، قال: فما تريد، قال: أريد أن تحملنى الريح فتُلقينى بالهند، قال: فدعا بالريح فحملته عليها فألقته بالهند ... ثم أتى ملك الموت إلى سليمان عليه السلام، فقال: إنك كنت تديم النظر إلى رجل من جلسائى، قال: كنت أعجب منه إنى أُمرت أن أقبض روحه بالهند وهو عندك.

ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور

۞ ها هو رجل مؤذن فى أحد المساجد - وفى دولة من دول الخليج- كان معروفًا بحرصه على تغسيل الموتى لينال الأجر والثواب على ذلك.

يقول: وفى ليلة من الليالى فى الساعة الثانية بعد منتصف الليل وإذا بباب منزلى يُطرق طرقًا شديدًا فقمت وفتحت الباب وإذا ببعض الجيران يخبرونى بوقوع حادث مُروِّع لثلاثة من الشباب الملتزم فقد انقلبت بهم السيارة وماتوا جميعًا وهم يريدون أن يُغسلوهم ليصلوا عليهم صلاة الجنازة بعد صلاة الفجر مباشرة.

يقول المؤذن: فذهبت معهم وتم الاتفاق على تغسيلهم فى مغسلة قريبة من المقابر.

يقول: فلما أردنا أن نبدأ الغُسل وجدنا أن المغسلة ليس فيها إضاءة فاقترح أحدهم أن نقترب بإحدى السيارات ونغسل على ضوء السيارة وهذا الذى حدث.

يقول المؤذن: وما إن بدأت فى غسل الشاب الأول وإذا به يرفع أصبع السبابة بإشارة التوحيد فحاولت أن أُعيد أصبعه فلم أستطع فنظرت فى وجهه فوجدته كأنه فلقة قمر... ونفس الشيء حدث مع الشاب الثانى... وما إن شرعت فى غسل الثالث وإذا بالمفاجأة التى لا تخطر على قلب بشر... فلقد خرج من وجهه نور عجيب حتى أشار علىَّ أحد الحاضرين بأن نُطفئ نور السيارة وأن نغسله على هذا النور الذى يصدر من وجهه ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾[1] فعلمنا أن هؤلاء الشباب قد ماتوا على

(١) سورة النور: الآية: (٤٠).

حسن الخاتمة ولكن أفضلهم كان هذا الشاب الصالح الذى كان النور يشع من وجهه.

فلنحرص على طاعة الله (جل وعلا) ولنغتنم كل لحظة فى طاعته ليختم لنا بخاتمة أهل السعادة ولنكون من أهل الأنوار الذين قال الله عنهم ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١) وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ (٢).

---

(١) سورة التحريم: الآية: (٨).

(٢) سورة الحديد: الآية: (٢١).



كان بارًّا بأمه ... فرأى الجنة في منامه سبعين مرة

۞ كان أبو يزيد البسطامى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من أبرِّ الناس بأمه ومن أكثرهم بها رحمة وحنانًا، وقد طال عمرها وكبر سنها ووهن عظمها وجلدها، ولكن بر ابنها وإشفاقه على كبرها أنساها مرارة ذلك وقسوته.

قال البسطامى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: تَقَدَّم بأمى العمر وتمكَّن منها الضعف، وأثقلت كاهلها الشيخوخة فكنت أخدمها بنفسى، وذات ليلة من الليالى دعتنى لأنام معها وكنت أريد قيام الليل وِردًا ألزمت به نفسى، ولكننى أجبتها إلى رغبتها وآثرت طاعتها ورضاءها إلىَّ وضممتها إلى صدرى وجعلت إحدى يدى تحت رأسها واليد الأخرى أمررها على ظهرها، وكنت أثناء ذلك أقرأ سورة الإخلاص حتى تخدَّعت يدى التى تحت رأسها وأصابها الخدل وتوقف الدم فى عروقها عن الجريان، فلم أتألم لذلك وقلت فى نفسى إن اليد لى وحق الوالدة لله، فصبرت على ما أصابنى ولم أزل كذلك حتى طلع الفجر وقد قرأت سورة الإخلاص عشرة آلاف مرة، فلما طلع النهار جعلت أحرك يدى فلم أستطع وقد ظلت يدى مريضة زمنًا طويلًا، وقد خفف علىَّ مرضها وجمودها دعاء أمى لى، فقد رفعتْ يديها إلى السماء عند طلوع الفجر وقالت «اللهم إنى قد رضيت عن أبى يزيد فارضَ عنه» وأكبر ظنى أن الله قد استجاب دعاءها وحقق رجاءها ... فقد رأيت الجنة فى نومى زهاء سبعين مرة، وأنا أنتظر من الله المزيد.

درسٌ جليلٌ من الوالد لولده

۞ ومن طريف ما يحفظه السلف الصالح أن ولدًا بارًّا بأبيه كان صالحًا وكان يبذل جهده لينال رضا الله ويكتسب محبة والده، وفى يوم من الأيام أعجبه بِرُّه بوالده واغترَّ بكثرة إحسانه إليه وجميل فضله عليه، فقال لأبيه يا أبتِ: إنى أريد أن أصنع بك من البر والخير أضعاف ما فعلته بى فى صغرى من الجميل والإحسان، والله لا تطلب شيئًا مهما كان عسيرًا إلا يسَّرته لك أو بعيدًا إلا قربته منك،... وكان الوالد حكيمًا مُجربًا فلم يشأ أن يصدمه فى مشاعره، أو يجرح إحساسه ووجدانه. فقال له يا بنى لست أشتهى شيئًا فى الحياة إلا رطلًا من التفاح فأسرع الابن فأحضر له أرطالًا ووضعها بين يديه وقال له خذ منها حاجتك أو خذها كلها فإذا فرغت من تناولها أحضرت لك أضعاف أضعافه، فقال الأب العجوز إن فى هذا القدر من التفاح كفاية ولكن لا أريد أن آكله هنا ولا تطيب نفسى إلا بتناوله فوق قمة هذا الجبل، فاحملنى إليه يا بنى إن كنت بارًّا بى، فهشَّ الابن لمطلبه وقال لك هذا يا أبى، ثم وضع التفاح فى حجره وحمله على كتفه وصعد به أعلى الجبل وأجلسه فى مكان هادئ مريح ووضع التفاح بين يديه وقال له خذ منه حاجتك فإن نفسى طيبة بذلك فجعل الوالد يأخذ التفاح من طبقه لا ليأكله ولكن ليرمى به فى أدنى الجبل فإذا فرغ منه أمر ولده أن ينزل فيجمعه له ويُعيده إليه فى أعلى الجبل حيث هو جالس مستريح، وتكرر ذلك ثلاث مرات وكلما قذف به الأب يعيده الابن وفى المرة الرابعة نفد صبر الولد وضاق صدره وكاد يفتك بأبيه لولا أن فطن أبوه إلى منظر الغضب فى وجهه فروَّح عن نفسه وربَتَ على كتفه وقَال له: لا تغضب يا بُنى ففى نفس هذا

المكان ومن فوق هذا الجبل كنت ترمى بكُرتك فأنزل مسرعًا لأعيدها إليك، ما أخذنى الملل ولا أجهدنى التعب حرصًا على إرضائك وأنت صغير.

قصة كلاب...... وبرِّه بأبيه

۞ وهاهى قصة أبى كلاب مع سيدنا عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ... فقد روى ابن الأثير فى كتابه أن رجلًا من أصحاب رسول الله ﷺ قدم على سيدنا عمر وكان شيخًا عجوزًا، فرحَّب به عمر وأجلسه قريبًا منه وسأله عن شأنه، فشكا له فقره وسوء حاله بعد غياب ابنه كلاب، فقال له سيدنا عمر وأين ذهب ابنك؟ قال خرج مجاهدًا فى سبيل الله تحت راية سعد بن أبى وقاص وقد بكيت عليه حتى ذهب بصرى وكَلَّ جسدى وضعفت قواى، فلما سمع منه عمر قصته رَقَّ لحاله وبكى توجُّعًا له ثم كتب من فوره إلى أمير الجند أن يبعث إليه بكلاب هذا فأرسله سيدنا سعد إلى المدينة، فلما دخل على عمر قال له أأنت كلاب؟ قال نعم يا أمير المؤمنين فهل من حاجة؟ قال له بلغنى أنك كنت بارًّا بوالدك فما بلغ من بِرِّك به، فقال كلاب: يا أمير المؤمنين إنى كنت أكفيه كل أمره فقال عمر يا كلاب وما أَحبّ شىء كنت تلقاه به؟ قال كنت أعمد إلى أسمن ما فى الإبل فأغسل أخلافها ثم أسقيها وأريحها وأتركها حتى يبرد اللبن فى ضرعها ثم أحضر إناءً نظيفًا فأحلب له وأسقيه حتى يكرع، فلا يرفع عن فمه الإناء حتى يتجشأ شِبعًا، فتعجب سيدنا عمر من قوله ودهش من بره بأبيه، وقال لكلاب كن هنا فى صمت حتى أرسل إليه ليحضر هنا وافعل به ما كنت تفعل معه قبل خروجك إلى الجهاد، فإنى أحب أن أرى برك بأبيك وأشهد بعينى رأسى.. ثم أرسل سيدنا عمر إلى أبى كلاب فجاء إليه وقد ضعف بصره وانحنى ظهره وارتعشت يداه، فقام إليه عمر ورحَّب به وأجلسه إلى جواره ثم سكت عنه قليلًا والتفت إليه وقال: كيف أنت يا أبا كلاب؟ قال يا أمير

المؤمنين كما ترى ضعفًا على ضعفٍ ووهنًا على وهنٍ وشوقًا مبرحًا إلى رؤية كلاب، فقال له عمر هل لك حاجة تشتهيها؟ قال نعم يا أمير المؤمنين أن أرى كلابًا قبل أن أموت وأضمه ضمة حانية، وأُقبله قُبلة حارة أُطفئ بها ظمئى، وأسكن بها لوعتى فتأثر عمر بقوله واهتز لمنظره وقال له يا أبا كلاب ستبلغ ما تحب إن شاء الله، ثم أشار إلى كلاب أن يحضر له اللبن الذى كان يعده له، وأن يصنع به مثلما كان يصنع ففعل كلاب وأحضر له اللبن بالطريقة التى كان يحضرها، ثم أعطاه إلى عمر فأسلمه عمر بدوره إلى الشيخ وقال اشرب لبنًا يا أبا كلاب، فأقبل على الإناء يَعبُّ منه عَبًّا حتى إذا شبع رفع فمه عنه وقال: يا أمير المؤمنين إنى أحس شيئًا عجيبًا.

فقال سيدنا عمر: وما ذاك يا شيخ؟ قال أرى صنيع ولدى كلاب وريح يديه فى هذا الإناء ولقد برح بى الشوق يا أمير المؤمنين! ثم هطلت عيناه بوابل من الدمع الغزير، وعند ذلك رَقَّ له عمر وقال: يا شيخ. هذا كلاب أمامك فاحتضنه، فجعل يضمه إلى صدره ضمًّا ويوسع خده لثمًا ويلتزمه عناقًا، وكأنما هو أمل تجسَّد وحلم تحقق، حتى إذا اشتفى صدره وسكن وجده وهدأت لوعته وجفَّت دموعه قال له سيدنا عمر يا كلاب الزم خدمة أبيك ورزقك جارٍ عليك كما لو كنت تجاهد فى سبيل الله، فشكره أبو كلاب ودعا له بخير فقال له سيدنا عمر أكنت تناجيه يا أبا كلاب قبل أن يجىء إليك؟ قال نعم يا أمير المؤمنين، لطالما ناجيته فى خلوتى ووحدتى، فقال له فماذا كنت تقول؟ قال كنت أقول إذا أضرَّ بى الوجد وهام بى الشوق هذه الأبيات، وأنشد:

لمن شيخان قد نشدا كلابا ... كتاب الله لو قبل الكتابا

أناديـــه فيعــــرض فى إبـــاءٍ فــلا وأبــى كــلاب مــا أصــابا

تركــت أبــاك مرعــشة يــداه وأمــك مــا تــسيغ أبــدًا شــرابا

فإنــك وابتغــاء الأجــر بعــدى كبــاغى المــاء يتبعــه الــسرابا

فلم يفرغ من قوله حتى أبكى عمر وأبكى جميع الحاضرين ثم انصرف والجميع يُتبعونه أنظارهم وكان حديث المدينة حينًا من الزمن عن كلاب وأبى كلاب.

اللهم أرني رفيقى فى الجنة

۞ قالوا إن سيدنا موسى عليه السلام سأل ربه يومًا فقال: اللهم أرنى رفيقى فى الجنة، فأوحى الله إليه يا موسى إن شئت أن تراه فاذهب إليه فإنه فى مدينة أنطاكيه... فذهب سيدنا موسى إلى هذه الأرض، فلما نزل بها ساقه القدر إلى حانوت عطار فعرض عليه نفسه وسلَّم عليه فأدرك أنه غريب، فرحَّب به وقال له: يا سيدى أرى فى وجهك نور الصالحين ووقار المتقين فهل لك أن تنزل فى ضيافتى؟ فقال سيدنا موسى لا أَحب إلىَّ من ذلك يا سيدى.

فلما كان وقت الغداء أغلق العطار حانوته وأخذه معه إلى منزله، قال موسى: فلما دخلنا البيت رأيت شيخًا كبيرًا قد كُفَّ بصره وثَقُل سمعه وخَفَتَ صوته، فلم نكد نصل إلى مجلسه حتى رفع وجهه إلينا كأنما أحسَّ بمقدمنا عليه، فاقترب منه العطار فغسل عنه عرقه وأزال قذره ثم غسل له أطرافه وأعضاءه، وأحضر طعامًا شهيًّا فأطعمه، ثم سقاه لبنًا صابحًا، فلما فرغ من إطعامه وسقيه غسل له يده وفمه فسمعت الشيخ وهو يسأل العطار. مَن الضيف الذى معك؟ فقال والله ما سألته عن نفسه يا أبى، فإن شئت فاسأله، فسألنى فقلت له إنى موسى بن عمران، فقال موسى بن عمران نَجِى الله وكليمه؟ فقلت له: نعم. فقال الشيخ: الحمد لله فقد تمت النعمة وكملت المنة وإنى سأموت بعد قليل فقال له ابنه: من أين لك ذلك؟ فقال إنى سألت الله فى كل صلواتى وخلواتى ألا يقبضنى إليه حتى أنظر إليك وأجلس معك فاستجاب الله لى، ولم تمضِ أيام حتى مات، فلما فرغوا من تجهيزه قال سيدنا موسى للعطار: لا شك أنك كنت بارًّا بأبيك قال: نعم كنت بارًّا به أحسن البر، وكنت لا آكل حتى أُطعمه ولا أنام حتى ينام، فقال

له سيدنا موسى: أبشِر فأنت رفيقى فى الجنة، فقال: إنى أعلم ذلك. فقال: وكيف علمت؟ قال إنى كنت كلما أطعمت أبى لقمة أو سقيته شربة أو قدمت إليه إحسانًا رأيته يحرك شفتيه ويُهمهم بكلمات، فتبينتها لأقف فإذا هو يقول: اللهم إنى أسألك بلطفك ورحمتك أن تجعل ابنى هذا رفيق أنبيائك فى الجنة، وأيقنت أن الله قد استجاب دعاءه لى.

يحفظه الله بدعوة أمه

۞ دخلت سيارة ذلك الشاب تحت شاحنة كبيرة واشتعلت فيها النار، فاجتمع الناس وحاولوا إخراجها، والكلُّ ينظر ما مصير السائق؟ وماذا حدث له فلما أخرجوا السيارة إذا بالسائق لم يُصَب بأى أذى غير تناثر بعض الزجاج عليه، عندها تعجب الجميع وارتفعت الأصوات بالتكبير والتهليل، فسأل أحدهم الرجل: هل تعرف عملًا أنجاك الله - تعالى - به؟ فقال: إنِّى أعمل فى جدة وعندما استلمت الراتب ذهبتُ لوالدتى فى رابغ، وأعطيتها ما كُتب لى فاستبشرت ودعت الله - تعالى - أن يحفظنى ويبارك لى.

هكذا يكون البر.... وهكذا يكون الرضا

۞ لما مات ذر بن عمر الهمدانى كان أبوه غائبًا فلما علم بموته أسرع إليه فوجده ميتًا وقد حيل بينه وبينه، ووجد كل أهله يبكون عليه فأمرهم بالصبر والثبات وقال لهم: يا قوم لا تبكوا، ولا تجزعوا فو الله ما ظُلمنا ولا قُهرنا ولا أُريد غيرنا، ووالله ما ذُهب لنا بحق، ولا نُقص من عمره يوم ولا أصابنا فيه ما أخطأ غيرنا فى مثله فسكت الناس حتى تم تجهيزه، وحملوه إلى قبره فلما فرغوا من دفنه، تملَّكه الحزن وسيطر عليه الجزع فقام على قبره يبكيه ويرثيه فقال والناس يسمعون:

يرحمك الله يا بُنى وجعل أجرى فيك لك، ووالله ما بكيت عليك، وإنما بكيت لك، ولقد كنت بى بارًّا ولى نافعًا، وكنت لك مُحبًّا، وعليك حدبًا، وما بى إليك من وحشة، ولا لأحدٍ غير الله حاجة ووالله ما ذهبت لنا بعزٍّ، ولا أبقيت علينا من ذُلٍّ، ولقد شغلنى الحزن لك عن الحزن عليك ولولا هول المطلع يا بنى لتمنيت ما صرت إليه. فليت شعرى ماذا قلت وماذا قيل لك. ثم رفع وجهه إلى السماء، وبسط يديه فى الفضاء وقال والعَبرات تخنقه والحزن يقطع عليه كلامه، ويحول دون سماع صوته:

اللهم إنك وعدت الصابرين على المصيبة ثوابك ورحمتك، وإنى قد وهبت ما جعلته لى من الأجر والثواب إلى ذر صلة منى له، فلا تحرمه ذلك وتجاوز بفضلك عنه، فإنك رحيم بى وبه، اللهم إنى قد وهبت لك إساءته لى فهبنى إساءته لك، فإنك أجود منى وأكرم. اللهم إنك قد جعلت لك عليه حقًّا وجعلت لى عليه حقًّا قرنته بحقك بين آيات كتابك فقلت تخاطبه

﴿أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [(١)] اللهم إنى قد غفرت له ما قصَّر فيه من حقى فاغفر له ما قصر فيه من حقك فإنك أولى بالجود منى، وأسرع بالكرم إلى عبادك الصالحين ثم انعقد لسانه عن الكلام فولّى وجهه عن قبره وقال: لقد انصرفنا وتركناك ولو أقمنا ما نفعناك.

ولما سُئل عمر الهمدانى عن بر ابنه به قال للسائل: والله ما مشيت نهارًا إلا وكان ورائى، ولا مشيت ليلًا إلا كان بين يدى، ولا صعد سقفًا كنت أجلس تحته ولا جلس يومًا قبل أن أجلس، ولا عارضنى فى خطأ ولا صواب.

رفع الله قدره بدعاء أبيه

ذُكر أن رجلًا فى ضيق عيش وشدة، وكان يسعى للكسب ليساعد أباه فإذا جاء بأجرة يومه وضعها على المنضدة استحياء أن يمدها بيده لأبيه وكلما وضعها دعا له الوالد قائلًا: اللهم ارزق ابنى القرآن واجعله من أهله. فبلغ الابن عشرين عامًا وهو يسعى لتحصيل الرزق، وفى يوم من الأيام كان راجعًا من عمله، فالتقى بعالم كان عمدة بلده فى الفتوى، فقال العالم للرجل: ما الذى أنت فيه؟ قال الرجل: أسعى برزقى. فقال العالم: هل لك أن تجعل لى يومًا من أسبوعك؟ فقال الرجل: نعم ونعمت عينى بذلك. فما زال يتردد على العالم حتى أصبح طالب علم وترقّى شيئًا فشيئًا حتى جاء اليوم الذى يناقش فيه رسالة الدكتوراة فى تفسير القرآن الكريم فلما دُعى للمناقشة وجلس، إذا بشيخه وأستاذه يقوم مهابة له واحترامًا، ثم قال

(١) سورة لقمان: الآية: (١٤).

له: تفضل يا شيخ وقام أمام الجميع يقول: هالنى ما رأيت فيه من العلم والمعرفة بكتاب الله تعالى فعظمته وأجللته، فأخذ الرجل يبكى فقال الشيخ: تبكى ونحن نريد أن نُجلَّك؟ قال: تذكرت دعوة أبى - رَحِمَهُ اللَّهُ - (اللهم ارزق ابنى القرآن واجعله من أهله)،... وحمد الله - تعالى - أن بلَّغه هذه المنزلة العظيمة من العلم ومن تفسير كلام الله تعالى ويالها من نعمة[1].

(١) بتصرف من شريط (رحمة الضعفاء) للشيخ محمد الشنقيطى.

ثلاث دعوات مُستجابات

۞ قال ﷺ: «ثلاث دعواتٍ مُستجاباتٍ لا شكَّ فيهن: دعوة المظلوم ودعوة المسافر ودعوة الوالد على ولده»[١].

فيا من تعق والديك احذر من دعائهما عليك.

۞ ومما يدل على أنّ للعقوق أثرًا سيئًا وضررًا كبيرًا ما رواه على بن أبى طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: كنت أطوف بالكعبة المشرفة فسمعت رجلًا يردد هذه الأبيات ويقول:

يا من يجيب دعاء المضطر فى الظُّلَمِ ... يا كاشف الضُّر والبلوى مع السَّقمِ

قد نام وفدك حول البيت وانتبهوا ... وأنت يا حى يا قيوم لم تنمِ

هَبْ لى بجودك ما أخطأت من حرمٍ ... يا من يجود على العاصين بالنعمِ

إن كان عفوك لا يرجوه ذو سفهٍ ... فمن يجود على العاصين بالكرمِ

قال علىٌّ: فأحزننى قوله وآلمنى بكاؤه، فقلت يا حُسين أما تسمع النادب بذنبه والمعاتب ربه، امضِ إليه فعساك تدركه فأتنى به، فأسرع الحسين فى خُطاه حتى أدركه فقال له: أجب أمير المؤمنين، فلما جلس بين يديه إذا هو رجل جميل الوجه نقى البدن نظيف الثياب طيب الريح. إلا أنه شُلّ جنبه الأيمن وكان لا يمشى إلا ثقيلًا متباطئًا وكأنما يجر جنبه جرًّا.

قال علىٌّ: فأقبلت عليه بوجهى وجعلت أُلاطفه وقلت له: من أنت يرحمك الله وما شأنك؟ قال شأنى شأن من أُخذ بالعقوبة ومن عَقَّ أهله، قلت له وما اسمك؟ قال: منازل بن عدى، فقلت له ما هى قصتك يا أخى؟

---

(١) رواه أحمد وأبو داود والترمذى وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٠٣١).

قال: كنت مشهورًا فى العرب باللهو واللعب والفسق والمجون، كنت أركض فى صبوتى ولا أفيق من غفلتى، إن تُبت اليوم من ذنوبى عاودتها غدًا، كنت أُديم العصيان حتى فى شعبان ورمضان، وكان لى والد ليّن الجانب رقيق القلب كثير الشفقة علىَّ والرحمة بى، وكان يَحضرنى كثير من الجُهَّال ويحيط بى جَمْعٌ من الفسقة المفسدين، وكان والدى يحذرنى نهاية الغرور وعاقبة المعصية، ويقول يا بُنى إن لله عذابًا شديدًا ونقمة مهلكة وهو يراقبك فى ليلك ونهارك وسرك وعلانيتك فلا تتعرض لغضبه وسخطه، يا بنى كم ضَجَّ منك الظلام وصاحت منك الملائكة الكرام والشهر الحرام والليالى والأيام ... فكنت أعصيه وأسخر بنُصحه فكان يُلحّ علىَّ ويبالغ فى الرجاء، فلما رأيت منه ذلك قمت إليه فضربته ضربًا موجعًا وكنت له بالمرصاد كلما ألحف علىَّ فى نُصحه بالغت فى ضربه وإهانته، فلا سَئم هو من نُصحه لى ولا رجعت عن إهانتى له، فلما يئس من بِرِّى له وطاعتى لأمره قال: والله لأصومن ولا أفطر ولأقومن الليل ولا أنام ولأدعونَّ عليك ربى، وقد صدق وعده فواصل صيامه بقيامه وظل هكذا حتى جاءت أيام الحج فتوجه إلى بيت الله الحرام وقال وهو متوجه إليه. والله لأفِدَنَّ إلى بيت الله ولأستعيذن عليك الله، فَقَدِم إلى مكة يوم عرفة يوم الحج الأكبر، فطاف وسعى وقضى من المناسك ما كُتب له، فلما كان الليل وهجع الناس فى مضاجعهم تعلق بأستار الكعبة وجعل يجأر بالبكاء ويقول:

يا من إليه أتى الحجاج من بُعدٍ — يرجونُ لطف عزيزٍ واحدٍ صمدِ

هذى منازل ما قد خاب قاصدها — فخذ بحقى يا رحمن من ولدى

وشُلَّ منه بجودٍ منك جانبه يا من تقدَّس لم يولد ولم يلدِ

فو الذى رفع السماء وأنبع الماء ما أتم دعاءه حتى شُلَّ جانبى الأيمن وظللت كالخشبة المُلقاة بأرجاء الحرم، وكان الناس يغدون علىَّ ويروحون دَهشين متعجبين ويشيرون إلىَّ قائلين: هذا الذى أجاب الله فيه دعاء أبيه ...

قال الإمام علىّ رضي الله عنه: وهل كنت مع أبيك يومئذ داخل الحرم حينما كان يدعو الله عليك؟ قال: نعم خرجت خلفه أترضَّاه وأرجوه فلم أُدركه ولم أَره إلا وهو متعلق بأستار الكعبة ... فقلت له: وماذا فعل أبوك بعد ذلك. قال: لقد رجوته وتوسلت إليه أن يدعو الله لى بالشفاء وما زلت به حتى أرضيته عنى وقد رَقَّ قلبه لى وأجاب رجائى ووعدنى أن يذهب معى إلى مكة فى العام القادم فلما جاء الموسم خرجت معه إلى مكة وحملته على ناقة وما زلنا نسعى حتى وصلنا إلى وادى الأراك، وبينما كنا نمر على شجرة إذ نفر طائر من وكره فذعرت الناقة فألقت بأبى من فوق ظهرها فدقَّت عُنقه.

قال علىٌّ: يا أخى إن أمرك لعجيب وإن خبرك لقريب، فما الذى صنعت بعد ذلك؟ قال منذ هذا اليوم وأنا أتحامل على نفسى وأحج بيت الله وأسأله أن يغفر لى ويقبل توبتى ويعافنى من هذا البلاء، فقال له علىٌّ رضي الله عنه: ألا أعلمك كلمات ما دعا بها مهموم أو مكروب إلا فرَّج الله عنه.

فقال: ما هى ... بارك الله فيك.

فقال له: قال رسول الله ﷺ: «**كلمات الفرج: لا إله إلا الله الحليم الكريم، لا إله إلا الله العلى العظيم، لا إله إلا الله رب السماوات السبع ورب العرش الكريم**»[١].

(١) صحيح: رواه ابن أبى الدنيا، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٤٥٧١).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يقول عند الكرب: «**لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرشِ العظيم، لا إله إلا الله رب السماوات ورب الأرض ورب العرش الكريم**»[(١)].

وعن أنس رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه كان إذا كَرَبه أمرٌ قال: «**يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث**»[(٢)].

وعن أبي بكرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**دعوات المكروب: اللهم رحمتك أرجو، فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين، وأصلح لي شأني كله، لا إله إلا أنت**»[(٣)].

فقال الحسين رضي الله عنه: فو الله لقد استجاب الله دعاءه وأزال عنه البلاء.. ورأيته سليمًا مُعافى كأن لم يكن به سوء.

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٦٣٤٦) كتاب الدعوات، ومسلم (٢٧٣٠) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) حسن: رواه الترمذي، وحسنه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٤٧٧٧).

(٣) حسن: رواه أبو داود، وأحمد، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٣٣٨٨).

اللهم لا تُذقه حرَّ جهنم ولا عذابَ السَّموم

۞ ومن أعجب ما جاء فى الوالدين وإكرامهما والتلطُّف معهما حتى فى أحرج أوقات الشدة ما رواه ابن عبد البر فى تاريخه.

قال رَحِمَهُ اللهُ: لما حبس الرشيد البرامكة وكان على رأسهم كبيرهم وأميرهم يحيى بن خالد البرمكى وكان شيخًا كبيرًا، وكان لا يتوضأ لضعفه وكبر سنه إلا بماءٍ ساخن، وكان معه فى السجن ولده (الفضل) ففكر فى حيلة ليصنع بها ماءً ساخنًا يناسب شيخوخة أبيه، فكان إذا أقبل الليل غافل السَّجَّان وأخذ قدحًا مليئًا بالماء وقام به عند السراج حتى يطلع الفجر وما زال الفضل هكذا حتى فطن له السجان، فمنعه من ذلك وحال بينه وبين السراج، ولكن الفضل لم ييأس من بر أبيه ولم تُعيه الحيلة، فكأن يملأ القدح كعادته ويضمه إلى جسمه حتى يطلع الصباح، فكان يحصل على شىء من الماء الدافئ فيقدمه لأبيه، وقد أدرك أبوه ذلك فكان إذا صلى بسط أَكُفَّه إلى الله وقال «اللهم لا تُذقه حر جهنم ولا عذاب السَّموم».

حَفظ القرآن بدعاء أمه

۞ قال سليمان بن أيوب: لقد مكثت أطلب العلم وأبتغى حفظ القرآن أكثر من عشر سنين ولم أُحسن قراءة الفاتحة، فعزَّ علىَّ ذلك وكاد شيخى ييأس منى فكنت أبكى فى خلوتى وأضرع إلى الله فى سجودى أن يفك عقدة لسانى ويُذهب عنى ظلمة قلبى. فلم يستجب الله لى، فشكوت ذلك لرجل من الصالحين فسألنى هل لك أم؟ فقلت له نعم. فقال لى: أَوَ بارٌّ بها أنت؟ فقلت: أَحسن البر يا سيدى وأتمه، فقال: اذهب إليها ومُرها أن تدعو لك بحفظ القرآن والفقه فى الدين فعُدت إليها مسرعًا وأخبرتها بما قال الرجل، فانتظرتْ حتى كان الليل وجاء وقت السَّحر فأحسنت وضوءها وتناولت من سحورها وعزمت على أن تصبح صائمة لله، ثم قامت تصلى وتدعو لى حتى طلع الفجر، فاستجاب الله لى وكأنما كان عقلى شمسًا تحجبها سحابة صيف، فهبَّت عليها ريحٌ عاصف فانقشعت عن وجهها السحابة، فكنت من أقوى الناس حفظًا وأسرعهم فهمًا وأحدّهم ذكاءً وفطنة، وما زلت أترقى فى مدارج القرآن والحديث وأَسبح فى بحور العلم والحكمة حتى أصبحت إمامًا لا يُشق لى غبار، وفارسًا مغوارًا لا تُطمس له آثار، فمن كانت له حاجة تعثَّر عليه قضاؤها فليسأل أبويه الدعاء... بعد أن يستعين بالله (جل وعلا).

ازرع خيرًا لتحصد مثله

۞ قال محمد بن إسحاق: ما أعدل القدر فى أخذه وانتقامه ... لقد رأيت بنفسى وشاهدت بعينى رجلًا من أهل البصرة، ربَّاه والده فى حنانٍ ورفق ونشَّأه تنشئة لينة ناعمة، فلما بلغ مبلغ الرجال زوَّجه بامرأة جميلة ورزقه الله منها أولادًا حِسانًا، فأقبل على زوجته وأولاده وفَتَنَهُ جمال المرأة ونضارة الأولاد عن إكرام أبيه والإحسان إليه، وكان كلما تقدمت به السن ازداد فى جسمه قوة وفى ماله كثرة ووفرة، أما والده فقد أرهقه الكِبَر وأعجزه الهرم وتملَّكه الضعف والمرض وأضنى جسمه المشيب، فلَزِم داره وتوقع أن يُحسن إليه ولده ويقوم بخدمته كما قد أحسن إليه أبوه من قبل، ولكن ابنه كان عاقًّا فجحد جميله إليه ونسى كثرة أياديه عليه، وجرَّأ بجحوده وعقوقه زوجته وأولاده على أبيه، يسيئون إليه ويسخرون منه ويضحكون من كل أفعاله، ويسومونه سوء العذاب، وحدث يومًا أن قدَّموا له طعامًا فى إناءٍ زجاجى مُذهَّب فتناوله الشيخ بيدٍ مرتعشة أضعف أعصابها الكبر حتى عجزت عن حمل الإناء، فسقط على الأرض فتهشم وتحطم، فلما رأت ذلك الزوجة غضبت عليه وثار الأولاد فى وجهه، فلما جاء ابنه حدثوه عن الطبق الفاخر وكيف أن الشيخ حطَّمه وهشَّمه، فاشتد غضبه على أبيه ونَهرَهُ فى عنفٍ وقسوة، ثم قال لأولاده أحضروا له طبقًا من النحاس ولا تقدموا له طعامًا إلا فيه، فاستحسنت زوجته رأيه وأُعجب الأولاد بفكرِه وبُعد نظره، وأسرعوا من وقتهم فاشتروا إناءً من النحاس السميك ليقدموا للشيخ طعامه فيه، ثم أقبل الأولاد على أبيهم وقالوا له. ما أحسن رأيك يا أبى وما أبعد نظرك وما أسرع حلَّك للمشاكل والمعضلات، إن هذا الإناء قوى

متين وسنطعم فيه جدنا ما دام حيًّا حتى إذا مات احتفظنا به ذخرًا باقيًا عندنا، فإذا تقدمت بك السن وعلاك المشيب وأصبحت عجوزًا مثل جدنا أطعمناك فيه حتى لا تكسر لنا الأطباق الغالية والآنية الثمينة، ففزع الأب من قولهم وتشاءم من حديثهم وأدرك أنهم يتكلمون بلسان القدر، وأن الله الذى أنطق كل شىء أنطق ألسنتهم بكل ما يقولون، فتخوَّف العاقبة وتهيَّب المصير وأحسن إلى والده وأعاد الطبق إلى صاحبه وقال لزوجته وأولاده، ليس لكم سبيل إلى هذا الشيخ فهو أبى وحدى وسوف أخدمه بنفسى، فهو صاحب كل هذه النعم ومصدر كل ما نتمتع به من مالٍ وعقال.

وهكذا يؤدب الله عباده ويحذرهم جزاءه ويلقى ثمار ما يزرعون من بذور، لأنه عليم حكيم ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾[1].

---

(١) سورة الكهف: الآية: (٤٩).

بر الوالدة من أقرب الأعمال إلى الله

۞ جاء رجل إلى ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عليه أثر الحزن، فقال: إنى خطبت امرأة فأبت أن تُنكحنى، وخطبها غيرى فأحبت أن تنكِحَه! فغرت عليها فقتلتها، فهل لى من توبة؟.

فقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: هل أُمّك حَيَّة؟ قال: لا.

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: تُب إلى الله عَزَّ وجَلَّ، وتقرب إليه ما استطعت.

فسُئل ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: لِمَ سألته عن حياة أُمه؟

فقال: إنى لا أعلم عملًا أقرب إلى الله عَزَّ وجَلَّ من برِّ الوالدة.

قال مكحول: برُّ الوالدين كفارةٌ للكبائر.

۞ كان الهذيل ابن حفصة بنت سيرين يجمع لأمه الحطب فى الصيف فيقشره ويأخذ القصب فيفلقه، فإذا جاء الشتاء جاء بالكَانون فينصبه خلف أمه ويوقد الحطب المقشر والقصب المفلق وقودًا لا يؤذى دخانه ويدفئها.

وتقول أمُّه: كان له ناقة يبعث لى بحلبة الغداة.

فأقول: يا بُنَيَّ إنك لتعلم أنى لا أشرب، إنى صائمة.

فيقول: يا أم الهذيل إن أطيب اللبن ما بات فى ضروع الإبل اسقيه مَنْ شئت.

۞ لمَّا ماتت أمُّ إياس بن معاوية بكى، فقيل: ما يبكيك؟!

قال: كان لى بابان مفتوحان إلى الجنة، وأُغلق أحدهما.

لا تنسَ زيارة والديك

۞ كانت أم عثمان بن سودة عابدة يقال لها: راهبة، فلما احتضرت رفعت رأسها إلى السماء فقالت: يا ذُخرى وذخيرتى عند الموت، لا توحشنى فى قبرى.

فلما ماتت مكث ابنها يزورها فى قبرها كل جمعة ويدعو لها، ويستغفر لها ولأهل القبور... فرأى أمه ذات ليلة فى منامها فقال: كيف أنت؟.

قالت: يا بُنىَّ إن للموت لكربة شديدة وأنا فى برزخٍ محمود.

فقال: ألك حاجة؟

قالت: نعم، لا تدع ما أنت عليه من زيارتنا والدعاء لنا، فإنى لأُبشر بمجيئك يوم الجمعة إذا أقبلت.

ينجو بدعاء أمه

۞ قال إبان بن صالح: خرجتُ يومًا من عند أنس بن مالك تتمشى، فلما كنت بسوق البصرة إذا أنا بأربعة من الرجال يحملون جنازة فقلت: واعجبًا أسواق البصرة عامرة بالناس، ولم يصحب هذه الجنازة غير أربعة من الرجال!!!! لأكونن خامسهم، فسرت معهم حتى أتوا إلى الجَبَّانة، فقلت لهم: يا قوم أيُّكم وليُّ هذا الميت فَلْيُصَلِّ عليه؟، فقالوا: كلنا فيه سواء فَتَقَدَّم أنت فَصَلِّ عليه، فصلَّيت عليه وواريناه التراب، فقلت لهم: بالله عليكم إلا ما صدقتمونى بخبر هذا الميت! فقالوا: ما منا مَن يعلم خبرًا غير أن هذه المرأة اكترتنا[1] لحمله فالتفتُّ إليها وإذا أنا بامرأة مقبلة، فجاءت حتى جلست عند القبر ساعة ثم قامت وهى تضحك!، فقلت لها: يا لله العجب! امرأة تضحك على قبر ميتها؟!!، ثم قلت لها: بالله عليك إلا ما أخبرتنى مما ضحكت؟ فقالت: يا هذا ما لك وما لا يعنيك ؟ قلت لها: أخبرينى فإنى إبان خادم أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ، فقالت: يا إبان لو لم تكن ذاك ما أخبرتك بحديثٍ أبدًا، اعلم أن هذا الميت ولدى، وكان مُسرفًا على نفسه، فلما كان البارحة اشتد الأمر به فنادى: يا أماه؛ فأجبته فقال: سألتك بالله إلا ما فعلتى بى ما آمرك به، فقلت له: قل ما بدا لك، فقال: إذا أنا مِتُّ فلا تُعلمى بى أحدًا من جيرانى وخذى خاتمى هذا وانقشى عليه: «لا إله إلا الله محمد رسول الله» واجعليه بين جلدى وكفنى، فإذا وُضِعْتُ فى قبرى فضعى يدك على ضفيرة شعرك وارفعيها إلى الله واضرعى إليه أن يغفر لى، وقولى: إلهى قد رضيت عنه فارْضَ عنه.

---

(١) استأجرتنا.

ثم قال: يا أُماه قومى ثم ضعى رجلك اليمنى على حَرِّ وجهى، وقولى: هذا جزاء مَن عصى الله ﷻ، فقمت - والله - يا إبان ووضعت رجلى هذه المشئومة على حَرِّ وجهه، وجعلت أنادى: هذا جزاء من عصى الله ﷻ، فما رفعته من على وجهه حتى مات..، فاكتريت هؤلاء الأربعة فغسلوه وكفَّنوه وحملوه إلى قبره وواروه، كما رأيت، فلما انصرفوا جعلتُ شَعرى فى يدى كما قال ورفعته إلى الله وقلت: يا أرحم الراحمين يا أكرم الأكرمين يا خير منزول به قد علمت منا السر والعلن، واطلعت على ما ظهر وبطن، وقد توسل ولدى العاصى المذنب الخاطئ إليك برضى والدته المسكينة الذليلة وقد رضيت عنه، فَارْضَ عنه، فسمعتُ صوتًا من داخل القبر يقول: انصرفى يا أماه فقد قدمتُ على رَبٍّ كريم وقد غفر لى ذنوبى...، فهذا الذى أضحكنى... ثم وَلَّت وهى مسرورة[1].

(١) المواعظ والمجالس (١٩٤ - ١٩٥).

إني لها بعيرها المُذَلَّل

۞ في الحج أبصر عبد الله بن عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا رجلًا يَمَانِيًّا يَطُوفُ بِالْبَيْتِ وقد حَمَلَ أُمَّهُ على ظهره ويقول:

إِنِّـــى لَهَـــا بَعِيرُهَـــا الْمُـــذَلَّلُ   إِنْ أُذْعِـــرَتْ رِكَابُهَـــا لَـــمْ أُذْعَـــرِ

ثُمَّ قَالَ: يَا ابْنَ عُمَرَ أَتُرَانِي جَزَيْتُهَا؟

قَالَ ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: لَا، وَلَا بِطَلْقَةٍ وَاحِدَةٍ... ولكنك أحسنت .. والله يُثيبك على القليل كثيرًا.

۞ وجاء رجل إلى ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فقال: حملت أمي على رقبتي من خُراسان حتى قضيت بها مناسك الحج، أَتُرَانِي جَزَيْتُهَا؟

فقَالَ: لَا، وَلَا بِطَلْقَةٍ وَاحِدَةٍ.

۞ ورأى عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رجلًا يحمل أمَّه، وقد جعل لها مثل الحوية (كساء يوضع حول سنام الجمل) على ظهره يطوف بها حول البيت وهو يقول

أَحْمِـــلُ أُمِّـــى وَهِـــىَ الْحَمَّالَـــهْ   تُرْضِـــعُنِى الـــدِّرَّةَ وَالْعُلَالَـــهْ[1]

فقال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لأن أكونَ أَدركت أمي ففعلت بها مثل ذلك أحبُّ إليَّ من حُمْرِ النَّعَم[2].

---

(١) الدِّرَّة: اللبن، والعُلالة: ما يُتلهَّى به. انظر: «الوسيط» (٢/ ٦٤٦).

(٢) النَّعَمُ: الإبل خاصة، أو الإبل والبقر والغنم. وحُمْر النَّعَمْ من أجودها وأغلاها. انظر: «المعجم الوجيز» (٦٢٥).

الجنة تحت أقدام الأمهات

۞ قال لقمان لابنه: ائتنى بشىء من الجنة.

فأسرع وأتاه بحفنة من التُّراب، وقال له: هذا ترابٌ من تراب الجنَّة.

فقال لقمان: من أين جئت به؟!

قال: من تحت قدم أمى.

۞ ويُحكى أن أحد العلماء تأخر مرة عن مجلس أصحابه فسألوه عن سبب ذلك، فقال لهم: كنت أتمرَّغ فى رياض الجنة (يعنى تحت قدمى أمه).

۞ ذات يوم جَاءَ جَاهِمَة بن العبَّاس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، إِلَى النَّبِىِّ ﷺ فَقَالَ بصوتٍ امتلأ أدبًا وخَشْيةً: يَا رَسُولَ اللهِ! أَرَدْتُ أَنْ أَغْزُوَ وَقَدْ جِئْتُ أَسْتَشِيرُكَ فَقَالَ ﷺ ناصحًا ومُعلمًا: «هَلْ لَكَ مِنْ أُمٍّ؟» قَالَ: نَعَمْ قَالَ: «**فَالْزَمْهَا فَإِنَّ الْجَنَّةَ عِنْدَ رِجْلَيْهَا**»[1].

هداية الوالد بدعوة ولده

۞ ذُكر أن شابًّا صالحًا يحب الأخيار ومجالستهم، وكان والده يكره الصالحين وإذا رآهم مع ابنه ربما طردهم من المنزل غير مُراعٍ شعور ابنه الصالح الذى ظلَّ يدعو والده ويدعو له... وفى ليلة من الليالى قام فى ثُلث الليل وصلَّى وفى آخر ركعة رفع يديه إلى السماء وبدأ يدعو لوالده ودموعه تنهمر من عينيه، وفى تلك اللحظات المفعمة بصدق الالتجاء إلى الله - تعالى- دخل والده البيت قادمًا من إحدى سهراته وسمع بالبيت باكيًا يبكى

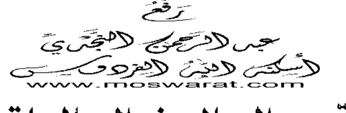
(١) صحيح: رواه النسائى، وأحمد، وصححه الألبانى فى الإرواء تحت حديث (١١٩٩).

بحُرقة وألم، فالتمس مصدر الصوت حتى وصل إليه، فإذا هو ابنه يتضَّرع إلى الله - تعالى- أن يهدى والده، فتأثر وجلس على ركبتيه عند باب الغرفة وأخذ يبكى ويراجع نفسه ويقول: ولدى يدعو لى وأنا أضايقه، ولدى يدعو لى وأنا أحاربه، ولما انتهى الابن من صلاته وفتح الباب إذ بوالده جالس يبكى، فلما رآه اشتدَّ بكاؤه وضمَّه إليه وقال: والله لا أضايقك بعد اليوم،.... وهداه الله - تعالى- والعجيب أنهما ربما قاما يصلِّيان آخر الليل سويًّا.

يدعو لأمه .. فيشفيها الله (جل وعلا)

۞ عن أحمد بن أبى الحوارى قال: سمعت أبا سليمان الدارانى يقول: «وقعت أمى من فوق وتكسرت، فأهمَّنى أمرها، فقلت: يا رب، مَن يخدمُها؟ فجعلت أبكى فى سجودى، فإذا بهاتفٍ يهتف: يا أبا سليمان، قم إلى الحائط فخذ ما فيه وادعُ به، فقمت، فإذا بقرطاس ما رأيت على نقائه وبياضه، بخطٍّ ما رأيت مثله حُسنًا، تفوح منه رائحة المسك، وإذا فيه مكتوب: يا مدرك الفوت بعد الفوت، ويا من يسمع فى ظلم الليل الصوت، ويا من يُحيى العظام وهى رميم بعد الموت،... فدعوت بها وأنا ساجد، فإذا أمى تقول: يا أبا سليمان، ما فعلت الغلة؟ قال: قلت لها: قد قمتِ؟ قالت: نعم»[١].

(١) تاريخ دمشق (٤٠/ ٩١).



مشاهد مُفرحة لبر الوالدين

۞ قال محدثي: ما زرت مديرى فى الإدارة فى منزله إلا رأيت العجب.. رأيت كيف يتحول ذل الآمر الناهى فى إدارته إلى خادم لذلك الرجل العجوز.. إنه تحوُّل عجيب أليس كذلك؟! ما زاد فى عينى إلا رفعة ولا فى نفسى إلا عُلوًّا.

كأنه خادم بين يدى والده..

قلت له.. هذا الرجل قُرْبُه خير، ومعرفته مكسب.. كل يوم نرى من حسن خلقه وبِرِّه بوالده ما نعجب منه نحن الشباب!!

قال من يستمع الحديث وهو يهون الأمر.. لماذا تستغرب؟! إنه والده!!

أطلقت بصرى نحوه ولسانى يردد.. هل تعامل والدك بجزء من هذه المعاملة أو بعضها؟!

۞ تحدث وزير من دولة عربية عن أمور بسيطة فى حياته فقال: إننى قبل أن أخرج من باب المنزل أخبر والدى أين أذهب ومتى أعود

هذا مع أن عمرى جاوز الخمسين ومرتبتى الوظيفية وزير!! ولكن هذا أمر اعتدت عليه منذ أن كنت طفلًا وشابًّا وأبًا.. وحتى أصبحت وزيرًا.. وأفرح بهذا الأمر وأُسَرُّ به لعلمى حرص والدى علىَّ..

وهائنذا أكرر السؤال على أبنائى كل يوم..

أين تذهب؟! ومع من تذهب؟! ومتى تعود؟!

۞ يتلطف مع والده ويروى له بعض الأحداث والمُستجدات على هذا الكون.. ويحكى له بعضًا مما حصل له من الطُّرَف.. أو مما سمعها.. يحكى كل ذلك بأدبٍ جَمٍّ وخُلقٍ رفيع.. جعل والده يبادله الحديث بضحكة وابتسامة.. ودعاء!!

۞ يستشير والده فى أشيائه الصغيرة وفى أمور ربما أن والده لا يحيط بها ولا يتصورها ولكن رغبة منه -حفظه الله- فى إشعار والده بأهميته ومكانته.. يكرر على والده كل يوم.. ما رأيك بكذا وكذا.. وأيهما أفضل؟! وما البديل فرأيك هو المُقدَّم!!

۞ ترددت أصوات الجميع فى الحفل ينادونه لقبول دعوتهم إلى حفل الغداء.. ولكن الرجل -المسئول الكبير- أجاب بهدوء وهو يلتفت نحو والده..

هذا هو الوالد -حفظه الله- إن وافق وسمحت ظروفه فنحن تحت مشورته وأمره!!

۞ يبحث عن ما يحب والده وما يحتاج إليه..

إجازته يقضى جزءًا منها للذهاب به لأداء مناسك العمرة.. ويعرج به إلى المصايف الجميلة.. يأنس به ويحاول أن يُلبى طلباته ولو على حساب نفسه.

۞ لسانه عذب.. وحديثه يُدخل السعادة على قلب والده.. أبشر يا أبى.. وأُبشرك يا أبى..

حديثه يؤانس الوالد، ويُدخل السرور على نفسه.. ألا بشَّرك الله بالجنة يا فتى!!

۞ يفرح إذا رأى غيمة فى السماء.. ويهرول مسرعًا إذا علم بنزول المطر على مناطق قريبة.

يعلم أن ذلك يُفرح والده ويجدد شبابه..

ويومًا أخبره بنزول المطر وقال لوالده: سالت الأودية والشعاب.. ففغر الأب فاهُ فرحًا، وكانت نفسه تحدث رؤية ذلك الخير.. ولكنه قبل أن يكمل تفكيره فإذا بالابن يقول له..

متى نذهب يا أبى؟!

۞ اختار لوالده أشرطة متعددة لعدد من المشايخ.. حتى رأى أنه يتأثر ويتابع قراءة أحدهم.. هَبَّ مسرعًا واشترى ما وجد لديهم من أشرطة لذلك الشيخ.. وقال: يا أبى هذا ما وجدت فاعذرنى!!

۞ يقدم مقدمة طيبة عن المحاضر وموعد المحاضرة وأنه مناسب ويتحدث عن موضوع المحاضرة وفضل الجلوس فى حلق الذكر.. حتى يرى القبول فى عين والده..

ثم يسأله: ما رأيك يا أبى نذهب سويًّا!

۞ فى الحرم المكى.. يرفق بوالده، ويحنو عليه، ويتفقد حاجته.. ماذا يريد؟ وأين يجلس؟ وماذا ينقصه؟!

إنه رجل تحت الطلب، يهفو إلى خدمة والده.. ويفرح بنداء صوته.

۞ ما دخل المنزل أو خرج إلا قبَّل رأس والديه، ودعا لهما بالبقاء وطول العمر وحسن الختام.. إظهارًا للفرح بوجودهما وسرورًا بحديثهما.

ولسان عذب لا يتأخر عن قول الخير لهما.

۞ لا تمر مناسبة إلا ويقدم لوالديه هدية.. دهن عود أو دهن ورد أو مسواك وبين حين وآخر يأتى لوالده بمبلغ من المال على شكل ريالات لكى يوزعها على الأحفاد!!

۞ خصص وقت ما بين المغرب والعشاء لجلسة طويلة مع والديه يتجاذب معهما أطراف الحديث ويؤانسهما ويستفيد من خبرتهما ويفرح بسماع دعوتهما.

۞ إكرامًا لوالده لا يترك مناسبة يُدعَى إليها والده إلا كان بجواره حتى وإن كانت فى أوقات راحته.. يقدم رضا والده على راحته ونفسه، ويعلم أن والده يُسَرُّ بهذا.

۞ أسقط كلمة «لا» من لسانه، وكأنه انتزعها من بين فكيه.. حمد الله وهو يتذكر أنه ما قال لوالديه هذه الكلمة أبدًا.. فهما لم يأمراه بمعصية..

۞ لا يُلح على والديه بطلبٍ أو رغبة.. بل يعرض الأمر عرضًا هينًا لينًا.. فإن وجد الموافقة والقبول.. وإلا «الخير فيما اختاره الله» ويحمد الله أنه نال رضا والديه..

۞ حفظك الله.. سلمك الله.. رعاك الله.. حرم الله وجهك عن النار.. بارك الله فى أيامك.. تقبل الله دعاءك.. أبشر بالخير.. رحمة الله واسعة..

هذا لسانه مع والده.. ما أسمعه إلا ما يحب!!

۞ يتعاهد أصدقاء والده.. يزورهم، ويحتفى بهم، ويدعوهم لبعض المناسبات، ويفرح وهو يسمع الدعاء لوالده بالرحمة والمغفرة.

۞ لأن والده يحب القرية ولا يريد أن يبتعد عن مزرعته.. ضحى الابن البار بوظيفته فى المدينة واستقر فى القرية بوظيفة أقل.

❁ **هل من مشمر؟!**

لو خدمك إنسان وأكرمك يومًا أو اثنين.. لبالغت فى الثناء على كرمه وخدمته، وتمنيت أن تسنح الفرصة لرد جميله ومعروفه.. أليس كذلك؟!

هناك.. من خَدَمك سنوات، وضحَّى لأجلك سنوات، يُطعمك فى صغرك، ويذهب بك سنوات للمدرسة.. وسنوات وهو يربى ويجهد نفسه لأجلك.. ما مرضت يومًا إلا حملك على ظهره إلى المستشفى.. وما بكيت يومًا إلا تألم قلبه.. ولربما دمعت عيناه..

يدعو لك فى سكون الليل.. ويكدّ لك فى النهار.. سنواتٍ طوال.. وهو سعيد بذلك.. ما جزاؤه؟!

هل من مشمر؟![1]

❁ **وها هى صورة أخرى فى غاية الروعة والجمال:**

❁ببشاشة وسماحة نفس.. أبشرى ماذا تطلبين؟! ماذا تريدين؟! ماذا تحبين؟! وقُبلات على رأسها بين حديث وآخر.. هذا حديثه وفعله مع والدته..

❁ألا تريدين أن تذهبى لآل فلان تُسلمين عليهم؟! لا يَدَعْ والدته تطلب منه ذلك.. بل هو يعرض الأمر.. فلربما كانت محرجة من طلبه..

❁لرغبة فى نفس والدته قرر القيام برحلة إلى القرية التى تربَّت ونشأت فيها والدته.. فرحت والدته وهى ترى مراتع الصبا وتجدد له الدعاء وهى تستعيد الذكريات.

❁بين حين وآخر يناول والدته مبلغًا من المال.. سنوات وهو يفعل

---

(١) كلنا دعاة/ عبد الملك القاسم (٢/ ٣٧-٤١).

ذلك.. ما نقص ماله.. وما تأثرت تجارته..

۞ يتحين الفرص.. متى تريدين الذهاب إلى مكة؟ الجو يا أمى هذه الأيام معتدل وليس هناك زحام.. الحمد لله الأمور متيسرة والسُّبل متوفرة.. هيا يا أمى.

۞ ما دخل المنزل أو أراد الخروج منه إلا قبَّل رأس والدته ودعا لها بطول العمر والبركة فى العمل..

۞ تعجب يومًا وهو يستمع إلى والدته تقرأ سورة الفاتحة، وانتبه على صوتٍ فى داخله يؤنبه.. أنت مدرس.. تمنح العلم للتلاميذ.. ووالدتك تخطئ فى قراءة سورة الفاتحة؟! أَلزَم نفسه بساعات يقضيها بجوار والدته حتى حفظت قصار السور وأجادت قراءة الفاتحة.

۞ رحم ذلك الضعف من والدته، وتذكَّر كيف كانت عنايتها ورعايتها له.. وقال: بماذا أُجازيك وكيف أقضى بعض حقك؟!

قال الشاب الذى لم يتجاوز العشرين من العمر.. الحمد لله لم آمر والدتى بطلب منذ أن عقلت حق الأم..

قال له من هو فى سِنِّه منذ متى عقلت حق الأم؟!

قال: منذ ثلاث سنوات استمعت إلى محاضرة عن حقوق الأم.. وبعدها عقلت الأمر وسعيت فى برها.

جعلت حديث الرسول ﷺ «... **ففيهما فجاهد**» أساسًا لتعاملى مع والدى.. أقدم رغباتهما وأُلبى طلباتهما.. وأعلم بعد ذلك وقبله أنى لم ولن أوفِّ حقوقهما.

۞ قال لزوجته.. هذه أمى.. وأنت يا زوجتى العزيزة مثلما تحبين أمك

فأنا أحب أمى ورضاى فى رضاها.. أنت المرأة العاقلة.. لا تُغضبيها ولا يكن فى قلبك عليها شىء.. عندها تأكدى يا زوجتى.. أنه سيصفو لك قلبى.. وتهنأ بك نفسى.

۞ لأنه الأخ الأكبر أصر وبشدة أن تبقى والدته عنده، وقال لها.. سأجعل بيتى مفتوحًا للزائرين والمسلمين.. هنا يا أمى سترين الأبناء والأحفاد فلتهنأ عينك وتقر نفسك.

۞ يجلس مع والدته ساعة أو تزيد كل يوم.. يسمع حديثها، وتَبُثُّ شكواها، وتُذكره بأيامه الأولى.. وهو يستمع فى دعة وحبور.. ويزيد فرحه ما يراه من سرور والدته.

ما قام أو جلس إلا دعت له.. وما غاب إلا أتبعته الدعاء بالصحة والعافية والستر.. تتلهف لعودته وتُسَرُّ برؤيته.. إنه رجل عرف حق الوالدين.. ويحاول أن يجازى من أحسن إليه ولو ببعض الوفاء[1].

(١) كلنا دعاة/ عبد الملك القاسم (٢/ ٦١-٦٢).

الجزاء من جنس العمل

۞اعلم أيها الأخ الكريم أنه كما تدين تدان، وكما تزرع تحصد.

ذكر العلماء أن رجلًا كان عنده والد كبير، فتأفف من خدمته ومن القيام بأمره، فأخذه وخرج إلى الصحراء؛ ليذبحه، فلما وصل إلى صخرة أنزله هناك فقال: يا بنى! ماذا تريد أن تفعل بى؟

قال: أريد أن أذبحك.

قال: يا بنى! هذا جزاء الإحسان؟

قال الابن: لا بد من ذبحك فقد أسأمتنى وأمللتنى..

فقال الأب: يا بنى! إن أبيت إلا ذبحى فاذبحنى عند الصخرة التالية ولا تذبحنى هنا أو هناك؟

قال الابن: وما ضرك أن أذبحك هنا أو هناك؟!

قال: يا بنى! إن كان الجزاء من جنس العمل فاذبحنى عند الصخرة التالية فلقد ذبحت أبى هناك.. ولك يا بنى مثلها.

فاحرص أخى الحبيب على بر الوالدين؛ لتظفر بالخير فى الدنيا والآخرة فبر الوالدين سبب لتفريج الكربات ومجلبة للتوفيق فى الدنيا والآخرة، وهو سبب لسعة الرزق وزيادة العمر وهو سبب للفوز برحمة الله ومغفرته، وهو سبب لدخول جنة الرحمن، كما قال سيد الأنام ﷺ «**الوالد أوسط أبواب الجنة**»[1].

---

(١) صحيح: رواه الترمذى (١٩٠٠) كتاب البر والصلة، وابن ماجه (٢٠٨٩) كتاب الطلاق، وأحمد (٢١٢١٠)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٩١٤).

صاحبة الضفيرتين.. وابنها الصوَّام القوَّام

۞ حكاية أبى قدامة مع المرأة التى ضفَّرت شعرها شِكالًا للفرس فى سبيل الله مشهورة، حكاها جماعة منهم أحمد بن الجوزى الدمشقى فى كتابه المسمى بـ«سوق العروس وأنس النفوس».

فحكى أنه كان بمدينة رسول الله ﷺ رجل يقال له: أبو قدامة الشامى، وكان قد حبَّب الله إليه الجهاد فى سبيل الله تعالى والغزو إلى بلاد الروم، فجلس يومًا فى مسجد رسول الله ﷺ يتحدث مع أصحابه، فقالوا له: يا أبا قدامة حدثنا بأعجب ما رأيته فى الجهاد قال: نعم، إنى دخلت فى بعض السنين الرقة[1] أطلب جملًا أشتريه ليحمل سلاحى، فبينا أنا يومًا جالس، إذ دخلت علىَّ امرأة فقالت: يا أبا قدامة سمعتك وأنت تحدث عن الجهاد وتحث عليه وقد رُزقت من الشعر ما لم يُرزقه غيرى من النساء، وقد قصصته وأصلحت منه شكالًا للفرس وعفرته بالتراب لئلا ينظر إليه أحد، وقد أحببت أن تأخذه معك فإذا صرت فى بلاد الكفر وجالت الأبطال ورميت النبال وجردت السيوف وشرعت الأسنة، فإذا احتجت إليه وإلا فَادْفَعْه إلى من يحتاج إليه ليحضر شعرى ويصيبه الغبار فى سبيل الله فأنا امرأة أرملة[2] كان لى زوج وعصبة[3] كلهم قُتلوا فى سبيل الله لو كان علىَّ

---

(١) الرقة: بفتح أوله وثانيه، وتشديده، مدينة مشهورة على الفرات. انظر: «معجم البلدان» (٣/ ٥٨، ٥٩).

(٢) يقال للمرأة التى لا زوج لها: أرملة، لافتقارها إلى من ينفق عليها، قال الزهرى: لا يقال لها: أرملة، إلا إذا كانت فقيرة فإن كانت موسرة، فليست بأرملة. انظر: «المصباح» ص (٢٣٩).

(٣) العصبة من الرجال: نحو العشرة، أو إلى الأربعين. انظر: «المصباح» ص (٤١٣).

جهاد لجاهدت... قال: وناولتنى الشكال.

وقالت: اعلم يا أبا قدامة أن زوجى لما قُتل خلف لى غلامًا من أحسن الشباب، وقد تعلم القرآن والفروسية والرمى عن القوس، وهو قوّام بالليل صوّام بالنهار، وله من العمر خمس عشرة سنة، وهو غائب فى ضيعة خلَّفها له أبوه فلعله يقدم قبل مسيرك فأوجهه معك هدية إلى الله ﷻ، وأنا أسألك بحرمة الإسلام لا تحرمنى ما طلبت من الثواب، قال: فأخذت الشكال منها فإذا هو مضفور من شعر رأسها، فقالت: ألقه فى بعض رحلك وأنا أنظر إليه ليطمئن قلبى،قال: فطرحته فى رحلى وخرجت من الرقة ومعى أصحابى، فلما صرنا عند حصن مسلمة بن عبد الملك إذا بفارس يهتف من ورائى: يا أبا قدامة قف علىَّ قليلًا يرحمك الله، فوقفت، وقلت لأصحابى: تقدموا أنتم حتى أنظر مَن هذا، وإذا بالفارس قد دنا منى وعانقنى، وقال: الحمد لله الذى لم يحرمنى صحبتك ولم يردنى خائبًا، قلت: حبيبى أسفر لى عن وجهك، فإن كان يلزم مثلك غزو أمرتك بالمسير، وإن لم يلزمك غزو رددتك، فأسفر عن وجهه فإذا غلام كأنه القمر ليلة البدر وعليه آثار النعمة قلت: حبيبى لك والد؟ قال: لا، بل أنا خارج معك أطلب ثأر والدى، لأنه استشهد فلعل الله أن يرزقنى الشهادة كما رزق أبى، قلت: حبيبى لك والدة؟ قال: نعم، قلت: اذهب إليها، واستأذنها فإن أذنت وإلا فأقم عندها، فإن طاعتك لها أفضل من الجهاد؛ لأن الجنة تحت ظلال السيوف، وتحت أقدام الأمهات.

قال: يا أبا قدامة أما تعرفنى؟ قلت: لا، قال: أنا ابن صاحبة الوديعة، ما أسرع ما نسيت وصية أمى صاحبة الشكال، وأنا إن شاء الله الشهيد ابن

الشهيد، سألتك بالله لا تحرمنى الغزو معك فى سبيل الله، فإنى حافظ لكتاب الله، عارف بسنة رسول الله ﷺ، عارف بالفروسية والرمى، وما خلفت ورائى أفرس منى، فلا تحقرنى لصغر سنى، وإن أمى قد أقسمت علىّ لا أرجع، وقالت: يا بنى إذا لقيت الكفار فلا تولهم الدبر، وهب نفسك لله، واطلب مجاورة الله ومجاورة أبيك مع أخوالك الصالحين فى الجنة، فإذا رزقك الله الشهادة فاشفع فىّ، فإنه قد بلغنى أن الشهيد يشفع فى سبعين من أهله، وسبعين من جيرانه، ثم ضمتنى إلى صدرها، ورفعت رأسها إلى السماء، وقالت: إلهى وسيدى ومولاى، هذا ولدى، وريحانة قلبى، وثمرة فؤادى سلمته إليك فقربه من أبيه.

قال: فلما سمعت كلام الغلام، بكيت بكاءً شديدًا أسفًا على حسنه، وجمال شبابه، ورحمة لقلب والدته، وعجبًا من صبرها عنه، فقال: يا عم مم بكاؤك؟ إن كنت تبكى لصغر سنى، فإن الله يعذب من هو أصغر منى إذا عصاه، قلت: لم أبكِ لصغر سنك، ولكن أبكى لقلب والدتك، كيف تكون بعدك؟ قال: فسرنا ونزلنا تلك الليلة، فلما كان الغداة رحلنا، والغلام لا يفتر من ذكر الله تعالى، فتأملته، فإذا هو أفرس منا إذا ركب، وخادمنا إذا نزلنا منزلًا، وصار كلما سار يقوى عزمه، ويزداد نشاطه، ويصفو قلبه، وتظهر علامات الفرح عليه.

قال: فلم نزل سائرين حتى أشرفنا على ديار المشركين عند غروب الشمس، فنزلنا فجلس الغلام يطبخ لنا طعامًا لإفطارنا، وكنا صيامًا فغلبه النعاس فنام نومة طويلة فبينا هو نائم إذ تبسم فى نومه، فقلت لأصحابى: ألا ترون إلى ضحك هذا الغلام فى نومه؟ فلما استيقظ، قلت: حبيبى رأيتك

الساعة تبتسم فى منامك ضاحكًا قال: رأيت رؤيا فأعجبتنى وأضحكتنى، قلت: ما هى؟ قال: رأيت كأنى فى روضة خضراء أنيقة، فبينما أنا أجول فيها، إذ رأيت قصرًا من فضة شُرَفه من الدر والجوهر، وأبوابه من الذهب، وستوره مرخية، وإذا جوارى يرفعن الستور، وجوههن كالأقمار، فلما رأيننى، قلن لى: مرحبًا بك، فأردت أن أمد يدى إلى إحداهن، فقالت: لا تعجل، ما آن لك، ثم سمعت بعضهن يقول لبعض: هذا زوج المرضية، قلن لى: تقدم يرحمك الله، فتقدمت أمامى، فإذا فى أعلى القصر غرفة من الذهب الأحمر عليها سرير من الزبرجد الأخضر، قوائمه من الفضة البيضاء، عليه جارية وجهها كأنه الشمس، لولا أن الله ثبت علىَّ بصرى لذهب، وذهب عقلى، من حسن الغرفة وبهاء الجارية، قال: فلما رأتنى الجارية، قالت: مرحبًا وأهلًا وسهلًا ياولى الله وحبيبه، أنت لى وأنا لك، فأردت أن أضمها إلى صدرى، فقالت: مهلًا لا تعجل، فإنك بعيد من الخنا[1]، وإن المعاد بينى وبينك غدًا عند صلاة الظهر، فأبشر، قال أبو قدامة: فقلت له: حبيبى رأيت خيرًا وخيرًا يكون.

ثم بتنا متعجبين من منام الغلام، فلما أصبحنا تبادرنا فركبنا خيولنا، فإذا المنادى ينادى: يا خيل الله اركبى[2]، وبالجنة أبشرى: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا﴾[3]، فما كان إلا ساعة وإذا جيش الكُفْر - خذله الله- قد أقبل كالجراد المنتشر فكان أول من حمل منا فيهم الغلام، فبدد شملهم وفرق

---

(١) خنا خنوًا: أفحش. «القاموس المحيط» (٤/ ٣٢٦).

(٢) هذا على حذف المضاف، أراد: يا فرسان خيل الله اركبى. «النهاية» (٢ / ٩٤).

(٣) سورة التوبة: الآية: (٤١).

جمعهم وغاص فى وسطهم، فقتل منهم رجالًا وجندل أبطالًا، فلما رأيته كذلك، لحقته فأخذت بعنان فرسه، وقلت: يا حبيبى ارجع فأنت صبى ولا تعرف خدع الحرب، فقال يا عم: ألم تسمع قول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴾[1]، أتريد أن أدخل النار؟.

فبينا هو يكلمنى، إذ حمل علينا المشركون حملة رجل واحد، فحالوا بينى وبين الغلام ومنعونى منه، واشتغل كل واحد بنفسه، وقُتل خلق كثير من المسلمين، فلما افترق الجمعان، إذا القتلى لا يُحصون عددًا، فجعلت أجول بفرسى بين القتلى، ودماؤهم تسيل على الأرض، ووجوههم لا تُعرف من كثرة الغبار والدماء.

فبينا أنا أجول بين القتلى، إذا أنا بالغلام بين سنابك الخيل، قد علاه التراب وهو يتقلب فى دمه ويقول: يا معشر المسلمين، بالله ابعثوا لى عمى أبا قدامة، فأقبلت إليه عندما سمعت صياحه، فلم أعرف وجهه لكثرة الدماء والغبار ودوس[2] الدواب، فقلت: ها أنا أبو قدامة، قال: يا عم صدقت الرؤيا ورب الكعبة، أنا ابن صاحبة الشكال، فعندها رميت بنفسى عليه فقبَّلت بين عينيه، ومسحت التراب والدم عن محاسنه،وقلت: ياحبيبى لا تنس عمك أبا قدامة، اجعله فى شفاعتك يوم القيامة، فقال: مثلك لا يُنسى، تمسح وجهى بثوبك؟ ثوبى أحق به من ثوبك، دعه يا عم حتى ألقى الله تعالى به، يا عم هذه الحور التى وصفتها لك قائمة على رأسى، تنتظر

---

(١) سورة الأنفال: الآية: (١٥).

(٢) الدوس: الوطأ بالرجل - «القاموس المحيط» (٢ / ٢١٧) ط ٣.

خروج روحى، وتقول لى: عَجِّل فأنا مشتاقة إليك.

بالله يا عم إن ردك الله سالمًا، فتحمل ثيابى هذه المضمخة بالدم لوالدتى المسكينة الثكلى الحزينة، وتسلمها إليها، لتعلم أنى لم أضيع وصيتها، ولم أجبن عند لقاء المشركين، واقرأ منى السلام عليها، وقل لها: إن الله قد قبل الهدية التى أهديتها، ولى يا عم أخت صغيرة، لها من العمر عشر سنين، كنت كلما دخلت استقبلتنى تسلم علىَّ، وإذا خرجت تكون آخر من يودعنى، وإنها ودعتنى عند مخرجى هذا، وقالت لى: بالله يا أخى لا تبطئ عنا، فإذا لقيتها فاقرأ عليها منى السلام، وقل لها: يقول لك أخوك: الله خليفتى عليك إلى يوم القيامة، ثم تبسم وقال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، صدق وعده، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، هذا ما وعدنا الله ورسوله، وصدق الله ورسوله، ثم خرجت روحه، فكفنّاه فى ثيابه، وواريناه رضي الله عنه وعنا.

۞ قال أبو قدامة: فلما رجعنا من غزوتنا تلك ودخلنا الرقة، لم تكن لى همة إلا دار أم الغلام، فإذا جارية تشبه الغلام فى حسنه وجماله، وهى قائمة بالباب، وكل من مر بها تقول: يا عم من أين جئت؟ فيقول: من الغزاة، فتقول: أما رجع معكم أخى؟ فيقولون: لا نعرفه، فلما سمعتها تقدمت إليها، فقالت لى: يا عم من أين جئت؟ قلت: من الغزو، قالت: أما رجع معكم أخى، ثم بكت وقالت: ما بالى أرى الناس يرجعون، وأخى لم يرجع، فغلبتنى العَبرة، ثم تجلدت خشية على الجارية.

ثم قلت لها: يا جارية قولى لصاحبة المنزل: كلمى أبا قدامة، فإنه على الباب، فسمعت المرأة كلامى، فخرجت إلىَّ وقد تغير لونها، فسلمت

عليها، فردت السلام،وقالت: أمُبشرٌ أنت يا أبا قدامة أم مُعزٍّ؟، قلت: بيِّنى لى البشارة من التعزية رحمك الله، قالت: إن كان ولدى رجع سالمًا فأنت مُعزٍّ، وإن كان قُتل فى سبيل الله فأنت مبشر، فقلت: أبشرى فقد قبل الله هديتك، فبكت وقالت: قبلها؟ قلت: نعم، فقالت: الحمد لله الذى جعله ذخيرة لى يوم القيامة.

قلت: فما فعلت الجارية أخت الغلام؟ قالت: هى التى كانت تكلمك الساعة، فتقدمت إلىَّ، فقلت لها: إن أخاك يسلم عليك ويقول لك: الله خليفتى عليك إلى يوم القيامة، فصرخت وخرَّت على وجهها مغشيًّا عليها، فحركتها بعد ساعة، فإذا هى ميتة، فتعجبت من ذلك، ثم سلمت ثياب الغلام التى كانت معى لأمه، وودعتها، وانصرفت حزينًا على الغلام والجارية، ومتعجبًا من صبر أمهما[1].

(١) «مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق» لابن النحاس (١/ ٢٨٥- ٢٨٩).

أم إبراهيم البصرية العابدة وابنها

حُكى أنه كان بالبصرة نساء عابدات، وكان منهن أم إبراهيم الهاشمية، فأغار العدو على ثغر من ثغور الإسلام، فانتُدب الناس للجهاد، فقام عبد الواحد بن زيد البصرى فى الناس خطيبًا، فحضهم على الجهاد، وكانت أم إبراهيم هذه حاضرة مجلسه، وتمادى عبد الواحد على كلامه، ثم وصف الحور العين، وذكر ما قيل فيهن، وأنشد فى وصف حوراء:

غـادة ذات دلالٍ ومَـرَح ... يجد الناعت فيها ما اقترح
خُلقتْ مِن كل شىءٍ حسن ... طيب فالليث فيها مُطَّرح
زانها الله بوجهٍ جمعت ... فيه أوصافُ غريباتِ المُلح [1]
وبعينٍ كُحْلُها من غُنجها [2] ... وبخدٍ مسكُهُ فيه رَشَح
ناعمٍ يجرى على صفحتِهِ ... نضرة الملكِ ولألاءُ الفرح
أَتَرى خاطبَهَا يسمعُها ... إذ تدِيرُ الكأسَ طورًا والقدَح
فى رياضٍ مونِقٍ نرجسها ... كلما هبَّت له الريحُ نفح
وهى تدعوه بودٍّ صادقٍ ... مُلئ القلبُ به حتى طَفَح
يا حبيبًا لست أهوى غيره ... بالخواتيم يتم المفتتح
لا تكونَنَّ كمن جدَّ إلى ... منتهى حاجتِهِ ثم جمَح
لا، فما يَخْطُبُ مثلى مَنْ سها ... إنما يخطب مثلى مَنْ أَلَح

(١) المُلْحَة: واحدة المُلَح من الأحاديث.

(٢) الغُنْج: بالضم، وبضمتين، والغُنَاج: الشِّكْل: الدلال، يقال: غَنَجت الجارية، وهى غَنِجة.

قال: فماج الناسُ بعضُهم فى بعض، واضطرب المجلس، فوثبت أم إبراهيم من وسط الناس، وقالت لعبد الواحد: يا أبا عبيد، ألستَ تعرف ولدى إبراهيم، ورؤساءُ أهل البصرة يخطبونه على بناتهم، وأنا أضربه عليهم، فقد والله أعجبتنى هذه الجارية، وأنا أرضاها عروسًا لولدى، فكرِّر ما ذكرت من حُسنِها وجمالها، فأخذ عبد الواحد فى وصف حوراء، ثم أنشد:

تَوَلَّدَ نورُ النورِ مِن نورِ وجهِها ... فمازج طيب الطيب من خالص العِطرِ

فلو وَطِئت بالنعِل منها على الحصى ... لأعشبت الأقطارُ مِن غير ما قطرِ

ولو شِئْتَ عَقَدَ الخَصْرُ منها عُقْدَتَه ... كغُصنٍ من الريحان ذى ورق خُضْرِ

ولو تَفَلَتْ فى البحر شَهْدَ رُضابِها [1] ... لطابَ لأهلِ البَرِّ شُرْبٌ مِنَ البحر

يكادُ اختلاسُ اللحظِ يجرح خَدَّها ... بجارحِ وَهْمِ القلبِ من خارجِ السِّتْرِ

فاضطرب الناسُ أكثر، فوثبت أم إبراهيم، وقالت لعبد الواحد: يا أبا عبيد، قد والله أعجبتنى هذه الجارية، وأنا أرضاها عروسًا لولدى، فهل لك أن تُزَوِّجَهُ منها هذه الساعة، وتأخذ منى مهرها عشرة آلاف دينار، ويخرج معك فى هذه الغزوة، فلعل الله يرزقه الشهادة، فيكون شفيعًا لى ولأبيه فى القيامة؟، فقال لها عبد الواحد: لئن فعلتِ لتفوزَن أنتِ وولدُكِ وأبو ولدِكِ فوزًا عظيمًا، ثم نادت ولدها: يا إبراهيم، فوثب من وسط الناس، وقال لها: لبيك يا أماه، قالت: أى بُنَىَّ، أَرَضيتَ بهذه الجارية زوجةً ببذل مهجتِك فى سبيله، وتركِ العَوْدِ فى الذنوب؟، فقال الفتى: إى والله يا أماه، رَضِيتُ أىَّ رضًا، فقالت: اللهم إنى أُشْهِدك أنى زَوَّجْتُ ولدى هذا من هذه الجارية،

(١) الرُّضاب: الريق المرشوف، وفُتات المسك، وقطع السكر، والبرد، ولعاب العسل.

ببذل مهجته فى سبيلك، وترك العود فى الذنوب، فتقبَّله منى يا أرحم الراحمين، قال: ثم انصَرَفَتْ، فجاءت بعشرة آلاف دينار، وقالت: يا أبا عبيد، هذا مهر الجارية تَجَهَّزْ به، وجَهِّز الغزاةَ فى سبيل الله تعالى، وانصرفت، فابتاعت لولدها فرسًا جيدًا، واستجادت له سلاحًا، فلما خرج عبد الواحد خرج إبراهيمُ يعدو، والقُرَّاءُ حولَه يقرؤون: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾[1]، قال: فلما أرادت فِراق ولدها، دفعت إليه كفنًا وحَنُوطًا، وقالت له: يا بُنىَّ، إذا أردتَ لقاء العدو فتكَّفنْ بهذا الكفن، وتحنَّط بهذا الحَنُوطِ، وإياك أن يراك الله مُقَصِّرًا فى سبيله... ثم ضَمَّتْهُ إلى صدرِها، وَقَبَّلَتْهُ بين عينيه، وقالت له: يا بُنى! لا جمع الله بينى وبينك إلا بين يديه فى عَرَصات القيامة.

قال عبد الواحد: فلما بَلَغْنَا بلادَ العدو، ونُودى فى النفير، وبرز الناس للقتال، برز إبراهيمُ فى المقدمة، فقتل من العدو خَلْقًا كثيرًا، ثم اجتمعوا عليه، فقُتِل.

قال عبد الواحد: فلما أردنا الرجوعَ إلى البصرة قلت لأصحابى: «لا تُخبروا أُمَّ إبراهيم بخبر ولدها، حتى ألقاها بحسن العزاء، لئلا تجزعَ فيذهبَ أَجْرُها، قال: فلما وصلنا البصرة خرج الناسُ يَتَلَقَّوْنَنَا، وخرجت أم إبراهيم فيمن خرج، قال عبد الواحد: فلما نَظَرَتِ إلىَّ قالت: يا أبا عبيد، هل قُبلتْ منى هَدِيَّتى فَأُهَنَّأ، أم رُدَّتْ عَلَىَّ فَأُعَزَّى؟، فقلت لها: قد قُبلتْ هديتُكِ، إن إبراهيمَ حَىٌّ مع الأحياء يُرْزق[2]، قال: فخرت ساجدةً لله شكرًا،

---

(١) سورة التوبة: الآية: (١١١)

(٢) الصحيح أن يدعو له بالشهادة، أو يستثنى فيقول: إن شاء الله، انظر: «فتح البارى» (٦/ ٨٩).

وقالت: الحمد لله الذى لـم يُخيِّب ظنى، وتقبـل نُسكى منى، وانـصرفت، فلما كان من الغد أتت إلى مسجد عبد الواحد، فنادت: السلام عليك يا أبا عبيدٍ بُشْراك، فقال: لا زلتِ مُبَشَّرةً بالخير، فقالت له: رأيت البارحةَ ولـدى إبراهيم، فى روضة حسناء، وعليه قبةٌ خضراء، وهو على سرير من اللؤلؤ، وعلى رأسه تاجٌ وإكليل، وهو يقول: يا أُمَّاه أَبْشِرى، فقد قُبِلَ المهرُ، وزُفَّت العروس(١).



مهر الحوراء

۞ قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ مَنْصُورٍ: كُنْتُ فِى مَجْلِسِ أَبِى مَنْصُورٍ فَوَقَعَتْ رُقْعَةٌ فِى الْمَجْلِسِ، فَإِذَا فِيهَا بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، يَا أَبَا السَّرِىِّ أَنَا رَجُلٌ مِنْ إِخْوَانِكَ تُبْتُ عَلَى يَدَيْكَ وَأَنَا اشْتَرَيْتُ مِنَ اللهِ ﷻ حُورًا عَلَى صَدَاقِ ثَلَاثِينَ خَتْمَةً فَخَتَمْتُ مِنْهَا تِسْعًا وَعِشْرِينَ وَبينَمَا أَنَا فِى الثَّلَاثِينَ إِذْ حَمَلَتْنِى عَيْنَاىَ فَرَأَيْتُ كَأَنَّ حَوْرَاءَ خَرَجَتْ عَلَىَّ مِنَ الْمِحْرَابِ فَلَمَّا رَأَتْنِى أَنْظُرُ إِلَيْهَا أَنْشَأَتْ تَقُولُ بِرَخِيمِ صَوْتِهَا:

أَتَخْطُبُ مِثْلِى وَعَنِّى تَنَام ... وَنَوْمُ الْمُحِبِّينَ عَنَّا حَرَام

لِأَنَّا خُلِقْنَا لِكُلِّ امْرِئٍ ... كَثِيرِ الصَّلَاةِ بَرَاهُ الصِّيَام

فَانْتَبَهْتُ وَأَنَا مَذْعُورٌ.

---

(١) ذكر هذه القصة الشيخ محمود العالم ـ رحمه الله ـ فى مختصره: «فكاهة الأذواق من مشارع الأشواق، إلى مصارع العشاق، ومثير الغرام إلى دار السلام» ص (٢٦ – ٢٩)، للعلامة المجاهد أحمد بن إبراهيم النحاس ـ رحمه الله ـ نقلًا من عودة الحجاب / للشيخ محمد إسماعيل المقدم حفظه الله.

مواقف لبعض السلف تجاه الحور العين

۞ القصة الأولى:

يقول أحمد بن أبى الحوارى وهو تلميذ أبى سليمان الدارانى: دخلت على شيخى فرأيتُ فى وجهه سرورًا، يبتسم وهو بمفرده، وعليه مظاهر البهجة والفرح، فقلت: ما الذى حصل أيها الشيخ الكريم؟ قال: سأخبرك بشرط ألا تخبر به أحدًا بعدك إلا بعد موتى، قال: كنت نائمًا بعد الظهر فى القيلولة، وإذا بحورية أجمل من الشمس وأبهى من القمر تقول: أبا سليمان تخطبنى وتنام وأنا أُربَّى لك فى الخِدْر منذ خمسمائة سنة؟ يقول أبو سليمان: فوالله لا زال عذوبة حديثها وكلامها فى أذنى إلى الساعة، فأنا أستحضر هذه اللذة وهذه البهجة لهذه الحورية الجميلة الفاتنة الطيبة الخيِّرة الكريمة، فلذلك ترى علىَّ أثر هذه البهجة (١).

۞ القصة الثانية:

وقصة أخرى لمنصور بن عمار،... يقول عنه الذهبى: كان عديم النظير فى الوعظ والتذكير، يُرفع إليه ذات يوم رقعة مكتوب فيها من قِبل أحد تلاميذه فى مجالس وعظه يقول: اهتديت على يديك وبعد أن هدانى الله وشرح صدرى للحق نذرت أن أقرأ ثلاثين ختمة لأجل أن تكون مهرًا لحورية - يرجو من الله ذلك - فأكمل هذا العبد الصالح تسعة وعشرين ختمة ثم نام بعدها يريد أن يستأنف الختمة الثلاثين، فرأى الحورية وهى أجمل ما رآه ثم قالت: تخطبنى ولا تكمل المهر وتنام؟ ثم أنشدته بيتين من الشعر حفظهما عنها تقول:

(١) سنن أبى داود وحلية الأولياء جـ ٩ ص ٢٥٩، ترجمة أحمد بن أبى الحوارى.

أتخطُب مِثْلى وعنى تنامْ ونوم المحبين عنَّا حرام

لأنَّا خُلقنا لكل امرئٍ كثير الصلاة كثير الصيام[1]

۞ **وأختم بهذه القصة:**

يحكى الشيخ الدكتور سعيد بن مسفر الداعية المعروف بالديار السعودية - حفظه الله - فى أحد أشرطته عن الجنة... عن الثقات لديه أن شابًّا عمره ستة عشر عامًا كان يحفظ القرآن ويواظب على الحضور إلى المسجد، فمرض هذا الشاب وكان عمه يُمرضه فمات ذلك الشاب، فغطاه عمه الذى كان يسهر معه فى مرضه حتى تأتى صلاة الظهر فيخرج إلى الناس فيجهزونه معه للدفن، فغلبته عينه فنام، فرأى فى نومه ذلك امرأة تدخل عليه الحجرة ومعها نساء ما رأى أجمل منها فقالت له: نسألك بالله أن تقوم إلى هذا الشاب فتُغسله، فقال لها: مَن أنت ومَن معك؟ قالت له: نحن نساؤه من الحور العين؛ منذ فارق الدنيا ونحن على أحرِّ من الجمر فى انتظاره، وأنت تنام عنه ولا تُغسله، سألناك بالله إلا قمت وغسَّلت الشاب ودفنته.

يقول عمه: فاستيقظت وإذا بالغرفة أطيب ريح لم أشم مثلها قط، فخرجت إلى الناس ودعوتهم لتغسيل الشاب فدخلوا الغرفة، فقالوا ما هذه الريح الطيبة التى لم نشم مثلها قط، قال هذه ريح الحورية، وقَصَّ عليهم القصة... فاللهم ارحمه، وارحمنا معه.

---

(١) حلية الأولياء (٩/ ٣٢٦) ترجمة منصور بن عمار.

أبو سليمان الداراني والحوراء

۞ عن مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ سَعِيدٍ الْوَاسِطِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ أَحْمَدَ بْنَ أَبِى الْحَوَارِيِّ، يَقُولُ: قَالَ لِى أَبُو سُلَيْمَانَ: «يَا أَحْمَدُ إِنِّى مُحَدِّثُكَ بِحَدِيثٍ فَلاَ تُحَدِّثْ بِهِ حَتَّى أَمُوتَ، نِمْتُ ذَاتَ لَيْلَةٍ عَنْ وِرْدِى فَإِذَا أَنَا بِحَوْرَاءَ تُنَبِّهُنِى وَتَقُولُ: يَا أَبَا سُلَيْمَانَ تَنَامُ وَأَنَا أُرَبَّى لَكَ فِى الْخُدُورِ مُنْذُ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ»(١).

۞ وعن أحمد بن أبى الحوارى قال: سمعت أبا سليمان الدارانى يقول: «بينا أنا ساجد إذ ذهب بى النوم، فإذا أنا بها - يعنى الحوراء - قد ركَضَتْنى برجلها فقالت: حبيبى، أترقد عيناك والملك يقظان ينظر إلى المتهجدين فى تَهجُّدِهم؟ بؤسًا لعينٍ آثرت لذة نومة على لذة مناجاة العزيز، قُم فقد دنا الفراغ، ولقى المُحبون بعضهم بعضًا، فما هذا الرقاد، حبيبى وقرة عينى أترقد عيناك وأنا أُربَّى لك فى الخُدُور منذ كذا وكذا. فوثبتُ فرحًا، وقد عرقت استحياءً من توبيخها إياى، وإن حلاوة منطقها لفى سمعى وقلبى»(٢).

۞ وعن أحمد بن أبى الحوارى قال: دخلت على أبى سليمان الدارانى وهو يبكى، فقلت له: يا شيخ ما لك تبكى؟

فقال لى: يا أحمد زُجرت البارحة فى منامى.

قلت: فما الذى حَلَّ بك؟

قال: بينا أنا غفوت فى محرابى إذ وقفت علىَّ جارية تفوق الدنيا حُسنًا، وبيدها ورقة، وهى تقول: أتنام يا شيخ؟ فقلت: مَن غلبته عيناه نام. فقالت:

(١) الحلية (٩/ ٢٦٠).

(٢) تاريخ دمشق (٤٠/ ١٠٣).

كلا، إن طالب الجنة لا ينام، فقالت لى: أتقرأ؟.. فأخذت الورقة من يدها، فإذا فيها مكتوب:

أَلْهَتْكَ لَذَّةُ نَوْمَةٍ عَنْ خَيْرِ عَيْشٍ ... مَعَ الْخَيِّرَاتِ فِى غُرَفِ الْجِنَانِ

تَعِيشُ مُخَلَّدًا لا مَوْتَ فِيهِ ... وَتَنْعَمُ فِى الْجِنَانِ مَعَ الْحِسَانِ

تَيَقَّظْ مِنْ مَنَامِكَ إِنَّ خَيْرًا ... مِنَ النَّوْمِ التَّهَجُّدُ بِالْقُرآنِ[1]

(١) تاريخ دمشق (٤٠/ ١٠٤)

ستُقيم ثلاثًا ثم تُفطر عندنا في الليلة الثالثة

۞ هكذا قالت له زوجته الخالدة فى الجنة.

عن رافع بن عبد الله قال: قال لى هشام بن يحيى الكنانى: لأحدثنَّك حديثًا رأيته بعينى وشهدته بنفسى ونفعنى الله ﷻ به فعسى الله أن ينفعك به كما نفعنى، قلت: حدِّثنى يا أبا الوليد ... قال: غزونا أرض الروم فى سنة ثمانٍ وثلاثين وعلينا مَسلمة بن عبد الملك وعبد الله بن الوليد بن عبد الملك وهى الغزوة التى فتح الله ﷻ فيها الطوانة، وكنا رفقة من أهل البصرة وأهل الجزيرة فى موضعٍ واحد، وكنا نتناوب الخدمة والحراسة وطلب الزاد والعلوفات، وكان معنا رجل يقال له: سعيد بن الحارث ذو حظٍّ من عبادة يصوم النهار ويقوم الليل، وكنا نحرص أن نُخفف عنه من نوبته ونتولى ذلك فيأبى إلا أن يكون فى جميع الأمور بحيث لا يخلى شيئًا من عبادته، وما رأيته فى ليل ولا نهار إلا فى حال اجتهاد، فإن لم يكن وقت الصلاة أو كنا نسير لم يَفْتُر عن ذكر الله تعالى ودراسة القرآن،... قال هشام: فأدركنى وإياه النوبة ذات ليلة فى الحراسة ونحن محاصِرون حصنًا من حصون الروم قد استصعب علينا أمره فرأيت من سعيد فى تلك الليلة فى شدة الصبر على العبادة ما احتقرتُ معه نفسى وعجبتُ من قوة جسمه على ذلك، وعلمتُ أن الله يؤتى الفضل من يشاء، وأصبح كالًّا من التعب، فقلت له: يرحمك الله إن لنفسك عليك حقًّا، ولعينك عليك حقًّا، ولقد علمتُ أن رسول الله ﷺ قال: «**اكلَفُوا من العمل ما تُطيقون**»[1] وذكرتُ له شبه هذا من الأحاديث فقال لى: يا أخى إنما هى أنفاس تُعَدُّ وعُمرٌ يفنى وأيام تنقضى،

(١) رواه ابن ماجه، وأحمد، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (١٢٢٩).

وأنا رجل أرتقب الموت وأبادر خروج نفسى، فأبكانى جوابه ودعوت الله ﷻ له بالعون والتثبيت، ثم قلت له: نَمْ قليلًا تستريح فإنك لا تدرى ما يحدث من أمر العدو فإن حدث شىء كنت نشيطًا ... فنام إلى جانب الخباء وتفرَّق أصحابنا فمنهم مَن هو فى القتال، ومنهم من هو فى غير ذلك، وأقمتُ فى موضعى أحرس رحالهم، وأُصلح لهم طعامهم فبينما أنا كذلك إذ سمعت كلامًا فى الخِباء وعجبت مع أنه ليس فيه غير سعيد نائمًا وظننت أن أحدًا دخله ولم أره فدخلت فلم أجد أحدًا غيره وهو نائم بحاله إلا أنه يتكلم ويضحك فى نومه فأصغيت إليه وحفظت من كلامه ما أحب أن أرجع، ثم مدّ يده اليمنى كأنه يأخذ شيئًا ثم ردَّها بلطفٍ وهو يضحك ثم قال: «فالليلة» ثم وثب من نومه وثبة استيقظ لها وهو يرتعد فاحتضنته إلى صدرى مدة، وهو يلتفت يمينًا وشمالًا حتى سكن وعاد له فَهمُه وجعل يُهلل ويكبر ويحمد الله تعالى، فقلت له يا أخى: ما شأنك؟ فقال: خير يا أبا الوليد، قلت: إنى قد رأيت منك شيئًا وسمعت منك كلامًا فى نومك فحدِّثنى بما رأيت. فقال: أَوَ تعفينى من ذلك، فذكَّرته حق الصحبة، فقلت حدثنى يرحمك الله، فعسى الله أن يجعل لى فى ذلك عظة وخيرًا. فحدَّثه عما رأى فى منامه من قول رجلين له لم يَرَ قط مثل صورتهما كمالًا وحُسنًا: يا أبا سعيد أبشر فقد غُفِر ذنبك وشُكِر سعيك وقُبِل عملك واستُجِيب دعاؤك وعُجلت لك البشرى فى حياتك فانطلق معنا حتى نُريك ما أعد الله لك من النعيم.

وظل سعيد يروى ما رأى من القصور والحور وترحيبهن به، والجوارى حتى انتهى إلى سريرٍ عليه واحدة من الحور العين كأنها اللؤلؤ المكنون

فقالت له: قد طال انتظارنا إياك، فقلت لها: أين أنا؟ قالت: فى جنة المأوى. فقلت: ومن أنتِ؟ قالت: أنا زوجتك الخالدة. قال: فمددت يدى إليها فردَّتها بلُطفٍ وقالت: أما اليوم فلا. إنك راجع إلى الدنيا، فقلت: ما أحبُّ أن أرجع. فقالت: لابد من ذلك وستقيم ثلاثًا ثم تُفطر عندنا فى الليلة الثالثة إن شاء الله تعالى. فقلت: فالليلة الليلة، قالت: إنه كان أمرًا مقضيًّا، ثم نهضت عن مجلسها ووثبتُ لقيامها فإذا أنا قد استيقظت، قال هشام: فقلت: يا أخى، أَحدِثْ لله شكرًا فقد كشف لك عن ثواب عملك، فقال لى: هل رأى أحد غيرك مثلما رأيت منى، فقلت: لا. فقال: أسألك بالله ﷻ إلا سترت علىَّ ما دُمتُ حيًّا، فقلت: نعم. فقال: ما فعل أصحابنا فقلت: بعضهم فى القتال وبعضهم فى الحوائج فقام فتطهر واغتسل ومسَّ طِيبًا وأخذ سلاحه وسار إلى موضع القتال وهو صائم فلم يزل يقاتل حتى الليل، وانصرف أصحابه وهو فيهم، فقالوا لى: يا أبا الوليد لقد صنع هذا الرجل شيئًا ما رأيناه صنع مثله قط ولقد حرص على الشهادة وطرح نفسه تحت سهام العدو وحجارتهم وكل ذلك ينبو عنه، فقلت فى نفسى: لو تعلمون شأنه لتنافستم فى مثل صنيعه، قال: وأفطر على شىء من الطعام وبات ليلته قائمًا وأصبح فصنع كصنيعه بالأمس، وانصرف من آخر النهار فذكر عنه أصحابه مثلما ذكروه بالأمس، حتى إذا كان اليوم الثالث وقد مضت ليلتان انطلقت معه وقلت: لابد أن أشهد أمره وما يكون منه، فلم يزل يُلقى نفسه تحت مكايد العدو نهاره كله ولا يصل إليه شىء وهو يؤثر فيهم الآثار، وأنا أرعاه من بعيد لا أستطيع الدنو منه، حتى إذا نزلت الشمس للغروب وهو أنشط ما كان فإذا برجل من فوق حائط الحصن قد تعمَّده

بسهمٍ فوقع فى نحره فخرَّ صريعًا وأنا أنظر إليه، فصحت بالناس فابتدروه واجتذبوه وبه رمق وجاءوا به يحملونه فلما رأيته قلت له: هنيئًا لك بما تفطر الليلة يا ليتنى كنت معك! فعضَّ شفته السفلى، وأومأ إلىَّ ببصره وهو يضحك يعنى اكتم أمرى حتى أموت. ثم قال: الحمد لله الذى صدقنا وعده فوالله ما تكلم بشىء غيرها، ثم قضى (أى: مات) رحمه الله قال هشام: فقلت بأعلى صوتى: يا عباد الله لمثل هذا فليعمل العاملون، اسمعوا ما أخبركم به عن أخيكم هذا، فاجتمع الناس إلىَّ فحدثتهم بالحديث على وجهه فما رأيت قط أكثر من تلك الساعة باكيًا، ثم كبَّروا تكبيرة اضطرب لها العسكر، وأقبلوا للصلاة عليه،وبلغ ذلك مَسلمة بن عبد الملك فقال: يصلى صاحبه الذى عرف من أمره ما عرف ... قال هشام: فصليت عليه ودفنَّاه فى موضعه، وبات الناس يذكرون حديثه ويحرض بعضهم بعضًا ثم أصبحوا فنهضوا إلى الحصن بنياتٍ مُجدَّدة وقلوبٍ مشتاقة إلى لقاء الله عز وجل فما أضحى النهار حتى فتح الله الحصن ببركته رحمه الله تعالى[1].

***

(١) فكاهة الأذواق ص (٨٦) اختصار محمود العالم.

عبد الواحد بن زيد.. والحوراء

۞ قال عبد الواحد بن زيد:

أصابتنى علّة فى ساقى، فكنت أتحامل عليها للصلاة. فقمت عليها من الليل، فأُجهدت وجعًا فجلست، ثم لففت إزارى فى محرابى، ووضعت رأسى عليه فنمت، فبينما أنا كذلك إذا بجارية تفوق الدُّمى حُسنًا تخطر بين جوارٍ مُزيّنات حتى وقفت علىَّ وهنّ خَلْفها، فقالت لبعضهن: ارفعنه ولا تُهجنه فأقبلن نحوى، فاحتملننى عن الأرض، وأنا أنظر إليهن فى منامى، ثم قالت لغيرهن من الجوارى اللائى معها: افرشنه ومهِّدنه ووطئن له ووسِّدنه.

قال: ففرشن تحتى سبع حشايا لم أرَ لهن فى الدنيا مثلًا، ووضعن تحت رأسى مرافق خُضرًا حِسانًا، ثم قالت للائى حملْننى: اجعلْنه على الفُرش رويدًا لا تهيجّنه. قال: فجُعلت على تلك الفرش، وأنا أنظر إليها وما تأمر به من شأنى، ثم قالت: أحففنه بالريحان قال: فأُتى بياسمين فحفّتْ به الفُرش، ثم قامت إلىَّ فوضعت يدها على علّتى التى كنت أجد فى ساقى، فمسحتْ ذلك المكان بيدها، ثم قالت: قُم شفاك الله إلى صلاتك غير مضرور .... قال: فاستيقظتُ والله كأنى قد أُنشِطت من عقال، فما اشتكيت تلك العلة ليلتى تلك، ولا ذهبت حلاوة منطقها من قلبى: قم شفاك الله إلى صلاتك غيرَ مضرور[1].

---

(١) صفة الصفوة (٣/ ٣٢٣).

قد قبلها الله منه وزوجه عروسًا في الجنة

۞ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: «قَحطَ الْمَطَرُ عَلَى عَهْدِ أَبِى بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه، فَاجْتَمَعَ النَّاسُ إِلَى أَبِى بَكْرٍ رضي الله عنه، فَقَالُوا: السَّمَاءُ لَمْ تُمْطِرْ، وَالْأَرْضُ لَمْ تَنْبُتْ، وَالنَّاسُ فِى شِدَّةٍ شَدِيدَةٍ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ: انْصَرِفُوا وَاصْبِرُوا فَإِنَّكُمْ لَا تُمْسُونَ حَتَّى يُفَرِّجَ اللهُ عز وجل عَنْكُمْ، فَمَا لَبِثْنَا إِلَّا قَلِيلًا أَنْ جَاءَ أُجَرَاءُ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رضي الله عنه مِنَ الشَّامِ، فَجَاءَتْهُ مِائَةُ رَاحِلَةٍ بُرًّا، أَوْ قَالَ: طَعَامًا، فَاجْتَمَعَ النَّاسُ إِلَى بَابِ عُثْمَانَ رضي الله عنه، فَقَرَعُوا عَلَيْهِ الْبَابَ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ عُثْمَانُ رضي الله عنه فِى مَلَأٍ مِنَ النَّاسِ، فَقَالَ: مَا تَشَاءُونَ؟ قَالُوا: الزَّمَانُ قَدْ قَحَطَ، السَّمَاءُ لَا تُمْطِرُ، وَالْأَرْضُ لَا تَنْبُتُ، وَالنَّاسُ فِى شِدَّةٍ شَدِيدَةٍ، وَقَدْ بَلَغَنَا أَنَّ عِنْدَكَ طَعَامًا فَبِعْنَاهُ حَتَّى تُوَسِّعَ عَلَى فُقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ قَالَ عُثْمَانُ: حُبًّا وَكَرَامَةً، ادْخُلُوا فَاشْتَرُوا، فَدَخَلَ التُّجَّارُ فَإِذَا الطَّعَامُ مَوْضُوعٌ فِى دَارِ عُثْمَانَ رضي الله عنه، فَقَالَ: يَا مَعَاشِرَ التُّجَّارِ، كَمْ تُرْبِحُونِى عَلَى شِرَائِى مِنَ الشَّامِ؟ قَالُوا: لِلْعَشَرَةِ اثْنَا عَشَرَ، فَقَالَ عُثْمَانُ رضي الله عنه: قَدْ زَادُونِى، قَالُوا: لِلْعَشَرَةِ أَرْبَعَةَ عَشَرَ، فَقَالَ عُثْمَانُ: قَدْ زَادُونِى، قَالُوا: لِلْعَشَرَةِ خَمْسَةَ عَشَرَ قَالَ عُثْمَانُ: قَدْ زَادُونِى قَالَ التُّجَّارُ: يَا أَبَا عَمْرٍو، مَا بَقِىَ فِى الْمَدِينَةِ تُجَّارٌ غَيْرُنَا، فَمَنْ ذَا الَّذِى زَادَكَ؟ فَقَالَ: زَادَنِى اللهُ عز وجل بِكُلِّ دِرْهَمٍ عَشَرَةً، أَعِنْدَكُمْ زِيَادَةٌ؟ فَقَالُوا: اللَّهُمَّ لَا. قَالَ: فَإِنِّى أُشْهِدُ اللهَ أَنِّى قَدْ جَعَلْتُ هَذَا الطَّعَامَ صَدَقَةً عَلَى فُقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ.

فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: فَرَأَيْتُ مِنْ لَيْلَتِى رَسُولَ اللهِ ﷺ يَعْنِى فِى الْمَنَامِ وَهُوَ عَلَى بِرْذَوْنٍ أَبْلَقَ، وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ مِنْ نُورٍ، فِى رِجْلَيْهِ نَعْلَانِ مِنْ نُورٍ، وَبِيَدِهِ قَضِيبٌ مِنْ نُورٍ، وَهُوَ مُسْتَعْجِلٌ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، لَقَدِ اشْتَدَّ شَوْقِى إِلَيْكَ

وَإِلَى كَلَامِكَ، فَأَيْنَ تُبَادِرُ؟ قَالَ: «يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، إِنَّ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ وَإِنَّ اللهَ ﷻ قَدْ قَبِلَهَا مِنْهُ، وَزَوَّجَهُ بِهَا عَرُوسًا فِي الْجَنَّةِ، وَقَدْ دُعِينَا إِلَى عُرْسِهِ»[1].

رأى زوجتيه من الحور العين

۞ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ قَالَ: «قَالَ رَجُلٌ وَنَحْنُ نَسِيرُ بِأَرْضِ الرُّومِ: أَخْبِرْ أَبَا حَازِمٍ شَأْنَ صَاحِبِنَا الَّذِي رَأَى فِي الْعِنَبِ مَا رَأَى. فَقَالَ الرَّجُلُ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ: أَخْبِرْهُ أَنْتَ، فَقَدْ سَمِعْتُ مِنْهُ الَّذِي سَمِعْتَ.

قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ يَزِيدَ: فَمَرَرْنَا بِكَرْمٍ، فَقُلْنَا لَهُ: خُذْ هَذِهِ السَّفْرَةَ فَامْلَأْهَا مِنْ هَذَا الْعِنَبِ، ثُمَّ أَدْرِكْنَا بِهِ فِي الْمَنْزِلِ. قَالَ: فَلَمَّا دَخَلَ الْكَرْمَ، نَظَرَ إِلَى امْرَأَةٍ عَلَى سَرِيرٍ مِنْ ذَهَبٍ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ، فَغَضَّ عَنْهَا بَصَرَهُ، ثُمَّ نَظَرَ فِي نَاحِيَةِ الْكَرْمِ، فَإِذَا هُوَ بِأُخْرَى مِثْلِهَا، فَغَضَّ عَنْهَا، فَقَالَتْ لَهُ: انْظُرْ، فَقَدْ حَلَّ لَكَ النَّظَرُ، فَإِنِّي وَالَّذِي رَأَيْتَ زَوْجَتَاكَ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ، وَأَنْتَ آتِينَا مِنْ يَوْمِكَ هَذَا، فَرَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ، وَلَمْ يَأْتِهِمْ بِشَيْءٍ. فَقُلْنَا لَهُ، مَا لَكَ أَجُنِنْتَ؟ وَرَأَيْنَا بِهِ حَالًا غَيْرَ الْحَالِ الَّتِي فَارَقْنَا عَلَيْهَا مِنْ نُورِ وَجْهِهِ وَحُسْنِ حَالِهِ، فَسَأَلْنَاهُ مَا مَنَعَكَ مِنْ ذَلِكَ؟ فَاسْتَعْجَمَ عَلَيْنَا، حَتَّى أَقْسَمْنَا عَلَيْهِ، فَقَالَ: إِنِّي لَمَّا دَخَلْتُ الْكَرْمَ. (فَقَصَّ الْقِصَّةَ)، فَمَا أَدْرِي أَكَانَ ذَلِكَ أَسْرَعَ أَنِ اسْتُنْفِرَ النَّاسَ لِلْغَزْوِ، فَأَمَرْنَا بِهِ إِنْسَانًا يُمْسِكُ دَابَّتَهُ عَلَيْنَا حَتَّى أَسْرَجْنَا جَمِيعًا، ثُمَّ رَكِبَ وَرَكِبْنَا رَجَاءَ أَنْ يُصِيبَ الشَّهَادَةَ، فَتَقَدَّمَ بَيْنَ أَيْدِينَا، فَكَانَ أَوَّلَ النَّاسِ اسْتُشْهِدَ رَحِمَهُ اللهُ»[2].

---

(١) انظر «الرقة والبكاء» لابن الجوزي (ص/ ١٣٥-١٣٦).

(٢) أخرجها ابن المبارك في الجهاد (١٤٣).

ما زال يُزوَّج بالحور العين

۞ عن العباس بن محمد بن عبد الرحمن الأشهلى: حدثنى أبى، عن ابن نمير قال: كان لى ابن أخت سمَّته أختى،باسم أبى نمير، وكان من نُساك أهل الكوفة، وقد سمع سماعًا حسنًا، وكان حسن الطهور، حسن الصلاة، يراعى الشمس للزوال ... قال: فعرض له فذهب عقله، فكان لا يؤيه سقف بيت، إذا كان بالنهار فهو بالجبّانة،وإذا كان بالليل ففى السطح قائمًا على رجليه فى البرد والمطر والريح.

فنزل يومًا مبكرًا يريد المقابر، فقلت: يا نمير تنام ؟ قال: لا. قلت: أى شيء العلة التى تمنعك من النوم؟ قال: هذا البلاء الذى تراه، فقلت: يا نمير أما تخاف الله ﷻ قال: بلى.وقال: أليس يقال: «**أشد الناس بلاءً الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل؟**»[1] قال: قلت له: أنت أعلم منّى. قال: كلا ومضى.

قال: وصعدت إليه ليلة باردة، وهو قائم فى السطح، وأمه قائمة تبكى، فقلت: يا نمير بقى منك شيء لم تنكره؟ قال: نعم. قلت: ما هو؟ قال: حب الله ﷻ وحب رسوله ﷺ.

قال: وصعدت إليه ليلة فى رمضان، فقلت له: يا نمير لم أفطر. قال: ولِمَ؟ قلت: أحب أن تراك أختى تأكل معى، قال: أفعل. قال: فأُصعد إلينا طعام، فجعل يأكل معى حتى فرغت وفرغ، فلما أردت أن أقوم رحمته من أن يرانى مُولّيًا وهو فى الظُّلمة والريح، فبكيت، فقال: ما يبكيك رحمك الله؟ قلت له: أنزل إلى الكنّ والضوء، وأَدَعك فى الظُّلمة والبرد؟ فغضب،

---

(١) صحيح: رواه أحمد، وابن ماجه، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٩٩٢).

وقال لى: إن لى ربًّا هو أرحم بى منك، وأعلم بما يُصلحنى، فدعه يُصرفنى كيف يشاء، فإنى لا أتهمه فى قضائه. فقلت له: لئن كنت فى ظلمة الليل إن جدّك فى ظلمة اللحد، أريد أن أعزيه وأطيب نفسه، فقال لي: ما جُعل روح رجل صالح مثل روح رجل متلوث، ثم قال لى: أتانى البارحة أبى وأبوك عبد الله بن نمير، فوقف ثم أشار إلى موضع كان أبى يصلى فيه، فقال لى: يا نمير أما إنك ستأتينا يوم الجمعة شهيدًا.

قال: فدعوت أمه، فصعدت إلىَّ فأخبرتها بما قال: فقالت: والله ما جرّبت عليه كذبًا، وما هذا مما كان يتكلم به، وما قال إلا حقًّا.

قال: وقال هذه المقالة عشية الأربعاء،فجعلنا نتعجب، ونقول: غدًا الخميس،وبعد غد الجمعة، فهبه مرض غدًا،ومات بعد غدٍ فأين الشهادة؟.

فلما كانت ليلة الجمعة فى وسط الليل سمعنا هَدَّة، فإذا هو قد هاج به ما كان يهيج، فبادر الدرجة، فزلَّت قدمه، فسقط منها، فاندقّت عُنقه، فحفرتُ له إلى جنب أبى ودفنته، وانكببت على قبر أبى، فقلت: يا أبتِ قد أتاك نمير وجاورك، فوالله ما قلت هذه المقالة إلا لما كان فى قلبى من الغم، ثم انصرفت فلما كان الليل رأيت أبى فى النوم كأنه قد دخل علىَّ من باب البيت، فقال لى: يا بنى جزاك الله خيرًا لقد آنستنى بنمير، اعلم أنه منذ أتيتمونا به إلى أن جئتك يُزوَّج بالحور[1].

---

(١) صفة الصفوة (٣/ ١١٠-١١١).

بالله لا تحبسه عنَّا إلى الظهر

۞ عن ابن أخى جويرية بن أسماء قال:

كنا بعبادان فَقَدِم علينا شاب من أهل الكوفة متعبد فمات بها فى يومٍ شديد الحر.

فقلت: نُبرِّد ثم نأخذ فى جهازه فنمت فرأيت كأنى فى المقابر فإذا بقُبة جوهر تتلألأ حُسنًا وأنا أنظر إليها إذا انفلَّت فأشرفت منها جارية ما رأيت مثل حُسنها فأقبلت علىَّ.

فقالت: بالله لا تحبسه عنَّا إلى الظهر، قال:

فانتهيت فزعًا وأخذت فى جهازه وحفرت له قبرًا فى الموضع.

مع الحوراء

۞ قال مُضَرُ الْقَارِئ: كَانَ رَجُلٌ من العُبَّاد قَلَّ مَا يَنَامُ مِنَ اللَّيْلِ، فَغَلَبَتْهُ عَيْنُهُ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَنَامَ عَنْ جُزْئِهِ، فَرَأَى فِيمَا يَرَى النَّائِمُ جَارِيَةً كَأَنَّ وَجْهَهَا الْقَمَرُ الْمُسْتَتِمُّ وَمَعَهَا رِقٌّ فِيهِ كِتَابٌ، فَقَالَتْ لِى: تَقْرَأُ لِى هَذَا الْكِتَابَ؟

قَالَ: فَأَخَذْتُهُ مِنْ يَدِهَا، فَفَتَحْتُهُ؛ فَإِذَا فِيهِ مَكْتُوبٌ:

أَلْهَتْكَ لَذَّةُ نَوْمَةٍ عَنْ خَيْرِ عَيْشٍ ... مَعَ الْخَيِّرَاتِ فِى غُرَفِ الْجِنَانِ

تَعِيشُ مُخَلَّدًا لا مَوْتَ فِيهِ ... وَتَنْعَمُ فِى الْجِنَانِ مَعَ الْحِسَانِ

تَيَقَّظْ مِنْ مَنَامِكَ إِنَّ خَيْرًا ... مِنَ النَّوْمِ التَّهَجُّدُ بِالقُرآنِ

قَالَ: فَوَاللهِ مَا ذَكَرْتُهَا قَطُّ إِلَّا ذَهَبَ عَنِّى النَّوْمُ(١).

---

(١) الفوائد للخلدى (ص/ ٢٥).



سألناك بالله إلا قمت وغسَّلت الشاب ودفنته

۞ يحكى الشيخ الدكتور سعيد بن مسفر الداعية المعروف بالديار السعودية - حفظه الله - فى أحد أشرطته عن الجنة... عن الثقات لديه أن شابًّا عمره ستة عشر عامًا كان يحفظ القرآن ويواظب على الحضور إلى المسجد، فمرض هذا الشاب وكان عمه يُمرِّضه فمات ذلك الشاب، فغطَّاه عمه الذى كان يسهر معه فى مرضه حتى تأتى صلاة الظهر فيخرج إلى الناس فيجهزونه معه للدفن، فغلبته عينه فنام، فرأى فى نومه ذلك امرأة تدخل عليه الحجرة ومعها نساء ما رأى أجمل منها فتقول له: نسألك بالله أن تقوم إلى هذا الشاب فتُغسله، فقال لها: مَن أنت ومَن معك؟ قالت له: نحن نساؤه من الحور العين؛ منذ فارق الدنيا ونحن على أحرٍّ من الجمر فى انتظاره، وأنت تنام عنه ولا تُغسله، سألناك بالله إلا قمت وغسَّلت الشاب ودفنته .... يقول عمه: فاستيقظت وإذا بالغرفة أطيب ريح ولم أشم مثلها قط، فخرجت إلى الناس ودعوتهم لتغسيل الشاب فدخلوا الغرفة، فقالوا: ما هذه الريح الطيبة التى لم نشم مثلها قط، قال: هذه ريح الحورية، وقَصَّ عليهم القصة.... فاللهم ارحمه، وارحمنا معه.

استقبال الحور العين

۞ عن يحيى بن أبى كثير قال: «إن الحور العين يتلقين أزواجهن عند أبواب الجنة، فيقلن: طال ما انتظرناكم... فنحن الراضيات فلا نسخط، والمقيمات فلا نظعن، والخالدات فلا نموت... بأحسن أصوات سُمعت وتقول: أنت حِبى وأنا حبك وليس دونك تقصير ولا وراءك معدل».

وعن ابن عباس قال: «كنا جلوسًا مع كعب يومًا فقال: لو أن يدًا من الحور دُلِّيت من السماء، لأضاءت لها الأرض كما تضىء الشمس لأهل الدنيا، ثم قال: إنما قلت: يدها، فكيف بالوجه وبياضه وحُسنه وجماله!!».

وقال عطاء السلمى لمالك بن دينار: «يا أبا يحيى شوّقنا، قال: يا عطاء إن فى الجنة حوراء يتباهى أهل الجنة بحسنها لولا أن الله تعالى كتب على أهل الجنة أن لا يموتوا لماتوا من حُسنها، فلم يزل عطاء كمدًا من قول مالك».

وقال ابن أبى الحوارى: سمعت أبا سليمان يقول: «ينشأ خلق الحور العين إنشاء، فإذا تكامل خلقهن ضرب عليهن الملائكة الخيام».

وعن سعيد بن جبير، قال: سمعت ابن عباس يقول: «لو أن حوراء أخرجت كفَّها بين السماء والأرض لافتتن الخلائق بحسنها، ولو أخرجت نصيفها لكانت الشمس عند حسنها مثل الفتيلة فى الشمس لا ضوء لها، ولو أخرجت وجهها لأضاء حُسنها ما بين السماء والأرض».

وقال الأوزاعى عن يحيى بن أبى كثير: «إذا سبّحت المرأة من الحور العين لم يبقَ شجرة فى الجنة إلا ردّت».

دلال الحور العين

رُوى عن الحسن رضي الله عنه أنه قال: «بينما ولى الله فى الجنة مع زوجته من الحور العين على سرير من ياقوت أحمر وعليه قبة من نور، إذ قال لها: قد اشتقت إلى مشيتك، قال: فتنزل من سرير ياقوت أحمر إلى روضة مرجان أخضر، وينشئ الله عز وجل لها فى تلك الروضة طريقين من نور، أحدهما نبت الزعفران، والآخر نبت الكافور، فتمشى فى نبت الزعفران، وترجع فى نبت الكافور، وتمشى بسبعين ألف لون من الغنج[1].

يا ولى الله! أما لنا فيك من دولة؟

قال ابن عباس رضي الله عنهما: وذلك أن ولى الله فى الجنة على سرير والسرير ارتفاعه خمسمائة عام، وهو قول الله عز وجل: ﴿ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴾[2].

قال: والسرير من ياقوت أحمر وله جناحان من زُمرد أخضر، وعلى السرير سبعون فراشًا حشوها النور، وظواهرها السندس، وبطائنها من استبرق، ولو دلّى أعلاها فراشًا ما وصل إلى آخرها مقدار أربعين عامًا.

وعلى السرير أريكة وهى الحَجلة وهى من لؤلؤة عليها سبعون سترًا من نور، وذلك قوله عز وجل: ﴿ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴾[3] يعنى ظلال الأشجار، ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ﴾ يعنى الأَسِرَّة فى الحجال، فبينما هو معانقها لا تمل منه ولا يمل منها والمعانقة أربعين عامًا، فإذا رفع رأسه فإذا هو بأخرى متطلعة تناديه: يا ولى الله أما لنا فيك من دولة؟ فيقول: حبيبتى

(١) بستان الواعظين ورياض السامعين لابن الجوزى (ص:١٣٧).

(٢) سورة الواقعة: الآية: (٣٤).

(٣) سورة يس: الآية: (٥٦).

من أنت؟ فتقول: أنا من اللواتى قال الله فيهن: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾[1].

قال: فيطير سريره، أو قال كرسى من ذهب له جناحان، فإذا رآها فهى تضعف على الأولى بمائة ألف جزء من النور فيعانقها مقدار أربعين عامًا لا تملّ منه ولا يملّ منها، فإذا رفع رأسه رأى نورًا ساطعًا فى داره، فيعجب فيقول: سبحان الله أمَلَك كريم زارنا؟ أَمْ ربنا أشرف علينا؟ فيقول الملك وهو على الكرسى من نور بينه وبين الملك سبعون عامًا، والملك فى حجبته فى الملائكة: لم يزرك ملك ولم يُشرف عليك ربك ﷻ، فيقول: ما هذا النور؟.

فيقول الملك: إنها زوجتك الدنيوية وهى معك فى الجنة، وإنها اطَّلعت عليك ورأتك معانقًا لهذه فتبسمت فهذا النور الساطع الذى تراه فى دارك هو نور ثناياها، فيرفع رأسه إليها فتقول: يا ولى الله أما لنا فيك من دولة؟ فيقول: حبيبتى من أنت؟ فتقول له: يا ولى الله أما أنا فمن اللواتي قال الله ﷻ فيهن: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾[2] قال: فيطير سريره إليها، فإذا لقيها فهى تضعف عن هذه الأخرى بمائة ألف جزء من النور؛ لأن هذه صامت وصلَّت وعبدت الله ﷻ، فهى إذا دخلت الجنة أفضل من نساء الجنة؛ لأن أولئك أُنبتن نباتًا، فيعانق هذه مقدار أربعين عامًا لا تمل منه ولا يمل منها، ثم إنها تقوم بين يديه وخلاخلها من ياقوت، فإذا وطئت يسمع من خلاخلها صوت صفير كل طير فى الجنة، فإذا مَسَّ كفها كان ألين من المخ، ويشم من كفها رائحة طيب الجنة، وعليها سبعون حُلة من نور لو

---

(١) سورة ق: الآية: (٣٥).

(٢) سورة السجدة: الآية: (١٧).

نشر الرداء منها لأضاء ما بين المشرق والمغرب، خُلقت من نور، والحلل عليها أسورة من ذهب، وأسورة من فضة، وأسورة من لؤلؤ، وتلك الحلل أرقّ من نسج العنكبوت، وهو أخف عليها من النقش، وأنه يرى مخ ساقها من صفائها ورقتها من وراء العظم واللحم والجلد والحُلل، مكتوب على ذراعها اليمين بالنور ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ﴾[1]، وعلى الذراع الآخر مكتوب بالنور ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾[2][3].

طوبى لك يا لعبة !!!

ذكر الأوزاعى عن حسان بن عطية عن ابن مسعود أنه قال: «إن فى الجنة حوراء يقال لها اللعبة، كل حور الجنات يعجبن بها يضربن بأيديهن على كتفها ويقلن: طوبى لك يا لعبة، لو يعلم الطالبون لك لجدُّوا فى طلبك... بين عينيها مكتوب: مَن كان يبتغى أن يكون له مثلى فليعمل برضاء ربى».

---

(١) سورة الزمر: الآية: (٧٤).

(٢) سورة فاطر: الآية: (٣٤).

(٣) بستان الواعظين ورياض السامعين لابن الجوزى (ص:١٤٠-١٤١).

الحور العين تطلبك من الله ﷻ

قال ﷺ: «**لا تؤذى امرأة زوجها فى الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين لا تؤذيه قاتلك الله، فإنما هو عندك دخيل يوشك أن يفارقك إلينا**»[١].

- والمؤمن إذا دخل الجنة يكرمه الله ﷻ بزوجتين من الحور العين... وهذا هو الذى أخبر عنه الحق جل وعلا بقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا﴾[٢]... فالنُّزُل هو ما أُعد للضيف.

وهذا الأمر لا يتعارض مع كون عدد الأزواج قد يصل إلى سبعين أو أكثر، فإن الله يكرم المؤمن بالزوجتين عند دخول الجنة ثم يكرمه بعد ذلك بزوجات على قدر منزلته فى الجنة... والله أعلم.

وذكر ابن أبى الدنيا عن أبى سليمان الدارانى قال: كان شابٌّ بالعراق يتعبد فخرج مع رفيق له إلى مكة فكان إن نزلوا فهو يصلى وإن أكلوا فهو صائم، فصبر عليه رفيقه ذاهبًا وجائيًا، فلما أراد أن يفارقه قال له: يا أخى أخبرنى ما الذى هيّجك إلى ما رأيت؟ قال: رأيت فى النوم قصرًا من قصور الجنة، وإذا لبنة من فضة ولبنة من ذهب، فلما تم البناء إذا شرافة من زبرجدة وشرافة من ياقوت، وبينهما حوراء من حور العين مرخية شعرها، عليها ثوب من فضة ينثنى معها كلما تثنَّت، فقالت: جِدّ إلى الله فى طلبى، فقد والله جددت إليه فى طلبك...، فهذا الذى تراه فى طلبها. قال أبو سليمان: هذا فى طلب حوراء فكيف بمن قد طلب ما هو أكثر منها؟![٣]

(١) صحيح: رواه الترمذى (١١٧٤) كتاب الرضاع، وابن ماجه (٢٠١٤) كتاب النكاح، وأحمد (٥/ ٢٤٢)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى الصحيحة (١٧٣).

(٢) سورة الكهف: الآية: (١٠٧).

(٣) حادى الأرواح (ص:٣١٦).

هكذا تكون الزوجة

۞ قال الشعبى: قال لى شريح: يا شعبى، عليك بنساء بنى تميم، فإنى رأيت لهن عقولًا.

قال: وما رأيت من عقولهن؟

قال: أَقْبَلْتُ من جنازة ظُهرًا فمررت بدُورِهم، فإذا أنا بعجوزٍ على باب دار، وإلى جنبها جارية كأحسن ما رأيت من الجوارى، فعدلت، فاستسقيت وما بى عطش.

فقالت: أى الشراب أحبُّ إليك؟

فقلت: ما تيسَّر.

قالت: ويحك يا جارية! ائتيه بلبن؛ فإنى أظن الرجل غريبًا.

قلت: مَن هذه الجارية؟

قالت: هذه زينب ابنة جرير، إحدى نساء حنظلة.

قلت: فارغة أم مشغولة.

قالت: بل فارغة.

قلت: زوِّجنيها.

قالت: إن كنت لها كفئًا ... فمضيت إلى المنزل فذهبت لأقيل، فامتنعت منى القائلة، فلما صليت الظهر أخذت بأيدى إخوانى من القُراء الأشراف: علقمة، والأسود، والمسيب، وموسى بن عرفطة، ومضيت أريد عمها، فاستقبل.

فقال: يا أبا أمية، حاجتك؟

قلت: زينب بنت أخيك؟

قال: ما بها رغبة عنك ... فأنكَحَنيها.

فقلت: إن من السُّنة إذا دخلت المرأة على زوجها أن يقوم فيصلى ركعتين، فيسأل الله من خيرها، ويعوذ من شرها، فصليت وسلَّمت، فإذا هى من خلفى تصلى بصلاتى، فلما قضيت صلاتى أتتنى جواريها، فأخذن ثيابى، وألبسننى ملحفة قد صبغت فى عكر العصفر.

فلما خلا البيت دنوت منها، فمددت يدى إلى ناحيتها.

فقالت: على رِسْلِك أبا أمية[1]! كما أنت!

ثم قالت: الحمد لله، أحمده وأستعينه، وأصلى على محمدٍ وآله، إنى امرأة غريبة عنك لا علم لى بأخلاقك، فبيِّن لى ما تحب فآتيه، وما تكره فأزدَجِر عنه.

وقالت: إنه قد كان لك فى قومك مَن هي كُفءٌ لك، وفى قومى مثل ذلك، ولكن إذا قضى الله أمرًا كان، وقد ملكت فاصنع ما أمرك الله به ﴿فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖ﴾[2]. أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولك.

قال: فأحوجتنى والله يا شعبى إلى الخُطبة فى ذلك الموضع.

فقلت: الحمد لله، أحمده وأستعينه، وأصلى على النبى وآله وأُسَلِّم، وبعد، فإنك قد قلتِ كلامًا إن تثبتى عليه يكن ذلك حَظَّكِ، وإن تدَّعيه يكن حُجةً عليك ... أما إني أحب كذا، وأكره كذا، ونحن جميع فلا تفرقى، وما رأيتِ من حسنة فانشريها، وما رأيتِ من سيئة فاستريها.

---

(١) أي: انتظر وتمهَّل.

(٢) سورة البقرة: الآية: (٢٢٩).

قالت: كيف محبتك لزيارة الأهل؟

قلت: ما أُحِبُّ أن يَمَلَّنى أصهارى.

قالت: فمن تحب من جيرانك أن يدخل دارك آذن لهم، ومن تكرهه أكرهه؟

قلت: بنو فلان قوم صالحون، وبنو فلان قوم سوء.

قال: فبتُّ يا شعبى بأنعم ليلة، ومكثت معى حَولًا لا أرى إلا ما أحب. فلما كان رأسُ الحَول جئت من مجلس القضاء، فإذا بعجوز تأمر وتنهى فى الدار.

فقلت: مَن هذه؟

قالوا: فلانة ختنك - أم الزوجة - فسُرِّى عنى ما كنت أجد، فلما جلست، أقبلت العجوز.

فقالت: السلام عليك يا أبا أُمية.

قلت: وعَلَيْك السلام، من أنت؟

قالت: أنا فلانة ختنك.

قلت: قربك الله.

قالت: كيف رأيت زوجتك؟

قلت: خير زوجة.

فقالت لى: أبا أمية، إن المرأة لا تكون أسوأ منها فى حالتين: إذا ولدت غلامًا، أو حظيت عند زوجها، فإن رابك رَيبٌ فعليك بالسوط، فو الله ما حاز الرجل فى بيوتهم شرًّا من المرأة المُدلَّلة.

قلت: أما والله لقد أدَّبتِ فأحسنتِ الأدب، ورُضْتِ فأحسنتِ الرياضة.

قالت: تحب أن يزورك ختانُك؟

قلت: متى شاءوا.

قال: فكانت تأتينى فى رأس كل حَول توصينى تلك الوصية.

فمكثت معى عشرين سنة لم أعتب عليها فى شىء إلا مرة واحدة، وكنت لها ظالمًا.

زوجتك أحلى من القمر!!

۞ رُوىَ أن عيسى بن موسى، كان يحب زوجته حبًّا شديدًا، فقال لها يومًا: أنتِ طالق، إن لم تكونى أحسن من القمر.

فنهضت، واحتجبت عنه، وقالت: قد طلقتنى ... فبات بليلة عظيمة فلما أصبح غدا إلى المنصور، وأخبره الخبر، وقال: يا أمير المؤمنين، إن تمَّ طلاقها، تلفت نفسى غمًّا، وكان الموتُ أحبَّ إلىَّ من الحياة.

وظهر للمنصور منه جزع شديد، فأحضر الفقهاء، واستفتاهم، فقال جميع من حضر: قد طُلقت، إلا رجلًا من أصحاب أبى حنيفة، فإنه سكت، فقال له المنصور: ما لك لا تتكلم؟

فقال: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾[1] فلا شىء أحسن من الإنسان، فقال المنصور لعيسى بن موسى: قد فرَّج الله تعالى عنك، والأمر كما قال، وأقم على زوجتك.

وراسَلها أن أطيعى زوجك فما طلقك.

---

(١) سورة التين: الآيات: (١-٤).

والله ما رأى الأسد مثل بستانك

۞ يُحكى أن بعض الملوك التفت وهو على أعلى قصره فرأى امرأة على سطح دار وكانت جميلة جدًّا.

فقال الملك لبعض جواريه: لمن هذه المرأة؟

فقالوا للملك: هذه زوجة غلامك فيروز.

فنزل الملك وقد شغفه حبها، فاستدعى غلامه، وقال له: يا فيروز.

قال: لبيك يا مولاى.

قال: خذ هذا الكتاب، وامض به إلى البلد الفلانية وائتنى بالجواب.

فأخذ الغلام الجواب، وتوجه إلى منزله فوضع الكتاب تحت رأسه وجهز نفسه للسفر فلما أصبح ودع أهله وسار طالبًا حاجة الملك، ولم يعلم بما دبره الملك. أما الملك فإنه توجه إلى دار غلامه، فقرع الباب قرعًا خفيفًا، فقالت امرأة الغلام: أرى مولانا عندنا اليوم. قال: جئت زائرًا.

فقالت: أعوذ بالله من هذه الزيارة وما أظن فيها خيرًا.

فقال لها: ويحك! إننى أنا الملك وسيد زوجك وما أظنك عرفتينى؟

فقالت: بل عرفتك يا مولاى، ولكن سبقك الأوائل فى قولهم:

سأترك ماءكم من غير ورد ... وذلك لكثرة الوارد فيه

إذا سقط الذباب على طعام ... رفعت يدى ونفسى تشتهيه

وتجتنب الأسود ورود ماء ... إذا كان الكلاب ولغن فيه

ثم قالت: أيها الملك تأتى إلى موضع شركك كلبك تشرب منه، فاستحيا الملك من كلامها، وخرج وتركها، ونسى نعله فى الدار.

أما الغلام فإنه لما خرج لحاجة سيده، وسار تفقد الكتاب فلم يجده معه فتذكر أنه نسيه تحت فراشه، فرجع إلى داره فوافق وصوله عقب خروج الملك من داره، فوجد نعل الملك فى الدار فطاش عقله، وعلم أن الملك لم يرسله فى هذا السفر إلا لأمر يفعله.

فسكت ولم يُبد كلامًا وأخذ الكتاب وسار إلى حاجة الملك فقضاها ثم عاد فأنعم الملك عليه مائة دينار فمضى إلى السوق، واشترى ما يليق بالنساء وهيأ هدية حسنة وأتى إلى زوجته فسلم عليها، وقال لها: قومى إلى زيارة بيت أبيك. قالت: لماذا؟

قال: إن الملك أنعم علىَّ وأريد أن تُظهرى لأهلك ذلك، فقامت وتوجهت إلى بيت أبيها، ففرحوا بها وبما جاءت به معها، فأقامت عند أهلها شهرًا، فلم يسأل عنها زوجها ولم يذكرها. فأتى إليه أخوها، وقال: إما أن تخبرنا بسبب غضبك، وإما أن تحاكمنا إلى الملك.

فقال فيروز: إن شئتم الحكم فافعلوا فما تركت لها علىَّ حقًّا.

فطلبوه إلى الحكم، فأتى معهم إلى القاضى وهو إذ ذاك جالسًا إلى جوار الملك، فقال أخو الزوجة: مولانا قاضى القضاة إنى أجرت هذا الغلام بستانًا سالم الحيطان ببئر ماء معين عامرة، وأشجار مثمرة فأكل ثمره وهدم حيطانه وأخرب بئره، فالتفت القاضى إلى الغلام، وقال له: ما تقول يا فيروز، فقال: أيها القاضى! قد تسلمت البستان وسلمته إليه أحسن ما كان.

فقال القاضى: هل سلم البستان كما كان؟

قال: نعم، ولكن أريد معرفة السبب لرده.

قال القاضى: ما تقول يا فيروز؟

فقال: والله يا مولاى ما رددت البستان كراهة فيه، وإنما جئت من الأيام فوجدت فيه أثر الأسد - يعنى نعل الملك - فخفت أن يغتالنى الأسد فحرمت دخول البستان إكرامًا للأسد، وكان الملك متكئًا فاستوى جالسًا، وقال: يا غلام! ارجع إلى بستانك آمنًا، فوالله إن الأسد دخل البستان ولم يؤثر فيه أثرًا، ولا التمس منه ورقًا ولا ثمرًا ولا شيئًا، ولم يلبث فيه غير لحظة يسيرة وخرج من غير بأس، ووالله ما رأى الأسد مثل بستانك ولا أشد احترازًا من حيطانه على شجره، فرجع الغلام إلى داره وردَّ إليه زوجته، ولم يعلم القاضى ولا غيره بشىء مما حدث.

إبراهيم الحربي يحتسب ولده

۞ عن محمد بن خلف، قال: كان لإبراهيم الحربى ابن كان له إحدى عشرة سنة، حفظ القرآن، ولقَّنه من الفقه جانبًا كبيرًا، قال: فمات، فجئت أُعزِّيه، فقال: كنت أشتهى موت ابنى هذا.

قال: فقلت له: يا أبا إسحاق، أنت عالم الدنيا، تقول مثل هذا، فى صبى قد أنجب، ولقنته الحديث والفقه؟ ! قال: نعم ... رأيت فى منامى، كأن القيامة قد قامت، وكأن صبيانًا بأيديهم قلال فيها ماء، يستقبلون الناس فيسقونهم، وكان اليوم يومًا حارًّا، شديدًا حَرُّه، قال: فقلت لأحدهم: اسقنى من هذا الماء، قال: فنظر إلىَّ، وقال: ليس أنت أبى، قلت: فأى شىء أنتم؟ قال: فقال لى: نحن الصبيان الذين متنا فى دار الدنيا وخلَّفنا آباؤنا، فنستقبلهم فنسقيهم الماء... قال: فلهذا تمنيت موته[1].

(١) أخرجها الخطيب فى تاريخ بغداد (٦/ ٣٧)، وابن الجوزى فى صفة الصفوة (٢/ ٤٠٩).

لقاء بين الجد الرومي النصراني والحفيد العربي المسلم

❁ عن رجل من أهل الكوفة، قال: كنا مع مَسلمة بن عبد الملك، ببلاد الروم، فسبا سبايا كثيرة، وأقام ببعض المنازل، فعرض السبى على السيف، فقتل خلقًا، حتى عُرض عليه شيخ كبير ضعيف، فأمر بقتله.

فقال له: ما حاجتك إلى قتل شيخ مثلى؟ إن تركتنى حيًّا جئتك بأسيرين من المسلمين شابين.

قال له: ومن لى بذلك؟ قال: إنى إذا وعدت وفيت.

قال: لست أثق بك.

فقال له: دعنى حتى أطوف فى عسكرك، لعلى أعرف من يتكفل بى إلى أن أمضى وأعود أجيء بالأسيرين.

فوكل به من يطوف به، وأمره بالاحتفاظ به، فما زال الشيخ يطوف، ويتصفح الوجوه، حتى مر بفتى من بنى كلاب، قائمًا يحس فرسه.

فقال له: يا فتى، اضمنِّى للأمير، وقَصَّ عليه قصته.

فقال: أفعل، وجاء الفتى إلى مسلمة، فضمنه، فأطلقه مَسلمة.

فلما مضى، قال للفتى: أتعرفه؟ قال: لا، والله.

قال: فلِمَ ضمنته؟ قال: رأيته يتصفح الوجوه، فاختارنى من بينهم، فكرهت أن أخلف ظنه فىَّ.

فلما كان من الغد، عاد الشيخ، ومعه أسيران شابان من المسلمين، فسلمهما إلى مسلمة، وقال: إن رأى الأمير أن يأذن لهذا الفتى أن يصير معى إلى حصنى لأكافئه على فعله.

فقال مسلمة للفتى الكلابى: إن شئت فامض معه.

فلما صار إلى حصنه، قال له: يا فتى، تعلم والله أنك ابنى قال له: وكيف أكون ابنك، وأنا رجل من العرب مسلم، وأنت رجل من الروم نصرانى.

فقال له: أخبرنى عن أمك، ما هى؟ قال: رومية.

قال: فإنى أصفها لك، فبالله إن صدقت، إلا صدَّقتنى.

قال: أفعل.

فأقبل الرومى، يصف أم الفتى، ما خرم من صفتها شيئًا.

فقال له الفتى: هى كذلك، فكيف عرفت أنى ابنها؟

قال: بالشبه، وتعارف الأرواح، وصدق الفراسة.

ثم أخرج إليه امرأة، فلما رآها الفتى لم يشك فيها أنها أمه، لتقارب الشبه، وخرجت معها عجوز كأنها هى، فأقبلتا تقبلان رأس الفتى، ويديه، وتترشفانه.

فقال له: هذه جدتك، وهذه خالتك.

ثم اطلع من حصنه، فدعا بشباب فى الصحراء، فأقبلوا، فكلمهم بالرومية، فأقبلوا يقبلون رأس الفتى ويديه، فقال: هؤلاء أخوالك، وبنو خالاتك، وبنو عم والدتك.

ثم أخرج إليه حُليًّا كثيرًا، وثيابًا فاخرة، وقال: هذا لوالدتك عندنا منذ سُبيت، فخذه معك، وادفعه إليها، فإنها ستعرفه، ثم أعطاه لنفسه مالًا كثيرًا، وثيابًا، وحُليًّا، وحمله على عدة دواب، وألحقه بعسكر مَسلمة، وانصرف.

وأقبل الفتى قافلًا حتى دخل إلى منزله فأقبل يُخرج الشىء بعد الشىء مما عرَّفه الشيخ أنه لأمه، وتراه أمه، فتبكى، فيقول لها: قد وهبته لك.

فلما كثر عليها، قالت له: يا بنى، أسألك بالله، من أى بلد صارت إليكم هذه الثياب، وهل تصف لى أهل هذا الحصن الذى كان فيه هذا؟ فوصف لها الفتى صفة البلد والحصن، ووصف لها أمها وأختها، والرجال الذين رآهم، وهى تبكى وتقلق.

فقال لها: ما يبكيك؟

فقالت: الشيخ والله والدى، والعجوز أمى، وتلك أختى.

فقص عليها الخبر، وأخرج بقية ما كان أنفذه معه أبوها إليها، فدفعه إليها [1].

---

(١) مختصر الفرج بعد الشدة / للإمام التنوخى (ص: ١٣٠، ١٣١).

ذكاء المغيرة بن شعبة

۞ عن زيد بن أسلم، عن أبيه، أن عمر بن الخطاب استعمل المغيرة بن شعبة على البحرين، فكرهوه، فعزله عنهم، فخافوا أن يرده، فقال دهقانهم[١]: اجمعوا مائة ألف درهم حتى أذهب بها إلى عمر وأقول له: إن المغيرة اختان[٢] هذا ودفعه إليَّ.

ففعلوا، فأتى عمر، وقال: إن المغيرة اختان هذا ودفعه إلـيَّ، فدعا عمر المغيرة، وقال: ما يقول هذا؟

قال: كذب! إنما كانت مائتى ألف!

قال: فما حملك على ذلك؟

قال: العيال والحاجة.

فقال عمر للعلج[٣]: ما تقول؟

قال: والله لأصدُقنك، والله ما دفع إليَّ قليلًا ولا كثيرًا.

فقال عمر للمغيرة: ما أردت إلى هذا؟

قال: الخبيث كذب عليَّ، فأحببت أن أُخزيه.

---

(١) الدهقان: زعيم فلاحى العجم.

(٢) أى: خان.

(٣) الواحد من كفار العجم.

ذكاء الصياد

۞ تحكى كتب الأدب أن (خسرو) كان يحب أكل السمك، فكان يومًا جالسًا فى المنظرة، وامرأته (سيرين) عنده فجاء الصياد ومعه سمكة كبيرة، وأهداها لخسرو ووضعها بين يديه فأعجبته فأمر له بأربعة آلاف درهم.

فقالت سيرين: بئسما فعلت، قال: ولِمَ؟ قالت: لأنك إذا أعطيت بعد هذا لأحدٍ من حشمك هذا القدر احتقره، وقال: أعطانى عطية الصياد، وإن أعطيته أقل منه، قال: أعطانى أقل مما أعطى الصياد، فقال خسرو: لقد صدقت ولكن يَقْبُح بالملوك أن يرجعوا فى هباتهم، وقد فات هذا.

فقالت سيرين: أنا أُدبر هذه الحالة، فقال: وكيف ذلك؟

فقالت: تدعو الصياد وتقول له هذه السمكة ذكر أم أنثى؟ فإن قال: ذكر، فقل: إنما أردنا أنثى، وإن قال: أنثى، فقل: إنما أردنا ذكرًا.

فنودى الصياد، فعاد وكان ذا ذكاءٍ وفطنة، فقال له خسرو: هذه السمكة ذكر أم أنثى؟

فقبَّل الصياد الأرض، وقال: هذه السمكة خُنثى ولا ذكر ولا أنثى، فضحك خسرو من كلامه، وأمر له بأربعة آلاف درهم ووضعها فى جراب كان معه وحملها على عنقه وهَمَّ بالخروج، فوقع منه درهم واحد فوضع الصياد الجراب عن كاهله وانحنى إلى الدرهم وأخذه،... والملك وسيرين ينظران إليه.

فقالت سيرين: أيها الملك أرأيت إلى خِسَّة هذا الرجل وسفالته، سقط منه درهم واحد فألقى عن ظهره ثمانية آلاف، وانحنى عليه فأخذه، ولم

يسهل عليه أن يتركه يأخذه بعض الغلمان،، فحزن خسرو من ذلك، وقال: لقد صدقتِ يا سيرين.

ثم أمر بإعادة الصياد، وقال له: يا ساقط الهمة لست بإنسان، وضعت مثل هذا المال عن عنقك لأجل درهم واحد، وأسفت أن تتركه مكانه!..

فقبَّل الصياد الأرض وقال: أطال الله بقاء الملك، إننى لم أرفع ذلك الدرهم لخطره عندى، وإنما رفعته عن الأرض لأن على أحد وجهيه صورة الملك، فأُعجب خسرو بكلامه وأمر له بأربعة آلاف أخرى، فأخذها وانصرف.

حسدني عليك.. وأراد مني أن أقتلك

۞ لقد كان خليفة المسلمين عبد الملك بن مروان يُقرب الإمام الشعبى ويحبه حبًا جمًا... وكان يستمتع كثيرًا بحديثه وينتفع بأفكاره وآرائه المستنيرة.

وفى يوم من الأيام أرسل عبد الملك بن مروان الإمام الشعبى إلى ملك الروم فى بعض الأمر... فلما وصل الإمام الشعبى وتكلم مع ملك الروم تعجَّب ملك الروم لفطنته وذكائه وعلمه ونجابته فسأله وقال له: هل أنت من أهل بيت الخليفة؟

قال الإمام الشعبى: لا.

فتعجب ملك الروم وأصرَّ على أن يجلس فى صُحبته لعدة أيام - على غير العادة -.. فقد كان الرسل يذهبون إلى الملوك ولا يجلسون إلا ساعات معدودات ثم يرجعون لكن ملك الروم أراد أن يستفيد من فطنة وذكاء الشعبى أكبر وقتٍ ممكن.

وبعد عدة أيام تركه ملك الروم يرجع إلى عبد الملك بن مروان ثم أعطاه رسالة مغلقة وقال له: إذا رجعت إلى صاحبك وأبلغته كل ما يحتاج إلى معرفته من ناحيتنا فارفع إليه هذه الرسالة.

وعاد الشعبى إلى عبد الملك بن مروان وتوجَّه إليه مباشرة وحكى له ما حدث مع ملك الروم وأخبره بكل ما يريد فلما أراد أن ينصرف تذكَّر الرسالة التى أرسلها ملك الروم فدخل عليه وقال له: يا أمير المؤمنين هذه رسالة من ملك الروم أرسلها لك.

وخرج الإمام الشعبى... وفتح عبد الملك بن مروان الرسالة وقرأها ثم

صرخ على الحرس وقال: رُدُّوه... فنادوا على الإمام الشعبى وقالوا له: أمير المؤمنين يريدك.

فدخل الشعبى عليه فقال له عبد الملك: هل تعلم ما فى هذه الرسالة؟

قال الشعبى: لا والله يا أمير المؤمنين فأنا لم أقرأها.

فقال عبد الملك: لقد كتب إلىَّ ملك الروم يقول فى رسالته: عجبت من العرب كيف ملَّكت عليهم غير هذا الشاب الذكى.

قال الشعبى: يا أمير المؤمنين.. إنه قال هذا الكلام لأنه ما رآك... فلو رآك ما قال هذا الكلام.

قال عبد الملك: هل تدرى لِمَ قال هذا الكلام؟.. لأنه حسدنى عليك وأراد منى أن أقتلك.

فلما بلغ هذا الكلام ملك الروم قال: لله أبوه! والله ما أردت إلا ذلك... أى ما أردت إلا أن يثور عليه فيقتله.

۞ وفى يوم من الأيام دخل الشعبى على عبد الملك بن مروان، فقال: يا شعبى، لقد وخمتُ[1] من كل شىءٍ إلا من الحديث الحسن، قال: نعم يا أمير المؤمنين، إن الحديث ذو شُجون، تُسْلَى به الهُموم. فقال: يا شعبى، ما العلم؟ قال: العلم ما يُقربك من الجنة، ويباعدك من النار. قال: يا شعبى، ما العقل؟ قال: ما يُعرفك عواقب رُشدك، ومواقع غَيِّك. قال: متى يعرف الرجلُ كمال عقله؟ قال: إذا كان حافظًا للسانه، مُداريًا لأهل زمانه، مُقبلًا على شأنه[2].

---

(١) وَخِم الشىء: استثقله ولم يستمرئه. اللسان (وخم).

(٢) تاريخ ابن عساكر ١٩٨.

أدرك نفسه في اللحظة الأخيرة

۞ دخل خالد بن صفوان على الخليفة أبى العباس السفاح فوجده خاليًا، فقال: يا أمير المؤمنين، أنا أترقب مُذ تقلدت الخلافة أن أجدك خاليًا فأُلقى إليك ما أريده.

قال: فاذكر حاجتك.

قال: يا أمير المؤمنين، إنى فكرت فى أمرك، فلم أرَ مَن هو فى مثل قدرك أقل استمتاعًا بالنساء، وقد ملَّكْت على نفسك امرأة واحدة، واقتصرتَ عليها، فإن مرضَتْ مرضْتَ، وإن غابتْ غبْتَ، وإن غضِبَتْ حُرِمت، وإنما التَّلذُّذُ باستطراف الجوارى، ومعرفة اختلاف أحوالهن، والاستمتاع بهن، فلو رأيتَ الطويلة البيضاء، والسمراء اللَّفَّاء. والصفراء العجزاء، والغَنِجَة الكحلاء، والمولَّدات من المدنيات، والمِلاح من القُنْدُهاريّات، ذوات الألسن العذبة، والقُدود المهَفْهَفة.

وجعل خالد بعذوبة لفظه واقتداره على الوصف يزيد فى قوله، فلما فرغ من كلامه، قال السفاح له: والله يا خالد ما سلك سمعى قطُّ كلام أحسن من هذا، لقد حرَّك منى ساكنًا.

وبقى السفاح مفكرًا عامة نهاره، ثم دخلت عليه زوجته أم سلمة فلما رأته دائم الفكر، كثير السهو، قليل النشاط، قالت: إنى أُنْكِرُك يا أمير المؤمنين، فهل حدث ما تكرهه؟.

ولم تزل به حتى حدّثها بخبر خالد بن صفوان.

قالت: فما قلتَ لابن الفاعلة؟.

قال لها: سبحان الله! رجل نصحني تَسُبِّينه؟!

فخرجت من عنده متميزة غضبًا، وأرسلت إلى خالد بجماعة من غلمانها العجم ومعهم العصي، وأمرتهم ألا يتركوا فيه عضوًا صحيحًا.

أما خالد فقد انصرف من عند السفاح وهو على غاية السرور بما رأى من إعجاب الخليفة بحديثه، وقعد على باب داره يتوقع جائزته. فلم يشعر إلا بالغلمان، وتحقق مجيئهم بالجائزة، فلما وقفوا على رأسه سألوه عن ابن صفوان. فقال: هأنذا. فأهوى بعضهم بهراوته إليه.

فوثب خالد ودخل داره، وغلَّق بابه واستتر، وعرف هفوته وزَلَّتَه في فعله وكلامه، وعلم من أين أُتِي.

ثم إنه مكث أيامًا مستترًا. فلم يشعر ذات يوم إلا بجماعة من خدم السفاح قد هجموا عليه، فقالوا: أجب أمير المؤمنين!

فأيقن بالهلكة، وركب معهم وهو بلا دَمٍّ. فلما دخل عليه وسلَّم فردَّ عليه، سكنت نفسه بعض السكون، وأومأ إليه بالجلوس فجلس.

ونظر خالد فإذا خلف ظهر السفاح باب عليه سُتور قد أُرخيت، وأحسَّ بحركة خلفه. ثم قال الخليفة: يا خالد، لم أركَ منذ أيام.

فاعتلَّ عليه،... فقال له: ويحك، إنك وصفتَ لي آخر يوم كنت عندي فيه من أمر النساء والجواري، ما لم يخرِق سمعي قطُّ مثله، فأعِدْه عليَّ.

قال: نعم. أعلمتك يا أمير المؤمنين أن العرب اشتقّت اسم الضَّرَّتين من الضُّر. وأن أحدهم لم يكن عنده من النساء أكثر من واحدة إلا كان في جُهدٍ وكَدٍّ.

قال السفاح: ويحك، لم يكن هذا في كلامك.

قال: بلى. وأخبرتُك أن الثلاث من النساء كأثافيّ القدِر تغْلى عليهن.

قال السفاح: برئتُ من قرابتى إن كنتُ سمعتُ هذا منك فى حديث.

قال: بلى، وأخبرتُك أن الأربع من النساء شرٌّ مجموع لمن كُنّ عنده، يُهْرِمْنَه ويُنغِّصْنَ عليه عَيشه، ويُشيبنَهُ قبل حينه.

قال السفاح: والله ما سمعتُ هذا قط منك ولا من غيرك.

قال: بلى يا أمير المؤمنين، لقد قلتُ.

قال: ويلك تكذِّبُنى؟

قال: يا أمير المؤمنين، فتريد قتلى؟

فسُمع ضحك شديد وراء الستر ... فقال خالد: وأعلمْتُك أن عندك ريحانة قريش، وأنه لا يجب أن تطمح نفسُك إلى غيرها من النساء، فسُمع من وراء الستر صوت يقول: صدقت والله يا عمَّاه، ولكن أمير المؤمنين غيَّر وبدَّل، ونطق عن لسانك بغير ما ذكرتَه.

وخرج خالد إلى منزله، فلم يصل إليه حتى وجّهت إليه أم سلمة ثلاثة تُخوت فيها أنواع الثياب، وخمسة آلاف درهم.

العالم أشد على الشيطان من ألف عابد

۞ قال الإمام ابن القيم: «قَالَ الْمُزنِيّ: رُوى عَن ابْن عَبَّاس أنه قَالَ: إن الشَّيَاطِين قَالُوا لإبليس: يَا سيدنَا ما لنا نرَاك تفرح بِمَوْت الْعَالِم مَا لا تفرح بمَوْت العابد،... والعالِم لَا نُصيب مِنْهُ، وَالْعَابِد نُصيب مِنْهُ؟

قَالَ: انْطَلِقُوا، فَانْطَلقُوا إلى عَابِد فأتوه فِي عِبَادَته فَقَالُوا: إِنَّا نُرِيد أن نَسْأَلك! فَانْصَرف. فَقَالَ إبليس: هَل يقدر رَبك أن يَجْعَل الدُّنْيَا فِي جَوف بَيْضَة؟ فَقَالَ: لَا أَدْرِي، فَقَالَ: أترونه كفر فِي سَاعَة؟! ثمَّ جاؤوا إلى عَالم فِي حلقته يُضَاحك أصحابه ويُحدثهم، فَقَالُوا: إِنَّا نُرِيد أن نَسْأَلك! فَقَالَ: سَلْ، فَقَالَ: هَل يقدر رَبك أن يَجْعَل الدُّنْيَا فِي جَوف بَيْضَة؟ قَالَ: نعم، قَالُوا: كَيفَ؟ قَالَ: يَقُول: كن فَيكون؟ فَقَالَ: أَترَوْنَ ذَلِك لَا يعدو نَفسه، وَهَذَا يُفسد عليَّ عَالَمًا كثيرًا.

۞ وَقد رُويت هَذِه الْحِكَايَة على وَجهٍ آخر، وَأَنَّهُم سَأَلُوا العابد فَقَالُوا: هَل يقدر رَبك أَن يخلق مثل نَفسه؟ فَقَالَ: لا أدري، فَقَالَ: أترونه لم تَنْفَعهُ عِبَادَته مَعَ جَهله وسألوا العالم عَن ذَلِك؟

فَقَالَ: هَذِه الْمَسْأَلَة محَال؛ لِأَنَّهُ لَو كَانَ مثله مخلوقًا، فكونه مخلوقًا وَهُوَ مثل نَفسه مُسْتَحِيل، فَإِذا كَانَ مخلوقًا لم يكن مثله، بل كَانَ عبدًا من عبيده، وخلقًا من خلقه، فَقَالَ: أَترَوْنَ هَذَا يهدم فِي سَاعَة مَا أبنيه فِي سِنِين أو كما قَالَ»[1].

۞ فمن خلال هذه القصة نعلم يقينًا أن العالِم أشد على الشيطان من ألف عابد... وقد أورد ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى قول أبي هريرة: «الفقيه أشدّ على الشَّيطان من ألفِ عابدٍ»[2].

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ٢٦٨).

(٢) مفتاح دار السعادة (١/ ٢٦٧).

ذلك أن العالم، كما يقول ابن القيم: «يُفسد على الشَّيْطَان مَا يسْعَى فِيهِ، ويهدم مَا يبنيه، فَكلمَا أَرَادَ إحْيَاء بِدعَة وإماتة سُنة حَال الْعَالِم بَينه وَبَين ذَلِك، فَلَا شَيْء أشد عَلَيْهِ من بَقَاء الْعَالِم بَين ظهرانى الأمة، وَلَا شَيْء أحب إليه من زَوَاله من بَين أظهرهم، ليتَمَكَّن من إفْسَاد الدّين وإغواء الأمة، وَأما العابد فغايته أن يجاهده ليَسلم مِنْهُ فِي خَاصَّة نَفسه، وهيهات لَهُ ذَلِك»[١].

۞ وقد رأينا فى قصة الرجل الذى قتل تسعة وتسعين نفسًا ماذا صنع معه العالِم وماذا صنع معه العابد.

۞ ولقد ذكر النبى ﷺ هذا الرجل، فقال ﷺ: «**كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعةً وتسعين نفسًا، فسأل عن أعلم أهل الأرض، فَدُلَّ على راهبٍ، فأتاه فقال: إنه قتل تسعةً وتسعين نفسًا، فهل له من توبةٍ؟ فقال: لا، فقتله، فكمَّل به مائة. ثم سأل عن أعلم أهل الأرض، فَدُلَّ على رجلٍ عالم، فقال: إنه قتل مائة نفسٍ فهل له من توبةٍ؟ فقال: نعم، ومن يحول بينه وبين التوبة، انطلِق إلى أرض كذا وكذا، فإن بها أُناسًا يعبدون الله، فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك، فإنها أرض سوءٍ. فانطلق حتى إذا نصف الطريق أتاه الموت، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فقالت ملائكة الرحمة: جاء تائبًا مقبلًا بقلبه إلى الله، وقالت ملائكة العذاب: إنه لم يعمل خيرًا قط، فأتاهم ملك فى صورة آدمى، فجعلوه بينهم، فقال: قيسوا ما بين الأرضين، فإلى أيتهما كان أدنى فهو له، فقاسوه، فوجدوه أدنى إلى الأرض التى أراد، فقبضته ملائكة الرحمة**»[٢].

وفى رواية: «... **فأدركه الموت، فناء بصدره نحوها، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فأوحى الله إلى هذه أن تقرَّبى، وأوحى الله إلى هذه أن**

---

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ٢٦٩).

(٢) أخرجه البخارى (٣٤٧٠) كتاب أحاديث الأنبياء - ومسلم (٢٧٦٦) كتاب التوبة.

تباعدي، وقال: قيسوا ما بينهما، فوُجد إلى هذه أقرب بشبرٍ، فغُفر له».

العالِم قدوة.. والناس ينظرون إليه

۞ قَالَ وهب بن منبه رَحِمَهُ اللَّهُ:

أُتِيَ بِرَجُلٍ مِنْ أَفْضَلِ أَهْلِ زَمَانِهِ إِلَى مَلِكٍ يَفْتِنُ النَّاسَ عَلَى أَكْلِ لُحُومِ الْخَنَازِيرِ، فَلَمَّا أُتِيَ بِهِ أَعْظَمَ النَّاسُ مَكَانَهُ، وَهَالَهُمْ أَمْرُهُ، فَقَالَ لَهُ صَاحِبُ شُرْطَةِ الْمَلِكِ: ائْتِنِي بِجَدْيٍ تُزَكِّيهِ تَذْبَحُهُ مِمَّا يَحِلُّ لَكَ أَكْلُهُ، فَأَعْطِنِيهِ، فَإِنْ دَعَا بِلَحْمِ الْخِنْزِيرِ أَتَيْتُكَ بِهِ، فَكُلْهُ، فَذَبَحَ جَدْيًا فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ، ثُمَّ أُتِيَ بِهِ الْمَلِكُ، فَدَعَا بِلَحْمِ الْخِنْزِيرِ، فَأَتَاهُ صَاحِبُ الشُّرْطَةِ بِلَحْمِ الْجَدْيِ الَّذِي كَانَ أَعْطَاهُ إِيَّاهُ، فَأَمَرَهُ الْمَلِكُ بِأَكْلِهِ، فَأَبَى، فَجَعَلَ صَاحِبُ الشُّرْطَةِ يَغْمِزُ له وَيَأْمُرُهُ أَنْ يَأْكُلَهُ، وَيُرِيهِ أَنَّهُ اللَّحْمَ الَّذِي دَفَعَهُ إِلَيْهِ، فَأَبَى أَنْ يَأْكُلَهُ، فَأَمَرَ بِهِ الْمَلِكُ صَاحِبَ الشُّرْطَةِ أَنْ يَقْتُلَهُ، فَلَمَّا ذَهَبَ بِهِ قَالَ: مَا مَنَعَكَ أَنْ تَأْكُلَ وَهُوَ اللَّحْمُ الَّذِي دَفَعْتَ إِلَيَّ؟ أَظَنَنْتَ أَنِّي أَتَيْتُكَ بِغَيْرِهِ؟ قَالَ: لَا ... قَدْ عَلِمْتُ أَنَّهُ هُوَ، وَلَكِنِّي خِفْتُ أَنْ يُفْتَتَنَ النَّاسُ بِي، فَإِذَا أُرِيدَ أَحَدُهُمْ عَلَى أَكْلِ لَحْمِ الْخِنْزِيرِ، قَالَ: قَدْ أَكَلَهُ فُلَانٌ، فَيُسْتَنَّ بِي، فَأَكُونَ فِتْنَةً لَهُمْ، فَقُتِلَ رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ[1].

فهذا الرجل الصالح رفض أن يأكل من هذا اللحم رغم أنه يعلم أنه حلال ... وذلك؛ لأن الناس لا يعلمون ما دار بينه وبين صاحب الشرطة ولذا فهم يظنون أن ذلك اللحم هو لحم الخنزير.. فإذا أكل هذا الرجل الصالح اقتدى الناس به.

---

(١) انظر: الزهد (١٤٦٦) لابن المبارك- الحلية (٤/ ٥٥).

كما طيبت اسمى لأُطيبن ذِكرك

۞ عن عبد الله بن محمد الرشيدى قال: قال لى أيوب العطار: كنت خارجًا من باب حرب، فلقينى بِشر بن الحارث فقال: يا أيوب، انظر إلى جميل ما يُنشر وقبيح ما يُستر... كنت اليوم خارجًا من باب حرب فلقينى رجلان، فقال أحدهما لصاحبه: هذا بِشر الذى يُصَلِّى كل يوم ألف ركعة، ويواصل كل ثلاثة أيام والله يا أيوب ما صليت ألف ركعة مكانًا واحدًا، ولا واصلت ثلاثًا قط، إلا أنى أحدثك عن بدء أمرى. فقلت: نعم.

قال: دعانى رجل من أهل الربض؛ فبينما أنا أمضى إليه رأيت قرطاسًا على وجه الأرض، فيه اسم الله تعالى؛ فأخذته ونزلت إلى النهر، فغسلته وكنت لا أملك من الدنيا إلا درهمًا فيه خمسة دوانيق، فاشتريت بأربعة دوانيق مسكًا وبدانقٍ ماء ورد؛ وجعلت أتتبع اسم الله تعالى فأُطيبه. ثم رجعت إلى منزلى فنمت؛ فأتانى آتٍ فى منامى فقال لى: يا بِشر، كما طيبت اسمى لأطيبن ذكرك، وكما طهرته لأطهرن قلبك.[1].

(١) أخرجها ابن عساكر فى تاريخ دمشق (١٠/ ١٨٢).

هكذا تكون الصلاة

۞ دخل عصام بن يوسف على حاتم الأصم، فى مجلسه. فقال: يا حاتم تُحسن تصلى؟ قال: نعم. قال: كيف تُصَلِّى؟ قال حاتم الأصم: أقوم بالأمر، وأمشى بالخشية، وأدخل بالنية، وأُكَبِّر بالعظمة، وأقرأ بالترتيل والتفكير، وأركع بالخشوع، وأسجد بالتواضع، وأجلس للتشهد بالتمام، وأُسَلِّم بالنية، وأختمها بالإخلاص لله ﷻ، وأرجع على نفسى بالخوف، أخاف أن لا يقبل الله منى، وأحفظه بالجهد إلى الموت، قال: تكلم فأنت تُحسن تصلى.

۞ وقيل للحسن رضي الله عنه: كيف كنتم تُصلون على عهد رسول الله ﷺ؟.

فقال: كنا نصلى وكأننا واقفين على الصراط وكأن الجنة عن اليمين والنار عن الشمال والكعبة من أمامنا وملك الموت من خلفنا ينتظر قبض أرواحنا بعد تلك الصلاة ونحن جميعًا بين يدى الله (جل وعلا) فإذا صلينا لا ندرى هل قُبلت صلاتنا أم رُدَّت علينا.

اليد العُليا خيرٌ من اليد السُّفلى

۞ عَنْ خَلَفِ بْنِ تَمِيمٍ؛ قَالَ:

الْتَقَى إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَدْهَمَ وَشَقِيقٌ بِمَكَّةَ، فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ لِشَقِيقٍ: مَا بَدْوُ أَمْرِكَ الَّذِى بَلَّغَكَ هَذَا؟ فَقَالَ: سِرْتُ فِى بَعْضِ الْفَلَوَاتِ، فَرَأَيْتُ طَيْرًا مَكْسُورَ الْجَنَاحَيْنِ فِى فَلاةٍ مِنَ الأَرْضِ، فَقُلْتُ: انظر مِنْ أَيْنَ رِزْقُ هَذَا. فَقَعَدْتُ بِحِذَائِهِ؛ فَإِذَا أَنَا بِطَيْرٍ قَدْ أَقْبَلَ فِى مِنْقَارِهِ جَرَادَةٌ، فَوَضَعَهَا فِى مِنْقَارِ الطَّيْرِ الْمَكْسُورِ الْجَنَاحَيْنِ، فَقُلْتُ لِنَفْسِى: يَا نَفْسُ! الَّذِى قَيَّضَ هَذَا الطَّيْرَ الصَّحِيحَ لِهَذَا الطَّيْرِ الْمَكْسُورِ الْجَنَاحَيْنِ فِى فَلاةٍ مِنَ الأَرْضِ هُوَ قَادِرٌ أَنْ يَرْزُقَنِى حَيْثُ مَا كُنْتُ، فَتَرَكْتُ التَّكَسُّبَ وَاشْتَغَلْتُ بِالْعِبَادَةِ!

فَقَالَ لَهُ إِبْرَاهِيمُ: يَا شَقِيقُ! وَلِمَ لا تَكُونُ أَنْتَ الطَّيْرَ الصَّحِيحَ الَّذِى أَطْعَمَ الْعَلِيلَ حَتَّى تَكُونَ أَفْضَلَ مِنْهُ؟ أَمَا سَمِعْتَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «**الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى**؟ !»[1] وَمِنْ عَلامَةِ الْمُؤْمِنِ أَنْ يَطْلُبَ أَعْلَى الدَّرَجَتَيْنِ فِى أُمُورِهِ كُلِّهَا حَتَّى يَبْلُغَ مَنَازِلَ الأَبْرَارِ.

قَالَ: فَأَخَذَ يَدَ إِبْرَاهِيمَ، فَقَبَّلَهَا وَقَالَ لَهُ: أَنْتَ أُسْتَاذُنَا يَا أَبَا إِسْحَاقَ[2].

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (١٤٢٩) كتاب الزكاة، ومسلم (١٠٣٣) كتاب الزكاة.

(٢) الحكاية بطولها: أخرجها ابن عساكر فى تاريخ دمشق (٢٣/ ١٣٥)، وابن حجر فى «لسان الميزان» (٣/ ١٥١)، و«الوافى فى الوفيات» (١/ ٢٢١٠).

أكلت يوم أُكل الثور الأبيض

۞ عَنْ عُمَيْرِ بْنِ زوذى أَبِى كَبِيرٍ، قَالَ:

خَطَبَنَا (عَلِيٌّ) يَوْمًا، فَقَامَ الْخَوَارِجُ فَقَطَعُوا عَلَيْهِ كَلَامَهُ، قَالَ: فَنَزَلَ فَدَخَلَ وَدَخَلْنَا مَعَهُ فَقَالَ: أَلَا إِنِّى إِنَّمَا أُكِلْتُ يَوْمَ أُكِلَ الثَّوْرُ الْأَبْيَضُ، ثُمَّ قَالَ: مَثَلِى مَثَلُ ثَلَاثَةِ أَثْوَارٍ وَأَسَدٍ اجْتَمَعْنَ فِى أَجَمَةٍ: أَبْيَضَ وَأَحْمَرَ وَأَسْوَدَ.

فَكَانَ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا مِنْهُنَّ اجْتَمَعْنَ، فَامْتَنَعْنَ مِنْهُ فَقَالَ لِلْأَحْمَرِ وَالْأَسْوَدِ، إِنَّهُ لَا يَفْضَحُنَا فِى أَجَمَتِنَا هَذِهِ إِلَّا مَكَانُ هَذَا الْأَبْيَضِ، فَخَلِّيَا بَيْنِى وَبَيْنَهُ حَتَّى آكُلَهُ، ثُمَّ أَخْلُو أَنَا وَأَنْتُمَا فِى هَذِهِ الْأَجَمَةِ، فَلَوْنُكُمَا عَلَى لَوْنِى وَلَوْنِى عَلَى لَوْنِكُمَا،... قَالَ: فَفَعَلَا.

قَالَ: فَوَثَبَ عَلَيْهِ فَلَمْ يُلْبِثْهُ أَنْ قَتَلَهُ، قَالَ: فَكَانَ إِذَا أَرَادَ أَحَدَهُمَا اجْتَمَعَا، فَامْتَنَعَا مِنْهُ. وَقَالَ لِلْأَحْمَرِ: يَا أَحْمَرُ، إِنَّهُ لَا يُشْهِرُنَا فِى أَجَمَتِنَا هَذِهِ إِلَّا مَكَانُ هَذَا الْأَسْوَدِ، فَخَلِّ بَيْنِى وَبَيْنَهُ حَتَّى آكُلَهُ، ثُمَّ أَخْلُو أَنَا وَأَنْتَ، فَلَوْنِى عَلَى لَوْنِكَ وَلَوْنُكَ عَلَى لَوْنِى.

قَالَ: فَأَمْسَكَ عَنْهُ فَوَثَبَ عَلَيْهِ فَلَمْ يُلْبِثْهُ أَنْ قَتَلَهُ، ثُمَّ لَبِثَ مَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ قَالَ لِلْأَحْمَرِ: يَا أَحْمَرُ، إِنِّى آكُلُكَ.

قَالَ: تَأْكُلُنِى، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: أَمَا لَا فَدَعْنِى حَتَّى أُصَوِّتَ ثَلَاثَةَ أَصْوَاتٍ، ثُمَّ شَأْنُكَ بِى قَالَ: نعم، فَقَالَ: أَلَا إِنِّى إِنَّمَا أُكِلْتُ يَوْمَ أُكِلَ الثَّوْرُ الْأَبْيَضُ، قَالَ: ثُمَّ قَالَ عَلِيٌّ: أَلَا وَإِنِّى إِنَّمَا رُهِبْتُ يَوْمَ قُتِلَ عُثْمَانُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ(١).

---

(١) أخرجه ابن أبى شيبة (٨/ ٧٤٢) فى مصنفه.

حيلة وزنها ذهب

۞ وَمن الْمَنْقُول عَن عَمْرو بن الْعَاصِ: قَالَ ابْن الْكَلْبِيّ: لما فتح عَمْرو ابن الْعَاصِ قيسارية سَار حَتَّى نزل على غَزَّة، فَبعث إِلَيْهِ علجها أَن أرسل إِلَيَّ رجلًا من أَصْحَابك أُكَلِّمهُ ففكر عَمْرو، فَقَالَ: مَا لهَذَا العلج[1] أحدٌ غَيْرِي، فَقَامَ حَتَّى دخل على العلج، فَكَلَّمهُ، فَسمع كلَامًا لم يسمع مثله قطّ، فَقَالَ لَهُ العلج: حَدثنِي هَل من أَصْحَابك أحد مثلك؟ قَالَ: لَا تسْأَل عَن هواني عِنْدهم، إِذْ بعثوني إِلَيْك، وعرَّضوني لما عرضوني، فَلَا يَدْرُونَ مَا تصنع بِي، قَالَ: فَأمر لَهُ بجائزة وَكِسْوَة وَبعث إِلَى البواب إِذا مَرَّ بك فَاضْرب عُنُقه وَخذ مَا مَعَه. فَمر بِرَجُل من النَّصَارَى من غَسَّان فعرفه، فَقَالَ: يَا عَمْرو قد أَحْسَنت الدُّخُول فَأحْسن الْخُرُوج ... فَرجع، فَقَالَ لَهُ الْملك: مَا ردَّك إِلَيْنَا؟ قَالَ: نظرت فِيمَا أَعْطَيْتنِي فَلم أجد ذَلِك ليسع بني عمي، فَأَرَدْت أَن آتِيك بِعشْرَة مِنْهُم تعطيهم هَذِه الْعَطِيَّة، فَيكون مَعْرُوفك عِنْد عشرَة خيرًا من أَن يكون عِنْد وَاحِد، قَالَ: صدقت، أعْجِل بهم، وَبعث إِلَى البواب: خلِّ سَبيله، فَخرج عَمْرو وَهُوَ يلْتَفت، حَتَّى إِذا أَمِنَ قَالَ: لَا عُدت لمثلهَا أبدًا، فَلَمَّا صَالحه عَمْرو وَدخل عَلَيْهِ العلج فَقَالَ لَهُ: أَنْت هُوَ؟ قَالَ: على مَا كَانَ من غدرك.

---

(١) الواحد من كفار العجم.

الذين تكلموا في المهد

۞ عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ: كَانَ جُرَيْجٌ يَتَعَبَّدُ فِى صَوْمَعَةٍ، فَجَاءَتْ أُمُّهُ. قَالَ حُمَيْدٌ: فَوَصَفَ لَنَا أَبُو رَافِعٍ صِفَةَ أَبِى هُرَيْرَةَ لِصِفَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ أُمَّهُ حِينَ دَعَتْهُ، كَيْفَ جَعَلَتْ كَفَّهَا فَوْقَ حَاجِبِهَا، ثُمَّ رَفَعَتْ رَأْسَهَا إِلَيْهِ تَدْعُوهُ، فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ أَنَا أُمُّكَ كَلِّمْنِى فَصَادَفَتْهُ يُصَلِّى، فَقَالَ: اللهُمَّ أُمِّى وَصَلَاتِى، فَاخْتَارَ صَلَاتَهُ، فَرَجَعَتْ، ثُمَّ عَادَتْ فِى الثَّانِيَةِ، فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ أَنَا أُمُّكَ فَكَلِّمْنِى، قَالَ: اللهُمَّ أُمِّى وَصَلَاتِى، فَاخْتَارَ صَلَاتَهُ، فَقَالَتْ: اللهُمَّ إِنَّ هَذَا جُرَيْجٌ وَهُوَ ابْنِى وَإِنِّى كَلَّمْتُهُ، فَأَبَى أَنْ يُكَلِّمَنِى، اللهُمَّ فَلَا تُمِتْهُ حَتَّى تُرِيَهُ الْمُومِسَاتِ. قَالَ: وَلَوْ دَعَتْ عَلَيْهِ أَنْ يُفْتَنَ لَفُتِنَ. قَالَ: وَكَانَ رَاعِى ضَأْنٍ يَأْوِى إِلَى دَيْرِهِ، قَالَ: فَخَرَجَتِ امْرَأَةٌ مِنَ الْقَرْيَةِ فَوَقَعَ عَلَيْهَا الرَّاعِى، فَحَمَلَتْ فَوَلَدَتْ غُلَامًا، فَقِيلَ لَهَا: مَا هَذَا؟ قَالَتْ: مِنْ صَاحِبِ هَذَا الدَّيْرِ، قَالَ فَجَاءُوا بِفُئُوسِهِمْ وَمَسَاحِيهِمْ، فَنَادَوْهُ فَصَادَفُوهُ يُصَلِّى، فَلَمْ يُكَلِّمْهُمْ، قَالَ: فَأَخَذُوا يَهْدِمُونَ دَيْرَهُ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ نَزَلَ إِلَيْهِمْ، فَقَالُوا لَهُ: سَلْ هَذِهِ، قَالَ فَتَبَسَّمَ، ثُمَّ مَسَحَ رَأْسَ الصَّبِىِّ فَقَالَ: مَنْ أَبُوكَ؟ قَالَ: أَبِى رَاعِى الضَّأْنِ، فَلَمَّا سَمِعُوا ذَلِكَ مِنْهُ قَالُوا: نَبْنِى مَا هَدَمْنَا مِنْ دَيْرِكَ بِالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، قَالَ: لَا، وَلَكِنْ أَعِيدُوهُ تُرَابًا كَمَا كَانَ، ثُمَّ عَلَاهُ»[1].

۞ وقد ذُكر فى الحديث أنَّ الناطقين فى المهد ثلاثة...، قال القرطبى: فى هذ الحصر - يعنى: أنهم ثلاثة - نظر، إلا أن يُحْمَل على أنه ﷺ قال ذلك قبل أن يعلم الزيادة على ذلك، وفيه بُعْد[2].. ويُحتمل أن يكون كلام الثلاثة

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٥٥٠).

(٢) أى: قول القرطبى السابق من أنه ﷺ قال بأنهم ثلاثة قبل أن يعلم الزيادة على ذلك.

المذكورين مقيدًا بالمهد وكلام غيرهم من الأطفال بغير مهد، لكنه يُعَكِّر عليه أن فى رواية ابن قتيبة أنَّ الصبى الذى طرحته أمه فى الأخدود كان ابن سبعة أشهر، وصَرَّح بالمهد فى حديث أبى هريرة، وفيه تعقَّب على النووى[1] فى قوله أن صاحب الأخدود كان ابن سبعة أشهر، وصَرَّح بالمهد فى حديث أبى هريرة..، والسبب فى قوله هذا ما وقع فى حديث ابن عباس: «**لم يتكلم فى المهد إلا أربعة**»[2] فلم يذكر الثالث الذى هنا، وذكر شاهد يوسف والصبى الرضيع الذى قال لأمه، وهى ماشطة بنت فرعون لما أراد فرعون إلقاء أمه فى النار: «**اصبرى يا أُمه فإنك على الحق**»[3].. وأخرج الحاكم مثله عن أبى هريرة؛ فيجتمع من هذا خمسة..، ووقع ذكر شاهد يوسف أيضًا فى حديث عمران بن حصين لكنه موقوف.

(١) قُلْتُ: كلام النووى فى شرح صحيح مسلم (١٦/ ١٠٦) ...، وصاحب الأخدود فى حديث صحيح عند مسلم (٣٠٠٥) نووى (١٨/ ١٣٠-١٣٣).
(٢) رواه أحمد (١/ ٣١٠)، والحاكم (٢/ ٤٩٧)، والبزار فى مجمع الزوائد (١/ ٦٥).
(٣) المستدرك (٢/ ٥٩٥).

هكذا يستجيب الله دعاء الصالحين

۞ حكى ابن كثير عن بقى بن مخلد أنه كان «مجاب الدعوة». وجاءته امرأة فَقَالَتْ: إِنَّ ابْنِى قَدْ أَسَرَتْهُ الْإِفْرِنْجُ، وَإِنِّى لَا أَنَامُ اللَّيْلَ مِنْ شَوْقِى إِلَيْهِ، وَلِى دُوَيْرَةٌ أُرِيدُ أَنْ أَبِيعَهَا لِأَسْتَفِكَّهُ، فَإِنْ رَأَيْتَ أن تشير على أحدٍ يأخذها لأسعى فى فكاكه بثمنها، فليس يقر لى ليل ولا نهار، ولا أجد نومًا ولا صبرًا ولا قرارًا ولا راحةً. فقال: نعم انصرفى حتى أنظر فِى ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللهُ.

وَأَطْرَقَ الشَّيْخُ وَحَرَّكَ شَفَتَيْهِ يَدْعُو اللهَ ﷻ لِوَلَدِهَا بالخلاص من أيدى الفرنج، فذهبت المرأة فما كان إلا قليلًا حتى جاءت الشيخ وَابْنُهَا مَعَهَا فَقَالَتِ: اسْمَعْ خَبَرَهُ يَرْحَمُكَ اللهُ.

فَقَالَ: كَيْفَ كَانَ أَمْرُكَ؟ فَقَالَ: إِنِّى كُنْتُ فيمن نخدم الْمَلِكَ وَنَحْنُ فِى الْقُيُودِ، فَبَيْنَمَا أَنَا ذَاتَ يَوْمٍ أَمْشِى إِذْ سَقَطَ الْقَيْدُ مِنْ رِجْلِى، فأقبل علىَّ الْمُوَكَّل بى فشتمنى وقال: لِمَ أزلت القيد من رجليك؟ فقلت: لا والله ما شعرت به ولكنه سقط ولم أشعر به، فجاؤوا بالحدَّاد فأعادوه وأجادوه وشدُّوا مسماره وأبدوه، ثُمَّ قُمْتُ فَسَقَطَ أَيْضًا فَأَعَادُوهُ وَأَكَّدُوهُ فَسَقَطَ أيضًا، فسألوا رُهبانهم عن سبب ذلك فقالوا: له والدة؟ فقلت: نعم، فقالوا: إنها قد دعت لك وقد اسْتُجِيبَ دُعَاؤُهَا ... أَطْلِقُوهُ، فَأَطْلَقُونِى وَخَفَرُونِى حَتَّى وَصَلْتُ إِلَى بِلَادِ الْإِسْلَامِ.

فَسَأَلَهُ بَقِيُّ بْنُ مَخْلَدٍ عَنِ السَّاعَةِ الَّتِى سَقَطَ فِيهَا الْقَيْدُ مِنْ رِجْلَيْهِ فَإِذَا هِىَ السَّاعَةُ الَّتِى دَعَا فِيهَا الله له ففرج عنه[1].

---

(١) البداية والنهاية (١١/ ٥٦).

أقسمت عليك يا رب إلا سقيتنا الساعة

* قال محمد بن عبد الرحمن عمَّنْ حدَّثه: أنَّهم كانوا بالبصرةِ فى سنةٍ قُحِطَ الناسُ فيها، وغلا سعرُهم، واحتبَسَ عنهم المطر، فخرجوا يستسقون، وخرجتِ اليهودُ والنصارى، فاعتزلتِ اليهودُ ومعهم التَّوراة، واعتزلتِ النَّصارَى ومعهم الإنجيل، واعتزلَ المسلمون كلُّهم يدعون، وانصرفوا يومَهم ذلك. قال: فبينا أنا بعدَ ذلك أمشى فى طريقِ المِربد نظرتُ، فإذا بين يدى فتًى عليه أطمارٌ رثَّة، تقبله النَّفسُ، فهو يمشى وأنا خلفه، حتى خرجَ إلى الجَبَّان، فدخلَ بعضَ تلك المساجد التى بالقرب من المقابر، ودخلتُ خلفَه، يحولُ بينى وبينه أركانُ المسجد، فصلَّى ركعتينِ ثم رفعَ يده يدعوه، فقالَ فى دُعائه: يا ربّ، استغاثَ بك عِبادُك فلم تَسْقِهم؛ يا ربّ، الآنَ شَمِتَ بنا اليهودُ والنصارى، أقسمْتُ عليك يا ربّ إلاَّ سَقيتَنا الساعة ولم ترُدَّنى.

قال: فما برح يدعو حتى جاءتِ السَّحابة، ومُطرنا، فخرجَ وخرجتُ فى أثَرِه لأعرفَ موضعَه، فجاء إلى دارٍ فيها أخصاص وأكواخ وفيها مكان فدخل بيتًا منها فعرفت موضعه، فانصرفتُ عنه وهيَّأتُ دراهمَ فى صُرَّةٍ، ثم جئتُ فاستأذَنتُ عليه، فدخلتُ، وإذا ليس في البيت إلا قطعة حصير ومطهرة فيها ماء، وإذا هو قاعدٌ يعملُ الخُوص، فسلَّمتُ، فرحَّبَ بى وبشَّ، فتحدَّثتُ ساعةً، ثم أخرجتُ الصُّرَّة. فقلت: رحمَكَ الله، انتفِعْ بهذه، فتبسَّمَ وقال: جزاكَ اللهُ خيرًا، أنا فى غِنَى عنها. فألحَحْتُ عليه. فجعلَ يدعو ويأبَى أنْ يأخذَها، فلمّا أكثرتُ عليه تنكَّرَ لى، وقال: حَسْبُك الآن ليس بى إليها حاجة. قال: فأقبلتُ عليه، فقلت: رحمك الله، إنَّ لى عليك حقًّا. قال: وما

هو رحمكَ الله؟ قلت: كنتُ أسمعُ دعاءَكَ حين خرجتَ على الجبَّان. قال: فاصفرَّ وجهُه حتى أنكرتُه، وساءَهُ ما قلت، ثم خرجتُ من عندِه، فلمّا كان بعد ذلك بأيام، أتيتُهُ فلمّا دخلتُ الدارَ جعلَ سُكَّانُ الدارِ يصيحون بقيِّمِ الدار: هو ذا هو قد جاء. فجاءَ إليَّ فتعلَّقَ بى، وقال: يا عدوَّ نفسِه، ما صنعتَ بذاك الفتى الذى جئتَه اليومَ الأول؟ أيَّ شىءٍ أسمعتَه؟ قلتُ: لا تعجَلْ حتى أُخبرَك بالحديث، فأخبرتُهُ بالحديث. فقال: إنك لمّا خرجتَ من عندِه قامَ فى الحال، فأخذَ حصيرَهُ ومَطهرتَه وودَّعَنا وخرج، ولم يَعُدْ إلينا إلى الساعة، لا ندرِى أينَ توجَّه[1].

الله يستجيب دعاء مالك بن دينار

۞ وقال العباس بن رزين: كانت امرأةً أصابها الماء الأصفر فى بطنها، وعظمت بليتُها، فأتت مالك بن دينار، فقالت: ادع الله لى. فقال لها: إذا كنتُ فى المجلس فقومى حتى نراك. فأتته فى مجلسه، فقال لأصحابه: إن هذه المرأة قد ابتُليت كما ترون، وقد فزعت إلينا. فادعوا الله لها. فرفع مالك يده وقال: يا ذا المنِّ القديم، يا عظيم، يا لا إله إلا أنت عافها، وفرج عنها، فانخمص ما فى بطنها، وعُوفيت[2].

(١) المختار من مناقب الأخيار (٥/ ٢٩٣- ٢٩٤).
(٢) المختار من مناقب الأخيار / لابن الأثير (٤/ ٢٧٥).

العبد المجاب الدعوة

❁ قَالَ مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ:

«احْتَبَسَ عَنَّا الْمَطَرُ بِالْبَصْرَةِ فَخَرَجْنَا يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ نَسْتَسْقِي فَلَمْ نَرَ أَثَرَ الْإِجَابَةِ فَخَرَجْتُ أَنَا وَعَطَاءٌ السُّلَيْمِيُّ وَثَابِتٌ الْبُنَانِيُّ، وَيَحْيَى الْبَكَّاءُ، وَمُحَمَّدُ ابْنُ وَاسِعٍ، وَأَبُو مُحَمَّدٍ السَّخْتِيَانِيُّ، وَحَبِيبٌ أَبُو مُحَمَّدٍ الْفَارِسِيُّ، وَحَسَّانُ ابْنُ أَبِي سِنَانٍ، وَعُتْبَةُ الْغُلَامُ، وَصَالِحٌ الْمُرِّيُّ حَتَّى صِرْنَا إِلَى مُصَلًّى بِالْبَصْرَةِ وَخَرَجَ الصِّبْيَانُ مِنَ الْمُكَاتَبِ وَاسْتَسْقَيْنَا فَلَمْ نَرَ أَثَرَ الْإِجَابَةِ وَانْتَصَفَ النَّهَارُ وَانْصَرَفَ النَّاسُ وَبَقِيتُ أَنَا وَثَابِتٌ الْبُنَانِيُّ فِي الْمُصَلَّى فَلَمَّا أَظْلَمَ اللَّيْلُ إِذَا بِأَسْوَدَ صَبِيحِ الْوَجْهِ دَقِيقِ السَّاقَيْنِ عَظِيمِ الْبَطْنِ عَلَيْهِ مِئْزَرَانِ مِنْ صُوفٍ فَقَوَّمْتِ جَمِيعَ مَا كَانَ عَلَيْهِ بِدِرْهَمَيْنِ فَجَاءَ إِلَى مَاءٍ فَتَمَسَّحَ ثُمَّ دَنَا مِنَ الْمِحْرَابِ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ كَانَ قِيَامُهُ وَرُكُوعُهُ وَسُجُودُهُ سَوَاءً خَفِيفَتَيْنِ ثُمَّ رَفَعَ طَرْفَهُ إِلَى السَّمَاءِ فَقَالَ: سَيِّدِي إِلَى كَمْ تَرْدُدْ عِبَادَكَ فِيمَا لَا يَنْقُصُكَ؟ سَيِّدِي أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ بِحُبِّكَ لِي إِلَّا سَقَيْتَنَا غَيْثَكَ السَّاعَةَ السَّاعَةَ، قَالَ: مَالِكٌ: فَمَا أَتَمَّ الْكَلَامَ حَتَّى تَغَيَّمَتِ السَّمَاءُ وَأَخَذَتْنَا كَأَفْوَاهِ الْقِرَبِ وَمَا خَرَجْنَا مِنَ الْمُصَلَّى حَتَّى خُضْنَا الْمَاءَ إِلَى رُكَبِنَا، قَالَ: فَبَقِيتُ أَنَا وَثَابِتٌ مُتَعَجِّبِينَ مِنَ الْأَسْوَدِ، ثُمَّ انْصَرَفَ فَتَبِعْنَاهُ، قَالَ: فَتَعَرَّضْتُ لَهُ فَقُلْتُ لَهُ: يَا أَسْوَدُ، أَمَا تَسْتَحِي مِمَّا قُلْتَ؟ قَالَ: وَمَاذَا قُلْتُ؟ قَالَ: قُلْتُ لَهُ: بِحُبِّكَ لِي، وَمَا يُدْرِيكَ أَنَّهُ يُحِبُّكَ؟ قَالَ: تَنَحَّ عَنْ هِمَمٍ لَا تَعْرِفُهَا يَا مَنِ اشْتَغَلَ عَنْهُ بِنَفْسِهِ أَيْنَ كُنْتُ أَنَا حِينَ خَصَّنِي بِالتَّوْحِيدِ وَبِمَعْرِفَتِهِ؟ أَفَتَرَاهُ بَدَأَنِي بِذَلِكَ إِلَّا بِمَحَبَّتِهِ لِي عَلَى قَدْرِهِ وَمَحَبَّتِي لَهُ عَلَى قَدْرِي؟ قَالَ: ثُمَّ بَادَرَ يَسْعَى، فَقُلْتُ لَهُ: رَحِمَكَ اللهُ ارْفُقْ بِنَا، قَالَ: أَنَا مَمْلُوكٌ عَلَى فَرْضٍ مِنْ طَاعَةِ مَالِكِي الصَّغِيرِ،

قَالَ: فَجَعَلْنَا نَتَّبِعُهُ مِنَ الْبُعْدِ حَتَّى دَخَلَ دَارَ نَخَّاسٍ وَقَدْ مَضَى مِنَ اللَّيْلِ نِصْفُهُ فَطَالَ عَلَيْنَا النِّصْفُ الْبَاقِي، فَلَمَّا أَصْبَحْنَا أَتَيْتُ النَّخَّاسَ فَقُلْتُ لَهُ: عِنْدَكَ غُلَامٌ تبيعَنيهِ لِلْخِدْمَةِ؟ قَالَ: نَعَمْ عِنْدِي مِائَةُ غُلَامٍ كُلُّهُمْ لِذَلِكَ، قَالَ: فَجَعَلَ يُخْرِجُ إِلَيَّ وَاحِدًا بَعْدَ آخَرَ وَأَنَا أَقُولُ: غَيْرُ هَذَا حَتَّى عَرَضَ عَلَيَّ تِسْعِينَ غُلَامًا ثُمَّ قَالَ: مَا بَقِيَ عِنْدِي غَيْرُهَا وَلَا وَاحِدٌ قَالَ: فَلَمَّا أَرَدْنَا الْخُرُوجَ دَخَلْتُ أَنَا حُجْرَةً خَرِبَةً فِي خَلْفِ دَارِهِ فَإِذَا أَنَا بِالْأَسْوَدِ نَائِمٌ، فَكَانَ وَقْتُ الْقَيْلُولَةِ، فَقُلْتُ: هُوَ هُوَ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ فَخَرَجْتُ إِلَى عِنْدِ النَّخَّاسِ فَقُلْتُ لَهُ: بِعْنِي ذَلِكَ الْأَسْوَدَ، فَقَالَ لِي: يَا أَبَا يَحْيَى ذَاكَ غُلَامٌ مَشْئُومٌ نَكِدٌ لَيْسَتْ لَهُ بِاللَّيْلِ هِمَّةٌ إِلَّا الْبُكَاءُ وَبِالنَّهَارِ إِلَّا الصَّلَاةُ وَالنَّوْمُ، فَقُلْتُ لَهُ: وَلِذَلِكَ أُرِيدُهُ، قَالَ: فَدَعَا بِهِ وَإِذَا هُوَ قَدْ خَرَجَ نَاعِسًا فَقَالَ لِي: خُذْهُ بِمَا شِئْتَ بَعْدَ أَنْ تُبْرِئَنِي مِنْ عُيُوبِهِ كُلِّهَا.

فَاشْتَرَيْتُهُ بِعِشْرِينَ دِينَارًا بِالْبَرَاءَةِ مِنْ كُلِّ عَيْبٍ، فَقُلْتُ: مَا اسْمُهُ؟ قَالَ: مَيْمُونٌ، قَالَ: فَأَخَذْتُ بِيَدِهِ فَأَتَيْتُ بِهِ إِلَى الْمَنْزِلِ فَبَيْنَا هُوَ يَمْشِي مَعِي إِذْ قَالَ لِي: يَا مَوْلَايَ الصَّغِيرَ، لِمَاذَا اشْتَرَيْتَنِي وَأَنَا لَا أَصْلُحُ لِخِدْمَةِ الْمَخْلُوقِينَ؟ قَالَ مَالِكٌ: فَقُلْتُ لَهُ: حَبِيبِي إِنَّمَا اشْتَرَيْنَاكَ لِنَخْدُمَكَ نَحْنُ بِأَنْفُسِنَا وَعَلَى رُءُوسِنَا، فَقَالَ: وَلِمَ ذَاكَ؟ فَقُلْتُ: أَلَيْسَ أَنْتَ صَاحِبَنَا الْبَارِحَةَ فِي الْمُصَلَّى؟ فَقَالَ: وَقَدِ اطَّلَعْتُمَا عَلَى ذَلِكَ؟ فَقُلْتُ: أَنَا الَّذِي اعْتَرَضْتُ عَلَيْكَ فِي الْكَلَامِ، قَالَ: فَجَعَلَ يَمْشِي حَتَّى صَارَ إِلَى الْمَسْجِدِ فَدَخَلَهُ وَصَفَّ قَدَمَيْهِ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ رَفَعَ طَرْفَهُ إِلَى السَّمَاءِ فَقَالَ: إِلَهِي وَسَيِّدِي سِرٌّ كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَظْهَرْتَهُ لِلْمَخْلُوقِينَ وَفَضَحْتَنِي فِيهِ فَكَيْفَ يَطِيبُ لِي الْآنَ عَيْشٌ وَقَدْ وَقَفَ عَلَى مَا كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ غَيْرُكَ؟ أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ إِلَّا قَبَضْتَ رُوحِي السَّاعَةَ السَّاعَةَ، ثُمَّ سَجَدَ فَدَنَوْتُ مِنْهُ فَانْتَظَرْتُهُ سَاعَةً فَلَمْ يَرْفَعْ رَأْسَهُ فَحَرَّكْتُهُ فَإِذَا هُوَ

مَيِّتٌ قَالَ: فَمَدَدْتُ يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ فَإِذَا وَجْهه ضَاحِكٌ وَقَدِ ارْتَفَعَ السَّوَادُ وَصَارَ وَجْهُهُ كَالْقَمَرِ وَإِذَا بِشَابٍّ قَدْ أَقْبَلَ مِنَ الْبَابِ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ أَعْظَمَ اللهُ أَجْرَنَا فِى أَخِينَا، هَاكُمُ الْكَفَنَ فَكَفِّنُوهُ فِيهِ فَنَاوَلَنِى ثَوْبَيْنِ مَا رَأَيْتُ مِثْلَهُمَا ثُمَّ خَرَجَ فَكَفَّنَّاهُ فِيهِمَا»[١].

أطعت الله فيما أمرني ونهاني فسألته فأعطاني

❁ قال محمد بن سُويد:

إنَّ أهل المدينة قحِطوا، وكان فيها رجلٌ صالح لازمًا لمسجد النبى ﷺ، فبينما هم فى دعائهم إذا أنا برجل عليه طِمْرانِ خَلِقان، فصلّى ركعتين أوجزَ فيهما، ثم بسط يديه إلى الله تعالى، فقال: يا ربّ أقسمتُ عليك إلا أمطرت علينا الساعة، فلم يردَّ يده ولم يقطع دعاءه حتى تغشّت بالغيوم، وأُمطروا حتى صاح أهل المدينة: الغرَق. فقال: يا ربّ إن كنت تعلم أنهم قد اكتفوا فارفع عنهم، فسكن ... وتبع الرجلَ صاحبَ المطر حتى عرف موضعه، ثم بكَّر عليه، فنادى: يا أهل البيت! فخرج الرجلُ، فقال: قد أتيتُك فى حاجة. قال: وما هى؟ قال: تخصّنى بدعوة. فقال: سبحان الله أنت أنت، وتسألنى أن أخصّك بدعوةٍ؟ ما الذى بلغك عنى وما رأيت منى؟ فأخبره، فقال: ورأيتنى؟ قال: نعم. قال: أطعتُ الله فيما أمرنى ونهانى، وسألته فأعطانى[٢].

---

(١) الحلية (١٠/ ١٧٤) لأبى نعيم.

(٢) صفة الصفوة (٢/ ١٩٣).

ارجع إلى القراءة في المصحف يرد الله عليك بصرك

۞ عن أبى القاسم عبد الرحمن بن أبي عبد الله بن خالد الهمدانى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال:

لما وصلت إلى مدينة مرو من مدائن خُراسان سمعت الجامع الصحيح على محمد بن عمر بن شبويه المروزى فسمعنا عن شيخ بها يروى الحديث فأتيناه لنروى عنه أيضًا.

وكان اسمه على بن محمد الترابى يُعرَف به، فوجدنا معه كتابًا غَير بيِّن فوجدناه يقرأ فى المصحف وعند أصحاب الحديث أن من لا يستظهر القرآن عن ظهر قلب فهو ناقص.

وكان الرجل إمامًا فى الحديث. فقلنا له: مثلك يقرأ فى المصحف؟ فقال: ليس فى أصحاب الحديث أحفظ منى للقرآن، وذلك أنى أصلى به الأشفاع فى كل عام وأنا إمام قومى، فلما كبر سنى ضعف بصرى فتركت القراءة فى المصحف، وكان ابن أخى يقودنى إلى المسجد أصلى بالناس الفريضة، فنمت ذات ليلة فرأيت النبى ﷺ فقال لى يا على: لِمَ تركت القراءة فى المصحف، فقلت يا رسول الله: ذهب بصرى. فقال لى ارجع إلى القراءة فى المصحف يرد الله عليك بصرك.

فقمت فتوضأت وصليت وكانت ليلة طويلة من ليالى الشتاء فغلبتنى عينى، فرأيت النبى ﷺ فقال لى يا على: اقرأ فى المصحف يرد الله عليك بصرك ففكرت فى قول النبى ﷺ: «**مَن رآنى فى النوم فقد رآنى فإن الشيطان لا يتمثل بى**» فلما أصبحت غدوت إلى المسجد وابن أخى يقودنى ولا أرى شيئًا فصليت بقومى الفريضة ثم انصرفت إلى منزلى فقلت لهم: أعطونى

المصحف. فقال لى أهلى: وما تريد من المصحف؟

قلت لهم: أنظر فيه: فأخذت المصحف وفتحته وأخذت فى القراءة ظاهرًا وأنا أفتح المصحف ورقة ورقة فما طلع النهار إلا وأنا أقرأ فى المصحف وأرى حروفه أجمع، ثم تماديت فى القراءة إلى الظهر، فلم يأتِ الظهر إلا وأنا أرى كما كنت أرى وأنا أحدث فهذا شأنى[1].

(١) انظر «الصلة» (١/ ١٠١).

يعود إليه بصره إذا فتح المصحف!!

۞ عن أبى حمزة، نصير بن الفرج الأسلمى، وكان خادمًا لأبى معاوية الأسود قال: كان أبو معاوية قد ذهب بصره، فكان إذا أراد أن يقرأ فتَّش المصحف وفتحه فيردّ الله عليه بصره، وإذا أطبق المصحف ذهب بصره.

۞ وعن أبى الزاهرية قال: قَدِمت طرسوس، فدخلت على أبى معاوية الأسود وهو مكفوف البصر، وفى منزله مصحف معلق. فقلت: رحمك الله مصحف وأنت لا تبصر؟ قال: تكتم علىّ يا أخى حتى أموت؟ قال: قلت: نعم. قال: إنى إذا أردت أن أقرأ القرآن فُتح لى بصرى.

۞ وعن عبد الرحمن بن عبد الله قال: استطال رجل على أبى معاوية الأسود، فقال له رجل: مه، فقال أبو معاوية: دعه يتشفى، ثم قال: اللَّهم اغفر الذنب الذى سلّطت علىَّ به هذا.

۞ وعن أبى موسى المغازلى قال: كنت أسمع أبا معاوية الأسود إذا قام من الليل يستقى الماء، يقول: ما ضرهم ما أصابهم فى الدنيا. جبر الله لهم كل مصيبة بالجنة.

۞ وعن يحيى بن معين قال: رأيت أبا معاوية الأسود، وهو يلتقط الخرق من المزابل، فيلفقها ويغسلها، فقيل له: يا أبا معاوية إنك تُكسَى. فقال: ما ضرهم ما أصابهم فى الدنيا، جبر الله ﷻ لهم بالجنة كلّ مصيبة. قال أبو علىّ: فرأيت يحيى يبكى.

۞ وعن أحمد بن وديع قال: قال أبو معاوية الأسود: إخوانى كلهم خيرٌ منى. قيل له: وكيف ذلك يا أبا معاوية؟ قال: كلهم يرى الفضل لى على

نفسه، ومَن فضَّلنى على نفسه فهو خير منى.

۞ وعن أحمد بن فُضيل العتكى قال: غزا أبو معاوية الأسود، فحصر المسلمون حصنًا فيه علج لا يرمى بحجر ولا نشَّاب إلا أصاب، فشكوا إلى أبى معاوية فقرأ: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾[1]، ثم قال: استرونى منه، فلما وقف قال: أين تريدون بإذن الله؟ قالوا: المذاكير، قال: يا رب سمعت ما سألونى فأعطنى ما سألونى. بسم الله، ثم رمى فمرّ السهم حتى إذا قرب من الحائط ارتفع حتى أخذ العلج[2] مذاكيره فوقع. فقال: شأنكم به[3].

---

(١) سورة الأنفال: الآية: (١٧).

(٢) العِلْج: الكافر الأعجمى الغليظ، والجمع (علوج).

(٣) «صفة الصفوة» (٤/ ٤٣٠-٤٣٢) بتصرف.

رأيته أعمى.. ورأيته صحيحًا

۞ عن أبى ضمرة عاصم بن أبى بكر الزهرى قال: سمعت مالك بن أنس يقول: كان يونس بن يوسف من العُبَّاد - أو قال من خيار الناس- فأقبل ذات يوم، وهو رائح من المسجد، فلقيته امرأة، فوقع فى نفسه منها، فقال: اللهم إنك جعلت لى بصرى نعمة، وقد خشيت أن يكون علىَّ نقمة، فاقبضه إليك.

قال: فعَمِى. وكان يروح إلى المسجد يقوده ابن أخٍ له، فإذا استقبل به الأسطوانة اشتغل الصبى يلعب مع الصبيان، فإن نابتْه حاجة حصَبه، فأقبل إليه ... فبينا هو ذات يوم صحوةً فى المسجد إذْ أحسَّ فى بطنه بشىء، فحصَب الصبىَّ فشُغل الصبى مع الصبيان حتى خاف الشيخ على نفسه، فقال: اللهم إنك كنت جعلتَ لى بصرى نعمة، وخشيت أن يكون على نقمةً، فسألتك فقبضته إليك وقد خشيتُ الفضيحة فرُدَّه إلىَّ، فانصرَف إلى منزله صحيحًا يمشى.

قال مالك: فرأيته أعمى ورأيته صحيحًا [1].

---

(١) صفة الصفوة / لابن الجوزى (٢/ ١٣٤-١٣٥).

شفى الله عينه بدعوة صالحة

۞ عن أبى الوفاء بن عقيل الواعظ قال: كنت شابًّا حديث السن أتردد إلى مجالس ابن بشران الواعظ، وكان الرَّمد يعتاد عينى كثيرًا، فرآنى ذات يوم فى المجلس رجل كان يبسط لابن بشْران بساط المنبر يقال له: بكَّار، فقال لى: أراك تداوم على حضور هذا المجلس؟ فقلت: لعلِّى أستفيد شيئًا ينفعنى فى دينى. فقال لى: اجلس حتى ينقضى المجلس، فجلست.

فلما انقضى المجلس أخذ بيدى، وحملنى إلى الرُّصافة، وجاء بى إلى بابٍ فطرقَهُ، فقال قائل من داخل الدار: مَن؟ فقال: أنا بكَّار فقال: يا بكَّار ألست قد كنتَ ها هنا اليوم؟ فقال: جئت فى حاجة مهمّة. ففتح الباب، وهو يقول: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ثم دخلنا، وإذا بشيخ جالس مستقبل القبلة على رأسه نطع كالطّرحة، فسلَّمنا عليه فردَّ علينا السلام. فقال بكار: يا سيّدى هذا صبى يداوم حضور المجلس، ويحبّ الخير، وقد دام مرض عينه، فادْعُ له، فدعانى، فأتيته، فأدخل خِنْصَره فى فيه، ثم مسح عينى به. فبقيت بعد ذلك نحو ستّين سنة لم ترْمد عينى، فلما خرجت سألت عنه، فقيل لى: هذا أبو بكر الدينورى صاحب ابن شمعون[1].

---

(١) صفة الصفوة/ لابن الجوزى (٢/ ٤٩١).

يمشي في ضوء إبهامه

* إنه يزيد بن الأسود (رَحِمَهُ اللَّهُ):

قال الحافظ أبو القاسم[١]: بلَغَنى أنَّه كان يصلِّى العشاءَ الآخرة بمسجدِ دمشق، ويخرجُ إلى زِبْدِين[٢]، فيُضىءُ إبهامُهُ اليمنى، فلا يزالُ يَمْشى فى ضوئها إلى أن يَبلُغَ زبدين.

۞ وقال أبو اليمان: إنَّ يزيدَ بنَ الأسود قال لقومِه: اكتبونى فى الغزو. قالوا: قد كبِرْتَ وضعُفتَ، وليس بك غَزْوٌ. قال: سبحانَ الله! اكتبونى فى الغزو، فأينَ سَوادى فى المسلمين؟! قالوا: أمَا إذْ فعلتَ فأفْطِرْ وتقوَّ على العدوِّ. قال: ما كنتُ أُرانى أبقى حتى أُعاتَبَ فى نفسى، واللهِ لا أُشبعُها من طعامٍ، ولا أوطئُها من منامٍ حتى تلحَقَ بالذى خلقَها.

۞ وقال سُليم بنُ عامر: إنَّ السماءَ قُحطتْ، فخرجَ معاويةُ بن أبى سفيان وأهلُ دمشق يَستسقون، فلمّا قعَدَ معاويةُ على المِنْبَر قال: أينَ يزيدُ بنُ الأسود الجُرَشيّ؟ فناداهُ الناسُ، فأقبَلَ يتخطَّى، فأَمَرَهُ معاويةُ فصَعِد المنبرَ، فقعَدَ عند رجليه، فقال معاوية: اللهمَّ إنَّا نستشفِعُ إليك اليومَ بخيرِنا وأفضَلِنا، اللهمَّ إنَّا نستشفعُ إليك اليومَ بيزيدَ بنِ الأسود الجُرَشى (أي: بدعائه)، يا يزيد، ارفَعْ يديكَ إلى الله. فرفَعَ يزيدُ يديه ورفَعَ الناسُ أيديَهم، فما كان أوشكَ أنْ ثارتْ سحابةٌ فى الغرب كأنَّها تُرْسٌ، وهبَّتْ لها ريحٌ، وسُقينا حتى كاد الناسُ أن لا يبلغوا منازلَهم[٣].

---

(١) انظر مختصر تاريخ دمشق (٢٧/ ٣١٨).

(٢) زبدين: قريةٌ من قرى غوطةِ دمشق الشرقية، تبعدُ عن دمشق ١٢ كم. انظر الريف السورى (٢/ ١٣ و١٢٠).

(٣) طبقات ابن سعد (٧/ ٤٤٤)، المعرفة والتاريخ (٢/ ٣٨٠).

۞ وقال عليُّ بن أبى حملة: أصابَ الناسَ قَحْطٌ بدمشق، وعلى الناسِ الضحَّاكُ الفِهرى[١]، فخرجَ بالنَّاسِ يَستسقى، فقال: أينَ يزيدُ بنُ الأسود الجُرَشىّ؟ فلم يُجِبْهُ أحدٌ، ثم قال: أينَ يزيدُ بنُ الأسود الجُرَشىّ؟ عزَمْتُ عليه إنْ كان يسمعُ كلامى إلاَّ قام، فقامَ وعليه بُرْنُسٌ[٢] واستقبلَ الناسَ بوجهه ورفعَ جانبَىْ بُرْنُسِهِ على عاتقيه، ثم رفعَ يدَيْه، ثم قال: اللهمَّ يا رب[٣]، إنَّ عِبادكَ قد تَقرَّبوا بى إليكَ فاسقِهم. قال: فانصرفَ الناسُ وهم يخوضونَ الماءَ، فقال: اللهمَّ، إنَّهُ قدْ شَهَرَنى فأرِحْنى منه. قال: فما أتَتْ عليه جُمعةٌ حتى قُتِلَ الضحَّاك[٤].

---

(١) الضحاك بن قيس الفهرى: سيدُ بنى فِهْر، وأحدُ الولاةِ الشجعان، شهدَ فتح دمشق، وشهد صِفِّين مع معاوية، وولاَّهُ الكوفةَ سنةَ ٥٣ هـ، وتولَّى الصلاةَ على معاوية يوم وفاتِه.
دعا إلى بيعةِ ابن الزُّبير بدمشق، ولما انعقدَتِ البيعةُ لمروانَ بنِ الحكم امتنع على مروان، فقُتل فى مَرجِ راهط سنةَ ٦٥ هـ. الأعلام.

(٢) البُرْنُس: كلُّ ثوبٍ رأسُه منه. القاموس.

(٣) فى المعرفة والتاريخ، ومختصر تاريخ دمشق: «أى: رب».

(٤) المعرفة والتاريخ (٢/ ٣٨١)، مختصر تاريخ دمشق (٢٧/ ٣١٩).

هذا الزورق لك

۞ قال الحسين بن داود بن على بن عيسى بن محمد بن القاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن بن على بن أبى طالب:

رأيت فى المنام كأنى على شط البحر، فإذا أنا بزورق كأنه البرق يمرُّ، فقالوا: هذا رسول الله ﷺ فَقُلْتُ: السَّلامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَالَ: وعليك السلام. فما كان بأسرع من أن رأيت زورقا آخر قد أقبل فقالوا: هذا أمير المؤمنين على بن أبى طالب. فقلت: السلام عليك يا أبتِ، فقال: وعليك السلام فما كان أسرع من أن جاء زورق آخر قد ظهر قالوا: الحسن بن على، فقلت: السلام عليك يا أبتِ، فقال: وعليك السلام، فما كان بأسرع من أن جاز زورق آخر وليس فيه أحد فقلت: لمن هذا الزورق. فقالوا: هذا الزورق لك. فما أتى عليه بعد هذه الرؤيا إلا أقل من شهر حتى توفى[1].

---

(١) انظر «المنتظم» (١٤/ ١٧٧) حوادث سنة ٣٥٥ هـ. وكان الحسين هذا شيخ آل رسول الله ﷺ فى عصره بخراسان، وكان من أكثر الناس صلاةً وصدقةً ومحبةً لأصحاب رسول الله ﷺ انظر «المنتظم» (١٤/ ١٧٦).

الرأس يقرأ القرآن

۞ عن إبراهيم بْن إِسْمَاعِيل بْن خلف قَالَ:

كَانَ أحمد بْن نصر خليلى، فلما قُتل فى المحنة وصُلب رأسه، أُخبرت أن الرأس يقرأ القرآن، فمضيت فبتُّ بقربٍ من الرأس مُشرفًا عَلَيْهِ، وَكَانَ عنده رجالة وفرسان يحفظونه، فلمَا هدأت العيون سمعت الرأس يقرأ: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ﴾ [١] الآية، فاقشعرَّ جلدى، ثم رأيته بعد ذلك فِى المنام وعليه السندس والإستبرق وعلى رأسه تاج، فقلت: مَا فعل الله بك يَا أخى؟ قَالَ: غفر لى وأدخلنى الجنة، إلا أنى كنت مغمومًا ثلاثة أيام، فقلت: ولِمَ؟ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَرَّ بى، فلمَا بلغ خشبتى حَوَّل وجهه عنى، فقلت لَهُ بعد ذلك: يَا رَسُول اللهِ، قُتلت عَلَى الحق أم عَلَى الباطل؟ قَالَ: أنت عَلَى الحق، ولكن قتلك رجلٌ من أهل بيتى، فإذا بلغت إليك أستحى منك [٢].

۞ وعن مُحَمَّدُ بْنُ إسحاق السراج قال: سمعت أبا بكر المطوعى قَالَ: لمَا جىء برأس أحمد بْن نصر صلبوه عَلَى الجسر، فكانت الريح تُديره قِبَل القبلة، فأقعدوا لَهُ رجلًا معه قصبة أو رمح، فكان إذا دار نحو القبلة أداره إِلَى خلاف القبلة [٣].

---

(١) سورة العنكبوت: الآيتان: (١-٢).

(٢) انظر «المنتظم» (١١/ ١٦٩) حوادث سنة ٢٣١ هـ، وتاريخ بغداد (٥/ ١٧٩).

(٣) المرجع السابق (١١/ ١٦٩)، وتاريخ بغداد (٥/ ١٧٩).

رجلٌ يصلي في قبره

۞ عن شَيْبَانُ بْنُ جِسْرٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: «أَنَا وَاللهِ الَّذِى لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ أَدْخَلْتُ ثَابِتًا الْبُنَانِيَّ لَحْدَهُ وَمَعِى حُمَيْدٌ الطَّوِيلُ أَوْ رَجُلٌ غَيْرُهُ. قَالَ: فَلَمَّا سَوَّيْنَا عَلَيْهِ اللَّبِنَ سَقَطَتْ لَبِنَةٌ فَإِذَا أَنَا بِهِ يُصَلِّى فِى قَبْرِهِ فَقُلْتُ لِلَّذِى مَعِى: أَلَا تَرَى؟ قَالَ: اسْكُتْ فَلَمَّا سَوَّيْنَا عَلَيْهِ وَفَرَغْنَا أَتَيْنَا ابْنَتَهُ فَقُلْنَا لَهَا: مَا كَانَ عَمَلُ أَبِيكَ ثَابِتٍ؟ فَقَالَتْ: وَمَا رَأَيْتُمْ؟ فَأَخْبَرْنَاهَا فَقَالَتْ: كَانَ يَقُومُ اللَّيْلَ خَمْسِينَ سَنَةً فَإِذَا كَانَ السَّحَرُ قَالَ فِى دُعَائِهِ: اللهُمَّ إِنْ كُنْتَ أَعْطَيْتَ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ الصَّلَاةَ فِى قَبْرِهِ فَأَعْطِنِيهَا»، فَمَا كَانَ اللهُ لِيَرُدَّ ذَلِكَ الدُّعَاءَ[١].

***

هكذا ردَّ الله عليه بصره

۞ عن مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ الْحَسَنِ الْمَعْرُوفُ ببرهان الدّينوريّ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ سِنَانٍ قَالَ: لَحِقَنِى ضَعْفٌ فِى بَصَرِى فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِى مَنَامِى فَشَكَوْتُ إِلَيْهِ ضَعْفَ بَصَرِى. فقَالَ لِى: خُذْ قِشْرَ اللَّوْزِ الْحُلْوِ فَاحْرِقْهُ وَاسْحَقْهُ مَعَ الإِثْمِدِ وَاكْتَحِلْ بِهِ، فَفَعَلْتُ ذَلِكَ فَرَدَّ اللهُ عَلَيَّ ضَوْءَ بَصَرِى.

قَالَ بُرْهَانٌ: وَهُوَ الْقِشْرُ الْغَلِيظُ الْيَابِسُ[٢].

***

(١) «أهوال القبور» لابن رجب (ص ٤٠).

(٢) «تاريخ بغداد» (١٠/ ٨٧).

رجل لا تحرقه النار!!!

۞ قال بعض الصالحين:

دخلت إلى «مصر» فوجدتُ حدَّادًا يُخرج الحديد بيده من النار ويُقلّبه على السِّندال ولا يجد لذلك ألمًا، فقلتُ فى نفسى: هذا عبدٌ صالح لا تعدو عليه النار، فدنوتُ منه وسلّمت عليه فردَّ علىَّ السلام، فقلتُ له: بالذى مَنَّ عليك بهذه الكرامة إلا ما دعوت لى، فبكى وقال: والله يا أخى ما أنا كما ظننت.

فقلتُ له: يا أخى إن هذا الذى تفعله لا يقدر عليه إلا الصالحون.

فقال: إن لهذا الأمر حديثًا عجيبًا.

فقلت له: إن رأيت أن تُعرفنى به فافعل.

قال: نعم، قال: كنت يومًا من الأيام جالسًا فى هذه الدكان، وكنت كثير التخليط، إذ وقفت علىَّ امرأة لم أر قطّ أحسن منها وجهًا، فقالت: يا أخى هل عندك شىء لله؟

فلما نظرت إليها فُتنتُ بها وقلتُ لها:

هل لك أن تمضى معى إلى البيت وأدفع ما يكفيك؟

فنظرت إلىّ زمانًا طويلًا فذهبت وغابت عنىّ طويلًا ثم رجعت وقالت: يا أخى قد أحوجتنى الضرورة إلى ما ذكرت.

قال: فقفلت الدكان ومضيتُ إلى البيت، فقالت لى:

يا هذا إن لى أطفالًا وقد تركتهم على فاقة شديدة فإن رأيت أن تعطينى شيئًا أذهب به إليهم وأرجع إليك فافعل.

قال: فأخذتُ عليها العهود والمواثيق ودفعتُ لها بعضًا من الدراهم

فمضت وغابت ساعة ثم رجعت فدخلتُ بها إلى البيت وأغلقت الباب فقالت: لِمَ فعلت هذا؟

فقلتُ لها: خوفًا من الناس!

فقالت: ولِمَ لا تخاف من رب الناس؟!

فقلتُ لها: إنه غفور رحيم.

ثم تقدمت إليها فوجدتها تضطرب كما تضطرب السعفة فى يوم ريح عاصف، ودموعُها تتحدّر على خدّيها فقلت لها:

مِمَّ اضطرابك وبكاؤك؟

فقالت: خوفًا من الله ﷻ.

ثم قالت لى: يا هذا إن أنت تركتنى لله دعوت الله لك ألا يعذّبك بالنار فى الدنيا والآخرة.

قال: فقمت وأعطيتها جميع ما عندى وقلت لها:

يا هذه قد تركتك خوفًا من الله ﷻ.

فلمّا فارقتنى غلبتنى عينى فنمت فرأيت امرأة لم أر قطّ أحسن منها وجهًا وعلى رأسها تاج من الياقوت الأحمر، فقالت لى: جزاك الله عنا خيرًا.

قلت لها: من أنت؟

قالت: أنا أمُّ الصِّبية التى أتتك وتركتها خوفًا من الله ﷻ لا أحرقك الله بالنار فى الدنيا ولا فى الآخرة.

ثم أفقتُ من نومى ومن ذلك الوقت لم تعدُ علىَّ النار وأرجو أن لا تعدو علىَّ فى الآخرة».

قُتل أربعة آلاف من الروم بسبب تكبيره

۞ قَالَ الجُنيد بن محمد:

قَالَ لي مُحَمَّدٌ السَّمِينُ: كُنْتُ فِي وَقْتٍ مِنْ أَيَّامِي مَحْمُولًا أَعْمَلُ عَلَى الشَّوْقِ وَأَنَا أَجِدُ مِنْ ذَلِكَ شَيئًا أَنَا بِهِ مُسْتَقِلٌّ، فَخَرَجَ النَّاسُ فِي غَزَاةٍ وَخَرَجْتُ مَعَهُمْ فَاشْتَدَّتْ شَوْكَةُ الرُّوم عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَالْتَقَوْا وَلَحِقَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ ذَلِكَ خَوْفٌ لِكَثْرَتِهِمْ فَرَأَيْتُ نَفْسِي مُرَوَّعًا تَضْطَرِبُ فَكَبُرَ ذَلِكَ عَلَيَّ فَوبَّخْتُ نَفْسِي أَلُومُهَا وَأَقُولُ لَهَا: أَيْنَ مَا كُنْتِ تَدَّعِينَهُ مِنَ الشَّوْقِ وَأُعَاتِبُهَا أَقُولُ لَهَا: لَمَّا ظَفِرْتِ بِمَا كُنْتِ تُؤَمِّلِينَ تَغَيَّرْتِ وَاضْطَرَبْتِ فَبَيْنَا أَنَا فِي عِتَابِي وَتَوْبِيخِي لَهَا وَقَعَ لِي أَنْ أَنْزِلَ إِلَى هَذَا الْبَحْرِ وَأَغْتَسِلَ وَبِحَضْرَتِنَا نَهْرٌ مِنْ أَنْهَارِ الرُّومِ فَخَلَعْتُ ثِيَابِي وَاتَّزَرْتُ وَدَخَلْتُ الْبَحْرَ فَاغْتَسَلْتُ فَأُعْطِيتُ قُوَّةً وَذَهَبَ عَنِّي الرَّوْعُ وَالاضْطِرَابُ بِتِلْكَ الْقُوَّةِ وَاشْتَدَّتْ بِيَ الْعَزِيمَةَ فَخَرَجْتُ وَلَبِسْتُ ثِيَابِي، وَأَخَذْتُ سِلَاحِي وَأَتَيْتُ الصَّفَّ فَحَمَلْتُ حَمَلَةً لَا أُحُسُّ مِنْ نَفْسِي شَيْئًا فَخَرَقْتُ صُفُوفَ الْمُسْلِمِينَ وَصُفُوفَ الرُّومِ وَصِرْتُ مِنْ وَرَاءِ صُفُوفِ الرُّومِ فَكَبَّرْتُ تَكْبِيرَةً فَسَمِعَ الْعَدُوُّ تَكْبِيرَتِي وَقَدَّرُوا أَنَّ كَمِينًا لِلْمُسْلِمِينَ قَدْ خَرَجَ عَلَيْهِمْ مِنْ وَرَائِهِمْ فَوَلَّوْا مُنْهَزِمِينَ وَحَمَلَ عَلَيْهِمُ الْمُسْلِمُونَ فَقُتِلَ مِنْهُمْ نَحْوُ أَرْبَعَةِ آلَافِ رَجُلٍ وَجَعَلَ اللهُ ذَلِكَ التَّكْبِيرَ سَبَبًا لِلْفَتْحِ وَالنَّصْرِ [١].

---

(١) حلية الأولياء (١٠/ ٣٣٦)، وصفة الصفوة (٢/ ٣٩٩).

أُسود المؤمنين في مواجهة الأسود

۞ إن من عجائب ما يرويه لنا التاريخ تلك المواقف العجيبة التى يقف فيها بعض الصالحين وجهًا لوجهٍ مع الأُسود... فمنهم من قتل الأسد، ومنهم من سخّر الله له ذلك الأسد.

وإليك بعض قصصهم مع الأسود.

صلة بن أشيم وقصته مع الأسد

۞ يقول جعفر: خرجنا فى غزاةٍ إلى كابل نرجو من الله أن يفتح لنا هذه البلاد فينضم أهلها إلى الإسلام، وكان فى الجيش صلة بن أشيم العدوى.

فلما جاء الظلام وأرخى الليل سُدوله، حَط الجيشُ رحاله؛ كى يستريح جُندُ المسلمين، ويخلد بعضُهم إلى صلاته، ونفسه من عناء الضجيج والسفر.

فقلت: لأرمقنَّ عمل صلة بن أشيم، فصلَّى، ثم اضطجع فنام، فأصابنى غبنٌ منه، فقد أشاع الناسُ عنه صلاته وقيامه حتى تتورم قدماه.

ثم التمس الرجلُ غفلة الناس، ثم وثب نشيطًا، فتوارى عن مكان الجند حتى انحاز إلى غيضة وارفة الظلال، أشجارها باسقة ملتفة، وأعشابها قد نمت، فأصبحت وكرًا للحيوانات، ولم يعد للإنسان دور فيها، لانعزالها وكثافة أشجارها، فمضيتُ أرقبه، حتى بلغ مكانًا منعزلًا، فاستقبل القبلة ووقف قائمًا يصلى لا يشغله شاغل عن استدامة الخشوع، وسكينة الأعضاء والنفس، وفيما هو كذلك جاء أسدٌ حتى دنا منه، فارتعدتُ خوفًا، وصعدتُ شجرة، وجعلت أرقب الموقف، فإذا بالأسد يدنو من صِلة بن

أشيم، وهو غارق في صلاته حتى أصبح على بعد خطواتٍ منه، فوالله ما التفت صلة إلى الأسد، ولا اهتم به فلما سجد، قلت: الآن يفترسه الأسد.

فلما نهض من سجوده وقف الأسد أمامه، كأنه يتأمله، فلما سلَّم، نظر إلى الأسد قائلًا: اطلب الرزق بمكانٍ آخر.

فولَّى وإن له لزئيرًا تصدع منه الجبال، فما زال كذلك فلما كان الصبح جلس فحمد الله ﷻ بمحامد لم أسمع بمثلها إلى ما شاء الله ثم قال: اللهم إني أسألك أن تُجيرني من النار، أَوَ مثلي يجترئ أن يسألك الجنة؟!(١).

ثم رجع فأصبح كأنه بات على الحشايا، وأصبحتُ وبي من التعب شيء الله به عليم.

قال: فلما دنونا من أرض العدو.

قال الأمير: لا يذهب أحدٌ من المجاهدين بعيدًا.

قال: فشردت بغلة صلة بن أشيم بكل ما عليها فقالوا لصلة: هيا نلحق بالجيش فقد ذهب الناس.

فقال: دعوني أُصلي ركعتين.

فقالوا: الناسُ قد ذهبوا. قال: إنهما ركعتان خفيفتان. فدعا ثم قال: اللهم إني أقسمُ عليك أن ترد بغلتي وثقلها. فجاءت حتى قامت بين يديه.

قال: فلما لقينا العدو حمل هو وهشام بن عامر، فصنعا بهم طعنا وضربًا وقتلًا، فكُسر ذلك العدو، فقالوا: رجلان من العرب صنعا بنا هذا! فكيف لو قاتلونا؟ فأعطوا المسلمين حاجتهم(٢).

---

(١) البداية (٦/ ١٣١).

(٢) المعرفة والتاريخ (٢/ ٧٩-٨٠)، وصفة الصفوة (٣/ ٢١٧-٢١٨).

عمرو بن عتبة وقصته مع الأسد

ولقد أكرم الله ﷻ عمرو بن عتبة بكرامات كثيرة... وتلك ثمرة من ثمرات الاستقامة على الطاعة والعبادة.

بل إن الاستقامة نفسها هى عين الكرامة.... كما قال الإمام ابن تيمية رحمه الله: أعظم الكرامة لزوم الاستقامة.

وقد يشتاق العبد لأن يكرمه الله بكرامة تُشعره بقدره ومكانته عند الله.... فكن وليًا لله - جل وعلا - فقد قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[1].

قال عيسى بن عمر: إن عمرو بن عتبة كان يشترط على أصحابه أن يكون خادمهم، فخرج فى الرعى فى يوم حار، فأتى بعض أصحابه، فإذا هو بالغمامة تظله، وهو قائم فقال: أبشر يا عمرو، فأخذ عليه عمرو أن لا يخبر أحدًا[2].

وقال مولى لعمرو بن عُتبة: استيقظنا يومًا حارًا فى ساعة حارة، فطلبنا عمرًا، فوجدناه فى جبل وهو ساجد، وغمامة تظله وكنا نخرج إلى العدو فلا نتحارس لكثرة صلاته. ورأيته ليلة يصلى، فسمعنا زئير الأسد فهربنا، وهو قائم يصلى لم ينصرف فقلنا له: أما خفت الأسد؟ فقال: إنى لأستحيى من الله أن أخاف شيئًا سواه[3].

---

(١) سورة يونس: الآية (٦٢-٦٤).

(٢) المعرفة (٢/ ٥٨٥)- والحلية (٤/ ١٥٧).

(٣) الحلية (٤/ ١٥٧) - وصفة الصفوة (٣/ ٧٠).

يكمل صلاته.. والثعبان في موضع سجوده

۞ إنك إن عشت على طاعة الله ستسعد فى الدنيا والآخرة لا محالة.

قال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [(١)].

فإذا جاءت سكرة الموت فلا تخف مما أمامك ولا تحزن على فوات الدنيا فإن ما عند الله خيرٌ وأبقى.

فقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴾ [(٢)].

۞ وها هو عمرو بن عتبة يملأ حياته كلها طاعة لله (جل وعلا) ويستقيم على ذلك حتى آخر لحظة فى حياته.

قال عيسى بن عمر: كان عمرو بن عُتبة يخرج على فرسه ليلًا فيقف على القبور فيقول: يا أهل القبور، قد طُويت الصحف، ورُفعت الأعمال.

ثم يبكى، ثم يَصُفُّ قدميه حتى يصبح، فيرجع فيشهد صلاة الصبح [(٣)] وقال بشر بن الحارث: كان عمرو بن عتبة يصلى، والغمام فوق رأسه، والسباع حوله تحرك أذنابها [(٤)].

---

(١)سورة النحل: الآية: (٩٧).

(٢)سورة فصلت: الآية (٣٠-٣٢).

(٣)تاريخ الإسلام (٣/ ١٩٦-١٩٧).

(٤)صفة الصفوة (٣/ ٦٩).

وقال محمد بن سيرين: كان عمرو بن عتبة لا يزال الرجل يتشبه به قد صحبه؛ فبينا هو ليلة فى فسطاط يصلى، وصاحبه يصلى خارجًا من الفسطاط جاءه أَسْوَد[١] حتى مر فى قبلة صاحب عمرو، فلم ينصرف، ثم أتى الفسطاط، فجاء حتى انطوى على رجل عمرو فلم ينصرف فلما أراد أن يسجد فجاء حتى انطوى فى موضع سجوده، فسجد عليه- أو قال: فنحَّاه، ثم سجد - فلما أصبح صاحب عمرو دخل عليه فأخبره بمرور الأسود بين يديه، وأنه لم ينصرف، وهو يرى أنه قد صنع شيئًا، فأراه عمرو أثره على رجله، وأخبره بما صنع[٢].

قصة الأسد مع (سفينة) مولى رسول الله ﷺ

۞ وخلاصة القصة أن (سفينة) مولى رسول الله ﷺ، قال: ركبت البحر فانكسرت بى سفينتى التى كنتُ فيها فركبت لوحًا من ألواحها، فطرحنى اللوح إلى أجمة[٣] فيها الأسدُ، فدخلتُ فخرج إلىَّ الأسدُ، فأقبل إلىَّ فقلت: يا أبا الحارث! أنا مولى رسول الله ﷺ، فطأطأ رأسهُ وأقبل إلىَّ يدفعنى بمنكبيه، فأخرجنى من الأجمة، ووقفنى على الطريق ثم هَمْهَمْ، فظننتُ أنه يودعُنى فكان هذا آخر عهدى به[٤].

---

(١) الأَسود: الحية العظيمة.

(٢) تهذيب الكمال (٢٢/ ١٣٩).

(٣) الأجمة: الشجر الملتف والجمع أجم مثل قصبةٍ وقصبٍ والآجام جمع الجمع والأجم بضمتين الحصن وجمعه آجام مثل عنقٍ وأعناقٍ.

(٤) رواه الحاكم والبيهقى وأبو يعلى والبزار.

هاشم بن عتبة بن أبي وقاص.. وقصته مع الأسد

۞ لقد وصل الأمر من عمر بن الخطاب ﵁ بعد انتصار المسلمين فى القادسية بالتوجُّه لفتح المدائن.. فعبَّأ سعد بن أبى وقاص ﵁ جيشه وجعل هاشم نائبًا عنه بدلًا من خالد بن عرفطة الذى جعله على الساقة.. فسارت قوات المسلمين من نصرٍ إلى نصر.. وفى ساباط كان لنا وقفة مع الأسد.

۞ هاشم الأسد يقتل أسد كسرى في مظلم ساباط:

تقدم الجيشُ إلى ساباط على ثلاثين كيلو مترًا من المدائن، بطريق بهرسير، وفى مكان اسمه مظلم بضواحى ساباط، التقى السملمون بقوة مجوسية، ذكرتها الأنباء على أنها كتيبة كسرى، أو كتائب كسرى، وحملت اسم: بوران [بنت كسرى أبرويز، وهى عمة يزدجرد الثالث]، وهى تمثل قوات الحرس الملكى.

وبلغ هاشم إلى مظلم ساباط، فوقف المسلمون حتى لحق بهم سعد، وفى مظلم ساباط كانت بعضُ الحدائق الملكية، وكان كسرى قد اقتنى فيها بعض الأسود منها اسد اسمه المقرط، كان كسرى قد اختاره من أسود المظلم واستأنسه، واجتمعت كتائب كسرى بروان فى المظلم، وكانوا يحلفون بالله كل يزول: «لا يزول ملك فارس ما عشنا»، ودارت المعركة، وبلغهم سعد وهى دائرة، فأطلق المجوس أسَدَهم المقرط على صفوف المسلمين، ونزل هاشم عن فرسه، وتقدم إلى الأسد بقلبٍ لا يعرف الخوف، كما تقدم إخوانٌ له من قبل إلى الأفيال بالقادسية، وضرب هاشم

الأسد بسيفه حتى قتله وسمَّى سيفه «المنن» وقَبَّل سعدٌ رأس هاشم؛ تقديرًا له ولما فعل، وانحنى هاشم حبًّا وحترامًا لعمه وقائده حتى قبَّل قدم سعد»[١].

الخليفة المعتضد العباسي.. وقصته مع الأسد

۞ وَعَنْ جعيف السَّمَرْقَنْدِيِّ الْحَاجِبِ قَالَ:

كُنْتُ مَعَ مَوْلَاىَ الْمُعْتَضِدِ فِى بَعْضِ مُتَصَيَّدَاتِهِ وَكَانَ قَدِ انْقَطَعَ عَنِ الْعَسْكَرِ وَلَيْسَ مَعَهُ غَيْرِى، إِذْ خَرَجَ عَلَيْنَا أَسَدٌ فَقَصَدَ قَصْدَنَا، فَقَالَ لِى الْمُعْتَضِدُ: يَا جَعِيفُ أَفِيكَ خَيْرٌ؟ قُلْتُ: لَا وَاللهِ يَا مَوْلَاىَ. قَالَ: وَلَا أَنْ تُمْسِكَ فَرَسِى وَأَنْزِلُ أَنَا؟ فَقُلْتُ: بَلَى. قَالَ: فَنَزَلَ عَنْ فَرَسِهِ فَأَمْسَكْتُهَا، وَغَرَزَ أَطْرَافَ ثِيَابِهِ فِى مِنْطَقَتِهِ وَاسْتَلَّ سَيْفَهُ وَرَمَى بِقِرَابِهِ إِلَىَّ، ثُمَّ تَقَدَّمَ إِلَى الْأَسَدِ فَوَثَبَ الْأَسَدُ عَلَيْهِ فَضَرَبَهُ الْمُعْتَضِدُ بِالسَّيْفِ فَأَطَارَ يَدَهُ، فَاشْتَغَلَ الْأَسَدُ بِيَدِهِ فَضَرَبَهُ ثَانِيَةً عَلَى هَامَتِهِ فَفَلَقَهَا، فَخَرَّ الْأَسَدُ صَرِيعًا، فَدَنَا مِنْهُ فَمَسَحَ سَيْفَهُ فِى صُوفِهِ، ثُمَّ أَقْبَلَ إِلَىَّ فَأَغْمَدَ سَيْفَهُ فِى قِرَابِهِ ثُمَّ رَكِبَ فَرَسَهُ ثُمَّ عُدْنَا إِلَى الْعَسْكَرِ، قَالَ: وَصَحِبْتُهُ إِلَى أَنْ مَاتَ فَوَاللهِ مَا سَمِعْتُهُ ذَكَرَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ، فَمَا أَدْرِى مِنْ أَىِّ شَىْءٍ أَعْجَبُ، مِنْ شَجَاعَتِهِ أَمْ مِنْ عَدَمِ احْتِفَالِهِ بِذَلِكَ حَيْثُ لَمْ يَذْكُرْهُ لِأَحَدٍ، أَمْ مِنْ عَدَمِ عَتْبِهِ عَلَىَّ حَيْثُ ضَنَنْتُ بِنَفْسِى عَنْهُ؟ وَاللهِ مَا عَاتَبَنِى فِى ذَلِكَ قَطُّ[٢].

---

(١) سقوط المدائن لأحمد عادل كمال (ص ٢٠-٢١) دار النفائس.

(٢) البداية والنهاية لابن كثير (١١/ ٨٨).

بُنان الحمَّال... وكرامة عجيبة

۞ قَالَ أَبُو عَلِيٍّ الرُّوذْبَارِيُّ: كَانَ سَبَبُ دُخُولِي مِصْرَ حِكَايَةَ بُنَانٍ وَذَلِكَ أَنَّهُ أَمَرَ ابْنَ طُولُونَ بِالْمَعْرُوفِ فَأَمَرَ أَنْ يُلْقَى بَيْنَ يَدَيِ السَّبُعِ فَجَعَلَ السَّبُعُ يَشَمُّهُ وَلَا يَضُرُّهُ فَلَمَّا أُخْرِجَ مِنْ بَيْنِ يَدَيِ السَّبُعِ قِيلَ لَهُ: مَا الَّذِي كَانَ فِي قَلْبِكَ حِينَ شَمَّكَ السَّبُعُ؟ قَالَ: كُنْتُ أَتَفَكَّرُ فِي اخْتِلَافِ النَّاسِ فِي سُؤْرِ السِّبَاعِ وَلُعَابِهَا[1].

وَاحْتَالَ عَلَيْهِ أَبُو عُبَيْدِ اللهِ الْقَاضِي حَتَّى ضُرِبَ سَبْعَ دِرَرٍ فَقَالَ: حَبَسَكَ اللهُ بِكُلِّ دِرَّةٍ سَنَةً فَحَبَسَهُ ابْنُ طُولُونَ سَبْعَ سِنِينَ[2].

۞ ورُوي أنه احتاج إلى جاريةٍ تخدمه، فانبسط إلى إخوانه والتمس منهم، فجمعوا له ثمنها، وقالوا: إذا جاء النَّفرُ نشتري لك ما يوافق. فلما جاء النفر اتفق رأيُهم على واحدة، فقالوا لصاحبها: بكم هذه؟ فقال: إنها ليست للبيع، فألَحُّوا عليه، فقال: إنها لِبُنان الحَمَّال أهدَتْها إليه امرأةٌ من سمَرقَند. فحملوها إلى بُنان، فذكروا له القصة.

---

(١) الحلية (١٠/ ١٢٤)، وتاريخ بغداد (٧/ ١٠١).

(٢) الحلية (١٠/ ٣٢٤)، وتاريخ بغداد (٧/ ١٠١-١٠٢).

حمله الأسد فأسلم الرُّهبان

۞ قال عبد الله بن أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

كان فِي دهليزنا دُكَّان، وكان إذا جاء إنسان يريد أبي أن يخلو معه أجلسه عَلَى الدكان، وإذا لم يُرد أن يخلو معه أخذ بعضادتي الباب وكلَّمه.

فلما كان ذات يوم جاءنا إنسانٌ، فقال لي: قل لأحمد: أَبُو إِبْرَاهِيم السائح، فخرج إليه أبي، فجلسا عَلَى الدكان، فقال لي أبي: سلِّم عليه، فإنه من كبار المسلمين أو من خيار المسلمين.

فسلَّمت عليه، فقال له أبي: حَدِّثْنِي يا أبا إِبْرَاهِيم؟ فقال: خرجت من الموضع الفلاني، بقرب الدير الفلاني فأصابتني علة منعتني من الحركة، فقلت فِي نفسي:

لو كنت بقرب الدير الفلاني؟ لعل فيه من الرهبان من يداويني!!

فإذا أنا بسبعٍ عظيم يقصد نحوي، حتى جاءني، فاحتملني عَلَى ظهره حملًا رفيقًا حتى ألقاني عند باب الدير، فنظر الرُّهبان إلى حالي مع السبع، فأسلموا كلهم، وهم أربعمائة راهب [1].

---

(١) طبقات الحنابلة (١/ ١٨٦) لابن أبي يعلى.

الكلب الذي أنقذ صاحبه

۞ عن أبي عبيدة قال: خرج رجل من أهل البصرة إلى الجبَّان ينتظر رِكَابَه، فاتَّبعَهَ كلبٌ له، فضربه وطرده، وكَرِه أن يتبعه، ورماه بحجر فأدماه، فأبى الكلب إلا أن يتبعه، فلما صار إلى الموضع وثب قوم كانت لهم عنده طائلة وكان معه جارٌ له وأخٌ، فهربا عنه، وتركاه، وأسلماه، فجُرِحَ جراحات كثيرة ورُمِيَ به فى بئر، وحُثِيَ عليه التراب حتى واروه ولم يَشُكُّو أنه قد مات، والكلب مع هذا يَهِرُّ عليهم، وهم يرجمونه، فلما انصرفوا أتى الكلب إلى رأس البئر فلم يزل يعوى ويبحث التراب بمخالبه حتى ظهر رأسه وفيه نَفَسٌ يتردد، وقد كان أشرف على التلف، ولم يبقَ إلا حشاشة نَفَسِه، ووصل إليه الروح، فبينا هو كذلك إذ مَرَّ به ناس، فأنكروا مكان الكلب، ورأوه كأنه يحفر قبرًا، فجاؤوا فإذا هم بالرجل على تلك الحال، فاستخرجوه حَيًّا، وحملوه إلى أهله.

قال أبو عبيدة: فذلك الموضع يُدعى بئر الكلب ... وأنشد أبو عبيدة فى ذلك لبعض الشعراء:

يعــرج عنــه جــاره وشــقيقه ... وينبش عنه كلبه وهو ضاربه[1]

۞۞۞

(١) ذكرها ابن المرزبان فى فضل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب (١/ ٢٠).

الكلب الذي فدى الملك بنفسه

۞ عن محمد بن خلاد قال:

قَدِم رجل على بعض السلاطين، وكان معه حاكم أرمينية منصرفًا إلى منزله، فمرَّ في طريقه بمقبرة، فإذا قبرٌ عليه قُبة مبنية مكتوبٌ عليها: هذا قبر الكلب الوفي فمن أحب أن يعلم خبره فليمضِ إلى قرية كذا فإن فيها من يخبره.

فسأل الرجل عن القرية فدلُّوه عليها، فقصدها وسأل أهلها فدلُّوه على شيخ، فبعث إليه وأحضره، وإذا شيخ قد جاوز المائة سنة، فسأله فقال: نعم كان في هذه الناحية ملك عظيم الشأن وكان مشهورًا بالنزهة والصيد والسفر وكان له كلب قد ربَّاه، وكان لا يفارقه حيث كان، فإذا كان وقت غدائه وعشائه أطعمه مما يأكل.

فخرج يومًا إلى بعض منتزهاته، وأمر بربط الكلب لئلا يذهب معه، وقال لبعض غلمانه: قُل للطباخ يُصلح لنا ثريدة لبن، فقد اشتهيتها فأصلحوها، ومضى إلى منتزهاته، فتوجَّه الطباخ وجاء بلبن وصنع له ثريدة عظيمة، ونسي أن يُغطيها بشيء، واشتغل بطبخ شيءٍ آخر، فخرجت من بعض الشقوق أفعى فكرعت من ذلك اللبن ومجَّت في الثريدة من سُمِّها، والكلب رابض مربوط يرى ذلك كله، ولو كان له في الأفعى حيلة لمنعها ولكن لا حيلة له فيها.

وكان عند الملك جارية خرساء زَمْناء قد رأت ما صنع الأفعى، ووافى الملك من الصيد في آخر النهار، فقال: يا غلمان أول ما تقدمون إلىَّ الثريدة، ولما وُضعت بين يديه، أومأت الخرساء إليهم، فلم يفهموا ما

تقول، ونبح الكلب وصاح، فلم يلتفتوا إليه، وألحَّ فى الصياح، فلم يعلم مُراده فيه، ثم رُمى إليه بما كان يُرمَى إليه فى كل يوم فلم يقربه، ولجَّ فى الصياح.

فقال لغلمانه: نَحوُّه عنَّا، فإن له قصة، وفك رباطه، ومَدَّ يده إلى اللبن، فلما رآه الكلب يريد أن يأكل وثب إلى وسط المائدة، فأدخل رأسه فى اللبن، وكرع منه فسقط ميتًا وتناثر لحمه.

وبقى الملك متعجبًا منه ومن فعله، فأومأت الخرساء إليهم، فعرفوا مرادها بما صنع الكلب، فقال الملك لندمائه وحاشيته: إن من قد فدانى بنفسه لحقيقٌ بالمكافأة.... وما يحمله ويدفنه غيرى، ودفنه فى مدافن قريبة من القصر، وكتب عليها ما قرأت، وهذا ما كان من خبره»[1].

۞ وعن محمد بن الحسين بن راشد قال: رأيت رجل يُكْرِم كلبًا له، ويُقَرِّبُه، فسألته عن السبب الذى استحق به هذه المنزلة، فقال: هذا خَلَّصْنى مِنْ أمرٍ عظيم، كان يصحبنى رجل يواكلنى ويعاشرنى منذ سنين، فخرجنا فى قتال، وعُدنا فلما قربنا من منازلنا، وكان فى وسطى هميان فيه دنانير كثيرة، ومعى متاع كثير أخذته من الغنيمة، فنزلنا فى مكان، فعمد إلىَّ صاحبى فأوثقنى كتافًا، ورمى بى فى وادٍ، وأخذ كل ما كان معى، ومضى فأَيِسْتُ من الحياة، وقعد هذا الكلب معى، ثم تركنى ومضى، فما كان بأسرع من أن وافانى ومعه رغيف، فطرحه بين يدى، فأكلته، ولم أزل أحبو إلى موضع فيه ماء، فشربت منه، ولم يزل الكلب معى باقى ليلتى يعوى إلى أن أصبحت، فحملتنى عينى، وفقدت الكلب، فما كان بأسرع من أن

(١) «تاريخ الإسلام» (١/ ٢١-٢٢).

وافانى ومعه رغيف، فأكله، وفعلت فعلى فى اليوم الأول، فلما كان فى اليوم الثالث غاب عنى، فقلت مضى يجيئنى بالرغيف، فلم ألبث أن جاء ومعه الرغيف، فرمى به إلىَّ، فلم أستتم أكله إلا وابنى على رأسى يبكى، وقال: ما تصنع ها هنا، وأيش قصتك؟ ونزل، فحَلَّ كتافى، وأخرجنى.

فقلت له: من أين علمت بمكانى؟ ومَنْ دَلَّكَ علىَّ؟ فقال: كان الكلب يأتينا فى كل يوم، فنطرح له الرغيف على رسمه، فلا يأكله وقد كان معك، فأنكرنا رجوعه، وليس أنت معه، وكان يحمل الرغيف بفيه ولا يذوقه، ويعدو، فأنكرنا أمره، فاتبعته حتى وقفت عليك، فهذا ما كان من خبرى وخبر الكلب[1].

الأسد يسمع كلامه !!!

۞ قِيلَ لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ أَدْهَمَ: هُوَ هَذَا السَّبْعُ (الأسد) قَدْ ظَهَرَ لَنَا فَقَالَ: أَرِنِيهُ، قَالَ: فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ نَادَاهُ: يَا قَسْوَرَةُ إِنْ كُنْتَ أُمِرْتَ فِينَا بِشَيْءٍ فَامْضِ لِمَا أُمِرْتَ بِهِ وَإِلَّا فَعَوْدُكَ عَلَى بَدْئِكَ. قَالُوا: فَوَلَّى السَّبُعُ ذَاهِبًا يَضْرِبُ بِذَنَبِهِ..، ثُمَّ أَقْبَلَ علينا إبراهيم فقال: قولوا: اللَّهمّ راعنا بعينك التى لا تنام، واكنُفنا بكنفك الَّذِى لَا يُرَامُ، وَارْحَمْنَا بِقُدْرَتِكَ عَلَيْنَا، وَلَا نَهْلِكُ وَأَنْتَ رَجَاؤُنَا.

(١) ذكرها ابن المرزبان فى فضل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب (١/ ٢٣، ٢٤).

الوحوش تُفسح الطريق لجُند الله

۞ ها هو عقبة بن نافع رَحِمَهُ ٱللَّهُ جهَّزه معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ على عشرة آلاف فافتتح أفريقية واختطَّ قيروانها، وكان الموضع غيضةً لا يُرام من السباع والأفاعى، فدعا عليها فلم يبقَ فيها شىء، وهربوا حتى إنَّ الوحوش لتحمل أولادها. فحدثنى موسى بن على عن أبيه قال: نادى إنَّا نازلون فاظعنوا فخرجن من جحورهن هوارب.

وروى نحوه محمد بن عمرو عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب قال: لما افتتح عقبة إفريقية قال: يا أهل الوادى إنَّا حالُّون إن شاء الله فاظعنوا... ثلاث مرات فما رأينا حَجرًا ولا شجرًا إلا يخرج من تحته دابة حتى هبطن بطن الوادى ثم قال للناس: انزلوا باسم الله[1].

---

(١) السير (٣/ ٥٣٣).



ذكر الله يقيك من كل سوء

۞ قال حامد الأسود:

كنتُ مع إبراهيم الخوَّاص في سفر، فجئنا إلى موضع فيه حيَّاتٌ كثيرة، فوضعَ رَكْوَته وجلس وجلستُ معه، فلما بـرَدَ الليـل وبـرد الهـواء خَرَجَتِ الحيَّاتُ فصِحْتُ: يا شيخ! فقال: اذكرِ الله. فذكرتُ الله تعالى، فرجعتْ ثم عادتْ فصحتُ به، فقال مثل ذلك، فلم أزلْ إلى الصباح على مثل ذلك الحال، فلما أصبحنا قام يمشي، ومشَيْتُ معه، فسقط من وِطابِهِ حيَّةٌ عظيمة قد تطوَّقَتْ [1]، فقلت له: ما أحسستَ بها؟ فقال: لا، ومنذُ زمان ما بِتُّ أطيبَ من البارحة.

سحابة تسقي قبره!!

۞ قَالَ الْحَسَنِ البصرى رَحِمَهُ اللَّهُ:

«مَاتَ هَرِمُ بْنُ حَيَّانَ فِي يَوْمٍ صَائِفٍ شَدِيدِ الْحَرِّ. فَلَمَّا نَفَضُوا أَيْدِيَهُمْ عَنْ قَبْرِهِ، جَاءَتْ سَحَابَةٌ تَسِيرُ حَتَّى قَامَتْ عَلَى قَبْرِهِ، فَلَمْ تَكُنْ أَطْوَلَ مِنْهُ، وَلَا أَقْصَرَ مِنْهُ وَرَشَّتْهُ حَتَّى رَوَتْهُ، ثُمَّ انْصَرَفَتْ» [2].

---

(١) تطوَّقت الحية: صارت كالطَّوق- أساس البلاغة (طوق).

(٢) الحلية (٢/ ١٢٢).

آيات الله في خلقه

۞ كان من آيات الله التى أيّد بها موسى عليه السلام على فرعون وقومه: الجراد والقُمَّل والضفادع، ولا يزال مثل هذه الآيات يمر على بنى البشر عبر الزمان والمكان، وقد جمعت إحدى الصحف جملة من الوقائع التى هى بمثابة الآيات المعاصرة لمن رُزق النظر والاتعاظ.

۞ فمن ذلك ما وقع فى كامبردج بولاية ميرلاند الأمريكية فى أواخر السبعينات من القرن الماضى، إذ قامت طيور النورس بمهاجمة السيارات بقذف صدف المحار عليها، وأحدثت بها خسائر واضحة، والسبب أن السيارات احتلت موقع أعشاشها الطبيعية وحوَّلته إلى مواقف لها.

۞ وقرب جزيرة «آيكى» اليابانية أجبرت حيوانات الدُّلفين زوارق الصيد على العودة إلى الميناء بعد أن قتل بحارتها مائتين من هذه الحيوانات البحرية الثديية.

۞ وفى بنجلادش قامت ألف أفعى سامة بغزو إحدى القرى، مما دفع سكانها للهرب منها نجاة بأرواحهم، وكان أحد فرق إصلاح الطرق الخارجية قد أزعج سَكينة تلك الأفاعى فى جحورها.

۞ وفى كل ربيع يتسبب نصف مليون من طيور الشحرور فى خسائر تُقدَّر بملايين الدولارات عن طريق التهام الذرة والعنب وغيرها من المحاصيل، بالإضافة إلى النباتات البرية والمنزلية،... وفى بنسلفانيا أحدثت غارات الطيور خسائر فى المحاصيل قدرها (١٥) مليون دولارًا فى عام (١٩٧٩) وحده.

۞ وتقول الهيئة العالمية لحماية الحياة البرية، إن تجفيف الأراضى

التى كانت غنية بموارد المياه، وقطع أشجار الغابات، أجبر الطيور على التماس الغذاء فى المناطق التى اتخذها البشر مساكن لهم.

وربما نأخذ إشعارًا بالفكرة من «الفريد هتشكوك»، الذى بيَّن فى فيلمه الشهير (الطيور) أن أكثر أنواع طيور الربيع أُلفة، بما فيها «أبو الحناء والقبرة والغراب» سوف تشارك فى «الهجوم».

والإهانات الشخصية أيضًا تستدعى العقاب، ففى فرجينيا وضع أحد الأشقياء حيوان «الأبوسوم» داخل صندوق بريد، وكان رد فعل الحيوان هو مضغ (٤٠) رسالة.

وفى طوكيو اشتبك غراب فى أسلاك الطاقة الكهربائية صاعقًا نفسه، مُسببًا أيضًا تماسًا فى الدائرة الكهربائية عطَّل (٢٠) قطارًا طوال ساعة.

واليوم فزع العالم فزعًا كبيرًا، لأن الطيور تحمل مرضًا خطيرًا قاتلًا هو (أنفلونزا الطيور) حيث يوجد هذا المرض فى المشارق والمغارب حيث توجد الطيور المصابة بهذا المرض[1].

---

(١) روائع القصص الإسلامى/ د. عمر الأشقر (رحمه الله) (ص ٢٠٨- ٢٠٩).

تفكُّر ساعة خيرٌ من عبادة ليلة

۞ يقول الشاعر العربى الحكيم:

تأمل فى نبات الأرض وانظر ... إلى آثار ما صنع المليكُ
عيونٌ من لُجينٍ شاخصاتٍ ... بأبصارٍ هى الذهب السبيكُ
على قضيب الزبرجد شاهدات ... بأن الله ليس له شريكُ

قالوا: إن رجلًا من الدهريين الذين لا يؤمنون بربٍّ، ولا يعترفون بدين كالشيوعيين فى هذا العصر، قالوا إنه جادل الإمام أبا حنيفة فى وجود الله وقال له، هل من دليل تُقنع به عقلى بعيدًا عن قرآنكم الذى لا أؤمن به، فتظاهر الإمام بالإعراض عنه، فأخذ «الدهرى» يُلح عليه، وكان معه جماعة من الزنادقة والمُلحدين، وكان الإمام جالسًا آنذاك فى مجلس الخليفة أبى جعفر المنصور، فأصرَّ الإمام على إظهار التشاغل عن إجابته، فلما بالغ فى الإلحاح قال له الإمام:

دعنى الساعة فإن لى سفينة ضخمة مُحمَّلة بأنواع البضائع والأمتعة وقد أبحرت وحدها من الهند دون أن يكون فيه ملاح ولا رُبَّان. وأنا أخاف عليها أمواج البحر ولُججه، وما عسى أن يعترض طريقها من عقبات وسدود فتغرق بما فيها، فتعجب الدهريون من قوله: وقالوا له: إنك تهرف بما لا تعرف. كيف يصح فى العقل أن تُبحر سفينة وحدها بدون رُبَّان إلى هنا، وترجو لها السلامة والنجاة فقال لهم الإمام: أَوَ ترون أن هذا مستحيل عقلًا؟ قالوا: نعم لا يتصور العقل ذلك. فقال الإمام: يا سبحان الله إذا لم يَجُز هذا فى العقول أن سفينة تسير من غير رُبان ولا ملاح فكيف يجوز قيام

هذه الدنيا على اختلاف أحوالها وأعمالها، وسعة أطرافها، وتبايُن أكنافها من غير صانع عليم. ودون مُدبِّرٍ حكيمٍ؟ فقالوا له: صدقت وألزمتنا الحجة وأسلموا جميعًا على يديه.

۞ أما الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ لما سألوه عن دليل يثبت وجود الله.

فقال: أما الأدلة فهى أمامكم كثير، ألا تنظرون إلى اختلاف الناس فى أصواتهم وصورهم وتركيبهم وألوانهم مع أن أباهم واحد وكلهم من تراب.

وكيف جاءوا مختلفين فى الطول والقصر، متباينين فى الأصوات والنغمات؟ أليس هذا دليل واضح على وجود الله؟.

۞ وقد سُئل الإمام الشافعى – رضوان الله تعالى عليه – عن دليل عقلى يثبت للملحدين أن للكون ربًّا ، فقال: إنى أستدل على هذا بشىء صغير يتحول إلى أشياء مختلفة ومتناقضة مع أن أصله واحد. فقالوا له: وما هو؟ فقال: ورقة التوت، طعمها واحد فى شجرتها، ولونها واحد، وريحها واحد، وطبعها واحد، ولكن تأكلها دودة القز فتتحول إلى حريرٍ ناعم، وتأكلها النحلة فتُخرج من بطنها عسلًا شهيًّا، وتأكلها الشاة والبقرة فتُخرج منها بعرًا وروثًا، وتأكلها الظباء والغزلان فينعقد فى بطنها نوافح المسك، فمن الذى جعل هذه الأشياء كذلك مع أن الأصل واحد؟! فاستحسن الناس قوله وأُعجبوا بذكائه وفطنته وأسلم كثير من الملحدين على يديه.

۞ أما الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى فقد أقبل عليه الملحدون بنفس هذا السؤال فقال لهم: إن عندى فى منزلى حصنًا حصينًا فهيا بنا نراه، فإنه يحمل الدليل على وجود الله. فلما دخلوا منزله وجلسوا معه قال لهم: إن ههنا قلعة منيعة وأشار إلى شىء بجواره كإناءٍ مكفوء وقال: إن تحت

هذه الإناء قلعة مغطاة بغطاء أملس ناعم وليس للحصن باب ولا منفذ، وهذا الحصن له ظاهر وباطن. فظاهره كالفضة البيضاء، وباطنه كالذهب الإبريز، فبينما هذا الحصن كذلك إذ تصدَّع جداره فخرج منه حيوان سميع بصير ذو شكلٍ حسن وصوتٍ مليح، فلما استثار انتباهم وأشواقهم، واشتدت بهم الرغبة إلى رؤية هذا الحصن وما خرج منه كشف لهم الغطاء فإذا بيضة مشقوقة وبداخلها فرخٌ صغير لم يخرج منها إلى الدنيا فدُهشوا جميعًا وقالوا: سبحان مَن يُخرج الحى من الميت والميت من الحى وهو على كل شىء قدير.

۞ وسُئل أعرابى، هل رأيت الله الذى تعبده؟ فقال: يا قوم، ألا تنظرون الأرض وما عليها، والبحار وما فيها والأفلاك وحركاتها، والكواكب وأجرامها، والرياح وما تسوقه إليكم من سحاب. يا قوم إن البعرة تدل على البعير، وأثر الأقدام يدل على المسير، فسماءٌ ذات أبراج وأرضٌ ذات فِجاج، وبحار ذات أمواج، ألا يدل ذلك كله على العليم الخبير؟!.

أمة النمل لا تكذب

۞ قال الراوى: صديق والدى يحكى له هذه القصة العجيبة..

يقول: فى أحد المرات كنت جالسًا فى البرية وأقلب بصرى هنا وهناك، أنظر إلى مخلوقات الله وأتعجب من بديع صنع الرحمن.

ولفت نظرى هذه النملة التى كانت تجوب المكان من حولى تبحث عن شىء لا أظن أنها تعرفه.. ولكنها تبحث وتبحث.. لا تكل.. ولا تمل..

يقول: وأثناء بحثها عثرت على بقايا جرادة.. وبالتحديد رِجل جرادة.. وأخذت تسحب فيها وتسحب وتحاول أن تحملها إلى حيث مطلوب منها فى عالم النمل وقوانينه أن تضعها.. هى مجتهدة فى عملها وما كلفت به.. تحاول.. وتحاول..

يقول: وبعد أن عجزت عن حملها، أو جرها ذهبت إلى حيث لا أدرى واختفت.. وسرعان ما عادت ومعها مجموعة من النمل كبيرة وعندما رأيتهم علمت أنها استدعتهم لمساعدتها على حمل ما صعب عليها حمله.. فأردت التسلية قليلًا وحملت تلك الجرادة، أو بالأصح رجل الجرادة وأخفيتها.. فأخذت هى ومن معها من النمل بالبحث عن هذه الرجل.. هنا وهناك.. حتى يئسوا من وجودها فذهبوا..

لحظات، ثم عادت تلك النملة لوحدها فوضعت تلك الجرادة أمامها.. فأخذت تدور حولها وتنظر حولها.. ثم حاولت جرها من جديد.. حاولت ثم حاولت.. حتى عجزت.. ثم ذهبت مرة أخرى... ذهبت لتنادى على أبناء قبيلتها من النمل؛ ليساعدوها على حملها بعد أن عثرت عليها..

جاءت مجموعة من النمل مع هذه النملة بطلة قصتنا وأظنها نفس تلك المجموعة..!!

يقول: جاؤوا وعندما رأيتهم ضحكت كثيرًا وحملت تلك الجرادة وأخفيتها عنهم.. بحثوا هنا وهناك.. بحثوا بكل إخلاص.. وبحثت تلك النملة بكل ما لها من همة.. تدور هنا وهناك.. تنظر يمينًا ويسارًا.. لعلها أن ترى شيئًا ولكن لا شيء فأنا أخفيت تلك الجرادة عن أنظارهم.. ثم اجتمعت تلك المجموعة من النمل مع بعضها بعد أن ملت من البحث ومن بينهم هذه النملة، ثم هجموا عليها فقطعوها إربًا أمامى وأنا أنظر والله إليهم وأنا فى دهشة كبيرة وأرعبنى ما حدث.. قتلوها.. قتلوا تلك النملة المسكينة، قطعوها أمامى.. نعم قتلوها أمامى قُتلت وبسببى.. وأظنهم قتلوها؛ لأنهم يظنون بأنها كذبت عليهم!!

سبحان الله! حتى أمة النمل ترى الكذب نقيصة بل كبيرة يُعاقَب صاحبها بالموت!!

❊❊❊



جعفر يغرس بذرة للإسلام في أرض الحبشة



فلما رأى رسول الله ﷺ ما يُصيب أصحابه من البلاء، وما هو فيه من العافية لمكانه من الله ومن عمه أبى طالب، وأنه لا يقدر على أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء، قال لهم: «**لو خرجتم إلى أرض الحبشة، فإن بها ملكًا لا يُظلم عنده أحد، وهى أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجًا مما أنتم فيه**»[1] فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله ﷺ إلى أرض الحبشة، مخافة الفتنة، وفرارًا إلى الله بدينهم، فكانت أول هجرة كانت فى الإسلام فلما رأت قريش أن أصحاب رسول الله ﷺ قد أَمِنوا واطمأنوا بأرض الحبشة، وأنهم قد أصابوا بها دارًا وقرارًا، ائتمروا بينهم أن يبعثوا فيهم منهم رجلين من قريش إلى النجاشى، فيردهم عليهم، ليفتنوهم فى دينهم، ويُخرجوهم من دارهم التى اطمأنوا بها وأمنوا فيها؛ فبعثوا عبد الله بن أبى ربيعة وعمرو بن العاص بن وائل وجمعوا لهما هدايا للنجاشى ولبطارقته[2].

لقاؤه مع النجاشى

لما ذهب عمرو بن العاص وعبد الله بن أبى ربيعة بالهدايا والجلود إلى النجاشى وقواده وكان عمرو بن العاص مازال مشركًا هو وعبد الله بن أبى ربيعة فاستطاع عمرو بذكائه أن يجذب البطارقة وأن يجعلهم فى صفه حتى

---

(١) صحيح: أخرجه البيهقى فى «السنن» (٩/ ٩) وفى «الدلائل» (٢/ ٣٠١)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى الصحيحة (٣١٩٠).

(٢) السيرة لابن هشام (١/ ٢٧٥) والبطارقة: جمع بطريق وهو القائد أو الحاذق فى الحرب.

يكلموا النجاشى فى أن يُسلمهم المسلمين الذين هاجروا إليه ليعود بهم إلى مكة ليعذبوهم ويفتنوهم فى دينهم.

فحدد البطارقة موعدًا لعمرو مع النجاشى فدخل عمرو وعبد الله على النجاشى ورحَّب بهم.

فقال له عمرو: أيها الملك إنه قد جاء إلى بلادك غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا فى دينك، وجاءوا بدين ابتدعوه لا نعرفه نحن ولا أنت، وقد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم لتردهم إليهم، فهم أعلى بهم عينا، وأعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه.

فقالت بطارقته حوله: صدقا أيها الملك، قومهم أعلى بهم عينًا، وأعلم بما عابوا عليهم، فأسلِمهم إليهما فليرداهم إلى بلادهم وقومهم.

فغضب النجاشى غضبًا شديدًا وقال: لا والله لا أُسلم قومًا جاورونى ونزلوا بلادى، واختارونى على مَن سواى حتى أدعوهم فأسألهم عما يقول هذان فى أمرهم فإن كانوا كما يقولان أسلمتهم إليهما، ورددتهم إلى قومهم وإن كانوا على غير ذلك منعتهم منهما، وأحسنتُ جوارهم ما جاورونى.

ثم أرسل إلى أصحاب رسول الله ﷺ فدعاهم.

فلما جاءهم رسوله اجتمعوا ثم قال بعضهم لبعض: ما تقولون للرجل إذا جئتموه؟ قالوا: نقول والله ما علمنا، وما أمرنا به نبينا ﷺ كائنًا فى ذلك ما هو كائن... فلما جاءوا وقد دعا النجاشى أساقفته[1] فنشروا مصاحفهم حوله.

سألهم النجاشى فقال لهم: ما هذا الدين الذى قد فارقتم فيه قومكم، ولم تدخلوا به فى دينى، ولا فى دين أحد من هذه الملل؟

(١) الأساقفة: هم علماء النصارى الذين يقيمون لهم دينهم.

فكان الذى كلمه جعفر بن أبى طالب رضوان الله عليه.

فقال له: أيها الملك كنا قومًا أهل جاهلية؛ نعبدُ الأصنام، ونأكلُ الميتة؛ ونأتى الفواحش، ونقطع الأرحام ونسئ الجوار، ويأكل القوى منا الضعيف؛ فكنا على ذاك حتى بعث الله إلينا رسولًا منا، نعرف نَسَبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنُوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحُسن الجوار، والكَفِّ عن المحارم والدماء ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات... وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئًا، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام.

فعدد عليه أمور الإسلام.... فصدقناه وآمنا به، واتبعناه على ما جاء به من عند الله، فعبدنا الله وحده فلم نشرك به شيئًا، وحرمنا ما حرم علينا، وأحللنا ما أحل لنا فعدا علينا قومنا، فعذبونا وافتتنونا على ديننا؛ ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى، وأن نستحلَّ ما كنا نستحل من الخبائث، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلادك، واخترناك على من سواك، ورغبنا فى جوارك، ورجونا أن لا نُظلم عندك أيها الملك.

فقال له النجاشى: هل معك مما جاء به عن الله من شىء؟

قال له جعفر: نعم، فقال له النجاشى: فاقرأه علىَّ،... فقرأ عليه صدرًا من ﴿كٓهيعٓصٓ﴾[1].

فبكى والله النجاشى حتى اخضلت لحيته، وبكت أساقفته حتى

---

(١) سورة مريم: الآية: (١).

أخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلا عليهم، ثم قال لهم النجاشى: إن هذا والذى جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة، انطلِقا فلا والله لا أُسلمهم إليكما، ولا يُكادون.

فأخذ عمرو بن العاص يفكر فى مكيدة أخرى يستطيع من خلالها أن يرد المسلمين إلى مكة.

فذهب فى اليوم التالى إلى النجاشى وقال له: أيها الملك إنهم يقولون فى عيسى ابن مريم قولًا عظيمًا فأرسِل إليهم فسلهم عما يقولون فيه.

فأرسل إليهم؛ ليسألهم عنه فاجتمع القوم، ثم قال بعضهم لبعض: ماذا تقولون فى عيسى ابن مريم إذا سألكم عنه؟.

قالوا: نقول والله ما قال الله، وما جاءنا به نبينا كائنًا فى ذلك ما هو كائن.

فلما دخلوا عليه قال لهم: ماذا تقولون فى عيسى ابن مريم؟

فقال جعفر بن أبى طالب: نقول فيه الذى جاءنا به نبينا ﷺ يقول: هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول.

فضرب النجاشى بيده إلى الأرض، فأخذ منها عودًا، ثم قال: والله ما عدا عيسى ابن مريم ما قلت هذا العود.

ثم قال النجاشى للصحابة: اذهبوا فأنتم آمنون فى أرضى وبلادى.

فعاش المسلمون فى أمنٍ وأمان فى بلاد الحبشة فى ظل هذا الملك العادل الذى وصفه النبى ﷺ بأنه لا يُظلم عنده أحد.

۞ وهكذا استطاع جعفر بن أبى طالب أن يكون سببًا فى بقاء المسلمين آمنين فى بلاد الحبشة... بل كان بعد ذلك سببًا فى إسلام النجاشى ملك الحبشة وإسلام عدد كبير من أهل الحبشة.

عمر يُظهر للناس علم ابن عباس رضي الله عنهما

❁ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: كَانَ عُمَرُ يُدْخِلُنِي مَعَ أَشْيَاخِ بَدْرٍ فَكَأَنَّ بَعْضَهُمْ وَجَدَ فِي نَفْسِهِ، فَقَالَ: لِمَ تُدْخِلُ هَذَا مَعَنَا وَلَنَا أَبْنَاءٌ مِثْلُهُ، فَقَالَ عُمَرُ: إِنَّهُ مَنْ قَدْ عَلِمْتُمْ.

فَدَعَاهُ ذَاتَ يَوْمٍ فَأَدْخَلَهُ مَعَهُمْ، فَمَا رُئِيتُ أَنَّهُ دَعَانِي يَوْمَئِذٍ إِلَّا لِيُرِيَهُمْ، قَالَ: مَا تَقُولُونَ فِي قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: أُمِرْنَا أَنْ نَحْمَدَ اللهَ وَنَسْتَغْفِرَهُ إِذَا نُصِرْنَا، وَفُتِحَ عَلَيْنَا، وَسَكَتَ بَعْضُهُمْ فَلَمْ يَقُلْ شَيْئًا، فَقَالَ لِي: أَكَذَاكَ تَقُولُ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ؟ فَقُلْتُ: لاَ، قَالَ: فَمَا تَقُولُ؟ قُلْتُ: «هُوَ أَجَلُ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَعْلَمَهُ لَهُ»، قَالَ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾ «وَذَلِكَ عَلاَمَةُ أَجَلِكَ»، ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾، فَقَالَ عُمَرُ: «مَا أَعْلَمُ مِنْهَا إِلَّا مَا تَقُولُ»[1].

(١) صحيح: رواه البخاري (٤٩٧٠) كتاب تفسير القرآن.

ابن عباس رضي الله عنهما يُفحم الخوارج

۞ عن عبد الله بن عباس قال: لما اعتزلت حروراء[١] وكانوا فى دار على حدتهم، قلت لعلى: يا أمير المؤمنين! أبرد عن الصلاة لعلى آتى هؤلاء القوم فأكلمهم.

قال: فإنى أتخوفهم عليك.

قال: قلت: كلا إن شاء الله.

قال: فلبست أحسن ما أقدر عليه من هذه اليمانية، ثم دخلت عليهم وهم قائلون فى نحر الظهيرة، فدخلت على قوم لم أر قومًا قط أشد اجتهادًا منهم، أيديهم كأنها تغن الإبل، ووجوههم معلمة من آثار السجود قال: فدخلت، فقالوا: مرحبًا بك يا ابن عباس، ما جاء بك؟

قال: جئت أحدثكم عن أصحاب رسول الله ﷺ، نزل الوحى وهم أعلم بتأويله.

فقال بعضهم: لا تحدثوه. وقال بعضهم: لتحدثنه.

قال: قلت: أخبرونى ما تنقمون على ابن عم رسول الله وختنه وأول من آمن به، وأصحاب رسول الله ﷺ معه؟

قالوا: ننقم عليه ثلاثًا. قلت: ما هن؟

قالوا: أولهن: إنه حكَّم الرجال فى دين الله، وقد قال الله: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾[٢].

---

(١) هم الخوارج ونزلوا مكانًا يقال له: حروراء، ومن ثَمَّ قيل لهم الحرورية.

(٢) سورة يوسف: الآية: (٤٠).

قال: قلت: وماذا؟

قالوا: وقاتل ولم يَسب ولم يغنم، لئن كانوا كفارًا لقد حلت له أموالهم، ولئن كانوا مؤمنين لقد حرمت عليه دماؤهم.

قال: قلت: وماذا؟

قالوا: ومحا نفسه من أمير المؤمنين فإن لم يكن أمير المؤمنين فهو أمير الكافرين.

قال: قلت: أرأيتم إن قرأت عليكم من كتاب الله المحكم وحدثتكم من سنة نبيكم ﷺ ما لا تنكرون أترجعون؟

قالوا: نعم.

قال: قلت: أما قولكم: إنه حكَّم الرجال فى دين الله فإنه يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞ .. ﴾ إلى قوله: ﴿يَحۡكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ ﴾ [١].

وقال فى المرأة وزوجها: ﴿ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ شِقَاقَ بَيۡنِهِمَا فَٱبۡعَثُواْ حَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهِۦ وَحَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهَآ ﴾ [٢].

أنشدكم الله أحكم الرجال فى حقن دمائهم وأنفسهم وصلاح ذات بينهم أحق أم فى أرنب ثمنها ربع درهم؟

قالوا: اللهم فى حقن دمائهم وصلاح ذات بينهم.

قال: خرجت من هذه؟

قالوا: اللهم نعم.

(١) سورة المائدة: الآية: (٩٥).

(٢) سورة النساء: الآية: (٣٥).

وأما قولكم: إنه قاتل ولم يَسْب ولم يغنم؛ أتسبون أُمكم أم تستحلون منها ما تستحلون من غيرها فقد كفرتم، وإن زعمتم أنها ليست بأمكم فقد كفرتم وخرجتم من الإسلام، إن الله ﷻ يقول: ﴿ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ﴾[1] فأنتم تترددون بين ضلالتين، فاختاروا أيهما شئتم. أخرجت من هذه؟

قالوا: اللهم نعم.

قال: وأما قولكم: إنه محا نفسه من أمير المؤمنين فإن رسول الله ﷺ دعا قريشًا يوم الحديبية على أن يكتب بينه وبينهم كتابًا، فقال: «**اكتب هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله**» فقالوا: والله لو كنا نعم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك، ولكن اكتب محمد بن عبد الله فقال: «**والله إنى لرسول الله وإن كذبتمونى اكتب يا على: محمد بن عبد الله**». فرسول الله ﷺ كان أفضل من على، أخرجت من هذه؟

قالوا: اللهم نعم، فرجع منهم عشرون ألفًا وبقى منهم أربعة ألفًا فقُتلوا[2].

❊❊❊

(١) سورة الأحزاب: الآية: (٦).

(٢) حديث حسن: رواه الطبرانى فى المعجم الكبير (١٠٥٩٨)، وأبو نعيم فى الحلية (١/ ٣١٨-٣٢٠).

الإمام ابن القيم يناظر أحد علماء اليهود

۞ قَالَ العلامة ابن القيم:

جَرَتْ لِي «مُنَاظَرَةٌ» بمصر مَعَ أَكْبَرِ مَنْ تُشِيرُ إِلَيْهِ الْيَهُودُ بِالْعِلْمِ وَالرِّئَاسَةِ، فَقُلْتُ لَهُ فِي أَثْنَاءِ الْكَلَامِ: إِنَّكُمْ بِتَكْذِيبِكُمْ مُحَمَّدًا ﷺ قَدْ شَتَمْتُمُ اللهَ أَعْظَمَ شَتِيمَةً، فَعَجِبَ مِنْ ذَلِكَ، وَقَالَ: مِثْلُكَ يَقُولُ هَذَا الْكَلَامَ! فَقُلْتُ لَهُ: اسْمَعِ الْآنَ تَقْرِيرَهُ، إِذَا قُلْتُمْ: إِنَّ مُحَمَّدًا مَلِكٌ ظَالِمٌ قَهَرَ النَّاسَ بِسَيْفِهِ، وَلَيْسَ بِرَسُولٍ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَقَدْ أَقَامَ ثَلَاثًا وَعِشْرِينَ سَنَةً يَدَّعِي أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ أَرْسَلَهُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً، وَيَقُولُ: أَمَرَنِي اللهُ بِكَذَا وَنَهَانِي عَنْ كَذَا وَأُوحِيَ إِلَيَّ كَذَا، وَلَمْ يَكُنْ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ. وَيَقُولُ: إِنَّهُ أَبَاحَ لِي سَبْيَ ذَرَارِيِّ مَنْ كَذَّبَنِي وَخَالَفَنِي وَنِسَاءَهُمْ، وَغَنِيمَةَ أَمْوَالِهِمْ، وَقَتْلَ رِجَالِهِمْ، وَلَمْ يَكُنْ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ، وَهُوَ يَدْأَبُ فِي تَغْيِيرِ دِينِ الْأَنْبِيَاءِ وَمُعَادَاةِ أُمَمِهِمْ وَنَسْخِ شَرَائِعِهِمْ، فَلَا يَخْلُو إِمَّا أَنْ تَقُولُوا: أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كَانَ يَطَّلِعُ عَلَى ذَلِكَ وَيُشَاهِدُهُ وَيَعْلَمُهُ، أَوْ تَقُولُوا: إِنَّهُ خَفِيَ عَنْهُ وَلَمْ يَعْلَمْ بِهِ، فَإِنْ قُلْتُمْ لَمْ يَعْلَمْ بِهِ نَسَبْتُمُوهُ إِلَى أَقْبَحِ الْجَهْلِ، وَكَانَ مَنْ عَلِمَ ذَلِكَ أَعْلَمَ مِنْهُ، وَإِنْ قُلْتُمْ بَلْ كَانَ كُلُّهُ بِعِلْمِهِ وَمُشَاهَدَتِهِ وَاطِّلَاعِهِ عَلَيْهِ، فَلَا يَخْلُو: إِمَّا أَنْ يَكُونَ قَادِرًا عَلَى تَغْيِيرِهِ، وَالْأَخْذِ عَلَى يَدَيْهِ وَمَنْعِهِ مِنْ ذَلِكَ، أَوْ لَا، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ قَادِرًا، فَقَدْ نَسَبْتُمُوهُ إِلَى أَقْبَحِ الْعَجْزِ الْمُنَافِي لِلرُّبُوبِيَّةِ، وَإِنْ كَانَ قَادِرًا، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ يُعِزُّهُ وَيَنْصُرُهُ وَيَوَدُّهُ، وَيُعْلِيهِ وَيُعْلِي كَلِمَتَهُ، وَيُجِيبُ دُعَاءَهُ وَيُمَكِّنُهُ مِنْ أَعْدَائِهِ، وَيُظْهِرُ عَلَى يَدَيْهِ مِنْ أَنْوَاعِ الْمُعْجِزَاتِ وَالْكَرَامَاتِ مَا يَزِيدُ عَلَى الْأَلْفِ، وَلَا يَقْصِدُهُ أَحَدٌ بِسُوءٍ إِلَّا ظَفَرَ بِهِ، وَلَا يَدْعُوهُ بِدَعْوَةٍ إِلَّا اسْتَجَابَهَا لَهُ، فَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ الظُّلْمِ وَالسَّفَهِ الَّذِي لَا يَلِيقُ نِسْبَتُهُ إِلَى آحَادِ الْعُقَلَاءِ، فَضْلًا عَنْ رَبِّ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ،

فَكَيْفَ وَهُوَ يَشْهَدُ لَهُ بِإِقْرَارِهِ عَلَى دَعْوَتِهِ وَتَأْيِيدِهِ بِكَلَامِهِ، وَهَذِهِ عِنْدَكُمْ شَهَادَةُ زُورٍ وَكَذِبٍ؟

فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ، قَالَ: مَعَاذَ اللهِ أَنْ يَفْعَلَ اللهُ هَذَا بِكَاذِبٍ مُفْتَرٍ، بَلْ هُوَ نَبِيٌّ صَادِقٌ مَنِ اتَّبَعَهُ أَفْلَحَ وَسَعِدَ.

قُلْتُ: فَمَا لَكَ لَا تَدْخُلُ فِي دِينِهِ؟

قَالَ: إِنَّمَا بُعِثَ لِلْأُمِّيِّينَ الَّذِينَ لَا كِتَابَ لَهُمْ، وَأَمَّا نَحْنُ فَعِنْدَنَا كِتَابٌ نَتَّبِعُهُ.

قُلْتُ لَهُ: غُلِبْتَ كُلَّ الْغَلَبِ، فَإِنَّهُ قَدْ عَلِمَ الْخَاصُّ وَالْعَامُّ أَنَّهُ أَخْبَرَ أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ إِلَى جَمِيعِ الْخَلْقِ، وَإِنَّ مَنْ لَمْ يَتْبَعْهُ فَهُوَ كَافِرٌ مِنْ أَهْلِ الْجَحِيمِ، وَقَاتَلَ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى وَهُمْ أَهْلُ كِتَابٍ، وَإِذَا صَحَّتْ رِسَالَتُهُ وَجَبَ تَصْدِيقُهُ فِي كُلِّ مَا أَخْبَرَ بِهِ، فَأَمْسَكَ وَلَمْ يُحِرْ جَوَابًا[1].

---

(١) «هداية الحيارى» لابن القيم (ص / ١٨٠).

هكذا كان أدب العلماء

۞ حدّث النسَّابة إسماعيل بن الحسين الغنوى، قال: وَرَدَ فخر الدين الرازى إلى مرو، وكان من جلالة القدر، وعِظَم الذكر، وضخامة الهيبة، بحيث لا يُراجع فى كلامه، ولا يتنفَّس أحد بين يديه.

فتردّدت للقراءة عليه، فقال لى يومًا: أُحبّ أن تُصنِّف لى كتابًا لطيفًا فى أنساب الطالبين لأنظر فيه وأحفظَه، فصنَّفتُ له المصنف الفخرى، فلما ناولته إياه، نزل عن مقعده وجلس على الحصير، وقال لى: اجلس على هذا المقعد!

فأعظمتُ ذلك وأبيت، فانتهرنى نهرةً عظيمة مزعجة، وزعق علىَّ، وقال: اجلس حيث أقول لك!

فتداخلنى من هيبته ما لم أتمالك إلا أن جلست حيث أمرنى، ثم أخذ يقرأ فى كتابى وهو جالس بين يدىَّ، ويستفهمنى عما استُغلق عليه، إلى أن أنهاه قراءة، فلما فرغ منه قال: اجلس الآن حيث شئت، فإن هذا عِلْمٌ أنت أستاذى فيه، وأنا أستفيد منك وليس من الأدب إلا أن يجلس التلميذ بين يدى الأستاذ.

العلماء والأمراء

۞ قال يوسف بن أسباط: أرْسَل بعضُ الأمراء إلى أبى حازم، فأتاه وعنده الإفريقى والزُّهْرى وغيرُهما، فقال له: تكلَّمْ يا أبا حازم، فقال: إنَّ خيرَ الأمراء مَنْ أحبَّ العلماءَ، وإنَّ شرَّ العلماء مَنْ أحبَّ الأمراءَ وإنَّه كان فيما مضى، إذا بعَثَ الأمراءُ إلى العلماء لم يأتوهم، وإذا أعطوهم لم يقبَلوا منهم، وإذا سألوهم لم يُرَخِّصوا لهم، وكان الأمراءُ يأتون العلماءَ فى بيوتهم. فيسألونَهم، فكان فى ذلك صلاحُ الأمراء وصلاحُ العلماء، فلمَّا رأى ذلك ناسٌ من الناس قالوا: ما لنا لا نطْلُب العلم حتى نكونَ مثل هؤلاء، فطلبوا العلمَ، فأتوا الأمراءَ فحدَّثوهم، فرخَّصوا لهم، وأعطَوهم فقبلوا منهم فخرَّبت العلماءُ على الأمراء، وخرَّبتِ الأُمراءُ على العلماء[1].

(١) المختار من مناقب الأخيار/ لابن الأثير (٢/ ٢٢).

الإمام ابن تيمية وموقفه مع قازان

۞ وها هو موقف عظيم يصور لنا مدى قوة الإمام وشجاعته وصلابته في الحق.

لما ظهر قازان على دمشق المحروسة، جاءه ملك الكُرج، وبذل له أموالًا كثيرة جزيلة على أن يُمكِّنه من الفتك بالمسلمين من أهل دمشق، ووصل الخبر إلى ابن تيمية، فخرج ورجالٌ من وجوه دمشق وكبرائهم وذوى الأحلام منهم، في يوم الاثنين الثالث من ربيع الآخر سنة ٦٩٩ هجرية إلى حضرة قازان، فلما رآهم السلطان قال: مَن هؤلاء؟ فقيل: هم رؤساء دمشق، فأذِن لهم، فحضروا بين يديه، فتقدم الشيخ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أولًا، فلما أن رآه أوقع الله له في قلبه هيبة عظيمة، حتى أدناه وأجلسه، وأخذ الشيخ في الكلام معه أولًا في عكس رأيه عن تسليط المخذول ملك الكرج على المسلمين، وأخبره بحرمة دماء المسلمين، وذكَّره ووعظه، فأجابه إلى ذلك طائعًا، وحُقنت بسببه دماء المسلمين، وحُميت ذراريهم، وصِين حريمهم[(١)].

يقول الحافظ عمر بن على البزار في (الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية): حدثنى من أثق به، عن الشيخ وجيه الدين بن المنجا قدس الله روحه، قال: كنت حاضرًا مع الشيخ حينئذ، فجعل - يعنى الشيخ - يحدث السلطان بقول الله ورسوله في العدل وغيره، ويرفع صوته على السلطان في أثناء حديثه، حتى جثا على ركبتيه، وجعل يقرب منه في أثناء حديثه، حتى

(١) تحفة الطالبين (صـ١١٩ - ١٢٠)، و (ترجمة النووى) للسخاوى (صـ٣٦، ٥٠ - ٥٥).

لقد قرب أن تلاصق ركبتيه ركبة السلطان، والسلطان مع ذلك مُقبل عليه بكُليّته، مُصغٍ لما يقول، شاخص إليه، لا يُعرض عنه، وإن السلطان من شدة ما أوقع الله في قلبه من المحبة والهيبة، سأل من يخصه من أهل حضرته: من هذا الشيخ؟ وقال ما معناه: إنى لم أرَ مثله ولا أثبت قلبًا منه، ولا أوقع من حديثه في قلبى، ولا رأيتنى أعظم انقيادًا منى لأحد منه. فأُخبر بحاله، وما هو عليه من العلم والعمل. فقال الشيخ للترجمان: قل لقازان: أنت تزعم أنك مسلم، ومعك قاضٍ وإمام وشيخ ومؤذنون، -على ما بلغنا- فغزوتنا، وأبوك وجدك كانا كافرين، وما عملا الذى عملت، عاهدا فوفَّيا، وأنت عاهدت فغدرت، وقلت فما وفيت، وجُرت.

وسأله إن أحببت أن أُعمِّر لك بلد آبائك حرَّان، وتنتقل إليه، ويكون برسمك، فقال: لا والله، لا أرغب عن مهاجر إبراهيم ﷺ، وأستبدل به غيره. فخرج من بين يديه مُكرمًا مُعزَّزًا، قد صنع له الله بما طوى عليه نيته الصالحة من بذله نفسه في حقن دماء المسلمين، فبلَّغه ما أراده.

وكان ذلك أيضًا سببًا لتخليص غالب أسارى المسلمين من أيديهم وردِّهم على أهلهم، وحفظ حريمهم [١].

بل خلَّص أهل الذمة من النصارى واليهود،... لأن التتار ومن معهم من ملوك النصارى كانت لهم عداوة مع أبناء دينهم، وكان بعضهم يفتك بالبعض الآخر، فقال ابن تيمية للقائد (بولاى)، وكان قد التحق مع قازان: بل جميع من معك من اليهود والنصارى، الذين هم أهل ذمتنا، فإنا نفكّهم ولا ندع أسيرًا، لا من أهل الملة، ولا من أهل الذمة.

(١) الأعلام العلية (صـ ٦٩ - ٧٢).

۞ يقول ابن تيمية: وقد أطلقنا من النصارى مَن شاء الله، فهذا عملنا وإحساننا والجزاء على الله.

۞ قال ابن تيمية: لن يخاف الرجل غير الله إلا لمرضٍ فى قلبه، فإن رجلًا شكا إلى أحمد بن حنبل خوفه من بعض الولاة. فقال له: لو صححت لم تخف أحدًا.

فابن تيمية الخائف الوجل الذى يهاب ربه تهابه الملوك.

وقد قَصَّ -أيضًا- هذه القصة الشيخ الصالح محمد بن أبى بكر بن قوام البالسى، وكان يوم قازان فى جملة من كان مع الشيخ تقى الدين ابن تيمية لما تكلم مع قازان، فحكى عن كلام شيخ الإسلام تقى الدين لقازان، وشجاعته وجرأته عليه، وأنه قال لترجمانه: قل لقازان: أنت تزعم أنك مسلم، ومعك قاضٍ وإمام وشيخ ومؤذنون، -على ما بلغنا- فغزوتنا، وبلغت بلادنا على ماذا؟! وأبوك وجدك (هولاكو) كانا كافرين، وما غزوا بلاد الإسلام، بل عاهدوا قومنا، وأنت عاهدت فغدرت، وقلت فما وفيت، قال: وجرت له مع قازان وقطلوشاه وبولاى أمور ونُوَب، قام ابن تيمية فيها كلها لله، وقال الحق ولم يخشَ إلا الله ﷻ. قال: وقُرِّب إلى الجماعة طعامًا كثيرًا فأكلوا منه إلا ابن تيمية، فقيل له: ألا تأكل؟ فقال: كيف آكل من طعامكم وكله مما نهبتم من أغنام الناس، وطبختموه بما قطعتم من أشجار الناس! قال: ثم إن قازان طلب منه الدعاء، فقال فى دعائه: اللهم إن كان هذا -عبدك محمود- إنما يقاتل لتكون كلمتك هى العليا، وليكون الدين كله لك، فانصره وأيده، وملِّكه البلاد والعباد، وإن كان إنما قام رياء وسمعة وطلبًا للدنيا، ولتكون كلمته هى العليا، وليذل الإسلام وأهله، فاخذله

وزلزله، ودمِّره واقطع دابره. قال: وقازان يؤمِّن على دعائه، ويرفع يديه. قال: فجعلنا نجمع ثيابنا خوفًا من أن تتلوث بدمه إذا أمر بقتله.

قال: فلما خرجنا من عنده، قال له قاضي القضاة نجم الدين بن صرصري وغيره: كدت أن تُهلكنا وتُهلك نفسك، والله لا نصحبك من هنا. فقال: وأنا والله لا أصحبكم. قال: فانطلقنا عصبة، وتأخر هو في خاصة نفسه، ومعه جماعة من أصحابه، فتسامعت به الخواقين والأمراء وأصحاب قازان، فأتوه يتبركون بدعائه، وهو سائر إلى دمشق، وينظرون إليه، قال: والله ما وصل إلى دمشق إلا في نحو ثلثمائة فارس في ركابه، وكنت أنا من جملة من كان معه، وأما أولئك الذين أبوا أن يصحبوه، فخرج عليهم جماعة من التتر، فسرقوهم عن آخرهم[1].

(١) البداية والنهاية (١٤/ ٩١ - ٩٢) نقلًا من زهر البساتين/ د. سيد حسين

شجاعة تفوق الخيال

۞ قال أبو حاتم الرازى: سمعت عبدة بن سليمان المروزى يقول: كنا فى سرية مع عبد الله بن المبارك فى بلاد الروم، فصادفنا العدو؛ فلما التقى الصفان، خرج رجل من العدو فدعا إلى البراز (المبارزة)، فخرج إليه رجل فقتله، ثم آخر فقتله، ثم دعا إلى البراز، فخرج إليه رجل فطارده ساعة، فطعنه فقتله، فازدحم إليه الناس، فكنت فيمن ازدحم إليه، وهو يلثم وجهه بكمه، فأخذت بطرف كمه فمددته، فإذا هو عبد الله بن المبارك، فقال: وأنت يا أبا عمرو ممن يُشنِّع علينا [1]؟!.

وقال عبد الله بن سنان: كنت مع ابن المبارك والمعتمر بن سليمان بطرسوس، فصاح الناس: النفير، النفير! فخرج ابن المبارك والمعتمر، وخرج الناس، فلما اصطف المسلمون والعدو، خرج رجل من القوم يطلب البراز، فخرج إليه مسلم، فشد العلج على المسلم فقتله، حتى قتل ستة من المسلمين مبارزة، وجعل يتبختر بين الصفين، ويطلب المبارزة، فلا يخرج إليه أحد، فالتفت إلىَّ ابن المبارك فقال: يا عبد الله، إن حَدَثَ بى حَدَثُ الموت فافعل كذا، وحرَّك دابته، وخرج إلى العلج، فعالج معه ساعة، فقتل العلج، وطلب المبارزة، فخرج إليه علج آخر فقتله، حتى قتل ستة من العلوج مبارزة، وطلب البراز، فكأنهم كاعوا عنه [2]، فضرب دابته، ونظر بين الصفين وغاب، فلم أشعر إلا وابن المبارك فى الموضع الذى كان فيه، فقال لى: يا عبد الله، لئن حدثت بهذا أحدًا وأنا حى،... فذكر كلمة.

---

(١) تاريخ بغداد ١٠/ ١٦٧، وتاريخ ابن عساكر ٣٨/ ٣٥٣، وصفة الصفوة ٤/ ١٤٤.

(٢) كاعوا عنه: جبنوا، وكعت عن الشىء: إذا هبته وجبنت عنه. اللسان (كوع).

قال: فما حدثت به أحدًا وهو حى[١].

وكما اشتهر بالشجاعة، والمروءة، والمشاركة فى الجهاد؛ فقد كان يدعو إليه أيضًا، بأقواله وأشعاره.

عن محمد بن إبراهيم بن أبى سكينة، قال: أملى علىَّ عبد الله بن المبارك، هذه الأبيات بطرسوس، وودعته للخروج، وأنفذها معى إلى الفضيل بن عياض، فى سنة سبعين ومائة، وفى حديث أبى الغنائم، سنة سبع وسبعين.

يا عابد الحرمين لو أبصرتنا ... لعلمت أنك فى العبادة تلعبُ

من كان يخضب خده بدموعه ... فنحورنا بدمائنا تتخضبُ

أو كان يُتعب خيله فى باطلٍ ... فخيولنا يوم الصبيحة تتعبُ

ريح العبير لكم ونحن عبيرنا ... رَهَجُ السنابك[٢] والغبار الأطيبُ

ولقد أتانا من مقال نبينا ... قولٌ صحيحٌ صادقٌ لا يَكْذِبُ

لا يستوى غبار خيل الله فى ... أنف امرئ ودخان نار تَلْهبُ[٣]

هذا كتاب الله ينطق بيننا ... ليس الشهيد بميتٍ لا يَكْذِبُ[٤]

---

(١) تاريخ ابن عساكر (٣٨/ ٣٥٤)، والسير (٨/ ٣٦١).

(٢) قوله «رهج السنابك» الرهج: الغبار، والسنابك: جمع سنبك؛ وهو طرف حافر الخيل.

(٣) يشير إلى الحديث، الذى أخرجه أحمد ٢/ ٢٥٦- ٣٤١-٣٤٢، والنسائى ٦٠/ ١٢- ١٣، والحاكم، ٢/ ٧٢، والبيهقى ٩/ ١٦، من حديث أبى هريرة أنه سمع رسول الله ﷺ، يقول: «**لا يجتمع غبار فى سبيل الله ودخان جهنم فى جوف عبد أبدًا**» وصححه الألبانى.

(٤) يشير إلى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ سورة آل عمران: الآية: (١٦٩).

فلقيت الفضيل بن عياض، فى المسجد الحرام، بكتابه فلما قرأه، ذرفت عيناه، ثم قال: صدق أبو عبد الرحمن، ونصحنى، ثم قال: أنت ممن يكتب الحديث، قلت: نعم يا أبا على، قال: فاكتب هذا الحديث؛ جزاء حملك كتاب أبى عبد الرحمن إلينا، وأملى علىَّ الفضيل: أخبرنا منصور ابن المعتمر، عن أبى صالح، عن أبى هريرة: أن رجلًا قال: يا رسول الله، علمنى عملًا؛ أنال به ثواب المجاهدين فى سبيله، فقال له النبى ﷺ: **«هل تستطيع أن تصلى فلا تفتر، وتصوم فلا تفطر؟»**، قال: يا نبى الله، أنا أضعف من أن أستطيع ذلك، ثم قال له النبى ﷺ: **«فو الذى نفسى بيده، لو طوقت ذلك؛ ما بلغت فضل المجاهدين فى سبيل الله أما علمت أن فرس المجاهدين، ليُستن فى طوله، فتكتب بذلك حسناته»**(١).

(١) رواه البخارى ٦/ ٤ الجهاد، ومسلم ١٣/ ٢٤، ٢٥ الإمارة.

عطاء بن أبي رباح وسليمان بن عبد الملك

۞ فى سنة سبعٍ وتسعين للهجرة ذهب خليفة المسلمين سليمان بن عبد الملك إلى الحج ومعه ولداه.

فلما وصل إلى البيت الحرام توجَّه مباشرة نحو الكعبة ليطوف بها فقد كان فى شوقٍ عظيم إلى البيت الحرام.

وما إن انتهى من طوافه حتى قال لرجلٍ من خاصته: أين عطاء بن أبى رباح أريد أن أراه وأسمع منه.

فقال له الرجل: إنه هناك يا سيدى يصلى فى الناحية الغربية من المسجد.

فقام سليمان بن عبد الملك وأخذ معه ولديه وذهبوا إلى عطاء فأراد بعض رجال الحاشية أن يُفسحوا الطريق للخليفة فنهاهم عن ذلك وقال لهم: هذا مقامٌ يستوى فيه الملوك والسُّوقة... فلا فضل لأحدٍ على أحدٍ إلا بالتقوى ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[1].

۞ وصل الخليفة إلى عطاء فوجده ما يزال فى صلاته.. وقد وقف الناس حوله ينتظرون متى يفرغ من صلاته.

وتعجب أبناء الخليفة من هذا المنظر العجيب... فها هو الخليفة يجلس لينتظر هو وعامة الناس رجلًا حبشيًّا أسود البشرة... فمن هذا الرجل؟!!.

۞ وبعد دقائق انتهى عطاء من صلاته فنظر إليه الخليفة وسلَّم عليه فردَّ السلام على الخليفة ولم يتحرك.

---

(١) سورة الحجرات: الآية: (١٣).

وهنا أقبل الخليفة على عطاء يسأله عن كل مناسك الحج... وعطاء يُجيبه باستفاضة وكأنه بحر علمٍ.

ولما انتهى الخليفة من أسئلته قال له: جزاك الله خيرًا.

ثم قال لولديه: هيا بنا نرجع إلى رحالنا... فعادوا مرة أخرى.

وبينما هم فى الطريق إلى السعى بين الصفا والمروة وإذا بالخليفة يسمع من يقول: يا معشر المسلمين.. لا يُفتى الناس فى هذا المقام إلا عطاء بن أبى رباح فإن لم تجدوه فعبد الله بن أبى نجيح.

فتعجب أحد أبناء الخليفة وقال له: يا أبتاه كيف يأمر عامل من عُمالك الناس بألا يستفتوا أحدًا غير عطاء بن أبى رباح مع أنه لم يُوفِّك حقك من التعظيم عندما جئت لتسأله.

فقال سليمان بن عبد الملك لابنه: يا بُنى هذا هو عطاء بن أبى رباح وارث (عبد الله بن عباس) فى هذا المنصب الكبير وصاحب الفُتيا فى المسجد الحرام.

يا بُنى... تعلَّموا العلم.. فبالعلم يصبح الوضيع شريفًا ويعلو العبيد على مرتبة الملوك والأمراء.

العز بن عبد السلام ونجم الدين أيوب

۞ وقد كانت له قصة - أى قصة - مع نجم الدين أيوب سلطان مصر.

ونجم الدين هو نجم الدين ظلمًا وجبروتًا.

قال عنه صاحب النجوم الزاهرة: كان كثير التخيُّل والغضب، والمؤاخذة مع الذنب الصغير، والمعاقبة على الوهم، لا يقيل عثرةً، ولا يقبل معذرة، ولا يرعى سالف خدمة، السيئة عنده لا تُغتفر، وكان جبارًا متكبرًا، شديد السطوة، كثير التجبر على أصحابه وندمائه وخواصه، ثقيل الوطأة، حتى إن خواصه لم يكونوا يأمنون سطوته، ولا يقدرون على الاحتراز منه، ولم يكن فى خُلقه الميل لأحدٍ من أصحابه ولا أهله ولا أولاده، ولا المحبة لهم، ولا الحنو عليهم على ما جرت به العادة(١).

۞ قال أبو الحسن الباجى تلميذ العز: طلع شيخنا عز الدين مرة إلى السلطان فى يوم عيد إلى القلعة، فشاهد العسكر مصطفِّين بين يديه، ومجلس المملكة، وما السلطان فيه يوم العيد من الأبهة، وقد خرج على قومه فى زينته، على عادة سلاطين الديار المصرية، وأخذت الأمراء تقبل الأرض بين يدى السلطان، فالتفت الشيخ إلى السلطان، وناداه: يا أيوب.. ما حجتك عند الله، إذا قال لك: يا أيوب! ألم أُبَوِّئ لك مُلك مصر، ثم تبيح الخمور؟!

فقال: هل جرى هذا؟

قال: نعم، الحانة الفلانية تُباع فيها الخمور، وغيرها من المنكرات،

---

(١) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة (٦/ ٣٣٥).

وأنت تتقلب فى نعمة هذه المملكة - يناديه بأعلى صوته، والعساكر واقفون.

فقال: يا سيدى! هذا ما أنا عملته، هذا من زمان أبى.

فقال: أنت من الذين يقولون: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ ..﴾ (١).

فرسم السلطان بإبطال تلك الحانة.

۞ يقول الباجى: فسألتُ الشيخ لما جاء من عند السلطان، وقد شاع هذا الخبر: يا سيدى! كيف الحال؟

فقال: يا بُنىَّ! رأيته فى تلك العظمة، فأردت أن أهينه؛ لئلا تكبر عليه نفسه فتؤذيه.

فقلت: يا سيدى! أما خفته؟ فقال: والله يا بنى! استحضرت هيبة الله تعالى، فصار السلطان قُدامى كالقط (٢).

۞ **أمراء للبيع:**

حكى السُّبكى والسيوطى أنه لما تولى الشيخ عز الدين القضاء تصدى لبيع أمراء الدولة من الأتراك، وذكر أنه لم يثبت عنده أنهم أحرار، وأن حكم الرِّقِّ مستصحب عليهم لبيت مال المسلمين، فبلغهم ذلك، فعظم الخطب عندهم، واضرَّم الأمر، والشيخ مصمم لا يصحح لهم بيعًا ولا شراءً ولا نكاحًا، وتعطلت مصالحهم لذلك، وكان من جملتهم نائب السلطنة، فاستثار غضبًا، فاجتمعوا وأرسلوا إليه، فقال: نعقد لكم مجلسًا ويُنادَى عليكم لبيت مال المسلمين، ويحصل عِتقُكم بطريق شرعىٍّ، فرفعوا الأمر

---

(١) سورة الزخرف: الآية: (٢٢).

(٢) طبقات الشافعى (٨/ ٢١١)، وطبقات المفسرين للداودى (١/ ٣١١).

إلى السلطان، فبعث إليه، فلم يرجع، فجرت من السلطان كلمة فيها غلظة، حاصلها الإنكار على الشيخ فى دخوله فى هذا الأمر وأنه لا يتعلق به، فغضب الشيخ وحمل حوائجه على حمار، وأركب عائلته على حمار آخر، ومشى خلفهم خارجًا من القاهرة قاصدًا نحو الشام، فلم يصل إلى نحو نصف بريد إلا وقد لحقه غالب المسلمين، لم تكد امرأة ولا صبى ولا رجل لا يؤبه إليه يتخلف، لا سيما العلماء والصلحاء والتجار وأنحاؤهم، فبلغ السلطان الخبر، وقيل له: متى راح ذهب ملكك؟ فركب السلطان بنفسه ولحقه واسترضاه وطيَّب قلبه، فرجع، واتفقوا معه على أنه يُنادى على الأمراء، فأرسل إليه نائب السلطنة بالملاطفة، فلم يفد، فانزعج النائب، وقال: كيف ينادى علينا هذا الشيخ ويبيعنا، ونحن ملوك الأرض؟

والله لأضربنه بسيفى هذا، فركب بنفسه فى جماعته، وجاء إلى بيت الشيخ، والسيف مسلول فى يده، فطرق الباب، فخرج ولد الشيخ، فرأى من نائب السلطنة ما رأى، وشرح له الحال فما اكترث لذلك.

وقال: يا ولدى! أبوك أقل من أن يقتل فى سبيل الله.

ثم خرج، فحين وقع بصره على النائب يبست يد النائب، وسقط السيف منها، وأرعدت مفاصله، فبكى وسأل الشيخ أن يدعو له.

وقال: يا سيدى، أيش تعمل؟

قال: أنادى عليكم، وأبيعكم.

قال: ففيم تصرف ثمننا؟

قال: فى مصالح المسلمين.

قال: ومن يقبضه؟

قال: أنا، فتمَّ ما أراد، ونادى على الأمراء واحدًا واحدًا، وغالى فى ثمنهم، ولم يبعهم إلا بالثمن الوافى، وقبضه وصرفه فى وجوه الخير، وهذا ما لم يُسمع بمثله عن أحد. رحمه الله تعالى[١].

۞ إنكاره على ملك دمشق التنازل عن ديار المسلمين، وعقد الصلح مع الفرنجة الصليبيين المعتدين:

لماّ تحالف الصالح إسماعيل - المعروف بأبى الخبيش حاكم دمشق - مع الصليبيين، وأسلمهم قلعة صفد، وقلعة الشقيف، وصيدا، وبعض ديار المسلمين اختيارًا، لينجدوه على الصالح نجم الدين أيوب - حاكم مصر - لأنّ الصالح إسماعيل خاف منه فكاتب الفرنجة؛ ليساعدوه ضد ابن أخيه حاكم مصر، فدخل الصليبيون دمشق لشراء السلاح؛ ليقاتلوا المسلمين، فشق ذلك على سلطان العلماء مشقة عظيمة فى مبايعه الفرنج السلاح، وعلى المتدينين من المتعيشين من السلاح، فاستفتوا الشيخ فى مبايعة الفرنج السلاح، فقال: يحرم عليكم مبايعتهم؛ لأنكم تتحققون أنهم يشترونه ليقاتلوا به إخوانكم المسلمين.

وترك عز الدين الدعاء للحاكم فى الخُطبة، وجدد دعاءه - فى الجامع - الذى كان يدعو به إذا فرغ من الخُطبتين: اللهم أبرم لهذه الأمة أمرًا رشدًا تُعِزُّ فيه وليك، وتُذل فيه عدوك، ويُعمل فيه بطاعتك، ويُنهى فيه عن معصيتك.... والناس يبتهلون بالتأمين والدعاء للمسلمين، والنصر على أعداء الله الملحدين.

فكاتب أعوانُ الشيطان السلطان بذلك، وحرَّفوا القول وزخرفوه، فجاء

---

(١) حسن المحاضرة للسيوطى (٢/ ١٦٢)، وطبقات الشافعية للسبكى (٨/ ٢١٦).

كتابه باعتقال الشيخ، فبقى مدة معتقلًا، ثم وصل الصالح إسماعيل، وأخرج الشيخ بعد محاورات ومراجعات، فأقام مدة بدمشق، ثم انتزح عنها إلى بيت المقدس، فوافاه الملك الناصر داود فى الفور، فقطع عليه الطريق وأخذه، وأقام عنده بنابلس مدة، وجرت له معه خطوبٌ، ثم انتقل إلى بيت المقدس وأقام به مدة، ثم جاء الصالح إسماعيل والملك المنصور - صاحب حمص - وملوك الفرنج بعساكرهم وجيوشهم إلى بيت المقدس، يقصدون الديار المصرية، فسيَّر الصالح إسماعيل بعض خواصه إلى الشيخ بمنديله، وقال له: تدفع منديلى إلى الشيخ وتتلطف به غاية التلطف وتستنزله، وتعده بالعود إلى مناصبه على أحسن حال، فإن وافقك تدخل به علىَّ، وإن خالفك، فاعتقله فى خيمة إلى جانب خيمتى.

فلما اجتمع الرسول بالشيخ شرع فى مسايسته وملاينته، ثم قال له: بينك وبين أن تعود إلى مناصبك وما كنت عليه وزيادة، أن تنكسر للسلطان، وتُقبل يده لا غيره[1].

وهنا قال سلطان العلماء كلماته النيرة، وهى كلمات الحياة، فيها استعلاء أهل العلم وعزة العقيدة، خرَّ من هول هذه الكلمات رسول الحاكم.

قال عز الدين: «والله يا مسكين، ما أرضاه أن يُقبل يدى، فضلًا أن أقبل يده... يا قوم! أنتم فى وادٍ، وأنا فى وادٍ، الحمد لله الذى عافانى مما ابتلاكم به»[2].

---

(١) طبقات الشافعية (٨/ ٢٤٣، ٢٤٤).

(٢) طبقات الشافعية (٨/ ٢٤٣، ٢٤٤).

۞ يقول الشيخ شرف الدين عبد اللطيف ولد الشيخ سلطان العلماء، فيما حكاه السُّبكى فى طبقات الشافعية، بعد مقولة الشيخ لرسول السلطان:

«فقال له: قد رسم لى إن لم توافق على ما يُطلب منك وإلا اعتقلتك. فقال: افعلوا ما بدا لكم. فأخذه واعتقله فى خيمة إلى جانب خيمة السلطان. وكان الشيخ يقرأ القرآن والسلطان يسمعه، فقال يومًا لملوك الفرنج: تسمعون هذا الشيخ الذى يقرأ القرآن؟

قالوا: نعم.

قال: هذا أكبر قُسُوس المسلمين، وقد حبستُه لإنكاره علىّ تسليمى لكم حصون المسلمين، وعزلته عن الخطابة بدمشق وعن مناصبه، ثم أخرجته فجاء إلى القدس، وقد جددت حبسه واعتقاله لأجلكم.

فقالت له ملوك الفرنج: لو كان هذا قسيسنا لغسلنا رجليه، وشربنا مرقتها[1].

ثم جاءت العساكر المصرية، ونصر الله تعالى الأمة المحمدية، وقتلوا عساكر الفرنج، ونجى الله سبحانه وتعالى الشيخ، فجاء إلى الديار المصرية، فأقبل عليه السلطان نجم الدين أيوب رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وولاه خطابة مصر وقضاءها، وفوض إليه عمارة المساجد المهجورة بمصر والقاهرة، واتفق له فى تلك الولايات عجائب وغرائب».

۞ أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر للملك الأشرف موسى ابن الملك العادل ابن أيوب:

دخل سلطان العلماء على الملك الأشرف فى مرض موته، فقبَّل

---

(١) طبقات الشافعية (٨/ ٢٤٤).

الأشرف يده، وقال له: ادعُ الله لى، وأوصنى وانصحنى.

فقال له عز الدين: أما دعائى للسلطان، فإنى أدعو له فى كثير من الأحيان، لما فى صلاحه من صلاح المسلمين والإسلام، والله تعالى يُبَصِّر السلطان فيما يبيض به وجهه يوم يلقاه، وأما وصيتى ونصيحتى للسلطان، فقد وجبت وتعينت لقبوله وتقاضيه، وكان قُبيل مرضه قد وقع بينه وبين أخيه السلطان - الملك - الكامل واقع ووحشة، وأمر وهو فى ذلك المرض بنصب دهليزه إلى صوب مصر، وضرب دهليزه بمنزلة تسمى: الكُسوة[١]، وكان فى ذلك الزمان قد ظهر التتر بالمشرق.

فقال الشيخ للسلطان الكامل: أخوك الكبير ورَحِمُك، وأنت مشهور بالفتوحات والنصر على الأعداء، والتتر قد خاضوا بلاد المسلمين، تترك ضرب دهليزك إلى أعداء الله وأعداء المسلمين، وتضربه إلى جهة أخيك! فينقل السلطان دهليزه إلى جهة التتار، ولا تقطع رحمك فى هذه الحالة، وتنوى مع الله نصر دينه وإعزاز كلمته، فإن منَّ الله بعافية السلطان رجونا من الله إدالته على الكفار، وكانت فى ميزانه هذه الحسنة العظيمة، فإن قضى الله تعالى بانتقاله إليه كان السلطان فى خفارة نيته.

فقال له: جزاك الله خيرًا على إرشادك ونصيحتك.

وأمر - والشيخ حاضر فى الوقت- بنقل دهليزه إلى الشرق، إلى منزلة يقال له: القُصير[٢]، فنُقل فى ذلك اليوم.

---

(١) أول منزل تنزله القوافل إذا خرجت من دمشق إلى مصر.

(٢) هذه المنزلة هى القرية التى تُسمى اليوم باسم: الجعافرة. إحدى قرى مركز فاقوس، محافظة الشرقية.

ثم قال له: زدني من نصائحك ووصاياك.

فقال له: السلطان في مثل هذا المرض، وهو على خطر، ونُوابه يُبيحون فروج النساء، ويُدمنون الخمور ويرتكبون الفجور، ويتنوعون في تمكيس المسلمين، ومن أفضل ما تلقى الله به أن تتقدم بإبطال هذه القاذورات، وبإبطال كل مكسٍ، ودفع كل مظلمة.... فتقدم رَحِمَهُ اللَّهُ للوقت بإبطال ذلك كله، وقال له: جزاك الله عن دينك وعن نصائحك، وعن المسلمين خيرًا، وجمع بيني وبينك في الجنة بمنِّه وكرمه.

وأطلق له ألف دينار مصرية فردها عليه، وقال: هذه اجتماعةٌ لله، لا أكدرها بشيءٍ من الدنيا، وودع الشيخ السلطان، ومضى إلى البلد، وقد شاع عند الناس صورة المجلس، وتبطيل المنكرات، وباشر الشيخ بنفسه تبطيل بعضها[1].

۞ أمره بالمعروف أيام قطز:

لما دهم التتار البلاد عُقيب واقعة بغداد، جَبُنَ أهل مصر عنهم، وضاقت بالسلطان وعساكره الأرض، استشاروا الشيخ عز الدين رَحِمَهُ اللَّهُ، فقال: اخرجوا، وأنا أضمن لكم على الله النصر.

فقال السلطان له: إن المال في خزانتي قليل، وأنا أريد أن أقترض من أموال التجار.

فقال له الشيخ عز الدين: إذا أحضرت ما عندك وعند حريمك، وأحضر الأمراء ما عندهم من الحلي الحرام، وضربته سكَّة ونقدًا وفرقته في الجيش ولم يقم بكفايتهم ذلك الوقت، اطلب القرض، وأما قبل ذلك فلا.

(١) طبقات الشافعية (١٠/ ٢٤٠، ٢٤١).

فأحضر السلطان والعسكر كلهم ما عندهم من ذلك بين يدى الشيخ، وكان الشيخ له عظمة عندهم وهيبة، بحيث لا يستطيعون مخالفته، فامتثلوا أمره، وانتصروا»[(١)].

ولما أراد الظاهر بيبرس أن يتسلم السلطة والحكم استدعى الأمراء والعلماء، لمبايعته، وكان بينهم الشيخ العز الذى فاجأ الظاهر بيبرس بكل جرأة وشجاعة وقال له: يا ركن الدين أنا أعرفك مملوك البندقار- أى لا يصح مبايعة المملوك فى استلام السلطة - فأحضر بيبرس ما يثبت أن البندقار قد وهبه للملك الصالح أيوب، وأن الصالح أيوب قد أعتقه، وهنا تقدم الشيخ العز وبايعه على الملك، ليكون من أعظم ملوك العالم فى هزيمة الصليبيين ومطاردة التتار[(٢)].

---

(١) طبقات الشافعية (٨/ ٢١٥).

(٢) أعلام المسلمين (العز بن عبد السلام) (١١٤).

الأوزاعي.. وصدعه بكلمة الحق

وكان الإمام الأوزاعى معروفًا بأنه كان يصدع بكلمة الحق ولا يخشى فى الله لومة لائم.

وكان له مواقف مشرقة سطَّرها التاريخ على جبين الزمان بسطورٍ من النور.

❁ اجتمع الثورى والأوزاعى وعبَّاد بن كثير بمكة، فقال الثورى للأوزاعى: حدِّثنا يا أبا عمرو حديثك مع عبد الله بن على. قال: نعم، لما قدم الشام، وقتل بنى أمية، جلس يومًا على سريره، وعبَّأ أصحابه أربعة أصناف: صنف معهم السيوف المسللة، وصنف معهم الجزرة، أظنها الأطبار[1]، وصنف معهم الأعمدة، وصنف معهم الكافر كوب[2]، ثم بعث إلىَّ، فلما صرت بالباب، أنزلونى، وأخذ اثنان بعضدى، وأدخلونى بين الصفوف حتى أقامونى مقامًا يسمع كلامى، فسلمت فقال: أنت عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعى؟ قلت: نعم، أصلح الله الأمير. قال: ما تقول فى دماء بنى أمية؟ - فسأل مسألة رجل يريد أن يقتل رجلًا - فقلت: قد كان بينك وبينهم عهود. فقال: ويحك! اجعلنى وإياهم لا عهد بيننا. فأجهشت[3] نفسى، وكرهت القتل، فذكرت مقامى بين يدى الله ﷻ، فلفظتها، فقلت: دماؤهم عليك حرام، - فغضب، وانتفخت عيناه وأوداجه، فقال لى: ويحك، ولِمَ؟! قلت: قال رسول الله ﷺ: «**لا يحل دم**

(١) الأطبار: نوع من السلاح له فأس. (معربة).

(٢) أى: المقرعة.

(٣) أجهشت: خافت وفزعت.

امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: ثيِّبٍ زانٍ، ونفسٍ بنفسٍ، وتاركٍ لدينه»[١].

قال: ويحك، أَوَ ليس الأمر لنا ديانة؟! قلت: وكيف ذاك؟ قال: أليس كان رسول الله ﷺ كان أوصى إلى عليٍّ؟ قلت: لو أوصى إليه ما حكَّم الحكمين. فسكت، وقد اجتمع غضبًا، فجعلت أتوقع رأسى تقع بين يدى، فقال بيده: هكذا - أومأ أن أخرجوه - فخرجت، فركبت دابتى، فلما سرت غير بعيد، إذا فارس يتلونى، فنزلت إلى الأرض، فقلت: قد بعث ليأخذ رأسى، أُصلى ركعتين، فكبَّرت، فجاء - وأنا قائم أصلى - فسلم، وقال: إن الأمير قد بعث إليك بهذه الدنانير فخذها. فأخذتها، ففرقتها قبل أن أدخل منزلى. فقال سفيان: ولَمْ أُردك أن تحيد حين قال لك ما قال[٢].

قال الذهبى: قلت: قد كان عبد الله بن على ملكًا جبارًا، سفاكًا للدماء، صعب المراس، ومع هذا فالإمام الأوزاعى يصدعه بمر الحق كما ترى، لا كخلقٍ من علماء السوء، الذين يُحسِّنون للأمراء ما يقتحمون به من الظلم والعسف، ويقلبون لهم الباطل حقًّا - قاتلهم الله - أو يسكتون مع القدرة على بيان الحق[٣].

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦٨٧٨)، ومسلم (١٦٧٦).

(٢) السير (٧/ ١٢٨-١٢٩).

(٣) السير (٧/ ١٢٥).

ذبحه في المنام

۞ عن محمد بن على السمَّان قال:

سَمِعْتُ رِضْوَانَ السَّمَّانَ، قَالَ: «كَانَ لِى جَارٌ فِى مَنْزِلِى وَسُوقِى يَشْتِمُ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: فَكَثُرَ الْكَلَامُ بَيْنِى وَبَيْنَهُ، فَلَمَّا كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ شَتَمَهُمَا وَأَنَا حَاضِرٌ فَوَقَعَ بَيْنِى وَبَيْنَهُ كَلَامٌ حَتَّى تَنَاوَلَنِى وَتَنَاوَلْتُهُ، فَانْصَرَفْتُ إِلَى مَنْزِلِى وَأَنَا مَغْمُومٌ حَزِينٌ أَلُومُ نَفْسِى، قَالَ: فَنِمْتُ وَتَرَكْتُ الْعَشَاءَ مِنَ الْغَمِّ، فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِى مَنَامِى مِنْ لَيْلَتِى فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ فُلَانٌ جَارِى فِى مَنْزِلِى وَسُوقِى وَهُوَ يَسُبُّ أَصْحَابَكَ قَالَ: مَنْ مِنْ أَصْحَابِى؟ قُلْتُ: أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: خُذْ هَذِهِ الْمُدْيَةَ (السِّكين) فَاذْبَحْهُ بِهَا، قَالَ: فَأَخَذْتُهُ فَأَضْجَعْتُهُ فَذَبَحْتُهُ فَرَأَيْتُ كَأَنَّ يَدِى قَدْ أَصَابَتْ مِنْ دَمِهِ قَالَ: فَأَلْقَيْتُ الْمُدْيَةَ وَأَهْوَيْتُ بِيَدِى إِلَى الْأَرْضِ أَمْسَحُهَا، فَانْتَبَهْتُ وَأَنَا أَسْمَعُ الصُّرَاخَ مِنْ نَحْوِ دَارِهِ، فَقُلْتُ: انْظُرُوا مَا هَذَا الصُّرَاخُ؟ قَالُوا: مَاتَ فُلَانٌ فُجَاءَةً فَلَمَّا أَصْبَحْتُ نَظَرْتُ إِلَيْهِ فَإِذَا خَطٌّ مَوْضِعَ الذَّبْحِ»[1].

---

(١) انظر «المنامات» (١/ ١٠٨).

العلم يُؤتَى إليه ولا يأتي

۞ قالوا إن أمير المؤمنين هارون الرشيد خرج حاجًّا فى سنة من السنين فلما فرغ من حجِّه تاقت نفسه إلى زيارة المدينة حيث يقيم جثمان رسول الله ﷺ فى مثواه الطاهر وفى تربته المباركة، فلما قدم المدينة ومعه أصحابه وخاصته من العلماء والفقهاء طلب الإمام مالك رضي الله عنه وقال لأصحابه: إنى أريد أن أسمع منه كتاب الموطأ ... فلما وصل رسول الخليفة إلى منزل مالك ابن أنس، قال له: أجب أمير المؤمنين الرشيد، فأَنِفَ مالك من إجابته اعتزازًا بنفسه وإكرامًا لعلمه واستغناءً بالله عن كل ما سواه، وقال له: أَقرئه السلام، وقل له: إن العلمَ يُزار ولا يزور، ويُؤتَى ولا يأتى، فعاد إليه الرسول وأبلغه رسالة الإمام، فأُعجب الرشيد بعزته، وقال: صدق الشيخ نحن أحق الناس بزيارته وتكريمه، وهَمَّ أن يتوجه إليه وكان من بين أصحابه الذين صحبوه فى زيارته إلى المدينة الإمام أبو يوسف فلما رآه مصممًا على زيارة إمام دار الهجرة أمسك بيده ومنعه من ذلك، وقال له: يا أمير المؤمنين لا تفعل ولا تأته فى بيته إنك وجهت إليه رسولك ليُحضره فامتنع عن إجابتك وخالف أمرك فتضعف هيبتك فى نفوسهم، والرأى عندى أن تعزم عليه وتُرغمه على المجىء ففعل الرشيد فلما جاء مالك سلَّم على الرشيد بالخلافة، وجلس فأقبل عليه الرشيد مُغضبًا وقال له: يا ابن أبى عامر أبعث إليك لتحضر فتخالفنى، فقال مالك: يا أمير المؤمنين، حدثنى نافع عن أبى هريرة عن ابن عمر أنه قال: كان الوحى ينزل على رسول الله بالقرآن فكتب أحد كُتَّاب الوحى ما أملاه عليه رسول الله: (**لا يستوى القاعدون من المؤمنين والمجاهدون فى سبيل الله**)، وكان ابن أم مكتوم حاضرًا وهو

مكفوف، فقال: يا رسول الله! إنى ضرير وقد بلغ فضل الجهاد وأجره ما تعلم وأنا محروم منه، قال كاتب الوحى، فوالله ما جَفَّ قلمى حتى نزل قوله تعالى: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[1]، فهذه كلمة واحدة يا أمير المؤمنين تعب فيها جبريل والملائكة من مسيرة ألف عام أفلا ينبغى أن أعتزَّ بها وأُجلُّها وقد رفعك الله وأجلَّك وأنزلك فى هذه المكانة فلا تكن أنت أول من وضع عزة العلم والعلماء فيضع الله عزتك ويغمد سيفك.... فسكنت ثورة الرشيد وذهب عنه الغضب ثم قام فى خاصته وذهب معهم إلى منزل الإمام ليسمع منه كتاب الموطأ - وهو أول كتاب أُلِّف فى علم الحديث، قام بجمعه الإمام مالك - فلما وصلوا إلى منزله جلس معه على كرسيه وأخذ الإمام يقرأ الكتاب وأذن للعامة، فقال الرشيد: لا أحب أن أسمعه مع عامة الناس، فقال: يا أمير المؤمنين! إن العلم إذا مُنع منه العامة من أجل الخاصة لم ينفعهم الله به، فرضى الرشيد أن يكون ممن يسمعون الإمام، وقد بدأ مالك درسه بقوله: أدركنا أهل العلم وهو يحبون التواضع فى مجلس رسول الله فأدرك الرشيد قصده ونزل عن كُرسيه إلى الحلقة شأنه فى ذلك شأن غيره من المستمعين.... وهكذا استطاع الإمام بعزة نفسه وقوة إيمانه أن يُعز العلم ويكرم الدين واثقًا بالله مؤمنًا كل الإيمان بأن مَن أعزَّ نفسه أعزَّه الله.

(١) سورة النساء: الآية: (٩٥).

العلم يرفع صاحبه دنيا ودينًا

۞ عَنْ عَلِيِّ بْن الجعد قال: أَخْبَرَنِي يعقوب بْن إِبْرَاهِيم ابن يوسف القاضي قَالَ: تُوُفِّيَ أبي إِبْرَاهِيم بْن حبيب وخلَّفني صغيرًا فِي حجر أمي، فأسلمتني إلى قصَّار أخدمه، فكنتُ أَدَعَ القصَّار وأمرُّ إلى حلقة أبي حنيفة فأجلس أستمع، فكانت أمي تجيء خلفي إلى الحلقة، فتأخذ بيدي وتذهب بي إلى القصار، وكان أَبُو حنيفة يعنى بي لما يرى من حضوري ويُحرضني عَلَى التعليم، فلما كثر ذَلِكَ عَلَى أمي وطال عليها هربي، قَالَتْ لأبي حنيفة: ما لِهذا الصبي فسادٌ غيرك، هذا صبي يتيم لا شيء لَهُ، وإنما أُطعمه من مغزلي وآمل أن يكسب دانقًا يعود بِهِ عَلَى نفسه. فقال لَهَا أَبُو حنيفة: مُري يا رعناء هذا هُوَ ذا يتعلم أكل الفالوذج[1] بدهن الفستق، فانصرفت عَنْهُ وقالت لَهُ: أنت شيخٌ قد خرفت وذهب عقلك... قال: ثُمَّ لزمته فنفعني الله بالعلم ورفعني حتى تقلدت القضاء، وكنت أجالس الرشيد وآكل معه عَلَى مائدته، فلما كَانَ فِي بعض الأيام قُدِّم إلى هارون فالوذجة فقال لي هارون يا يعقوب كُلْ منها فليس كل يوم يُعمَل لنا مثلها. فقلتُ: وما هذه يا أمير المؤمنين؟ فقال: هذه فالوذجة بدهن الفستق، فضحكتُ. فقال لي: مِمَّ ضحكت؟ فقلتُ: خيرًا، أبقى الله أمير المؤمنين، قَالَ: لتخبرني- وألحَّ عليَّ- فأخبرته بالقصة من أولها إلى آخرها فعجب من ذَلِكَ. وقال: لعمري إن العلم ليرفعُ وينفع دينًا ودنيا، وترحَّم عَلَى أبي حنيفة، وقال: كَانَ ينظر بعين عقله ما لا يراهُ بعين رأسه[2].

(١) الفالوذج: حلواء تُعمل من الدقيق والماء والعسل، أو تُصنع من النشا والماء والسكر.

(٢) أخرجها الخطيب في تاريخ بغداد (١٤/ ٢٤٤).

الليث بن سعد وهارون الرشيد

۞ جَرَى بَيْنَ هَارُونَ الرَّشِيدِ وَبَيْنَ ابْنَةِ عَمِّهِ زُبَيْدَةَ مُنَاظَرَةٌ وَمُلَاحَاةٌ فِي شَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ، فَقَالَ هَارُونُ لَهَا فِي عَرَضِ كَلَامِهِ: «أَنْتِ طَالِقٌ إِنْ لَمْ أَكُنْ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ»، ثُمَّ نَدِمَ وَاغْتَمَّا جَمِيعًا بِهَذِهِ الْيَمِينِ، وَنَزَلَتْ بِهِمَا مُصِيبَةٌ لِمَوْضِعِ ابْنَةِ عَمِّهِ مِنْهُ، فَجَمَعَ الْفُقَهَاءَ وَسَأَلَهُمْ عَنْ هَذِهِ الْيَمِينِ، فَلَمْ يَجِدْ مِنْهَا مَخْرَجًا، ثُمَّ كَتَبَ إِلَى سَائِرِ الْبُلْدَانِ مِنْ عُمَّالِهِ أَنْ يُحْمَلَ إِلَيْهِ الْفُقَهَاءُ مِنْ بُلْدَانِهِمْ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا جَلَسَ لَهُمْ وَأُدْخِلُوا عَلَيْهِ، وَكُنْتُ وَاقِفًا بَيْنَ يَدَيْهِ لِأَمْرٍ إِنْ حَدَثَ يَأْمُرُنِي بِمَا شَاءَ فِيهِ، فَسَأَلَهُمْ عَنْ يَمِينِهِ، وَكُنْتُ الْمُعَبِّرَ عَنْهُ، وَهَلْ لَهُ مِنْهَا مَخْلَصٌ، فَأَجَابَهُ الْفُقَهَاءُ بِأَجْوِبَةٍ مُخْتَلِفَةٍ، وَكَانَ إِذْ ذَاكَ فِيهِمُ اللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ فِيمَنْ أُشْخِصَ مِنْ مِصْرَ وَهُوَ جَالِسٌ فِي آخِرِ الْمَجْلِسِ لَمْ يَتَكَلَّمْ بِشَيْءٍ، وَهَارُونُ يُرَاعِي الْفُقَهَاءَ وَاحِدًا وَاحِدًا، فَقَالَ: بَقِيَ ذَلِكَ الشَّيْخُ فِي آخِرِ الْمَجْلِسِ لَمْ يَتَكَلَّمْ بِشَيْءٍ، فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَقُولُ لَكَ: مَا لَكَ لَا تَتَكَلَّمُ كَمَا تَكَلَّمَ أَصْحَابُكَ؟ فَقَالَ: قَدْ سَمِعَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ قَوْلَ الْفُقَهَاءِ، وَفِيهِ مَقْنَعٌ، فَقَالَ: قُلْ لَهُ إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَقُولُ: لَوْ أَرَدْنَا ذَلِكَ سَمِعْنَا مِنْ فُقَهَائِنَا وَلَمْ نُشْخِصْكُمْ مِنْ بُلْدَانِكُمْ، وَلَمَا أُحْضِرْتَ هَذَا الْمَجْلِسَ، فَقَالَ: يُخَلِّي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مَجْلِسَهُ إِنْ أَرَادَ أَنْ يَسْمَعَ كَلَامِي فِي ذَلِكَ، فَانْصَرَفَ مَنْ كَانَ بِمَجْلِسِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْفُقَهَاءِ وَالنَّاسِ، ثُمَّ قَالَ: تَكَلَّمْ، فَقَالَ: يُدْنِينِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ؟ فَقَالَ: لَيْسَ بِالْحَضْرَةِ إِلَّا هَذَا الْغُلَامُ، وَلَيْسَ عَلَيْكَ مِنْهُ عَيْنٌ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَتَكَلَّمُ عَلَى الْأَمَانِ، وَعَلَى طَرْحِ التَّعَمُّلِ وَالْهَيْبَةِ وَالطَّاعَةِ لِي مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي جَمِيعِ مَا أَمَرَ بِهِ؟ قَالَ: لَكَ ذَلِكَ، قَالَ: يَدْعُو أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِمُصْحَفٍ جَامِعٍ، فَأَمَرَ بِهِ فَأُحْضِرَ، فَقَالَ: يَأْخُذُهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فَيَتَصَفَّحُهُ حَتَّى

يَصِلَ إِلَى سُورَةِ الرَّحْمَنِ، فَأَخَذَهُ وَتَصَفَّحَهُ حَتَّى وَصَلَ إِلَى سُورَةِ الرَّحْمَنِ، فَقَالَ: يَقْرَأُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، فَقَرَأَ فَلَمَّا بَلَغَ: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾[١] قَالَ: قِفْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ هَهُنَا، فَوَقَفَ فَقَالَ: يَقُولُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ: وَاللهِ، فَاشْتَدَّ عَلَى الرَّشِيدِ وَعَلَيَّ ذَلِكَ، فَقَالَ لَهُ هَارُونُ: مَا هَذَا؟ قَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى هَذَا وَقَعَ الشَّرْطُ، فَنَكَّسَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ رَأْسَهُ -وَكَانَتْ زُبَيْدَةُ فِي بَيْتٍ مُسْبَلٍ عَلَيْهِ سِتْرٌ، قَرِيبٍ مِنَ الْمَجْلِسِ، تَسْمَعُ الْخِطَابَ- ثُمَّ رَفَعَ هَارُونُ رَأْسَهُ إِلَيْهِ فَقَالَ: وَاللهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ، إِلَى أَنْ بَلَغَ آخِرَ الْيَمِينِ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ تَخَافُ مَقَامَ اللهِ؟ قَالَ هَارُونُ: إِنِّي أَخَافُ مَقَامَ اللهِ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَهِيَ جَنَّتَانِ وَلَيْسَتْ بِجَنَّةٍ وَاحِدَةٍ كَمَا ذَكَرَ اللهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ، فَسَمِعْتُ التَّصْفِيقَ وَالْفَرَحَ مِنْ خَلْفِ السِّتْرِ، وَقَالَ هَارُونُ: أَحْسَنْتَ وَاللهِ، بَارَكَ اللهُ فِيكَ، ثُمَّ أَمَرَ بِالْجَوَائِزِ وَالْخِلَعِ لِلَّيْثِ بْنِ سَعْدٍ، ثُمَّ قَالَ هَارُونُ: يَا شَيْخُ، اخْتَرْ مَا شِئْتَ، وَسَلْ مَا شِئْتَ تُجَبْ فِيهِ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَهَذَا الْخَادِمُ الْوَاقِفُ عَلَى رَأْسِكَ؟ فَقَالَ: وَهَذَا الْخَادِمُ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَالضِّيَاعُ الَّتِي لَكَ بِمِصْرَ وَلِابْنَةِ عَمِّكَ أَكُونُ عَلَيْهَا، وَتُسَلِّمُ إِلَيَّ لِأَنْظُرَ فِي أُمُورِهَا؟ قَالَ: بَلْ نُقْطِعُكَ إِقْطَاعًا، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مَا أُرِيدُ مِنْ هَذَا شَيْئًا، بَلْ تَكُونُ فِي يَدِي لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، فَلَا يَجْرِي عَلَيَّ حَيْفُ الْعُمَّالِ، وَأُعَزَّ بِذَلِكَ، فَقَالَ: لَكَ ذَلِكَ، وَأَمَرَ أَنْ يُكْتَبَ لَهُ وَيُسَجَّلَ بِمَا قَالَ، وَخَرَجَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِجَمِيعِ الْجَوَائِزِ وَالْخِلَعِ وَالْخَادِمِ، وَأَمَرَتْ زُبَيْدَةُ لَهُ بِضِعْفِ مَا أَمَرَ بِهِ الرَّشِيدُ، فَحُمِلَ إِلَيْهِ، وَاسْتَأْذَنَ فِي الرُّجُوعِ إِلَى مِصْرَ، فَحُمِلَ مُكَرَّمًا، أَوْ كَمَا قَالَ[٢].

---

(١) سورة الرحمن: الآية: (٤٦).

(٢) الحلية (٧/ ٣٢٣-٣٢٤).

فطنة علي بن أبي طالب رضي الله عنه

۞ رُوى أنَّ رَجلًا أُتى به إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكان صَدَر منه أنه قال لجماعة من الناس وقد سألوه: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت أحب الفتنة، وأكره الحق، وأصدق اليهود والنصارى، وأُومن بما لم أره وأُقر بما لم يُخلَق فأرسل عمر إلى على رضي الله عنهما فلما جاء أخبره بمقالة الرجل فقال: صدق ... يحب الفتنة، قال تعالى: ﴿أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾[1]، ويكره الحق، يعنى: الموت، قال الله تعالى: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ﴾[2]، ويصدق اليهود والنصارى، قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾[3]، ويؤمن بما لم يره ... يؤمن بالله عز وجل، ويقر بما لم يُخلَق يعنى: الساعة، فقال عمر رضي الله عنه: أعوذ بالله من معضلة لا عليّ لها.

---

(١) سورة الأنفال: الآية: (٢٨).

(٢) سورة ق: الآية: (١٩).

(٣) سورة البقرة: الآية: (١١٣).

فراسة (عليّ) مع شاهدي الزور

۞ قَالَ الأَصْبَغُ بْنُ نَبَاتَةَ:

بَيْنَمَا عَلِيٌّ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - جَالِسٌ فِي مَجْلِسِهِ، إِذْ سَمِعَ ضَجَّةً، فَقَالَ: مَا هَذَا؟ فَقَالُوا: رَجُلٌ سَرَقَ، وَمَعَهُ مَنْ يَشْهَدُ عَلَيْهِ، فَأَمَرَ بِإِحْضَارِهِمْ، فَدَخَلُوا، فَشَهِدَ شَاهِدَانِ عَلَيْهِ: أَنَّهُ سَرَقَ دِرْعًا، فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَبْكِي، وَيُنَاشِدُ عَلِيًّا أَنْ يَتَثَبَّتَ فِي أَمْرِهِ. فَخَرَجَ عَلِيٌّ إِلَى مُجْتَمَعِ النَّاسِ بِالسُّوقِ، فَدَعَا بِالشَّاهِدَيْنِ فَنَاشَدَهُمَا اللهَ وَخَوَّفَهُمَا، فَأَقَامَا عَلَى شَهَادَتِهِمَا. فَلَمَّا رَآهُمَا لَا يَرْجِعَانِ دَعَا بِالسِّكِّينِ وَقَالَ: لِيُمْسِكْ أَحَدُكُمَا يَدَهُ وَيَقْطَعْ الْآخَرُ، فَتَقَدَّمَا لِيَقْطَعَاهُ، فَهَاجَ النَّاسُ، وَاخْتَلَطَ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ، وَقَامَ عَلِيٌّ عَنْ الْمَوْضِعِ. فَأَرْسَلَ الشَّاهِدَانِ يَدَ الرَّجُلِ وَهَرَبَا. فَقَالَ عَلِيٌّ: مَنْ يَدُلُّنِي عَلَى الشَّاهِدَيْنِ الْكَاذِبَيْنِ؟ فَلَمْ يُوقَفْ لَهُمَا عَلَى خَبَرٍ، فَخَلَّى سَبِيلَ الرَّجُلِ.

۞ قال ابن قيم الجوزية رَحِمَهُ اللهُ:

وَهَذَا مِنْ أَحْسَنِ الْفِرَاسَةِ، وَأَصْدَقِهَا، فَإِنَّهُ وَلَّى الشَّاهِدَيْنِ مِنْ ذَلِكَ مَا تَوَلَّيَا، وَأَمَرَهُمَا أَنْ يَقْطَعَا بِأَيْدِيهِمَا مَنْ قَطَعَا يَدَهُ بِأَلْسِنَتِهِمَا، وَمِنْ هَاهُنَا قَالُوا: إِنَّهُ يَبْدَأُ الشُّهُودُ بِالرَّجْمِ إِذَا شَهِدُوا بِالزِّنَا [1].

---

(١) الطرق الحكمية (ص ٥٩).

قصة علي بن أبي طالب مع القاتل

۞ وَمِنْ فراسة عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

أَنَّهُ أُتِيَ بِرَجُلٍ وُجِدَ فِي خَرِبَةٍ بِيَدِهِ سِكِّينٌ مُتَلَطِّخَةٌ بِدَمٍ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ قَتِيلٌ يَتَشَحَّطُ[1] فِي دَمِهِ. فَسَأَلَهُ؟ فَقَالَ: أَنَا قتَلْته، قَالَ: اذْهَبُوا بِهِ فَاقْتُلُوهُ. فَلَمَّا ذُهِبَ بِهِ أَقْبَلَ رَجُلٌ مُسْرِعًا، فَقَالَ: يَا قَوْمُ، لَا تَعْجَلُوا. رُدُّوهُ إِلَى عَلِيٍّ، فَرَدُّوهُ، فَقَالَ الرَّجُلُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مَا هَذَا صَاحِبُهُ، أَنَا قَتَلْته. فَقَالَ عَلِيٌّ لِلْأَوَّلِ: مَا حَمَلَك عَلَى أَنْ قُلْت: أَنَا قَاتِلُهُ، وَلَمْ تَقْتُلْهُ؟ قَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَمَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَصْنَعَ؟ وَقَدْ وَقَفَ الْعَسَسُ (الشُّرطة) عَلَى الرَّجُلِ يَتَشَحَّطُ فِي دَمِهِ، وَأَنَا وَاقِفٌ، وَفِي يَدِي سِكِّينٌ، وَفِيهَا أَثَرُ الدَّمِ، وَقَدْ أُخِذْت فِي خَرِبَةٍ؟ فَخِفْت أَلَّا يُقْبَلَ مِنِّي، وَأَنْ يَكُونَ قَسَامَةٌ، فَاعْتَرَفْت بِمَا لَمْ أَصْنَع، وَاحْتَسَبْت نَفْسِي عِنْدَ اللهِ. فَقَالَ عَلِيٌّ: بِئْسَمَا صَنَعْت. فَكَيْفَ كَانَ حَدِيثُك؟

قَالَ: إِنِّي رَجُلٌ قَصَّابٌ[2]، خَرَجْت إِلَى حَانُوتِي فِي الْغَلَسِ[3]، فَذَبَحْت بَقَرَةً وَسَلَخْتُهَا. فَبَيْنَمَا أَنَا أَسْلُخُهَا وَالسِّكِّينُ فِي يَدِي أَخَذَنِي الْبَوْلُ. فَأَتَيْت خَرِبَةً كَانَتْ بِقُرْبِي فَدَخَلْتهَا، فَقَضَيْت حَاجَتِي، وَعُدْت أُرِيدُ حَانُوتِي، فَإِذَا أَنَا بِهَذَا الْمَقْتُولِ يَتَشَحَّطُ فِي دَمِهِ فَرَاعَنِي أَمْرُهُ، فَوَقَفْت أَنْظُرُ إِلَيْهِ وَالسِّكِّينُ فِي يَدِي، فَلَمْ أَشْعُرْ إِلَّا بِأَصْحَابِك قَدْ وَقَفُوا عَلَيَّ فَأَخَذُونِي، فَقَالَ النَّاسُ: هَذَا قَتَلَ هَذَا، مَا لَهُ قَاتِلٌ سِوَاهُ. فَأَيْقَنْت أَنَّك لَا تَتْرُكُ قَوْلَهُمْ لِقَوْلِي، فَاعْتَرَفْت بِمَا لَمْ أَجْنِهِ، فَقَالَ عَلِيٌّ لِلْمُقِرِّ الثَّانِي: فَأَنْت كَيْفَ كَانَتْ قِصَّتُك؟ فَقَالَ أَغْوَانِي

---

(١) يتشحط في دمه: أي: يتخبط فيه ويضطرب، ويتمرغ.

(٢) القصَّاب: الجزار.

(٣) الغلس: ظلمة آخر الليل إذا اختلطت بضوء الصباح.

إبْلِيسُ، فَقَتَلْت الرَّجُلَ طَمَعًا فِي مَالِهِ، ثُمَّ سَمِعْت حِسَّ الْعَسَسِ، فَخَرَجْت مِنَ الْخَرِبَةِ، وَاسْتَقْبَلْت هَذَا الْقَصَّابَ عَلَى الْحَالِ الَّتِي وَصَفَ، فَاسْتَتَرْت مِنْهُ بِبَعْضِ الْخَرِبَةِ حَتَّى أَتَى الْعَسَسُ، فَأَخَذُوهُ وَأَتَوْك بِهِ. فَلَمَّا أَمَرْتَ بِقَتْلِهِ عَلِمْت أَنِّي سَأَبُوءُ بِدَمِهِ أَيْضًا، فَاعْتَرَفْت بِالْحَقِّ.

فَقَالَ لِلْحَسَنِ: مَا الْحُكْمُ فِي هَذَا؟

قَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إنْ كَانَ قَدْ قَتَلَ نَفْسًا فَقَدْ أَحْيَا نَفْسًا، وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾[1]، فَخَلَّى عَلِيٌّ عَنْهُمَا، وَأَخْرَجَ دِيَةَ الْقَتِيلِ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ[2].

۞ قال ابن قيم الجوزية رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَهَذَا - إنْ وَقَعَ صُلْحًا بِرِضَا الْأَوْلِيَاءِ - فَلَا إشْكَالَ، وَإِنْ كَانَ بِغَيْرِ رِضَاهُمْ فَالْمَعْرُوفُ مِنْ أَقْوَالِ الْفُقَهَاءِ: أَنَّ الْقِصَاصَ لَا يَسْقُطُ بِذَلِكَ. لِأَنَّ الْجَانِيَ قَدْ اعْتَرَفَ بِمَا يُوجِبُهُ، وَلَمْ يُوجَدْ مَا يُسْقِطُهُ، فَيَتَعَيَّنُ اسْتِيفَاؤُهُ.

---

(١) سورة المائدة: الآية: (٣٢).

(٢) أورده ابن القيم (٢/ ٥١) في الطرق الحكمية.

هكذا عرفوا مَن القاتل

۞ قَالَ الْأَصْبغُ بْنُ نَبَاتَةَ:

إِنَّ شَابًّا شَكَا إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ نَفَرًا، فَقَالَ: إِنَّ هَؤُلَاءِ خَرَجُوا مَعَ أَبِي فِي سَفَرٍ. فَعَادُوا وَلَمْ يَعُدْ أَبِي، فَسَأَلْتهمْ عَنْهُ، فَقَالُوا: مَاتَ، فَسَأَلْتهمْ عَنْ مَالِهِ؟ فَقَالُوا: مَا تَرَكَ شَيْئًا، وَكَانَ مَعَهُ مَالٌ كَثِيرٌ، وَتَرَافَعْنَا إِلَى شُرَيْحٍ الْقَاضِي، فَاسْتَحْلَفَهُمْ وَخَلَّى سَبِيلَهُمْ، فَدَعَا عَلِيٌّ بِالشُّرَطِ، فَوَكَّلَ بِكُلِّ رَجُلٍ رَجُلَيْنِ، وَأَوْصَاهُمْ أَلَّا يُمَكِّنُوا بَعْضَهُمْ أَنْ يَدْنُوَ مِنْ بَعْضٍ، وَلَا يَدَعُوا أَحَدًا يُكَلِّمُهُمْ، وَدَعَا كَاتِبَهُ، وَدَعَا أَحَدَهُمْ.

فَقَالَ: أَخْبِرْنِي عَنْ أَبِي هَذَا الْفَتَى:

فِي أَيِّ يَوْمٍ خَرَجَ مَعَكُمْ؟ وَفِي أَيِّ مَنْزِلٍ نَزَلْتُمْ؟ وَكَيْفَ كَانَ سَيْرُكُمْ؟ وَبِأَيِّ عِلَّةٍ مَاتَ؟ وَكَيْفَ أُصِيبَ بِمَالِهِ؟ .... وَسَأَلَهُ عَمَّنْ غَسَّلَهُ وَدَفَنَهُ؟ وَمَنْ تَوَلَّى الصَّلَاةَ عَلَيْهِ؟ وَأَيْنَ دُفِنَ؟ وَنَحْوِ ذَلِكَ.

وَالْكَاتِبُ يَكْتُبُ، ثُمَّ كَبَّرَ عَلِيٌّ فَكَبَّرَ الْحَاضِرُونَ، وَالْمُتَّهَمُونَ لَا عِلْمَ لَهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ ظَنُّوا أَنَّ صَاحِبَهُمْ قَدْ أَقَرَّ عَلَيْهِمْ.

ثُمَّ دَعَا آخَرَ بَعْدَ أَنْ غَيَّبَ الْأَوَّلَ عَنْ مَجْلِسِهِ، فَسَأَلَهُ كَمَا سَأَلَ صَاحِبَهُ، ثُمَّ الْآخَرَ كَذَلِكَ، حَتَّى عَرَفَ مَا عِنْدَ الْجَمِيعِ، فَوَجَدَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يُخْبِرُ بِضِدِّ مَا أَخْبَرَ بِهِ صَاحِبُهُ، ثُمَّ أَمَرَ بِرَدِّ الْأَوَّلِ، فَقَالَ:

يَا عَدُوَّ اللهِ، قَدْ عَرَفْت غَدْرَك وَكَذِبَك بِمَا سَمِعْت مِنْ أَصْحَابِك، وَمَا يُنْجِيك مِنْ الْعُقُوبَةِ إِلَّا الصِّدْقُ، ثُمَّ أَمَرَ بِهِ إِلَى السِّجْنِ، وَكَبَّرَ، وَكَبَّرَ مَعَهُ الْحَاضِرُونَ، فَلَمَّا أَبْصَرَ الْقَوْمُ الْحَالَ لَمْ يَشُكُّوا أَنَّ صَاحِبَهُمْ أَقَرَّ عَلَيْهِمْ،

فَدَعَا آخَرَ مِنْهُمْ، فَهَدَّدَهُ، فَقَالَ:

يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَاللهِ لَقَدْ كُنْتُ كَارِهًا لِمَا صَنَعُوا، ثُمَّ دَعَا الْجَمِيعَ فَأَقَرُّوا بِالْقِصَّةِ، وَاسْتُدْعِيَ الَّذِى فِى السِّجْنِ، وَقِيلَ لَهُ: قَدْ أَقَرَّ أَصْحَابُكَ وَلَا يُنْجِيك سِوَى الصِّدْقِ، فَأَقَرَّ بِمِثْلِ مَا أَقَرَّ بِهِ الْقَوْمُ، فَأَغْرَمَهُمْ الْمَالَ، وَأَقَادَ مِنْهُمْ بِالْقَتِيلِ[١].

فراسة (علي) مع المرأة الكاذبة

* جَاءَتْ إِلَى عَلِيٍّ - رضي الله عنه - امْرَأَةٌ، فَقَالَتْ:

إِنَّ زَوْجِى وَقَعَ عَلَى جَارِيَتِى بِغَيْرِ أَمْرِى، فَقَالَ لِلرَّجُلِ: مَا تَقُولُ؟ قَالَ: مَا وَقَعْت عَلَيْهَا إِلَّا بِأَمْرِهَا، فَقَالَ: إِنْ كُنْتِ صَادِقَةً رَجَمْته، وَإِنْ كُنْت كَاذِبَةً جَلَدْتُكِ الْحَدَّ... وَأُقِيمَتِ الصَّلَاةُ، وَقَامَ لِيُصَلِّيَ، فَفَكَّرَتِ الْمَرْأَةُ فِى نَفْسِهَا، فَلَمْ تَرَ لَهَا فَرَجًا فِى أَنْ يُرْجَمَ زَوْجُهَا وَلَا فِى أَنْ تُجْلَدَ، فَوَلَّتْ ذَاهِبَةً، وَلَمْ يَسْأَلْ عَنْهَا عَلِيٌّ[٢].

---

(١) أورده ابن القيم (٢/ ٤٥) في الطرق الحكمية.

(٢) الطرق الحكمية (ص ٥٩).

فراسة القاضي إياس بن معاوية رَحِمَهُ اللَّهُ

۞ كان القاضى إياس بن معاوية بن قرة المزنى اللَّسِن البليغ والألمعى المطيب والمعدوم مثلًا فى الذكاء والفطنة ورأسًا لأهل البيان والفصاحة، كان صادق الظن لطيفًا فى الأمور مشهورًا بفرط الذكاء، وإياه عنى الحريرى بقوله فى المقامة السابعة: فإذا ألمعيتى ألمعية ابن عباس، وفراستى فراسة إياس أَحَدُّ مَن يُضرَب به المثل فى الذكاء، وهو المشار إليه فى قول أبى تمام:

إقدام عمرو فى سماحة حاتم ... فى حلم أحنف فى ذكاء إياس

ولى قضاء البصرة فى خلافة عمر بن عبد العزيز رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقيل لوالده معاوية بن قرة: كيف ابنك لك؟ قال: نعم الابن كفانى أمر دُنياى، وفرَّغنى لآخرتى، وكان إياس المذكور أحد العقلاء الفضلاء الدُّهاة.

۞ كتب عمر بن عبد العزيز إلى نائبه بالعراق عدى بن أرطأة أن أجمع بين إياس بن معاوية والقاسم بن ربيعة الجرشى فولِّ قضاء البصرة أَنفَذهما ... فجمع بينهما، فقال إياس: أيها الأمير سَلْ عنى وعنه فقيهى المصر الحسن وابن سيرين، وكان القاسم يأتيهما وإياس لا يأتيهما.

فعلم القاسم أنه إن سألهما أشارا به، فقال: لا تسأل عنه ولا عنى، فوالله الذى لا إله إلا هو إنه أفقه وأعلم بالقضاء منى. فإن كنت كاذبًا فما يحل لك أن تولينى وأنا كاذب، وإن كنت صادقًا فينبغى لك أن تقبل قولى، فقال له إياس إنك جئت برجل أوقفته على شفير جهنم فنحَّى نفسه عنها بيمينٍ كاذبة يستغفر الله تعالى منها وينجو مما يخاف فقال عدى بن أرطأة: أما إذ فهَّمتنا فأنت لها ... فاستقضاه.

۞ وَقَالَ الْمَدَائِنِيُّ عَنْ رَوْحٍ: اسْتَوْدَعَ رَجُلٌ رَجُلًا مِنْ أُمَنَاءِ النَّاسِ مَالًا. ثُمَّ رَجَعَ فَطَلَبَهُ فَجَحَدَهُ، فَأَتَى إِيَاسًا فَأَخْبَرَهُ. فَقَالَ لَهُ إِيَاسٌ: انْصَرِفْ وَاكْتُمْ أَمْرَكَ، وَلَا تُعْلِمْهُ أَنَّكَ أَتَيْتَنِي. ثُمَّ عُدْ إِلَيَّ بَعْدَ يَوْمَيْنِ. فَدَعَا إِيَاسٌ الْمُودَعَ، فَقَالَ: قَدْ حَضَرَ مَالٌ كَثِيرٌ، وَأُرِيدُ أَنْ أُسَلِّمَهُ إِلَيْكَ، أَفَحَصِينٌ مَنْزِلُكَ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَأَعِدَّ لَهُ مَوْضِعًا وَحَمَّالِينَ ... وَعَادَ الرَّجُلُ إِلَى إِيَاسٍ، فَقَالَ: انْطَلِقْ إِلَى صَاحِبِكَ فَاطْلُبْ الْمَالَ. فَإِنْ أَعْطَاكَ فَذَاكَ، وَإِنْ جَحَدَكَ فَقُلْ لَهُ: إِنِّي أُخْبِرُ الْقَاضِيَ. فَأَتَى الرَّجُلُ صَاحِبَهُ فَقَالَ: مَالِي، وَإِلَّا أَتَيْتُ الْقَاضِيَ، وَشَكَوْتُكَ إِلَيْهِ، وَأَخْبَرْتُهُ بِأَمْرِي، فَدَفَعَ إِلَيْهِ مَالَهُ، فَرَجَعَ الرَّجُلُ إِلَى إِيَاسٍ، فَقَالَ: قَدْ أَعْطَانِي الْمَالَ ... وَجَاءَ الْأَمِينُ إِلَى إِيَاسٍ لِمَوْعِدِهِ، فَزَجَرَهُ وَانْتَهَرَهُ، وَقَالَ لَا تَقْرَبْنِي يَا خَائِنُ.

۞ وأورد ابن القيم قصة شبيهة بهذه القصة، فَقَال:

قَالَ يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ رَحِمَهُ اللهُ: تَقَلَّدَ بِوَاسِطٍ رَجُلٌ ثِقَةٌ، فَأَوْدَعَ رَجُلٌ بَعْضَ شُهُودِهِ كِيسًا مَخْتُومًا، وَذَكَرَ أَنَّ فِيهِ أَلْفَ دِينَارٍ.

فَلَمَّا طَالَتْ غَيْبَةُ الرَّجُلِ فَتَقَ الشَّاهِدُ الْكِيسَ مِنْ أَسْفَلِهِ وَأَخَذَ الدَّنَانِيرَ، وَجَعَلَ مَكَانَهَا دَرَاهِمَ، وَأَعَادَ الْخِيَاطَةَ كَمَا كَانَتْ.

وَجَاءَ صَاحِبُهُ، فَطَلَبَ وَدِيعَتَهُ، فَدَفَعَ إِلَيْهِ الْكِيسَ بِخَتْمِهِ لَمْ يَتَغَيَّرْ، فَلَمَّا فَتَحَهُ وَشَاهَدَ الْحَالَ رَجَعَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: إِنِّي أَوْدَعْتُكَ دَنَانِيرَ، وَالَّذِي دَفَعْتَ إِلَيَّ دَرَاهِمُ، فَقَالَ: هُوَ كِيسُكَ بِخَاتَمِكَ ... فَاسْتَعْدَى عَلَيْهِ الْقَاضِيَ، فَأَمَرَ بِإِحْضَارِ الْمُودَعِ، فَلَمَّا صَارَا بَيْنَ يَدَيْهِ قَالَ لَهُ الْقَاضِي مُنْذُ كَمْ أَوْدَعَكَ هَذَا الْكِيسَ؟ فَقَالَ: مُنْذُ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً، فَأَخَذَ الْقَاضِي تِلْكَ الدَّرَاهِمَ وَقَرَأَ سِكَّتَهَا، فَإِذَا فِيهَا مَا قَدْ ضُرِبَ مِنْ سَنَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثٍ، فَأَمَرَهُ بِدَفْعِ الدَّنَانِيرِ إِلَيْهِ،

وَأَسْقَطَهُ وَنَادَى عَلَيْهِ.

۞ وَاسْتَوْدَعَ رَجُلٌ لِغَيْرِهِ مَالًا، فَجَحَدَهُ، فَرَفَعَهُ إِلَى إِيَاسٍ، فَسَأَلَهُ فَأَنْكَرَ؟ فَقَالَ لِلْمُدَّعِي: أَيْنَ دَفَعْت إِلَيْهِ؟ فَقَالَ: فِي مَكَان فِي الْبَرِيَّةِ، فَقَالَ: وَمَا كَانَ هُنَاكَ، قَالَ: شَجَرَةٌ، قَالَ: اذْهَبْ إِلَيْهَا فَلَعَلَّك دَفَنْت الْمَالَ عِنْدَهَا وَنَسِيت، فَتَذْكُرَ إِذَا رَأَيْت الشَّجَرَةَ؛ فَمَضَى ... وَقَالَ لِلْخَصْمِ: اجْلِسْ حَتَّى يَرْجِعَ صَاحِبُك ... وَإِيَاسٌ يَقْضِي وَيَنْظُرُ إِلَيْهِ سَاعَةً بَعْدَ سَاعَةٍ. ثُمَّ قَالَ لَهُ: يَا هَذَا، أَتَرَى صَاحِبَك قَدْ بَلَغَ مَكَانَ الشَّجَرَةِ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: يَا عَدُوَّ اللهِ، إِنَّك خَائِنٌ، قَالَ: أَقِلْنِي، قَالَ: لَا أَقَالَك اللهُ. وَأَمَرَ أَنْ يُحْتَفَظَ بِهِ حَتَّى جَاءَ الرَّجُلُ، فَقَالَ لَهُ إِيَاسٌ: اذْهَبْ مَعَهُ فَخُذْ حَقَّك.

۞ قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ:

وَجَرَى نَظِيرُ هَذِهِ الْقَضِيَّةِ لِغَيْرِهِ مِنْ الْقُضَاةِ: ادَّعَى عِنْدَهُ رَجُلٌ أَنَّهُ سَلَّمَ غَرِيمًا لَهُ مَالًا وَدِيعَةً فَأَنْكَرَهُ، فَقَالَ لَهُ الْقَاضِي: أَيْنَ سَلَّمْته إِيَّاهُ؟ قَالَ: بِمَسْجِدٍ نَاءٍ عَنْ الْبَلَدِ.

قَالَ: اذْهَبْ فَجِئْنِي مِنْهُ بِمُصْحَفٍ أُحَلِّفُهُ عَلَيْهِ، فَمَضَى، وَاعْتَقَلَ الْقَاضِي الْغَرِيمَ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: أَتُرَاهُ بَلَغَ الْمَسْجِدَ؟ قَالَ: لَا ... فَأَلْزَمَهُ بِالْمَالِ[1].

۞ وروى عن إياس إنه قال: ما غلبنى أحد قط سوى رجل واحد، وذلك أنى كنت فى مجلس القضاء فدخل علىَّ رجل شَهِد عندى أن البستان الفلانى (وذكر حدوده) هو ملك فلان، فقلت له كم عدد شجره فسكت، ثم قال لى: منذ كم يحكم سيدنا القاضى فى هذا المجلس؟ فقلت: منذ كذا. فقال: كم عدد خشب سقفه؟ فقلت: الحق معك، وأجزت شهادته.

(١) الطرق الحكمية (ص ٢٥).

۞ وقال: رأيت فى المنام كأنى وأبى على فرسين، فجريا معًا فلم أسبقه ولم يسبقنى، وعاش أبى ستًّا وسبعين سنة وها أنا فيها، فلما كانت آخر لياليه قال: هذه ليلة استكمل فيها عمر أبى، ونام، فأصبح ميتًا رحمه الله تعالى.

۞ وَقَالَ نُعَيْمُ بْنُ حَمَّادٍ عَنْ إبْرَاهِيمَ بْنِ مَرْزُوقٍ الْبَصْرِىِّ: كُنَّا عِنْدَ إِيَاسِ بْنِ مُعَاوِيَةَ، قَبْلَ أَنْ يُسْتَقْضَى، وَكُنَّا نَكْتُبُ عَنْهُ الْفِرَاسَةَ، كَمَا نَكْتُبُ عَنْ الْمُحَدِّثِ الْحَدِيثَ، إِذْ جَاءَ رَجُلٌ، فَجَلَسَ عَلَى دُكَّانٍ مُرْتَفِعٍ بِالْمِرْبَدِ. فَجَعَلَ يَتَرَصَّدُ الطَّرِيقَ. فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ نَزَلَ فَاسْتَقْبَلَ رَجُلًا، فَنَظَرَ فِى وَجْهِهِ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى مَوْضِعِهِ، فَقَالَ إِيَاسٌ: قُولُوا فِى هَذَا الرَّجُلِ، قَالُوا: مَا نَقُولُ؟ رَجُلٌ طَالِبُ حَاجَةٍ. فَقَالَ: هُوَ مُعَلِّمُ صِبْيَانٍ، قَدْ أَبَقَ لَهُ غُلَامٌ أَعْوَرُ... فَقَامَ إِلَيْهِ بَعْضُنَا فَسَأَلَهُ عَنْ حَاجَتِهِ؟ فَقَالَ: هُوَ غُلَامٌ لِى آبِقٌ. قَالُوا: وَمَا صِفَتُهُ؟ قَالَ: كَذَا وَكَذَا، وَإِحْدَى عَيْنَيْهِ ذَاهِبَةٌ، قُلْنَا: وَمَا صَنْعَتُكَ؟ قَالَ: أُعَلِّمُ الصِّبْيَانَ. قُلْنَا لِإِيَاسٍ: كَيْفَ عَلِمْت ذَلِكَ؟ قَالَ: رَأَيْته جَاءَ، فَجَعَلَ يَطْلُبُ مَوْضِعًا يَجْلِسُ فِيهِ، فَنَظَرَ إِلَى أَرْفَعِ شَيْءٍ يَقْدِرُ عَلَيْهِ فَجَلَسَ عَلَيْهِ، فَنَظَرْت فِى قَدْرِهِ فَإِذَا لَيْسَ قَدْرُهُ قَدْرَ الْمُلُوكِ، فَنَظَرْت فِيمَنْ اعْتَادَ فِى جُلُوسِهِ جُلُوسَ الْمُلُوكِ، فَلَمْ أَجِدْهُمْ إِلَّا الْمُعَلِّمِينَ، فَعَلِمْت أَنَّهُ مُعَلِّمُ صِبْيَانٍ، فَقُلْنَا: كَيْفَ عَلِمْت أَنَّهُ أَبَقَ لَهُ غُلَامٌ؟ قَالَ: إِنِّى رَأَيْته يَتَرَصَّدُ الطَّرِيقَ، يَنْظُرُ فِى وُجُوهِ النَّاسِ. قُلْنَا: كَيْفَ عَلِمْت أَنَّهُ أَعْوَرُ؟ قَالَ: بَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ نَزَلَ فَاسْتَقْبَلَ رَجُلًا قَدْ ذَهَبَتْ إِحْدَى عَيْنَيْهِ، فَعَلِمْت أَنَّهُ اشْتَبَهَ عَلَيْهِ بِغُلَامِهِ.

۞ وسمع يهوديًا يقول: ما أحمق المسلمين يزعمون أن أهل الجنّة يأكلون ولا يُحْدِثون، فقال له: أفكلما تأكله تُحْدِثه؟ قال: لا؛ لأن الله تعالى يجعله غذاءً، قال: فلِمَ تُنكر أن الله تعالى يجعل كل ما يأكله أهل الجنة غذاءً.

۞ وَقَالَ مُعْتَمِرُ بْنُ سُلَيْمَانَ، عَنْ زَيْدٍ أَبِى عَلَاءٍ: شَهِدْت إِيَاسَ بْنَ مُعَاوِيَةَ اخْتَصَمَ إِلَيْهِ رَجُلَانِ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا: إِنَّهُ بَاعَنِى جَارِيَةً رَعْنَاءَ؛ فَقَالَ إِيَاسٌ: وَمَا عَسَى أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الرُّعُونَةُ؟ قَالَ: شِبْهُ الْجُنُونِ. فَقَالَ إِيَاسٌ: يَا جَارِيَةُ، أَتَذْكُرِينَ مَتَى وُلِدْت؟ قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ: فَأَيُّ رِجْلَيْك أَطْوَلُ؟ قَالَتْ: هَذِهِ؛ فَقَالَ إِيَاسٌ: رُدَّهَا؛ فَإِنَّهَا مَجْنُونَةٌ.

۞ وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ مَرْزُوقٍ الْبَصْرِيُّ: جَاءَ رَجُلَانِ إِلَى إِيَاسَ بْنِ مُعَاوِيَةَ؛ يَخْتَصِمَانِ فِى قَطِيفَتَيْنِ: إِحْدَاهُمَا حَمْرَاءُ؛ وَالْأُخْرَى خَضْرَاءُ؛ فَقَالَ أَحَدُهُمَا: دَخَلْتُ الْحَوْضَ لِأَغْتَسِلَ، وَوَضَعْت قَطِيفَتِى، ثُمَّ جَاءَ هَذَا، فَوَضَعَ قَطِيفَتَهُ تَحْتَ قَطِيفَتِى، ثُمَّ دَخَلَ فَاغْتَسَلَ، فَخَرَجَ قَبْلِى، وَأَخَذَ قَطِيفَتِى فَمَضَى بِهَا؛ ثُمَّ خَرَجْت فَتَبِعْته، فَزَعَمَ أَنَّهَا قَطِيفَتُهُ؛ فَقَالَ: أَلَك بَيِّنَةٌ؟ قَالَ: لَا. قَالَ: ائْتُونِى بِمُشْطٍ؛ فَأُتِىَ بِمُشْطٍ، فَسَرَّحَ رَأْسَ هَذَا، وَرَأْسَ هَذَا. فَخَرَجَ مِنْ رَأْسِ أَحَدِهِمَا صُوفٌ أَحْمَرُ، وَمِنْ رَأْسِ الْآخَرِ صُوفٌ أَخْضَرُ؛ فَقَضَى بِالْحَمْرَاءِ لِلَّذِى خَرَجَ مِنْ رَأْسِهِ الصُّوفُ الْأَحْمَرُ، وَبِالْخَضْرَاءِ لِلَّذِى خَرَجَ مِنْ رَأْسِهِ الصُّوفُ الْأَخْضَرُ.

فراسة كعب بن سور رَحِمَهُ اللَّهُ

۞ ذكر ابن القيم في «الطرق الحكمية»:

أنه جاءت إِلَى عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ امْرَأَةٌ فَشَكَرَتْ عِنْدَهُ زَوْجَهَا وَقَالَتْ: هُوَ مِنْ خَيْرِ أَهْلِ الدُّنْيَا، يَقُومُ اللَّيْلَ حَتَّى الصَّبَاحِ، وَيَصُومُ النَّهَارَ حَتَّى يُمْسِيَ.

ثُمَّ أَدْرَكَهَا الْحَيَاءُ، فَقَالَ: جَزَاكِ اللهُ خَيْرًا فَقَدْ أَحْسَنْتِ الثَّنَاءَ. فَلَمَّا وَلَّتْ قَالَ كَعْبُ بْنُ سَوْرٍ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، لَقَدْ أَبْلَغَتْ فِي الشَّكْوَى إِلَيْك، فَقَالَ: وَمَا اشْتَكَتْ؟ قَالَ: زَوْجَهَا. قَالَ: عَلَيَّ بِهِمَا. فَقَالَ لِكَعْبٍ: اقْضِ بَيْنَهُمَا، قَالَ: أَقْضِي وَأَنْتَ شَاهِدٌ؟ قَالَ: إِنَّك قَدْ فَطِنْت إِلَى مَا لَمْ أَفْطَنْ لَهُ، قَالَ: إِنَّ اللهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾[1] صُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، وَأَفْطِرْ عِنْدَهَا يَوْمًا. وَقُمْ ثَلَاثَ لَيَالٍ، وَبِتْ عِنْدَهَا لَيْلَةً، فَقَالَ عُمَرُ: هَذَا أَعْجَبُ إِلَيَّ مِنْ الْأَوَّلِ، فَبَعَثَهُ قَاضِيًا لِأَهْلِ الْبَصْرَةِ. فَكَانَ يَقَعُ لَهُ فِي الْحُكُومَةِ مِنَ الْفِرَاسَةِ أُمُورٌ عَجِيبَةٌ. وَكَذَلِكَ شُرَيْحٌ فِي فِرَاسَتِهِ وَفِطْنَتِهِ[2].

(١) سورة النساء: الآية: (٣).

(٢) الطرق الحكمية (ص ٢٤).

فراسة صاحب شرطة الخليفة المكتفي

۞ وَمِنْ ذَلِكَ:

أَنَّ اللُّصُوصَ أَخَذُوا فِي زَمَنِ الْمُكْتَفِي مَالًا عَظِيمًا، فَأَلْزَمَ الْمُكْتَفِي صَاحِبَ الشُّرْطَةِ بِإِخْرَاجِ اللُّصُوصِ، أَوْ غَرَامَةِ الْمَالِ؛ فَكَانَ يَرْكَبُ وَحْدَهُ، وَيَطُوفُ لَيْلًا وَنَهَارًا، إِلَى أَنْ اجْتَازَ يَوْمًا فِي زُقَاقٍ خَالٍ فِي بَعْضِ أَطْرَافِ الْبَلَدِ، فَدَخَلَهُ فَوَجَدَهُ مُنْكَرًا، وَوَجَدَهُ لَا يَنْفُذُ، فَرَأَى عَلَى بَعْضِ أَبْوَابِهِ شَوْكَ سَمَكٍ كَثِيرٍ، وَعِظَامَ الصُّلْبِ.

فَقَالَ لِشَخْصٍ: كَمْ يَكُونُ تَقْدِيرُ ثَمَنِ هَذَا السَّمَكِ الَّذِي هَذِهِ عِظَامُهُ؟ قَالَ: دِينَارٌ، قَالَ: أَهْلُ الزُّقَاقِ لَا تَحْتَمِلُ أَحْوَالُهُمْ مُشْتَرَى مِثْلِ هَذَا، لِأَنَّهُ زُقَاقٌ بَيِّنُ الِاخْتِلَالِ إِلَى جَانِبِ الصَّحْرَاءِ، لَا يَنْزِلُهُ مَنْ مَعَهُ شَيْءٌ يَخَافُ عَلَيْهِ، أَوْ لَهُ مَالٌ يُنْفِقُ مِنْهُ هَذِهِ النَّفَقَةَ، وَمَا هِيَ إِلَّا بَلِيَّةٌ، يَنْبَغِي أَنْ يُكْشَفَ عَنْهَا، فَاسْتَبْعَدَ الرَّجُلُ هَذَا، وَقَالَ: هَذَا فِكْرٌ بَعِيدٌ، فَقَالَ: اُطْلُبُوا لِي امْرَأَةً مِنْ الدَّرْبِ أُكَلِّمُهَا.

فَدَقَّ بَابًا غَيْرَ الَّذِي عَلَيْهِ الشَّوْكُ وَاسْتَسْقَى مَاءً، فَخَرَجَتْ عَجُوزٌ ضَعِيفَةٌ.

فَمَا زَالَ يَطْلُبُ شَرْبَةً بَعْدَ شَرْبَةٍ، وَهِيَ تَسْقِيهِ، وَهُوَ فِي خِلَالِ ذَلِكَ يَسْأَلُ عَنْ الدَّرْبِ وَأَهْلِهِ، وَهِيَ تُخْبِرُهُ غَيْرَ عَارِفَةٍ بِعَوَاقِبِ ذَلِكَ، إِلَى أَنْ قَالَ لَهَا: وَهَذِهِ الدَّارُ مَنْ يَسْكُنُهَا؟ - وَأَوْمَأَ إِلَى الَّتِي عَلَيْهَا عِظَامُ السَّمَكِ - فَقَالَتْ: فِيهَا خَمْسَةُ شَبَابٍ أَعْفَارٍ، كَأَنَّهُمْ تُجَّارٌ، وَقَدْ نَزَلُوا مُنْذُ شَهْرٍ لَا نَرَاهُمْ نَهَارًا إِلَّا فِي كُلِّ مُدَّةٍ طَوِيلَةٍ، وَنَرَى الْوَاحِدَ مِنْهُمْ يَخْرُجُ فِي الْحَاجَةِ وَيَعُودُ سَرِيعًا، وَهُمْ فِي طُولِ النَّهَارِ يَجْتَمِعُونَ فَيَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ، وَيَلْعَبُونَ بِالشِّطْرَنْجِ وَالنَّرْدِ، وَلَهُمْ صَبِيٌّ يَخْدُمُهُمْ، فَإِذَا كَانَ اللَّيْلُ انْصَرَفُوا إِلَى دَارٍ لَهُمْ بِالْكَرْخِ،

وَيَدَعُونَ الصَّبِيَّ فِي الدَّارِ يَحْفَظُهَا.

فَإِذَا كَانَ سَحَرًا -أي: في وقت السَّحَر- جَاءُوا وَنَحْنُ نِيَامٌ لَا نَشْعُرُ بِهِمْ فَقَالَتْ لِلرَّجُلِ: هَذِهِ صِفَةُ لُصُوصٍ أَمْ لَا؟ قَالَ: بَلَى، فَأَنْفَذَ فِي الْحَالِ، فَاسْتَدْعَى عَشَرَةً مِنَ الشُّرَطِ، وَأَدْخَلَهُمْ إِلَى أَسْطِحَةِ الْجِيرَانِ، وَدَقَّ هُوَ الْبَابَ، فَجَاءَ الصَّبِيُّ فَفَتَحَ.

فَدَخَلَ الشُّرَطُ مَعَهُ، فَمَا فَاتَهُ مِنَ الْقَوْمِ أَحَدٌ فَكَانُوا هُمْ أَصْحَابُ الْجِنَايَةِ بِعَيْنِهِمْ[1].

---

(١) الطرق الحكمية (ص ٤٢).

فراسة ابن طولون

۞ كَانَ يَتنكَّرُ وَيطُوفُ بِالْبَلَدِ يَسْمَعُ قِرَاءَةَ الْأَئِمَّةِ ... فَدَعَا ثِقَتَهُ، وَقَالَ: خُذْ هَذِهِ الدَّنَانِيرَ، وَأَعْطِهَا إمَامَ مَسْجِدِ كَذَا، فَإِنَّهُ فَقِيرٌ مَشْغُولُ الْقَلْبِ.

فَفَعَلَ، وَجَلَسَ مَعَهُ وَبَاسَطَهُ، فَوَجَدَ زَوْجَتَهُ قَدْ ضَرَبَهَا الطَّلْقُ، وَلَيْسَ مَعَهُ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ فَقَالَ: صَدَقَ، عَرَفت شُغْلَ قَلْبِهِ فِى كَثْرَةِ غَلَطِهِ فِى الْقِرَاءَةِ.

۞ وَرَأَى يَوْمًا حَمَّالًا يَحْمِلُ صِنًّا (سلة) وَهُوَ يَضْطَرِبُ تَحْتَهُ، فَقَالَ: لَوْ كَانَ هَذَا الِاضْطِرَابُ مِنْ ثِقَل الْمَحْمُولِ لَغَاصَتْ عُنُقُ الْحَمَّالِ، وَأَنَا أَرَى عُنُقَهُ بَارِزَةً، وَمَا أَرَى هَذَا الْأَمْرَ إِلَّا مِنْ خَوْفٍ، فَأَمَرَ بحَطِّ الصِّنِّ، فَإِذَا فِيهِ جَارِيَةٌ قَدْ قُتِلَتْ وَقُطِّعَتْ، فَقَالَ: اُصْدُقْنِى عَنْ حَالِهَا، فقَالَ: أَرْبَعَةُ نَفَرٍ فِى الدَّارِ الْفُلَانِيَّةِ أَعْطَوْنِى هَذِهِ الدَّنَانِيرَ، وَأَمَرُونِى بِحَمْلِ هَذِهِ الْمَقْتُولَةِ. فَضَرَبَهُ وَقتَلَ الْأَرْبَعَةَ.

۞ وَمِنْ عَجِيبِ الْفِرَاسَةِ مَا ذُكِرَ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ طُولُونَ: أَنَّهُ بَيْنَمَا هُوَ فِى مَجْلِسٍ لَهُ يَتنَزَّهُ فِيهِ، إذْ رَأَى سَائِلًا فِى ثَوْبٍ خَلِقٍ، فَوَضَعَ دَجَاجَةً فِى رَغِيفٍ وَحَلْوَى وَأَمَرَ بَعْضَ الْغِلْمَانِ بِدَفْعِهِ إِلَيْهِ، فَلَمَّا وَقَعَ فِى يَدِهِ لَمْ يَهَشَّ، وَلَمْ يَعْبَأْ بِهِ، فَقَالَ لِلْغُلَامِ: جِئْنِى بِهِ، فَلَمَّا وَقَفَ قُدَّامَهُ اسْتَنْطَقَهُ، فَأَحْسَنَ الْجَوَابَ، وَلَمْ يَضْطَرِبْ مِنْ هَيْبَتِهِ، فَقَالَ: هَاتِ الْكُتُبَ الَّتِى مَعَك، وَاصْدُقْنِى مَنْ بَعَثَك، فَقَدْ صَحَّ عِنْدِى أَنَّك صَاحِبُ خَبَرٍ. وَأَحْضَرَ السِّيَاطَ، فَاعْتَرَفَ، فَقَالَ بَعْضُ جُلَسَائِهِ: هَذَا وَاللهِ السِّحْرُ، قَالَ: مَا هُوَ بِسِحْرٍ، وَلَكِنْ فِرَاسَةٌ صَادِقَةٌ، رَأَيْت سُوءَ حَالِهِ، فَوَجَّهْت إِلَيْهِ بِطَعَامٍ يَشْرَهُ إِلَى أَكْلِهِ الشَّبْعَانُ، فَمَا هَشَّ لَهُ، وَلَا مَدَّ يَدَهُ إِلَيْهِ، فَأَحْضَرْته فتَلَقَّانِى بِقُوَّةِ جَأْشٍ، فَلَمَّا رَأَيْت رَثَاثَةَ حَالِهِ، وَقُوَّةَ جَأْشِهِ، عَلِمْت أَنَّهُ صَاحِبُ خَبَرٍ، فَكَانَ كَذَلِكَ[١].

---

(١) الطرق الحكمية (ص ٤١).

فراسة الخليفة المعتضد بالله

۞ كَانَ الْمُعْتَضِدُ بِاللهِ، جَالِسًا يُشَاهِدُ الصُّنَّاعَ، فَرَأَى فِيهِمْ أَسْوَدَ مُنْكَرَ الْخِلْقَةِ، شَدِيدَ الْمَرَحِ، يَعْمَلُ ضِعْفَ مَا يَعْمَلُ الصُّنَّاعُ، وَيَصْعَدُ مِرْقَاتَيْنِ مِرْقَاتَيْنِ، فَأَنْكَرَ أَمْرَهُ، فَأَحْضَرَهُ وَسَأَلَهُ عَنْ أَمْرِهِ؟ فَلَجْلَجَ، فَقَالَ لِبَعْضِ جُلَسَائِهِ: أَيُّ شَيْءٍ يَقَعُ لَكُمْ فِي أَمْرِهِ؟ قَالُوا: وَمَنْ هَذَا حَتَّى تَصْرِفَ فِكْرَكَ إِلَيْهِ؟ لَعَلَّهُ لا عِيَالَ لَهُ، وَهُوَ خَالِي الْقَلْبِ، فَقَالَ: قَدْ خَمَّنْتُ فِي أَمْرِهِ تَخْمِينًا، مَا أَحْسَبُهُ بَاطِلًا: إِمَّا أَنْ يَكُونَ مَعَهُ دَنَانِيرُ، قَدْ ظَفِرَ بِهَا دَفْعَةً، أَوْ يَكُونَ لِصًّا يَتَسَتَّرُ بِالْعَمَلِ، فَدَعَا بِهِ، وَاسْتَدْعَى بِالضَّرَّابِ فَضَرَبَهُ، وَحَلَفَ لَهُ إِنْ لَمْ يَصْدُقْهُ أَنْ يَضْرِبَ عُنُقَهُ، فَقَالَ: لِي الأَمَانُ، قَالَ: نَعَمْ، إِلَّا فِيمَا يَجِبُ عَلَيْكَ بِالشَّرْعِ. فَظَنَّ أَنَّهُ قَدْ أَمَّنَهُ، فَقَالَ: قَدْ كُنْت أَعْمَلُ فِي الْآجُرِّ، فَاجْتَازَ رَجُلٌ فِي وَسْطِهِ هِمْيَانٌ، فَجَاءَ إِلَى مَكَان فَجَلَسَ وَهُوَ لا يَعْلَمُ مَكَانِي، فَحَلَّ الْهِمْيَانَ وَأَخْرَجَ مِنْهُ دَنَانِيرَ فَتَأَمَّلْته، وَإِذَا كُلُّهُ دَنَانِيرُ فَسَاوَرْتُهُ وَكَتَفْتُهُ وَشَدَدْت فَاهُ، وَأَخَذْت الْهِمْيَانَ، وَحَمَلْته عَلَى كَتِفِي وَطَرَحْته فِي الْأَتُونِ وَطَيَّنْته. فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ أَخْرَجْت عِظَامَهُ فَطَرَحْتهَا فِي دِجْلَةَ. فَأَنْفَذَ الْمُعْتَضِدُ مَنْ أَحْضَرَ الدَّنَانِيرَ مِنْ مَنْزِلِهِ، وَإِذَا عَلَى الْهِمْيَانِ مَكْتُوبٌ: فُلَانُ ابْنُ فُلَانٍ، فَنَادَى فِي الْبَلَدِ بِاسْمِهِ، فَجَاءَتْ امْرَأَةٌ فَقَالَتْ: هَذَا زَوْجِي. وَلِي مِنْهُ هَذَا الطِّفْلُ، خَرَجَ وَقْتَ كَذَا وَكَذَا وَمَعَهُ أَلْفُ دِينَارٍ: فَغَابَ إِلَى الْآنَ. فَسَلَّمَ الدَّنَانِيرَ إِلَيْهَا، وَأَمَرَهَا أَنْ تَعْتَدَّ، وَأَمَرَ بِضَرْبِ عُنُقِ الْأَسْوَدِ، وَحَمَلَ جُثَّتَهُ إِلَى ذَلِكَ الْأَتُونِ.

۞ رُفِعَ إِلَى الْمُعْتَضِد أَنَّ صَيَّادًا أَلْقَى شَبَكَتَهُ فِي دِجْلَةَ، فَوَقَعَ فِيهَا جِرَابٌ فِيهِ كَفٌّ مَخْضُوبَةٌ بِحِنَّاءٍ، وَأُحْضِرَ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَهَالَهُ ذَلِكَ. وَأَمَرَ الصَّيَّادَ أَنْ يُعَاوِدَ طَرْحَ الشَّبَكَةِ هُنَالِكَ فَفَعَلَ، فَأَخْرَجَ جِرَابًا آخَرَ فِيهِ رِجْلٌ، فَاغْتَمَّ

الْمُعْتَضِدُ وَقَالَ: مَعِي فِي الْبَلَدِ مَنْ يَفْعَلُ هَذَا وَلَا أَعْرِفُهُ؟ ثُمَّ أَحْضَرَ ثِقَةً لَهُ وَأَعْطَاهُ الْجِرَابَ، وَقَالَ: طُفْ بِهِ عَلَى كُلِّ مَنْ يَعْمَلُ الْجُرُبَ بِبَغْدَادَ.

فَإِنْ عَرَفَهُ أَحَدٌ مِنْهُمْ فَاسْأَلْهُ عَمَّنْ بَاعَهُ مِنْهُ، فَإِذَا دَلَّك عَلَيْهِ فَاسْأَلْ الْمُشْتَرِي عَنْ ذَلِكَ وَنَقِّرْ عَنْ خَبَرِهِ.

فَغَابَ الرَّجُلُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، ثُمَّ عَادَ، فَقَالَ: مَا زِلْت أَسْأَلُ عَنْ خَبَرِهِ حَتَّى انْتَهَى إِلَى فُلَانٍ الْهَاشِمِيِّ، اشْتَرَاهُ مَعَ عَشَرَةِ جُرُبٍ، وَشَكَا الْبَائِعُ شَرَّهُ وَفَسَادَهُ، وَمِنْ جُمْلَةِ مَا قَالَ: إِنَّهُ كَانَ يَعْشَقُ فُلَانَةَ الْمُغَنِّيَةَ وَأَنَّهُ غَيَّبَهَا، فَلَا يُعْرَفُ لَهَا خَبَرٌ، وَادَّعَى أَنَّهَا هَرَبَتْ، وَالْجِيرَانُ يَقُولُونَ: إِنَّهُ قَتَلَهَا.

فَبَعَثَ الْمُعْتَضِدُ مَنْ كَبَسَ مَنْزِلَ الْهَاشِمِيِّ وَأَحْضَرَهُ، وَأَحْضَرَ الْيَدَ وَالرِّجْلَ، وَأَرَاهُ إِيَّاهُمَا، فَلَمَّا رَآهُمَا امْتَقَعَ لَوْنُهُ، وَأَيْقَنَ بِالْهَلَاكِ وَاعْتَرَفَ.

فَأَمَرَ الْمُعْتَضِدُ بِدَفْعِ ثَمَنِ الْجَارِيَةِ إِلَى مَوْلَاهَا، وَحَبَسَ الْهَاشِمِيَّ حَتَّى مَاتَ فِي الْحَبْسِ[1].

***

(١) الطرق الحكمية (ص ٣٩).

فراسة الخليفة المنصور

۞ وَمِنْ دَقِيقِ الْفِرَاسَةِ:

۞ أَنَّ الْمَنْصُورَ جَاءَهُ رَجُلٌ، فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ خَرَجَ فِي تِجَارَةٍ فَكَسَبَ مَالًا، فَدَفَعَهُ إِلَى امْرَأَتِهِ، ثُمَّ طَلَبَهُ مِنْهَا. فَذَكَرَتْ أَنَّهُ سُرِقَ مِنَ الْبَيْتِ وَلَمْ يَرَ نَقْبًا وَلَا أَمَارَةً... فَقَالَ الْمَنْصُورُ: مُنْذُ كَمْ تَزَوَّجْتَهَا؟ قَالَ: مُنْذُ سَنَةٍ، قَالَ: بِكْرًا أَوْ ثَيِّبًا؟ قَالَ: ثَيِّبًا، قَالَ: فَلَهَا وَلَدٌ مِنْ غَيْرِكَ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: فَدَعَا لَهُ الْمَنْصُورُ بِقَارُورَةِ طِيبٍ (عطر) كَانَ يُتَّخَذُ لَهُ حَادِّ الرَّائِحَةِ، غَرِيبِ النَّوْعِ، فَدَفَعَهَا إِلَيْهِ، وَقَالَ لَهُ: أعطِ هَذا الطِّيبَ لامرأتك وستعرف أين ذهب مالك... فَلَمَّا خَرَجَ الرَّجُلُ مِنْ عِنْدِهِ قَالَ الْمَنْصُورُ لِأَرْبَعَةٍ مِنْ ثِقَاتِهِ: لِيَقْعُدْ عَلَى كُلِّ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْمَدِينَةِ وَاحِدٌ مِنْكُمْ فَمَنْ شَمَّ مِنْكُمْ رَائِحَةَ هَذَا الطِّيبِ مِنْ أَحَدٍ فَلْيَأْتِ بِهِ. وَخَرَجَ الرَّجُلُ بِالطِّيبِ فَدَفَعَهُ إِلَى امْرَأَتِهِ، فَلَمَّا شَمَّتْهُ بَعَثَتْ بِهِ إِلَى رَجُلٍ كَانَتْ تُحِبُّهُ، وَقَدْ كَانَتْ دَفَعَتْ إِلَيْهِ الْمَالَ، فَتَطَيَّبَ مِنْهُ، وَمَرَّ مُجْتَازًا بِبَعْضِ أَبْوَابِ الْمَدِينَةِ، فَشَمَّ الْمُوَكَّلُ بِالْبَابِ رَائِحَتَهُ عَلَيْهِ؛ فَأَتَى بِهِ الْمَنْصُورَ، فَسَأَلَهُ: مِنْ أَيْنَ لَكَ هَذَا الطِّيبُ؟ فَلَجْلَجَ فِي كَلَامِهِ. فَدَفَعَهُ إِلَى وَالِي الشُّرْطَةِ، فَقَالَ: إِنْ أَحْضَرَ لَكَ كَذَا وَكَذَا مِنَ الْمَالِ فَخَلِّ عَنْهُ، وَإِلَّا اضْرِبْهُ أَلْفَ سَوْطٍ. فَلَمَّا جُرِّدَ لِلضَّرْبِ أَحْضَرَ الْمَالَ عَلَى هَيْئَتِهِ فَدَعَا الْمَنْصُورُ صَاحِبَ الْمَالِ، فَقَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ رَدَدْتُ عَلَيْكَ الْمَالَ تُحَكِّمُنِي فِي امْرَأَتِكَ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: هَذَا مَالُكَ، وَقَدْ طَلَّقْتُ الْمَرْأَةَ مِنْكَ[1].

---

(١) الطرق الحكمية (ص ٣٨).

فطنة هارون الرشيد

۞ دخلت امرأة على هارون الرشيد، وعنده جماعة من وجوه أصحابه.

فقالت: يا أمير المؤمنين، أقرَّ الله عينك وفرَّحك بما آتاك، وأتم سعدك، لقد حكمت فقسطت، زادك الله رفعة.

فقال لها: مَن تكونين أيتها المرأة؟

فقالت: من آل برمك، ممن قتلت رجالهم، وأخذت أموالهم، وسلبت نوالهم.

فقال: أما الرجال فقد مضى فيهم أمر الله، ونفذ فيهم قدره، وأما المال فمردودٌ إليكِ، ثم التفت إلى الحاضرين من أصحابه.

فقال: أتدرون ما قالت المرأة؟

فقالوا: ما نراها قالت إلا خيرًا.

قال: ما أظنكم فهمتم ذلك.

أما قولها: أقرَّ الله عينك، أي: أسكنها عن الحركة، وإذا أُسكنت العين عن الحركة عميت.

وأما قولها: وفرَّحك بما آتاك فأخذته من قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً﴾[1].

وأما قولها: وأتم الله سعدك، فأخذته من قول الشاعر:

إذا تـمَّ أمـرٌ بـدا نقـصه ... ترقَّـب زوالًا إذا قيـل تـم

وأما قولها: لقد حكمت فقسطت، فأخذته من قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا

(١) سورة الأنعام: الآية: (٤٤).

﴿ٱلْقَـٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾[1].

وأما قولها: زادك الله رفعة. أرادت به قول الشاعر:

ما طار طيرٌ وارتفع ... إلا كما طار وقع

فتعجب الحاضرون من ذلك، وأثنوا على فصاحته، ثم التفت هارون الرشيد إلى المرأة.

وقال لها: ما حملك على هذا الكلام؟

فقالت: إنك قتلت أهلي وقومي.

فقال: ومَن أهلك وقومك.

قالت: البرامكة.

فأراد أن يجزيها ببعض العطايا، فلم ترضَ. وذهبت إلى حال سبيلها.

(١) سورة الجن: الآية: (١٥).

الصِّدِّيق لا تُخطئ فِراسته

❁ قَالَ إبرَاهِيم: كنتُ ببغداد فى جامع المدينة، وهناك جماعةٌ من الفقراء، فأقبل شابٌّ ظريف، حسَنُ الوجه طيِّبُ الرائحة، فقلت لأصحابِنا: يقعُ لى أنَّه يهودى؛ فكلهم كرهوا ذلك، فخرجتُ وخرج الشابُّ ثم رجع إليهم، فقال لهم: أيش قال الشيخ فىَّ؟ فاحتشموه، فألحَّ عليهم، فقالوا: قال: إنك يهودى. قال: فجاءنى وأكبَّ على يدى يُقبِّلُها، وأسلم. فقيل له: ما السبب؟ قال: نجدُ فى كُتبِنا أنَّ الصِّدِّيق لا تُخطئ فراسَتُه. فقلت: أمتحنُ المسلمين، فتأمَّلْتُهم فقلت: إن كان فيهم صِدِّيق ففى هذه الطائفة؛ فلبَّسْتُ عليكم، فلما اطَّلعَ هذا الشيخ علىَّ وتفرَّس فىَّ علمتُ أنه صِدِّيق.

وصار ذلك الشابُّ من كبار العُبَّاد.

هكذا عرف اللص

❁ جِيءَ إِلَى ابْن النسوى برجلَيْن قد اتُّهما بِالسَّرقَةِ فأقامهما بَين يَدَيْهِ، ثمَّ قَالَ: شربة مَاء فجَاء بهَا، فَأخذ يشرب ثمَّ أَلْقَاهَا من يَده عمدا فَوَقَعت فَانْكَسَرت، فانزعج أحد الرجلَيْن لانكسارها وَثَبت الآخر، فَقَالَ للمنزعج: اذْهَبْ أَنْت، وَقَالَ للْآخر: رُدَّ مَا أخذت، فَقيل لَهُ: من أَيْن علمت؟ فَقَالَ: اللص قوى الْقلب لَا ينزعج وَهَذَا المنزعج بَرِيء، لِأَنَّهُ لَو تحركت فِي الْبَيْت فَأْرَة لأزعجته ومنعته أَن يسرق.

❁ قال ابن الجوزى:

حَدثنِي بعض الشُّيُوخ قَالَ: سُرق من رجل خَمْسمِائَة دِينَار، فَحمل المتهمين إِلَى الْوَالِي، فَقَالَ الْوَالِي: أَنا مَا أضْرب أحدًا مِنْكُم، بل عِنْدِي

خيط مَمْدُود فِي بَيت مظلم، فادخلوا فليُمر كلٌّ مِنْكُم يَده عَلَيْهِ من أول الْخَيط إِلَى آخِره ويلف يَده فِي كمه، وَيخرج فَإِن الْخَيط يلف على يَد الَّذِي سرق، وَكَانَ قد سوَّد الْخَيط بسخام، فَدَخَلُوا فكلهم جرَّ يَده على الْخَيط فِي الظلمَة إِلَّا وَاحِد مِنْهُم، فَلَمَّا خَرجُوا نظر إِلَى أَيْديهم مسودة إِلَّا وَاحِد فألزمه بِالْمَالِ، فَأقر بِهِ.

وهكذا قُضي على اللصوص

۞ وَذكر مُحَمَّد بن عبد الْملك الْهَمدَانِي فِي تَارِيخه أَنه بلغ إِلَى عضد الدولة خبر قوم من الأكراد يقطعون الطَّرِيق، ويقيمون فِي جبال شاقة، فَلَا يُقدر عَلَيْهِم، فاستدعى أحد التُّجَّار وَدفع إِلَيْهِ بغلًا عَلَيْهِ صندوقان فيهمَا حلوى قد شِيبت بالسم، وَأكْثر طيبها، وَترك فِي الظروف الفاخرة وَأَعْطَاهُ دَنَانِير، وَأمره أَن يسير مَعَ الْقَافِلَة، وَيُظْهر أَن هَذِه هَدِيَّة لإحدى نسَاء أُمَرَاء الْأَطْرَاف، فَفعل التَّاجِر ذَلِك وَسَار أَمَام الْقَافِلَة، فَنزل الْقَوْم وَأخذُوا الْأَمْتِعَة وَالْأَمْوَال وَانْفَرَدَ أحدهم بالبغل وَصعد بِهِ مَعَ جَمَاعَتهمْ إِلَى الْجَبَل، وَبَقِي المسافرون عُرَاة، فَلَمَّا فتح الصندوقين وجد الْحَلْوَى يضوع طيبها، ويدهش منظرها ويعجب رِيحهَا، وَعلم أَنه لَا يُمكنهُ الاستبداد بهَا، فَدَعَا أَصْحَابه، فَرَأَوْا مَا لم يروه أبدًا قبل ذَلِك، فأمعنوا فِي الْأكل عقيب مجاعَة، فانقلبوا فهلكوا عَن آخِرهم فبادر التُّجَّار إِلَى أَخذ أَمْوَالهم وأمتعتهم وسلاحهم، واستردوا الْمَأْخُوذ عَن آخِره، فَلم أسمع بِأَعْجَب من هَذِه المكيدة، محت أثر العاتين وحصدت شَوْكَة المفسدين.

براعة ابن سيرين في تعبير الرؤى والأحلام

۞ لقد فتح الله عليه فى هذا الباب بصورة لا تخطر على قلب بشر فكان بارعًا فى تعبير الرؤى والأحلام.

قال الذهبى رَحِمَهُ اللهُ: قد جاء عن ابن سيرين عجائب يطول الكتاب بذكرها، وكان له فى ذلك تأييد إلهى[١].

وعن هشام بن حسان قال: جاء رجل إلى ابن سيرين، وأنا عنده، فقال: إنى رأيت كأن على رأسى تاجًا من ذهب، فقال له ابن سيرين: اتق الله! فإن أباك فى أرض غربة، وقد ذهب بصره، وهو يريد أن تأتيه. قال: فما زاده الرجل الكلام، حتى أدخل يده فى حجزته فأخرج كتابًا من أبيه؛ يذكر فيه ذهاب بصره، وأنه فى أرض غربة ويأمره بالإتيان إليه[٢].

وعن أبى جعفر عن ابن سيرين: أن رجلاً رأى فى المنام كأن فى حجره صبيًّا يصيح، فقَصَّ رؤياه على ابن سيرين، قال: اتقِ الله! ولا تضرب العود[٣].

وعن مبارك بن يزيد البصرى قال: قال رجل لابن سيرين: رأيت كأنى أطير بين السماء والأرض، قال: أنت رجل تكثر الْمُنَى[٤] - أى: الأمنيات-.

وعن أبى قلابة: أن رجلاً قال لأبى بكر: رأيت كأنى أبول دمًا، فقال: أتأتى امرأتك وهى حائض؟ قال: نعم، قال: اتقِ الله، ولا تَعُد[٥].

---

(١) سير أعلام النبلاء (٤/ ٦١٨).

(٢) حلية الأولياء (٢/ ٢٧٨).

(٣) حلية الأولياء (٢/ ٢٧٧).

(٤) حلية الأولياء (٢/ ٢٧٨).

(٥) حلية الأولياء (٢/ ٢٢٧).

وقال الحارث بن ثقيف: قال رجل لابن سيرين: رأيتُ كأنى ألعقُ عسلاً من جوهر. فقال: اتق الله! وعاود القرآن، فإنك رجلٌ قرأت القرآن ثم نسيته[١].

وقال هشام: قَصَّ رجلٌ على ابن سيرين، قال: رأيت كأن بيدى قدحًا من زجاج فيه ماء، فانكسر القدحُ، وبقى الماءُ. فقال له: اتق الله! فإنك لم تَرَ شيئًا. فقال الرجل: سبحان الله! أقصُّ عليك الرؤيا، وتقولُ: لم أرَ شيئًا. قال له ابنُ سيرين: إنه من كذب فليس علىَّ من كذبه شىءٌ، إن كنت رأيت هذا فستلدُ امرأتك، وتموتُ، ويبقى ولدُها. فلما خرج، قال الرجلُ: والله، ما رأيتُ شيئًا من هذه الرؤيا.

قال هشام: فما لبث الرجلُ غير كثير حتى ولدت امرأته غلامًا، وماتت وبقى الغلام[٢].

وعن عبد الله بن مسلم المروزى، قال: كنتُ أجالسُ ابن سيرين، فتركته وجالستُ الإباضية، فرأيت كأنى مع قوم يحملُون جنازة النبى ﷺ، فأتيتُ ابن سيرين فذكرته له، فقال: ما لك جالست أقوامًا يريدون أن يدفنوا ما جاء به النبى ﷺ[٣].

۞ رأى رجل في منامه كأنه تَخطَّى الكعبة، ثم قصَّها على ابن سيرين، فقال: هذا رجل خالف سُنة رسول الله ﷺ، ودخل في هوى، ألا ترى أنه يتخطى القبلة؟ ... فكان كذلك.

(١) حلية الأولياء (٢/ ٢٧٨).

(٢) مختصر تاريخ دمشق (٢٢/ ٢٣٢).

(٣) ابن عساكر (١٥/ ٢٢٧ب) والإباضية: قوم من الخوارج: راجع التاج (أبض).

۞ ورأى الحَجَّاجُ بن يوسف الثقفي في منامه كأن جاريتين من الحور العين نزلتا من السماء، فأخذ الحجاج إحداهما ورجعت الأخرى إلى السماء، فبلغت رؤياه إلى ابن سيرين، فقال: هما فتنتان يدرك إحداهما ولا يدرك الأخرى، فأدرك الحجاج فتنة ابن الأشعث ولم يدرك فتنة ابن المهلب.

۞ وجاء رجل إلى ابن سيرين فقال: رأيتُ في المنام كأني أبول الزيت في أصل شجرة زيتون، فقال ابن سيرين: فَتِّش على امرأتك فإنها أمك. ففتش فإذا هي أمه، وذلك أن الرجل أُخِذَ من بلاده صغيرًا سبيًا، ثم مكث في بلاد الإسلام إلى أن كبر، ثم سُبِيَت أمه فاشَتراها جاهلًا أنها أمه، فلما رأى هذه الرؤيا وذكرها لابن سيرين فأمره أن يفتش على ذلك، ففتش فوجد الأمر على ما ذكره.

۞ وجاء رجل إلى ابن سيرين فقال: رأيتُ في المنام كأني أُؤَذِّنُ. فقال له: تحج بيت الله الحرام. ثم أتاه آخر فقال: رأيتُ كأني أؤذن، فقال: تُقطع يدك، قيل له: كيف فَرَّقت بينهما؟، قال: رأيتُ للأول سيما[1] حسنة فأوَّلْتُ بقول الله: ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ ﴾[2]، ورأيت للثاني سيما غير صالحة، فأوَّلت: ﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ﴾[3].

۞ وأتى رجل إلى ابن سيرين رحمه الله تعالى فقال: رأيتُ في المنام أن حَيَّة لسعتني في إبهام يدي فورمت، فأخذتُ درياقًا[4] فجعلته في فمي فسكن

(١) هيئة ومنظر.

(٢) سورة الحج: الآية (٢٧).

(٣) سورة يوسف: الآية (٧٠).

(٤) الدرياق: ما يُستعمل لدفع السم من الأدوية والمعالجين... ويقال أيضًا: ترياق.

الألم وبرئت. فقال: أنت رجل تختلط بالفُجَّار.

۞ وسُئل ابن سيرين عن رجل رأي في المنام أنه يستاك بالمسواك، فكلما أخرج السواك رأي عليه دمًا. فقال: اتق الله ولا تكذب، وقرأ: ﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾[١].

۞ ورأي عبد الملك بن مروان في منامه رؤيا، فبعث إلى ابن سيرين: إني رأيتُ في المنام أنّي قمت في محراب المسجد وبُلْتُ فيه خمس مرات. فكتب إليه ابن سيرين: إن صَدَقَت رؤياك فسيقوم من أولادك خمسة في المحراب، ويتقلدون الخلافة بعدك. فكان كذلك.

۞ وجاء رجل إلى ابن سيرين فقال: رأيتُ كأن حمامة التقمت لؤلؤة فخرجت منها أعظم ما كانت، ورأيتُ حمامة أخرى التقمت لؤلؤة فخرجت أصغر مما دخلت، ورأيت أخرى التقمت لؤلؤة فخرجت كما دخلت.

فقال ابن سيرين: أما الأولى فذاك الحسن[٢]، يسمع الحديث فيُجَوِّده بمنطقه، ويصل فيه من مواعظه، وأما التي صغرت فأنا، أسمع الحديث فأُسقط منه، وأما التي خرجت كما دخلت فقتادة[٣]، فهو أحفظ الناس.

---

(١) سورة يوسف: الآية (١٨).

(٢) الحسن بن يسار البصري، أبو سعيد (٢١- ١١٠هـ = ٦٤٢- ٧٢٨م)، تابعي، كان إمام أهل البصرة، وحَبر الأمة في زمنه، وهو أحد العلماء الفقهاء، الفصحاء النُّساك الشجعان، كان غاية في الفصاحة والبلاغة. انظر ترجمته في: الحلية (٢/ ١٣١)، الأعلام (٢/ ٢٢٦- ٢٢٧)، سير أعلام النبلاء (٥/ ٤٥٦- ٤٧٣)، تذكره الحفاظ (١/ ٧١)، تهذيب الكمال (١١٩٨).

(٣) قتادة بن دعامة بن قتادة، أبو الخطاب السدوسي البصري (٦١- ١١٨هـ = ٦٨٠- ٧٣٦م) مفسر، حافظ، قال الإمام أحمد: قتادة أحفظ أهل البصرة. انظر ترجمته في: الأعلام (٥/ ١٨٩)، تذكرة الحفاظ (١/ ١١٥)، وفيات الأعيان (١/ ٤٢٧)، سير أعلام النبلاء (٦/ ٩٠- ٩٩)، العبر (١/ ١٤٦)، تهذيب الكمال (٥٤٣٤).

۞ وعن عبد الله بن مسلم المروزي قال: كنت أجالس ابن سيرين فتركته، وجالستُ الإباضية[١]، فرأيتُ في المنام كأني مع قوم يحملون جنازة النبي ﷺ، فأتيت ابن سيرين فذكرته له. فقال: ما لك جالستَ أقوامًا يريدون أن يدفنوا ما جاء به النبي ﷺ؟.

۞ وقال رجل لابن سيرين: رأيتُ كأن بيدي قدحًا من زجاج فيه ماء، فانكسر القدح وبقي الماء. فقال: ستلد امرأتك وتموت ويبقى ولدها، فما لبث أن وُلد له وماتت امرأته.

۞ وسأله رجل فقال: رأيتُ كأن الجوزاء[٢] تقدمت الثريا[٣]. فقال: هذا الحسن يموت قبلي، ثم أتبعه، وهو أرفع مني[٤].

۞ وقال رجل لابن سيرين: رأيتُ كأن رجلًا مُعَلَّق من السماء بسلسلة، ونصف بدنه أسود، ونصف بدنه أبيض، وله ذَنَبٌ كذنب الحمار. قال ابن سيرين: أنا ذلك الرجل، أما نصف بدني الأبيض فَوِرْدٌ لي بالنهار، والنصف الأسود وِرْدُ الليل، والسلسلة التي عُلِّقت بها من السماء فَذِكْرٌ مني يصعد أبدًا إلى السماء. وأما الذَّنَب فَدَيْنٌ يجتمع عَلَيَّ، وموتى فيه. فكان كما عَبَّره.

۞ فقد جاء رجل إلى ابن سيرين فقال: رأيتُ كأن على ساقَي رجل شعرًا كثيرًا. فقال: يركبه دَيْنٌ ويموت في السجن. فقال: لك رأيتها،

(١) أتباع عبد الله بن إباض، انظر ما كتبه عنه صاحب الأعلام (٤/ ٦١- ٦٢).

(٢) من كواكب السماء.

(٣) من كواكب السماء.

(٤) الحلية (٢/ ٢٢٧).

فاسترجع ابن سيرين، ثم إنه مات في السجن وعليه أربعون ألف درهم، فقضاها عنه بعد موته.

۞ وحُكى أن رجلًا أتى ابن سيرين فقال: رأيتُ كأن في حجري صبيًّا يصيح. فقال: اتق الله ولا تضرب بالعود.

۞ وأتى رجلٌ ابن سيرين فقال: إني خطبتُ امرأة فرأيتها في المنام سوداء قصيرة. فقال: أما سوادها فمالها، وأما قِصَرُها فقصر عمرها. فلم تلبث إلا قليلًا حتى ماتت، وورثها الرجل.

۞ وأتى ابن سيرين رجل فقال: رأيتُ كأن إصبع رجلي على جمر، فإذا وضعتها عليه طُفيء، وإذا رفعتها عنه عاد كما كان. فقال: هذا صاحب هوى، فقيل: ليس هو صاحب هوى ولكنه يتكلم في القَدر. فقال: وأي شيء هو أشد من القدر؟

۞ ورأت امرأة كأن إبهام رجلها قُطعت، فقصَّت رؤياها على ابن سيرين، فقال: تَصلين قومًا قطعتيهم.

۞ وجاء رجل إلى ابن سيرين فقال: رأيتُ كأني أبول دمًا. فقال: اتق الله فإنك تأتي امرأتك وهي حائض. قال: نعم.

۞ وأتى ابن سيرين رجل فقال: رأيتُ امرأة من أهلي كأن بين ثدييها إناء من لبن، كلما رفعته إلى فمها لتشرب أعجلها البول، فوضعته ثم ذهبت فبالت.

فقال: هذه امرأة مسلمة صالحة، وهي على الفطرة، وهي تشتهي الرجال وتنظر إليهم، فاتقوا الله وزَوِّجوها. فكان ذلك.

۞ وأتى ابن سيرين رجل فقال: رأيتُ كأني آكُل قشور البيض. فقال: اتق

الله فإنك نباش تسلب الموتى.

۞ وجاء رجل لابن سيرين فقال: رأيتُ كأني مجذوم، فقال: أنت رجل يُشار إليك بأمرٍ قبيح وأنت منه بريء.

۞ وجاء رجل إلى ابن سيرين فقال: رأيتُ كأن في يدي رقاقتين آكل من هذه ومن هذه. فقال: أنت رجل تجمع بين الأختين.

۞ وأتى ابنَ سيرين رجل فقال: رأيتُ كأن بين يدي إناءين في أحدهما نبيذ وفي الآخر لبن، فقال: اللبن عدل، والنبيذ عزل، فلم يلبث أن عُزِلَ وكان واليًا.

۞ وأتى ابنَ سيرين رجل فقال: رأيتُ كأن خابية[1] بيتي قد انكسرت. فقال: إن صدقت رؤياك طلَّقت امرأتك. فكان كذلك.

۞ وجاء رجل إلى ابن سيرين فقال: رأيت كأني أمشي في نعليَّ، فانقطع شسع إحداهما، فتركتها ومضيت على حالي، فقال له: ألك أخٌ غائب؟ قال: نعم. قال: خرجتما إلى الأرض معًا فتركته هناك ورجعت؟ قال: نعم. فاسترجع ابن سيرين وقال: ما أرى أخاك إلا قد فارق الدنيا.. فورد نعيُه عن قريب.

۞ ورأت امرأة كأنها دفنت ثلاثة ألوية (أعلام)، فأتت أمها ابن سيرين فقصَّت رؤياها عليه، فقال: إن صدقت الرؤيا تزوجتْ ثلاث أشراف كلهم يُقتل عنها. فكان كذلك.

۞ وأتى رجل ابن سيرين فقال: رأيتُ امرأة مذبوحة وسط بيتها تضطرب على فراشها. فقال له ابن سيرين: ينبغي أن تكون هذه المرأة قد

(١) الخابية: الحب، وهي إناء من فخار (كالزّير مثلًا)، وعاء من خزف أو فخار.

نُكِحَت على فراشها في هذه الليلة. وكان الرجل يتحدث عن أخته، وكان زوجها غائبًا فقام من عند ابن سيرين وهو مُغضَب مُضمرٌ لها الشر، فأتى بيت أخته فإذا بجارية أخته وقد أتته بهدية وقالت: إن سيدي (أي زوج أخته) قَدِم البارحة من السفر. ففرح الرجل وزال عنه الغضب.

۞ وأتت ابنَ سيرين امرأة فقالت: رأيتُ كأني قَتلتُ زوجي مع قوم. فقال لها: إنكِ حملتِ زوجك على إثم فاتقي الله ﷻ. فقالت: صدقت.

۞ وأتى رجل ابن سيرين فقال: رأيتُ كأني أُجزي الثعلب أحسن جزاء. فقال: أجزيت ما لا يُجْزَى؟!، اتق الله أنت رجل كذوب.

۞ وأتت امرأة إلى ابن سيرين فقالت: رأيتُ سنورًا[1] أدخل رأسه في بطن زوجي فأخرج منه شيئًا فأكله!. فقال لها: لئن صدقت رؤياك ليدخل الليلة حانوت زوجك لصٌّ زنجي، وليسرق منه ثلثمائة وستة عشر درهمًا، فكان الأمر على ما قال سواء. وكان في جوارهم زنجي فأخذه فطالبوه بالسرقة فاسترجعوها منه. فقيل لابن سيرين: كيف عرفت ذلك ومن أين استنبطه؟ قال: السنور لص، والبطن الخزانة، وأكل السنور منه سرقة، وأما مبلغ المال فإنما استخرجته من حساب الجمل، وذلك: السين ستون، والنون خمسون، والواو ستة، والراء مائتان، فهذه مجموع السنور.

۞ وأتى رجل إلى ابن سيرين فقال: رأيتُ كأن امرأتي ناولتني طاووسًا، فقال: لئن صدقت رؤياك لتشترين جارية، ويرد عليك في ثمن الجارية من الديون ستة وسبعون درهمًا، ويكون ذلك برضا امرأتك. فقال الرجل: رحمك الله، لقد كان أمس على ما عَبَّرت سواء، وردُّوا عليَّ الديون مقدار

---

(١) السنور: القط.

ما قلت سواء، فقيل لابن سيرين: من أين عرفت ذلك؟، فقال: الطاووسة: الجارية، وطاووس من الديون بكلام الأنباط، وأخرجتُ عدد الدراهم من حروف الطاووس من حساب الجمل: الطاء تسعة، والألف واحد، والواو ستة، والسين ستين.

۞ وجاء رجل إلى ابن سيرين فقال: رأيتُ كأني عمدتُ إلى عصفورة، فأردتُ أن أذبحها فكلمتني وقالت: لا تذبحني. فقال له: استغفر الله، فإنك قد أخذت صدقة ولا يحل لك أن تأخذها. فقال: معاذ الله أن آخذ من أحدٍ صدقة، فقال: إن شئتَ أخبرتك بعددها. فقال: كم؟، قال: ستة دراهم، فقال له: صدقت فمن أين عرفت؟ فقال: لأن أعضاء العصفورة ستة، كل عضو درهم.

۞ وحُكي أن رجلًا أتى ابن سيرين فقال: رأيتُ كأن حية تسعى وأنا أتبعها، فدخلت جحرًا، وفي يدي مسحاة فوضعتها على الحجر.

فقال: أتخطب امرأة؟ قال: نعم. فقال: إنك ستتزوجها وترثها... فتزوجها فماتت عن سبعة آلاف درهم[1].

(١) نقلًا عن «٢٨٠ قصة وقصة من قصص الصالحين» (ص ١٢٣-١٢٨).

ابن سيرين يفسر رؤيا الحسن البصري

۞ كان بين الحسن البصري وبين ابن سيرين هجرة، فكان إذا ذُكر ابن سيرين عند الحسن يقول: دعونا من ذكر الحاكة – وكان بعض أهل ابن سيرين حائكًا-أي خياطًا-.

فرأى الحسن في منامه كأنه عُريان، وهو قائم على مَزبلة يضرب بالعود، فأصبح مهمومًا برؤياه، فقال لبعض أصحابه:

امضِ إلى ابن سيرين – وكان مشهورًا بتفسير الأحلام – فَقُصّ عليه رؤياي على أنك أنت رأيتها.

فدخل على ابن سيرين وذكر له الرؤيا، فقال ابن سيرين: قل لمن رأى هذه الرؤيا: لا تسأل الحاكة عن مثل هذا.

فأخبر الرجل الحسن بمقالته، فعظُم لديه، وقال: قوموا بنا إليه.

فلما رآه ابن سيرين، قام إليه وتصافحا، وسلَّم كل واحدٍ منهما على صاحبه، وجلسا يتعاتبان، فقال الحسن: دعنا من هذا، فقد شَغَلتِ الرؤيا قلبي.

فقال ابن سيرين: لا تشغلْ قلبك، فإن العُري عُري من الدنيا، ليس عليك منها عُلقة، وأما المزبلة فهي الدنيا، وقد انكشفت لك أحوالها، فأنت تراها كما هي في ذاتها، وأما ضربُك بالعود، فإنه الحكمة التي تتكلم بها وينتفع بها الناس.

فقال له الحسن: فمن أين لك أني أنا رأيت هذه الرؤيا؟

قال ابن سيرين: لما قصَّها عليَّ فكرت، فلم أرَ أحدًا يصلح أن يكون رآها غيرك.

القاضي شُريح.. وأمير المؤمنين

۞وتعالوا بنا لنرى كيف كان القاضى المسلم لا يجامل أحدًا ولا يُحابى أحدًا على حساب هذا الدين العظيم حتى ولو كان هذا الرجل هو أمير المؤمنين.

ففى ذات يوم افتقد على بن أبى طالب ﵁ درعه الحطمية الغالية عنده، وكان قد أهداها له عثمان بن عفان من زواجه من فاطمة بنت رسول الله ﷺ ثم ما لبث علىٌّ أن وجدها فى يد رجل من أهل الذمة حينما كان يمشى فى سوق الكوفة فلما رآها علىٌّ فى يد الرجل قال: هذه درعى سقطت عن جملٍ لى ليلة صِفِّين وفى مكان كذا.

فقال الذمىُّ: بل هى درعى وملكى يا أمير المؤمنين.

فقال على: إنما هى درعى لم أبعها من أحدٍ، ولم أهبها لأحد حتى تصير إليك.

فقال الرجل: يحكم بيننا قاضى المسلمين شريح.

فقال على: أحسنت، هيا إلى شريح.

وذهب علىٌّ وصاحبه إلى شريح القاضى ولما جلسا إليه قال شريح: ما تقول يا أمير المؤمنين؟

قال علىٌّ: لقد وجدت درعى هذه مع هذا الرجُل وقد سقطت منى فى ليلة صفين وفى مكان كذا، وهى لم تصل إليه لا ببيعٍ ولا هبةٍ لأننى لم أبعها ولم أهبها لأحد.

ثم توجَّه شُريح للذمِّى بالكلام وقال: وما تقول أنت أيها الرجل؟.

فقال الرجل: الدرع درعى ولا أتهم أمير المؤمنين بالكذب معاذ الله من ذلك.

فالتفت شريح إلى علىٍّ وقال: لا أشك فى صدقك يا أمير المؤمنين فيما قلت بأن الدرع درعُك، ولكن لا بد لك من شاهدين يمثلان أمامى ويشهدان على صحة ما قلت وما ادَّعيت على الرجل.

فقال على: نعم، ابنى الحسن، ومولاى قنبر يشهدان بما ادعيت.

فقال شريح: ولكن شهادة الابن لأبيه لا تجوز يا أمير المؤمنين، فاعترض علىٌّ رضوان الله عليه قائلًا:

يا سبحان الله!! رجل من أهل الجنة كابنى الحسن لا تجوز شهادته؟! وقد قال عنه رسول الله ﷺ: «**الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة**».

فقال شُريح: بلى يا أمير المؤمنين غير أنى لا أُجيز شهادة الولد لوالده، صمت علىٌّ بُرهة ثم قال للرجل: خذها.. فليس عندى شاهد غيرهما.

فقال الذمى: ولكنى أشهد بأن الدرع درعك يا أمير المؤمنين، ثم أضاف قائلًا: يا لله... أمير المؤمنين يقاضينى أمام قاضيه!! وقاضيه يقضى لى عليه.. أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله.

وأسلم الذمى ودخل دين الإسلام لعدل قاضى الإسلام ومثول خليفة رسول الله أمِام القاضى فيقضى له على أمير المؤمنين.

ثم وقف الرجل الذمى الذى أصبح مسلمًا يقول:

اعلم أيها القاضى أن الدرع درع أمير المؤمنين وأننى اتبعتُ الجيش، وهو منطلق إلى صِفِّين، فسقطت الدرع عن جَمَلِه الرمادى اللون فأخذتها.

فقال على للرجل: لقد وهبتها لك طالما أسلمت ومعها فرسى هذا أيضًا

هدية مني. فانصرف الرجل. ولم يشاهده عليٌّ إلا يوم وقعة النهروان التى دارت بينه وبين الخوارج، وقد أصبح الرجل فارسًا من الفرسان المقاتلين فى صفوف جيش عليٍّ ضد الخوارج وقد استُشهد يوم النهروان هكذا كانت عدالة القاضى وعدل أمير المؤمنين دافعًا عظيمًا للإسلام[1].

كم سِنُّك يا فتى؟!

۞ حكى المسعودي أن المهدي لما دخل البصرة رأى إياس بن معاوية، وهو صبي، وخلفه أربعمائة من العلماء وأرباب الطيالسة ... وإياس يَقْدُمهم.

فقال المهدي: أُفٍّ لهذه العثانين، أما كان فيهم شيخ يَقْدُمهم غير هذا الحَدَث؟ ثم إن المهدي التفت إلى إياس، وقال له: كم سِنُّك يا فتى؟ قال: سِنِّي أطال الله بقاء أمير المؤمنين سن أسامة بن زيد بن حارثة لما ولَّاه رسول الله ﷺ جيشًا، وكان في الجيش من الصحابة من هو أقدم سنًّا من أسامة، ... فقال له تقدم بارك الله فيك[2].

(١) الطبقات لابن سعد (٦/ ٣٤) (٧/ ١٧٠).

(٢) «لطائف أخبار الأول» (ص: ٦٥).

مروءة الرجال

۞ عن ربيعة بن عثمان، وقُدامة قالا: لا نعلم قُرشيةً خرجت من بين أبويها مُسْلمةً مهاجرة، إلا أمَّ كلثوم بنت عقبة بن أبي مُعيط. قالت: كنت أخرج إلى باديةٍ لنا فيها أهلى، فأُقيم بها الثلاث والأربع، وهى ناحية التّنعيم، ثم أرجع إلى أهلى فلا ينكرون ذهابى البادية حتى أجمعت المسير، فخرجت يومًا من مكة كأنى أريد البادية، فلما رجع مَن تبعنى إذا رجل من خزاعة قال: أين تريدين؟ قلت: ما مسألتك؟ ومَن أنت؟ قال: رجل من خزاعة. فلما ذكر خزاعة اطمأننتُ إليه لدخول خزاعة فى عهد رسول الله ﷺ وعقده، فقلت: إنى امرأة من قريش، وإنى أريد اللحوق برسول الله ﷺ ولا عِلم لى بالطريق.

فقال: أنا صاحبك حتى أُورِدَك المدينة، ثم جاءنى ببعير فركبته فكان يقود بى البعير، ولا والله ما يكلّمنى بكلمة. حتى إذا أناخ البعير تنحَّى عنى، فإذا نزلتُ جاء إلى البعير، فقيّده بالشجرة وتنحَّى إلى فىء شجرة، حتى إذا كان الرّواح حَدَج[1] البعير، فقرّبه وولّى عنى، فإذا ركبت أخذ برأسه، فلم يلتفت وراءه حتى أنزل، فلم يزل كذلك حتى قدمنا المدينة، فجزاه الله من صاحبٍ خيرًا.

۞ وقريبٌ من هذا قصة أمنا أم سلمة رضي الله عنها:

۞ وها هى أم سلمة رضي الله عنها تحكى قصة هجرتها إلى المدينة المنورة وتحكى قصة الابتلاء الشديد الذى تعرضت له عند الهجرة وتقول: لما

---

(١) حدج: أي: شد الحمل عليه.

أجمع أبو سلمة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الخروج إلى المدينة، (أى فى الهجرة)، رَحَّل لى بعيره، ثم حملنى عليه، وجعل معى ابنى «سلمة بن أبى سلمة» فى حجرى، ثم خرج يقود بى بعيره. فلما رأته رجال بنى المغيرة قاموا إليه، فقالوا: هذه نفسك غلبتنا عليها، أرأيت صاحبتنا هذه، علام نتركك تسير بها فى البلاد ؟

قالت: فنزعوا خطام البعير من يده، وأخذونى منه. قالت: وغضب عند ذلك بنو عبد الأسد رهط أبى سلمة، وقالوا: والله لا نترك ابننا عندها إذ نزعتموها من صاحبنا.

قالت: فتجاذبوا ابنى «سلمة» بينهم حتى خلعوا يده، وانطلق به بنو عبد الأسد، وحبسنى بنو المغيرة عندهم، وانطلق زوجى أبو سلمة إلى المدينة.

قالت: ففُرّق بينى وبين ابنى وبين زوجى.

قالت: فكنت أخرج كل غداة، فأجلس فى الأبطح، فما أزال أبكى حتى أمسى سنة أو قريبًا منها، حتى مَرّ بى رجل من بنى عمى (أحد بنى المغيرة) فرأى ما بى، فرحمنى.

فقال لبنى المغيرة: ألا تُخرجون هذه المسكينة، فرَّقتم بينها وبين زوجها وبين ولدها ؟

قالت: فقالوا لى: الحقى بزوجك إن شئتِ.

قالت: فردَّ بنو عبد الأسد إلىَّ عند ذلك ابنى.

قالت: فارتحلتُ بعيرى، ثم أخذت ابنى، فوضعته فى حجرى، ثم خرجتُ أريد زوجى بالمدينة.

قالت: وما معى أحد من خلق الله حتى إذا كنت بالتنعيم لقيت عثمان بن طلحة بن أبى طلحة.

فقال: إلى أين يا ابنة أبى أمية ؟ قلت: أريد زوجى بالمدينة قال: أَوَ مَا معك أحد ؟ قلت: ما معى إلا الله وبنَىَّ هذا.

فقال: والله ! ما لك من مَترك، فأخذ بخطام البعير، فانطلق معى يهوى بى، فوالله ! ما صحبتُ رجلًا من العرب قط أرى أنه كان أكرم منه. وكان إذا بلغ المنزل أناخ بى، ثم استأخر عنى حتى إذا نزلت استأخر بعيرى، فحطَّ عنه، ثم قيَّده فى الشجر، ثم تنحَّى إلى شجرة، فاضطجع تحتها.

فإذا دنا الرواح، قام إلى بعيرى فقدَّمه فرحَّله، ثم استأخر عنى، وقال: اركبى، فإذا ركبت فاستويت على بعيرى أتى فأخذ بخطامه، فقادنى حتى ينزل بى، فلم يزل يصنع ذلك بى حتى أقدمنى المدينة.

فلما نظر إلى قرية بنى عمرو بن عوف بقباء، قال: زوجك فى هذه القرية - وكان أبو سلمة بها نازلًا - فادخليها على بركة الله.. ثم انصرف راجعًا إلى مكة.

فكانت تقول: ما أعلم أهل بيت فى الإسلام أصابهم ما أصاب آل أبى سلمة؛ وما رأيتُ صاحبًا قط كان أكرم من عثمان بن طلحة[١].

---

(١) البداية والنهاية (٣/ ١٦٩)، ابن هشام (٢/ ٧٥، ٧٦).

أما فيكم مَن يبكي لآخرتي

۞ قال يزيد الرقاشى: دخلت على عابدٍ بالبصرة وإذا أهل بيته حوله فإذا هو مجهود قد أجهده الاجتهاد. قال: فبكى أبوه فنظر إليه، ثم قال: أيها الشيخ، ما الذى يُبكيك؟ قال: يا بنى أبكى فَقْدَكَ وما أرى من جهدك. قال: فبكت أمه، فقال: أيتها الوالدة الشفيقة الرفيقة ما الذى يُبكيكِ؟ قالت: يا بُنى أبكى فراقك وما أتعجل من الوحشة بعدك. قال: فبكى أهله وصبيانه، فنظر إليهم، ثم قال: يا معشر اليتامى بعد قليل، ما الذى يبكيكم؟ قالوا؛ يا أبانا نبكى فراقك وما نتعجل من اليُتم بعدك. قال: فقال: أقعدونى أقعدونى ألا أرى كلكم يبكى لِدُنياى أما فيكم من يبكى لآخرتى؟ أما فيكم من يبكى لما يلقاه من التراب وجهى؟ أما فيكم من يبكى لمساءلة منكر ونكير إياى؟ أما فيكم من يبكى لوقوفى بين يدى الله ربى؟ قال: ثم صرخ صرخة فمات[1].

---

(١) صفة الصفوة (٤/ ١٨).

أسْدَى إليه معروفًا لا يقدر عليه غيره

۞ رُوِى أن الحجَّاج بن يوسف: لما قبض على «يزيد بن المهلب» عذَّبه عذابًا شديدًا حتى أضرَّ به وكاد أن يهلك داخل السجن فلما رأى نفسه مُشرفًا على الموت أوعز إلى السَّجَّان أن يفرَّ معه إلى «سليمان بن عبد الملك» فى «الشام» وكان «سليمان» آنذاك لم يلِ الخلافة إلا أنه كان الخليفة المنتظر أى: إنه ولى العهد. وكان الخليفة يومئذٍ «الوليد بن عبد الملك» فلما دخل «يزيد» على «سليمان» أكرمه وأحسن إليه، وأخذ يواسيه ويلاطفه إلا أن «الحجَّاج» لما علم بفراره مع السَّجَّان وبلغه أنه قد استجار بسليمان كتب إلى الخليفة «الوليد» بما حدث، ورجاه أن يأمر «سليمان» بإعادة «يزيد» إلى السجن. وقال له تأدُّبًا معه فى رجائه لكى يُبقيه أميرًا على العراق: وأنت يا أمير المؤمنين بعد ذلك كله أعلى منى رأيًا. وأبعد منى نظرًا، وأعرف بعواقب الأمور، فأُعجب «الوليد» بأدبه وكتب إلى أخيه «سليمان» أن يرد «يزيد» إلى السجن حفاظًا على سلامة السياسة وإبقاءً على هيبة الدولة وإلا فسدت الأمور.... وكان «سليمان» من أهل المعروف، ومن عُشاق الخير، فردَّ على الخليفة يقول: يا أمير المؤمنين، إنى لم أُجره لأفسد عليكم سياستكم ولكن لأنه هو وأهله من صنائعنا، وقد عذَّبه «الحجَّاج» حتى أضرَّ به، وقد استجار بى فأجرته، لا تهاونًا بك، ولا جرأةً عليك، فإن رأيت ألا تُخزينى فى ضيفى فافعل، فأنت أهل الفضل والمعروف.

فكتب إليه «الوليد» لابُدَّ من إرساله مُكبلًا ... وهنا تتجلى شهامة «سليمان» ومروءته، وحرصه على اصطناع المعروف، وإسداء الجميل فى

أحرج الأوقات وأضيق الظروف والأحوال.

أترون ماذا فعل بيزيد وقد ألحَّ الخليفة فى إحضاره مُكبلًا.

لقد أحضر «سليمان» ولده «أيوب» ولم يكن له ابنٌ سواه. فقيَّده ثم قيَّد «يزيد» وشدَّ وثاق كل واحدٍ منهما إلى صاحبه ثم بعث بهما معًا إلى «الوليد» وكتب مع الرسول الذى أوفدهما فى حراسته كتابًا إلى الخليفة قال فيه. بعد الديباجة أما بعد: فقد وجهت إليك «يزيد» ومعه فى وثاقٍ واحد ابن أخيك ووحيده «أيوب» وقد هممت - أعزَّك الله - أن أكون الثالث موثقًا. فإن رأيت أن تقتل «يزيد» فابدأ بابنى. والسلام على أمير المؤمنين.

فما دخل الرجلان مُكبَّلين على الخليفة أطرق برأسه حياءً، وعلتْ وجهه حُمرة الخجل، وقال لمن حوله من الأعوان والجلساء: والله لقد أسأنا إلى أبى أيوب وشققنا عليه وكلفناه ما لا يطيق، إذ بلغنا به إلى هذا الحد. فلما أنس «يزيد» بقوله: اطمأنت نفسه إلى طلب العفو والصفح. وهَمَّ بالكلام. فقال الوليد: لا تتكلم يا يزيد. الموقف لا يحتاج إلى كلام ولسان حالك أصدق وأنطق. قد علمنا ذنبك، وقَبِلنا عُذرك، وعفونا عنك، ثم أمر بإزالة القيد عنهما، وطيَّب خاطرهما بجائزة أُموية، ثم أمر كاتبه أن يكتب إلى الحجَّاج يحذره ألا يتعرض «لآل المهلب» ولا سيما «يزيد» - فكتب إليه يقول له على لسان الخليفة: لا سبيل لك على يزيد وآل يزيد... ورجع «يزيد» إلى «سليمان» مع ابنه «أيوب» فكان عنده يتقلب فى نعمته ويعيش فى صحبته حتى مات، فكان الناس يتحدثون بصنيعة سليمان إلى يزيد وأنه أسدى إليه معروفًا لا يقدر عليه غيره ولا ينهض به سواه.

جزاك الله خيرًا على إحسانك لآل بيت النبي ﷺ

❁ تروى كتب الأدب أن رجلًا من أحفاد علي بن أبي طالب رضي الله عنه ومن شيعته وأحبائه كان أيام أبي جعفر المنصور، وبلغ المنصور عنه وشاية أغضبت قلبه عليه. فجعل لمن يأتي به أو يدل عليه جائزة ثمينة قدرها خمسة آلاف دينار فلما بلغ العلوي ذلك بالغ في التخفِّي والهرب. وبينما هو في طريقه إلى مخبئه إذ فطن إليه جندي ذكي فعرفه وقبض عليه وقال: طِلبة أمير المؤمنين وحاجته وقد ظفرت بالجائزة ورب الكعبة. فأخذه ومضى إلى قصر الخلافة، فمرَّا في طريقهما على «مَعِن بن زائدة» الجواد المشهور والذي قال فيه الشاعر يرثى كرمه، ويبكي فضله وجوده.

ولما مضى معن مضى الجود وانقضى ... وأصبح عرنين المكارم أجدعا

فيا قبر مَعِن كيف واريت جوده ... وقد كان منه البر والبحر مترعا

إلى آخر ما قال في تعداد مناقبه، فلما وقعت عليه عين العلوي استجار بجاهه واستغاث بمعروفه فأسرع إلى الجندي وقال له: دع عنك هذا فهو في ذمتي وجواري. فغضب الجندي على «مَعِن». وقال له: يا سيدي، هذه طلبة أمير المؤمنين، فلا تَحُلْ بيني وبينه وإلا أخبرت الخليفة بهذا. فقال: «معن»: أنا معكما إلى أمير المؤمنين ... فلما دخلوا على الخليفة حدَّثه الجندي بفعل «مَعِن» وأنه قد تعرض له، فقال الخليفة مُغضبًا، أَوَ تجير علينا يا «معن»؟! وتؤوي أعداءنا. فقال «مَعِن»: نعم يا أمير المؤمنين أُجير عليك فاشتد غضب الخليفة عليه. وقال: ويحك يا «معن» ما الذي تقول؟! فقال: «معن» مهلًا يا أمير المؤمنين، والله لقد قتلتُ في يومٍ واحد في سبيل طاعتك

ثلاثة آلاف فضلًا عن غيره من الأيام. أفلا تروني أهلًا لأن أُجير رجلًا واحدًا استجار بي والتجأ إليَّ؟!... فسُرِّي عن الخليفة، وسكنت ثورته، واستحيا من «معن» وقال: لقد أجرنا من أجرت وتخلينا عنه.

فقال «معن»: يا أمير المؤمنين: إن رأيت أن تصل رجلًا استجار بي، وتُحسن إليه فافعل فتكون قد أجرته وأحبَّك. فأمر له بعشرة آلاف درهم فلما رأي ذلك «معن» أمر للعلوي بتسعة آلاف وقال: والله لا تكون صلتي إليك أكثر من صلة الخليفة. فإن جوائز الخلفاء على قدر جنايات الرعية، فلما أخذ المال قال له «مَعِن»: يا هذا لا تتعرض لمساخط الخلفاء، فولَّى العلوي وهو يلهج بالثناء عليه، والدعاء له، ويقول: جزاك الله عن معروفك وإحسانك إلى آل نبيك أحسن ما جازى به عباده الصالحين.

كانوا يُدعَون بالقوَّامين

۞ عن عامر بن أسلم الباهلى، عن أبيه قال: كان لنا جارية فى الحى يقال لها: هنيدة، فكانت تقوم إذا مضى من الليل ثُلثه أو نصفه فتوقظ ولدها وزوجها وخدمها، فتقول لهم: قوموا فتوضؤوا وصلّوا فستغتبطون بكلامى هذا،... فكان هذا دأبها معهم حتى ماتت، فرأى زوجها فى منامه: إن كنت تحب أن تزوَّجها هناك فأخلفها فى أهلها بمثل فعلها، فلم يزل دأب الشيخ حتى مات، فأتى أكبر ولده فى منامه، فقيل له: إن كنت تحب أن تجاور أبويك فى درجتهما من الجنة، فاخلفهما فى أهلهما بمثل عملهما. قال: فلم يزل ذلك دأبه حتى مات، فكانوا يُدعون القوّامين[1].

(١) صفة الصفوة (٤/ ٥٢١).

إن الله تعالى ناظرٌ إليك وإلى ما تعمل

۞ قال الفتح بن شَخْرَف:

تعلَّق رجلٌ بامرأةٍ في باب الشام وهو متعرِّضٌ لها بيده سكِّين لا يدنو منه أحد إلا عقَرَه، وكان الرجل شديدَ البدن، فبينا الناسُ كذلك والمرأةُ تصيح في يده: إذْ مرَّ بشر بن الحارث، فدنا منه وحكَّ كتفَهُ بكَتِفِ الرجل، فوقع الرجل إلى الأرض ومضى بِشر، فدنَوْا من الرجل وهو يرشح عرَقًا كثيرًا، ومضتِ المرأةُ لحالها، فسألوه: ما حالك؟ فقال: ما أدري، ولكن حاكَّني[١] شيخٌ وقال لي: إنَّ الله تعالى ناظرٌ إليك وإلى ما تعمل. فصُعِقَتْ لقولهِ قدَمي، وهِبتُه هيبةً شديدة، فلا أدري مَنْ ذلك الرجل. فقالوا: ذاك بِشر الحافي. فقال: واسوءتاه! كيف ينظر إليَّ بعد اليوم؟ وحُمَّ الرجل من يومه، ومات يوم السابع[٢].

---

(١) تحاكَّ الشيئان: اصطكَّ جرماهما، فحكَّ أحدهما الآخر. اللسان (حكك).

(٢) المختار من مناقب الأخيار/ لابن الأثير (١/ ٤٦٧).

خير الناس مَن طال عمره وحسن عمله

۞ إذا كان النبى ﷺ قد قال: «**خير الناس مَن طال عمره وحَسُن عمله**»(١) فقد كان إمامنا الجليل طاووس بن كيسان له أوفر الحظ والنصيب من هذا الحديث.

فقد طال عمره وحسن عمله وحفظ الله له عقله فلم يُرّد إلى أذل العمر ولم يخرف بل ظل حافظًا للكتاب والسنة عاملًا بهما حتى آخر لحظة من عمره.

۞ عن أبى عبد الله الشامى، قال: استأذنت على طاووس لأسأله عن مسألة، فخرج علىَّ شيخ كبير فظننته هو، فقال: لا، إنما أنا ابنه، قلت: إن كنت ابنه، فقد خَرِف أبوك،قال: تقول ذاك! إن العالم لا يَخْرَفُ، قال: فدخلت، فقال لى طاووس: سَلْ وأوجِز، وإن شئت علمتك فى مجلسك هذا القرآن والتوراة والإنجيل، قلت: إن علمتنيهم لا أسألك عن شىء قال: خَفِ الله مخافة لا يكون شىء عندك أخوف منه، وارجُه رجاءً هو أشد من خوفك إياه، وأحِبَّ للناس ما تُحب لنفسك(٢).

(١) رواه أحمد والترمذى وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٣٢٧٩).

(٢) السير (٥/ ٤٧).

لقد وجدت قلبي

۞ عن أبى الحسن الفارسى قال: بلغنا أن رجلًا من أصحاب ذى النون أُصيب بعقله، فكان يطوف ويقول: آهٍ أين قلبى؟ من وجد قلبى؟ من وجد قلبى؟ من وجد قلبى؟ والصبيان قد أُولعوا به يرمونه من كل جانب. فقضى أنه دخل يومًا بعض سكك مصر وقد هرب من الصبيان فجلس يستريح ساعة إذ سمع بكاء صبى تضربه والدته، ثم أخرجته من الدار وأغلقت دونه الباب، فجعل الصبى يلتفت يمينًا وشمالًا لا يدرى أين يذهب؟ وإلى أين يقصد؟ فلما سكن ما به عاد ناكصًا على عقبيه حتى رجع إلى باب دار والدته، فوضع رأسه على عتبة الدار فذهب به النوم، ثم انتبه فجعل يبكى ويقول: يا أُماه مَن يفتح لى الباب إذا أغلقتِ عنى بابك؟ ومن يدنينى من نفسه إذا طردتنى من نفسك؟ ومن الذى يربينى بعد أن غضبت علىّ؟

قال: فرحمته أمه فقامت فنظرت من خلل الباب، فوجدت ولدها تجرى الدموع على خَدَّيه متمعكًا فى التراب، ففتحت الباب وأخذته حتى وضعته فى حجرها وجعلت تُقبله وتقول: يا قرة عينى ويا عزيز نفسى، أنت الذى حملتنى على نفسك، وأنت الذى تعرضت لما حَلَّ بك، لو كنت أطعتنى لم تلقَ منى مكروهًا.

قال: فتواجد الفتى وصاح حتى اجتمع عليه الخلق، فقالوا: ما الذى أصابك؟ فقال: قد وجدت قلبى، قد وجدت قلبى ... فلما بصر بذى النون قال: يا أبا الفيض قد وجدت قلبى فى سكة كذا وكذا عند فلانة. وسمَّاها، ثم لم يزل إذا تواجد يقول ذلك[١].

---

(١) صفة الصفوة (٤/ ٤٧٣).

هكذا كانت القلوب الصافية

۞ كان عطاء بن أبى رباح من علماء مكة وأئمة الدين الأجلاء وكان له مجلسٌ فى الفقه والحديث، وآخر فى الزهد والورع، وكان كثيرًا ما يأخذه حالٌ أثناء درسه فيبكى خوفًا من عذاب الله، فيبكى أصحابه لبكائه، ثم يتفرقون عنه ويجلسون فى مجالس غيره من العلماء فلا يجدون فى دروسهم الحلاوة التى يجدونها فى دروس عطاء ولا يحسون حلاوة الكلمة وعمق العظة وحرارة الزجر التى يجدونها وهم فى مجلسه فينصرفون عن هذه الدروس ولسانهم يلهج بالثناء على عطاء حتى أوغر ذلك قلوب إخوانه عليه، وقال فى حقه سعيد بن المسيب كلامًا لم يُعجبه، قال: وأى شىء يفعله عطاء إنه بكاء ولا شىء غير ذلك، فنقل أحد التلاميذ كلمته تلك إلى عطاء ليوغر بها صدره على سعيد، وكان عطاء على علمه وزهده ودينه وورعه سمحًا متواضعًا، فقد نَهَر الساعى بينهما بالشر والمؤجج بينهما نار العداوة، وقال له: يا أخى لم تكن أمينًا على سر سعيد حتى نقلته إلىَّ ولا مراعيًا لصحبتى حتى نقلت إلىَّ ما أكره وأوغرت صدرى على عالم من فقهاء المسلمين. فإن كنت تخاف الله فلا تسعَ بين اثنين بعد يومك هذا وعُدْ إلى سعيد فقل له: إن أخاك عطاء يُقرئك السلام ويقول لك: يا أخى اشتغل بعيبك عن عيب غيرك، واعلم أن الموت يَعُمُّنا والقبر يضمنا والتراب يأكلنا، والقيامة تجمعنا، والله يحكم بيننا وهو خير الحاكمين.

فلما بلغت هذه الكلمات مسامع سعيد نالت من نفسه حتى بكى، وقال: والله لا تطمئن نفسى ولا يسكن قلبى حتى أستحلَّ عطاءً... وذهب إليه معتذرًا فتعانقا وتصافيا، وكأن لم يكن بينهما وشاية ولا عداء.

بشرى الأموات للأحياء

❁ يقول العلامة ابن قيم الجوزية رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَهَذَا بَاب طَوِيل جدًّا، فَإِن لم تسمح نَفسك بتصديقه، وَقُلت: هَذِه منامات، وَهِى غير معصومة، فَتَأمل من رأى صاحبًا لَهُ، أَو قَرِيبًا، أَو غيره، فَأخبرهُ بِأَمْرٍ لَا يعلمهُ إِلَّا صَاحب الرُّؤْيَا.

أَو أخبرهُ بِمَالٍ دَفنه، أَو حذره من أَمر يَقع، أَو بشَّره بِأَمْر يُوجد فَوَقع كَمَا قَالَ، أَو أخبرهُ بِأَنَّهُ يَمُوت هُوَ، أَو بعض أَهله إِلَى كَذَا وَكَذَا فَيَقَع كَمَا أخبر.

أَو أخبرهُ بخصب، أَو جَدب، أَو عَدو، أَو نازلة، أَو مرض، أَو بغرض لَهُ فَوَقع كَمَا أخبرهُ،... وَالْوَاقِع من ذَلِك لَا يُحْصِيه إِلَّا الله وَالنَّاس مشتركون فِيهِ وَقد رَأينَا نَحن وغيرنا من ذَاك عجائب.

وأبطل مَنْ قَالَ: أَن هَذِه كلهَا عُلُوم وعقائد فِى النَّفس تظهر لصَاحِبهَا عِنْد انْقِطَاع نَفسه عَن الشواغل الْبَدَنِيَّة بِالنَّوْم، وَهَذَا عين الْبَاطِل والمحال، فَإِن النَّفس لم يكن فِيهَا قطّ معرفَة هَذِه الْأُمُور الَّتِى يخبر بهَا الْمَيِّت، وَلَا خطرت ببالها، وَلَا عِنْدهَا عَلامَة عَلَيْهَا، وَلَا أَمارَة بِوَجْهٍ مَا، وَنحن لَا ننكر أَن الْأَمر قد يَقع كَذَلِك.

وَإِن من الرُّؤْيَا مَا يكون من حَدِيث النَّفس، وَصُورَة الِاعْتِقَاد، بل كثير من مرائى النَّاس إِنَّمَا هِىَ من مُجَرّد صور اعْتِقَادهم المطابق وَغير المطابق.

فَإِن الرُّؤْيَا على ثَلَاثَة أَنْوَاع: رُؤْيا من الله، ورؤيا من الشَّيْطَان، ورؤيا من حَدِيث النَّفس.

والرؤيا الصَّحِيحَة أَقسَام، مِنْهَا: إلهام يُلقيه الله سُبْحَانَهُ فِى قلب العَبْد، وَهُوَ كَلَام يكلم بِهِ الرب عَبده فِى الْمَنَام كَمَا قَالَ عُبَادَة بن الصَّامِت وَغَيره.

وَمِنْهَا: مثل يضْربهُ لَهُ ملك الرُّؤْيَا الْمُوكل بهَا.

وَمِنْهَا: التقاء روح النَّائِم بأرواح الْمَوْتَى من أَهله وأقاربه وَأَصْحَابه وَغَيرهم كَمَا ذكرنَا.

وَمِنْهَا: عروج روحه إِلَى الله سُبْحَانَهُ وخطابهَا لَهُ.

وَمِنْهَا: دُخُول روحه إِلَى الْجنَّة ومشاهدتها وَغير ذَلِك ... فالتقاء أَرْوَاح الْأَحْيَاء والموتى نوع من أَنْوَاع الرُّؤْيَا الصَّحِيحَة الَّتِى هِىَ عِنْد النَّاس من جنس المحسوسات[١].

---

(١) نقلًا عن الروح (ص/ ٢٨، ٢٩) لابن القيم.

الله يُكلمه بغير حجاب

وها هى أعظم منقبة لهذا الصحابى الجليل (عبد الله بن عمرو بن حرام) الذى جمع الله له مناقب كثيرة... ها هو بعد موته يكلمه ربه بغير حجاب. فعن عبد الله، قال: لما قُتل عبد الله بن عمرو بن حرام، يوم أُحدٍ، قال رسول الله ﷺ: «**يا جابر! ألا أخبرك ما قال الله ﷻ لأبيك؟**» قلت: بلى، قال: «**ما كلَّم الله أحدًا إلا من وراء حجاب، وكلَّم أباك كفاحًا**[1]**، فقال: يا عبدى، تمنَّ علىَّ أُعطك، قال: يا رب تحيينى فأُقتلُ فيك ثانيةً. قال: إنه سبق منى «أنهم إليها لا يُرجعون» قال: يا رب فأبلغ مَن ورائى، فأنزل الله ﷻ هذه الآية ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾**[2].

وفى رواية: أن جابر قال: قال لى رسول الله ﷺ: «**يا جابر أما علمت أنَّ الله - ﷻ - أحيا أباك فقال له: تَمَنَّ علىَّ، فقال: أُردُّ إلى الدنيا فأُقتل مرةً أخرى. فقال: إنى قضيت الحكم أنهم إليها لا يرجعون**»[3].

والمرء يَحارُ من كرامة الشهيد على الله.

إن أبا جابر لم يستشعر وحشةً لفراق أولاده، ولم تَستشرف نفسه للاطمئنان على فلذات كبده، بل تطلَّع للعودة إلى الدنيا كيما يذهل مرةً أُخرى عن أحبِّ شيءٍ فيها، ويتمشَّى بخُطى ثابتة إلى ساحة القتال[4].

فرضى الله عن هؤلاء الصحب الكرام، ونسأل الله أن يجمعنا بهم فى جنته ومستقر رحمته.

---

(١) كفاحًا: أى مواجهة ليس بينهما حجاب ولا رسول... وهذا بعد موته أما قبله فلا.

(٢) أخرجه الترمذى (٣٠١٣) وصححه الحاكم (٣/ ٢٠٤) ووافقه الذهبى.

(٣) رواه أحمد (٣/ ٣٦١) وقال العدوى فى فضائل الصحابة: هو صحيح لشواهده.

(٤) فى موكب الدعوة للشيخ محمد الغزالى (ص ٥٣).

روحه في جوف طيرٍ خُضرٍ تَرِدِ أنهار الجنة

۞ كان حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه أسدًا في غزوة أُحد .. وكان يقاتل قتالًا شديدًا ولكنه قُتل غدرًا عندما قتله وحشي رضي الله عنه الذي أسلم بعد ذلك ... هكذا رحل (أسد الله) عن الدنيا - ليس شهيدًا فحسب، بل سيدًا للشهداء - وفاز بتلك المنقبة العظيمة التي أخبر عنها الحبيب ﷺ بعد الغزوة.

عن ابن عباس قال: قال النبي ﷺ: «**لما أُصيب إخوانكم بأُحد جعل الله أرواحهم في أجواف طير خُضر ترد أنهار الجنة، وتأكل من ثمارها، وتأوى إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العريش، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا: مَن يُبلِّغ إخواننا عنا أننا أحياء في الجنة نُرزق لئلا ينكلوا عند الحرب ولا يزهدوا في الجهاد. قال الله: أنا أبلغهم عنكم. فأنزلت: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًا﴾**»(١)(٢).

---

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٦٩).

(٢) قال الأرناؤوط: رجاله ثقات، رواه أبو داود (٢٥٢٠) في الجهاد: باب في فضل الشهادة، والحاكم (٢/ ٨٨، ٢٩٧)، وأخرجه مسلم في صحيحه (١٨٨٧) كتاب الإمارة، من طريق الأعمش، عن عبد الله بن مرة، عن مسروق، قال: سألنا عبد الله بن مسعود عن هذه الآية: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ قال: أما إنا قد سألنا عن ذلك فقال: **أرواحهم في جوف طير خضر، لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوى إلى تلك القناديل، فاطلع إليهم ربهم اطلاعة فقال: «هل تشتهون شيئًا؟» قالوا: أي شيء نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا؟ ففعل ذلك بهم ثلاث مرات فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا قالوا: يا رب نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى. فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا**».

لقيتُ رَؤوفًا رحيمًا

۞ عن العباس عمِّ النبى ﷺ، قال: كنت أشتهى أن أرى عمر بن الخطاب فى المنام بعد موته، فما رأيته إلا عند قرب الحَوْل، فرأيته يمسح العرق عن جبينه، وهو يقول: لقيتُ رؤوفًا رحيمًا[1].

۞ وقال عبد الله بن عبيد الله بن العباس رحمه الله:

كان العباس خليلًا لعمر، فلما أُصيب عمر جعل العبَّاس يدعو الله أن يُريه عمر فى المنام. قال: فرآه بعد حولٍ، وهو يمسح العرَق عن جبينه، فقال: ما فعلت؟

قال: هذا أوان فرغت، إن كاد عرشى لَيُهَدّ لولا أنى لقيت رءوفا رحيمًا[2].

وفى رواية أخرى: لما توفى لبثت حَوْلًا أدعو الله أن يُرينيه فى المنام، فرأيته على رأس الحول، يمسح العرق عن جبهته، قال: قلت: يا أمير المؤمنين، ما فعل بك ربك؟ قال: هذا أوان فرغت، وإن كاد عرشى لَيُهَدّ لولا أنى لقيت ربى رؤوفًا رحيمًا.

---

(١) خبرٌ صحيحٌ: أخرجه ابن سعد (٣/ ٣٧٥) في طبقاته، وابن أبي الدنيا (٢٢) في المنامات.

(٢) خبرٌ صحيحٌ: أخرجه ابن شبة (٣/ ٩٤٥-٩٤٦) في تاريخ المدينة من طرقٍ عديدة.

تنفيذ وصية ثابت بن قيس بعد موته

۞ فَعَنْ عَطَاءٍ الْخُرَاسَانِيِّ قَالَ:

قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ فَسَأَلْتُ عَمَّنْ يُحَدِّثُنِي بِحَدِيثِ ثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ فَأَرْشَدُونِي إِلَى ابْنَتِهِ فَسَأَلْتُهَا فَقَالَتْ: سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ: لَمَّا أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى عَلَى رَسُولِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾[1] اشْتَدَّتْ عَلَى ثَابِتٍ وَغَلَّقَ بَابَهُ وَطَفِقَ يَبْكِي فَأُخْبِرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ فَسَأَلَهُ فَأَخْبَرَهُ بِمَا كَبُرَ عَلَيْهِ مِنْهَا فَقَالَ: أَنَا رَجُلٌ أُحِبُّ الْجَمَالَ وَأُحِبُّ أَنْ أَسُودَ قَوْمِي قَالَ: «**إِنَّكَ لَسْتَ مِنْهُمْ بَلْ تَعِيشُ بِخَيْرٍ وَتَمُوتُ بِخَيْرٍ وَيُدْخِلُكَ اللهُ ﷻ الْجَنَّةَ**». قَالَتْ: فَلَمَّا أَنْزَلَ اللهُ ﷻ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ﴾[2] فَعَمِلَ مِثْلَ ذَلِكَ فَأُخْبِرَ النَّبِيُّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ بِمَا كَبُرَ عَلَيْهِ مِنْهَا فَإِنَّهُ جَهِيرُ الصَّوْتِ وَأَنَّهُ يَتَخَوَّفُ أَنْ يَكُونَ مِمَّنْ حَبِطَ عَمَلُهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّكَ لَسْتَ مِنْهُمْ بَلْ تَعِيشُ بِخَيْرٍ وَتُقْتَلُ شَهِيدًا وَيُدْخِلُكَ اللهُ ﷻ الْجَنَّةَ**»[3]. فَلَمَّا اسْتَنْفَرَ أَبُو بَكْرٍ ﵁ الْمُسْلِمِينَ إِلَى أَهْلِ الرِّدَّةِ وَالْيَمَامَةِ وَمُسَيْلِمَةَ الْكَذَّابِ سَارَ ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ فِيمَنْ سَارَ، فَلَمَّا لَقُوا مُسَيْلِمَةَ وَبَنِي حَنِيفَةَ هَزَمُوا الْمُسْلِمِينَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فَقَالَ ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ وَسَالِمٌ مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ: مَا هَكَذَا كُنَّا نُقَاتِلُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَحَفَرَا لِأَنْفُسِهِمَا حُفْرَةً فَدَخَلَا

---

(١) سورة لقمان: الآية: (١٨).

(٢) سورة الحجرات: الآية: (٢).

(٣) حديثٌ حسنٌ: أخرجه الحاكم (٣/ ٢٣٥)، والطبراني (١٣٢٠) في الكبير.

وأخرج له البشارة بالجنة: البخاري (٣٦١٣)، ومسلم (١١٩) من حديث أنس، وأصل الحديث في الصحيح غير قصة الدرع، أخرجه البخاري (٤٨٤٦)، ومسلم (١١٩).

فِيهِ فَقَاتِلَا حَتَّى قُتِلَا، قَالَتْ: وَرَأَى رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ثَابِتَ بْنَ قَيْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي مَنَامِهِ فَقَالَ: إِنِّي لَمَّا قُتِلْتُ بِالْأَمْسِ مَرَّ بِي رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَانْتَزَعَ مِنِّي دِرْعًا نَفِيسَةً وَمَنْزِلُهُ أَقْصَى الْعَسْكَرِ، وَعِنْدَ مَنْزِلِهِ فَرَسٌ يَسِيرُ فِي طِوَلِهِ وَقَدْ أَكْفَى عَلَى الدِّرْعِ بُرْمَةً وَجَعَلَ فَوْقَ الْبُرْمَةِ رَحْلًا فَأْتِ خَالِدًا فَلْيَبْعَثْ إِلَى دِرْعِي فَلْيَأْخُذْهَا فَإِذَا قَدِمْتَ عَلَى خَلِيفَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَأَعْلِمْهُ أَنَّ عَلَيَّ مِنَ الدَّيْنِ كَذَا وَلِي مِنَ الْمَالِ كَذَا وَفُلَانٌ مِنْ رَقِيقِي عَتِيقٌ ... وَإِيَّاكَ أَنْ تَقُولَ هَذَا حُلُمٌ فَتُضِيعَهُ، فَأَتَى خَالِدًا فَبَعَثَ إِلَى الدِّرْعِ فَوَجَدَهَا كَمَا ذَكَرَ وَقَدِمَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَأَخْبَرَهُ فَأَنْفَذَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَصِيَّتَهُ ... وَلَا يُعْلَمُ أَنَّ أَحَدًا جَازَتْ وَصِيَّتُهُ بَعْدَ مَوْتِهِ إِلَّا ثَابِتَ بْنَ قَيْسٍ بن شماس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

كان يدفع الدنيا بالراحتين

۞ عن عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ الْأَشْجَعِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ:

«رَأَيْتُ فِي الْمَنَام كَأَنِّي أَتَيْتُ بُرْجًا أَخْضَرَ، فِيهِ قُبَّةٌ مِنْ أَدَمٍ، حَوْلَهَا غَنَمٌ رُبْضٌ[١] يَحْثُو[٢] وَيَثْعَرُ، قُلْتُ: لِمَنْ هَذِهِ؟

فَقِيلَ: لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، فَانْتَظَرْتُهُ حَتَّى خَرَجَ مِنَ الْقُبَّةِ، قَالَ: يَا عَوْفُ بْنَ مَالِكٍ، هَذَا لِقِيَامِكَ لِلَّهِ بِالْقُرْآنِ، وَلَوْ أَشْرَفْتَ عَلَى هَذِهِ الْبَنِيَّةِ لَرَأَيْتَ مَا لَمْ تَرَ عَيْنُكَ، وَلَسَمِعْتَ مَا لَمْ تَسْمَعْ أُذُنُكَ، وَلَمْ يَخْطِرْ عَلَى قَلْبِكَ، أَعَدَّهُ اللهُ لِأَبِي الدَّرْدَاءِ لِأَنَّهُ كَانَ يَدْفَعُ الدُّنْيَا بِالرَّاحَتَيْنِ[٣].

---

(١) ربض: يقال: ربضت الغنم وغيرها من الدواب ربضًا، وربوضًا، طوت قوائما، ولصقت بالأرض وأقامت.

(٢) يحثو: الحثا: التراب المحثُوُّ، وحثا التراب حثوًا: انهال.

(٣) خبرٌ حسنٌ: أخرجه ابن أبي الدنيا (٢٤) في المنامات.

ذلك عمله

فعن خارجة بن زيد بن ثابت: أن أم العلاء -امرأة من نسائهم بايعت النبى ﷺ- أخبرته أن عثمان بن مظعون طار لهم فى السكنى حيث اقترعت الأنصار على سُكنى المهاجرين. قالت أم العلاء: فاشتكى عثمان بن مظعون طار لهم فى السُّكنى حيث اقترعت الأنصار على سُكنى المهاجرين. قالت أم العلاء: فاشتكى عثمان عندنا فمرَّضته حتى تُوفى، وجعلناه فى أثوابه فدخل علينا النبى ﷺ فقلت: رحمة الله عليك أبا السائب (عثمان بن مظعون) شهادتى عليك لقد أكرمك الله. فقال النبى ﷺ: «**وما يُدريك أن الله أكرمه؟**» قالت: قلت: لا أدرى بأبى أنت وأمى يا رسول الله فمن؟ قال: «**أما هو فقد جاءه والله اليقين، والله إنى لأرجو له الخير، وما أدرى والله -وأنا رسول الله- ما يُفعل بى**». قالت: فوالله لا أزكِّى أحدًا بعده قالت: فأحزننى ذلك فنمت فرأيت لعثمان عينًا تجرى فجئت رسول الله ﷺ وأخبرته فقال: «**ذلك عمله**»[1].

---

(١) صحيح: أخرجه البخارى (٣٩٢٩) كتاب المناقب.

هو كما قالت

۞ عَنْ أَنَسٍ، قَالَ:

كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُعْجِبُهُ الرُّؤْيَا الْحَسَنَةُ، فَكَانَ فِيمَا يَقُولُهُ:

«**هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمْ رُؤْيَا؟**»، فَإِذَا رَأَى الرَّجُلُ الَّذِى لَا يَعْرِفُهُ الرُّؤْيَا سَأَلَ عَنْهُ فَإِنْ أَخْبَرَ عَنْهُ بِمَعْرُوفٍ كَانَ أَعْجَبَ لِرُؤْيَاهُ، قَالَ: فَجَاءَتِ امْرَأَةٌ فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللهِ رَأَيْتُ فِيَ الْمَنَام كَأَنِّى خَرَجْتُ فَأُدْخِلْتُ الْجَنَّةَ، فَسَمِعْتُ وَجْبَةً - سقطة- ارْتَجَّتْ لَهَا الْجَنَّةُ، فَإِذَا أَنَا بِفُلَانٍ وَفُلَانٍ، حَتَّى عَدَّتِ اثْنَىْ عَشَرَ رَجُلًا، وَقَدْ بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ سَرِيَّةً قَبْلَ ذَلِكَ فَجِيءَ بِهِمْ وَعَلَيْهِمْ ثِيَابٌ طُلْسٌ [١] تَشْخَبُ [٢] أَوْدَاجُهُمْ [٣]، فَقِيلَ: اذْهَبُوا بِهِمْ إِلَى نَهرِ الْبَيْدَخِ، فَغُمِسُوا فِيهِ فَأُخْرِجُوا وَوُجُوهُهُمْ كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، وَأُتُوا بِكَرَاسِيَّ مِنْ ذَهَبٍ فَأُقْعِدُوا عَلَيْهَا، وَجِيءَ بِصَحْفَةٍ مِنْ ذَهَبٍ فِيهَا بُسْرَةٌ، فَأَكَلُوا مِنَ الْبُسْرَةِ [٤] مَا شَاءُوا، فَمَا يُقْلِبُونَهَا لِوَجْهٍ مِنْ وَجْهٍ إِلَّا أَكَلُوا مِنْ فَاكِهَةٍ مَا شَاءُوا، قَالَتْ: وَأَكَلْتُ مَعَهُمْ فَجَاءَ الْبَشِيرُ مِنْ تِلْكِ السَّرِيَّةِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَأُصِيبَ فُلَانٌ وَفُلَانٌ حَتَّى عَدَّ اثْنَىْ عَشَرَ رَجُلًا فَقَالَ: «**عَلَيَّ بِالْمَرْأَةِ**»، فَقَالَ: «**قُصِّى رُؤْيَاكِ عَلَى هَذَا**» [٥]، فَقَالَ الرَّجُلُ: هُوَ كَمَا قَالَتْ أُصِيبَ فُلَانٌ وَفُلَانٌ.

---

(١) طَلَسَ طَلَسًا وطلسة صار أطلس، يعني: أغبر إلى السواد، والمراد أن ثيابهم متسخة.

(٢) تشخب: تسيل، والشخب: السيلان.

(٣) أوداج: هي ما أحاط بالعنق من العروق التي يقطعها الذابح.

(٤) البسرة: البُسرُ: ثمر النخل قبل أن يُرطب، والبسر: الغضُّ الطري من كل شيء.

(٥) حديثٌ صحيحٌ: أخرجه أحمد (٣/ ١٣٥، ٢٥٧)، وأبو يعلى (٦/ ٤) في مسنده، وابن أبي الدنيا (٣١١) في المنامات، وابن حبان (٦٠٢٢)، وقال الهيثمي كما في المجمع (٧/ ١٧٥): رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

الحمد لله الذي صدقنا وعده

۞ يروى عن عبد الرحمن بن غنم أنه قَالَ:

رَأَيْت معَاذ بن جبل بعد وَفَاته بِثَلَاثٍ على فرسٍ أبلقٍ وَخَلفه كرجال أهل مِنى رجالٌ بيض وَعَلَيْهِم ثِيَابٌ خُضر على خيلٍ بُلقٍ وَهُوَ قُدامهم وَهُوَ يَقُول:

﴿يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ۝٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ﴾[1] ثُمَّ الْتفت يَمِينه وشماله يَقُول:

يَا ابْن رَوَاحَة ... يَا ابْن مَظْعُون: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعۡدَهُۥ وَأَوۡرَثَنَا ٱلۡأَرۡضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلۡجَنَّةِ حَيۡثُ نَشَآءُۖ فَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ﴾[2].

قَالَ: ثمَّ صَافَحَنِي وَسلم عَليّ[3].

---

(١) سورة يس: الآيتان: (٢٦-٢٧).

(٢) سورة الزمر: الآية: (٧٤).

(٣) أورده عبد الحق (ص/ ١٣٠) برقم (٢١١) في العاقبة.

أيُنا مات قبل صاحبه فليتراءى له

۞ قال الصعب بن جثامة لعَوْف بْن مَالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا:

أي أخي.. أَيُّنَا مَاتَ قبل صَاحبه فليتراءى لَهُ. قَالَ: أَوَ يكون ذَلِك؟

قَالَ: نعم ... فَمَاتَ صَعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَرَآهُ عَوْف فِيمَا يرى النَّائِم كَأَنَّهُ قد أتاه.

قَالَ: قلت: أي أخي. قَالَ: نعم. قلت: مَا فُعل بكم.

قَالَ: غُفر لنا بعد المصائب.

قَالَ: وَرَأَيْت لمْعَة سَوْدَاء فِي عُنُقه، فقلت: أي أخي مَا هَذَا؟

قَالَ: عشرَة دَنَانِير استسلفتها من فلَان الْيَهُودِيّ فهن فِي قَرْني فَأَعْطوهُ إِيَّاهَا وَاعلم أخي أنه لم يحدث فِي أهلي حدث بعد موتي إِلَّا قد لحق بي خبره حَتَّى هرة لنا مَاتَت مُنْذُ أَيَّام وَاعْلَم أَن بنتي تَمُوت إِلَى سِتَّة أَيَّام فاستوصوا بهَا مَعْرُوفا.

قال: فَلَمَّا أَصبَحت قلت إِن فِي هَذَا لمَعْلَمًا فَأتيت أَهله.

فَقَالُوا: مرْحَبًا بعوف أهكذا تَصْنَعُونَ بتركة إِخْوَانكُمْ ... لم تقربنا مُنْذُ مَاتَ صَعب؟!

قَالَ: فاعتللت بِمَا يعتلّ بِهِ النَّاس، فَنظَرت إِلَى الْقرن، فأنزلته فانتشلت مَا فِيهِ، فَبدرت الصرة الَّتِي فِيهَا الدَّنَانِير.. فَبعثت بهَا إِلَى الْيَهُودِيّ، فجاء فَقلت: هَل كَانَ لَك على صَعب شَيْء؟

قَالَ: رَحِم الله صعبا كَانَ من خِيَار أَصْحَاب محمد ﷺ ... هي لَهُ.

قلت: لتخبرني؟ قَالَ: نعم أسلفته عشرَة دَنَانِير، فنبذتها إِلَيْهِ، قَالَ: هي وَالله بِأَعْيَانِهَا.

قَالَ: قلت: هَذِه وَاحِدَة.

ثم قَالَ لأهله: هَل حدث فِيكُم حدث بعد موته؟

قَالُوا: نعم حدث فِينَا كَذَا، حدث فِينَا كَذَا، فقلت: اذْكروا.

قَالُوا: نعم، هرة مَاتَت مُنْذُ أيام. فَقلت: هَاتَانِ اثْنَتَانِ.

قلت: أَيْن ابنة أخى؟

فقَالُوا: تلعب فَأتيت بهَا، فمسستها فَإِذا هى محمومة.

فَقلت: اسْتَوْصُوا بهَا خيرًا.

قال: فَمَاتَتْ فِى سِتَّة أَيَّام[1].

❁ قال الإمام ابن قيم الجوزية رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَهَذَا من فقه عَوْف رَحِمَهُ ٱللَّهُ وَكَانَ من الصَّحَابَة حَيْثُ نفَّذ وَصِيَّة الصعب ابن جثامة بعد مَوته وَعلم صِحَة قَوْله بالقرائن الَّتِى أخبرهُ بهَا من أَن الدَّنَانِير عشرَة وهى فِى الْقرن ثمَّ سَأَلَ اليهودى فطابق قَوْله لما فِى الرُّؤْيَا فَجزم عَوْف بِصِحَّة الْأَمر فَأعْطى الْيَهُودِيّ الدَّنَانِير وَهَذَا فقه إِنَّمَا يَلِيق بأفقه النَّاس وأعلمهم وهم أَصْحَاب رَسُول الله ﷺ وَلَعَلَّ أَكثر الْمُتَأَخِّرين يُنكر ذَلِك وَيَقُول كَيفَ جَازَ لعوف أَن ينْقل الدَّنَانِير من تَرِكَة صَعب وهى لأيتامه وورثته إِلَى يهودى بمنام.

وَنَظِير هَذَا من الْفِقْه الَّذِى خَصَّهم بِهِ دون النَّاس قصَّة ثَابت بن قيس بن شماس وَقد ذكرهَا أَبُو عمر بن عبد الْبر وَغَيره[2].

---

(١) نقلًا عن الروح (ص ١٤).

(٢) نقلًا عن الروح (ص ١٤).

بشرى النبي ﷺ للحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ

۞ عَنْ إِسْحَاق بْنِ الرَّبِيعِ أَبُو حَمْزَةَ الْعَطَّارُ، قَالَ:

بَيْنَا أَنَا عِنْدَ الْحَسَنِ، إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا أَبَا سَعِيدٍ إِنِّي رَأَيْتُ الْبَارِحَةَ فِيمَا يَرَى النَّائِمُ النَّبِيَّ ﷺ مِمَّا يَلِي مَرْجِيَّةَ بَنِي سُلَيْمٍ فِي أُنَاسٍ وَعَلَيْكَ جُبَّةٌ مِنْ بُرُودٍ، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَذَا الْحَسَنُ مُقْبِلٌ، قَالَ: قُولُوا لَهُ أَبْشِرْ ثُمَّ أَبْشِرْ ثُمَّ أَبْشِرْ،... فَدَمَعَتْ عَيْنُ الْحَسَنِ وَقَالَ: أَقَرَّ اللهُ عَيْنَكَ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ رَآنِي فِي الْمَنَامِ فَقَدْ رَآنِي، لَيْسَ لِلشَّيْطَانِ أَنْ يَتَمَثَّلَ فِي صُورَتِي»(١).

بشرى الحسن البصري لمالك بن دينار

۞ قالَ مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ:

رَأَيْتُ الْحَسَنَ فِي مَنَامِي مُشْرِقَ اللَّوْنِ شَدِيدَ بَيَاضِ الْوَجْهِ، تَبْرُقُ مَجَارِي دُمُوعِهِ مِنْ شِدَّةِ بَيَاضِهَا عَلَى سَائِرِ وَجْهِهِ.

قَالَ: فَقُلْتُ: يَا أَبَا سَعِيدٍ أَلَسْتَ عِنْدَنَا مِنَ الْمَوْتَى؟ قَالَ: بَلَى، قَالَ: قُلْتُ: فَمَاذَا صِرْتَ إِلَيْهِ بَعْدَ الْمَوْتِ فِي الْآخِرَةِ، فَوَاللهِ لَقَدْ طَالَ حَزَنُكَ وَبُكَاؤُكَ أَيَّامَ الدُّنْيَا، قَالَ: فَقَالَ مُبْتَسِمًا: رَفَعَ اللهُ لَنَا ذَلِكَ الْحَزَنَ وَالْبُكَاءَ، عَلِمَ الْهِدَايَةَ إِلَى طَرِيقِ مَنَازِلِ الْأَبْرَارِ، فَحَلَلْنَا بِثَوَابِهِ مَنَازِلَ الْمُتَّقِينَ، وَأَيْمُ اللهِ إِنَّ ذَلِكَ الْأَمْرَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْنَا. قَالَ: فَقُلْتُ: فَمَاذَا تَأْمُرُنِي بِهِ يَا أَبَا سَعِيدٍ؟ قَالَ: مَا آمُرُكَ بِهِ: أَطْوَلُ النَّاسِ حَزَنًا فِي الدُّنْيَا أَطْوَلُهُمْ فَرَحًا فِي الْآخِرَةِ(٢).

---

(١) حديثٌ صحيحٌ: أخرجه البخاري (١١٠)، ومسلم (٢٢٦٦).

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا (٣٩) في المنامات بسندٍ حسنٍ.

۞ وليس معنى ذلك أن يكون المسلم كئيبًا عابس الوجه وإنما المراد أن يكون المسلم خاشعًا خائفًا من الله (جل وعلا).

الباقيات الصالحات

قال ﷺ: «لَأَنْ أَقُولَ سُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ»(١).

وقال ﷺ: «لَقِيتُ إِبْرَاهِيمَ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَقْرِئْ أُمَّتَكَ مِنِّي السَّلَامَ وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ الجَنَّةَ طَيِّبَةُ التُّرْبَةِ عَذْبَةُ المَاءِ، وَأَنَّهَا قِيعَانٌ، وَأَنَّ غِرَاسَهَا سُبْحَانَ اللهِ وَالحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ»(٢).

۞ قَالَ عَلِيُّ بْنُ نَصْرٍ: رَأَيْتُ الْخَلِيلَ بْنَ أَحْمَدَ فِي النَّوْمِ قَالَ: فَقُلْتُ فِي الْمَنَامِ لَا أَرَى أَحَدًا هُوَ أَعْقَلُ مِنَ الْخَلِيلِ.

فَقُلْتُ: مَا صَنَعَ اللهُ بِكَ؟

قَالَ: أَرَأَيْتَ الَّذِي كُنَّا فِيهِ، فَإِنَّهُ لَمْ يَكُ بِشَيْءٍ لَمْ نَجِدْ شَيْئًا أَفْضَلَ مِنْ سُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ(٣).

قال ﷺ: «أَحَبُّ الْكَلَامِ إِلَى اللهِ أَرْبَعٌ: سُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ. لَا يَضُرُّكَ بِأَيِّهِنَّ بَدَأْتَ»(٤).

وقال رسول الله ﷺ: «مَا عَلَى الْأَرْضِ رَجُلٌ يَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٦٩٥) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

(٢) حسن: رواه الترمذي، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٥١٥٢).

(٣) خبر حسن: أخرجه ابن أبى الدنيا (٧٣) فى المنامات بسندٍ حسنٍ.

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢١٣٧).

أَكْبَرُ، وَسُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، إِلَّا كُفِّرَتْ عَنْهُ ذُنُوبُهُ، وَلَوْ كَانَتْ أَكْثَرَ مِنْ زَبَدِ الْبَحْرِ»[١].

قال رسول الله ﷺ: «الْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ: قَوْلُ الْعَبْدِ: سُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلا إِلَهَ إِلا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلا بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ»[٢].

غُفر لي ورب الكعبة

۞ عَنْ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي الْمَنَامِ وَأَبُو بكر وعمر جالسان عنده، فسلَّمت عليه وَجَلَسْتُ، فَبَيْنَمَا أَنَا جَالِسٌ إِذْ أُتى بَعَلِيٍّ وَمُعَاوِيَةَ، فَأُدْخِلَا بَيْتًا وَأُجِيفَ -أُغلق- عليهما الْبَابُ وَأَنَا أَنْظُرُ، فَمَا كَانَ بِأَسْرَعَ مِنْ أَنْ خَرَجَ عَلِيٌّ وَهُوَ يَقُولُ: قُضِيَ لِي وَرَبِّ الْكَعْبَةِ، ثُمَّ مَا كَانَ بِأَسْرَعَ مِنْ أَنْ خَرَجَ مُعَاوِيَةُ وَهُوَ يَقُولُ: غُفِرَ لِي وَرَبِّ الْكَعْبَةِ[٣].

۞ وَعَن عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ رضي الله عنه، قَالَ:

رَأَيْتُ أَبِي فِي النَّوْمِ بَعْدَ مَوْتِهِ كَأَنَّهُ فِي حَدِيقَةٍ فَرَفَعَ إِلَيَّ تُفَّاحَاتٍ فَأَوَّلْتُهُنَّ بِالْوَلَدِ، فَقُلْتُ: أَيَّ الْأَعْمَالِ وَجَدْتَ أَفْضَلَ؟ قَالَ: الِاسْتِغْفَارُ يَا بُنَيَّ[٤].

---

(١) حسن: رواه الترمذي، وحسنه الألباني رحمه الله في صحيح سنن الترمذي.

(٢) صحيح: رواه أحمد، وصححه الألباني رحمه الله في الصحيحة (٣٢٦٤).

الباقيات الصالحات: أي: التي تنفع صاحبها بعد موته.

(٣) خبر حسن: أخرجه ابن أبي الدنيا (١٢٤) في المنامات، وأورده ابن القيم (ص/ ٣٤) في الروح، وسنده حسن.

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا (٢٦) في المنامات، وابن الجوزي (ص/ ٢٨٧) في «مناقب عمر»، وأورده ابن القيم (ص/ ٢٨) في الروح.

أنزلني الكريم دار السرور

۞ عن أَسْلمُ بْنُ زُرْعَةَ بْنِ حَمَّادٍ أَبُو الْمَرْضِيِّ... شَيْخٌ بِعَبَادَانَ لَهُ عِبَادَةٌ وَفَضْلٌ قَالَ:

«مَلِحَ الْمَاءُ عِنْدَنَا مُنْذُ نَيِّفٍ وَسِتِّينَ سَنَةً وَكَانَ هَهُنَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ السَّاحِلِ لَهُ فَضْلٌ قَالَ:

وَلَمْ يَكُنْ فِى الصَّهَارِيجِ شَىْءٌ وَحَضَرَتِ الْمَغْرِبُ فَهَبَطْتُ لِأَتَوَضَّأُ لِلصَّلَاةِ مِنَ النَّهَرِ، وَذَلِكَ فِى رَمَضَانَ وَحَرٌّ شَدِيدٌ، فَإِذَا أَنَا بِهِ وَهُوَ يَقُولُ:

سَيِّدِى أَرَضِيتَ عَمَلِى حَتَّى أَتَمَنَّى عَلَيْكَ أَمْ رَضِيتَ طَاعَتِى حَتَّى أَسْأَلَكَ؟

سَيِّدِى لَوْلَا أَنِّى أَخَافُ غَضَبَكَ لَمْ أَذُقِ الْمَاءَ وَلَقَدْ أَجْهَدَنِى الْعَطَشُ.

قَالَ: ثُمَّ أَخَذَ بِكَفَّيْهِ فَشَرِبَ شُرْبًا صَالِحًا، فَتَعَجَّبْتُ مِنْ صَبْرِهِ عَلَى مُلُوحَتِهِ فَأَخَذْتُ مِنَ الْمَوْضِعِ الَّذِى أَخَذَ، فَإِذَا هُوَ بِمَنْزِلَةِ السُّكَّرِ فَشَرِبْتُ حَتَّى رُوِيتُ.

قَالَ: أَبُو الْمَرْضَى فَقَالَ لِى هَذَا الشَّيْخُ يَوْمًا: رَأَيْتُ فِيمَا يَرَى النَّائِمُ كَأَنَّ رَجُلًا يَقُولُ لِى:

قَدْ فَرَغْنَا مِنْ بِنَاءِ دَارِكَ لَوْ رَأَيْتَهَا قَرَّتْ عَيْنَاكَ وَقَدْ أَمَرْنَا بِنَجْدِهَا وَالْفَرَاغِ مِنْهَا إِلَى سَبْعَةِ أَيَّامٍ، وَاسْمُهَا، فَأَبْشِرْ بِخَيْرٍ ...فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ السَّابِعُ وَهُوَ يَوْمُ الْجُمْعَةِ بَكَّرَ لِلْوُضُوءِ فَنَزَلَ فِى النَّهَرِ وَقَدْ مَدَّ فَزَلَقَ فَغَرِقَ فَأَخْرَجْنَاهُ بَعْدَ الصَّلَاةِ فَدَفَنَّاهُ.

قَالَ أَبُو الْمَرْضِيِّ: فَرَأَيْتُهُ بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِى النَّوْمِ وَهُوَ يَجِىءُ إِلَى الْقَنْطَرَةِ

وَهُوَ يُكَبِّرُ وَعَلَيْهِ حُلَلٌ خُضْرٌ فقَالَ لِى: يَا أَبَا الْمَرْضِىِّ أَنْزَلَنِى الْكَرِيمُ دَارَ السُّرُورِ فَمَا أَعَدَّ لِى فِيهَا ؟

فَقُلْتُ: صِفْ لِى.

فَقَالَ: هَيْهَاتَ يَعْجَزُ الْوَاصِفُونَ عَنْ أَنْ تَنْطِقَ أَلْسِنَتُهُمْ بِمَا فِيهَا فَاكْتَسِبْ مِثْلَ الَّذِى اكْتَسَبْتَ، وَليْتَ أَنَّ عِيَالِىَ يَعْلَمُونَ أَنْ قَدْ هُيِّئَ لَهُمْ مَنَازِلهم مَعِى فِيهَا كُلُّ مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ ... نَعَمْ وَإِخْوَانِى وَأَنْتَ مَعَهُمْ إِنْ شَاءَ اللهُ، ثُمَّ انْتَبَهْتُ»[1].

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا (٢٠٢) في المنامات، وابن الجوزي (٤/ ٥٩) في صفة الصفوة، وفيه من لم أجده.

«أمرنا بنجدها»: تزيينها.

«مُدّ» أي: زاد الماء وارتفع.

كان يختم القرآن كل ليلة

۞ عن الهيثم بن خارجة قال:

رأيت أبا بكر بن عياش فى النوم، قُدَّامه طبق رُطَب مسكَّر.

فقلت له: يا أبا بكر ألا تدعونا وقد كنت سخيًّا على الطعام؟

فقال لى: يا هيثم هذا طعام أهل الجنة لا يأكله أهل الدنيا.

قال: قلت: وبِمَ نلت هذا؟

قال: تسألنى عن هذا وقد مضت علىَّ ستٌّ وثمانون سنة أختم فى كل ليلة منها القرآن؟[١]

۞ قال مؤرخ الإسلام الذهبى رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَقَدْ رُوِىَ مِنْ وُجُوهٍ مُتَعَدِّدَةٍ أَنَّ أَبَا بَكْرِ بنَ عَيَّاشٍ مَكَثَ نَحْوًا مِنْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَخْتِمُ القُرْآنَ فِى كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ مَرَّةً.

وَهَذِهِ عِبَادَةٌ يُخْضَعُ لَهَا، وَلَكِنَّ مُتَابَعَة السُّنَّةِ أَوْلَى، فَقَدْ صَحَّ أَنَّ النَّبِىَّ ﷺ نَهَى عَبْدَ اللهِ بنَ عَمْرٍو أَنْ يَقْرَأَ القُرْآنَ فِى أَقَلَّ مِنْ ثَلاَثٍ[٢].

وَقَالَ ﷺ: «**لم يفقه مَنْ قَرَأَ القُرْآنَ فِى أَقَلَّ مِنْ ثَلاَثٍ**»[٣].

---

(١) خبرٌ حسنٌ: أخرجه أبو نعيم (٨/ ٣٠٣) في الحلية، وابن الجوزي (٣/ ١٦٦) في صفة الصفوة.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٤٧٦٧)، ومسلم (١١٥٩).

(٣) صحيحٌ: رواه أبو داود، والترمذي، وابن ماجه، وصححه الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في المشكاة (٢٢٠١).

لم يُرَ مثل الكريم إذا حلَّ به مطيع

۞ قَالَ وَالاَنَ القَزْوِينى، وَكَانَ مِنَ الصَّالِحِينَ:

اغْتَرَّنِى الْقَمَرُ لَيْلَةً فَخَرَجْتُ إِلَى الْمَسْجِدِ فَصَلَّيْتُ مَا قَضَى اللهُ لِى وَسَبَّحْتُ وَدَعَوْتُ فَغَلَبَتْنِى عَيْنَاىَ فَنِمْتُ، فَرَأَيْتُ جَمَاعَةً أَعْلَمُ أَنَّهُمْ لَيْسُوا مِنَ الْآدَمِيِّينَ بِأَيْدِيهِمْ أَطْبَاقٌ عَلَيْهَا أَرْبَعَةُ أَرْغِفَةٍ بِبَيَاضٍ مِثْلُ الثَّلْجِ فَوْقَ كُلِّ رَغِيفٍ دُرٌّ مِثْلُ الرُّمَّانِ فقَالُوا: كُلْ، فَقُلْتُ: إِنِّى أُرِيدُ الصَّوْمَ، قَالُوا: يَأْمُرُكَ صَاحِبُ هَذَا الْبَيْتِ أَنْ تَأْكُلَ، فَأَكَلْتُ وَجَعَلْتُ آخُذُ ذَلِكَ الدُّرَّ لِأَحْتَمِلَهُ، فَقِيلَ لِى: دَعْهُ نَغْرِسُهُ لَكَ شَجَرًا يُنْبِتُ لَكَ خَيْرًا مِنْ هَذَا، قُلْتُ: أَيْنَ؟ قَالُوا: فِى دَارٍ لَا تَخْرَبُ وَثَمَرٍ لَا يَتَغَيَّرُ وَمُلْكٍ لَا يَنْقَطِعُ وَثِيَابٍ لَا تَبْلَى فِيهَا رَضْوَى وَعَيْنًا، وَقُرَّةُ الْعَيْنِ أَزْوَاجٌ رَضِيَّاتٌ مَرْضِيَّاتٌ رَاضِيَاتٌ لَا يَغِرْنَ وَلَا يُغَرْنَ عَلَيْكَ بِالِانْكِمَاشِ فِيمَا أَنْتَ فِيهِ، فَإِنَّمَا هِىَ غَفْوَةٌ حَتَّى تَرْتَحِلَ فَتَنْزِلَ الدَّارَ قَالَ: فَمَا مَكَثَ إِلَّا جُمْعَتَيْنِ حَتَّى تُوُفِّىَ،... قَالَ السَّرِىُّ بْنُ يَحْيَى فَرَأَيْتُهُ فِى اللَّيْلَةِ الَّتِى تُوُفِّىَ فِيهَا وَهُوَ يَقُولُ: أَلَا تَعْجَبُ مِنْ شَجَرٍ غُرِسَ لِى يَوْمَ حَدَّثْتُكَ وَقَدْ حَمَلَ ... قُلْتُ: حَمَلَ مَاذَا؟... قَالَ: لَا تَسْأَلْ عَمَّا لَا يَقْدِرُ عَلَى صِفَتِهِ أَحَدٌ وَلَمْ يُرَ مِثْلُ الْكَرِيمِ إِذَا حَلَّ بِهِ مُطِيعٌ"[1].

---

(١) خبرٌ حسنٌ: أخرجه ابن أبى الدنيا (٢٠٠) في المنامات، وأخرجه ابن الجوزي (٤/ ٨٠) في صفة الصفوة، وأورده السيوطي (ص/ ٢٧٩) في شرح الصدور.

حُسن ظنِّه بالله نجَّاه

۞ قال أبو عبد الله الحافظ:

رأيت أبا الحسن أحمد بن محمد بن عبدوس الطرائفى المُحدث فى المنام صبيحة يوم الثلاثاء، العاشر من ربيع الآخر سنة خمسين وثلاثمائة، وعليه أثوابٌ بيض، وهو أبيض الرأس واللحية، يُحدِّث وبين يديه جماعة يكتبون عنه... فذكر قصة.

قال: ثم قلت له: ها هنا مجالس فى الحديث؟ قال: نعم. قلت: أرأيت أبا عبد الله الشافعى؟

فقال: نعم، نحن لا ننزف عنده مجمع القول. قلت: فمالك بن أنس؟ قال: فوقهم بدرجات. قلت: فأبو عبد الله: أحمد بن حنبل؟

فقال: أقربهم إلى الله وسيلة.

قلت: فأبو بكرنا؟ يعنى: أبا بكر بن إسحاق الضبعى، فضحك ثم قال: حُسن ظنه بالله نَجَّاه[1].

بُشرى عظيمة لمحمد بن المنكدر

۞ عن الْمُنْكَدِرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ، قَالَ:

«رَأَيْتُ فِى مَنَامِى كَأَنِّى دَخَلْتُ مَسْجِدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَإِذَا النَّاسُ مُجْتَمِعُونَ عَلَى رَجُلٍ فِى الرَّوْضَةِ فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟

فَقِيلَ: رَجُلٌ قَدِمَ مِنَ الْآخِرَةِ يُخْبِرُ النَّاسَ عَنْ مَوْتَاهُمْ.

(١) خبرٌ صحيحٌ: أخرجه البيهقي (٢/ ٣٠٣-٣٠٤) في السابق.

قَالَ: فَجِئْتُ أَنْظُرُ فَإِذَا الرَّجُلُ صَفْوَانُ بْنُ سُلَيْمٍ.

قَالَ: وَالنَّاسُ يَسْأَلُونَهُ وَهُوَ يُخْبِرُهُمْ.

قَالَ: فَقَالَ: أَمَا هَاهُنَا أَحَدٌ يَسْأَلُنِى عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ ؟

قَالَ: فَطَفِقَ النَّاسُ يَقُولُونَ: هَذَا ابْنُهُ، هَذَا ابْنُهُ.

قَالَ: فَفَرَجْتُ النَّاسَ فَقُلْتُ: أَخْبِرْنَا رَحِمَكَ اللهُ.

قَالَ: أَعْطَاهُ اللهُ مِنَ الْجَنَّةِ كَذَا، وَأَعْطَاهُ كَذَا، وَأَعْطَاهُ وَأَرْضَاهُ وَأَسْكَنَهُ مَنَازِلَ فِى الْجَنَّةِ وَبَوَّأَهُ فَلَا ظَعْنَ عَلَيْهِ وَلَا مَوْتَ»[١].

بشرى لمنصور بن عمار

وعن أبى الحسين السعدانى قال:

رأيت مَنْصُور بْن عمار فِى المنام فَقُلْتُ لَهُ: مَا فعل الله بك؟ فَقَالَ: قَالَ لى: أَنْتَ مَنْصُور بْن عمار؟

فَقُلْتُ: بلى يا رب ... قَالَ أَنْتَ الَّذِى كنت تُزهِّد النَّاس فِى الدنيا وتُرغِّب فِى الآخِرَةِ؟

قُلْت: قَدْ كَانَ ذَلِكَ يا رب ولكنى مَا اتخذت مجلسًا إلا بدأت بالثناء عليك وثَنَّيت بالصلاة عَلَى نبيِّك ﷺ وثلَّثت بالنصيحة لعبادك.

فَقَالَ: صدق ... ضعوا لَهُ كُرسيًّا يمجدنى فِى سمائى بَيْنَ ملائكتى كَمَا كَانَ يمجدنى فِى أرضى بَيْنَ عبادى[٢].

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا (٢٥٣) في المنامات، وأورده السيوطي في شرح الصدور (ص/ ٢٨١)، وعزاه لابن أبي الدنيا، وفي سنده ضعفٌ.

(٢) صفة الصفوة (٢/ ٣٠٩).

أقرئ رسول الله ﷺ مني السلام

۞ عَنْ أَبِى الزَّاهِرِيَّةِ، قَالَ:

«عَادَ عَبْدُ الْأَعْلَى ابْنَ عَدِيِّ بْنِ أَبِى بِلَالٍ الْخُزَاعِيَّ فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الْأَعْلَى: أَقْرِئْ رَسُولَ اللهِ ﷺ مِنِّى السَّلَامَ وَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَلْقَانِيَ فَتُعْلِمَنِى ذَلِكَ، وَكَانَتْ أُمُّ عَبْدِ اللهِ أُخْتُ أَبِى الزَّاهِرِيَّةِ تَحْتَ ابْنِ أَبِى بِلَالٍ فَرَأَتْهُ فِى مَنَامِهَا بَعْدَ وَفَاتِهِ بِثَلَاثَةِ أَيَّام فقَالَ:

إِنَّ ابْنَتِى بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ستلحق بى، فَهَلْ تَعْرِفِينَ عَبْدَ الْأَعْلَى؟

فَقَالَتْ: لَا. قَالَ: فَسَلِى عَنْهُ ثُمَّ أَخبرِيهِ أَنِّى قَدْ أَقْرَأْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ مِنْهُ السَّلَامَ فَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ، فَأَخْبَرَتْ أَخَاهَا أَبَا الزَّاهِرِيَّةِ بِذَلِكَ، فَأَبْلَغَهُ، فَأَقْبَلَ إِلَيْهَا عَبْدُ الْأَعْلَى حَتَّى سَمِعَ ذَلِكَ مِنْهَا فَبَكَى»[١].

أَلْحِقوه بأبي عبد الله، وأبي عبد الله وأبي عبد الله!!

۞ قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمِ بْنِ وَارَةَ:

لَمَّا مَاتَ أَبُو زُرْعَةَ الرَّازِي رَأَيْتُهُ فِى الْمَنَامِ، فَقُلْتُ لَهُ: مَا فَعَلَ اللهُ بِكَ؟

فَقَالَ: قال لى الْجَبَّارُ سبحانه: أَلْحِقُوهُ بِأَبِى عَبْدِ اللهِ، وَأَبِى عَبْدِ اللهِ، وَأَبِى عَبْدِ اللهِ.

الأَوَّل: مَالِكٍ، وَالثَّانى: الشَّافِعِيِّ وَالثالثُ: أَحْمَدَ بن حنبل[٢].

---

(١) خبرٌ حسنٌ: أخرجه ابن أبي الدنيا (١٦٠) في المنامات، وعزاه السيوطي (ص/ ٢٧٥) في شرح الصدور لابن أبي الدنيا.

(٢) خبرٌ حسنٌ: أخرجه البيهقي (٢/ ٣٠٢-٣٠٣) في «مناقب الشافعي».

احفظ عني ثلاثًا

۞ قال أبو إسحاق الخواص:

كان رجل يخدم داود الطائى ويُكنَّى بأبى عبد الله فقال له: إن مِتُّ فاغسلنى ولا تُخبر بى أحدًا.

قال: فلما أن مات رأيته فى المنام على نجيبٍ -العظيم من الإبل- فى هودج له أربعة آلاف بابٍ بستورٍ مُرخاةٍ والريح تخفق.

فقلت: يا داود ادعُ الله أن يُلحقنى بك. فقال: احفظ عنِّى ثلاثًا: داوِ قروح بطنك بالجوع، واقطع مفاوز الدنيا بالأحزان، وآثِر حُبَّ الله تعالى على هواك، ولا تبالِ متى تلقنى[1].

هكذا رآه في السماء!!

۞ قَالَ حَفْصُ بْنُ عُبْيدِ اللهِ:

اشْتَهَيْتُ أَنْ أَرْحَلَ إِلَى أَبِى زُرْعَةَ الرَّازِىِّ فَلَمْ يُقَدَّرْ لِى، فَدَخَلْتُ الرَّىَّ بَعْدَ مَوْتِهِ، فَرَأَيْتُهُ فِى النَّوْمِ يُصَلِّى فِى سَمَاءِ الدُّنْيَا بِالْمَلائِكَةِ، فَقُلْتُ: عُبَيْدُ اللهِ ابْنُ عَبْدِ الْكَرِيمِ؟

قَالَ: نَعَمْ! قُلْتُ: بِمَ نِلْتَ هَذَا؟

قَالَ: كَتَبْتُ بِيَدِى أَلْفَ أَلْفِ حَدِيثٍ، أَقُولُ فِيهَا عَنِ النَّبِىِّ ﷺ[2]، وَقَدْ قَالَ النَّبِىُّ ﷺ: **«مَنْ صَلَّى عَلَىَّ صَلاةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ عَشْرًا»**[3].

---

(١) انظر: «تفسير الأحلام» (ص/ ٥٤٣) المنسوب لابن سيرين.

(٢) خبر صحيح: أخرجه ابن أبي يعلى (١/ ٢٠١) في طبقات الحنابلة.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٤٠٨).

يا راحم المذنبين

۞ قَالَ قُدَامَةُ بْنُ أَيُّوبَ الْعَتَكِيُّ، - وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ عُتْبَةَ الْغُلَامِ - قَالَ: رَأَيْتُ عُتْبَةَ فِي الْمَنَامِ فَقُلْتُ: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ مَا صَنَعَ اللهُ بِكَ؟

قَالَ: يَا قُدَامَةُ، دَخَلْتُ الْجَنَّةَ بِتِلْكَ الدَّعْوَةِ الْمَكْتُوبَةِ فِي بَيْتِكَ، قَالَ: فَلَمَّا أَصْبَحْتُ جِئْتُ إِلَى بَيْتِي وَإِذَا خَطُّ عُتْبَةَ فِي حَائِطِ الْبَيْتِ مَكْتُوبٌ:

يَا هَادِيَ الْمُضِلِّينَ، وَرَاحِمَ الْمُذْنِبِينَ، وَمُقِيلَ عَثَرَاتِ الْعَاثِرِينَ، ارْحَمْ عَبْدَكَ ذَا الْخَطَرِ الْعَظِيمِ وَالْمُسْلِمِينَ كُلَّهُمْ أَجْمَعِينَ، وَاجْعَلْنَا مَعَ الْأَحْيَاءِ الْمَرْزُوقِينَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ آمِينَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ»[1].

وهل نتكل إلا على عفوه

۞ عن خلف بن تميم قال:

إِنَّ الْحَسَنَ بْنَ صَالِحٍ كَانَ يُصَلِّي إِلَى السَّحَرِ ثُمَّ يَجْلِسُ فَيَبْكِي فِي مُصَلَّاهُ، وَيَجْلِسُ عَلِيٌّ فَيَبْكِي فِي حُجْرَتِهِ.

قَالَ: وَكَانَتْ أُمُّهُمْ تَبْكِي اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ.

قَالَ: فَمَاتَتْ، ثُمَّ مَاتَ عَلِيٌّ، ثُمَّ مَاتَ الْحَسَنُ.

قال: فَرَأَيْتُ حَسَنًا فِي مَنَامِي فَقُلْتُ:

مَا فَعَلَتِ الْوَالِدَةُ؟

---

(١) خبرٌ حسنٌ: أخرجه ابن أبي الدنيا (١٣٨) في المنامات، وأخرجه أبو نعيم (٦/ ٢٣٨) في حلية الأولياء، وأورده ابن الجوزي (٣/ ٣٧٤) في صفة الصفوة.

قَالَ: نَزَلَتْ بِطُولِ ذَلِكَ الْبُكَاءِ سُرُورَ الْأَبَدِ.

قُلْتُ: وَعَلِيٌّ؟

قَالَ: عَلِيٌّ عَلَى خَيْرٍ.

قُلْتُ: وَأَنْتَ؟ قَالَ: فَمَضَى وَهُوَ يَقُولُ:

وَهَلْ نَتَّكِلُ إِلَّا عَلَى عَفْوِهِ[١].

والله ما أردت بذلك إلا الله

۞ قال الحسن بن حمزة الجعفرى:

كنت أشتم مالكًا، فأقمت عشيتى على ذلك: فنمت فرأيت الجنة فُتحت فقلت: ما هذا؟ قالوا: الجنة.

قلت: فما هذه الغرف، الغرفة فوق الغرفة؟ قالوا: لمالك بن أنس بما ضبط على دينهم. فلم أنتقصه بعد، وصرت أكتب عنه.

۞ ورأى آخر كأن قائلًا يقول: ليعلم من صدق الله، فقام مالك بن أنس.

قال بعضهم: رأيت مالك بن أنس فى النوم، فقلت: قد نفع الله بك ونفعت أهل بلدك.

فقال: أما والله ما أردت بذلك إلا الله[٢].

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا (٦٧) في المنامات، وابن الجوزي (٣/ ١٥٢) في صفة الصفوة، ثم أعاده مختصرًا (٣/ ١٨٩) وسنده ضعيف فيه أحد المجهولين.

(٢) نقلًا عن ترتيب المدارك (١/ ٢٣٨) للقاضي عياض.

ابتغِ رحمة الله عند محبته

۞ وَقَالَ أَبُو يَعْقُوب الْقَارِى:

رَأَيْتُ فِى مَنَامِى رَجُلًا آدَمَ - أَىْ: أَسْمَرَ طِوَالًا- وَالنَّاسُ يَتْبَعُونَهُ، فَقُلْت مَنْ هَذَا؟

فقالوا: أُوَيْسٌ الْقَرَنِىُّ، فَاتَّبَعْتُهُ.

فَقُلْت: أَوْصِنِى رَحِمَك اللهُ تَعَالَى، فَكَلَحَ - أَىْ عَبَسَ فِى وَجْهِى -.

فَقُلْت مُسْتَرْشِدًا: فَأَرْشِدْنِى أَرْشَدَك اللهُ، فَأَقْبَلَ عَلَىَّ وَقَالَ: ابْتَغِ رَحْمَةَ اللهِ عِنْدَ طَاعَتِهِ، وَاحْذَرْ نِقْمَتَهُ عِنْدَ مَعْصِيَتِهِ وَلَا تَقْطَعْ رَجَاءَك مِنْهُ فِى خِلَالِ ذَلِكَ، ثُمَّ وَلَّى وَتَرَكَنِى.

هدايا الأحياء للأموات

۞ عن بشَّار بن غالب البحرانى قال:

رأيت رابعة العدوية فى منامى وكنت كثير الدعاء لها، فقالت لى: يا بشار ابن غالب هداياك تأتينا على أطباقٍ من نور مُخمَّرة بمناديل الحرير، قلت: وكيف ذلك؟ قالت: هكذا دعاء المؤمنين الأحياء إذا دعوا للموتى فاستُجيب لهم جُعل ذلك على أطباق النور وخُمِّر بمناديل الحرير ثم أُتى به إلى الذى دُعى له من الموتى فقيل: هذه هدية فلان إليك[1].

۞ وعن عمرو بن جرير قال: إذا دعا العبد لأخيه الميت أتاه مَلَكٌ فى قبره فقال له: يا صاحب القبر الغريب هدية من أخٍ شفيقٍ عليك.

۞ وبإسناده عن بشر بن منصور قال: كان رجل يختلف إلى الجبَّان زمن الطاعون فيشهد الصلاة على الجنائز فإذا أمسى وقف على باب المقابر فقال: آنس الله وحشتكم، ورحم الله غربتكم، وتجارز عن سيئاتكم، وقَبِل الله حسناتكم، لا يزيد على هذه الكلمات قال: فأمسيت ذات ليلة فانصرفت إلى أهلى ولم آتِ المقابر فأدعو كما كنت أدعو ... قال: فبينما أنا نائم إذا أنا بخلق كثير قد جاؤونى فقلت لهم: ما جاء بكم؟ قالوا: نحن أهل المقابر قلت: وما تريدون؟ قال: إنك كنت عوَّدتنا منك هدية عند انصرافك إلى أهلك قلت: وما هى؟ قال: الدعوات التى كنت تدعو بها قال: فقلت: إنى أعود لذلك ... فما تركها بعد[2].

---

(١) «أهوال القبور» لابن رجب (ص ١٢٩).

(٢) «أهوال القبور» لابن رجب (ص ١٢٩).

قصة إسلام الجن

۞ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ:

«مَا قَرَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى الْجِنِّ، وَلا رَآهُمْ،... انْطَلَقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي طَائِفَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ عَامِدِينَ إِلَى سُوقِ عُكَاظٍ، وَقَدْ حِيلَ بَيْنَ الشَّيَاطِينِ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ، وَأُرْسِلَتْ عَلَيْهِمُ الشُّهُبُ، قَالَ: فَرَجَعَتِ الشَّيَاطِينُ إِلَى قَوْمِهِمْ، فَقَالُوا: مَا لَكُمْ؟ قَالُوا: حِيلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ، وَأُرْسِلَتْ عَلَيْنَا الشُّهُبُ، قَالَ: فَقَالُوا: مَا حَالَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ إِلا شَيْءٌ حَدَثَ، فَاضْرِبُوا مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا، فَانْظُرُوا مَا هَذَا الَّذِي حَالَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ، قَالَ: فَانْطَلَقُوا يَضْرِبُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا يَبْتَغُونَ مَا هَذَا الَّذِي حَالَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ؟ قَالَ: فَانْصَرَفَ النَّفَرُ الَّذِينَ تَوَجَّهُوا نَحْوَ تِهَامَةَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَهُوَ بِنَخْلَةَ عَامِدًا إِلَى سُوقِ عُكَاظٍ، وَهُوَ يُصَلِّي بِأَصْحَابِهِ صَلاةَ الْفَجْرِ، قَالَ: فَلَمَّا سَمِعُوا الْقُرْآنَ، اسْتَمَعُوا لَهُ، وَقَالُوا: هَذَا وَاللهِ الَّذِي حَالَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ، قَالَ: فَهُنَالِكَ حِينَ رَجَعُوا إِلَى قَوْمِهِمْ، فَقَالُوا: يَا قَوْمَنَا ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ﴾[1] الْآيَةَ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾ وَإِنَّمَا أُوحِيَ إِلَيْهِ قَوْلُ الْجِنِّ»[2].

(١) سورة الجن: الآية: (١-٢).

(٢) صحيح: رواه الترمذي، وقال: حسن صحيح، والحاكم (٢/ ٥٠٣-٥٠٤)، وقال الذهبي: هو صحيحٌ عند جماعة، والطبراني (١٢٤٤٩) في الكبير.

آخر من بايع النبي ﷺ من الجن

۞ رَوَى أَبُو هَاشِم النَّاجِيُّ، عَن الْحَسَن البصْرِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ قَالَ: دَخَلْنَا عَلَى أَبِى الرَّجَاءِ العطَارِدِيِّ، فَسَأَلْنَاهُ هَلْ عِنْدَكَ عِلْمٌ بِالْجِنِّ مِمَّنْ بَايَعَ النَّبِيَّ ؟

فَتبَسَّمَ وَقَالَ: «أُخْبِرُكُمْ بِالَّذِى رَأَيْتُ وَبِالَّذِى سَمِعْتُ!

كُنَّا فِى سَفَرٍ حَتَّى إِذَا نَزَلْنَا عَلَى الْمَاءِ(١) وَضَرَبْنَا أَخْبِيَتَنَا(٢) وَذَهَبْتُ أَقِيلُ(٣) إِذَا بِحَيَّةٍ دَخَلَتِ الْخِبَاءَ وَهِىَ تَضْطَرِبُ فَعَمَدْتُ إِلَى إِدَاوَتِى فَنَضَحْتُ عَلَيْهَا مِنَ الْمَاءِ فَلَمَّا نَضَحْتُ عَلَيْهَا سَكَنَتْ وَكُلَّمَا حَبَسْتُ عَنْهَا الْمَاءَ اضْطَرَبَتْ حَتَّى أَذَّنَ الْمُؤَذِّنُ بِالرَّحِيلِ فَقُلْتُ لِأَصْحَابِى:

انْتَظِرُونِى حَتَّى أَعْلَمَ عِلْمَ هَذِهِ الْحَيَّةِ إِلَى مَا يَصِيرُ فَلَمَّا مَكَثْنَا لِلْعَصْرِ مَاتَتْ فَعُدْتُ إِلَى عَيْبَتِى(٤) فَأَخْرَجْتُ مِنْهَا خِرْقَةً بَيْضَاءَ فَلَفَفْتُهَا وَحَفَرْتُ لَهَا فَدَفَنْتُهَا وَسِرْنَا بَقِيَّةَ يَوْمِنَا هَذَا وَلَيْلَتِنَا حَتَّى إِذَا أَصْبَحْنَا وَنَزَلْنَا عَلَى الْمَاءِ وَضَرَبْنَا أَخْبِيَتَنَا وَذَهَبْتُ أَقِيلُ فَإِذَا أَنَا بِأَصْوَاتٍ:

سَلَامٌ عَلَيْكَ لَا وَاحِدٌ وَلَا عَشَرَةٌ وَلَا مِائَةٌ وَلَا أَلْفٌ أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ.

فَقُلْتُ: مَنْ أَنْتُمْ؟

قَالُوا: نَحْنُ الْجِنُّ بَارَكَ اللهُ عَلَيْكَ قَدِ اصْطَنَعْتَ إِلَيْنَا مَا لَا نَسْتَطِيعُ أَنْ

---

(١) أراد المكان الذي به الماء من نحو البئر.

(٢) الخباء: البيت الذي يُبنى من القماش كالخيمة.

(٣) القائلة: الظهيرة، والقيلولة هي النوم في الظهيرة.

(٤) عيبتي: العيبة: وعاء من الجلد، يكون فيه المتاع والثياب.

نُجَازِيَكَ، قُلْتُ: وَمَا اصْطَنَعْتُ إِلَيْكُمْ؟

قَالُوا: إِنَّ الْحَيَّةَ الَّتِي مَاتَتْ عِنْدَكَ كَانَ ذَلِكَ آخِرَ مَنْ بَقِيَ مِمَّنْ بَايَعَ النَّبِيَّ ﷺ مِنَ الْجِنِّ»[1].



مع الجن المؤمن

۞ يَقُولُ مَهْدِيُّ بْنُ مَيْمُونٍ:

كَانَ وَاصِلُ رَحِمَهُ اللَّهُ مَولَى عُيَيْنَةَ جَارًا لِي، وَكَانَ يَسْكُنُ فِي غُرْفَةٍ، فَكُنْتُ أَسْمَعُ قِرَاءَتَهُ مِنَ اللَّيْلِ، وَكَانَ لَا يَنَامُ مِنَ اللَّيْلِ إِلَّا يَسِيرًا.

قَالَ: فَغَابَ وَاصِلٌ مَوْلَى عُيَيْنَةَ إِلَى مَكَّةَ، فَكُنْتُ أَسْمَعُ الْقِرَاءَةَ مِنْ غُرْفَتِهِ عَلَى نَحْوٍ مِنْ صَوْتِهِ، كَأَنِّي لَا أُنْكِرُ مِنَ الصَّوْتِ شَيْئًا، وَبَابُ الْغُرْفَةِ مُغْلَقٌ.

قَالَ: فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ قَدِمَ مِنْ سَفَرِهِ، فَذَكَرْتُ لَهُ ذَلِكَ، فَقَالَ: «وَمَا أَنْكَرْتَ مِنْ ذَلِكَ؟ هَؤُلَاءِ سُكَّانُ الدَّارِ، يُصَلُّونَ بِصَلَاتِنَا، وَيَسْمَعُونَ لِقِرَاءَتِنَا»، قَالَ: قُلْتُ: أَفَتَرَاهُمْ؟

قَالَ: «لَا، وَلَكِنِّي أُحِسُّ بِهِمْ، وَأَسْمَعُ تَأْمِينَهُمْ، عِنْدَ الدُّعَاءِ، وَرُبَّمَا غَلَبَ عَلَيَّ النَّوْمُ فَيُوقِظُونِي»[2].

---

(١) الهواتف (٣٥) لابن أبي الدنيا.

(٢) الفوائد والزهد/ للخلدي (ص/ ٢٤).

من عُبَّاد الجن!!!

۞ عن سهل بن عبد الله قال: كنت ناحية ديار عاد إذ رأيت مدينة من حَجر مَنْقورٍ، فى وسطها قصر من حجارة، منقورة سُقوفه وأبوابه تأويه الجن، فدخلت معتبرًا، فإذا شيخ عظيم الخلق يصلى نحو الكعبة وعليه جُبَّة صوف فيها طَراوة، فلم أتعجب من عِظم خَلقه كتعجبى من طراوة جبته، فسلَّمت عليه فردَّ علىَّ السلام وقال: يا سهل إن الأبدان لا تُخلِق الثياب وإنما تُخلِقها روائح الذنوب ومطاعم السُّحت. وإنَّ هذه الجبة علىَّ منذ سبعمائة سنة بها لقيت عيسى ابن مريم ومُحمدًا ﷺ فآمنت به فقلت له: من أنت؟ قال: أنا الذى نزلت فىَّ: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾[1].

۞ وعن سلمة بن شبيب قال: عزمت على النُّقلة إلى مكة فبعت دارى، فلما فرَّغتها وسلَّمتها وقفت على بابها، فقلت: يا أهل الدار جاورناكم فأحسنتم جوارنا جزاكم الله خيرًا، وقد بعنا الدار ونحن على النُّقلة إلى مكة فعليكم السلام ورحمة الله. قال: فأجابنى من الدار مجيب فقال: وأنتم جزاكم الله خيرًا ما رأينا منكم إلاَّ خيرًا ونحن على النُّقلة أيضًا، فإن الذى اشترى الدار رافضىٌّ يشتم أبا بكر وعُمر رضي الله عنهما.

۞ وعَن سَرى بن إسماعيل يذكر، عن يزيد الرَّقاشى: أن صَفْوان بن محرز المازنى كان إذا قام إلى تَهَجُّده من الليل قام معه سُكان داره من الجن، فصلَّوا بصلاته واستمعوا لقراءته. قال السرى: فقلت ليزيد: وأنَّى عَلِم هذا؟ قال: كان إذا قام سمع لهم ضَجَّة فاستوحش لذلك فنودى: لا

---

(١) سورة الجن: الآية: (١).

تُرَع أبا عبد الله (أي: لا تخف)، فإنما نحن إخوانك نقوم للتهجد كما تقوم، فنصلِّي بصلاتك. قال: فكأنه أنس بعد ذلك إلى حركتهم.

۞ وعن أبى عمران التَّمار قال: غدوت يومًا قبل الفجر إلى مسجد الحسن الحفرى فإذا باب المسجد مغلق، وإذا الحسن جالس يدعو، وإذا ضَجَّة فى المسجد وجماعة يُؤَمِّنون على دعائه، فجلست على باب المسجد حتى فرغ من دعائه، ثم قام فأذَّن وفتح باب المسجد، فدخلت فلم أجِدْ فى المسجد أحدًا، فلما أصبح وتفرَّق مَنْ عِندَه قلت له: يا أبا سعيد إنى والله رأيت عجبًا. قال: وما رأيت؟ فخبرته بالذى رأيت وسمعت. فقال: أولئك جِنٌّ من أهل نصيبين يجيئون يشهدون معى خَتْم القرآن كل ليلة جُمعةٍ، ثم ينصرفون.

۞ وبلغنى عن أبى الفتح محمد بن أبي محمد الخزيمى قال: قال أبو على الدقَّاق: كنت بنيسابور مقيمًا للوعظ فظهر بى رمدٌ فاشتقت إلى أولادى فرأيت ليلة من الليالى فى المنام كأن شخصًا دخل علىَّ، فقال: أيها الشيخ ما يمكنك الرجوع بهذه السرعة، فإن جماعة من شباب الجن يحضرون مجلسك ويستمعون منك، وهم بعد فى بدو[1] الإرادة فما لم ينتهوا إلى إرادتهم لا يُمكنك أن تفارقهم فلعل الله ﷻ أن يحييهم فأصبحت وكأنه ما بعينى رمد[2].

---

(١) أي: في بدايتها وأولها.

(٢) صفة الصفوة (٤/ ٥٥٩-٥٦١) بتصرف.

هادم اللذات ومُفرق الجماعات

۞ دَخَلَ سعيد بن الْمسيب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مَسْجِد رَسُول الله ﷺ فَجعل يلْتَفت فِى أَرْكَان الْمَسْجِد يتفكر فِيمَن أدْرك من أَصْحَاب النَّبِى ﷺ ثمَّ بَكَى وَجعل يَقُول:

أَلا ذهب الحُماةُ وأسلمونى فوا أسفًا على فَقْدِ الحُمَاةِ
توَلّوا للقبور فأسقمونى فوا أسفًا على فَقْدِ الثِّقاتِ

فَأَجَابَهُ هَاتِف من ركن الْمَسْجِد بِصَوْتٍ محزونٍ من كبدٍ مشجون وَهُوَ يَقُول:

فدَعْ عَنْك الثقات فقد توَلّوا ونفسك فابكها حِين الْمَمَاتِ
فَكل جمَاعَة لا بُد يَوْمًا يفرق بَينهم وَقعُ الشتاتِ

فَقَالَ سعيد: من أَنْت فقد زدتنى حزنًا.

فَقَالَ: أنا من مؤمنى الْجِنّ كُنَّا فِى هَذَا الْمَسْجِد سبعين رجلًا فَأتى الْمَوْت على جماعتنا كَمَا أَتَى على جماعتك وَلم يبْقَ مِنْهُم غَيْرِى كَمَا لم يبْقَ من الْإِنْس غَيْرك وَإِنَّا بهم لاحقون فَإِنَّا لله وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُون!

احذر أن تفوتك صلاة الجماعة

۞ عَن عُبيد الله بن عمر القواريرى -شيخ البخارى ومسلم- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: لم تكن تفوتنى صَلَاة الْعشَاء فِى الْجَمَاعَة قط. فَنزل بى لَيْلَة ضيف، فشُغلت بِسَبَبِهِ، وفاتتنى صَلَاة الْعشَاء فِى الْجَمَاعَة، فَخرجت أطلب الصَّلَاة فِى مَسَاجِد الْبَصْرَة، فَوجدت النَّاس كلهم قد صَلُّوا وغُلِّقت الْمَسَاجِد فَرَجَعت إِلَى بَيْتِى وَقلت: قد ورد فِى الحَدِيث إِن صَلَاة الْجَمَاعَة تزيد على صَلَاة الْفَرد بِسبع وَعشْرين دَرَجَة فَصليت الْعشَاء سبعًا وَعشْرين مرة، ثمَّ نمت فَرَأَيْت فِى الْمَنَام كَأَنِّى مَعَ قوم على خيل وَأَنا أَيْضًا على فرس وَنحن نَسْتَبِق وَأَنا أركض بفرسى فَلَا ألحقهم فَالْتَفت إِلَىَّ أحدهم فَقَالَ لى: لَا تتعب فرسك فلست تلحقنا.

قلت: وَلِمَ؟ قَالَ: لأَنَّا صلينَا الْعشَاء فِى جمَاعَة وَأَنت صليت وَحدك فانتبهت وَأَنا مغموم حَزِين لذَلِك.

احرص على سلامة إخوانك

قال الأعمش: خرجت أنا وإبراهيم النخعى ونحن نريد الجامع، فلما صرنا فى خلال طرقات الكوفة، قال لى: يا أبا سليمان، قلت: لبيك، قال: هل لك أن تأخذ فى طرقات الكوفة كى لا نمر بسقائها فينظرون إلى أعور وأعمش فيغتابونا ويأثمون؟ قلت: يا أبا عمران، وما عليك فى أن نُؤجَر ويأثمون؟ قال: يا سبحان الله، بل نَسلم ويَسلمون خير من أن نُؤجر ويأثمون.

أخْرِجه من الحبس فإنَّه مظلوم

۞ كنا مرة بين يدى المعتمد، فجعل يخفق نعاسا، وَقَالَ: لا يبرحن أحد. ثم نام مقدار نصف ساعة، وانتبه فقال: أحضرونى من الحبس رجلًا يُعرَف بمنصور الحمَّال، فأُحضر، فقال: منذ كم أنت محبوس؟ فقال: منذ ثلاث سنين.

قَالَ: فاصدقنى عن خبرك؟ قَالَ: أنا رجل من أهل الموصل، كان لى جمل أحمل عَلَيْهِ وأعود بكراه[1] على عائلتى، فضاق بالموصل المكسب، فقلت: أخرج إلى سامُراء، فإن العمل فيها كثير، فخرجت، فلما قربت منها إذا جماعة من الجند قد ظفروا بقوم يقطعون الطريق قد كتب صاحب البريد بعددهم، وكانوا عشرة، فأعطاهم واحد من العشرة مالًا على أن يُطلقوه، فأطلقوه وأخذونى مكانه، وأخذوا جملى، فسألتهم بالله وعرفتهم خبرى، فأبوا وحبسونى، فمات بعض القوم، وأُطلق بعضهم، وبقيت وحدى.

فقال المعتمد: أحضرونى خمس مائة دينار. فجاءوا بها. فقال: ادفعوها إليه قَالَ: فأخذها، وأجرى عليه ثلاثين دينارًا فى كُلّ شهر، وَقَالَ: اجعلوا أمر جمالنا إليه، ثم أقبل علينا، وَقَالَ: رأيت الساعة النبى ﷺ فَقَالَ لِى: يَا أَحْمَد، وجِّه الساعة إلى الحبس فأخرِج منصورًا الحمَّال وأحسن إليه فإنه مظلوم. ففعلت ما رأيتم، ثم نام من وقته فانصرفنا[2].

---

(١) أي: بأجرته .. يعني: كان يستأجر الجمل ويحمل عليه بضاعة الناس.

(٢) المنتظم (١٢/ ٢٠٤).

هكذا عاد العقد !!

۞ قَدِم رجلٌ إِلَى بَغْدَاد فى طريقه إِلَى الْحَجِّ، وَكَانَ مَعَه عِقدٌ يُسَاوِى ألف دِينَار، فاجتهد فِي بَيْعه فَلم يجد له مشتريًا، فجَاء إِلَى عطار مَوْصُوف بِالْخَير فأودعه إِيَّاه.

ثمَّ حج وَعَاد. فَأَتَاهُ بهدية. فَقَالَ لَهُ الْعَطَّار: من أَنْت؟ وَمَا هَذَا؟

فَقَالَ: أَنا صَاحب العقد الَّذِى أودعتك.

فَمَا كَلمه حَتَّى رفسه رفسة رَمَاه عَن دكانه. وَقَالَ: تَدَّعِى علَىَّ مثل هَذِه الدَّعْوَى! فَاجْتمع النَّاس وَقَالُوا للحاجى وَيلك هَذَا رجل خير مَا لحقت من تَدَّعِى عَلَيْهِ إِلَّا هَذَا؟!

فتحيَّر الحاجّ وَتردد إِلَيْهِ فَمَا زَاده إِلَّا شتمًا وَضربًا.

فَقيل للحاج: لَو ذهبت إِلَى عضد الدولة فَلهُ فِي هَذِه الْأَشْيَاء فراسة.

فَكتب الحاج قصَّته، وَجعلهَا على قَصَبَة ورفعها لعضد الدولة فصاح بِهِ فجَاء فَسَأَلَهُ عَن حَاله فَأخْبرهُ بالقصة فَقَالَ اذْهَبْ إِلَى الْعَطَّار غَدا واقعد على دكانه فَإِن مَنعك فَاقْعُدْ على دكان تقابله من الصُّبْح إِلَى الْمغرب وَلَا تكَلمه وَافْعل هَكَذَا ثَلَاثَة أَيَّام فَإِنِّى أَمر عَلَيْك فِى الْيَوْم الرَّابِع وأقف وَأُسَلِّم عَلَيْك فَلَا تقم لى وَلَا تزدنى على ردِّ السَّلَام وَجَوَاب مَا أَسأَلك عَنهُ.

فجَاء الحاج إِلَى دكان الْعَطَّار ليجلس فَمَنعه، فَجَلَسَ بمقابلته ثَلَاثَة أَيَّام، فَلَمَّا كَانَ الْيَوْم الرَّابِع. اجتاز عضد الدولة فِي موكبه الْعَظِيم. فَلَمَّا رأى الْخُرَاسَانِى وقف. وَقَالَ: سَلام عَلَيْكُم.

فَقَالَ الحاج دون أن يَتَحَرَّك: وَعَلَيْكُم السَّلَام.

قال عضد الدولة: يَا أخى تقدم إلى بغداد فَلَا تَأتى إِلَيْنَا وَلَا تعرض حوائجك علينا؟!

قَالَ الحاج كَمَا اتّفق، وَلم يشبعه الْكَلَام -أى لم يُطل الكلام معه- وعضد الدولة يسْأَله ويهتم، وَقد وقف ووقف الْعَسْكَر كُله، والعطار قد أُغمى عَلَيْهِ من الْخَوْف، فَلَمَّا انْصَرف الموكب، الْتفت الْعَطَّار إِلَى الحاج فَقَالَ:

وَيحك! مَتى أودعتنى هَذَا العقد؟ وَفِى أَى شَىْء كَانَ ملفوفًا؟ فذكِّرنى لعَلى أذكرهُ.

فَقَالَ: من صفته كَذَا وَكَذَا.

فَقَامَ وفتَّش، ثمَّ نقض جَرَّة عِنْده فَوَقع العقد، فَقَالَ: قد كنتُ نسيت، وَلَو لم تُذكِّرنى فى الْحَال مَا ذكرت!

اللهم اغفر للمحروم

۞ عاد عتبة بن ربيعة المسعود من إحدى المعارك التى نشبت دفاعًا عن دين الله.. وقد خاض غمارها وجاهد فيها حق الجهاد.. حتى أُسِرَ.. وفُكَّ أسره.. وبمجرد عودته طاف بالكعبة الشريفة وهو يدعو الله ويقول: «يا رب اغفر للمحروم».

ولما تكرر منه هذا الدعاء.. إذ لا يطوف بالبيت الحرام إلا ويدعو به.. قال له أحدهم:

يا عتبة بن ربيعة.. مَن هو المحروم الذى تطلب له المغفرة؟ فردَّ عتبة: أنا.. هو المحروم!!

فقال له الرجل: ألست المسعود؟ فكيف أصبحت المحروم ؟ فقال عتبة:

«كنا عشرة فوارس.. توجهنا لاستطلاع حال العدو.. بعد معركة خُضناها دفاعًا عن دين الله وأبلينا فيها أحسن البلاء.. إلا أن العدو أعدَّ لنا كمينًا وحاصرنا بعدة مئات من جنوده.. فوقعنا فى الأَسْر..

وفى الأَسْر.. لم نستطع أن نقدم لمعركتنا شيئًا.. سوى العبادة.. والدعاء بأن ينصر الله جنوده على أعدائه.. وبعد أيام.. تواتر إلى مسامعنا انتصار المسلمين.. وقتلهم ابن عم ملك الروم الذى أساءه ذلك إساءة بالغة وأحزنه حزنًا شديدًا.

فلما كان صباح اليوم التالى.. أصدر ملك الروم قراره بإعدامنا جميعًا.. وخرجنا إلى ساحة الإعدام.. فصلينا أحسن ما تكون الصلاة.. وذكرنا الله..

بأقوى ما يكون الذكر.. وبعد أن أتموا عَصْبَ أعيننا جاء الملك ليرى بنفسه إعدامنا.. فقال له وزيره: أيها الملك هلَّا فككنا عن أعينهم حتى يروا العذاب بقتل بعضهم بعضًا.. ففكُّوا العصابات عن أعيننا.. فوالله الذى لا إله إلا هو ما إن فكوا العصابة عن عينى.. حتى كنت أرى فى كل ضربة سيف على عنق أسير مسلم.. تُفتح السماء.. وتهبط الملائكة فى نشوة وسرور.. وتحمل روح الأسير فى موكب وفرح.. واستمر إعدام الأسرى حتى بلغوا تسعة.. ولم يبق سواى.. فقال الوزير: أيها الملك.. من يُبلِّغ المسلمين ما فعلنا.. فيصيبهم الأسى والحزن؟ ألا نفك أسر هذا الأسير ونُطلقه ليُبلغ قُواده وجنوده المسلمين ما رأى.. ووافق الملك.. وفك أسرِى.. وعُدت.. عدت أنا الوحيد من العشرة.. وقد حُرمت الجنة.. وحرمت الشهادة.. وحرمت موكب الملائكة وهم يصحبون روح الشهيد إلى السماء.. ألست بحقٍّ المحروم .. بعد أن كنت المسعود»..؟

يغفر الله له.. فلقد مات سعيدًا.. إذ شارك فى المعركة التالية.. ونال ما تمنى.. واستشهد.

❊❊❊

خذوا طرفًا من كل علم

۞ عن أبى حاتم سهل بْن مُحَمَّد السجستانى قَالَ: ورد علينا عامل من أهل الكوفة لم أرَ فِى عُمال السلطان بالبصرة أبرع منه، فدخلت مُسلِّمًا عليه، فقال لى: يا سجستانى مَن علماؤكم بالبصرة؟

قلت: الزيادى أعلمنا بعلم الأصمعى، والمازنى أعلمنا بالنحو، وهلال الرأى أفقهنا، والشاذكونى من أعلمنا بالحديث، وأنا- رحمك الله- أُنسب إِلَى علم القرآن، وابن الكلبى من أكتبنا للشروط.

قَالَ: فقال لكاتبه: إذا كان غدًا فاجمعهم إلَىَّ.

قَالَ: فجمعنا فقال: أيكم المازنى؟ قَالَ أَبُو عُثْمَان: ها أنا ذا يرحمك الله، قال: هل يجزى فِى كفارة الظهار عتق عَبْدٍ أعور؟ فقال المازنى: لست صاحب فقه رحمك الله، أنا صاحب عربية.

فقال: يا زيادى كيف تكتب بين رجل وامرأة خالعها على الثلث من صَداقها؟ قَالَ: ليس هذا من علمى، هذا من علم هلال الرأى.

قَالَ: يا هلال كم أسند ابْن عون عَن الحسن؟

قَالَ: ليس هذا من علمى هذا من علم الشاذكونى.

قَالَ: يا شاذكونى من قرأ: ﴿يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ﴾[1] قَالَ: ليس هذا من علمى هذا من علم أَبِى حاتم.

قَالَ: يا أبا حاتم كيف تكتب كتابًا إِلَى أمير المؤمنين تصف فيه خصاصة أهل البصرة وما أصابهم فِى الثمرة، وتسأله لهم النظر بالنظرة؟

---

(١) سورة هود: الآية: (٥).

قال: لست رحمك الله صاحب بلاغة وكتابة، أنا صاحب قرآن.

فقال: ما أقبح الرجل يتعاطى العلم خمسين سنة لا يعرف إلا فنًّا واحدًا، حتى إذا سُئل عَن غيره لم يحل فيه ولم يمر، ولكن عالمنا بالكوفة الكسائى، لو سُئل عَن كل هذا لأجاب (١).

هكذا عرف من يفشي سره

ذُكر أَن ملكًا كَانَت أسراره تظهر كثيرًا إِلَى عدوه فيبْطُل تَدْبيره على الْعَدو، فبلغ ذَلِك مِنْهُ، فَشَكا إِلَى أحد نُصحائه، وَقَالَ لَهُ: أَن جمَاعَة يطلعون على أسرار لى لَا بُد من إظهارها لَهُم وَلست أَدْرِى أَيهمْ يُظهرها، وأكره أَن أنال البرىءً مِنْهُم بِمَا يسْتَحق الخائن، فَدَعَا بِكِتَاب فكتب فِيهِ أَخْبَارًا من أَخْبَار المملكة، وَجعلهَا كذبًا كلهَا ثمَّ دَعَا بِرَجُل رجل كل وَاحِد دون صَاحبه مِمَّن كَانَ يفشى الْملك إِلَيْهِ سره فَقَالَ للْملكً: أخبرً كل وَاحِد مِنْهُم بِخَبَرٍ على حِده لَا يَظْهر عَلَيْهِ سَائِر أَصْحَابه، وَأْمُر كل وَاحِد بستر مَا أسررت إِلَيْهِ، واكتب على كل خبر اسْم صَاحبه، فَلم يلبث أَن أظهر الخونة مَا أفشى إِلَيْهِم، وانكتمت أَخْبَار الناصحين فَعرف الْملك من يفشى سره فحذره.

(١) أخرجها الخطيب في تاريخ بغداد (١١/ ٤٠٧)، والمزي في تهذيب الكمال (١٢/ ٢٠٧).

من أعزُّ الناس؟

۞ كان الفرَّاء أبرع الكوفيين وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب، وكان المأمون قد وَكَّل الفراء يُلَقِّن ابنيه النحو، فلما كَانَ يومًا أراد الفراء أن ينهض إلى بعض حوائجه، فابتدرا إلى نعل الفراء يُقدمانه لَهُ، فتنازعا أيهما يقدمه ثُمَّ اصطلحا عَلَى أن يُقدم كل واحد منهما فردًا، فقدَّماها.

وكان المأمون لَهُ عَلَى كل شيء صاحب، فرُفع ذَلِكَ إِلَيْهِ فِي الخبر، فوجَّه إلى الفراء فاستدعاه، فلما دخلَ عَلَيْهِ قَالَ لَهُ: مَن أعزُّ الناس؟

قَالَ: ما أعرفُ أعزَّ من أمير المؤمنين.

قَالَ: بلى!

من إذا نهض تَقاتَل عَلَى تقديم نعليه وليَّا عهد المسلمين، حتى رضى كل واحد أن يقدم لَهُ فردًا.

قَالَ: يا أمير المؤمنين لقد أردت منعهما عَن ذَلِكَ ولكن خشيت أن أدفعهما عَن مكرمة سبقا إليها.

يا أحجار أشهدكم أن لا إله إلا الله!!

۞ عَنْ عَبْدِ العَزيز بْن أَبِى رَوَّادٍ، قَالَ:

«كَانَ رَجُلٌ بِالْبَادِيَةِ قَدِ اتَّخَذَ مَسْجِدًا وَجَعَلَ فِى قِبْلَتِهِ سَبْعَةَ أَحْجَارٍ فَكَانَ إِذَا قَضَى صَلَاتَهُ قَالَ: يَا أَحْجَارُ أُشْهِدُكُمْ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ.

قَالَ: فَمَرِضَ الرَّجُلُ فَعُرِجَ بِرُوحِهِ وَهُوَ نائِم. قَالَ: فَرَأَيْتُ فِى مَنَامِى أَنَّهُ أُمِرَ بِى إِلَى النَّارِ فَرَأَيْتُ حَجَرًا مِنْ تِلْكِ الْحِجَارَةِ أَعْرِفُهُ قَدْ عَظُمَ فَسَدَّ عَنِّى

بَابَ جَهَنَّمَ قَالَ: ثُمَّ أَتَى إِلَى الْبَابِ الآخَرِ فَإِذَا حَجَرٌ مِنْ تِلْكِ الْأَحْجَارِ أَعْرِفُهُ بِعَيْنِهِ قَدْ عَظُمَ فَسَدَّ عَنِّى بَابًا مِنْ أَبْوَابِ جَهَنَّمَ قَالَ: حَتَّى سَدَّ عَنِّى بَقِيَّةُ الْأَحْجَارِ أَبْوَابَ جَهَنَّمَ»[1].

هكذا أسلم الراهب

۞ عن علي بن أحمد البغدادي قال: سمعت أبا بكر الشبلي يقول: وردت إلى الشام من مكة فرأيت راهبًا في صومعة، فقلت: يا راهب، لماذا حبست نفسك في هذه الصومعة؟ قال: ليتوفر عملي. فقلت: يا راهب، ولمن تعمل؟ قال: لعيسى ابن مريم! قلت: بأي شيء استحق عيسى هذه العبادة منك دون الله؟ قال: لأنه مكث أربعين يومًا لم يطعم ولم يشرب؟ قلت له: ومن يعمل ذلك يستحق العبادة؟ فقال: نعم.

قال الشلبي: فقلت للراهب: فاستوفها مني،... فمكثت تحت صومعته أربعين يومًا لا آكل ولا أشرب، فقال لي: ما دينك؟ فقلت: محمدي، فنزل وأسلم على يدي وحملته إلى دمشق، وقلت: اجمعوا له شيئًا؛ فإنه قريب العهد بالإسلام، وانصرفت وتركته مع بعض العُباد والعلماء العاملين[2].

(١) المنامات (ص ١٤٢).

(٢) عيون الحكايات (ص ٢١٨- ٢١٩).

فصاحة الأفعال أبلغ من فصاحة الأقوال

۞ حضر بعض علماء النحو مجلسًا لابن سمعون الواعظ الزاهد، فسمع في لسان ابن سمعون غلطًا في كلامه، فانقطع عن المجلس، فكتب إليه ابن سمعون: ما لي أراك من الإعجاب رضيت أن تقف دون الباب، أما سمعت رسالة بعض العارفين إلى بعض المتأدبين، كتبت إلى من اعتمد على ضبط أقواله، ولحن في أفعاله أنك رفعت وخفضت وجزمت ونصبت وانقطعت.. ألا رفعت إلى الله جميع الحاجات؟ ألا خفضت صوتك عن المنكرات؟ ألا جزمت نفسك عن الشهوات؟ ألا نصبت بين عينيك ميراث الممات؟ أما علمت أنه لا يُقال غدًا للعبد لِمَ لَمْ تكن مُعربًا وإنما يقال له لِمَ كُنْت مذنبًا؟ يا هذا ليس المرغوب الفصاحة في المقال وإنما الفصاحة في الأفعال ولو كانت الفصاحة محمودة في المقال دون الأفعال لكان هارون أَولى بالرسالة من موسى عليه السلام ... قال الله تعالى إخبارًا عن قول موسى: ﴿ وَأَخِى هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا ﴾[1] فجُعلت الرسالة لموسى عليه السلام لفصاحة أفعاله، و ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾[2]، انتهى[3].

---

(١) سورة القصص: الآية: (٣٤).

(٢) سورة الأنعام: الآية: (١٢٤).

(٣) بحر الدموع (ص ١٧٠).

مروءة الإسلام

۞ كان رجلٌ من الفُرسِ يُسيئ معاملةَ رجل من العرب، فتمكن العربي يومًا من القصاص منه؛ حيث كان الفارسي وحده والعربي بين قومه.

فشاورهم فيما يفعله مع هذا الفارسي، فأشار كل واحدٍ منهم برأي، فمنهم من قال: نضربه حتى يفارق الحياة.

ومنهم من قال: نجلده.

ومنهم من قال: نشنقه.

وهكذا... وبقي رجلٌ بينهم صامتًا، ولم ينطق بكلمة واحدة.

فقال العربي يسأله: ما رأيك فيه؟!

قال الرجل: الرأي عندي العفو عنهُ؛ لأن مَن جازى اللئيم بلؤمه كان مثله، والعفوُ عِندَ المقدرةِ خيرٌ مِنَ التَّشَفِّي!!.

قال العربي: كلامُكَ صحيح، وإنني ما نويت غير ذلك!!

ثم قال للفارسي: لقَدْ عفوتُ عنكَ، فلا تَعُدْ إلى مثل إساءتكَ معي، فإِنَّ تقلبات الدهر سريعة، والدنيا لا تدوم على حالٍ واحدةٍ!!

فشكر لَهُ الفارسي كَرَمَ أخلاقه، وَحُسْنَ صُنْعِهِ، وَنَدِمَ على ما بدر منه من إساءة تجاهه...

ثم قال: أتمنى أن تكون لِي صديقًا، وستكونَ من أعظم أصدقائي؛ لأن فيكَ مروءة الإسلام، وسماحة أهله (١).

---

(١) السيد أحمد الهاشمي، (المفرد العلم في رسم القلم) (ص ٢٧٩، ٢٨٠).

الإحسان للجار غير المسلم

۞ لا أدل على سماحة الإسلام، وإلزام أهله بها من حرصه على الجار، والإحسان إليه – بغضِّ النظر عن دينه وجنسه –، ومن القصص الدالة على ذلك في تاريخ أصحاب رسول الإنسانية محمد ﷺ ما حدَّث به مجاهد – رحمه الله –، قال: كنت عند عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، وعنده غلام له يَسْلُخُ شاة.... فقال: يا غلام إذا سلخت فابدأ بجارنا اليهودي، وكرر عبد الله رضي الله عنه هذا القول مرارًا.

فقال له الغلام: كم تقول هذا (أي إنك قلت لي ذلك كثيرًا)؟!

فقال: إن رسول الله ﷺ قال: «**ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننتُ أنه سيورثه**»(١) (أي سيجعل له نصيبًا في ميراث جاره).

هكذا جاءت وصية رسول الإسلام ﷺ بالجار دون الالتفات لدين ولا جنس ... فهي عامَّة؛ لأن مظلة السماحة في الإسلام تشمل الناس كافة(٢).

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٥٦٦٩)، ومسلم (٢٦٢٥).

(٢) «سماحة الإسلام» للدكتور أحمد محمد الحوفي، (ص ٦١ – ٦٢)، القاهرة ١٩٦٣م.

هكذا يكون العدل

۞ عَنْ قَحْطَبَةَ بْنِ حُمَيْدِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ قَحْطَبَةَ؛ قَالَ: كُنْتُ وَاقِفًا عَلَى رَأْسِ الْمَأْمُونِ عَبْدِ اللهِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمًا وَقَدْ قَعَدَ إِلَى الْمَظَالِمِ، فَأَطَالَ الْجُلُوسَ حَتَّى زَالَتِ الشَّمْسُ؛ فَإِذَا امْرَأَةٌ قَدْ أَقْبَلَتْ تُعَثَّرُ فِي ذَيْلِهَا حَتَّى وَقَفَتْ عَلَى طَرَفِ الْبِسَاطِ. فَقَالَتْ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ.

فَنظَرَ الْمَأْمُونُ إِلَى يَحْيَى بْنِ أَكْثَمَ، فَأَقْبَلَ يَحْيَى عَلَيْهَا، فَقَالَ: تَكَلَّمِي.

فَقَالَتْ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! قَدْ حِيلَ بَيْنِي وَبَيْنَ ضَيْعَتِي، وَلَيْسَ لِي نَاصِرٌ إِلَّا اللهُ تبارك وتعالى . فَقَالَ لَهَا يَحْيَى بْنُ أَكْثَمَ: إِنَّ الْوَقْتَ قَدْ فَاتَ، وَلَكِنْ عُودِي يَوْمَ الْمَجْلِسِ.

قَالَ: فَرَجَعَتْ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ الْمَجْلِسِ؛ قَالَ الْمَأْمُونُ: أَوَّلُ مَنْ تُدْعَى الْمَرْأَةُ الْمَظْلُومَةُ. فَدُعِيَ بِهَا، فَقَالَ لَهَا: أَيْنَ خَصْمُكِ؟

قَالَتْ: وَاقِفٌ عَلَى رَأْسِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! قَدْ حِيلَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ، وَأَوْمَأَتْ إِلَى الْعَبَّاسِ ابْنِهِ. فَقَالَ لِأَحْمَدَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ: خُذْ بِيَدِهِ وَأَقْعِدْهُ مَعَهَا. فَفَعَلَ، فَتَنَاظَرَا سَاعَةً حَتَّى عَلا صَوْتُهَا عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهَا أَحْمَدُ بْنُ أَبِي خَالِدٍ: أَيَّتُهَا الْمَرْأَةُ! إِنَّكِ تُنَاظِرِينَ الْأَمِيرَ أَعَزَّهُ اللهُ بِحَضْرَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَطَالَ اللهُ بَقَاءَهُ؛ فَاخْفِضِي صوتك.

فَقَالَ الْمَأْمُونُ: دَعْهَا يَا أَحْمَدُ! فَإِنَّ الْحَقَّ أَنْطَقَهَا وَالْبَاطِلَ أَخْرَسَهُ. فَلَمْ تَزَلْ تُنَاظِرُهُ حَتَّى حَكَمَ لَهَا الْمَأْمُونُ عَلَيْهِ، وَأَمَرَهُ بِرَدِّ ضَيْعَتِهَا، وَأَمَرَ ابْنَ أَبِي خَالِدٍ أَنْ يَدْفَعَ إِلَيْهَا عَشْرَةَ آلَافِ دِرْهَمٍ[1].

---

(١) أخرجها ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٣/ ٣٠٨-٣٠٩)، وابن كثير في البداية والنهاية (١٠/ ٢٧٧).

الجأ إلى الله عز وجل

❁ عن الحسن بن خضر عن أبيه قال: أخبرنى بعض الهاشميين قال: كنت جالسًا عند المنصور بإرمينية، وهو أميرها لأخيه أبى العباس، وقد جلس للمظالم، فدخل عليه رجل، فقال: إن لى مظلمةً، وإنى أسألك أن تسمع منى مثلًا أضربه قبل أن أذكر مظلمتى، قال: قُل.

قال: إنى وجدتُ لله تبارك وتعالى؛ خلق الخلق على طبقَاتٍ،... فالصبى إذا خرج إلى الدنيا لا يعرف إلا أمه، ولا يطلب غيرها، فإذا فزع من شىءٍ لجأ إليها، ثم يرتفع عن ذلك طبقةً، فيعرف أن أباه أعرف من أمه، فإن أفزعه شىء لجأ إلى أبيه، ثم يبلغ، ويستحكم، فإن أفزعه شىء لجأ إلى سلطانه، فإن ظلمه ظالم انتصر به،... فإذا ظلمه السلطان لجأ إلى ربه، واستنصره، وقد كنت فى هذه الطبقات وقد ظلمنى ابن نهيك فى ضيعةٍ لى فى ولايته، فإن نصرتنى عليه، وأخذت بمظلمتى وإلا استنصرت إلى الله عز وجل ولجأت إليه، فانظر لنفسك أيها الأمير، أو دَعْ!

فقال أبو جعفر: أعِدْ علىَّ الكلام؟ فأعاده، فقال: أما أول شىءٍ فقد عزلت ابن نهيك عن ناحيته.... وأمر بردِّ ضيعته[1].

---

(١) أخرجها ابن عساكر في مختصر تاريخ دمشق (١/ ١٨٧٣).

يفدي أخاه بنفسه

۞ إنه إبراهيم بن يزيد بن شريك التيمى (إبراهيم التيمى) الذى عَلِم أن الحجَّاج بن يوسف يريد أن يقبض على إبراهيم النخعى ليبطش به.... فلما جاءت جنود الحجَّاج وسألوه: هل أنت إبراهيم النخعى؟ قال: نعم.. فأخذوه وحبسوه حتى مات رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

۞ فعن على بن محمد قال: كان سبب حبس إبراهيم التيمى: أن الحجَّاج طلب إبراهيم النخعى، فجاء الذى طلبه، فقال: أريد إبراهيم فقال إبراهيم التيمى: أنا إبراهيم، فأخذه وهو يعلم أنه إبراهيم النخعى.

فلم يستحلّ أن يدله عليه، فجاء به الحجاج، فأمر بحبسه فى الديماس، ولم يكن لهم ظل من الشمس ولا كَنٌّ من البرد، وكان كل اثنين فى سلسلة، فتغير إبراهيم، فجاءته أمه فى الحبس، فلم تعرفه حتى كلمها، فمات فى السجن، فرأى الحجاج فى منامه قائلًا يقول: مات فى هذه الليلة رجل من أهل الجنة، فلما أصبح قال: هل مات الليلة أحد بواسط؟ قالوا: نعم، إبراهيم التيمى مات فى السجن، فقال: حُلْمٌ نزغة من نزغات الشيطان، فأمر به فأُلقى على الكُناسة.

۞ كان من أقواله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ينبغى لمن لا يحزن أن يخاف أن يكون من أهل النار؛ لأن أهل الجنة قالوا: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾ [1]، وينبغى لمن لا يشفق أن يخاف أن لايكون من أهل الجنة؛ لأنهم قالوا: ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾ [2].

---

(١) سورة فاطر: الآية: (٣٤).

(٢) سورة الطور: الآية: (٢٦).

۞ و كذلك قولـه: مثّلـت نفسـى فى الجنـة آكـل مـن ثمارها،وأشـرب مـن أنهارها، وأعانق أبكارها، ثم مثَّلتُ نفسى فى النار آكل من زَقُّومها، وأشرب من صديدها، وأعالج سلاسلها وأغلالها، فقلت لنفسى: أى شىء تريدين؟ قالـت: أريد أن أُردَّ إلى الدنيا فأعمل صالحًا، قال: قلت: فأنتِ فى الأمنية فاعملى[1].

قصة في العدل مع غير المسلم

۞ لم يفرق الإسلام بين المسلم وغير المسلم في المعاملات العامة، وإقرار مبدأ العدل، ولو كان أحد الخصمين مُسْلمًا والآخر يهوديًّا أو مسيحيًّا.

فقد شكا يهودي الإمام علي بن أبي طالب للخليفة عُمر بن الخطاب..

فقال عُمر لعلي رضي الله عنهما قُمْ يا أبا الحسن فاجلس بجوار خصمك.

ففعل عليٌّ رضي الله عنه وعلى وجهه علامة التأثر.

فلمَّا فَصَلَ عُمر رضي الله عنه في القضية، قال لعليٍّ رضي الله عنه: أكرهت يا عليُّ أن تُساوَى بخصمك؟!

قال عليٌّ رضي الله عنه: لا، لكني تألمت؛ لأنك قد حابيتني (جاملتني)، فقلت لي: يا أبا الحسن، ولم تسوِّ بيننا في هذا التعظيم، فخشيت أن يظن اليهودي أن العدل قد ضاع بين المسلمين[2].

---

(١) صفة الصفوة (٣/ ٥٢) بتصرف.

(٢) الدكتور محمد الصادق عرجون، «الموسوعة في سماحة الإسلام» (١/ ٣٢٢)، وانظر: «سماحة الإسلام» للدكتور أحمد محمد الحوفي، (ص ٧١)، و«فتوح البلدان» للبلاذري، القسم الأول، (ص ٤٧).

رجلٌ عاقل

۞ لما مات بعض الخلفاء، اختلفت الروم، واجتمعت ملوكها، فقالوا: الآن يشتغل المسلمون بعضهم ببعض، فتمكننا الغِرة[١] منهم والوثبة عليهم، وعقدوا لذلك المشورات، وترجعوا فيه بالمناظرات، وأجمعوا على أنه فرصة الدهر، وكان رجل منهم من ذوي العقل والمعرفة غائبًا عنهم، فقالوا: من الحزم عرض الرأي عليه، فلما أخبروه بما أجمعوا عليه، قال: لا أدري ذلك صوابًا ... فسألوه عن علة ذلك، فقال: أخبركم غدًا.

فلما أصبحوا أتوا إليه، وقالوا وعدتنا أن تخبرنا في هذا اليوم بالرأي فيما عوَّلنا عليه، فقال: سمعًا وطاعة، وأمر بإحضار كلبين عظيمين كان قد أعدهما ثم حرَّش[٢] بينهما، وحرَّض كل واحد منهما على الآخر فتواثبا وتهارشا[٣] حتى سالت دماؤهما. فلما بلغا الغاية فتح باب بيت عنده، وأرسل على الكلبين ذئبًا كان قد أعده لذلك، فلما أبصراه تركا ما كانا فيه، وتألفت قلوبهما ووثبا جميعًا على الذئب فقتلاه.

فأقبل الرجل على أهل الجمع، فقال: مثلكم مع المسلمين مثل هذا الذئب مع الكلاب، لا يزال الهرج[٤] بين المسلمين ما لم يظهر لهم عدو من غيرهم، فإذا ظهر تركوا العداوة بينهم، وتألفوا على العدو.

فاستحسنوا قوله، واستصوبوا رأيه، واتبعوا مشورته.

---

(١) أي: الغفلة.

(٢) أي: الإغراء.

(٣) أي: تحريش الكلاب بعضها على بعض.

(٤) أي: الفتنة والاختلاط.

هذا جزاء من أراد بوعظه الدنيا

۞ عن أبي الفضل الربعي قال: حدثني أبي قال: بينا المنصور ذات يوم يخطب، وقد علا بكاؤه قام رجل فقال: يا وَصَّاف تأمر بما تجتنبه وتنهي عما ترتكبه بنفسك، فابدأ بنفسك، ثم بالناس،... فنظر إليه المنصور، وتأمله مَلِيًّا، ثم قال وقطع الخطبة: يا عبد الجبار خُذْه إليك ...فأخذه عبد الجبار ... وعاد إلى خطبته حتى انتهى، وقضى الصلاة، ثم دخل، ودعا بعبد الجبار، فقال له: ما فعل الرجل؟ قال: محبوس عندنا يا أمير المؤمنين.

قال: أَمْلِ له، ثم عَرِّض له الدنيا، فإن صدف عنها، فلعمري إنه لمريد، وإن كلامه ليقع موقعًا حسنًا، وإن مال إلى الدنيا، ورغب فيها، إن لي فيه أَدَبًا يردعه عن الوثوب على الخلفاء وطلب الدنيا بعمل الآخرة.

فراح عبد الجبار، فدعا بالرجل، وقد دعا بغدائه، فقال له: ما حملك على ما صنعتَ؟ قال: حَقٌّ كان لله في عنقي فأديته إلى خليفته.

قال: ادْنُ فكُلْ.

قال: لا حاجة لي فيه.

قال: وما عليك من أكل الطعام، إن كانت نيتك حسنة، فدنا وأكل، فلما أكل طمع فيه، فتركه أيامًا، ثم دعاه فقال: لهي عنك أمير المؤمنين، وأنت محبوس، فهل لك في جارية تؤنسك وتسكن إليها.

قال: ما أكره ذلك، فأعطاه جارية، ثم أرسل إليه: هذا الطعام قد أكلتَ والجارية قد قَبِلْتَ، فهل لك في ثياب تكتسيها وتكسو عيالك إن كان لك عيال، ونفقة تستعين بها على أمرك إلى أن يدعوك أمير المؤمنين.

قال: ما أكره ذلك.

فأعطاه، ثم قال له: ما عليك أن تصنع خُلَّة تبلغ بها الوسيلة من أمير المؤمنين إن أردت الوسيلة عنده إذا ذكر لي.

قال: وما هي؟ قال: أُوَلِّيك الحِسْبَة والمظالم، فتكون أحد عُمَّاله تأمر بالمعروف، وتنهي عن المنكر.

قال: وما أكره ذلك، فولاَّه الحسبة والمظالم، فلما أتى عليه شهر قال عبد الجبار للمنصور: الرجل الذي تَكَلَّم بما تكلم، فأمرت بحبسه قد أكل من طعام أمير المؤمنين، ولبس من ثيابه، وعاش في نعمته، وصار أحد ولاته، وإن أحب أمير المؤمنين أن أُدخله في زي الشيعة فعلت!.

قال: فأدخِله، فخرج عبد الجبار إلى الرجل، فقال: قد دعا بك أمير المؤمنين وقد أعلمته أنك أحد عُماله على المظالم والحسبة، فادخل عليه فى الزى الذى يحب، فألبسه قباءً وعلَّق عليه خنجرًا فى وسطه وسيفًا بمعاليق وأرسل جُمته فدخل، فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين، قال: وعليك، ألست القائم بنا والواعظ لنا ومُذكرنا بأيام الله على رؤوس الملأ؟ قال: نعم، قال: فكيف ملت عن مذهبك؟ قال: يا أمير المؤمنين فكرت فى أمرى فإذا أنا قد أخطأت فيما تكلمت به، ورأيتنى مصيبًا فى مشاركة أمير المؤمنين فى أمانته، فقال: هيهات أخطأت أسلمتك الحفرة! هِبناك يوم أعلنت الكلام، وظننا أنك أردت الله به، فكففنا عنك! فلما تبين لنا أنك أردت الدنيا جعلناك عظةً لغيرك حتى لا يجترئ بعدك مجترئ على الخلافة،... أخرجه يا عبد الجبار، فاضرب عنقه! فأخرجه فقتله[1].

---

(١) أخرجها ابن عساكر في مختصر تاريخ دمشق (٣٢/ ٣١٣-٣١٤).

هذا هو المخرج

۞ فَمن الْمَنْقُول عَن لُقْمَان ... حَدثنَا مَكْحُول أَن لُقْمَان الْحَكِيم كَانَ عبدًا نُوبيًّا أسودًا، وَكَانَ قد أعطَاهُ الله تَعَالَى الْحِكْمَة وَكَانَ رجل من بني إِسْرَائِيل اشْتَرَاهُ بِثَلَاثِينَ مِثْقَالًا ونش، يعْنى نصف مِثْقَال وَكَانَ يعْمل لَهُ، وَكَانَ مَوْلَاهُ يلْعَب بالنرد يقامر عَلَيْهِ، وَكَانَ على بَابه نهر جَارٍ، فلعب يَوْمًا بالنرد على أَن مَن قَمَر صَاحبه شرب المَاء الَّذِي فِي النَّهر كُله أَو افتدى مِنْهُ، وَإِن هُوَ قمر صَاحبه فعل بِهِ مثل ذَلِك، قَالَ: فقُمِر سيد لُقْمَان، فَقَالَ لَهُ القامر: اشْرب مَا فِي النَّهر وَإِلَّا فافتد مِنْهُ، قَالَ: فسلني الْفِدَاء قَالَ: عَيْنَيْك أفقؤهما أَو جَمِيع مَا تملك، قَالَ: أمهلني يومى هَذَا، قَالَ: لَك ذَلِك، قَالَ: فأمسى كئيبًا حَزينًا، إِذْ جَاءَهُ لُقْمَان وَقد حمل حزمة على ظَهره فَسلَّم على سَيّده ثمَّ وضع مَا مَعَه وَرجع إِلَى سَيّده وَكَانَ سَيّده إِذا رَآهُ عَبث بِهِ وَيسمع مِنْهُ الْكَلِمَة الحكيمة فيعجب مِنْهُ، فَلَمَّا جلس إِلَيْهِ قَالَ لسَيِّده: مَا لي أَرَاك كئيبًا حَزينًا فأعرض عَنهُ فَقَالَ لَهُ الثَّانِيَة مثل ذَلِك فأعرض عَنهُ، ثمَّ قَالَ لَهُ الثَّالِثَة مثل ذَلِك فأعرض عَنهُ، فَقَالَ لَهُ: أَخْبرنِي فَلَعَلَّ لَك عِنْدِي فرجًا فقصَّ عَلَيْهِ الْقِصَّة فَقَالَ لَهُ لُقْمَان: لَا تغتم فَإِن لَك عِنْدِي فرجًا. قَالَ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: إِذا أَتَاك الرجل فَقَالَ لَك: اشرب مَا فِي النَّهر فَقل لَهُ: أشرب مَا بَين ضفتي النَّهر أَو الْمَدّ فَإِنَّهُ سَيَقُولُ لَك اشرب مَا بَين الضفتين فَإِذا قَالَ لَك ذَلِك فَقل لَهُ احْبِسْ عني الْمَدّ حَتَّى أشرب مَا بَين الضفتين، فَإِنَّهُ لَا يَسْتَطِيع أَن يحبس عَنْك الْمَدّ، وَتَكون قد خرجت مِمَّا ضمنت لَهُ، فطابت نَفسه فَلَمَّا أصبح جَاءَهُ الرجل فَقَالَ لَهُ: عليك أَن تفي لي بشرطي قَالَ لَهُ: نعم أشرب مَا بَين الضفتين أَو الْمَدّ، قَالَ: لَا بل مَا بَين الضفتين قَالَ: فاحبس عني الْمَدّ قَالَ: كَيفَ أَسْتَطِيع؟ قَالَ: فخصمه، قَالَ: فأعتقه مَوْلَاهُ.

إن البلاء مُوكَّل بالمنطق

۞ عن محمد بن سعد قال: قال الواقدي: قال معاوية بن أبي سفيان يومًا لعبدٍ الجرهمي: أخبرني بأعجب شيء رأيته؟ قال: إني نزلت بَحيٍّ من قُضاعة، فخرجوا بجنازة رجل من بني عذرة يقال له: حرب، وخرجت معهم حتى إذا واروه في حفرته تنحيت جانبًا عن القوم وعيناي تذرفان بالبكاء، ثم تمثلت بأبيات من الشعر كنت أرويها قبل ذلك بزمانٍ طويل:

استقدر الله خيرًا وارضين به ... فبينما العسر إذ دارت مياسير

وبينما المرء في دنياه مغتبطًا ... إذ صار في القبر تعفوه الأعاصير

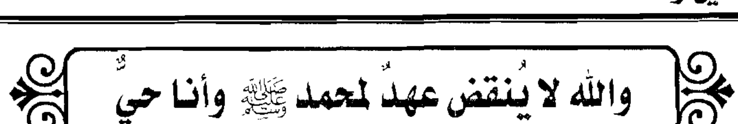
يبكي الغريب عليه ليس يعرفه ... وذو قرابته في الحي مسرور

قال: وإلى جانبي رجل يسمع ما أقول، فقال لي: يا عبد الله، هل لك عِلْم بقائل هذه الأبيات؟ قلت: لا والله إلا أني أرويها من زمان، فقال: والذي تحلف به إن قائلها لصاحبنا الذي دفنَّاه آنفًا الساعة، وهذا الذي تراه ذو قرابته أَسَرُّ الناس بموته،... أنت الغريب تبكي عليه كما وصفتَ.

فعجبت لما ذَكَر في شعره، والذي صار إليه من قوله، كأنه ينظر إلى مكانه من جنازته، فقلت: إن البلاء مُوكَّلٌ بالمنطق، فذهبتْ مثلًا[1].

---

(١) عيون الحكايات (ص ٢٩٦).



والله لا يُنقض عهدٌ لمحمد ﷺ وأنا حيٌّ

۞ كان سبب الأذى الذى لحق بعامر بن عبد الله التميمى رَحِمَهُ اللَّهُ أنه فى يوم من الأيام كان يسير فى الطريق يذكر ربه (جلَّ وعلا) وإذا به يجد أحد رجال الشرطة قد أمسك بعنق رجل من أهل الذمة... وهذا الرجل الذِّمى يستغيث الناس من حوله ويقول: أجيرونى أجاركم الله.. أجيروا رجلًا من أهل الذمة.. أجيروا ذمة نبيكم يا معشر المسلمين.

فجاءه عامر قائلًا: أعليك جزية يا رجل؟

فقال: لا بل أديتها ولكن أجرنى من هذا الرجل صاحب الشرطة، فتلفَّت عامر لرجل الشرطة، وقال له: اتركه وشأنه. فرفض الشرطى قائلًا: لن أتركه حتى يأتى على حديقة رئيس الشرطة فى البصرة فينظفها.

فقال الرجل: لا أستطيع، فإن فى عنقى أطفالًا أسعى لقوتهم، وعَمَلُ هذا يشغلنى عن السعى، ويوهن قواى التى أدخرها من أجل قوت أولادى.

فقال عامر لرجل الشرطة: اتركه وشأنه. فرفض الشرطى طلب عامر.

فقال عامر: أتنقصُ عهد محمد رسول الله يا رجل، والله لا يُنْقَضُ عهدٌ لمحمد وأنا حيٌّ، وانقضَّ عامر على الشرطى فخلَّص الرجل من بين يديه بالقوة وأطلق سراحه، وقال له: اذهب لقوت عيالك. بلغ ذلك والى البصرة، وأمير الشرطة عليها، فاتَّهم عامرًا بالخروج عن طاعة أولى الأمر.

واتَّهمه بالخروج على السنة والجماعة وقال: إنه رجل لا يتزوج النساء ولا يأكل الجبن وأنه يتعالى على شهود مجالس الولاة فلا يأتيهم أبدًا.

ورفعوا أمره إلى أمير المؤمنين عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فأمر عثمان واليه على البصرة بدعوة عامر والتحقيق معه فيما نُسب إليه ويكتب له فى ذلك بعد انتهاء التحقيق، وجىء بعامر بن عبد الله أمام والى البصرة، فقال له الوالى: إن أمير المؤمنين عثمان بن عفان أمرنا أن نتحقق من أمور نُسبت إليك.

قال عامر: وما هى هذه الأمور التى نُسبت إلىَّ؟

فقال الوالى: إنك لا تتزوج النساء، ولا تأكل الجبن وتمتنع عن أبواب الولاة وشهود مجالسهم.

فقال عامر: فأما الأولى لكى لا تشغلنى عن ذكر الله، فإنى امرؤ له نفس واحدة كما ذكرت سابقًا، وخشيت غلبة الزوجة، ولكن أشهد أنه لا رهبانية فى الدين.

أما الثانية: فأنا بمنطقة فيها مجوس يعبدون النار، والشمس يصنعون الجُبْنَ، وهم قوم لا يميزون بين الميتة والمذبوحة، وأخشى أن يكون الجبن من شاة غير مذبوحة، ولم يُذكر اسم الله عليها، فإن جاء من شاهدين على أن الجبن من منفحة شاة مذبوحة ذُكر اسم الله عليها أكلته، ولا أمتنع.

أما الثالثة: فإنَّ فى أبواب الولاة كثير من طُلَّاب الحاجات، وأنا لستُ منهم، فادعوا أصحاب الحاجات إليكم، واقضوا حوائجهم، واتركوا من لا حاجة له عندكم[1].

بلغ كل هذا عثمان بن عفان، فعفا عنه، إلا أنَّ ولاته على العراق لم يقتنعوا بذلك، ودَبَّ خلاف بين مُحبى عامر وأنصاره وأعدائه من ناحية أخرى، فأمر عثمان بترحيله إلى الشام، وأوصى معاوية بإكرامه ورعايته.

---

(١) وردت فى تاريخ ابن عساكر (٣٦٨-٣٧٠)، والحلية (١/ ١١٤)، والطبقات (٧/ ١٠٣، ١٠٧).

لا يعرف قدر ما يبيعه

۞ حدَّث رجل خُراسانى من بعض أصحاب الصنعة، ممن كان يُعرف بالأحجار الخواصيّة[١]، قال:

اجتزت ببائع فى الطريق بمصر، فرأيت عنده حجرًا أعرفه، يكون وزنه خمسة دراهم، مليح المنظر، وكنت أعرف أن خاصيته فى طرد الذباب، وكنت فى طلبه منذ سنين كثيرة. فحين رأيته ساومته فيه، فاستام علىَّ به خمسة دراهم فلم أُماكسه[٢] ودفعتها إليه صحاحًا. فلما حصلت فى يده، وحصل الحجر فى يدى، أقبل يسخر منّى. ويقول: يجيء هؤلاء الحمير، لا يدرون أيش يُعطون، ولا أيش يأخذون، والله، إنّ هذه الحصاة رأيتها منذ أيام مع صبىّ، فوهبت له دانق فضّة، وأخذتها، وقد اشتراها هذا الأحمق منى بخمسة دراهم. فرجعت إليه، وقلت له: يجب أن أُعرّفك أنّك أنت الأحمق، لا أنا.

قال: كيف؟ قلت: قم معى، حتى أُعرِّفك ذلك. فأقمته ومضينا، حتى اجتزنا ببائع يبيع التمر فى قصعة، والذباب محيط بها.

فنحَّيت الرجل بعيدًا من القصعة، وجعلت الحجر عليها، فحين استقر عليها طار جميع الذباب.

وتركته ساعة، وهى خالية من ذبابة واحدة فما فوقها، ثم أخذت الحجر فرجع الذباب، ثم رددته، فطار الذباب.

---

(١) الخواصية: التي تنفرد بخصائص معينة.

(٢) أي: لم أناقشه.

ففعلت ذلك ثلاث مرات، ثم خبَّأت الحجر.

وقلت: يا أحمق، هذا حجر الذباب، وأنا قدمت فى طلبه من خراسان، يجعله الملوك عندنا على موائدهم، فلا يقربها الذباب ولا يحتاجون إلى مَذبَّة[1]، ولا إلى مروحة، والله، لو لم تبعنى إيّاه إلّا بخمسمائة دينار، لاشتريته منك.

قال: فشهق شهقة، قدّرت أنّه تلف، ثم أفاق منها بعد ساعة، وافترقنا.

هل هناك هدية أفضل منها؟!

۞ وقالَ أَبُو عُبَيْدَةَ بنُ مَعْنٍ، عَنِ الأَعْمَشِ، عَنْ أَبِى البَخْتَرِىِّ قَالَ:

جَاءَ الأَشْعَثُ بنُ قَيْسٍ وَجَرِيْرُ بنُ عَبْدِ اللهِ فَدَخَلاَ عَلَى سَلْمَانَ فِى خُصٍّ فَسَلَّمَا وَحَيَّيَاهُ ثُمَّ قَالاَ: أَنْتَ صَاحِبُ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ؟ قَالَ: لاَ أَدْرِى فَارْتَابَا قَالَ: إِنَّمَا صَاحِبُهُ مَنْ دَخَلَ مَعَهُ الجَنَّةَ ... قَالاَ: جِئْنَا مِنْ عِنْدِ أَبِى الدَّرْدَاءِ قَالَ: فَأَيْنَ هَدِيَّتُهُ؟ قَالاَ: مَا مَعَنَا هَدِيَّةٌ قَالَ: اتَّقِيَا اللهَ وَأَدِّيَا الأَمَانَةَ مَا أَتَانِى أَحَدٌ مِنْ عِنْدِهِ إِلَّا بِهَدِيَّةٍ قَالاَ: لاَ تَرْفَعْ عَلَيْنَا هَذَا إِنَّ لَنَا أَمْوَالًا فَاحْتَكِمْ قَالَ: مَا أُرِيْدُ إِلَّا الهَدِيَّةَ قَالاَ: وَاللهِ مَا بَعَثَ مَعَنَا بِشَىْءٍ إِلَّا أَنَّهُ قَالَ: إِنَّ فِيْكُم رَجُلًا كَانَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ إِذَا خَلاَ بِهِ لَمْ يَبْغِ غَيْرَهُ فَإِذَا أَتَيْتُمَاهُ فَأَقْرِئَاهُ مِنِّى السَّلاَمَ قَالَ: فَأَىُّ هَدِيَّةٍ كُنْتُ أُرِيْدُ مِنْكُمَا غَيْرَ هَذِهِ وَأَىُّ هَدِيَّةٍ أَفْضَلُ مِنْهَا؟.

(١) أي: المنشَّة.

من بركات النبي ﷺ

۞ قَالَ أَبُو قِرْصَافَةُ اللَّيْثِيّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ صَاحِبَ رَسُولِ اللهِ ﷺ:

كَانَ بَدْءُ إِسْلَامِي أَنِّي كُنْتُ يَتِيمًا بَيْنَ أُمِّي وَخَالَتِي، فَكَانَ أَكْثَرُ مَيْلِي إِلَى خَالَتِي، وَكُنْتُ أَرْعَى شُوَيْهَاتٍ لِي، وَكَانَتْ خَالَتِي كَثِيرًا مَا تَقُولُ لِي: يَا بُنَيَّ، لَا تَمُرَّ إِلَى هَذَا الرَّجُلِ - تَعْنِي النَّبِيَّ ﷺ - فَيُغْوِيَكَ وَيُضِلَّكَ.

فَكُنْتُ أَخْرُجُ حَتَّى آتِيَ الْمَرْعَى، فَأَتْرُكَ شُوَيْهَاتِي، ثُمَّ آتِيَ النَّبِيَّ ﷺ، فَلَا أَزَالُ عِنْدَهُ أَسْمَعُ مِنْهُ، ثُمَّ أَرُوحُ بِغَنَمِي ضُمَّرًا يَابِسَاتِ الضُّرُوعِ.

وَقَالَتْ لِي خَالَتِي: مَا لِغَنَمِكَ يَابِسَاتِ الضُّرُوعِ؟

قُلْتُ: مَا أَدْرِي.

ثُمَّ عُدْتُ إِلَيْهِ الْيَوْمَ الثَّانِيَ، فَفَعَلَ كَمَا فَعَلَ الْيَوْمَ الْأَوَّلَ، غَيْرَ أَنِّي سَمِعْتُهُ يَقُولُ:

«أَيُّهَا النَّاسُ، هَاجِرُوا وَتَمَسَّكُوا بِالْإِسْلَامِ، فَإِنَّ الْهِجْرَةَ لَا تَنْقَطِعُ مَا دَامَ الْجِهَادُ». ثُمَّ إِنِّي رَجَعْتُ بِغَنَمِي كَمَا رَجَعْتُ الْيَوْمَ الْأَوَّلَ.

ثُمَّ عُدْتُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ، فَلَمْ أَزَلْ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ أَسْمَعُ مِنْهُ حَتَّى أَسْلَمْتُ وَبَايَعْتُهُ وَصَافَحْتُهُ بِيَدِي، وَشَكَوْتُ إِلَيْهِ أَمْرَ خَالَتِي وَأَمْرَ غَنَمِي، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«جِئْنِي بِالشِّيَاهِ»**.

فَجِئْتُهُ بِهِنَّ، فَمَسَحَ ظُهُورَهُنَّ وَضُرُوعَهُنَّ، وَدَعَا فِيهِنَّ بِالْبَرَكَةِ، فَامْتَلَأَتْ شَحْمًا وَلَبَنًا.

فَلَمَّا دَخَلْتُ عَلَى خَالَتِي بِهِنَّ، قَالَتْ: يَا بُنَيَّ، هَكَذَا فَارْعَ.

قُلْتُ: يَا خَالَةُ، مَا رَعَيْتُ إِلَّا حَيْثُ كُنْتُ أَرْعَى كُلَّ يَوْمٍ، وَلَكِنْ أُخْبِرُكِ بِقِصَّتِي، فَأَخْبَرْتُهَا بِالْقِصَّةِ، وَإِتْيَانِي النَّبِيَّ ﷺ، وَأَخْبَرْتُهَا بِسِيرَتِهِ وَبِكَلَامِهِ.

فَقَالَتْ لِي أُمِّي وَخَالَتِي: اذْهَبْ بِنَا إِلَيْهِ.

فَذَهَبْتُ أَنَا وَأُمِّي وَخَالَتِي، فَأَسْلَمْنَ وبايَعْنَ رَسُولَ اللهِ ﷺ[1].

---

(١) الأحاديث الطوال للطبراني (ص ٢١٢)، المعجم الكبير له (٣/ ١٧) رقم (٢٥١٣)، وفي مجمع الزوائد (٩/ ٣٩٥) عزاه للطبراني، وقال: رجاله ثقات.

صبرٌ كالجبال

۞ قال تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴾[١].

وقال ﷺ: «.... **والصبر ضياءٌ**..»[٢].

وقال رسولُ الله ﷺ: «**عجبًا لأمر المُؤمن إن أمرهُ كُلهُ لهُ خيرٌ، وليس ذلك لأحدٍ إلا للمُؤمن: إن أصابتهُ سراءُ شَكَر فكان خيرًا لهُ، وإن أصابتهُ ضراءُ صَبَر فكان خيرًا لهُ**»[٣].

۞ وعن أنسٍ رضي الله عنه قال: مَرَّ النبيُّ ﷺ بامرأةٍ تبكى عند قبرٍ فقال: «**اتقى الله واصبرى**» فقالت: إليك عنى، فإنك لم تُصَب بمصيبتى، ولم تعرفهُ، فقيل لها: إنه النبيُّ ﷺ، فأتت باب النبى ﷺ، فلم تجد عندهُ بوابين، فقالت: لم أعرفك، فقال: «**إنما الصبر عند الصدمة الأولى**»[٤].

۞ وفى رواية لُمسلمٍ: «**تبكى على صبىٍّ لها**».

۞ وعن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**يقول الله تعالى: ما لعبدى المُؤمن عندى جزاءٌ إذا قبضتُ صَفِيَّهُ من أهل الدُّنيا ثُم احتسبهُ إلا الجنة**»[٥].

۞ قالوا: إن سليمان بن عبد الملك لم يكن له من الأولاد إلا ابنٌ واحد

---

(١) سورة البقرة: الآيات: (١٥٥-١٥٧).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٢٣) كتاب الطهارة.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٩٩٩) كتاب الزهد والرقائق.

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (١٢٨٣) كتاب الجنائز، ومسلم (٩٢٦) كتاب الجنائز.

(٥) صحيح: رواه البخارى (٦٤٢٤) كتاب الرقاق.

وكان مُقرَّبًا إلى قلب أبيه واسمه أيوب، وقد جعله سليمان ولى عهده فكان لا يفارق مجلسه وكان سليمان لا يرفع بصره عن وجهه، وكان يصحبه فى حِلِّه وترحاله ولا يصبر على بُعده طرفة عين ... وحدث أن مرض مرضًا شديدًا فبذل الخليفة فى سبيل شفائه من هذا المرض الأموال الطائلة فلم يفلح الطب فى دوائه، فلما حضرته الوفاة ودخل عليه أبوه وهو يجود بنفسه ودخل معه عمر بن عبد العزيز ووزيره رجاء بن حيوة وقد جمد الدمع فى عينيه واضطربت أنفاسه فجعل ينظر إلى ابنه على فراش الموت والعَبرة تخنقه وجعل يقول هذه الكلمات: إن العبد لا يملك نفسه عند المصيبة... والناس فى ذلك أنواع فمنهم من يحتسب مصيبته عند الله ومنهم من يغلبه الجزع وإنى أجد فى قلبى لوعة ألمٍ حارة أبردها بدمعة تصدع قلبى كمدًا فماذا ترون. فقال له عمر بن عبد العزيز: يا أمير المؤمنين! اتقِ الله واصبر فذلك أولَى بك ولا تُحبطن أجرك، فلم يعجبه قوله، ونظر إلى رجاء نظرة المستغيث، فقال له رجاء: يا أمير المؤمنين أزل عن عينيك دمعها حتى تهدأ نفسك فقد بكى النبى ﷺ على ولده إبراهيم ... فبكى سليمان حتى علا نحيبه وجعل ينشج نشيجًا مُحزنًا ويردد كلامًا غير مفهوم، حتى ظن الناس أن نياط قلبه قد تقطَّع. فأقبل عمر بن عبد العزيز على رجاء وجعل يلومه، فقال له رجاء: دعه يقضى من حزنه وترًا فإنه لو لم يُخرج من عينه هذه الدموع لقُضى عليه. فلما فرغوا من تجهيزه وبدأ موكب الجنازة فى السير إلى القبر أحضروا للخليفة فرسًا يركبه فأصر على أن يشيعه إلى قبره ماشيًا فلما دُفن أيوب قام أبوه على قبره يودعه ويبكى.

ثم قال: السلام عليك يا بنى. السلام عليك يا أيوب لقد كنتَ لنفسى أنيسًا فأوحشتها وكنت لى جليسًا ففارقتنى، وكنت لى أملًا فاقتلعته القضا

فأقفر القصر من منظرك وأصبح الروض من بعدك صامتًا ذبول فالعيش من بعدك مُرٌّ مذاقه. فأقبل عليه عمر بن عبد العزيز وقال له: يا أمير المؤمنين بل الصبر أرجى عند الله. فقال له: صدقت وعاش يبكيه حتى لقيه.

۞ وروت كتب التاريخ أن امرأة من هُذيل كان لها عشرة من الأولاد.

وعشرة من الأخوة وعشرة من الأعمام، وحدث أن ماتوا جميعًا فى يوم واحد، فى وفاة الطاعون، وبقيت وحدها فى هذا الفراق المفاجئ وفتَّت كبدها ذلك الحادث الأليم ولكنها تصبَّرت وعاشت راضية بقضاء الله حتى تقدم إليها رجل فتزوجها، وبعد أسبوع من زواجها لقى ربه. وخلفها وراءه حاملًا، فامتد أملها فى الحياة وصمدت لضربات الدهر، وهجمات القدر، وسألت ربها أن يكون ما فى بطنها غلامًا فلعله يؤنس نفسها ويداوى جرحها، وقد استجاب الله دعاءها ووهبها غلامًا جميلًا فعاشت له وعاشت به ورأت فى وجهه صورة أبيه وصورة أخواله وأجداده ونَعِمت به حتى بلغ مبلِغ الرجال فزوَّجته، وفى ليلة زفافه على عروسه اغتاله الموت، فقام الحاضرون على تجهيزه فغسَّلوه وكفَّنوه، فلما أرادوا حمله إلى القبر، قالت لهم: دعوه حتى أودعه وألقى عليه نظرة دامعة فدخلت عليه وأكبَّت على جُسمانه تحتضنه وتُقبله وترثيه بأحرِّ الكلمات وأوجع العبارات وكأنها كانت تبكى فى شخصه كل من مات من أسلافها أو كأنما تجمَّعت أمام عينها كل أحزانها وكان مما حُفظ من قولها هذه الكلمات:

ألا تلك المسرَّةُ لا تدومُ ... ولا يبقى علَى الدَّهر النعيمُ

ولا يبقى علَى الحدثانِ ابن ... بمنزلةٍ له أمٌّ رؤومُ

وما زالت تنعيه بمثل هذه الكلمات الباكية حتى فاضت روحها فدُفنا معًا.

الرحمة بالنساء

۞ في إحدى المعارك الحاسمة التي خاضها محمد ﷺ مع أعدائه، رأى أحد أركان جيشه الذي تربَّى في مدرسته، وهو ابن عمه علي بن أبي طالب رضي الله عنه، جنديًا مُلثمًا من الأعداء ينتقل بين جثث الجرحى والقتلى من جيش محمد ﷺ، ويشوههم تشويهًا فظيعًا مُمثلًا بجثثهم، حتى بلغ الأمر بالتمثيل بأقرب الناس إليه؛ عمه حمزة رضي الله عنه، فهال المشهد القائد، وعزم على الانتقام من هذا الجندي والقضاء عليه، فقصده كالسهم، ولكنه فوجئ وهو يرفع عليه سيفه فوق رأسه ليقضي عليه بأنه امرأة من العدو مستترة في زي رجل.

وازن هذا القائد بين الانتقام وبين المبادئ السامية التي تشرَّبها في مدرسة محمد ﷺ، فغلب على نفسه الخُلق الإسلامي النبيل، فما كان منه إلا أنه أنزل سيفه، وكظم غيظه، وترك هذه المرأة، رغم أفعالها الشنيعة في أصحابه، تسير في حال سبيلها!!.

فأي خُلقٍ هذا؟ وأي مبادئ سامية؟ وأي عظمة هي؟ وأي احترام للمرأة رحمة بها حتى ولو كانت في صف العدو؟

ولكنها عظمة محمد ﷺ وأتباعه، وعظمة الإسلام الذي علَّمهم ذلك[1].

۞ وقد كانت هذه المرأة هي (هند بنت عتبة) زوج أبي سفيان بن حرب التي تأثرت بهذه الرحمة التي رأتها فأسلمت بعد ذلك وحَسُن إسلامها.

---

(١) رسالة إلى الغرب - هذا هو محمد ﷺ الرسول الذي يعظمه المسلمون (١/ ١٦).

عرفته من إلقاء شِعره

۞ كان عباس بن ناصح، الشاعر الأندلسى، لا يَقْدُم من المشرق قادم إلا سأله عمن نَجَم[1] هناك فى الشعر، حتى أتاه رجل من التُّجَّار فأعلمه بظهور أبى نواس، وأنشده من شعره قصيدتين، إحداهما قوله:

جَريتُ مع الصِّبا طلقَ الجُمُوح

والثانية:

أما ترى الشّمس حَلَّت الحملا

فقال عباس: هذا أشعرُ الجن والإنس، والله لا حبسنى عنه حابس.

فتجهز إلى المشرق، فلما حَلَّ بغداد نزل منزلة المسافرين، ثم سأل عن منزل أبى نواس، فأُرشد إليه، فإذا بقصر على بابه الخُدَّام. فدخل مع الداخلين، ووجد أبا نواس جالسًا فى مقعدٍ نبيلٍ، وحولَه أكثر متأدّبى بغداد، يجرى بينهم التمثُّل والكلام فى المعانى، فسلَّمً عباس وجلس حيث انتهى به المجلس، وهو فى هيئة السفر.

فلما كاد المجلس ينقضى، قال له أبو نواس: مَن الرجل؟

قال: باغى أدب.

قال: أهلًا وسهلًا. من أين تكون؟

قال: من المغرب الأقصى، ... وانتسب له إلى قرطبة.

فقال له: أتروى من شعر أبى المخشى شيئًا؟

قال: نعم.

---

(١) نَجَم: أى: ظَهَر.

قال: فأنشِدنى.

فأنشده شعره فى العمى .... فقال أبو نواس:

هذا الذى طَلبته الشعراء فأضلَّته. أنشِدنى لأبى الأجرب.

فأنشده. ثم قال أنشدنى لبكر الكنانى.

فأنشده. ثم قال أبو نواس: شاعر البلد اليوم عباسُ بن ناصح؟

قال عباس: نعم.

قال: فأنشِدنى له. فأنشده:

فـــأدْتُ القَـــريض ومَـــن ذا فـــأدْ

فقال أبو نواس: أنت عباس؟

قال: نعم. فنهض أبو نواس إليه فاعتنقه إلى نفسه، وانحرف له عن مجلسه. فقال له من حضر المجلس: من أين عرفتَه أصلحك الله؟

قال أبو نواس: إنى تأمَّلته عند إنشاده لغيره، فرأيته لا يبالى ما حدث فى الشعر من استحسان أو استقباح، فلما أنشدنى لنفسه استبَنْتُ عليه وَجْمَةً، فقلت: إنه صاحب الشعر.



ليس هذا بقاصّ .. هذا نذير قوم

۞ قال عبد الرحمن بن مهدى: كنت أذكر صالحًا المرِّى لسفيان، فيقول: القَصص القَصص، كأنه يكرهه، فكان إذا كانت له حاجة بكَّر فيها. فبكّر يومًا وبكَّرت معه، فجعلت طريقنا على مسجد صالح المرى فقلت: يا أبا عبد الله ندخل فنصلّى فى هذا المسجد، فدخل فصلّينا وكان يوم مجلس صالح، فلما صلَّوْا ازدحم الناس فبقينا لا نقدر أن نقوم، وتكلم صالح فرأيت سفيان يبكى بكاءً شديدًا،فلما فرغ وقام قلت له: يا أبا عبد الله كيف رأيت هذا الرجل؟ فقال: ليس هذا بقاصّ هذا نذير قوم.

۞ عن عفان بن مسلم قال: كنا نأتى مجلس صالح المرى نحضره وهو يقص، وكان إذا أخذ فى قصصه كأنه رجل مذعور يُفزعك أمره، من حزنه وكثرة بكائه كأنه ثكلى، وكان شديد الخوف من الله كثير البكاء.

۞ وعن الأصمعى قال: شهدت صالحًا المرى عزّى رجلًا على ابنه، فقال: لئن كانت مصيبتك بابنك لم تُحدث لك موعظة فى نفسك، فمصيبتك بابنك جَللٌ من مصيبتك فى نفسك، فإياها فابْكِ[1].

---

(١) صفة الصفوة (٣/ ٢١٢-٢١٣).

مغبة الرياء

۞ عن أبى هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أول الناس يُقضى يوم القيامة عليه رجلٌ استُشهد، فأُتى به، فعرَّفه نعمه، فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلتُ فيك حتى استُشهدتُ. قال: كذبت، ولكنك قاتلت لأن يُقال: فلان جرىء، فقد قيل، ثم أمر به فسُحب على وجهه حتى أُلقى فى النار. ورجل تعلم العلم وعلَّمه، وقرأ القرآن، فأُتى به، فعرَّفه نعمه، فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمتُ العلم وعلَّمتُه، وقرأتُ فيك القرآن، قال: كذبت، ولكنك تعلمت ليقال: عالم، وقرأت القرآن ليقال: هو قارئ، فقد قيل، ثم أمر به فسُحب على وجهه حتى أُلقى فى النار. ورجل وسَّع الله عليه، وأعطاه من أصناف المال، فأُتى به فعرَّفه نعمه، فعرفها قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تُحِبُّ أن يُنفَق فيها إلا أنفقتُ فيها لك، قال: كذبت، ولكنك فعلت ليقال هو جوادٌ، فقد قيل، ثم أمر به فسُحب على وجهه حتى أُلقى فى النار» .

۞ وعن أُبى بن كعبٍ قال: قال رسول الله ﷺ: «بشِّر هذه الأمة بالسناء والدين والرفعة، والتمكين فى الأرض، فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا، لم يكُن له فى الآخرة من نصيبٍ»(٢).

۞ وعن معاذ بن جبل عن رسول الله ﷺ قال: «ما من عبدٍ يقومُ فى الدنيا مقام سُمعة ورياء إلا سمَّع الله به على رؤوس الخلائق يوم القيامة»(٣).

---

(١) صحيح: رواه مسلم (١٩٠٥) كتاب الإمارة.

(٢) صحيح: رواه أحمد وابن حبان والحاكم وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٢٨٢٥).

(٣) صحيح لغيره: رواه الطبرانى وصححه الألبانى فى صحيح الترغيب (٢٨).

۞ وعن رُبيح بن عبد الرحمن بن أبى سعيدٍ الخدرى عن أبيه عن جده قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نتذاكر المسيح الدجال، فقال: «**ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندى من المسيح الدجال؟**». فقلنا: بلى يا رسول الله! فقال: «**الشرك الخفى؛ أن يقوم الرجلُ فيصلى، فيُزينُ صلاته لما يرى من نظر رجلٍ**»(١).

۞ وعن محمود بن لبيد قال: خرج النبى ﷺ فقال: «**يا أيها الناسُ! إياكم وشرك السرائر**» قالوا: يا رسول الله! وما شرك السرائر؟ قال: «**يقومُ الرجل فيصلى فيُزينُ صلاته جاهدًا لما يرى من نظر الناس إليه، فذلك شركُ السرائر**»(٢).

۞ وعن محمود بن لبيد أن رسول الله ﷺ قال: «**إن أخوف ما أخافُ عليكم الشرك الأصغر**». قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: «**الرياء، يقول الله ﷻ إذا جزى الناس بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تُراؤون فى الدنيا، فانظروا هل تجدون عندهم جزاءً**»(٣).

۞ وعن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**قال الله عزوجل: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، فمن عمل لى عملًا أشرك فيه غيرى فأنا منه برىءُ، وهو للذى أشرك**»(٤).

۞ وها هى بعض القصص التى تبين لنا مغبَّة الرِّياء.

قالوا: إن سيدنا عليًّا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ دخل المسجد يومًا فرأى رجلًا يصلى ويبكى

---

(١) حسن: رواه ابن ماجة والبيهقى، وحسنه الألبانى فى صحيح الترغيب (٣٠).

(٢) حسن: رواه ابن خزيمة وحسنه الألبانى فى صحيح الترغيب (٣١).

(٣) صحيح: رواه أحمد والبيهقى وصححه الألبانى فى صحيح الترغيب (٣٢).

(٤) صحيح: رواه ابن ماجه وابن خزيمة، وصححه الألبانى فى صحيح الترغيب (٣٤).

فنظر إليه وقال له ناصحًا مؤدبًا، يا أخى ليس هذا مكان البكاء والعويل ما أجمل هذا منك لو كان فى بيتك.

۞ ومن الذين عُرفوا بالرياء فى أعمالهم وطلبوا الشهرة وأنشدوا حب الظهور «بلال بن أبى بردة» حفيد سيدنا أبى موسى الأشعرى. قالوا: إنه دخل العراق يومًا وجاء إلى مسجد الكوفة فصلى فيه، فلما فرغ من صلاته سأله رجل من أهل الكوفة: من أنت يا هذا؟ فأجاب: بلال بن أبى بردة حفيد الصحابى الجليل أبى موسى الأشعرى، فقال له الرجل: مرحبًا بك فنعم النسب نسبك فمنذ كم جئت العراق؟ فقال بلال: منذ شهرين وأنا مع ذلك صائم منذ عشرين سنة، فقال له الكوفى: يا أخى سألتك عن شىء واحد، فأجبتنى عن شيئين فأى علاقة بين مجيئك وصيامك؟ فخجل بلال من قوله، وقال له: قاتل الله الشيطان يا أخى إنه لا يترك الإنسان منا حتى فى كلامه، ولم يتعظ بلال بن أبى بردة بعثرته تلك حتى عثر قبل أن يخرج من العراق عثرة أخرى دفع فيها الثمن غاليًا، وكان ذلك بسبب مراءاته فى عبادته وعدم إخلاصه لله، قالوا: إنه لما جاء إلى العراق كان يبتغى إمارة يقوم على إدارتها ويعمل أميرًا عليها، معتمدًا فى ذلك على حسبه ونسبه وأنه من شيعة العباسيين، ولكى ينال ثقة الخليفة ويستحوذ على حبه وقلبه ويظفر بتقديره واحترامه تظاهر بالصلاح والتُّقى وأكثر من الطاعة والعبادة حتى شاع ذلك عنه وأحبَّه الخليفة فعلًا وعزم على أن يوليه إمارة من الإمارات، وقبل أن يصدر الخليفة أمرًا بذلك استشار جُلساءه وخاصة فى شأن توليته ليعرف رأيهم فيه، فقال أحدهم: يا أمير المؤمنين لا تغتر به فإنه مُراءٍ وإنه يفعل ما يفعله من العبادة خداعًا لك وإن شئت أقمت لك الدليل على ما أقول.

فقال له الخليفة: وما ذاك؟ فقال: سوف آتيك بالنبإ اليقين فأمهلنى أيامًا،

ثم انصرف عن مجلسه وبحث عن بلال فصاحبه وأظهر له الود والحب حتى أَنِست نفسه به واطمأن قلبه إليه وأصبح بلال لا يطيق بُعده عنه ولا يصبر على فراقه إياه.

ومكث الرجل على ذلك حينًا من الزمن إلى أن دخل عليه يومًا وهو يصلى وكان من عادة بلال أن يطيل فى صلاته، فلما دخل عليه صاحبه قال له: أقصِر من صلاتك فإن لى إليك حاجة تهمك وتطيب بها نفسك، فخفف بلال صلاته وأقبل على صاحبه يستبينه الأمر، فقال له صاحبه: كم تعطينى من المال إن بشَّرتك بشىء يُسَرُّ به قلبك وينشرح له صدرك؟ فقال بلال: يا أخى إن عطائى لك مرهون بقيمة البشرى، فقال له صاحبه: إنها الإمارة، ولقد جرى اسمك الليلة فى مجلس أمير المؤمنين، وهو يريد أن يوليك ولاية كبيرة، فتهلَّل وجه بلال من شدة الفرح، وقال: يا أخى إن كان ذلك حقًّا فلك عندى ألف دينار عاجلة، ونصف خراج هذه الولاية آجلًا، فقال: إن الشيطان لا يترك أديمًا صحيحًا وإن القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن لا تثبت على حال فاكتب لى بهذا صكًّا يكون حجة لى عليك إذا تقلدت إمارتك فكتب له بلال بخطه كتابًا وأثبت فيه قيمة الجائزة التى وعد بها ووقَّع على هذا الكتاب بخطه ثم دفعه إليه، فأخذه الرجل ودخل به على الخليفة فتعجب من ذكائه ودهائه، وغيَّر نظرته إلى بلال وأيقن أنه ما كان يُكثر الصيام ويطيل القيام إلا خداعًا ورياءً، فولَّى هذا الرجل الإمارة التى كان سيولى عليها بلالًا وجعل يردد هذا البيت الذى قاله أبو على التهامى:

ثوب الرياء يشف عما تحته ... فإذا التحفت به فإنك عارى

خوفهم من الرياء

۞ قَالَ أَحْمَدُ بنُ أَبِي الحَوارِي: حَدَّثَنا أَبُو عَبْدِ اللهِ الأَنْطاكِي، قَالَ:
اجْتَمَعَ الفُضَيلُ وَالثَّوْرِي، فَتَذاكَرَا فَرَقَّ سُفيانُ، وَبَكَى، ثُمَّ قَالَ: أَرْجُو أَنْ يَكُوْنَ هَذَا المَجْلِسُ عَلَينا رَحْمَةً وَبَرَكَةً.

فَقَالَ لَهُ الفُضَيلُ: لَكِنِّي يا أَبَا عَبْدِ اللهِ، أَخَافُ أَنْ لاَ يكُوْنَ أَضَرَّ عَلَينا مِنْهُ، أَلَسْتَ تَخَلَّصْتَ إِلَى أَحْسَنِ حَدِيثِكَ، وَتَخَلَّصْتُ أَنَا إِلَى أَحْسَنِ حَدِيثِي، فَتَزَينْتَ لِي، وَتزَينْتُ لَكَ؟

فَبَكَى سُفْيانُ، وَقَالَ: أَحْيَيتَنِي، أَحْياكَ اللهُ.

عمر بن الخطاب رضي الله عنه يخشى على نفسه من النفاق!!!

۞ رَوَى أَبُو حُرَّةَ، عَنِ الْحَسَنِ البَصْرِي رحمه الله، قَالَ:
هَلَكَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِي ﷺ، وَكَانَ جَارَ حُذَيفَةَ رضي الله عنه، فَلَمْ يصَلِّ عَلَيهِ حُذَيفَةَ، فَبَلَّغَ ذَلِكَ عُمَرُ لِحُذَيفَةَ، وَأَقْبَلَ عَلَيهِ قائلًا:

يمُوتُ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلَا تُصَلِّى عَلَيهِ؟!

فَقَالَ: «يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّهُ مِنْهُمْ».

قَالَ عُمَرُ رضي الله عنه: فَنَشَدْتُكَ اللهَ، أَأَنَا مِنْهُمْ أَمْ لَا؟

قَالَ: «اللَّهُمَّ لَا، وَلَا أُؤَمِّنُ مِنْهَا أَحَدًا بَعْدَكَ»[١].

---

(١) مساوئ الأخلاق (٣٠٩) للخرائطي.

احذر من الغيبة والنميمة

۞ حقد شيخٌ أشيب على أحد المقربين من فخر الملك فوشَى به عنده في مقال رفعه، فوقَّع فخر الملك على المقال بما يأتي: السعاية قبيحة وإن كانت صحيحة، فإن كنت أجريتها مجرى النُّصح، فخسرانك فيها أكثر من الربح، ومعاذ الله أن نقبل من مهتوكٍ في مستور، ولولا أنك في خفارة من شيبك لقابلناك بما يشبه مقالك، ونردع به أمثالك، فاكتم هذا العيب، واتقِ مَن يعلم الغيب، والسلام.

۞ ولما تولى عبد العزيز بن مروان دمشق، ولم يكن في بني أمية من هو أفصح منه لسانًا، ولا أقوى منه بيانًا، طمع فيه أهل دمشق، وقالوا: صبيٌّ لا علم له بالأمور، وسيسمع كل ما نقول له، فقام إليه رجل، وقال: أصلح الله الأمير،... نصيحة، فقال: ليت شعري ما هذه النصيحة التي ابتدأتني بها، من غير يدٍ سبقت مني إليك؟ هات نصيحتك.

قال: لي جار وهو عاصٍ خالع للطاعة، وذكر له عيوبًا، فقال له عبد العزيز: إنك أيها الرجل، ما اتقيت الله تعالى، ولا أكرمت جارك، ولا حفظت جارك، إن شئت نظرنا فيما تقول، فإن كنت صادقًا، لم ينفعك ذلك عندنا، وإن كنت كاذبًا عاقبناك، وإن استقلتنا أقلناك، فقال: بلى أقلني أيها الأمير، قال: اذهب حيث شئت لا صحبك الله، إني أراك شَرَّ رجل.

۞ ورفع إنسان إلى يحيى بن خالد بن برمك، قصة يقول فيها: إنه قد مات رجل تاجر غريب، وقد خلَّف جارية حسناء وولدًا رضيعًا، ومالًا كثيرًا، وأنت أحق بهذا، فكتب يحيى على رأس القصة: أما الرجل فرحمه الله، وأما الجارية فصانها الله، وأما الطفل فرعاه الله، وأما المال، فثمَّره الله، وأما الساعي إلينا بذلك، فلعنه الله.

إيَّاك والغيبة

۞ أخى الحبيب: إن الغيبة صارت فاكهة كثير من المجالس، وهو أمر قد نهى الله عنه ونفَّر عباده منه ومثَّله بصورة كريهة تتقزز منها النفوس فقال ﷻ: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾[(١)].

وقد بيَّن معناها النبى ﷺ بقوله: «أتدرون ما الغيبة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «**ذكرك أخاك بما يكره**» قيل: أفرأيت إن كان فى أخى ما أقول؟ قال: «**إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه فقد بهتَّه**»[(٢)].

والمغتاب يجنى الحسرة والندامة فى الدنيا والآخرة.

فأما حسرته فى الدنيا فإنه يجنى كراهية الخلق والخالق جل وعلا بل إن الله يسلط عليه من يقع فى عرضه.

قال الإمام مالك: أعرف أُناسًا لم يكن لهم عيوب فخاضوا فى عيوب الناس فأوجد الناس لهم عيوبًا وأعرف أناسًا لهم عيوبٌ فستروا عيوب الناس فستر الله عيوبهم.

وقد قال ﷺ: «**الربا اثنان وسبعون بابًا أدناها مثل إتيان الرجل أمه وإن أربى الربا استطالة الرجل فى عِرض أخيه**»[(٣)].

وأما عن حسرته فى الآخرة يقول النبى ﷺ واصفًا تلك الحسرة: «**لما عرج بى ربى ﷻ مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم**

---

(١) سورة الحجرات: الآية: (١٢).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٥٨٩) كتاب البر والصلة والآداب.

(٣) صحيح: رواه الطبرانى (١٣/ ١٧٢ ، رقم ٤١١)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٥٣٧).

وصدورهم فقلت: مَن هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون فى أعراضهم»[(١)].

قال الطيبى: لما كان خمش الوجه والصدر من صفات النساء النائحات جعلها جزاء من يقع فى أعراض المسلمين إشعارًا بأنهما ليستا من صفات الرجل بل هما من صفة النساء فى أقبح حالة وأبشع صورة.

وفى حديث أبى هريرة يرفعه: **«من أكل لحم أخيه فى الدنيا قُرب له يوم القيامة فيقال له: كُله ميتًا كما أكلته حيًّا فيأكله ويكلح ويصيح»**[(٢)].

وفى المقابل فإن النبى ﷺ قد رغَّب فى أن يدفع المسلم ويدافع عن عرض أخيه المسلم فقال ﷺ: **«من ردَّ عن عرض أخيه ردّ الله عن وجهه النار يوم القيامة»**[(٣)].

۞ قالوا: إن محمد بن سيرين مَرَّ على جماعة من أهل عصره فقام إليه واحد منهم، وقال له: أيها الشيخ إنى قد قلت فى عِرضك مع أصحابى فاجعلنا فى حِلٍّ فقد تُبنا عن الغيبة فقال له ابن سيرين: إنى لا أُحلُّ ما حرَّم الله ولا أُحرم ما أحلَّ الله. وقد وكلت أمركم إلى الله، فلما وصل بيته أرسل إلى هؤلاء النفر برُطَبٍ فعاتبوه فى ذلك، وقالوا: لقد أسأنا إليك فكيف تُحسن إلينا، فقال لهم: إنكم أهديتم إلىَّ حسناتكم فأردت أن أُكافئكم.

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (٤٨٧٨) كتاب الأدب، وأحمد (١٢٩٢٧) باقى مسند المكثرين، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٢١٣).

(٢) رواه الطبرانى فى الأوسط (٢/ ١٨٢، رقم ١٦٥٦)، وضعفه العلامة الألبانى رحمه الله فى ضعيف الترغيب والترهيب (١٦٨٥).

(٣) صحيح: رواه الترمذى (١٩٣١) كتاب البر والصلة، وأحمد (٢٦٩٨٨)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٢٦٢).

۞ وقالوا: إنَّ رجلًا كان له أخت فمرضت مرضًا شديدًا ثم ماتت وكان من أهل المدينة فلما دفنها بالبقيع نسى كيسه داخل قبرها فاضطر إلى نبشه. وبينما هو كذلك إذ خرج عليه دخان من القبر فتألم لما رآه ولم يُتمم حفره، وقال: أحتسب كيسى عند الله، ثم عاد إلى أمه حزينًا مهمومًا وسألها عما كانت تعلم من أعمال أخته، وهل كانت تعصى الله فقالت له أمه: والله ما أعلم عنها معصية إلا شيئين: كانت تتسمع على جيراننا وتتجسس على أسرارهم وكانت تغتاب المسلمين فأخبرها بما رآه فى قبرها، فقالت له: كنت أتمنى ألا تخبر الناس بما رأيته من أمر أختك، لكننى أرجوك أن تخبرهم حتى يعتبر المغتابون ويتوبون.

احذروا من النميمة

۞ رُوى أن رجلًا رأى غلامًا يباع وليس به عيب إلا أنه نمام فقط، فاستخف بالعيب واشتراه، فمكث عنده أيامًا، ثم قال لزوجة سيده: إن سيدى يريد أن يتزوج عليك وقال: إنه لا يحبك فإن أردت أن يعطف عليك ويترك ما عزم عليه، فإذا نام خذى الموسى واحلقى شعرات من تحت لحيته واتركى الشعرات معك، فقالت فى نفسها: نعم.

وعزمت على ذلك إذا نام زوجها، ثم جاء زوجها وقال له: إن سيدتى زوجتك قد اتخذت لها صديقًا ومحبًّا غيرك وتريد أن تتخلص منك، وقد عزمت على ذبحك الليلة، وإن لم تصدقنى فتظاهر بالنوم الليلة وانظر كيف تجىء إليك وفى يدها شىء تريد أن تذبحك به.

وصدقه سيده، فلما جاء الليل جاءت المرأة بالموسى؛ لتحلق الشعرات من تحت لحيته والرجل يتظاهر بالنوم، فقال في نفسه: والله لقد صدق الغلام، فلما وضعت الموسى وأهوت إلى حلقه قام وأخذ الموس منها وذبحها به، فجاء أهلها فوجدوها مقتولة فقتلوه، فوقع القتال بين الفريقين بشؤم ذلك العبد النمام.

قال ﷺ كما في الصحيحين: «**لا يدخل الجنة نمام**»[١].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ مر بقبرين، فقال - كما في الصحيحين -: «**إنهما يُعذَّبان، وما يُعذَّبان في كبير، بلى إنه كبير: أما أحدهما، فكان يمشي بالنميمة، وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله**»[٢].

فاحذر يا أخي! من السعي بين الناس بالنميمة، فإن النميمة من أسباب عذاب القبر، ومن أسباب حرمان العبد من دخول الجنة.

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٦٠٥٦) كتاب الأدب، ومسلم (١٠٥) كتاب الإيمان.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٢١٦) كتاب الوضوء، ومسلم (٢٩٢) كتاب الطهارة.

النمام يشعل نار الحرب بين المتحابين

۞ ولقد صدق أبو العتاهية فيما قال.... فما استعرت الفتن ولا اشتعلت الحروب ولا تفرقت الأهل ولا تباعدت الأقارب ولا تباغض الأزواج إلا والنميمة من وراء ذلك تضرم غيظ الفريقين وتؤجج نار الطرفين فالسُّعاة الأوغاد والنَّمامون الوشاة لا يتركون أريحًا صحيحًا ولا يُسعدهم أن يروا إخوة متحابين ولا يهنيهم أن يتركوا جماعة مؤتلفين بل لا تنام لهم عين ولا ينعم لهم بال ولا يقر لهم قرار إلا إذا شاهدوا الفتن محتدمة والصدور موغرة والخصومة على أشُدّها بين الأفراد والجماعات، ولقد سمَّاهم الإسلام بأسماء تناسب أفعالهم وخلع عليهم من صفات القُبح والنقص ما يليق بهم.

۞ ونُقل عن سليمان بن عبد الملك أنه قال للزهرى يومًا وكان من كرام التابعين ومن أعلام الفقهاء المحدثين. قال له بلغنى أنك وقعت فى عِرضى، وتقوَّلت علىَّ القبيح، فقال له الزهرى: لم يكن منى هذا يا أمير المؤمنين، فقال له الخليفة: إن الذى بلَّغنى ثقة وهو صادق فقال الزهرى: إن النمام لا يكون ثقة ولا يكون أبدًا صادقًا، فقال له سليمان صدقت، وأجازه بجائزة ثمينة ثم خلَّى سبيله دون أن يمسَّه بسوء.

۞ بينما كان الصاحب بن عبَّاد من أمراء الأندلس وكان أديبًا أريبًا وذكيًّا فطنًا، فبينما هو فى مجلسه إذ دخل عليه حاجبه يحمل رقعة من رجل واقف بالباب، فقرأها الصاحب بن عبَّاد، فإذا فيها كلام طويل يطلب كاتبه من الأمير أن يأخذ مالًا من يتيم ضعيف فقد تركه أبوه فى ميدان الحياة فريدًا وحيدًا وترك له أموالًا وأملاكًا وبساتين، فإن شاء الأمير وضع يده عليها،

فليس هنالك من يقاومه، فوقَّع الأمير على تلك الرقعة بهذه الكلمات الخالدة: إن النميمة قبيحة وإن كانت نصيحة صحيحة، أما الميت فرحمه الله. وأما اليتيم فجبره الله، وأما المال فثمَّره الله، وأما النمام الساعى فلعنه الله،... ونقلت كتب الأدب أنه كان بين سفيان الثورى وعمر بن عبيدة مغاضبة فانتهزها خبيث نمام وقال للثورى: إن عمر بن عبيدة ما زال يذكرك فى مجلسه بسوء فقال له سفيان يزجره ويؤدبه: يا هذا ما راعيت حق مجالسك حتى نقلت إلينا حديثه، ولا حفظت حقى حتى أبلغتنى عن أخى ما أكره، ولكن اذهب إليه وأبلغه عنى هذا الحديث: قل له إن الموت يعُمُّنا والقبر يضمنا والقيامة تجمعنا والله يحكم بيننا وهو خير الحاكمين.

۞ وكان الليث بن سعد من كبار علماء مصر ومن فقهائها الأفذاذ الذين عاشروا الإمام الشافعى وانتفعوا بعلمه وكان له مجلس حافل يُعلِّم الناس فيه دينهم ويفسر لهم فيه القرآن والحديث، فسعى به أحد الفُساق إلى أمير مصر وأفهمه أنه يتحدث فى السياسة ويتكلم فى حق الأمير داخل مجلسه وأمام زملائه فأرسل إليه الأمير ليُحضره أمام الرجل الواشى فقال الأمير لليث: يا أبا الحارث إن هذا الجالس معنا أخبرنى عنك كذا وكذا فأجابه الليث قائلًا: أصلح الله الأمير إن هذا الرجل إما خائن لى فى سِرٍّ ائتمنته عليه، وإما أن يكون كذابًا. وقد نقل لك عنى عيبًا أنا منه برىء، والأمير حفظه الله لا يستمع لخائن ولا كذاب، فقال له الأمير صدقت، وبدلًا من أن يجيز النمام كما كان يطمع، عاقبه، فارتد على أعقابه من الخاسرين.

الحسود لا يسود

۞ قد كان من فضل الله على عباده، ومن رحمته بهم ومن إحسانه إليهم أن قسم بينهم نِعَمه ووزع عليهم فضله وتكفل لكل واحد منهم برزقه كل ذلك على مقتضى علمه وحكمته، فأصاب كل إنسان منهم نصيبه كاملًا غير منقوص لا ظلم فيه ولا جور، ولا غبن فيه ولا تعسُّف، لأن الله مُنَزَّه عن الظلم ولا يحب الظالمين.

إلى ذلك يشير القرآن الكريم بقوله: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ (١) وفي آية أخرى يقول الحق جل وعلا: ﴿وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ (٢) وفي آية ثالثة يقول سبحانه: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ (٣).

وفي الأمثال السائدة: الحسود لا يَسود،... ومن أعجب ما روى في خطر الحسد وأهله ما نقلته كتب الأدب من أنه كان هنالك وزير لأمير المؤمنين المعتصم وكان مخلصًا له كل الإخلاص متفانيًا في خدمته، ساهرًا على مصلحة دولته، وكان المعتصم يحبه لإخلاصه ويقربه لوفائه ويسند إليه القيام بعظائم الأمور، حتى حسد الناس الوزير على منزلته من أمير المؤمنين، وكان أشدهم حسدًا له حفص بن عمر، فقد أكل قلبه الحقد، وأحرق كبده الحسد، حتى دبَّر للوزير مؤامرة دنيئة، راح هو ضحيتها وقدمته الأقدار قربانًا لها. لقد دخل يومًا على المعتصم وهو جالس وحده،

---

(١) سورة الزخرف: الآية: (٣٢).

(٢) سورة البقرة: الآية: (١٠٥).

(٣) سورة النحل: الآية: (٥٣).

واستأذنه أن ينفرد به يفضى له بسرٍّ خطير، فأخلا المعتصم له مجلسه، فلما انفرد به وشى إليه بالوزير وقال له: يا أمير المؤمنين إن الوزير يشيع عنك فى مجالسك أنك أبخر الفم، وأرى أن تُقصيه عن منصبه فانتفض المعتصم غاضبًا، وقال: ويحك يا حفص، أَوَقد سمعت منه ذلك بنفسك؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين وسوف أثبت لك صحة قولى، ثم استأذن وخرج من مجلسه، وذهب إلى الوزير وتظاهر بحبه والإخلاص له، ثم طلب منه أن يكون عنده ضيفًا فى تلك الليلة، لأنه حريص على تكريمه وتعظيمه، فأجاب الوزير دعوته، وحضر وليمته، وقد صنع له فيها ذلك الرجل الأطعمة الشهية وأكثر فيها اللحوم المتبلة، وتبَّلها كلها بالثوم زاعمًا بأن هذا من أسباب الكرم والسخاء، وقد أكل الوزير من هذه اللحوم بغيته، وأشبع شهوته، فلما فرغ من طعامه قال له حفص: إن أمير المؤمنين سألنى عنك اليوم، وأرجو ألا تذهب إلى قصره حتى تمر علىَّ، فاستَجاب الوزير لقوله، ودخل على المعتصم فى وقت ما كان يدخل عليه فيه، فأدناه المعتصم من مجلسه وجعل يحادثه، والوزير واضعٌ كُمَّه على فمه حتى لا يشم الخليفة منه رائحة الثوم، وهى رائحة كريهة، تتقزز منها النفس، ولا سيما عقب أكلها مباشرة، فلما رأى الخليفة ذلك، أيقن من وشاية حفص بن عمر وتأكد من صدقه، فثارت ثائرته، واضطرم غيظه، وعزم على قتل الوزير، ولكن بطريقة غامضة حتى لا يعلم بقتله أحد، فكتب له خطابًا إلى أحد عُمَّاله فى جهة نائية، ثم أغلقه وختمه ودفعه إليه، وكان قد كتب فيه لعامله: يا هذا إذا وصلك كتابى فاقتل حامله إليك، والسلام.

فأخذ الوزير الخطاب وتوجَّه به إلى حيث أمره الخليفة فلقيه حفص بن

عمر أمام قصر الخلافة وسأله عن وجهته فأخبره بها، فظن أن فى الأمر غنيمة وأحب أن يستأثر بها، فقال للوزير: أنا أكفيك مؤونة القيام بهذه المهمة، وأحمل خطاب الخليفة عنك إلى عاملك، فرضى بذلك الوزير، فدفع إليه الخطاب، فذهب به حفص إلى صاحبه، وما كاد يقرأه حتى أمر بضرب عنقه، فلما مضت أيام، دخل الوزير على الخليفة فتعجب المعتصم من شأنه، وقال له: متى عُدت من مهمتك؟ قال: يا أمير المؤمنين إنى لم أقم بها، قال عجبًا لك ومن قام بها إذن؟ قال: رجل من المخلصين للخلافة وهو صديق حميم لى، فازداد تعجُّب المعتصم وقال له: يا هذا اصدقنى الخبر فإن حامل هذا الخطاب لابد أن يُقتل، وكنتَ المقصود بهذا.

قال الوزير: غفر الله لك يا أمير المؤمنين، ولماذا تستبيح دمى ولم أفعل شيئًا؟ فأجابه المعتصم: ألم تشع فى مجالسك أنى أبخر[1]؟ قال: معاذ الله يا أمير المؤمنين أن أتحدث بما ليس لى به علم، قال: فلماذا إذن كنت تحدثنى يوم كذا وكُمُّك على أنفك؟ قال الوزير: أنا أخبرك يا أمير المؤمنين عن سبب ذلك: إن حفص بن عمر الذى حمل رسالتك إلى عاملك دعانى إلى ضيافته، وصنع لى وليمة، أكثر فيها من اللحم المتبل بالثوم والبصل، ثم قال لى: إن الخليفة يريد لقاءك الليلة، فجئت إليك، ورائحة الثوم تحيط بى، وكرهت أن تشم منى ما تكره، فسترت عنك فمى بكُمِّى، حتى لا تؤذيك رائحة الثوم، فطأطأ المعتصم رأسه ثم قال بعد سكوتٍ طويل، لقد حسدك المسكين على منزلتك منى، أكمل أيها الوزير حديثك. فقال الوزير: ولما دفعت إلىَّ الرسالة لقينى حفص على باب القصر فترجَّانى أن

(١) أبخر: أي مُنتن الفم.

يحمل رسالتك إلى وجهتها فأذنت له بذلك وحتى الآن لم يعد.

فقال الخليفة: لن يعود. لقد لقى حتفه، وراح ضحية حقده عليك، وحسده لك. فلعنة الله على الحاسدين الحاقدين.

ولذلك يقول الحكماء:

اصبر على مضض الحسود فإنَّ صبرك قاتله

فالنار تأكل نفسها إن لم تجد ما تأكله

وليس هناك للحاسد دواء، ولا من غيظه شفاء ولا لعداوته علاج، إلا الصبر عليه ومداراة شره، فمهما أحسن رب النعمة إليه، ومهما عطف بجوده عليه، ومهما حاول الإنسان الاقتراب منه ومهما تودَّد إليه بمعسول الأقوال، وجميل الأفعال، ومهما اصطنع إليه جميلًا ومعروفًا فإنه لا يمكن أن تُطفأ نار حقده، ولا يهدأ أبدًا جمر عداوته، ولا يمكن أن يَكُفَّ عن المحسود كيده وضرره أو يمنع عنه خطره وأذاه... ورحم الله القائل:

كل العداوة قد تُرجى إزالتها إلا عداوة من عاداك من حسدِ

ورحم الله القائل:

يا حاسدًا لى على نعمتى أتدرى على من أسات الأدبْ

أسات إلى الله فى حكمه لأنك لم ترضَ لى ما وهبْ

تلك عاقبة المتكبرين

۞ قال عُمر بن شبَّه: كنتُ بمكَّةَ بين الصفا والمروةِ فرأيتُ رجلًا راكبًا بغلةً، وبين يديه غِلمان يطوفون ويُعَنِّفون الناس، ثم إنِّى بعدَ حينٍ دخلتُ بغدادَ فكنتُ على الجسر، فإذا برجلٍ حافٍ حاسرٍ، طويلِ الشَّعَر، قال: فجعلتُ أنظرُ إليه، وأتأمَّلُهُ. فقال: ما لكَ تنظر إلىَّ؟ فقلت: شبَّهتك برجلٍ رأيته بمكة ووصفت له الصفة. فقال: أنا ذلك الرجل. فقلتُ: ما فعلَ الله تعالى بك؟ فقال: ترفَّعْتُ فى موضع يتواضَعُ الناسُ فيه، فوضعنى الله تعالى فى موضعٍ يرتفعُ الناسُ فيه[1].

قال ﷺ: «**يُحشرُ المتكبرون يوم القيامة أمثالَ الذرِّ فى صُورِ الرجالِ، يغشاهم الذُّلُّ من كلِّ مكانٍ، يُساقونَ إلى سجنٍ فى جَهنَّمَ يُسمَّى بُولُسَ، تعلوهم نارُ الأنيارِ، يُسقَوْنَ من عُصارَةِ أهلِ النار، طينةِ الخبالِ**»[2].

---

(١) المختار من مناقب الأخيار (٥/ ٣٨٢- ٣٨٣).

(٢) رواه أحمد والترمذى وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٨٠٤٠).

أنا الذي أعرفك!!!

حُكى أن مطرف بن عبد الله بن الشخِّير نظر إلى المهلَّب ابن أبى صُفرة وعليه حُلة يسحبها، ويمشى الخيلاء.

فقال: يا أبا عبد الله! ما هذه المشية التى يبغضها الله ورسوله؟

فقال المهلب: أما تعرفنى؟

فقال: بل أعرفك؛ أولك نطفة مذرة، وآخرك جيفة قذرة، وحشوك فيما بين ذلك بول وعذرة، فأخذ ابن عوف هذا الكلام، فنظمه شعرًا، فقال:

عجبت من مُعجبٍ بصورته ... وكان بالأمس نطفة مذره
وفى غدٍ بعد حسن صورته ... يصير فى اللحد جيفة قذره
وهو على تيهه ونحوته ... ما بين ثوبيه يحمل العذره

وقد كان المهلب أفضل من أن تُخدع نفسه بهذا الجواب، ولكنها زلة من زلات الاسترسال، وخطيئة من خطايا الإدلال.

عاقبة الغدر

۞ نحن نعلم أن الغدر مشئوم وأنه يضر أول ما يضر صاحبه لا فى الدنيا فقط ولكن فى الدنيا والآخرة ... ولو أنك يا عزيزى القارئ تأملت هذه القصة التى سنسوقها إليك لعلمت إلى أى حَدٍّ يفتك الغدر بصاحبه وهذه القصة روتها كتب الأدب. وقد وقعت فى عهد أحمد بن طولون الوالى على مصر من قِبَل الدولة العباسية. قالوا: إن الأمير أحمد بن طولون دخل عليه حاجبه يومًا وعلى يديه طفل صغير فسأله الأمير ابن مَن هذا؟ قال يا سيدى لا أعلم فهو لقيط وجدناه أمام مسجدك عند صلاة الفجر فهو ابن الجريمة. فقال له الأمير. لا تقل هذا ولكن قل هو ابن الإسلام ثم ضَمَّه إلى صدره وسمَّاه أحمد. وشهرته اليتيم وقال لمن حوله: الإسلام أب من لا أب له فكبر أحمد اليتيم فى رعايته وترعرع عوده فى ظله وبدتْ عليه مخايل النجابة والذكاء وكان بجانب ذكائه ونجابته وسيمًا جميلًا. فلما شَبَّ وبلغ مبلغ الفتيان أمر من يؤدبه ويُهذبه ويُلقنه مبادئ الدين والأخلاق.

وظل أحمد مشمولًا برعاية الأمير محظيًا عنده مُقربًا من مجلسه حتى حضرته الوفاة أوصى به ابنه أبا الجيوش، وقال له: أرجو أن تخلفنى على أحمد اليتيم وأن تُحسن إليه وألا يفقد منى بعد موتى إلا وجهى، فاهتم به أبو الجيوش وبالغ فى إكرامه والإحسان إليه وأخذ عليه العهود والمواثيق أنه لا يخونه ولا يغدر به فعاهده أحمد اليتيم على ذلك وقد جعله أبو الجيوش من خاصته المقربين وصفوته المخلصين. فكان يطَّلع على أدق أسراره وخفاياه. وفى يوم من الأيام طلب منه سيده أبو الجيوش أن يحضر له مسبحته من الحجرة الفلانية، فلما ذهب إليها رأى جارية من حظايا

الأمير وخاصته مع شاب من خدم القصر، ورآه وهو يفتك بها فلما باغتها بالدخول عليها خافت منه أن ينشر خبرها ويفشى خيانتها، فعرضت نفسها عليه فأبى وقال والله لا أخون سيدى ولا أغدر به ولا أنقض عهدًا أخذه علىَّ ثم مضى إلى الأمير بمسبحته دون أن يخبره بشىء فخافت الجارية من أحمد أن يكون قد أبلغ الأمير بما رآه فبقيت أيامًا فى حيرة شديدة وجعلت تراقب تصرفات الأمير معها فكانت طبيعية لم تتغير إلى أن اشترى أبو الجيوش جارية حسناء بارعة الجمال فشُغل بها عن الجارية الأولى وكان شغله بها قد شغله عن كل حظاياه، ولكن الجارية الأولى أخذها الشك وأيقنت أن هذا التغير ليس إلا لأن أحمد نقل له عنها شيئًا ولكى تزيل الشبهة عن نفسها وتتبين منزلتها فى قلب الأمير تظاهرت يومًا بالغضب والبكاء، فسألها الأمير عن أسباب غضبها، فقالت: إن أحمد اليتيم تعرض لى بسوء وطلب منى ما يدنس شرفى ويهين حرمة الأمير، وأنه راودها عن نفسها، فاستشاط الأمير غضبًا على أحمد، وجعل يتربص به الدوائر وصمم على قتله فى الخفاء دون أن يعلم بذلك أحمد وجعل يتحين الفرصة لذلك وبينما كان جالسًا فى مجلس لهوه ذات ليلة، استدعى خادمًا من خدمه وقال له: اجلس فى مكان كذا من القصر، وإذا أرسلت إليك واحدًا من حاشيتى ومعه طبق وقلت لك املأ هذا الطبق مسكًا فقم واقتله فورًا ثم اجعل رأسه فيه وغطِّه بمنديل وأَعِده إلىَّ ... فوافقه الخادم على ذلك ودخل الأمير إلى حاشيته وجلس مع خاصته وفيهم أحمد اليتيم، فلما استوى المجلس استدعى الأمير أحمد وأمره أن يأخذ هذا الطبق ويذهب إلى الخادم فلان فى مكان كذا، ويطلب منه أن يملأه مِسكًا، ومضى الفتى

المسكين وهو سليم القلب، نقى السريرة، طاهر النفس، دون أن يعلم أنه فى طريقه إلى الموت، ولكن الله أنقذه من الموت بأعجوبة. فقد مَرَّ على مجلس المُغنين فتعلقوا به وأقسموا عليه أن يُجالسهم وأن يتفضل بمؤانستهم، فاعتذر لهم أنه فى حاجة للأمير، فقالوا له اجلس معنا وسنختار واحدًا منا ليقوم لك بمهمتك فقبل منهم، ولم يجد المغنون أمامهم إلا صاحب الجارية فتسلَّم الطبق وأسرع به إلى المكان المتفق عليه ودخل على الخادم المُكلَّف بقتله وما كادت تقع عين الخادم عليه وسمع منه امتلاء الطبق بالمسك حتى فهم كل شىء وقام إليه فقتله على الفور ووضع الرأس فى طبق وغطاه بمنديل واستدعى واحدًا من أعوانه وأرسل به إلى الأمير، وكان أحمد اليتيم فى انتظار الطبق فتسلَّمه منه وأسرع به إلى الأمير، فلما رأى أحمد سالمًا ورأى رأس من فى الطبق غير رأس أحمد، ذُهل وأخذته الدهشة وخيَّم عليه الوجوم وأطال النظر فى وجه أحمد وكاد لا يصدق نفسه، أن أحمد اليتيم هو الواقف بين يديه الساعة، ولم يخرجه من هذه الحيرة إلا سؤاله لأحمد. فقال له ما هذا الذى أرى يا أحمد؟ فقال هو ما أمرت به يا سيدى فقال الأمير: أسألك بما بيننا من عهود إلا أخبرتنى عن كل شىء حدث لك ومنك مع الجارية فلانة، وهل تعرضت لها بسوء ورغبت فيها فأبتْ عليك فقال له: لا يا سيدى ولكن هذا الفتى صاحب الرأس الموجود الآن هو الذى انتهك حرمتك وداس فراشك، ولما رأيتها يوم المسبحة خافت الجارية أن أبلغك ما كان منها مع صاحب هذا الرأس فأرادت أن تتخلص منى بهذه التهمة، وقَصَّ عليه القصة كاملة، فلما فرغ أحمد من حديثه أحضر أبو الجيوش الجارية ووكل بها من يعذبها فأقرت

بما كان منها واعترفت بكل شيء، فقتلها شر قتلة جزاء خيانتها له وغدرها به، أما أحمد فقد رفع مكانته وأعلى منزلته وزاده تكريمًا على تكريم.

وهكذا الغدر بأهله يوردهم موارد الهلكة والتلف ويلقيهم القدر العادل جزاء أعمالهم ويُطعمهم ثمار غرسهم أما فى الآخرة فينتظرهم جزاؤهم العظيم، وعذابهم الأليم: وصدق الله العظيم فيما قال: ﴿ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۚ لَا ظُلۡمَ ٱلۡيَوۡمَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾[1].

لا تستهزيء بسهام الليل

۞ بينما الوزير فخر الملك يمشى إذ بامرأة تعترضه وترفع إليه شكايتها، وذكرت له أن بعض غلمانه قد قتلوا زوجها، فجعل الوزير لا يلتفت إليها!

فقالت له ذات يوم: أيها الوزير أرأيت القصص التى رفعتها إليك فلم تلتفت إليها؟ قد رفعتها إلى الله ﷻ!! وأنا أنتظر التوقيع عليها!!.

فلم تمضِ أيام حتى قبض سلطان الدولة على الوزير فجرَّده من كل أمواله ثم قتله، وعندها قال الوزير بحرقة وأسى: قد والله خرج توقيع المرأة!

أتهــزأ بالــدعاء وتزدريــه؟ ... ومــا تـدرى بمــا صـنع الـدعاءُ

ســهامُ الليــل نافــذة ولكــنْ ... لهــا أمــدٌ وللأمــد انقــضاءُ

فيمــسكُها إذا مــا شــاء ربــى ... ويرســلُها إذا نفــذ القــضاءُ

---

(١) سورة غافر: الآية: (١٧).

ثمرة مريرة لسوء الفهم

۞ كان الخوارج إذا أصابوا في طريقهم مسلمًا على خلاف معتقدهم قتلوه؛ لأنه عندهم كافر، وإذا أصابوا نصرانيًّا استوصوا به، وقالوا: احفظوا ذمة نبيكم!!

وقد حُكي: أن واصل بن عطاء أقبل في رفقة، فأحسوا بالخوارج، فقال واصل لأهل الرفقة: إن هذا ليس من شأنكم، فاعتزلوني ودعوني وإياهم، وكانوا قد أشرفوا على الهلاك، فقالوا: شأنك.

فخرج واصل إليهم، فقالوا له: ما أنت وأصحابك؟

قال: قوم مشركون، مستجيرون بكم؛ ليسمعوا كلام الله ويفهموا حدوده.

قالوا: قد أجرناكم.

قال: فعلمونا.. فجعلوا يعلمونه أحكامهم.

ويقول واصل: قد قبلت أنا ومن معي.

قالوا: فامضوا مصاحبين - أي: بالسلامة - فقد صرتم إخواننا.

فقال: بل تبلغوننا مأمننا؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ﴾[1].

فنظر بعضهم إلى بعض، ثم قالوا: ذلك لكم.. فساروا معهم حتى أبلغوهم مأمنهم.

---

(١) سورة التوبة: الآية: (٦).

ليتني كنت رابعهم

۞ قَالَ عَفِيفٌ الْكِنْدِى: كُنتُ امرءًا تاجرًا، وكنتُ صديقًا للعباس بن عبد المطلب فى الجَاهِليةِ، فَقَدِمتُ إِلَى مَكَّةَ وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أَبْتَاعَ لأَهْلِى مِنْ ثِيابِهَا وَعِطْرِهَا. فنَزَلْتُ عَلَى الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ. قَالَ: فَأَنَا عِنْدَهُ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَى الْكَعْبَةِ وَقَدْ حَلَّقَتِ الشَّمْسُ فَارْتفَعتْ إِذْ أَقْبَلَ شَابٌّ حَتَّى دَنَا مِنَ الْكَعْبَةِ فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ فَنظَرَ ثُمَّ اسْتَقْبَلَ الْكَعْبَةَ قَائِمًا مُسْتَقْبِلَهَا. إِذْ جَاءَ غُلامٌ حَتَّى قَامَ عَنْ يمِينِهِ. ثُمَّ لم يلْبَثْ إلا يسيرًا حَتَّى جَاءَتِ امْرَأَةٌ فَقَامَتْ خَلْفَهُمَا. ثُمَّ رَكَعَ الشَّابُّ فَرَكَعَ الْغُلامُ وَرَكَعَتِ الْمَرْأَةُ. ثُمَّ رَفعَ الشَّابُّ رَأْسَهُ وَرَفَعَ الْغُلامُ رَأْسَهُ وَرَفَعَتِ الْمَرْأَةُ رَأْسَهَا. ثُمَّ خَرَّ الشَّابُّ سَاجِدًا وَخَرَّ الْغُلامُ سَاجِدًا وَخَرَّتِ الْمَرْأَةُ. قَالَ فَقُلْتُ: يا عَبَّاسُ إِنِّى أَرَى أَمْرًا عَظِيمًا. فَقَالَ الْعَبَّاسُ: أَمْرٌ عَظِيمٌ. هَلْ تَدْرِى مَنْ هَذَا الشَّابُّ؟ قُلْتُ: لا. مَا أَدْرِى. قَالَ: هَذَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ابْنِ أَخِى. هَلْ تَدْرِى مَنْ هَذَا الْغُلامُ؟ قُلْتُ: لا. مَا أَدْرِى. قَالَ: على بن أبى طالب بن عبد المطلب ابْنِ أَخِى. هَلْ تَدْرِى مَنْ هَذِهِ الْمَرْأَةُ؟ قُلْتُ: لا. مَا أَدْرِى. قَالَ: هَذِهِ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيلِدٍ زَوْجَةُ ابْنِ أَخِى هَذَا .... إِنَّ ابْنَ أَخِى هَذَا الَّذِى تَرَى حَدَّثَنَا أَنَّ ربه رب السماوات وَالأَرْضِ أَمَرَهُ بِهَذَا الدِّينِ الَّذِى هُوَ عَلَيهِ.

فَهُوَ عَلَيهِ. وَلا وَاللهِ مَا عَلِمْتُ عَلَى ظَهْرِ الأَرْضِ كُلِّهَا عَلَى هَذَا الدِّينِ غَيرَ هَؤُلاءِ الثَّلاثَةِ.

أسلم عفيف الكندى رَحِمَهُ اللهُ بعد ذلك، وقال: وددتُ أنى كنتُ أسلمتُ يومئذٍ فأكون رابع هؤلاء الثلاثة، فيكون لى ربع هذا الدين[1].

(١) المستدرك (٣/ ١٨٣)، وصححه وأقره الذهبى، الإصابة (٢/ ٤٨٧)، الاستيعاب (٣/ ١٦٣-١٦٤).

لا يَبْيَضُّ موضع يد رسول الله ﷺ

❁ عَنْ عَطَاءٍ مَوْلَى السَّائِبِ بْنِ يزِيدَ قَالَ:

رَأَيتُ مَولَاى السَّائِبَ بْنَ يزِيدَ لِحْيتُهُ بَيضَاءُ وَوسَطُ رَأْسِهِ أَسْوَدُ وبقيته أبيض، فَقُلْتُ: يا مَوْلَاى، مَا لِرَأْسِكَ لَا يبْيضُّ؟ والله ما رأيت مثل هذا قط، هذا أسود، وهذا أبيض!!

فَقَالَ: أَفَلَا أُخبرُكَ يا بُنَى؟!

قُلْتُ: بَلى.

قَالَ: كُنَّا مع صبيان نلعب، فَمَرَّ بِى رَسُولُ الله ﷺ فتَعَرَّضْتُ له فَسَلَّمتُ عليه، فقال ﷺ:

«وَعَلَيكَ».

ثُمَّ دَعَانِى ﷺ وَقَالَ لِى: **«مَا اسْمُكَ؟»**.

فَقُلْتُ: السَّائِبُ بْنُ يزِيدَ ابْنِ أُخْتِ النَّمِرِ بن قاسط: فَوَضَعَ رَسُولُ الله ﷺ يدَهُ عَلَى رأَسِى وَمَسَحَ رَأسِى، وَقَالَ: **«بَارَكَ اللهُ فِيكَ»**.

فَلَا واللهِ لَا يبْيضُّ مَوْضِعُ يدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَبَدًا[1].

---

(١) رواه الطبرانى فى الكبير (٧/ ١٦٠) رقم (٦٦٩٣)، وفى الصغير (٢/ ٨١) رقم (٧٠١)، قال الهيثمى فى مجمع الزوائد (٩/ ٤٠٩): رواه الطبرانى فى الثلاثة، ورجال الكبير رجال الصحيح غير عطاء مولى السائب وهو ثقة، ورجال الصغير والأوسط ثقات.

مَثَلُ عُروة كمثل صاحب ياسين

❁ كان عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ بن معتب الثَّقَفِى أحدُ الأكابر من قومِهِ، وَلَمَّا انصرفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ الطَّائِفِ اتَّبَعَ أَثَرَهُ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ حتَّى أَدْرَكَهُ قَبْلَ أَنْ يصِلَ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَأَسْلَمَ وَاسْتَأْذَنَ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَنْ يرْجِعَ إِلَى قَوْمِهِ، فَقَالَ لَهُ النَّبى ﷺ:

«إِنِّى أَخَافُ أَنْ يقْتُلُوكَ».

فَقَالَ: يا رَسُولَ اللهِ، أَنَا أَحَبُّ إِلَيهِمْ مِنْ أَبْصَارِهِمْ، لو وجَدُونِى نائمًا مَا أيقَظُونِى - وَكَانَ فِيهِمْ مُطَاعًا مُحَبَّبًا - فأَذِنَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَرَجع وَدَعَاهُم إِلَى الإِسْلَام، ورَجَا أَنْ لا يخَالِفُوهُ لِمَنْزِلَتِهِ فِيهِمْ، فعصوه وأسمعوه من الأَذَى ... فَلَمَّا كَانَ من السَّحَر قَام على غُرْفَةٍ لَهُ فَأَذَّنَ، فَرَمَاهُ قَومُهُ بالنَّبل مِنْ كُلِّ وَجْهٍ، فَأَصَابَهُ سهم فقتله.

فَقِيلَ لَهُ: مَا تَرَى فِى دمِكَ؟

قَالَ: كَرَامَةٌ أَكْرَمَنِى اللهُ بِهَا، وَشَهَادَةٌ سَاقَهَا اللهُ إلىَّ، فَلَيسَ فىَّ إِلَّا مَا فِى الشُّهداء الَّذِينَ قُتِلُوا مَعَ النَّبى ﷺ قَبْلَ أَنْ يرْتَحِلَ عَنْكُمْ، فادفنونى معهم، فدفنوه معهم ... ولما بلغ ذلك رسول الله ﷺ قَالَ: **«مَثَلُ عُرْوَةَ مَثَلُ صَاحِبِ ياسِينَ[١]، دَعَا قَوْمَهُ إِلَى اللهِ فَقَتَلُوهُ»**[٢].

---

(١) قوم ياسين، هم أصحاب القرية..، وردت قصتهم فى القرآن الكريم فى الآيات (١٣-٢٩) من سورة يس..، انظر أقوال أهل العلم بالتفسير فى هذه الآيات.

(٢) انظر: الإصابة (٢/ ٤٧٧-٤٧٨)، الاستيعاب (٣/ ١١٢)، مجمع الزوائد (٩/ ٣٨٦).

هكذا يتأدب أهل النميمة

۞ ثبت أن رجلًا دخل على عمر بن الخطاب، فنمَّ عنده رجلًا من أصحابه، ونقل عنه القبيح إلى عمر، وأوغر صدره عليه، فلما فرغ الرجل من وشايته طأطأ عمر رأسه كأنما يفكر فى تلك الوشاية، ثم رفعها، وقال للرجل، يا هذا، إن شئت نظرنا فى أمرك ووقفنا على خبرك، فإن كنت كاذبًا فأنت من أهل هذه الآية: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ ﴾[١]، وإن كنت صادقًا فأنت من أهل هذه الآية: ﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝١٠ هَمَّازٍ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ ﴾[٢]، وإن شئت عفونا عنك، ولا تَعُد إلى مجلسنا بعد اليوم فلست من جلساء المؤمنين ... فتَصاغر الرجل فى نفسه، وقال: أستعفيك يا أمير المؤمنين، وأعدك ألا أعود إلى وشاية قط، ثم خرج من مجلسه خزيانًا خجولًا.

(١) سورة الحجرات: الآية: (٦).

(٢) سورة القلم: الآيتان: (١٠-١١).

أشتهي الجنة

۞ قَالَ مُعَاوِيَةُ بْنُ قُرَّةَ: اشْتَكَى أَبُو الدَّرْدَاءِ، فَدَخَلَ عَلَيهِ أَصْحَابُهُ فَقَالُوا: مَا تَشْتَكِي يا أَبَا الدَّرْدَاءِ؟ قَالَ: «أَشْتَكِي ذُنُوبِى» قَالُوا: فَمَا تَشْتَهِى؟ قَالَ: «أَشْتَهِى الْجَنَّةَ» قَالُوا: أَفَلَا نَدْعُو لَكَ طَبِيبًا؟ قَالَ: «هُوَ الَّذِى أَضْجَعَنِى».

۞ وقال جَعْفَر بْن زَيد العبدى: إنَّ أبا الدَّرداء، لما نزل بِهِ الموتُ بكى، فقالت لَهُ أُمُّ الدرداء: وأنت تبكى يا صاحبَ رَسُول الله؟ ! قَالَ: نعم، وما لى لا أبكى، ولا أدرى علام أَهْجُم من ذُنُوبى؟!

وفى رواية: لما نزل بأبى الدرداء الموت جزع جزعًا شديدًا، فقالت لَهُ أم الدرداء: ألم تَكُ تخبرنا أنك تحب الموت؟ قَالَ: بلى، وعزة ربى، ولكن نفسى لما استيقنت الموت كرهته، ثُمَّ بكى، وقَالَ: هَذِهِ آخر ساعاتى من الدنيا، لقِّنونى لا إله إلا الله، فلم يزل يرددها حتَّى مات.

وَقَالَ أَبُو عِمْرَانَ الْجَوْنِى: إنَّ أَبَا الدَّرْدَاءِ لَمَّا نَزَلَ بِهِ الْمَوْتُ، دَعَا أُمَّ الدَّرْدَاءِ، فَضَمَّهَا إِلَيهِ وَبَكَى وَقَالَ: يا أُمَّ الدَّرْدَاءِ، قَدْ تَرَينَ مَا قَدْ نَزَلَ مِنَ الْمَوْتِ! إِنَّهُ وَاللهِ قَدْ نَزَلَ بِى أَمْرٌ لَمْ ينْزِلْ بِى قَطُّ أَمْرٌ أَشَدُّ مِنْهُ، وَإِنْ كَانَ لِى عِنْدَ اللهِ خَيرٌ فَهُوَ أَهْوَنُ مَا بَعْدَهُ، وَإِنْ تَكُنِ الْأُخْرَى فَوَاللهِ مَا هُوَ فِيمَا بَعْدَهُ إِلَّا كَحِلَابِ نَاقَةٍ. قَالَ: ثُمَّ بَكَى، ثُمَّ قَالَ: يا أُمَّ الدَّرْدَاءِ، اعْمَلِى لِمِثْلِ مَصْرَعِى هَذَا، يا أُمَّ الدَّرْدَاءِ اعْمَلِى لِمِثْلِ سَاعَتِى هَذِهِ. ثُمَّ دَعَا ابْنَهُ بِلَالًا فَقَالَ: وَيحَكَ يا بِلَالُ اعْمَلْ لِسَاعَةِ الْمَوْتِ، اعْمَلْ لِمِثْلِ مَصْرَعِ أَبِيكَ، وَاذْكُرْ بِهِ صَرْعَتَكَ وَسَاعَتَكَ فَكَأَنْ قَدْ. ثُمَّ قُبِضَ(١).

۞ وقال عوف بن مالك الأشجعى: رأيتُ فى المنام كأنِّى أتيتُ مَرجًا

(١) تاريخ ابن عساكر (١٣/ الورقة ٣٩٢)، وأسد الغابة (٤/ ١٦٠).

أخضر فيه قُبَّةٌ من أدَم، حولها غَنمٌ رُبضٌ، تَجترُّ وتبعَر العجوة. فقلت: لمن هذه؟ فقيل: لعبد الرحمن بن عوف. فانتظرتُه حتى خرج من القُبَّة، فقال: يا عوف ابن مالك! هذا ما أعطانا الله ﷻ بالقرآن، ولو أشرفتَ على هذه الثنيّة[1] لرأيتَ ما لم ترَ عينُك، ولسَمِعتَ ما لم تسمَعْ أذنُك، ولم يخْطُر على قَلْبِك، أعدَّه الله لأبي الدَّرداء، لأنَّه كان يدفع الدُّنيا بالرَّاحَتَين والنَّحْر[2].

اللهم أَقِل العَثرة واغفر الذَّلَّة

۞ لما حضرت مُعَاوِية بن أبي سُفْيان الْوَفَاة قَالَ:

أقعدوني فأقعدوه فَجعل يذكر الله تَعَالَى ويسبحه ويقدسه ثمَّ قَالَ:

الْآن تذكر رَبك يا مُعَاوِية بعد الانحطام والانهدام أَلا كَانَ ذَلِك وغُصن الشَّبَاب نضير رَيان ... وَبكى حَتَّى علا بكاؤه ثمَّ قَالَ مُنشدًا:

هُوَ الْمَوْت لا منجى من الْمَوْت ... أحاذر بعد الْمَوْت أدهى وأفظع

ثمَّ قَالَ: يا رب! ارْحَمْ الشَّيخ العَاصِي ذَا الْقلب القاسي اللَّهُمَّ أَقِل العثرة واغفر الزَّلة وجُدْ بِحِلْمِك على مَنْ لم يرجُ غَيرك وَلَا وثق بِأحدٍ سواك ثمَّ قَالَ لِابْنِهِ يزِيد: يا بُني إِذا وافاني أجلي فاعمَد إِلَى المنديل الَّذِي فِي الخزانة فَإِن فِيهِ ثوبا من أَثوَاب رَسُول الله ﷺ وقراضة من شعره وأظفاره فَاجْعَلْ الثَّوْب مِمَّا يلِي جَسَدِي وَاجعَل أكفاني فَوْقه وَاجعَل القراضة فِي فمي وأنفي وعيني فَإِن نَفَعَنِي شَيء فَهَذَا فَإِذا جعلتموني فِي قَبْري فَخلُّوا مُعَاوِية وأرحم الرَّاحِمِينَ[3].

---

(١) الثنية: الطريق في الجبل أو الجبل نفسه. اللسان (ثنى).

(٢) الحلية (١/ ٢١٠)، والاستيعاب (٤/ ١٦٤٧)، والاستبصار (١٢٦-١٢٧)، وفي المصدرين الأخيرين: «بالرَّاحتين والصَّدر» بدل «النَّحر».

(٣) أنساب الأشراف (٤/ ١٥٣) للباذري، تاريخ الإسلام (٣/ ٣٢٣) للذهبي، سير أعلام النبلاء (٣-١٦٠) للذهبي، تاريخ الطبري (٥/ ٣٢٦-٣٢٧)، البداية والنهاية (٨/ ١٥٤) لابن كثير.

اللهم أَفْرِحهم في الآخرة كما أفرحتهم في الدنيا

۞ قال إبراهيم الأطرش: كان معروف الكرخى قاعدًا على دجلة بغداد، إذْ مرّ بنا أحداث فى زورقٍ يضربون الملاهى، ويشربون، فقال له أصحابه: أما ترى أن هؤلاء فى هذا الماء يعصون الله؟ ادعُ عليهم. فرفع يده إلى السماء، وقال: إلهى، وسيدى، أسألك أن تُفرّحهم فى الجنة، كما فرّحتهم فى الدنيا. فقال له أصحابه: إنما قلنا لك ادعُ الله عليهم، لم نقُل لك ادعُ الله لهم. فقال: إذا فرّحهم فى الآخرة تابَ عليهم فى الدنيا، ولم يضرّكم بشىء[١].

۞ وكان له كلمات أغلى من الذهب ... فمن ذلك أنه قال يومًا لرجل: «تَوَكَّلْ عَلَى اللهِ حَتَّى يكُونَ هُوَ أَنِيسُكَ وَمَوْضِعُ شَكْوَاكَ وَلْيكُنْ ذِكْرُ الْمَوْتِ جَلِيسكَ لَا يفَارِقَكَ وَاعْلَمْ أَنَّ الشِّفَاءَ مِنْ كَلِّ بَلَاءٍ نَزَلَ بِكِ كِتْمَانُهُ فَإِنَّ النَّاسَ لَا ينْفَعُونَكَ وَلَا يضُرُّونَكَ وَلَا يمْنَعُونَكَ وَلَا يعْطُونَكَ»[٢].

وقَالَ إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْجُنَيدِ: كَانَ مِنْ دُعَاءِ مَعْرُوفٍ: «لَا تَجْعَلْنَا بثناء النَّاسِ مَغْرُورِينَ وَلَا بِالسِّتْرِ مَفْتُونِينَ اجْعَلْنَا مِمَّنْ يؤْمِنُ بِلِقَائِكَ وَيرْضَى بِقَضَائِكَ وَيقْنَعُ بِعَطَائِكَ وَيخْشَاكَ حَقَّ خَشْيتِكَ»[٣].

وقَالَ: «إِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدٍ خيرًا فَتَحَ عَلَيهِ بَابَ الْعَمَلِ وَأَغْلَقَ عَنْهُ بَابَ الْجَدَلِ وَإِذَا أَرَادَ بِعَبْدٍ شَرًّا أَغْلَقَ عَلَيهِ بَابَ الْعَمَلِ وَفَتَحَ عَلَيهِ بَابَ الْجَدَلِ»[٤].

---

(١) صفة الصفوة (٢/ ٣٢١).

(٢) حلية الأولياء (٨/ ٣٦٠) وأول الخبر فى طبقات الصوفية (٨٧).

(٣) حلية الأولياء (٨/ ٣٦١).

(٤) طبقات الصوفية (٨٧).

وقَالَ: «طَلَبُ الْجَنَّةِ بِلَا عَمَلٍ ذَنْبٌ مِنَ الذُّنُوبِ، وَانْتِظَارُ الشَّفَاعَةِ بِلَا سَبَبٍ نَوْعٌ مِنَ الْغُرُورِ، وَارْتِجَاءُ رَحْمَةِ مَنْ لَا يُطَاعُ جَهْلٌ وَحُمْقٌ»(١).

۞ وقال عبد العزيز بن منصور: سمعت جَدِّى يقول: كنت عند أَحْمَد ابن حنبل فذُكر فى مجلسه أمرُ معروفٍ الكرخى، فَقَالَ بَعْضُ مَنْ حَضَرَ: هُوَ قَصِيرُ الْعِلْمِ. فَقَالَ لَهُ أَحْمَدُ: أَمْسِكْ - عَافَاكَ اللهُ -وَهَلْ يُرَادُ مِنْ الْعِلْمِ إِلَّا مَا وَصَلَ إِلَيهِ مَعْرُوفٌ(٢).

۞ وقال عَبد الله بْن أَحْمَد بْن حَنْبَل: قُلتُ لأبى: هَل كَانَ مَعَ مَعْرُوف الْكَرْخِى شَىء من الْعلم؟ فَقَالَ: يا بُنى كَانَ مَعَه رأسُ الْعلم، خشية الله تبارك وتعالى(٣).

(١) طبقات الصوفية (٨٩) حلية الأولياء (٨/ ٣٦٧).

(٢) تاريخ بغداد (١٣/ ٢٠٠).

(٣) تاريخ بغداد (١٣/ ٢٠١).

قرأ النبي ﷺ في فمه ففاح منه المسك

۞ وها هو نافع ابن عبد الرحمن بن أبى نعيم وكُنيته أبو رويم أصفهانى الأصل أسود اللون، كان عالمًا بوجوه القراءات والعربية، وهو إمام دار الهجرة فى القراءة بعد أبى جعفر، وكان إذا تكلم يُشَمُّ من فيه رائحة المسك، فقيل له: أتتطيب كلما جلست للإقراء، فقال: لا أَمسُّ طِيبًا، ولكنى رأيت النبى ﷺ فى المنام يقرأ فى فىَّ. فمن ذلك الوقت توجد هذه الرائحة، وقد أشار الناظم إلى هذا بقوله:

فأما الكريم السر فى الطيب نافع

قرأ على سبعين من التابعين منهم: أبو جعفر يزيد بن القعقاع.

وُلد نافع سنة سبعين وتوفى بالمدينة سنة ١٦٩ هـ[١].

فلا أنساب بينهم

۞ قال الأصمعى: بينما أنا أطوف بالبيت ذات ليلة، إذ رأيت شابًّا متعلقًا بأستار الكعبة وهو يقول:

يا من يجيب دعا المُضَّطَر فى الظُّلَمِ ... يا كاشف الضر والبلوى مع السقمِ

قد نام وفدك حول البيت وانتبهوا ... وأنت يا حى يا قيوم لم تنمِ

أدعوك ربى حزينًا قَلِقًا ... فارحم بكائى بحق البيت والحرمِ

إن كان جودك لا يرجوه ذو سفهٍ ... فمن يجود على العاصين بالكرمِ

(١) انظر «الوافى فى شرح الشاطبية» (١٦).

ثم بكى بكاءً شديدًا، وأنشأ يقول:

ألا أيها المقصود فى كل حاجة ... شكوت إليك الضُّرَّ فارحم شكايتى

ألا يا رجائى أنت تكشف كربتى ... فهَبْ لى ذنوبى كلها واقضِ حاجتى

أتيتُ بأعمالٍ قباحٍ رديئة ... وما فى الورى عبد جنى كجنايتى

أتحرقنى بالنار يا غاية المنى ... فأين رجائى ثم أين مخافتى

ثم سقط على الأرض، مغشيًّا عليه، فدنوت منه، فإذا هو زين العابدين على بن الحسين بن على بن أبى طالب (رضى الله عنهم أجمعين) فرفعت رأسه فى حجرى وبكيت، فقطرت دمعة من دموعى على خَدِّه، ففتح عينيه وقال: من هذا الذى يهجُم علينا؟ قلت: خادمك الأصمعى يا سيدى، ما هذا البكاء والجزع؟ وأنت من أهل النبوة، ومعدن الرسالة. أليس الله تعالى يقول: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[1].

قال: هيهات هيهات يا أصمعى، إن الله خلق الجنة لمن أطاعه، ولو كان عبدًا حبشيًّا، وخلق النار لمن عصاه، ولو كان حُرًّا قرشيًّا، أليس الله تعالى يقول: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ (١٠١) فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ (١٠٢) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ﴾[2].

---

(١) سورة الأحزاب: الآية: (٣٣).

(٢) سورة المؤمنون: الآيات: (١٠١ - ١٠٣).

ستة أشياء تكفيك

قال شقيق البلخي يومًا لتلميذه، حاتم الأصم: ما الذي تعلمته مني منذ صحبتني (٣٠ سنة)؟ فقال حاتم الأصم: ستة أشياء:

الأول: رأيت الناس في شك من أمر الرزق وما منهم إلا وهو شحيح بما عنده، حريص عليه، فتوكلت على الله لقوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا..﴾[1] لأني من جملة الدواب فلم أشغل قلبي بما تكفل به القوي المتين... فقال له: أحسنت.

الثاني: رأيت لكل إنسان صديقًا يفشي إليه سره ويشكو إليه أمره، ولكنهم لا يكتمون الأسرار، ولا يدفعون مصادمة الأقدار فجعلت صديقي العمل الصالح؛ ليكون لي عونًا عند الحساب ويثبتني بين يدي الله ﷻ ويرافقني في مروري على الصراط، فقال له: أحسنت.

الثالث: رأيت لكل واحد من الناس عدوًّا فنظرت فإذا الذي اغتابني ليس عدوي ولا من ظلمني ولا من أساءني؛ لأنه إنما يهاديني بحسناته ويتحمل عني من سيئاتي ولكن عدوي هو الذي إذا كنت في طاعة الله تعالى أغراني معصيته، فرأيت أن ذلك هو إبليس والنفس والدنيا والهوى فاتخذتهم أعداء واحترست منهم وأعددت العدة لمحاربتهم فلا أدع واحدًا منهم يقربني. فقال: أحسنت.

الرابع: رأيت أن كل حي مطلوب وأن ملك الموت عليه السلام هو الطالب ففرغت نفسي لملاقاته حتى إذا ما جاء، بادرت معه بلا عائق.

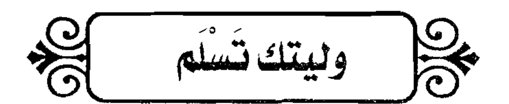
فقال له: أحسنت.

---

(١) سورة هود: الآية: (٦).

الخامس: نظرت إلى الناس متحابين ومتباغضين ورأيت المحب لا يملك لحبيبه شيئًا، فتأملت سبب المحبة والبغضاء فعلمت أنه الجسد فنفيته عنى بنفى العلائق التى بينى وبينه وهى الشهوات، فأحببت الناس كلهم فلم أرض لهم إلا ما رضيته لنفسى... فقال له: أحسنت.

السادس: رأيت أن كل ساكن لا بد له من مفارقة سكنه وأن مصير كل ساكن إلى القبر، فأعددت كل ما قدرت عليه من الأعمال التى تسرنى فى ذلك المسكن الجديد الذى ما وراءه إلا الجنة أو النار، فقال له شقيق البلخى: يكفيك ذلك واعمل عليه إلى الموت.



وليتك تَسْلَم

وقال أبو جعفر الهروى: كنت مع حاتم وقد أراد الحج، فلما وصل إلى بغداد قال لى: يا أبا جعفر أحب أن ألقى أحمد بن حنبل، فسألنا عن منزله، ومضينا إليه، فطرقت عليه الباب، فلما خرج قلت: يا أبا عبد الله! أخوك حاتم. فسلَّم عليه ورحَّب به وقال له - بعد بشاشة به - أخبرنى يا حاتم، فيما التخلص من الناس؟ قال: يا أحمد فى ثلاث خصال. قال: وما هى؟ قال: أن تعطيهم مالك ولا تأخذ من مالهم شيئًا، وأن تقضى حقوقهم ولا تستقضى أحدًا منهم حقًا لك، وأن تحتمل مكروههم ولا تُكره أحدًا منهم على شيء. قال: فأطرق أحمد ينكت بأصبعه على الأرض ثم رفع رأسه، ثم قال: يا حاتم! إنها شديدة. فقال له حاتم: وليتك تَسلم، وليتك تَسلم[1].

(١) تاريخ بغداد (٨/ ٢٤٢).

ابن المبارك يخشى على إخوانه من أمانة القضاء

۞ عَن حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ وَحَمَّادِ بْنِ زَيدٍ؛ أنَّ عبد الله بن المبارك كان يتجر في البُرِّ، وكان يقول: لولا خمسة ما اتجرت، فقيل له: يا أبا محمد مَن الخمسة؟ فقال: سفيان الثورى، وسفيان بن عيينة، والفضيل بن عياض، ومحمد بن السماك، وابن عُلية.

قال: وكان يخرج فيتجر إلى خُراسان، فكلما ربح من شيء أخذ القوت للعيال ونفقة الحج، والباقى يصل به إخوانه الخمسة. قال: فقدم سنة فقيل له قد وَلِى ابن علية القضاء، فلم يأته ولم يصله بالصرة التى كان يصله بها فى كل سنة، فبلغ ابن علية أن ابن المبارك قد قدم، فركب إليه فتنكَّس على رأسه فلم يرفع به رأسًا، ولم يُكلمه فانصرف. فلما كان من الغد كتب إليه رُقعة فيها: بسم الله الرحمن الرحيم، أسعدك الله بطاعته، وتولاك بحفظه، وحاطك بحياطته، قد كنت منتظرًا لبِرِّكَ وصِلَتِك ... وجئتك أمس فلم تكلمنى، ورأيتك واجدًا علىَّ، فأى شيء رأيت منى حتى أعذر إليك منه؟

فلما وردت الرقعة على عبد الله بن المبارك دعا بالدواة والقرطاس، ثم كتب إليه: بسم الله الرحمن الرّحيم:

يا جاعل الدين له بازيًا ... يصطاد أموال المساكين

احتلت للدنيا ولذاتها ... بحيلة تذهب بالدين

فصرت مجنونًا بها بعد ما ... كنت دواءً للمجانين

أين رواياتك فى سردها ... عن ابن عون وابن سيرين

أين رواياتك فى سردها ... لترك أبواب السلاطين

فلما وقف ابن عُلية على هذه الأبيات قام من مجلس القضاء، فوطئ

بساط هارون وقال: يا أمير المؤمنين! الله الله ارحم شيبتي فإني لا أصبر للخطأ، فقال له هارون:

لعل هذا المجنون أغرى عليك؟ فقال: الله الله أنقذني أنقذك الله، فأعفاه من القضاء، فلما اتصل بعبد الله بن المبارك ذلك، وجَّه إليه بالصُّرة![1]

قصة شعر

۞ عن محمد بن نافع، قال: كان أبو نواس لي صديقًا، فوقعت بيني وبينه هجرة في آخر عمره، ثم بلغتني وفاته؛ فتضاعف عليَّ الحزن؛ فبينا أنا بين النائم واليقظان؛ إذا أنا به، فقلت: أبو نواس! قال: نعم، قلت: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي بأبياتٍ قلتها، هي تحت ثني الوسادة؛ فأتيت أهله؛ فلما أحسُّوا بي أجهشوا بالبكاء، فقلت: هل قال أخي شعرًا قبل موته؟ قالوا: لا نعلم؛ إلا أنه دعا بدواة وقرطاس، وكتب شيئًا، لا ندري ما هو؟ فقلت: أتأذنون لي أن أدخل؟ قال: فدخلت إلى مرقده، فإذا ثيابه لم يُحرَّك بعد؛ فرفعت وسادة فلم أرَ شيئًا، ثم رفعت أخرى؛ فإذا أنا برقعة فيها مكتوب:

يا رب إن عَظُمت ذنوبي كثرة ... فلقد علمت بأن عفوك أعظمُ

إن كان لا يرجوك إلا محسنٌ ... فبمن يلوذ ويستجير المجرمُ

أدعوك رب، كما أمرت، تَضرُّعًا ... فإذا رددت يدي، فمن ذا يرحمُ

ما لي إليك وسيلةٌ إلا الرجا ... وجميل عفوك ثم إني مسلمُ[2]

---

(١) أخرجها الخطيب في تاريخ بغداد (٦/ ٢٣٥-٢٣٦).

(٢) أخرجها الخطيب في تاريخ بغداد (٧/ ٤٤٨)، وابن عساكر في مختصر تاريخ دمشق (١/ ٩٢٣)، وابن كثير في البداية والنهاية (١٠/ ٢٣٥)، وانظر: كشف الخفاء (١٧٣٩).

آية تمنعه من الطعام

۞ عَنْ خُلَيدٍ، عَنْ صَالِحِ بْنِ حَسَّانَ قَالَ:

أَمْسَى الْحَسَنُ صَائِمًا فَجِئْنَاهُ بِطَعَامٍ عِنْدَ إِفْطَارِهِ قَالَ: فَلَمَّا قُرِّبَ إِلَيهِ قَالَ: عَرَضَتْ لَهُ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿ إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ۝١٢ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴾[1].

قَالَ: فَقَلَصَتْ يدُهُ عَنْهُ فَقَالَ: ارْفَعُوهُ فَرَفَعْنَاهُ قَالَ: فَأَصْبَحَ صَائِمًا فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يفْطِرَ ذَكَرَ الْآيَةَ فَفَعَلَ ذَلِكَ أَيضًا.

فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمَ الثَّالِثَ انْطَلَقَ ابْنُهُ إِلَى ثَابِتٍ الْبُنَانِي وَيحْيى الْبَكَّاءِ وَأُنَاسٍ مِنْ أَصْحَابِ الْحَسَنِ فَقَالَ: أَدْرِكُوا أَبِى فَإِنَّهُ لَمْ يَذُقْ طَعَامًا مُنْذُ ثَلَاثَةِ أَيامٍ كُلَّمَا قَرَّبْنَا إِلَيهِ الطَّعَامَ ذَكَرَ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿ إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴾ فَتَرَكه قَالَ: فَأَتَوْهُ فَلَمْ يزَالُوا بِهِ حَتَّى أَسْقَوْهُ شَرْبَةً مِنْ سَوِيقٍ[2].

ويحك ما رأيت مثل هذا قط

۞ ذُكر فى (المقتبس) أنه لما قَدِم الرشيد البصرة قال جعفر بن يحيى بن عبد العزيز: قد عزم أمير المؤمنين على الركوب فى زُلال (نوع من الزوارق) فى نهر الأبلّة، ثم يخرج إلى دجلة، ويرجع فى نهر معقل، وأحب أن يكون معه رجل عالِم بالقصور والأنهار والقطائع، ليصفها له، فقال: لا أعرف من يفى بهذا، ويصلح له غير الأصمعى.

قال: فأتنى، فأتيته فتحدَّث بين يدى جعفر، فأضحكه وأعجبه، فأدخله إلى الرشيد، فركب معه، فجعل لا يمرّ بنهرٍ ولا أرضٍ إلا أخبر بأصلها

---

(١) سورة المزمل: الآيتان: (١٢-١٣).

(٢) أخرجها أحمد فى الزهد (١/ ٢٨٤).

وفرعها، وسمَّى الأنهار، ونَسب القطائع، فقال الرشيد لجعفر: ويحك؛ ما رأيت مثل هذا قط، من أين غُصتَ عليه؟ فلما قارب البصرة، قال للرشيد: يا أمير المؤمنين؛ والذى شرفنى بخطابك، إن لى من كل ما مررت به موضع قدم، فضحك الرشيد، وقال: اشتر يا جعفر أرضًا، فاشترى له بنهر الأبُلَّة أربعة عشر جريبًا بألف وأربع مائة دينار، وكان جعفر قد نهاه عن سؤاله، ووعده بكل ما يريد، فقال له: أما نهيتك عن سؤاله؟ قال: انتهزت الفرصة، فأخبرته خبرى فكرُم[1].

ولا أُقسم بالنفس اللوامة

۞ حَجَّ مَسْرُوْقٌ، فَلَمْ ينَمْ إلَّا سَاجِدًا عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى رَجَعَ.

وَرَوَى أَنَسُ بنُ سِيرِينَ، عَنِ امْرَأَةِ مَسْرُوْقٍ، قَالَتْ: كَانَ مَسْرُوْقٌ يصَلِّى حَتَّى تَوَرَّمَ قَدَمَاهُ، فَرُبَّمَا جَلَسْتُ أَبْكِى مِمَّا أَرَاهُ يصْنَعُ بِنَفْسِهِ[2].

وَقِيلَ لِمَسْرُوقٍ: لَوْ أَنَّكَ قَصرْتَ عَنْ بَعْضِ مَا تَصْنَعُ، أى مِنَ الْعِبَادَةِ.

قَالَ: «وَاللهِ لَوْ أَتَانِى آتٍ مِنْ رَبِّى فَأَخْبَرَنِى أَنَّ اللهَ لَا يعَذِّبُنِى لَاجْتَهَدْتُ فِى الْعِبَادَةِ» قِيلَ: وَكَيفَ ذَاكَ؟ قَالَ: حَتَّى تَعْذُرَنِى نَفْسِى إِنْ دَخَلْتُ جَهَنَّمَ لَا أَلُومُهَا أَمَا بَلَغَكَ فِى قَوْلِ اللهِ تبارك وتعالى: ﴿وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾[3] إِنَّمَا لَامُوا أَنْفُسَهُمْ حَتَّى صَارُوا إِلَى جَهَنَّمَ وَاعْتَنَقَتْهُمُ الزَّبَانِيةُ وَحِيلَ بَينَهُمْ وَبَينَ مَا يشْتَهُونَ وَانْقَطَعَتْ عَنْهُمُ الْأَمَانِى وَرُفِعَتْ عَنْهُمُ الرَّحْمَةُ وَأَقْبَلَ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يلُومُ نَفْسَهُ[4].

---

(١) مرآة الجنان (٢/ ٤٩).

(٢) سير أعلام النبلاء (٤/ ٦٥) للذهبى.

(٣) سورة القيامة: الآية: (٢).

(٤) محاسبة النفس (١٠٩) لابن أبى الدنيا، وصفة الصفوة (٣/ ٢٥) لابن الجوزى.

طريقة عجيبة للنجاة من الغيبة

۞ نحن نعلم جميعًا أن الله عز وجل حذرنا من الغيبة فقال تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۚ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾[٢].

ونعلم أيضًا أن النبي ﷺ حذرنا من الغيبة فقال ﷺ: «أَتَدْرُونَ مَا الْغِيبَةُ؟» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يكْرَهُ» قِيلَ أَفَرَأَيتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟ قَالَ: «إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ، فَقَدِ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهَتَّهُ»[٣].

وعن أبي برزة رضي الله عنه: «خَطَبَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى أَسْمَعَ الْعَوَاتِقَ فِي بُيوتِهِنَّ، قَالَ: «يا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يؤْمِنْ بِقَلْبِهِ: لَا تَغْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ، وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنْ يتَّبِعْ عَوْرَةَ أَخِيهِ يتَّبِعِ اللهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ يتَّبِعِ اللهُ عَوْرَتَهُ يفْضَحْهُ وَهُوَ فِي جَوْفِ بَيتِهِ»[٤].

وعن أنس رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَمَّا عُرِجَ بِي، مَرَرْتُ بِقَوْمٍ لَهُمْ أَظْفَارٌ مِنْ نُحَاسٍ يخْمِشُونَ وُجُوهَهُمْ، وَصُدُورَهُمْ، قُلْتُ لِجِبْرِيلَ: مَنْ هَؤُلَاءِ يا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يأْكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ، وَيقَعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ»[٥].

---

(١) سورة الحجرات: الآية: (١٢).

(٢) سورة الإسراء: الآية: (٣٦).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٥٨٩) كتاب البر والصلة والآداب.

(٤) صحيح: رواه أبو داود (٤٨٨٠) كتاب الأدب، وأحمد (١٩٢٧٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٩٨٤).

(٥) صحيح: رواه أبو داود (٤٨٧٨)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٢١٣).

۞ وكان هناك شيخ جليل كان يخشى على نفسه من الغيبة حتى لا تضيع حسناته ... فيا تُرى مَن هذا الشيخ؟ وما هى الطريقة التى نجَّاه الله بها من الغيبة.

هذا الشيخ هو الشيخ أمجد الزهاوى رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

كان للشيخ أمجد الزهاوى ذاكرة فذَّة، يتذكر فيها ما درسه من العلوم، حتى إنه ليذكر أنَّ المسألة الفلانية درسها قبل أربعين سنة فى الكتاب الفلانى، ويذكر رقم الصفحة فيه، ولكنه مع ذلك كله كان عنده نسيان لأسماء الأشخاص المعاصرين له كما يقول تلميذه دكتور/ جابر العلوانى فى مقدمة كتاب ترجم له فيه باسم «الإمام أمجد الزهاوى»، ويذكر فى الكتاب (ص٢٠) أنه كان ينسى أسماء أبنائه، وكان إذا غادر تلامذته قاعة الدرس نسى أسماءهم، وإذا أراد مناداة واحدًا باسمه لم يستطع ذلك، وقد أراد مرة من تلميذه طه أن ينقل رسالة شفوية إلى الشيخ الصواف، وكان الشيخ الصواف يلازم الشيخ أمجد فى سفره وحضره، فلم يستطع تذكُّر اسمه، فكان يُهمهم طويلًا، ويقول أخى الشيخ أبو عمامة الطويل، ولكن لم يفلح فى تذكُّر اسمه. وقد سأل طه العلوانى شيخه عن السبب، فقال: «بعد أن اطلعت على ما ورد فى القرآن والسنة من مخاطر الغيبة، وإثم من يقترفها، سألت ربى أن لا يمكننى منها أبدًا، فأنا الآن أنسى اسمك بمجرد أن تغادر المجلس، فلا أستطيع اغتيابك حتى لو أردت، حيث لا أتذكر غير شكلك، ويصعب علىَّ وصفك».

ثبَّت الله مُلكك ومُلك بيتك

۞ حَكَى أَبُو الْفَضْلِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الْبَلْعَمِي قَالَ: سَمِعْتُ الأَمِيرَ أَبَا إِبْرَاهِيمَ إِسْمَاعِيلَ بْنَ أَحْمَدَ يَقُولُ: كُنْتُ بِسَمَرْقَنْدَ، فَجَلَسْتُ يَوْمًا لِلْمَظَالِمِ، وَجَلَسَ أَخِي إِسْحَاقُ إِلَى جَانِبِي، فَدَخَلَ أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ نَصْرٍ الْفَقِيهُ الشَّافِعِي، فَقُمْتُ لَهُ إِجْلاَلاً لِعِلْمِهِ وَدِينِهِ، فَلَمَّا خَرَجَ عَاتَبَنِي أَخِي إِسْحَاقُ، وَقَالَ: أَنْتَ أَمِيرُ خُرَاسَانَ، يَدْخُلُ عَلَيكَ رَجُلٌ مَنْ رَعِيتِكَ فَتَقُومُ لَهُ، فَتَذْهَبُ السِّيَاسَةُ بِهَذَا.

قَالَ: فَبِتُّ تِلْكَ اللَّيْلَةَ، فَرَأَيتُ النَّبِي ﷺ، فِي الْمَنَامِ وَكَأَنِّي وَاقِفٌ وَأَخِي إِسْحَاقُ، فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَأَخَذَ بِعَضُدِي فَقَالَ لِي: يا إِسْمَاعِيلُ، ثَبَّتَ مُلْكَكَ وَمُلْكَ بَيتِكَ لإِجْلاَلِكَ لِمُحَمَّدِ بْنِ نَصْرٍ.

ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَى إِسْحَاقَ، وَقَالَ: ذَهَبَ مُلْكُ إِسْحَاقَ وَمُلْكُ بَيتِهِ بِاسْتِخْفَافِهِ بِمُحَمَّدِ بْنِ نَصْرٍ.

وَكَانَ مُحَمَّدُ بْنُ نَصْرٍ هَذَا مِنَ الْعُلَمَاءِ بِالْفِقْهِ عَلَى مَذْهَبِ الشَّافِعِي الْعَامِلِينَ بِعِلْمِهِ، الْمُصَنِّفِينَ فِيهِ، وَسَافَرَ إِلَى الْبِلاَدِ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ، وَأَخَذَ الْعِلْمَ بِمِصْرَ مِنْ أَصْحَابِ الشَّافِعِي[1].

---

(١) «الكامل في التاريخ» (٦/ ٢٥٥) لابن الأثير.

مسلم بن يسار ... قمة في الخشوع

۞ عن ميمون بن جابان قال: ما رأيت مسلم بن يسار ملتفتًا فى صلاته قطّ، خفيفة ولا طويلة، لقد انهدمت ناحية من المسجد ففزع أهل السوق لهدّته، وإنه لَفى المسجد فى صلاةٍ فما التفت.

۞ وعن عبد الجبار بن النضر السلمى قال: حدّثنى رجل من آل محمد ابن سيرين قال: رأيت مسلم بن يسار رفع رأسه من السجود فى المسجد الجامع، فنظرت إلى موضع سجوده، كأنه قد صُبّ فيه الماء من كثرة دموعه.

۞ وعن جعفر بن حيان قال: ذُكر لمسلم بن يسار قِلّة التفاته فى الصلاة، فقال: وما يدريكم أين قلبى؟

۞ وعن ابن شوذب قال: كان مسلم بن يسار يقول لأهله إذا دخل فى صلاته فى بيته: تحدّثوا فلست أسمع حديثكم.

۞ وعن عبد الحميد بن عبد الله بن مسلم بن يسار، عن أبيه قال: كان مسلم إذا دخل المنزل سكت أهل البيت، فلا يُسمع لهم كلام، وإذا قام يصلى تكلموا وضحكوا.

۞ وعن ابن عون قال: رأيت مسلم بن يسار يصلّى كأنه وتد لا يميل على قدم مرة، ولا على قدم مرة، ولا يتحرك له ثوب، ولا يتروّح على رِجل.

۞ وعن حبيب بن الشهيد: أن مسلم بن يسار كان قائمًا يصلى فوقع حريق إلى جنبه، فما شعر به حتى طُفئت النار.

۞ وعن عبد الحميد بن عبد الله بن مسلم بن يسار قال: حدّثني أبي قال: رأيت مسلمًا وهو ساجد، وهو يقول في سجوده: متى ألقاك وأنت عني راضٍ؟ ويذهب في الدعاء، ثم يقول: متى ألقاك وأنت عني راضٍ.

۞ وعن ابن عون قال: كان مسلم بن يسار إذا كان في غير صلاة كأنه في صلاة.

۞ وعن مالك بن دينار قال: رأيت أبا عبد الله مسلم بن يسار في منامي بعد موته بسنة، فسلمت عليه فلم يردّ السلام، فقلت: ما يمنعك أن تردّ عليَّ السلام؟ فقال: أنا ميت فكيف أردّ عليك السلام؟ قال: قلت له: فماذا لقيت بعد الموت؟ قال: فدمعت عينا مسلم عند ذلك، وقال: لقيت والله أهوالًا وزلازل عظامًا شِدادًا. قال: فقلت: فما كان بعد ذلك؟ قال: وما تراه يكون من الكريم؟ قَبِل منَّا الحسنات، وعَفا لنا عن السيئات، وضمن عنا التبعات[1].

(١) «صفة الصفوة» (٣/ ١٤٤-١٤٥) بتصرف.

هكذا أفعل بأبناء ثلاثٍ وثمانين

۞ عن رقبة قال: رأيت رب العزة ﷻ فى النوم، فقال: يا رقبة وعزتى وجلالى لأُكرمنّ مثوى سليمان التيمى، فإنه صلى أربعين سنة على طُهر العتمة.

قال: فجئت إلى سليمان فحدثته، فقال: أنت رأيت هذا؟ قلت: نعم، قال: لأُحدثنك بمائة حديث عن رسول الله ﷺ بما جئتنى به من البشارة. قال: فلما كان بعد مُدْيدَةٍ مات فرأيته فى المنام فقلت: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لى وأدنانى وقرّبنى وغلّفنى بيده، وقال: هكذا أفعل بأبناء ثلاثٍ وثمانين.[1].

إني لأعلم متى يذكرني ربي ﷻ

۞ عن جعفر قال: أنبأ ثابت البنانى،عن رجل من العُبّاد: أنه قال يومًا لإخوانه: إنى لأعلم متى يذكرنى ربى ﷻ ؟ قال: ففزعوا من ذلك، فقالوا: تعلم حين يذكرك ربّك؟ قال: نعم، قالو: متى؟ قال: إذا ذكرتُه ذكرنى. قال: وإنى لأعلم، حين يستجيب لى ربّى ﷻ . قال: فعجبوا من قوله، قالوا: تعلم حين يستجيب لك ربّك؟ قال: نعم. قالوا: وكيف تعلم ذلك؟ قال: إذا وجل قلبى، واقشعرَّ جلدى، وفاضت عينى، وفُتح لى فى الدعاء، فَثَمَّ أعلم أن قد استُجيب لى[2] .

---

(١) «صفة الصفوة» (٣/ ١٨٢).

(٢) «صفة الصفوة» (٣/ ١٥٨).

استبشر به أهل السماء

۞ إنه مسعر بن كدام رَحِمَهُ اللَّهُ:

۞ قال سفيان الثورى: لم يكن فى زماننا مثله (يعنى: مسعرًا).

وقال أبو خالد الأحمر: لم يكن فى أترابه أطول صمتًا منه، يعنى: مسعرًا.

وعن محمد بن مسعر قال: كان أبى لاينام حتى يقرأ نصف القرآن، فإذا فرغ من وِرده لفَّ رداءه، ثم هجع هجعة خفيفة، ثم يثب كالرجل الذى قد ضلَّ منه شيء فهو يطلبه، فإنما هو السواك والطهور، ثم يستقبل المحراب كذلك إلى الفجر، وكان يجهد على إخفاء ذلك جدًّا.

وعن الفيض بن الفضل العجْلى قال: حدّثنى جارٌ لمسعر قال: بكى مسعر فبكت أمه فقال لها مسعر: ما أبكاكِ يا أُماه؟ فقالت: يابنى رأيتك تبكى فبكيت، فقال: يا أمّاه لمثل ما نهجُم عليه غدًا، فلنُطل البكاء. قالت: وما ذاك؟ فانتحب فقال: القيامة وما فيها. قال: ثم غلبه البكاء فقام.

قال: وكان مسعر يقول: لولا أمّى لما فارقت المسجد إلا لِما لابدّ منه، وكان إن دخل بكى، وإن خرج بكى، وإن صلى بكى، وإن جلس بكى.

وعن حسين بن يحيى بن آدم، عن أبيه قال: لما حضرت مسعرًا الوفاة دخل عليه سفيان الثورى، فوجده جزعًا، فقال له: تجزع؟ فوالله لوددت أنى مُت الساعة، فقال مسعر: أقعدونى.

فأعاد سفيان الكلام عليه، فقال: إنك إذًا لواثق بعملك يا سفيان، لكنى والله على شاهقة جبل لا أدرى أين أهبط، فبكى سفيان وقال: أنت أخوف لله منى.

وعن أحمد بن داود الحرّانى قال: كان مصعب بن المقدام يقول: رأيت النبى ﷺ فى المنام، وسفيان الثورى آخذ بيده، وهما يطوفان، فقال الثورى: يا رسول الله مات مسعر بن كدام؟ قال: «نعم، واستبشر به أهل السماء»(١).



منصور بن المعتمر

۞ عن زائدة بن قدامة قال: صام منصور بن المعتمر أربعين سنة، قام ليلها وصام نهارها وكان بالليل يبكى كثيرًا، فتقول له أمه: يا بنى أقتلت قتيلًا؟ فيقول: أنا أعلم بما صنعت بنفسى، قال: فإذا أصبح كحَّل عينيه، ودهن رأسه، وبرق شفتيه، وخرج إلى الناس.

وعن العلاء بن سالم العبدى قال: كان منصور (يعنى: ابن المعتمر)، يصلى فى سطحه، فلما مات قال غلام لأمه: يا أماه الجذع الذى كان فى سطح آل فلان ليس أراه. قالت: يا بنى ليس ذاك بجذع، ذاك منصور قد مات.

وعن أبى بشر قال: كانت جارة لمنصور بن المعتمر، وكان لها ابنتان لا تصعدان السطح، إلا بعدما ينام الناس، فقالت إحداهما ذات ليلة: يا أمتاه، ما فعلت القائمة التى كنت أراها فى سطح فلان؟ فقالت: يا بنية لم تكن تلك قائمة إنما كان منصور يُحيى الليل كله فى ركعة

وعن زائدة بن قدامة قال: كان منصور بن المعتمر إذا رأيته، قلت: رجل

(١) «صفة الصفوة» (٣/ ٧٥-٧٦) بتصرف.

قد أصيب بمصيبة مُنكَّس الطرف، منخفض الصوت، رطب العينين، إن حركته جاءت عيناه بأربع، ولقد قالت له أمه يومًا: ما هذا الذى تصنع بنفسك؟ تبكى الليل عامته لا تكاد تسكت. لعلك يا بنى أصبت نفسًا لعلك قتلت قتيلًا، قال: فيقول: يا أماه أنا أعلم بما صنعت بنفسى.

وعن سفيان قال: كانوا يقولون فى ذلك الزمان: إن أطول أهل الكوفة تهجُّدًا طلحة، وزبيد، وعبد الجبار بن وائل.

قال الحميدى: فقلت: فمنصور؟ قال: نعم إنما كان الليل عنده مطية من المطايا متى شئت أصبته قد ارتحله.

وعن خلف بن تميم قال: سمعت أبا تميم بن مالك يقول: كان منصور ابن المعتمر إذا صلّى الغداة أظهر النشاط لأصحابه، فيحدثهم ويكثر إليهم، ولعله إنما بات قائمًا على أطرافه، كل ذلك ليخفى عليهم العمل[1].

---

(١) «صفة الصفوة» (٣/ ٦٥-٦٦) بتصرف.

تربية الأولاد

۞ قال عمرو بن عتبة لمعلم ولده: ليكُن أوّل إصلاحك لولدى إصلاحك لنفسك، فإن عيونهم معقودة بعَينك، فالحسن عندهم ما صنعتَ والقبيح عندهم ما تركت ... علِّمهم كتاب الله، ولا تُكْرههم عليه فيملُّوه، ولا تتركهم منه فيهجروه، روِّهم من الحديث أشرفَه، ومن الشعر أَعَفَّه، ولا تنقلهم من علم إلى علم حتى يُحْكِمُوه، فإن ازدحام الكلام فى القلب مَشْغَلَة للفهم، وعلمهم سُنَن الحكماء وجنِّبهم محادثة النساء، وتَهدَّدهم بى، وأدِّبهم دونى، وكن لهم كالطبيب الذى لا يعجل بالدواء حتى يعرف الداء، ولا تتكل على عُذرٍ منى، فإنى قد اتّكلْتُ على كفاية منك.

۞ وقال الحجاج لمعلم بنيه: علّمهم السباحة قبل الكتابة؛ فإنهم يجدون من يكتب عنهم، ولا يجدون من يسبح عنهم.

۞ وكتب عمر إلى أهل الشام: عَلِّموا أولادكم السباحة، والرَّمى، والفروسية، ورَوُّوهُم ما سار من المثل، وما حَسُن من الشعر.

۞ وبعث المنصور إلى مَنْ فى الحبس من بنى أمية، يقول لهم: ما أشدّ ما مرّ بكم فى هذا الحبس؟ فقالوا: ما فقدنا من تأديب أولادنا!.

الزم ما أنت عليه

۞ قال إبراهيم بن عبد اللهِ المَدِينى: قيل للحسن: ها هنا رجلٌ لم نَرَهُ قَطُّ جالسًا إلى أحدٍ، إنَّما هو أبدًا خلفَ ساريةٍ وحدَهُ. فقال الحسن: إذا ما رأيتموه فأخبرونى به. فمرَّ به ذاتَ يوم ومعهم الحسن، فأشاروا إليه، فقالوا:

ذاكَ الرَّجلُ الذى أخبرناك. فقال: امضوا حتى آتيه. فلمّا جاءَهُ قال: يا عبد الله، أراكَ قد حُبِّبَتْ إليك العُزْلة، فما يمنعُكَ من مُخالطةِ الناس؟ قال: ما أشغَلَنى عن الناس! قال: فيأتى هذا الرجلُ الذى يقال له الحسن فتجلس إليه؟ قال: ما أشغلَنى عن الحسن وعن الناس! قال له الحسن: فما الذى شَغَلَك – يرحمك الله – عن الناسِ وعن الحسن؟ قال: إنِّى أُمْسى وأُصبحُ بين ذنبٍ ونعمةٍ، فرأيتُ أن أشغَلَ نفسى عن الناس بالاستغفار للذنبِ، والشُّكرِ للهِ على النِّعمة... فقال له الحسن: يا عبد الله، أنتَ أفْقَهُ عندى من الحسن، الزَمْ ما أنتَ عليه[1].

أمانة عجيبة

❁ قال بِشْرُ بْنُ الْمُفَضَّلِ:

جَاءَتِ امْرَأَةٌ بِمِطْرَفِ خَزٍّ إِلَى يونُسَ بْنِ عُبَيدٍ، فَعَرَضَتْهُ عَلَيهِ، فَنَظَرَ إِلَيهِ فَقَالَ لَهَا: بِكَمْ؟، قَالَتْ: بِستِّينَ دِرْهَمًا. قَالَ: فَأَلْقَاهُ إِلَى جَارٍ لَهُ فَقَالَ: كَيفَ تُراه بِعِشْرِينَ وَمِائَةٍ؟ قَالَ: هُوَ ثَمَنُهُ أَوْ نَحْوُهُ، فَقَالَ لَهَا: انْطَلِقِى فَاسْتَأْمِرِى أَهْلَكِ فِى بَيعِهِ بِخَمْسَةٍ وَعِشْرِينَ وَمِائَةٍ، قَالَتْ: قَدْ أَمَرُونِى أَنْ أَبِيعَهُ بِسِتِّينَ دِرْهَمًا، قَالَ: انْطَلِقِى فَاسْتَأْمِرِيهِمْ[2].

وقال أمية بن بسطام: جاءت يونس امْرَأَة بجبة خز فقال لها: بكم هِى؟ قَالَتْ: بخمسمائة قال: هى خير من ذلك، قالت: بستمائة، قال: هِى خير من ذلك، فلم يزل يدرجها حتى بلغت ألفًا، وقد بذلتها بخمس مائة[3].

(١) المختار من مناقب الأخيار (٥/ ٢٩٧ – ٢٩٨).

(٢) حلية الأولياء (٣/ ١٦)، تهذيب الكمال (٣٢/ ٥٢٣).

(٣) حلية الأولياء (٣/ ١٦)، تهذيب الكمال (٣٢/ ٥٢٢).

ذاك الذي عاهد الله أن لا يضحك حتى ينظر إلى وجه الله

❁ قال حفص بن غياث رَحِمَهُ اللهُ:

كنت أرى ورّادًا العجلى يأتى إلى المسجد مُقنَّع الرأس، فيعتزل ناحية فلا يزال مُصليًا وباكيًا وداعيًا ما شاء الله من النهار، ثم يخرج فيعود فيصلّى الظهر، فهو كذلك بين صلاة وبكاء حتى يصلّى العشاء،ثم يخرج لا يكلم أحدًا، ولا يجلس إلى أحد، فسألت عنه رجلًا من حيِّه ووصفته له قلت: شاب من صفته من هيئته.فقال: بَخٍ يا أبا عمر، أتدرى عمن تسأل؟ ذاك ورّاد العجلى، ذاك الذى عاهد الله ألا يضحك حتى ينظر إلى وجه رب العالمين. قال أبى: وكنت إذا رأيته بعدُ هِبته.[1].

---

(١)صفة الصفوة (٣/ ١٦١).

عاش بعد هذه الحكاية أربعة أيام

❁ قال الحاكم النيسابورى:

سمعت أبا الوليد حسان بن محمد بن أحمد القرشى يقول فى مرضه الذى مات فيه: قالت لى والدتى كنت حاملًا بك وكان للعباس بن حمزة مجلس، فاستأذنت أباك أن أحضر مجلسه فى أيام العشر، فأذن لى، فلما كان فى آخر المجلس قال العباس بن حمزة: قوموا فقاموا وقمت، فأخذ العباس يدعو فقلت: اللَّهمّ هب لى ابنًا عالمًا، ثم رجعت إلى المنزل فبتُّ تلك الليلة فرأيت فيما يرى النائم كأن رجلًا أتانى فقال: أبشرى، فإن الله قد استجاب دعوتك، ووهب لك ولدًا ذكرًا وجعله عالمًا، ويعيش كما عاش أبوك، قالت: وكان أبى عاش اثنتين وسبعين سنة، قال حسان وهذه قد تمَّت لى اثنتان وسبعون سنة ... فعاش بعد هذه الحكاية أربعة أيام .... توفى ليلة الجمعة خامس ربيع الأول من سنة تسع وأربعين وثلاثمائة[1].

---

(١) المنتظم (١٤/ ١٢٨).

فضل المواظبة على صلاة الجمعة

۞ عَنْ بَحْرٍ السقَّاءِ، عَنِ ابْنِ أَخِى الْحَسَنِ، قَالَ: رَأَيتُ فِى النَّوْمِ كَأَنَّ الْقِيامَةَ قَدْ قَامَتْ وَكَأَنَّ النَّاسَ يُعْرَضُونَ عَلَى اللهِ ، فَرَأَيتُ أَمْرًا عَظِيمًا ، فَبينَمَا أَنَا كَذَلِكُ إِذْ دُعِىَ بِى فَابْتَدَرَنِى مَلَكَانِ ، فَأَخَذَا بِعَضُدِى فَتَوَجَّهَا بِى إِلَى اللهِ ، فَأَمَرَ بِى إِلَى النَّارِ ثُمَّ قَالَ: رُدُّوهُ هَذَا رَجُلٌ كَانَ يوَاظِبُ عَلَى الْجُمُعَةِ.

قَالَ: فَخُلِّى عَنِّى فَمَكَثْتُ زَمَانًا وَأَنَا أَجِدُ أَلَمَ عَضُدِى[١].

۞ عَنْ أَوْسِ بْنِ أَوْسٍ أَنَّ النَّبِى ﷺ، قَالَ: «**مَنْ غَسَّلَ يوْمَ الْجُمُعَةِ وَاغْتَسَلَ، وَبَكَّرَ وَابْتَكَرَ، وَمَشَى وَلَمْ يرْكَبْ، وَدَنَا مِنَ الإِمَامِ، فَاسْتَمَعَ وَلَمْ يلْغُ، كَانَ لَهُ بِكُلِّ خَطْوَةٍ عَمَلُ سَنَةٍ، أَجْرُ صِيامِهَا وَقِيامِهَا**»[٢].

۞ وَعَنْ يزِيدَ بْنِ أَبِى مَرْيمَ قَالَ: لَحِقَنِى عَبَايةُ بْنُ رَافِعِ بْنِ خَدِيجٍ قَالَ: وَأَنَا مَاشٍ إِلَى الْجُمُعَةِ فَقَالَ: أَبْشِرْ فَإِنَّ خُطَاكَ هَذِهِ فِى سَبِيلِ اللهِ، سَمِعْتُ أَبَا عَبْسٍ يقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنِ اغْبَرَّتْ قَدَمَاهُ فِى سَبِيلِ اللهِ فَهُوَ حَرَامٌ عَلَى النَّارِ**»[٣].

۞ وقال ﷺ: «**الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَالْجُمْعَةُ إِلَى الْجُمْعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ، مُكَفِّرَاتٌ مَا بَينَهُنَّ إِذَا اجْتُنِبَت الْكَبَائِرَ**»[٤].

۞ وَعَنْ أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يقُولُ:

---

(١) المنامات (ص ٧٣).

(٢) صحيح: رواه أحمد، وأصحاب السنن، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٦٤٠٥).

(٣) صحيح: رواه الترمذى، وصححه الألبانى فى صحيح الترغيب (٦٨٧).

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٢٣) كتاب الطهارة.

«خَمْسٌ مَنْ عَمِلَهُنَّ فِي يوْمٍ كَتَبَهُ اللهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ: مَنْ عَادَ مَرِيضًا، وَشَهِدَ جَنَازَةً، وَصَامَ يومًا، وراح يوم الجمعة، وأعتق رقبة»[1].

خلودٌ في الجنة أو النار

۞ قال محمد بنُ السَّمَّاك: وعظتُ يومًا فى مجلسٍ، فقام شابٌّ من القوم، فقال لى: يا أبا العباس، لقد وعظتَ اليومَ بكلمةٍ ماكُنَّا نُبالى أن نسمعَ غيرَها. قلت: وما هى، رحمَكَ الله؟ قال: قولُكَ لقد قطعَ قلوبَ الخائفين طولُ الخلودَينِ: إمَّا فى الجنَّةِ أو النار.

ثم غابَ ذلك الشابُّ عنِّى، ففقدتُهُ فى المجلس الآخر، ولم أره، فسألتُ عنه، فأخبرونى أنه مريضٌ يُعاد، فأتيتُه أعودُه، فقلتُ له: يا أخى، ما الذى أرى بك؟ فقال: يا أبا العباس، ذلك من قولِك: لقد قطعَ قلوبَ الخائفين طولُ الخلودَينِ إمَّا فى الجنةِ أو النار، ثم مات رحمه الله، فرأيتُهُ فى المنام، فقلتُ له: يا أخى، ما صنعَ بك ربُّكَ ﷻ؟ قال: غَفَرَ لى، وأدخلَنى الجنَّة. قلت: بماذا؟ قال: بالكلمة[2].

(١) صحيح: رواه ابن حبان، وصححه الألبانى فى صحيح الترغيب (٦٨٦).

(٢) المختار فى مناقب الأخيار (٥/ ٣٠٠، ٣٠١).

أقسمت على ربي أن لا يحرقه!!

احترقت خِصاصٌ بالبصرة، وبقي في وسطها خُصٌّ لم يحترق، وأميرُ البصرةِ يومئذٍ أبو موسى الأشعرى، فأُخبر بذلك فبعث إلى صاحب الخُصِّ فأُتِي به، فإذا شيخٌ، فقال: ياشيخ، ما بالُ خُصِّكَ لم يحترق؟ فقال: إنِّى أقسمتُ على ربِّى أن لا يحرقَه. فقال أبو موسى: إنى سمعتَ رسول الله ﷺ يَقولُ: «رُبَّ أَشْعَثَ، مَدْفُوعٍ بِالْأَبْوَابِ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لَأَبَرَّهُ»[1].

اصنع بي ما شئت

﴿ قَالَ عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ زَيدٍ:

خَرَجْتُ إِلَى نَاحِيةِ الْخُرَيبَةِ[2] فَإِذَا أَسْوَدُ مَجْذُومٌ قَدْ تَقَطَّعَتْ كُلُّ جَارِحَةٍ لَهُ بِالْجُذَامِ وَعَمِى وَأُقْعِدَ، وَإِذَا هُوَ يزْحَفُ، وَإِذَا صِبْيانٌ يرْمُونَهُ بِالْحِجَارَةِ حَتَّى رَمَوا وَجْهَهُ، فَرَأَيتُهُ يحَرِّكُ شَفَتَيهِ، فَدَنَوْتُ مِنْهُ لَأَسْمَعَ مَا يقُولُ، فَإِذَا هُوَ يقُولُ: يا سَيدِى، إِنَّكَ لتعلم أَنَّكَ لَوْ قَرَضتَ لَحْمِى بِالْمَقَارِيضِ، وَنَشَرْتَ عَظْمِى بِالْمَنَاشِيرِ مَا ازْدَدْتُ لَكَ إِلَّا حُبًّا، فَاصْنَعْ بِى مَا شِئْتَ[3].

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٦٢٢).

(٢) الخُريبة: تصغير خَربة، موضعٌ بالبصرة. معجم البلدان. وقد تحرَّفت في صفة الصفوة (٤/ ١٨) إلى الحربية، والحربية موضعٌ ببغداد. والأخبار كلُّها عن متعبدى البصرة.

(٣) صفة الصفوة (٤/ ١٨-١٩).

أهل العلم .. ومكانتهم عند النبي ﷺ

۞ عن أبى عبد الله الزبيرى قال:

جاءنى رجل من أهل البصرة، يقال له: أبو محمد القرشى من أهل الستر والصلاح فقال لى: يا أبا عبد الله، أخبرك برؤيا تُسَرُّ بها؟

فقلت: هات، فقال لى: رأيت النبى ﷺ فى النوم، وعنده أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلى رضي الله عنهم إذ جاءه أربعة نفر، فقربهم، فتعجبت من تقريبه لهم. فسألت مَن بحضرته عن النفر، فقال لى: هذا مالك، وأحمد، وإسحاق، والشافعى. فرأيت كأن النبى ﷺ أخذ بيد مالك وأجلسه بجنب أبى بكر الصديق، وأخذ بيد أحمد فأجلسه بجنب عمر، وأخذ بيد إسحاق فأجلسه بجنب عثمان، وأخذ بيد الشافعى وأجلسه بجنب علىٍّ.

قال أبو عبد الله الزبيرى: فسألت بعض العلماء بالتعبير عن ذلك؟ فقال لى: أجلس مالك بجنب أبى بكر، كأن منزلة مالك فى العلماء كمنزلة أبى بكر فى الصحابة، ومنزلة أحمد فى الفقهاء كمنزلة عمر فى صلابته؛ لأنه لم يتكلم فى القرآن إلا بحق، ومنزلة إسحاق فى العلماء كمنزلة عثمان فى الصحابة؛ لقى عثمان الفتن والمحن، كذلك لقى إسحاق فى بلده من أهل الإرجاء بما فارق به بلده. ومنزلة الشافعى فى العلماء كمنزلة علىٍّ فى الصحابة؛ فإنه كان أعلمهم، وأفضلهم، وأقضاهم، كذلك الشافعى كان أعلم العلماء فى الفقه والقضاء[1].

---

(١) انظر: «تاريخ دمشق» (٥١/ ٣٠٠).

لا يُحسن أن يعصى الله ﷻ

۞ قَالَ حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ:

مَا أَتَينَا سُلَيمَانُ التَّيمِي فِي سَاعَةٍ يُطَاعُ اللهُ ﷻ فِيهَا إِلَّا وَجَدْنَاهُ مُطِيعًا، إِنْ كَانَ فِي سَاعَةِ صَلَاةٍ وَجَدْنَاهُ مُصَلِّيًا، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ سَاعَةُ صَلَاةٍ وَجَدْنَاهُ إِمَّا مُتَوَضِّئًا، أَوْ عَائِدًا مَرِيضًا، أَوْ مُشَيعًا لِجَنَازَةٍ، أَوْ قَاعِدًا يُسبح فِي الْمَسْجِدِ، قَالَ: فَكُنَّا نَرَى أَنَّهُ لَا يُحْسِنُ أَنْ يعْصِى اللهَ ﷻ[١].

و قَالَ مُعْتَمِرُ بْنُ سُلَيمَانُ التَّيمِي: «مَاتَ صَاحِبٌ لِي كَانَ يطْلُبُ مَعِي الْحَدِيث فَجَزِعْتُ عَلَيهِ، فَرَأَى أَبِى جَزَعِى عَلَيهِ، فَقَالَ: يا مُعْتَمِرُ كَانَ صَاحِبُكَ عَلَى السُّنَّةِ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: فَلَا تَجْزَعْ عَلَيهِ أَوْ لَا تَحْزَنْ عَلَيهِ»[٢].

وقَالَ مُعْتَمِرُ: «سَقَطَ بَيتٌ لَنَا كَانَ أَبِى يكُونُ فِيهِ، فَضَرَبَ أَبِى فُسْطَاطًا فَكَانَ فِيهِ حَتَّى مَاتَ، فَقِيلَ لَهُ: لَوْ بَنَيتَهُ، فقَالَ: الْأَمْرُ أَعْجَلُ مِنْ ذَلِكَ، غَدًا الْمَوْتُ»[٣].

وقَالَ مَعْمَر، مُؤَذِّنِ التَّيمِى: «صَلَّى إِلَى جَنْبِى سُلَيمَانُ التَّيمِى بَعْدَ الْعِشَاءِ الْآخِرَةِ، وَسَمِعْتُهُ يقْرَأُ: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾[٤] قَالَ: فَلَمَّا أَتَى عَلَى هَذِهِ الْآيةِ: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾[٥] جعَلَ يرَدِّدُهَا حَتَّى خَفَّ

---

(١) حلية الأولياء (٣/ ٢٨).

(٢) حلية الأولياء (٣/ ٣١).

(٣) حلية الأولياء (٣/ ٣٠).

(٤) سورة الملك: الآية: (١).

(٥) سورة الملك: الآية: (٢٧).

أَهْلُ الْمَسْجِدِ فَانْصَرَفُوا، قَالَ: فَخَرَجْتُ وَتَرَكْتُهُ قَالَ: وَغَدَوْتُ لِأَذَانِ الْفَجْرِ فَنَظَرْتُ فَإِذَا هُوَ فِي مَقَامِهِ، قَالَ: فَسَمِعْتُ فَإِذَا هُوَ فِيهَا لَمْ يَجُزْهَا وَهُوَ يَقُولُ ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾»[1].

وقَالَ فُضَيلِ بْنِ عِيَاضٍ: «قِيلَ لِسُلَيمَانَ التَّيمِي: أَنْتَ أَنْتَ وَمَنْ مِثْلُكَ، قَالَ: لَا تَقُولُوا هَكَذَا، لَا أَدْرِي مَا يَبْدُو لِي مِنْ رَبِّي ﷻ ... سَمِعْتُ اللهَ ﷻ يَقُولُ ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ﴾[2]»[3].

وقَالَ شُعْبَةَ: «لَمْ أَرَ أَحَدًا قَطُّ أَصْدَقَ مِنْ سُلَيمَانَ التَّيمِي وَكَانَ إِذَا حَدَّثَ الْحَدِيثَ، فَرَفَعَهُ إِلَى النَّبِي ﷺ، تَغَيَّرَ وَجْهُهُ»[4].

وقَالَ مُعْتَمِرُ: «كَانَ عَلَى أَبِي دَينٌ، فَكَانَ يسْتَغْفِرُ اللهَ تَعَالَى، فَقِيلَ لَهُ: سَلِ اللهَ يقْضِي عَنْكَ الدَّينَ، قَالَ: إِذَا غَفَرَ لِي قَضَى عَنِّي الدَّينَ»[5].

وقَالَ الْمُعْتَمِر: قَالَ لِي أَبِي حِينَ حَضَرَهُ الْمَوْتُ: «يا مُعْتَمِرُ، حَدِّثْنِي بِالرُّخَصِ، لِعَلِي أَلْقَى اللهَ ﷻ وَأَنَا أُحْسِنُ الظَّنَّ بِهِ».

---

(١) حلية الأولياء (٣/ ٢٩).

(٢) سورة الزمر: الآية: (٤٧).

(٣) حلية الأولياء (٣/ ٣٠)، وسير أعلام النبلاء (٦/ ٢٠٠).

(٤) حلية الأولياء (٣/ ٣١)، وتهذيب الكمال (١٢/ ٨).

(٥) حلية الأولياء (٣/ ٣٢).

إبراهيم الحربي يناظر المأمون

۞ عن محمد بن عبد الله السائح قال: سمعت طلحة البصرى يقول: سمعت مفلحًا الأسود يقول: قال المأمون ليحيى بن أكثم: إنى أشتهى أن أرى بِشْر بن الحارث؟ قال: إذا شِئْتَ يا أمير المؤمنين. قال: الليلة، ولا يكون معه ثالث، فركبا إلى منزله، فنزل يحيى، فدَقَّ الباب، فقال بِشر: مَنْ هذا؟ قال: مَنْ تَجب عليك طاعته! قال: وأى شىء يريد؟

قال: أحَبَّ لقاءك. قال: طائعًا أو مُكْرَهًا؟ ففهم المأمون، فقال ليحيى: اركب، فمَرَّا على رجل يقيم صلاة العشاء، فدخلا يصليان، فإذا الإمام حَسَن القراءة، فلما أصبح المأمون وجَّه إليه، فجاء به إليه، فجعل يناظره فى الفقه، وجعل الرجل يخالفه، ويقول: القول فى المسألة خلاف هذا فغضب المأمون، فلما كثر خلافه، قام على رجله، وقال: عهدى بك كأنك تذهب إلى أصحابك، فتقول: خطَّأْتُ أمير المؤمنين، فقال الرجل: والله يا أمير المؤمنين، إنى لأستحيى من أصحابى أن يعلموا أنى جئتك.

فقال المأمون: الحمد لله الذى جعل فى رعيتى مَنْ يستحيى أن يجيئنى، وسجد لله شكرًا ... والرجل هو إبراهيم بن إسحاق الحربى[1].

---

(١) عيون الحكايات (ص ٣٩٢).

كلمات على فراش الموت

۞ عن أبى سهل الكاتب قَالَ:

حَدَّثَنِي طيفور قَالَ: كَانَ سبب إحرام المنصور من مدينة السلام أنه نام ليلة فانتبه فزعًا، ثُمَّ عاود النوم فانتبه فزعًا، ثُمَّ راجع النوم فانتبه فزعًا فَقَالَ: يا ربيع، قَالَ: لبيك يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ.

قَالَ: لقد رأيت فِي منامى عجبًا! قال: ما رأيت جعلنى الله فداك؟ قَالَ: رأيت كَأَنَّ آتيًا أتانى يُهمهم بشىء لم أفهمه، فانتبهت فزعًا، ثُمَّ عاودت النوم فعاودنى يقُول ذلك الشىء، ثُمَّ عاودنى بقوله، حَتَّى فهمته وحفظته وَهُوَ يَقولُ:

كأنى بهذا القصر قَدْ باد أهله ... وعرى منه أهله ومنازله

وصار رئيس القوم من بعد بهجة ... إِلَى جَدَثٍ[1] يبْنى عليه جنادله

وما أحسبنى يا ربيع إلا وقد حانت وفاتى، وحضر أجلى، وما لى غير ربى، قم فاجعل لى غُسلًا، ففعلت فقام فاغتسل وصلى ركعتين وَقَالَ: أنا عازم عَلَى الحج.

فهيأنا آلة الحج، فخرج وخرجنا حَتَّى إذا انتهى إِلَى الكوفة نزل النجف، فأقام أيامًا، ثُمَّ أمر بالرحيل فتقدمت نوابه وجنده، وبقيت أنا وَهُوَ فِي القصر والماكرية وشاكريته بالباب، فقال لى:

يا ربيع جئنى بفحمة من المطبخ، وَقَالَ لى: اخْرُجْ فكن مَعَ دابتى إِلَى أن أخرج، فلما خرج وركب، رجعت إِلَى المكان كأنى أطلب شيئًا، وإذا قَدْ

---

(١) الجدث: القبر.

كتب عَلَى الحائط بالفحمة شعرًا:

المـــــرء[١] يهـــوى أن يعيـــش وطـــول عيـــش قَـــدْ يَـــضرُّه
تفنـــــى بـــــشاشته ويبقـــــى بعـــــد حلـــو العيـــش مُـــرُّه
وتـــصرف الأيـــام حَتَّـــى مَـــا يـــرى شـــيئًا يـــسرُّه
كـــم شـــامت بـــى أن هلكـــت وقائـــلٌ لله دَرُّه[٢]

شفاعة الأبناء في الآخرة

۞ عَـنِ الْمُبَـارَكِ بْـنِ فَـضَالَةَ، قَـالَ: سَـمِعْتُ الْحَـسَنِ، يقُـولُ: حَـدَّثَنَا أَبُو الْأَحْوَصِ، قَالَ:

دَخَلْنَا عَلَى ابْنِ مَسْعُودٍ، وَعِنْدَهُ بَنُون ثَلَاثَةٌ كَأَمْثَالِ الدَّنَانِيرِ حُسنًا، فَجَعَلْنَا نَنْظُرُ إِلَيهِمْ، فَفَطِنَ إِلَينَا فَقَالَ: كَأَنَّكُمْ تَغْبِطُونِى بِهِمْ؟ قُلْنَا: وَهَلْ يُغْبَطُ الرَّجُلُ إِلَّا بِمِثْلِ هَؤُلَاءِ؟ فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى سَقْفِ بَيتٍ لَهُ قَصِيرٍ قَدْ عَشَّشَ فِيهِ خُطَّافٌ، فَقَالَ: «وَالَّذِى نَفْسِى بيدِهِ؛ لَأَنْ أَكُونُ قَدْ نَفَضْتُ يدى مِنْ تُرَابِ قُبُورِهِمْ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يخِرَّ عِشّ هَذَا الْخُطَّافِ فَينْكَسِر بيضه»[٣].

---

(١) فى المطبوعة: إلام، وهو خطأ، والصواب ما أثبتناه.
(٢) أخرجها ابن عساكر فى تاريخ دمشق (٣٢/ ٣٤١).
(٣) تاريخ دمشق (٣٩/ ١١٩).

لا تُحدِّثي بها أحدًا ما دُمت حيًّا

ﷺ عن عبد الرحمن بن زُبيد قال:

كان زُبيد قد قسَّم علينا الليل أثلاثًا: ثُلثًا عليه: وثُلثًا عليَّ، وثُلثًا على أخي، فكان زبيد يقوم ثلثه، ثم يضربني برجله، فإذا رأى مني كسلًا قال: نم يا بني فأنا أقوم عنك، ثم يجيء إلى أخي، فيضربه برجله،فإذا رأى منه كسلًا قال: نم يا بني فأنا أقوم عنك، قال: فيقوم حتى يصبح.

وعن سفيان قال: دخلنا على زبيد نعوده، فقلنا: شفاك الله، فقال: أستخير الله.

قال سفيان: كان زبيد إذا كانت الليلة مطيرة أخذ شعلة من النار، فطاف على عجائز الحي، فقال: أَوَكَفَ عليكم بيت؟ أتريدون نارًا؟ فإذا أصبح طاف على عجائز الحي، فقال: ألكم في السوق حاجة؟ أتريدون شيئًا؟.

وعن محمد بن حسين قال: حدثني سليمان بن أيوب، عن بعض أشياخه قال: قام زبيد اليامي ذات ليلة ليتهجد،قال: فعمد إلى مطهرة له قد كان يتوضأ منها، فغمس يده في المطهرة،فوجد الماء باردًا شديدًا كاد أن يجمد من شدة برده، فذكر الزمهرير ويده في المطهرة، فلم يُخرجها منها حتى أصبح، فجاءت الجارية وهو على تلك الحال، فقالت: ما شأنك يا سيدي لم تُصلِّ الليلة كما كنت تصلّي وأنت قاعد ها هنا على هذه الحال؟ قال: ويحك أدخلت يدي في هذه المطهرة، فاشتد عليَّ برد الماء، فذكرت به الزمهرير، فوالله ما شعرت بشدة برد يدي حتى وقفتِ عليَّ، فانظري لا تحدثي بها أحدًا ما دُمت حيًّا، قال: فما علم بذلك أحد حتى مات.

أنبأ سفيان بن زبيد، قال: يسرنى أن يكون لى فى كل شىء نية حتى فى الأكل والنوم.

قال سعيد بن جبير: لوخُيرت عبدًا ألقى الله فى مسلاخه اخترت زبيدًا الأيامى(١).

خيركم مَن طال عمره وحَسُن عمله

❁ قال ﷺ: «خَيرُ النَّاسِ مَنْ طَالَ عُمُرُهُ، وَحَسُنَ عَمَلُهُ، وَشرُّ النَّاسِ مَنْ طَالَ عُمُرُهُ، وَسَاءَ عَمَلُهُ»(٢).

❁ دَخَلَ سُلَيمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ مَسْجِدَ دِمَشْقَ، فَرَأَى شَيخًا كَبِيرًا، فَقَالَ لَهُ: يا شَيخُ! أَيسُرُّكَ أَنْ تَمُوتَ؟ قَالَ: لَا وَاللهِ. فَقَالَ سُلَيمَانُ: وَلِمَ وَقَدْ بَلَغْتُ فِي السِّنِّ مَا أَرَى؟! قَالَ: يا أمير المؤمنين ذَهَبَ الشَّبَابُ وَشَرُّهُ، وَجَاءَ الْكِبَرُ وَخَيرُهُ، فَإِذَا قَعَدْتُ؛ ذَكَرْتُ اللهَ، وَإِذَا قُمْتُ؛ حَمِدْتُ اللهَ، فَأُحِبُّ أَنْ تَدُومَ لِي هَاتَانِ الْخَصْلَتَانِ.

قال سليمان: فما كان عملك الذى تظن أنه سيطول عمرك؟ فقال: يا أمير المؤمنين، أنا رجل أُسبغ الوضوء، وأُحسن صلاتى، وأصل رحمى، وأعف فرجى ونظرى، وأواسى مما رزقنى ربى، فقال سليمان: ليس بعجب أن يتعداك.

(١) صفة الصفوة (٣/ ٥٦، ٥٧) بتصرف.

(٢) صحيح: رواه أحمد، والترمذى، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٣٢٩٧).

ابن الجوزي ومجالس وعظه

۞ إن مجالس -ابن الجوزى- الوعظية لم يكن لها نظير، ولم يُسمَع بمثلها. وكانت عظيمة النفع، يتذكر بها الغافلون، ويتعلم منها الجاهلون، ويتوب فيها المذنبون، ويُسلم فيها المشركون ... وقد ذكر فى تاريخه: أنه تكلم مرة، فتاب فى المجلس على يده نحو مائتى رجل.

وقال: ما زلت أعظ الناس وأحرضهم على التوبة والتقوى، فقد تاب على يدى إلى أن جمعت هذا الكتاب أكثر من مائة ألف رجل، وأسلم على يدى أكثر من مائة ألف.

قال: ولا يكاد يُذكر لى حديث إلا ويمكننى أن أقول: صحيح، أو حسن. ولقد أقدر على أن أرتجل المجلس كله من غير ذكر محفوظ، وربما قُرئت عندى فى المجلس خمسة عشرة آية، فآتى على كل آية بخطبة تناسبها فى الحال.

وقال سبطه أَبُو المظفر: أقل ما كان يحضر مجلسه عشرة آلاف، وربما حضر عنده مائة ألف، وأوقع الله له فى القلوب القبول والهيبة. وكان زاهدًا فى الدنيا، متقللًا منها، وسمعته يقول على المنبر فى آخر عمره: كتبت بإصبعى هاتين ألفى مجلدة، وتاب على يدى مائة ألف، وأسلم على يدى عشرون ألف يهودى ونصرانى.

قال: وكان يختم القرآن فى كل سبعة أيام، ولا يخرج من بيته إلا إلى الجامع للجمعة وللمجلس. وما مازح أحدًا قط، ولا لعب مع صبى، ولا أكل من جهة لا يتيقن حِلَّهَا. وما زال على ذلك الأسلوب حتى توفاه الله تعالى.

وقال ابن القطيعى: انتفع الناس بكلامه، فكان يتوب فى المجلس الواحد مائة وأكثر فى بعض الأيام. وكان يجلس بجامع المنصور يومًا أو يومين فى السنة.

فتُغلَق المحال، ويُحرَز الجمع بمائة ألف[١].



دعاني من هو خيرٌ منك فأجبته

قال سعيد بن أبى عَروبة:

حجّ الحجَّاج فنزل بعض المياه بين مكة والمدينة ودعا بالغداء، فقال لحاجبه: انظر من يتغدّى معى وأسأله عن بعض الأمر، فنظر نحو الجبل، فإذا هو بأعرابى بين شملتين من شعر، نائم، فضربه برجله وقال له: إيت الأمير، فأتاه فقال له الحجاج: اغسل يديك وتَغَدَّ معى، فقال: إنه دعانى من هو خير منك فأجبته. قال: ومن هو؟ قال: الله ﷻ، دعانى إلى الصوم فصمت. قال: فى هذا الحرّ الشديد؟ قال: نعم صمت ليوم هو أشد حرًّا من هذا اليوم. قال: فأفطر وصم غدًا. قال: إن ضمنت لى البقاء إلى غدٍ أفطرت. قال: ليس ذاك إلىَّ. قال: فكيف تسألنى عاجلًا بآجل لا تقدر عليه؟ قال: إنه طعام طيب، قال: لم تطيبه أنت ولا الطباخ، إنما طيبته العافية[٢].

---

(١) «ذيل طبقات الحنابلة» (٣/ ٤١٠-٤١١).

(٢) صفة الصفوة (٤/ ٣٧٧)، روض الرياحين (٢٨٥) (الحكاية ٢٢٢).

ثلاثة كنوز

۞ روى مالك بن أنس أن جعفر بن محمد قال لسفيان الثورى: يا سفيان إذا أنعم الله عليك بنعمة، فأحببتَ بقاءها ودوامَها، فأكثر من الحمد والشكر عليها، فإن الله ﷻ قال فى كتابه: ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾[١]، وإذا استبطأتَ الرزق فأكثِر من الاستغفار، فإن الله تعالى قال فى كتابه: ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝١١ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ ﴾ يعنى: فى الدنيا ﴿ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴾[٢] فى الآخرة. يا سفيان إذا حَزَبك أمر من سلطان أو غيره فأكثِر من قول: «**لا حول ولا قوة إلا بالله**». فإنها مفتاح الفرج، وكنز من كنوز الجنة[٣].

---

(١) سورة إبراهيم: الآية: (٧).

(٢) سورة نوح: الآيات: (١٠-١٢).

(٣) «صفة الصفوة» (٢/ ١٦٨)، وانظر الحلية (٣/ ١٩٣).

يا هُشيم .. جزاك الله عن أمتي خيرًا

عن هشيم بن بشير بن أبى خازم واسم أبى خازم: القاسم بن دينار، ويُكنَّى هُشيم أبا معاوية السلمى، مولى لبنى سُليم.

۞ قال أبو إسحاق الحربى: كان هشيم رجلًا، كان أبوه يقال له: بشير. وطلب ابنه هشيم الحديث فاشتهاه، وكان أبوه يمنعه، فكتب الحديث حتى جالس أبا شيبة القاضى، وكان يناظر أبا شيبة فى الفقه، فمرض هشيم، فقال أبو شيبة: ما فعل ذلك الفتى الذى كان يجىء إلينا؟ قالوا: عليل. فقال: قوموا بنا حتى نعوده، فقام أهل المجلس جميعًا يعودونه حتى صاروا إلى منزل بشير، فدخلوا إلى هشيم، فجاء رجلٌ إلى بشير، فقال: الحق ابنك قد جاء القاضى يعوده ... فجاء بشير، والقاضى فى داره، فلما خرج قال لابنه: يا بنى قد كنت أمنعك من طلب الحديث، فأما اليوم فلا ... صار القاضى يجىء إلى بابى، متى أمَّلت هذا.

قال الحربى: وكان حُفاظ الحديث أربعة، هُشيم شيخهم، يزعمون أنه ما رُئى له، إلا دفتر واحد

وعن عبد الله بن أحمد قال: سمعت أبى يقول: لزمت هُشيمًا أربع سنين، أو خمس سنين، ما سألته عن شىء هيبة إلا مرتين. قال لى: وكان هشيم كثير التسبيح بين الحديث، يقول بين ذلك: لا إله إلا الله، يمد بها صوته.

وعن محمد بن حاتم المؤدب قال: قيل لهشيم: كم كنت تحفظ يا أبا معاوية؟ قال: كنت أحفظ فى مجلسٍ مائة، ولو سُئلتُ عنها بعد شهر لأجبت.

وعن نصر بن بسام، وغيره من أصحابنا قالوا: أتينا أبا محفوظ معروفًا الكرخى، فقال لنا: رأيت النبى ﷺ فى النوم، وهو يقول لهشيم: يا هشيم جزاك الله عن أمتى خيرًا. قال ابن بسام: فقلت: يا أبا محفوظ أنت رأيته؟ قال: نعم، ... هشيم خير مما نظن، هشيم خير مما نظن، رضى الله عن هشيم(١).

خاب قومٌ تعرَّضوا لهذا الرجل

۞ قال الحسنُ بن محمّد العلوى:

حُبس أبو الحسن موسى بن جعفر عند السندى [بن شاهك]، فسألته أختُهُ أن تتولى حبسه- وكانت تتدين- ففعل، فكانت تلى خدمته، فحكى لنا أنها قالت: كان إذا صلى العتمة حمد الله ومجَّده ودعاه، فلم يزل كذلك حتى يزول الليل، فإذا زال الليل قام يصلى حتى يصلى الصبح، ثم يذكر الله قليلًا حتى تطلع الشمس، ثم يقعد إلى ارتفاع الضحى، ثم يتهيأ ويستاك ويأكل، ثم يرقد إلى قبل الزوال، ثم يتوضأ ويصلى حتى يصلى العصر، ثم يذكر الله فى القبلة حتى يصلى المغرب، ثم يصلى ما بين المغرب والعتمة، فكان هذا دأبه. فكانت أخت السندى إذا نظرت إليه قالت: خابَ قومٌ تعرَّضوا لهذا الرجل(٢).

---

(١) انظر: «صفة الصفوة» (٣/ ١٥).

(٢) «تاريخ بغداد» (١٣/ ٣١)، «تهذيب الكمال» (٢٩/ ٥٠)، وما بين معقوفين مستدرك منه.

ويرزقه من حيث لا يحتسب

۞ قال أبو إبراهيم الزُّهرى: كنت جائيًا من المصِّيصة، فمررت باللُّكَّام فأحببت أن أراهم (يعنى: المتعبدين)، هناك فقصدتهم ووافيت صلاة الظهر، وأحسبه رآنى فيهم إنسان عرفنى، فقلت له: فيكم رجل تدلونى عليه؟ فقالوا: هذا الشيخ الذى يصلى بنا، فحضرت معهم صلاة الظهر والعصر، فقال له ذلك الرجل: هذا رجل من ولد عبد الرحمن بن عوف وجده أبو أمه سعد بن معاذ[١]. قال: فبشَّ لى وسلَّم علىَّ كأنه قد كان يعرفنى قال:فقلت له: من أين تأكل؟ فقال لى: أنت مقيم عندنا قلت: أما الليلة فأنا عندكم. قال: ثم مضيت معه فجعل يحدثنى ويؤانسنى حتى جاء إلى كهف جبل فقعدت ودخل فأخرج قَعبًا[٢] يسع رطلًا ونصفًا، وقد أتى عليه الدهور. فوضعه وقعد يحدثنى حتى إذا كادت الشمس تغرب اجتمعت حواليه ظباء فاعتقل منها ظبية فحلبها حتى ملأ ذلك القدح، ثم أرسلها. فلما سقط القرص[٣] حساه. ثم قال: ما هو غير ما ترى، وربما احتجت إلى شىء من هذا فتجتمع حولى هذه الظباء فآخذ حاجتى وأُرسلها[٤].

---

(١) قال ابن الجوزى فى صفة الصفوة (٤/ ٣٤٣): أبو إبراهيم اسمه أحمد بن إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، معروف بالعلم والزهد، وكان أحمد بن حنبل إذا رآه قام قائمًا.

(٢) القعب: القدح الضخم. معجم متن اللغة (قعب).

(٣) أى: قرص الشمس.

(٤) «صفة الصفوة» (٤/ ٣٤٢).

ذكر الآخرة دواء

❁ يقولُ ابْنِ السَّمَّاكِ الواعظ رَحِمَهُ اللهُ:

كُنْتُ أَطُوفُ أَطْلُبُ الْعُبَّادَ وَالزُّهَّادَ فَذُكِرَ لِي رَجُلٌ بِعَبَّادَانَ، قَدْ رَفَضَ الدُّنْيا، وَأَقْبَلَ عَلَى الآخِرَةِ جِدًّا، وَاجْتِهَادًا فَأَتَيتُ عَبَّادَانَ، فَسَأَلْتُ عَنْهُ، فَوُصِفَ لِي دَارُهُ.

فَأَتَيتُ إِلَى بَابِ دَارٍ كَبِيرَةٍ لَيسَ عَلَيهَا إِلَّا بَابٌ بِمِصْرَاعٍ صَغِيرٍ، فَقَرَعْتُ الْبَابَ، فَخَرَجَتْ إِلَيَّ جَارِيَةٌ خُمَاسِيةٌ فَقَالَتْ: مَنِ الطَّارِقُ بِالْبَابِ؟

قُلْتُ: يا جَارِيَةُ هَذَا مَنْزِلُ فُلَانٍ الْعَابِدِ؟

قَالَتْ: نَعَمْ.

قُلْتُ لَهَا: اسْتَأْذِنِي عَلَيهِ، فَإِنْ أَنَا دَخَلْتُ عَلَيهِ وَهَبْتُ لَكِ دِرْهَمًا.

فَقَالَتْ: يا عَبْدَ اللهِ مَا رَأَيتُ أَحَدًا هُوَ أَجْهَلُ مِنْكَ، ادْخُلْ فَمَا عَلَى أَبِي مِنْ حَاجِبٍ، وَإِنَّمَا الْحُجَّابُ عَلَى أَبْوَابِ الْمُلُوكِ، وَأَبْنَاءِ الْمُلُوكِ، فَبُهِتُّ مُتَعَجِّبًا مِنْ قَوْلِهَا، ثُمَّ دَخَلَتْ وَدَخَلْتُ مَعَهَا وَإِذَا دَارٌ قَوْرَاءُ لَيسَ فِيهَا إِلَّا بَيتٌ صَغِيرٌ، فَدَخَلْتُ الْبَيتَ، فَإِذَا أَنَا بِرَجُلٍ قَدْ نَحُلَ مِنْ غَيرِ سَقَمٍ، وَقَدِ احْتَفَرَ قَبْرًا عِنْدَ رِجْلَيهِ، وَقَدْ دَلَّى رِجْلَيهِ فِيهِ، وَفِي يدِهِ خُوصٌ يشُقُّهُ وَهُوَ يتْلُو هَذِهِ الْآيةَ: ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾[1].

يتلوها بِصَوْتٍ حَزِينٍ فَسَلَّمْتُ عَلَيهِ فَرَدَّ عَلَيَّ السَّلَامَ وَقَالَ: أَمِنْ إِخْوَانِي أَنْتَ؟

---

(١) سورة الجاثية: الآية: (٢١).

قُلْتُ: نَعَمْ وَلَسْتُ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ وَلَا مِنْ أَهْلِ عَبَّادَانَ.

قَالَ: فَمِنْ أَينَ أَنْتَ؟

قُلْتُ: مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ.

قَالَ: فَمَا اسْمُكَ؟

قُلْتُ: مُحَمَّدُ بْنُ السَّمَّاكِ.

قَالَ: لَعَلَّكَ الْوَاعِظُ؟

قُلْتُ: نَعَمْ.

قَالَ: فَأَخَذَ يدِى بِيدَيهِ جَمِيعًا ثُمَّ قَالَ لِى: مَرْحَبًا وَحَيَّاكَ اللهُ يا أَخِى بِالسَّلَامِ، وَمَتَّعَنَا وَإِيَاكَ فِى الدُّنْيا بِالْإِخْوَانِ.

يا أَخِى مَازَالَتْ نَفْسِى مُتَطَلِّعَةً إِلَى لِقَائِكَ تُحِبُّ أَنْ تَعْرِضَ دَاءَهَا عَلَى دَوَاءِكَ، أُعْلِمُكَ يا أَخِى أَنَّ بِى جُرْحًا قَدِيمًا قَدْ أَعْيى الْمُعَالِجِينَ قَبْلَكَ، فَتَأَتَّاهُ بِرِفْقِكَ، وَأَلْصِقْ عَلَيهِ مَا تَعْلَمُ أَنَّهُ يلَائِمُهُ مِنْ مَرَاهِمِكَ.

قَالَ: فَعَلِمْتُ أَنَّ الرَّجُلَ يرِيدُ أَنْ أَعِظَهُ.

فَقُلْتُ: يا أَخِى وَهَلْ يدَاوِى مِثْلِى مِثْلَكَ؟!

وَجُرْحِى أَنْغَلُ مِنْ جُرْحِكَ، وَذَنْبِى أَعْظَمُ مِنْ ذَنْبِكَ.

فَقَالَ: سَأَلْتُكَ بِاللهِ إِلَّا مَا وَعَظْتَنِى فَقُلْتُ لَهُ: يا أَخِى قَدْ عَلِمْتَ أَنَّ ذَنْبَكَ الَّذِى أَذْنَبْتَ لَمْ يُمْحَ، وَأَنَّ لَذَاذَتَكَ لَمْ تَبْقَ، وَأَنَّ الْمَوْتَ يطْلُبُكَ صَبَاحًا وَمَسَاءً، وَإِنَّكَ تَصِيرُ غَدًا إِلَى ضِيقِ اللُّحُودِ وَظُلْمَةِ الْقُبُورِ، وَمَسْأَلَةِ مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ.

فَلَمَّا قُلْتُ لَهُ ذَلِكَ شَهِقَ شَهْقَةً خَرَّ فِى قَبْرِهِ يخُورُ كَأَنَّهُ الثَّوْرُ إِذَا وُجِى فِى مَنْحَرِهِ، وَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ وَابْنَتُهُ تَبْكِيانِ مِنْ وَرَاءِ الْحِجَابِ وَتَقُولَانِ: سَأَلْنَاكَ بِاللهِ لَا تَزِدْهُ شَيئًا فَتَقْتُلَهُ عَلَينَا.

فَأَفَاقَ فَقَالَ: يا أَخِي قَدْ وَافَقَ دَوَاءُكَ دَائِي، وَلَصَقَ مَرْهَمُكَ بِجُرْحِي، أَخِي ابْنَ السَّمَّاكِ زِدْنِي.

فَقُلْتُ لَهُ: يا أَخِي إِنَّ أَهْلَكَ وَوَلَدَكَ قَدْ حَلَّفُونِي أَنِّي لَا أَزِيدُكَ شَيئًا.

فَأَقْبَلَ عَلَيهِمْ وَقَالَ: اعْلَمْ يا أَخِي أَنَّهُ لَيسَ أَحَدٌ أَشَدَّ عَلَيَّ وَبَالًا وَلَا أَعْظَمَ جُرْمًا مِنِّي إِذَا وَقَفْتُ بَينَ يدَي رَبِّي - مِنْ أَهْلِي وَوَلَدِي.

فَقُلْتُ: يا أَخِي مَا بَعْدَ ظُلْمَةِ الْقُبُورِ وَضِيقِ اللُّحُودِ وَمَسْأَلَةِ مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ إِلَّا الطَّامَّةُ.

قَالَ: وَمَا هِي يا ابْنَ السَّمَّاكِ؟ فَقُلْتُ لَهُ: إِذَا أَخَذَ إِسْرَافِيلُ يعْنِي فِي نَفْخِ الصُّورِ، وَبُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ، وَجِئْنَا نَحْنُ بِأَثْقَالِنَا نَحْمِلُ عَلَى الظُّهُورِ.

فَكَمْ يا أَخِي فِي ذَلِكَ الْيوْمِ مُنَادٍ ينَادِي بِالْوَيلِ وَالثُّبُورِ؟!

وَأَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ أَيضًا تَوْبِيخُ الرَّبِّ إِيانَا عِنْدَ قِرَاءَةِ السَّيئَاتِ الَّتِي قَدْ أَحْصَى عَلَيَّ وَعَلَيكَ فِيهِ النَّقِيرُ وَالْفَتِيلُ وَالْقِطْمِيرُ؛ وَمَلَائِكَةٌ مُتَّزِرُونَ بِأُزُرٍ مِنْ نَارٍ، غِضَابٌ لِغَضَبِ الرَّحْمَنِ ينْتَظِرُونَ مَا يقَالُ لَهُمْ بِالْغَضَبِ: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ﴾[1].

قَالَ: فَشَهِقَ شَهْقَةً فَخَرَّ فِي قَبْرِهِ كَأَنَّهُ ثَوْرٌ قَدْ وُجِي فِي مَنْحَرِهِ، وَبَالَ فَعَرَفْتُ بِالْبَوْلِ ذَهَابَ عَقْلِهِ، فَأَقْبَلَتِ ابْنَتُهُ فَاجْتَذَبَتْهُ، وَأَسْنَدَتْهُ إِلَى صَدْرِهَا وَمَسَحَتْ وَجْهَهُ بِكُمِّهَا، وَهِي تَقُولُ: بِأَبِي وَأُمِّي عَينَينِ لطَالَمَا سَهِرَتَا فِي طَاعَةِ اللهِ!!

بِأَبِي وَأُمِّي عَينَينِ لَطَالَمَا غُضَّتَا عَنْ مَحَارِمِ اللهِ!!

فَأَفَاقَ فَقَالَ لِي: عَلَيكَ السَّلَامُ يا ابْنَ السَّمَّاكِ أَنَا أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ[2].

---

(١) سورة الحاقة: الآية: (٣٠).

(٢) انظر: «شعب الإيمان» (٩٣١) للبيهقي.

هكذا أمر الآخرة

۞ عن عون بن الحكم عن أبيه عن مالك بن دينار قال: قَدِمتُ من سفرٍ لى فلما صرت بالجسر قام العشَّار[١] فقال: لا يخرجن من السفينة ولا يقوم أحدٌ من مكانه. فأخذت ثوبى فوضعته على عنقى ثم وثبت فإذا أنا على الأرض. فقال لى: ما أخرجك؟ قلت: ليس معى شىء. قال: اذهب. فقلت فى نفسى: هكذا أمر الآخرة[٢].

شَهِد خير الدنيا وبه يُدرك خير الآخرة

۞ قَالَ مَسْمَعُ بْنُ عَاصِمٍ:

شَهِدْتُ عَبْدَ الْوَاحِدِ بْنَ زَيدٍ عَادَ مَرِيضًا مِنْ إِخْوَانِهِ، فَقَالَ: مَا تَشْتَهِى؟ قَالَ: الْجَنَّةَ، قَالَ: فَعَلَامَ تَأْسَ مِنَ الدُّنْيا إِذَا كَانَتْ هَذِهِ شَهْوَتُكَ؟ قَالَ: آسَى وَاللهِ عَلَى مَجَالِسِ الذِّكْرِ وَمُذَاكَرَةِ الرِّجَالِ بِتَعْدَادِ نِعَمِ اللهِ، ... قَالَ عَبْدُ الْوَاحِدِ: شَهِدَ خَيرُ الدُّنْيا وَبِهِ يدْرَكُ خَيرُ الْآخِرَةِ.

وَقَالَ: جَالِسُوا أَهْلَ الدِّينِ فَإِنْ لَمْ تَجْدُوهُمْ فَجَالِسُوا أَهْلَ الْمُرُوءَاتِ فَإِنَّهُمْ لَا يرْفُثُونَ[٣] فِى مَجَالِسِهِمْ»[٤].

---

(١) العشَّار: من يأخذ ضريبة العشر، وهو ما فُرض من زكاة الأرض التى أسلم أهلها عليها، وهى التى أحياها المسلمون من الأرضين والقطاع ثم صار هذا اللقب يُطلق على كل جابى للضرائب.

(٢) صفة الصفوة (٣/ ١٦٨).

(٣) الرَّفَثُ: الفُحْشُ من القول. اللسان: (رفث).

(٤) الحلية (٦/ ١٦٠)، وتاريخ ابن عساكر (٤٣/ ٣٥٠).

وَقَالَ: كُنَّا فِي غَزَاةٍ لَنَا وَنَحْنُ فِي الْعَسْكَرِ الأَعْظَمِ فنَزَلْنَا مَنْزِلًا فَنَامَ أَصْحَابِي وَقُمْتُ أَقْرَأُ جُزْئِي، قَالَ: فَجَعَلَتْ عينَاي تُغَالِبَانِي وَأُغَالِبُهُمَا حَتَّى اسْتَتْمَمْتُ جُزْئِي، فَلَمَّا فَرَغْتُ وَأَخَذْتُ مَضْجَعِي قُلْتُ: لَوْ كُنْتُ نِمْتُ كَمَا نَامَ أَصْحَابِي كَانَ أَرْوَحَ لِبَدَنِي فَإِذَا أَصْبَحْتُ قَرَأْتُ جُزْئِي، قَالَ فَقُلْتُ هَذِهِ الْمَقَالَةَ فِي نَفْسِي وَاللهِ مَا حَرَّكْتُ بِهَا شَفَتَاي وَلَا سَمِعَهَا أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ مِنِّي. قَالَ: ثُمَّ نِمْتُ فَرَأَيتُ فِي مَنَامِي كَأَنِّي أَرَى شَابًّا جَمِيلًا قَدْ وَقَفَ عَلَيَّ وَبِيدِهِ وَرَقَةٌ بَيضَاءُ كَأَنَّهَا الْفِضَّةُ فَقُلْتُ: يا فَتَى، مَا هَذِهِ الورقةُ الَّتِي أرَاهَا بِيدِكِ قَالَ: فَدَفَعَهَا إِلَيَّ فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا مَكْتُوبٌ:

يَنَامُ مَنْ شَاءَ عَلَى غَفْلَةٍ ... وَالنَّوْمُ كَالْمَوْتِ فَلَا تَتَّكِلِ
تَنْقَطِعُ الأَعْمَالُ فِيهِ كَمَا ... تَنْقَطِعُ الدُّنْيا عَنِ الْمُنْتَقِلِ

قَالَ: وَتَغَيَّبَ الْفَتَى عَنِّي فَلَمْ أَرَهُ قَالَ: فَكَانَ عَبْدُ الْوَاحِدِ يرَدِّدُ هَذَا الْكَلَامَ كَثِيرًا وَيبْكِي وَيقُولُ: فَرَّقَ النَّوْمُ بَينَ الْمُصَلِّينَ وَبَينَ لَذَّتِهِمْ فِي الصَّلَاةِ وَبَينَ الصَّائِمِينَ وَبَينَ لَذَّتِهِمْ فِي الصِّيامِ[1].

(١) «الحلية» (٦/ ١٦٢).

لمثل هذا فليعمل العاملون

۞ عن أبى بكر النيسابورى قال: حضرت إبراهيم بن هانئ عند وفاته، فقال لابنه إسحاق: أنا عطشان. فجاءه بماء. فقال: غابت الشمس؟ قال: لا. قال: فردَّه. ثم قال: ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ﴾(١) ثم خرجت روحه.

وعنه قال: حضرتُ إبراهيم بن هانئ النيسابورى يوم وفاته، فدعا ابنه إسحاق، فقال: هل غربت الشمس؟ قال: لا. ثُمّ قال: يا أبتِ رُخِّص لك فى الإفطار فى الفرض، وأنت متطوّع. قال: امهل. ثم قال: ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ﴾ ثم خرجت نفسه(٢).

يحيى الجلاَّء .. وحُسن الخاتمة

۞ كان من خيار الناس. وصَحِب بِشر بن الحارث.

قال محمد بن الحسين بن الحسن: سمعت أبا عبد الله بن الجلاء قال: قلت لذى النون: لِمَ سُمى بأبى الجّلاء؟ أكان يصنع صنعة؟ قال: لا نحن سميناه الجلاّء، كان إذا تكلَّم علينا جلا قلوبنا.

۞ وعن أبى عبد الله أحمد بن يحيى الجلاء قال: مات أبى، فلما وُضع فى المغسل رأيناه يضحك. فالتبس على الناس أمره، فجاءوا بطبيب، وغطّوا وجهه. فأخذ مجسَّة، فقال: هذا ميت. فكشفوا عن وجهه الثوب، فرآه يضحك. فقال الطبيب: ما أدرى أحى هو، أم ميت؟!

---

(١) سورة الصافات: الآية: (٦١).

(٢) «صفة الصفوة» (١/ ٥١٠-٥١١).

فكان إذا جاء إنسان ليُغسله لبسته منه هيبة لا يقدر على غسله، حتى جاء رجل من إخوانه، فغسله، وكفّنه، وصلى عليه، ودُفن[١].

شتّان بين هؤلاء وهؤلاء

۞ قال كَثِيرُ بنُ مُحَمَّدٍ: سَمِعْتُ عُمَرَ بنَ ذَرٍّ يقُوْلُ:

اللَّهُمَّ إِنَّا قَدْ أَطعَنَاكَ فِي أَحَبِّ الأَشْياءِ إِلَيكَ أَنْ تُطَاعَ فِيهِ: الإِيمَان بِكَ، وَالإِقرَار بِكَ، وَلَمْ نَعصِكَ فِي أَبغَضِ الأَشْياءِ أَنْ تُعصَى فِيهِ: فِي الكُفْرِ، وَالجَحْدِ بِكَ، اللَّهُمَّ فَاغفِرْ لَنَا مَا بَينَهمَا، وَأَنْتَ قُلْتَ: ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ ۙ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ ۚ﴾[٢] وَنَحْنُ نُقْسِمُ بِاللهِ جَهْدَ أَيمَانِنَا: لَتَبْعَثَنَّ مَنْ يمُوْتُ، أَفَتُرَاكَ تَجْمَعُ بَينَ أَهْلِ القَسَمَينِ فِي دَارٍ وَاحِدَةٍ؟[٣]

أنتم المقربون

۞ عَن إبراهيم بن الأشعث قال:

سمعت الفضيل بن عياض يقول: «مرَّ عيسى عليه السلام بثلاثة من الناس نحلت أجسامهم وتغيرت ألوانهم، فقال: ما الذى بلغ بكم ما أرى؟

قالوا: الخوف من النيران.

قال: مخلوقًا خِفتم وحَقٌّ على الله أن يُؤمِّن الخائف.

(١) «صفة الصفوة» (١/ ٥١٥-٥١٦).

(٢) سورة النحل: الآية: (٣٨).

(٣) تاريخ ابن عساكر (١٣/ ١٠٥ ب)، وتهذيب الكمال (٢١/ ٣٣٧-٣٣٨).

ثم جاوزهم إلى ثلاثة أُخَر، فإذا هم أشد تغيُّرًا وأنحلُ أجسامًا.

فقال: ما الذى بلغ بكم ما أرى؟

قالوا: الشوق إلى الجنة.

قال: مخلوقًا اشتقتم وحَقٌّ على الله أن يعطيكم ما رجوتم.

ثم جاوزهم إلى ثلاثة أُخَر فإذا هم أشد تغيُّرًا وأنحلُ أجسامًا، كأن على وجوههم المرايا من النور.

فقال: ما الذى بلغ بكم ما أرى؟ قالوا حُبُّ الله ﷻ.

قال: أنتم المقربون، أنتم المقربون، أنتم المقربون»(١).

لا يهلك إلا من خلا قلبه من الإيمان

۞ قَالَ المرزبانى:

رأى الواثق بِالله فِي مَنَامه كَأَنَّهُ يسْأَل الله الْجنَّة، وَأَن يتغمده برحمته، وَلَا يهْلك بِمَا هُوَ فِيهِ؛ وَأَن قَائِلا قَالَ لَهُ: لَا يهْلك على الله إِلَّا من قلبه مَرْتٌ، فَأصْبح فَسَأَلَ الجلساء عَن ذَلِك، فَلم يعرفوا حَقِيقَته، فَوجَّه إِلَى أبى محلم فَأحْضرهُ، فَسَأَلَهُ عَن الرُّؤْيا والمَرت، فَقَالَ أَبُو محلم. المَرت من الأَرْض: القفر الَّذِى لَا نبت فِيهِ، فَالْمَعْنى على هَذَا: لَا يهْلك على الله إِلَّا من قلبه خَالٍ من الْإِيمَان خلو المَرت من النَّبَات، فَقَالَ الواثق: أُرِيد شَاهدًا من الشّعْر فِى المرت، ففكر أَبُو محلم طَوِيلًا، فأنشده بعض من حضر بَيتا لبَعض بنى أَسد:

وَمَرَّتْ مروراتٍ يحار بهَا القطا ... يُصْبِح ذُو علمٍ بهَا وَهُوَ جَاهِل

(١) «نسيم الأنس» (ص/ ١٨٢).

فَضَحِك أَبُو محلم ثمَّ قَالَ للَّذى أنْشدهُ: رُبمَا بَعُد الشَّىء عَن الْإِنْسَان وَهُوَ أقرب إِلَيهِ مِمَّا فِي كُمه، وَالله لَا تبْرَح حَتَّى أنْشدك، فَأَنْشد للْعَرَب مائَة بَيت مَعْرُوف لشاعر مَعْرُوف، فِي كل بَيت مِنْهَا ذكر المرت؛ فَأمر لَهُ الواثق بِأَلف دِينَار، وأراده لمجالسته، فَأبى أَبُو محلم[١].

لأنكم وثقتكم بعفو ربكم

۞ قال محمد بن السمَّاك: خرجتُ من العراقِ أُريد بعضَ الثُّغور، فبينا أنا أسيرُ فى جبل اللُّكَّام، إذْ نظرتُ إلى عابدٍ على رأس جبل، قد انفردَ من المخلوقين، واستأنسَ بربِّ العالمين، فسلَّمتُ عليه فردَّ علىَّ السلام، ثم قال: من أين أقبلتَ؟ قلت: من العراقِ أُريد بعضَ الثُّغور. فقال: إلى أمرٍ ترقبونه أو إلى أمرٍ لا ترقبون. قلت: بل إلى أمرٍ لا نَرقبه. ثم قال: آه.

قلتُ: ممَّ تأوَّه العابد؟ قال: ذكرتُ عيشَ المُستريحين، وفرحةَ قلوبِ الواصلين: فقلتُ له: إنِّى رجلٌ مَهموم. قال: وفيمَ همُّك؟ قلت: فى ثلاثة. قال: وما هنّ؟ قلت: ما دَليلُ الخوف؟ قال: الحزن، قلتُ: فما دليل الشوق؟ قال: الطلب، قلت: فما دليلُ الرَّجاء؟ قال: العمل. قلت: فمن أينَ ضَعفُنا؟ قال: لأنكم وثقتم بعفوِ الله عنكم، ولو عاجَلكم بالعقوبةِ لهربتم من معصيته إلى طاعتِه، ولكنَّ حلمَهُ وسترَهُ حملكم على معصيته. ثم أنشأ يقول:

إنْ كنتَ تَفهَمُ ما أقولُ وتَعقِلُ ... فارْحَلْ بنفسِكَ قبلَ أنْ بكَ يُرْحَلُ
وذَرِ التَّشاغُلَ بالذُّنوبِ وخَلِّها ... حتى متى وإلى متى تَتَعَلَّلُ[٢]

(١) «بغية الوعاة» (١/ ٢٥٧).

(٢) المختار من مناقب الأخيار (٥/ ٣٣٠- ٣٣١).

اذهب فقد سقطت عنك الصلاة!!

۞ كثير من الموسوسين يوقعون أنفسهم في البلاء، ويُضحكون منهم العقلاء فالواحد منهم يغتسل مرارًا كثيرة، أو يتوضأ عشرًا، وهو يشك في حصول الوضوء، وقد وقفت مرة على واحدٍ منهم يريد أن يتوضأ، ومعي جَمْعٌ من طلبة العلم، فأخذنا جميعًا نَعُد له كلما غسل عضوًا من أعضائه، فلما أنهى وضُوءه سريعًا بشهادة هذا الجمع الذي حضره لم يصدِّق أن وضُوءه قد اكتمل، وأخذ يعجب أشدّ العجب من وضوء تم بهذه السرعة.

وقد أورد ابن القيم في كتابه [إغاثة اللهفان: ١/ ١٣٤] قصة حكاها أبو الفرج ابن الجوزي عن أبي الوفاء ابن عقيل، فقد قال له رجل: «أنغمس في الماء مرارًا كثيرة وأشك: هل صحّ لي الغسل أم لا، فما ترى في ذلك؟ فقال له الشيخ: اذهب، فقد سقطت عنك الصلاة. قال: وكيف؟ قال: لأن النبي ﷺ قال: «**رُفِع القلم عن ثلاثة: المجنون حتى يفيق، والنائم حتى يستيقظ، والصبي حتى يبلغ**»، ومن ينغمس في الماء مرارًا ويشك هل أصابه الماء أم لا، فهو مجنون.

۞ قال: وربما شغله بوسواسه حتى تفوته الجماعة، وربما فاته الوقت، ويشغله بوسوسته في النية حتى تفوته التكبيرة الأولى، وربما فوَّت عليه ركعة أو أكثر، ومنهم من يحلف أنه لا يزيد على هذا، ثم يكذب.

قلت: وحكى لي من أثق به عن موسوس عظيم رأيته أنا يكرر عقد النية مرارًا عديدة فيشق على المأمومين مشقة كبيرة، فعرض له أن

حلف بالطلاق أنه لا يزيد على تلك المرة، فلم يدعه إبليس حتى زاد، ففرق بينه وبين امرأته، فأصابه لذلك غمٌّ شديد، وأقاما متفرقين دهرًا طويلًا، حتى تزوجت تلك المرأة برجلٍ آخر، وجاءه منها ولد، ثم إنه حنث فى يمين حلفها ففرق بينهما، ورُدَّت إلى الأول بعد أن كاد يتلف لمفارقتها[1].

(١) روائع القصص الإسلامى (ص ٢٦٥- ٢٦٦).

لا يغرنَّك ما رأيت مني

۞ روى أن رجلًا نظر إلى بِشر بن منصور السليمى رضي الله عنه وهو يطيل الصلاة، ويحسن العبادة، فلما فرغ قال له: لا يغرّنك ما رأيت منى، فإن إبليس، لعنه الله، عَبَد الله آلافًا من السنين ثم صار إلى ما صار إليه[١].

أحسِن الظن بكل مَن حولك

۞ قَالَ سَهْلُ بْنُ أَسْلَمَ:

كَانَ بَكْرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ إِذَا رَأَى شَيخًا قَالَ: «هَذَا خَيرٌ مِنِّى عَبَدَ اللهَ قَبْلِى»، وَإِذَا رَأَى شَابًّا قَالَ: «هَذَا خَيرٌ مِنِّى ارْتَكَبْتُ مِنَ الذُّنُوبِ أَكْثَرَ مِمَّا ارْتَكَبَ».

وَ قَالَ كِنَانَةَ بن جَبَلَة: إذا رأيتَ مَنْ هُوَ أَكْبَرُ مِنْكَ فَقُلْ: هَذَا سَبَقَنِى بِالْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ فَهُوَ خيرٌ مِنِّى، وَإِنْ كَانَ أَصْغَرَ مِنْكَ فَقُلْ: قَدْ سَبَقْتُ هَذَا بِالْمَعَاصِى وَالذُّنُوبِ وَاسْتَوْجَبْتُ الْعُقُوبَةَ فَهُوَ خيرٌ مِنِّى، وإِذَا رَأَيتَ إِخْوَانَكَ يُكْرِمُونَكَ وَيُعَظِّمُونَكَ وَيُصِلُونَكَ فَقُلْ: هَذَا فَضْلٌ أَحْدَثُوهُ، وَإِنْ رَأَيتَ مِنْهُمْ جَفَاءً وَانْقِبَاضًا فَقُلْ: هَذَا ذَنْبٌ أَحْدَثْتُهُ»[٢].

---

(١) حلية الأولياء (٦/ ٢٤١)، إحياء علوم الدين (٣/ ٣٥٩).

(٢) الحلية (٢/ ٢٢٦).

يقف مكان الباب المكسور خوفًا على أصحابه!!

۞ كان إبراهيم بن أدهم فى سفر ومعه ثلاثةُ نفر، فبلغوا مسجدًا فى بعض المفاوز، وباتوا فيه، ولم يكن عليه باب، وكان البردُ شديدًا فناموا، فلما أصبحوا رأوه واقفًا على الباب، فسألوه فى ذلك، فقال: خَشِيتُ أن تجدوا البَرْد ... وكان وَقَفَ طولَ ليلته.

أتعجب من قويّ يحمل ضعيفًا؟!

قال إبراهيم بن أدهم: سلكتُ البادية ستةَ عشرَ طريقًا على غير الجادَّة، فأعجبُ ما رأيت فيها رجلًا ليس له يدانِ ولا رجلان، وعليه من البلاء أمرٌ عظيم، وهو يزحفُ زحفًا، فتحيرْتُ منه وسلَّمْتُ عليه، فقال: وعليك السلام يا إبراهيم. فقلت له: بِمَ عرفتنى ولم ترَنى قبلَها؟! فقال: الذى جاء بك عرَّف بينى وبينك. فقلت: صدقت ... إلى أين تريد؟ قال: إلى مكة. قلت: ومن أين أنت؟ قال: أنا من بُخَارَى. فبَقِيتُ متعجِّبًا أنظرُ إليه! فنظر إلَيَّ شَزْرًا وقال: يا إبراهيم! أتعجب من قوى يحملُ ضعيفًا ويرْفُقُ به؟ ثم دمعَتْ عيناه وأرسلَ دموعًا، فقلت: لا ياحبيبى. وتركتُه على حاله ومضَيت. فلما دخلتُ مكة رأيته فى الطواف وهو يزحفُ زحفًا.

نور الله أفضل من هذا

۞ عن يحيى بن سعيد، قال:

خرجت مع سعيد بن المسيب فى ليلة ظلماء مطيرة ومعى سراج أو شمعة، فقال سعيد: ما هذا؟ قلت: نستضىء به حتى ندخل منزلنا. فقال: لا حاجة لنا فى هذا، نور الله أفضل من هذا. سمعت أبا هريرة يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**بشِّر المشَّائين إلى المساجد فى الظُّلَم بالنور التام يوم القيامة**»[١].

قال مالك بن أنس: هم عندنا شهداء العتمة[٢].

أدهى من الثعلب

۞ عن مُجَالد بن سعيد قَالَ: قلت لِلشَّعْبِى: يقَال فِى الْمثل: أَن شُريحًا أدهى من الثَّعْلَب وأحيل، فَمَا هَذَا؟ فَقَالَ لى فِى ذَلِك: أَنَّ شُريحًا خرج أَيام الطَّاعُون إِلَى النجف، وَكَانَ إِذا قَامَ يصَلِّى يجِىء ثَعْلَب فيقف تجاهه، فيُحاكيه ويخيل بَين يدَيهِ، فيشغله عَن صلَاته، فَلَمَّا طَال ذَلِك عَلَيهِ نزع قَمِيصه، فَجعله على قَصَبَة، وَأخرج كُمَّيه وَجعل قلنسوته وعمامته عَلَيهِ، فَأقبل الثَّعْلَب فَوقف على عَادَته، فَأتى شُرَيح من خَلفه، فَأَخذه بَغْتَة، فلذَلِك يقَال: هُوَ أدهى من الثَّعْلَب وأحيل.

(١) صحيح: رواه أبو داود، والترمذى، وابن ماجه، والحاكم، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٢٨٢٣).

(٢) تاريخ دمشق (٧/ ٢٩٦).

الخوف من الشهرة

۞ عن أحمد بن الفتح قال: سمعت بِشْرًا يقول: بعث إلىَّ عاصم بن على بأبى زكريا الصفّار، فقال: يا أبا نصر إن أبا الحسن يقرأ عليك السلام، ويقول: قد اشتدّ شوقى إليك حتى لقد كدتُ أن آتيك من غير إذْن، فعلمتُ كراهيتّك لمجىء الرجال، فإن رأيتَ أن تأذَن لى، فآتيك لأُسلِّم عليك، فلعل الله أن ينفعنى برؤيتك. قال: فقلت له: قد فهمت رسالة الشيخ، فأبلِغْه السلام، وقل له: لا تأتِنى، فإن فى مجيئك إلىَّ شهرةً علىَّ، وعليك[1].

۞ وعن عباس بن دُهقان قال: قلت: لبشر بن الحارث: أحب أن أخلو معك. قال: إذا شئتَ، فبكَّرتُ يومًا، فرأيته قد دخل قبةً، فصلّى فيها أربع ركعات لا أُحسن أن أصلى مثلها فسمعته يقول فى سجوده: اللهم إنك تعلم فوق عرشك أن الذلّ أحب إلىَّ من الشرف، اللهم إنك تعلم فوق عرشك أن الفقر أحبّ إلىَّ من الغِنى، اللهم إنك تعلم فوق عرشك أنى لا أوثر على حبّك شيئًا. فلما سمعته أخذنى الشهيق، والبكاء. فلما سمعنى قال: اللهم إنك تعلم أنى، لو أعلم أن هذا هاهنا لم أتكلَّم[2].

---

(١) صفة الصفوة (١/ ٤٧٣).

(٢) صفة الصفوة (١/ ٤٧٦).

يذكر الله وهو يصلب

۞ عن إبراهيم، مؤذن بنى حنيفة، قال: أمر الحجَّاج بماهان أن يُصلَب على بابه، فرأيته حين رُفع على خشبته يُسبح ويهلل ويكبر، ويعقد بيده حتى بلغ تسعًا وعشرين.

قال: فطعنه الرجل على تلك الحال. قال: فلقد رأيته بعد شهرٍ معقودًا بيده تسعة وعشرين قال: كنا نرى عنده الضّوء بالليل شِبه السراج[1].

اليوم لك وغدًا عليك

۞ قَالَ الأَصْمَعِى: عَنْ مُعْتَمِرِ بنِ حَيانَ، عَنْ هِشَامِ بنِ عُقْبَةَ أَخِى ذِى الرُّمَّةِ، قَالَ: شَهِدْتُ الأَحْنَفَ بنَ قَيسٍ وَقَدْ جَاءَ إِلَى قَوْمٍ فِى دَمٍ[2]، فَتكلَّمَ فِيهِ، وَقَالَ: احْتكِمُوا قَالُوا: نَحْتكِمُ دِيتَينِ. قَالَ: ذَاكَ لَكُم. فَلَمَّا سَكَتُوا، قَالَ: أَنَا أُعْطِيكُم مَا سَأَلْتُم، فَاسْمَعُوا: إِنَّ اللهَ قَضَى بِدِيةٍ وَاحِدَةٍ، وَإِنَّ النَّبِى ﷺ قَضَى بِدِيةٍ وَاحِدَةٍ، وَإِنَّ العَرَبَ تَعَاطَى بَينَهَا دِيةً وَاحِدَةً، وَأَنْتُمُ اليوْمَ تُطَالِبُوْنَ وَأَخْشَى أَنْ تَكُوْنُوا غَدًا مَطْلُوْبِينَ فَلاَ تَرْضَى النَّاسُ مِنْكُمْ إِلَّا بِمِثْلِ مَا سَنَنْتُم. قَالُوا: رُدَّهَا إِلَى دِيةٍ.

---

(١) صفة الصفوة (٣/ ٤٢).

(٢) أى: فى دية مقتول.

هذا الرجل لُقِّن حُجته

۞ عن رجل من أهل الرقة عَن عبد الْملك بن عُمَير قَالَ:

أَخذ زِيادٌ رَجُلًا مِنْ الْخَوارِجِ، فَأَفلَت مِنْهُ، فَأخذ أَخاهُ فَقَالَ: إنْ جِئت بِأَخِيك وَإِلَّا ضَرَبْتُ عُنُقَك، فَقَالَ: أَرَأَيت إنْ جِئْتُك بِكِتَابٍ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ تُخَلِّى سَبِيلِى، قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَإِنْ أَتيتُك بِكِتَابٍ مِنْ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ وَأُقِيمُ عَلَيهِ شَاهِدَينِ إبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ... وَتَلَا: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ (٣٦) وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ (٣٧) أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[1]، فَقَالَ زِيادٌ: خَلُّوا سَبِيلَهُ، هَذَا رَجُلٌ لُقِّنَ حُجَّتَهُ.

كتاب الله قبل كتاب أمير المؤمنين

۞ وعن الحسن أن زيادًا بعث الحكم بن عمرو على خُراسان، ففتح الله ﷻ عليهم، وأصابوا أموالًا عظيمة، فكتب إليه زياد: أما بعد فإن أمير المؤمنين كتب إلىَّ أن أُصفِّى الصفراء والبيضاء، ولا تقسم بين الناس ذهبًا ولا فضة.

فكتب إليه: سلامٌ عليك. أما بعد فإنك كتبت تذكر كتاب أمير المؤمنين، وإنى وجدت كتاب الله قبل كتاب أمير المؤمنين، وإنه والله لو كانت السموات والأرض رَتْقًا على عبدٍ فاتقى الله ﷻ لجعل الله له منهما فَرَجًا ومخْرجًا والسلام عليك.

---

(١) سورة النجم: الآيات: (٣٦-٣٨).

نصيحة في المحنة

❁ قصد أَعْرَابِى أَمِير الْمُؤمنِينَ عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ: إِنِّى مُمتَحنٌ، فعلمنى شَيئا أنتفع بِهِ.

فَقَالَ: يا أَعْرَابِى إِن للمحن أوقاتا، وَلها غايات، فاجتهاد العَبْد فِى محنته قبل إِزَالَة الله تَعَالَى إياهَا، زِيادَة فِيهَا،... يقُول الله عَزَّ وَجَلَّ:

﴿إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾[1]، وَلَكِن، اسْتَعِنْ بِالله، واصبر، وَأَكْثِر من الاسْتِغْفَار، فَإِن الله عَزَّ وَجَلَّ وعد الصابرين خيرًا، وَقَالَ: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝١١ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾[2]، فَانْصَرف الرجل.

فَقَالَ أَمِير الْمُؤمنِين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

إِذا لم يكن عونٌ من الله للفتى ... فَأول مَا يجنى عَلَيهِ اجْتِهَادُه

---

(١) سورة الزمر: الآية: (٣٨).

(٢) سورة نوح: الآيات: (١٠-١٢).

مكانة عمر بن عبد العزيز في قلب النبي ﷺ

۞ عَنْ خِصَافٍ أَخِى خُصَيفٍ قَالَ:

رَأَيتُ النَّبِى ﷺ فِى الْمَنَام وَعَنْ يمِينِهِ أَبُو بَكْرٍ، وَعَنْ يسَارِهِ عُمَرُ، وَمَيمُونُ بْنُ مِهْرَانَ جَالِسٌ أَمَامَ ذَلِك، فَأَتَيتُ مَيمُونَ بْنَ مِهْرَانَ فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟

قَالَ: هَذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا أَبُو بَكْرٍ عَنْ يمِينِهِ، وَهَذَا عُمَرُ عَنْ يسَارِهِ، فَجَاءَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ يجْلِسُ بَينَ أَبِى بَكْرٍ وَبَينَ النَّبِى ﷺ ، فَشَحَّ أَبُو بَكْرٍ بِمَكَانِهِ ثُمَّ جَاءَ لِيجْلِسَ بَينَ عُمَر وَبَينَ النَّبِى ﷺ ، فَشَحَّ عُمَرُ بِمَكَانِهِ فَدَعَاهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَأَجْلَسَهُ فِى حِجْرِهِ[١] .

---

(١) خبرٌ حسنٌ: أخرجه أبو نعيم (٥/ ٣٣٧) فى الحلية.

رسالة من النبي ﷺ إلى عمر بن عبد العزيز

❁ عَنْ عُثْمَانُ بْنُ عَبْدِ الحميد قَالَ: حدَّثني رَجُلٌ، قَالَ: بَلَغَنِي أَنَّ رَجُلًا، قَالَ: بَيْنَا أَنَا أَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ إِذْ نَعَسْتُ فَرَأَيتُ النَّبِي ﷺ فقَالَ: انْطَلِقْ إِلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ فَأَقْرِئْهُ السَّلاَمَ وَأَخْبَرْهُ أَنَّ اسْمَهُ عِنْدَنَا عُمَرُ، وَجَابِرٌ، وَمَهْدِي ، وَمُرْهُ يحْفَظُ لَنَا ثَلَاثَ خِصَالٍ فَإِنْ هُوَ حَفِظَهُنَّ حَفِظَ اللهُ دِينَهُ وَدُنْيَاهُ: الْعُرَفَاءَ فَإِنَّهُمْ أَكَلَةُ أَمْوَالِ الْيَتَامَى ، وَالْمُتَقَبِّلِينَ فَإِنَّهُمْ أَكَلَةُ الرِّبَا ، وَالْعَشَّارِينَ فَإِنَّهُمْ أَكَلَةُ النَّجِسِ ، ثُمَّ رَأَيتُه مَرَّةً أُخْرَى فقَالَ لِي مِثْلَ ذَلِكَ مَرَّةً أُخْرَى فَشَخَصْتُ إِلَيهِ ، فَلَمَّا قَدِمْتُ لَقِيتُ حَاجِبَهُ فَقُلْتُ: اسْتَأْذِنْ لِي عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَقَالَ: مَنْ أَنْتَ؟ فَقُلْتُ: قُلْ رَسُولُ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَيكَ قَالَ: فَكَأَنَّهُ أَنْكَرَ ذَلِكَ وَظَنَّ أَنَّ بِهِ لَمَمًا إِلَى أَنْ مَرَّ إِنْسَانٌ مِنْ وُجُوهِ النَّاسِ فَدَخَلَ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فقَالَ لَهُ الْحَاجِبُ: اسْمَعْ مَا يقُولُ هَذَا ، فَدَخَلَ الرَّجُلُ فَأَخْبَرَهُ بِذَلِكَ فَأُدْخِلَ عَلَيهِ ، فَأَخْبَرَهُ بِمَا رَأَى ، فَكَتَبَ مَكَانِي أَنْ لَا يُعْطَى إِنْسَانٌ عَطَاءَهُ إِلَّا فِي يدِهِ ، وَكَتَبَ فِي الْمُتَقَبِّلِينَ وَالْعَشَّارِينَ بِمَا ينْبَغِي ، ثُمَّ قَالَ: أَلَا نُعْطِيكَ مِنْ مَالِ اللهِ أَوْ مِنْ مَالِي إِنْ شِئْتَ قَالَ: أَنَا غَنِي عَنِ الْمَالِ وَإِنَّمَا شَخَصْتُ لِهَذَا.

❁ وعن اللَّيثِ بْنِ سَعْدٍ أَنَّهُ قَالَ: اسْتُشْهِدَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الشَّام فكَانَ يأْتِي إِلَى أَبِيهِ كُلَّ لَيلَةِ جُمُعَةٍ فِي الْمَنَام فَيُحَدِّثُهُ وَيسْتَأْنِسُ بِهِ، قَالَ: فَغَابَ عَنْهُ جُمُعَةً ثُمَّ جَاءَهُ فِي الْجُمُعَةِ الْأُخْرَى، فَقَالَ لَهُ: يا بُنَي، لَقَدْ أَحْزَنْتَنِي وَشَقَّ عَلَيَّ تَخَلُّفُكَ، فقَالَ: إِنَّمَا شَغَلَنِي عَنْكَ أَنَّ الشُّهَدَاءَ أُمِرُوا أَنْ يتَلَقَّوْا عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ فَتَلَقَّيناهُ، وَذَلِكَ عِنْدَ مَهْلِكِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ رضي الله عنه[1].

---

(١) مناقب عمر (ص/ ٢٩٤).

لا ترضَ أن يكون أحدٌ أطوع لله منك

۞ عن عمر بن ذر قال: لما استُخلف عمر بن عبد العزيز، دخل عليه سالم بن عبد الله، ومحمد بن كعب، وهو مكتئب حزين، فأقبل على أحدهما، فقال: «عظنى» فقال:

«يا أمير المؤمنين! إن الله لم يجعل أحدًا من خلقه فوقك، فلا ترضَ لنفسك أن يكون أحدٌ من خلقه أطوع له منك.

واجعل الناس أصنافًا ثلاثة: الكبير بمنزلة الأب، والوسط بمنزلة الأخ، والصغير بمنزلة الولد. فبِرَّ أباك، وصِلْ أخاك، واعطف على ولدك. واعلم أنك أول خليفة يموت».

فأقبل على الآخر فقال: «عظنى» فقال:

«يا أمير المؤمنين! إن الدنيا عَطَنٌ مهجور، وأكل منزوع، وعرض بلاء، ومستقر آفات يحيط بها الذُّلّ ويفنيها الثكل، لكل فرحة منها ترحة، ولكل سرور منها غرور، وقد رغب عنها السُّعداء، وانتُزعت من أيدى الأشقياء.

فكن فيها، يا أمير المؤمنين كالمداوى جرحه، يصبر على شدة الدواء لما يرجو من الشفاء».

فبكى عمر وقال: لا حول ولا قوة إلا بالله[1].

---

(١) مناقب عمر (ص/ ١٥٦) لابن الجوزى.

لا بد أن تشرب بكأس الأولين

۞ كتب الحسن البصرى إلى عمر بن عبد العزيز، فقال:

أما بعد .. فلوكان لك عمر نوح ومُلك سليمان ويقين إبراهيم وحكمة لقمان فإن وراءك عقبة وهى الموت، ومن ورائها داران إن أخطأتك هذه صرت إلى هذه.

قال: فبكى عمر بن عبد العزيز بكاءً شديدًا، ثم قال:

مَن لى بعمر نوح، ويقين إبراهيم، وسلطان سليمان، وحكمة لقمان؟!
ولو نلت ذلك لم يكن بُدّ من أن أشرب بكأس الأولين[1].

قصة أعجب كتاب

۞ روى رياح بن عبيدة، فقال: كتب عمر بن عبد العزيز إلى طاوس كتابًا يسأله عن بعض ما هو فيه، فأجابه بعشر كلمات لم يزده عليها حرفًا، قال: فما رأيت عمر أتاه كتاب كان أعجب إليه منه،... كتب إليه:

سلامٌ عليك يا أمير المؤمنين، فإنَّ الله ﷻ أنزل كتابًا، وأحلَّ فيه حلالًا، وحرَّم فيه حرامًا، وضرب فيه أمثالًا، وجعل بعضه مُحكَمًا وبعضه متشابهًا.

فأحِلَّ حلال الله، وحرِّم حرام الله، وتفكَّر فى أمثال الله، واعمل بمُحكمِهِ، وآمِن بمتشابهه، والسلام عليك[2].

---

(١) مناقب عمر (ص/ ١٤٧).

(٢) مناقب عمر (ص/ ١٤٨).

عمر بن عبد العزيز .. وردِّ المظالم

۞ عن عبد العزيز بن عمر قال:

لما دفن عمرُ سليمانَ، فأمر مناديه أن ينادى:

ألا مَن كانت له مظلمة فليرفعها، فقام إليه رجلٌ ذمى من أهل حِمص، أبيض الرأس، واللحية، فقال:

يا أمير المؤمنين، أسألك كتاب الله.

قال: وما ذاك؟ قال: العباس بن الوليد بن عبد الملك اغتصبنى أرضى - والعباس جالس - فقال له: يا عباس، ما تقول؟ قال: أقطعنيها أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك، وكتب لى بها سجلًا، فقال: ما تقول يا ذمى؟

قال: يا أمير المؤمنين، أسألك كتاب الله ﷻ.

فقال عمر: كتاب الله أحق أن يتبع من كتاب الوليد بن عبد الملك، اردد عليه يا عباس ضيعته، فردَّ عليه، فجعل لا يدع شيئًا مما كان فى يده، وفى يد أهل بيته، من المظالم إلا ردَّها، مظلمة .. مظلمة[1].

فَبلغ ذَلِك عمر بن الْوَلِيد بن عبد الملك فَكتب إليه:

إِنَّك أزريت[2] على من كَانَ قبلك من الْخُلَفَاء، وعبت عَلَيهِم، وسرت بِغَير سيرتهم بُغضًا لَهُم، ولمن بعدهمْ من أَوْلَادهم.

قطعت مَا أَمر الله بِهِ أَن يوصل إِذْ عَمَدت إِلَى أَمْوَال قُرَيش ومواريثهم فأدخلتها بَيت المَال جَورًا وعدوانًا.

---

(١) مناقب عمر (ص ١٢٦).

(٢) أزريت: عبت وحقرت.

فَاتق الله يا ابْن عبد العزيز وراقبه إن شططت، لم تطمئِن على منبرك حَتَّى خصصت أول قرابتك بالظلم والجور، فو الَّذِى خَصَّ مُحَمَّدًا ﷺ بِمَا خَصَّه بِهِ، لقد ازددت من الله بُعدًا فِى ولايتك إذ زعمت أَنَّهَا عَلَيك بلَاء، فاقصر بعض ميلك.

وَاعْلَم أَنَّك بِعَين جَبَّار، وَفِى قَبضته، وَلنْ تُتْرك على هَذَا.

فَلَمَّا قَرَأ عمر بن عبد العزيز رَحمَه الله كِتَابه كتب إِلَيهِ:

بِسم الله الرَّحْمَن الرَّحِيم .. من عبد الله عمر، أَمِير الْمُؤمنِينَ، إِلَى عمر ابن الْوَلِيد ... السَّلَام على الْمُرْسلين، وَالْحَمْد لله رب الْعَالمين.

أما بعد ..

فقد بَلغنِى كتابك وسأجيبك بِنَحْوٍ مِنْهُ، أما أول شَأْنك يا ابْن الْوَلِيد، فأمك بنانة أَمة السّكُون، كَانَت تَطوف فِى سوق حِمْص وَتدْخل فِى حوانيتها، ثمَّ الله أعلم بهَا اشْتَرَاهَا ذبيان بن ذبيان من فَئ الْمُسلمين، فأهداها لأَبِيك، فَحملت بك، فبئس الْمَحْمُول، وَبئسَ الْمَوْلُود.

ثمَّ نشأت فَكنت جبَّارًا عنيدًا، تزْعم أَنِّى من الظَّالِمين! لما حرمتك وَأهل بَيتك فَىء الله، الَّذِى فِيهِ حق الْقَرَابَة وَالْمَسَاكِين والأرامل، وإن أظلم منى، وأَترك لعهد الله مَن استعملك صَبيا سَفِيهًا على جند الْمُسلمين تحكم بَينهم بِرَأْيك وَلم تكن لَهُ فِى ذَلِك نِية إلا حب الْوَالِد لوَلَده، فويل لَك وويل لأَبِيك مَا أَكثر خصماءكما يوْم الْقِيامَة؟! وَكَيف ينجو أَبوك من خُصمائه؟!

وَإِن أظلم منى، وأَتَرك لعهد الله من اسْتعْمل الْحجَّاج بن يوسُف على خُمس الْعَرب يسفك الدَّم الْحَرَام، وَيأْخُذ المَال الْحَرَام.

وإن أظلم منى، وأترك لعهد الله من اسْتعْمل قُرَّة بن شُريك أَعْرَابِيًّا جَافيًا

على مصر، وَأذن لَهُ فِي المعازف، وَاللَّهْو وَالشرب.

وَإِن أظلم مني، وأترك لعهد الله من جعل لعالية البربرية سَهْمًا فِي خُمس الْعَرَب، فرويدًا يا ابْن بنانة، فَلَو الْتَقت حلقتا البطان، ورُدَّ الْفَيء إلى أَهله، لتفرغت لَك وَلأَهل بَيتك، فوضعتكم على المحجة الْبَيضَاء فطالما تركْتُم الْحق وأخذتم فِي بُنيات الطَّرِيق، وَمَا وَرَاء هَذَا من الْفضل، مَا أَرْجُو أَن أكون رَأَيته بيع رقبتك، وَقسم ثمنك بَين الْيَتَامَى، وَالْمَسَاكِين، والأرامل، فإنَّ لكلٍّ فِيك حَقًّا، وَالسَّلَام علينا، وَلَا ينَال سَلام الله الظَّالِمين[1].

(١) أخرجه أبو نعيم (٥/ ٢٧٠، ٣٠٩) في الحلية، وابن الجوزي (ص/ ١٣٣-١٣٥).

قد أتاك مظلومٌ بعيد الدار

۞ عن يحيى بن يحيى قال:

بَينَا عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ يسِيرُ يوْمًا فِى سُوقِ حِمْصَ، فَقَامَ إِلَيهِ رَجُلٌ عَلَيهِ بُرْدَانِ قِطْرِيانِ، فقَالَ: يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَمَرْتَ مَنْ كَانَ مَظْلُومًا أَنْ يأْتِيكَ؟

قَالَ: نَعَمْ،... قَالَ: فَقَدْ أَتَاكَ مَظْلُومٌ بَعِيدُ الدَّارِ.

فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: وَأَينَ أَهْلُكَ؟

قَالَ: بِعَدَنَ أَبْينَ.

قَالَ عُمَرُ: وَاللهِ إِنَّ أَهْلَكَ مِنَ أَهْلِ عُمَرَ لَبَعِيدٌ.

فَنَزَلَ عَنْ دَابَّتِهِ فِى مَوْضِعِهِ، فَقَالَ: مَا ظَلَامَتُكَ؟ قَالَ: ضَيعَةٌ لِى وَثَبَ عَلَيهَا وَاثِبٌ فَانْتَزَعَهَا مِنِّى.

فَكَتَبَ إِلَى عُرْوَةَ بْنِ مُحَمَّدٍ يأْمُرُهُ أَنْ يسْمَعَ مِنْ بَيِّنَتِهِ فَإِنْ ثَبَتَ لَهُ حَقٌّ دَفَعَهُ إِلَيهِ، وَخَتَمَ كِتَابَهُ.

فَلَمَّا أَرَادَ الرَّجُلُ الْقِيامَ، قَالَ لَهُ عُمَرُ: عَلَى رِسْلِكَ، إِنَّكَ قَدْ أَتَيتَنَا مِنْ بَلَدٍ بَعِيدٍ، فَكَمْ نَفِدَ لَكَ زَادٌ، أَوْ نَفَقَتْ لَكَ رَاحِلَةٌ، وَأَخْلَقَ لَكَ ثَوْبٌ، فَحَسَبَ ذَلِكَ، فَبَلَغَ أَحَدَ عَشَرَ دِينَارًا، فَدَفَعَهَا عُمَرُ إِلَيهِ[1].

---

(١) حلية الأولياء (٥/ ٢٨٠).

علمت أن ربي سيسألني عنهم

۞ عَنْ فَاطِمَةُ امْرَأَةُ عُمَرَ بنِ عَبْدِ العَزِيزِ:

أَنَّهَا دَخَلَتْ عَلَيهِ، فَإِذَا هُوَ فِى مُصَلاَّهُ، يدُهُ عَلَى خَدِّهِ، سَائِلَةٌ دُمُوعُهُ، فَقَالَتْ: يا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، أَلِشَىءٍ حَدَثَ؟

قَالَ: يا فَاطِمَةُ، إِنِّى تَقَلَّدْتُ أَمْرَ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ فتَفَكَّرْتُ فِى الفَقِيرِ الجَائِعِ، وَالمَرِيضِ الضَّائِعِ، وَالعَارِى المَجْهُودِ، وَالمَظْلُوم المَقْهُورِ، وَالغَرِيبِ المَأْسُورِ، وَالكَبِيرِ، وَذِى العِيالِ فِى أَقْطَارِ الأَرْضِ، فَعَلِمْتُ أَنَّ رَبِّى سَيسْأَلُنِى عَنْهُم، وَأَنَّ خَصْمَهُم دُونَهُم مُحَمَّدٌ ﷺ فَخَشِيتُ أَلاَّ تَثْبُتَ لِى حُجَّةٌ عِنْدَ خُصُومَتِهِ، فَرَحِمْتُ نَفْسِى، فَبَكَيتُ [١].

الرحمة بالرعية

۞ عن رباح بن عبيدة الباهلى قال:

كنت عند عمر بن عبد العزيز فجاء أعرابى فقال: يا أمير المؤمنين! جاءت بى إليك الحاجة [٢]، وانتهت بى الفاقة، - أو قال الغايرة - والله سائلك عنى يوم القيامة، فقال: ويحك، أَعِد علىَّ فأعاد عليه، فنكَّس عمر رأسه، وأرسل دموعه حتى ابتلَّت الأرض، ثم رفع رأسه وقال: ويحك! كم أنتم؟ قال: أنا وثمان بنات. ففرض له على ثلاثمائة، وفرض للبنات - أو قال لبناته - على مائة، وأعطاه مائة درهم، وقال هذه المائة أعطيتك من مالى، ليس من مال المسلمين، اذهب فاستنفقها حتى تخرج أُعطيات المسلمين فتأخذ معهم.

---

(١) سير أعلام النبلاء (٥/ ١٣٢).

(٢) الفقر والعوز.

الذئاب ترعى مع الغنم في زمن العدل

۞ عن مالك بن دينار قال:

لما ولى عمر بن عبد العزيز رحمه الله، قالت رعاة الشاء فى ذروة الجبال: مَن هذا الخليفة الصالح الذى قد قام على الناس؟ فقيل لهم: وما علمكم بذلك؟ قالوا: إنَّا إذا قام على الناس خليفة صالح، كفَّت الذئاب والأُسد عن شاتنا!.

۞ وعن حسن القصَّار قال: كنت أحلب الغنم فى خلافة عمر بن عبد العزيز فمررت براعٍ، وفى غنمه ثلاثين ذئبًا، فحسبتهم كلابًا – ولم أكن رأيت الذئاب قبل ذلك – فقلت: يا راعى ما ترجو بهذه الكلاب كلها؟ فقال: يا بُنى إنها ليست كلابًا، إنما هى ذئاب. فقلت: سبحان الله، ذئب فى غنم لايضرها؟ فقال: يا بنى إذا صلح الرأس فليس على الجسد بأس. وكان ذلك فى خلافة عمر بن عبد العزيز.

۞ وقال موسى بن أعين: كنا نرعى الشاء بكرمان فى خلافة عمر بن عبد العزيز فكانت الشاء والذئب ترعى فى مكانٍ واحد. فبينما نحن ذات ليلة، إذ عرض الذئب لشاة، فقلت: ما نرى الرجل الصالح إلا قد هلك.

قال حماد: فحدثنى هذا أو غيره أنهم حسبوا، فوجدوه قد مات فى تلك الليلة.

قصة كنيسة يوحنا

۞ وانظر إلى عدله الرائع الباهر وموقفه الجميل من قضية «كنيسة يوحنا» بدمشق، فقد كان «الوليد بن عبد الملك» قد هدم جزءًا كبيرًا من كنيسة يوحنا ليقيم عليه امتداد المسجد الأموى، وصار هذا الجزء مسجدًا، وإن أقصى ما يستطيعه حاكم عادل فى مثل هذا الموقف أن يعطى تعويضًا سخيًّا أو أرضًا بديلة، لكن «عمر بن عبد العزيز»، يتعامل مع العدل والحق بأسلوب مختلف عن أساليبنا، إنه أسلوب رجل جليل!!

وهكذا أصدر أمره العجيب بهدم ذلك الجزء الكبير من المسجد، وإعادة الأرض التى أُقيم عليها إلى الكنيسة!!

ودارت الأرض بعلماء دمشق وفقهائها، فأرسلوا وفدهم لإقناع أمير المؤمنين بالعدول عن قراره، ولكن أمير المؤمنين أصدر أمرًا جديدًا حدَّد فيه اليوم بل الساعة التى يجب أن تتم فيها عملية الهدم والتسليم!!

ولم يجد العلماء سبيلًا لإنقاذ المسجد سوى أن يفاوضوا زعماء الكنيسة فى دمشق، ويعقدوا معهم اتفاقًا يرضونه، ويتنازلوا بموجبه عن الجزء المأخوذ من كنيستهم، ثم يذهب وفد من الفريقين لإبلاغ الخليفة نبأ الاتفاق، فيحمد الله عليه، ثم يُقره ويرضاه! [١]

---

(١) «خلفاء الرسول» لخالد محمد خالد (ص٥٨٠-٥٨١) - طبع دار الجيل.

حَصِّن مدينتك بالعدل

كتب بعض عمال عمر بن عبد العزيز إليه: «أما بعد، فإن مدينتنا قد خربت، فإن يرى أمير المؤمنين أن يقطع لنا ما نرمُّها به فَعَل»، فكتب إليه عمر: «أما بعد، فقد فهمت كتابك، وما أنكرت أن مدينتكم قد خربت، فإذا قرأت كتابى هذا فحصنها بالعدل، ونقِّ طُرقها من الظلم فإنه مرمتها، والسلام».

۞ وكتب إليه واليه على خراسان يستأذنه فى أن يُرخص له باستخدام بعض القوة والعنف مع أهلها قائلًا فى رسالته له: «إنهم لا يُصلحهم إلا السيف والسوط» فكان ردُّه التقى الحازم «كذبت... بل يصلحهم العدل والحق، فابسط ذلك فيهم، واعلم أن الله لا يُصلح عمل المفسدين».

۞ وكذا لما أرسل إليه صالح بن عبد الرحمن وصاحب له يعرضان له مثل ما قال واليه على خراسان فكتب إليهما «خبيثين من الخبث، دريئين من الردىء، تعرضان لى بدماء المسلمين؟ ما أحد من الناس إلا ودماؤكما أهون علىَّ من دمه».

۞ وكتب إلى واليه على اليمن «عروة بن محمد»:

«أما بعد فقد كتبت إلىَّ تذكر أنك قدمت اليمن، فوجدت على أهلها ضريبة من الخراج ثابتة فى أعناقها كالجزية يؤدونها على كل حال... إن أخصبوا أو أجدبوا...إن حيوا أو ماتوا، فسبحان الله رب العالمين!! ثم سبحان الله رب العالمين!! إذا أتاك كتابى هذا، فدع ما تنكره من الباطل إلى ما تعرفه من الحق...واعلم أنك إن لم ترفع إلىَّ من جميع اليمن إلا حفنة من كتم[1]

(١) الكتم: نبات يُخفف به الشعر، وصُنِعَ منه مداد الكتابة.

فقد علم الله أنى سأكون بها مسرورًا مادام فى ذلك بقاء على الحق والعدل...!!!».

۞ ويرسل إليه عدى بن أرطاة (واليه على العراق): «إن الناس قد دخلوا فى الإسلام أفواجًا حتى خشيت أن يقل الخراج، فيجيبه الخليفة المقسط العظيم بكلماته الوضيئة: «إن الله بعث محمدًا هاديًا ولم يبعثه جابيًا، والله، لوددت أن الناس كلهم يسلمون؛ حتى تكون أنا وأنت حراثين، نأكل من كسب أيدينا! ».

يا لها من قصة باهرة تريك قلب عمر الكبير

لله در عمر، ما هتفت به حاجة فرد ولا مظلمة مظلوم فى أدنى الأرض وأقصاها، إلا أَلِفْتَه وكأنه فى انتظارها وحدها!! ويتسع قلبه الكبير وعزمه القدير لكل شىء، وصغار الأمور عنده مثل كبارها، فانظر: كتبت إليه سوداء مسكينة تسمى «فرتونة السوداء» من الجيزة بمصر، أن لها حائطًا متهدمًا لدارها، يتسوره اللصوص ويسرقون دجاجها، وليس معها مال تنفقه فى هذا السبيل.

فيكتب عمر إلى واليه على مصر «أيوب بن شرحبيل»: من عبد الله عمر أمير المؤمنين، إلى أيوب بن شرحبيل، سلام الله عليكم.

أما بعد، فإن فرتونة السوداء كتبت إلىَّ تشكو قِصَر حائطها، وأن دجاجها يُسرق منها، وتسأل تحصينه لها، فإذا جاءك كتابى هذا، فاركب بنفسك وحَصِّنه لها.

وكتب إلى فرتونة: من عبد الله عمر بن عبد العزيز أمير المؤمنين إلى

فرتونة السوداء: سلام الله عليك، أما بعد، فقد بلغنى كتابك، وما ذكرت فيه من قِصَر حائطك، حيث يُقتحم عليك ويُسرق دجاجك... وقد كتبت إلى أيوب بن شرحبيل، آمره أن يبنى لك الحائط حتى يُحصنه مما تخافين، إن شاء الله، يقول ابن عبد الحكم راوى هذه القصة الباهرة: فلما جاء الكتاب إلى أيوب بن شرحبيل، ركب بنفسه حتى أتى الجيزة، وظل يسأل عن فرتونة حتى وجدها، فإذا هى سوداء مسكينة، فأعلى لها حائطها [1].



أحمق الناس

❁ عن سالم بن عبدالله قال: سمعت ميمون بن مهران قال: قال عمر بن عبد العزيز لجُلسائه: أخبرونى مَن أحمق الناس؟ قالوا: الذى باع آخرته بدنياه، فقال لهم عمر: ألا أنبئكم بأحمق منه؟ قالوا: بلى. قال: رجل باع آخرته بدنيا غيره.

رحمة عمر بن عبد العزيز وعفوه عن الناس

❁ كَتَبَ عَبْدُ الْحَمِيدِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ: إِنَّهُ رُفِعَ إِلَيَّ رَجُلٌ يَسبُّكَ. فَهَمَمْتُ أَنْ أَضْرِبَ عُنُقَهُ فَحَبَسْتُهُ وَكَتَبْتُ إِلَيكَ لأَسْتَطْلِعَ فِي ذَلِكَ رَأْيكَ. فَكَتَبَ إِلَيهِ: أَمَا إِنَّكَ لَوْ قَتَلْتَهُ لأَقَدْتُكَ بِهِ. إِنَّهُ لا يُقْتَلُ أَحَدٌ بِسَبِّ أَحَدٍ إِلا مَنْ سَبَّ النَّبِى ﷺ [2].

---

(١) ترطيب الأفواه بذكر من يظلهم الله / د. سيد حسين (١/ ١٦٦-١٦٧).

(٢) الطبقات الكبرى (٥/ ٣٦٨).

تواضع عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ

۞ قَالَ أيوب السختياني رَحِمَهُ اللَّهُ:

«قِيلَ لِعُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَحِمَهُ الله: يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِين؛ لَوْ أَتَيتَ الْمَدِينَة؛ فَإِنْ قَضَى اللهُ مَوْتًا دُفِنْتَ فِى مَوْضِعِ الْقَبْرِ الرَّابِعِ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟

فَقَالَ: وَاللهِ لأَنْ يُعَذِّبَنِى اللهُ بِغَيرِ النَّار؛ أَحَبُّ إِلَىَّ مِن أَنْ يعْلَمَ مِنْ قَلْبى أَنى أُرَانى لِذَلِكَ أَهْلًا»[1].

هذا أهون من معالجة الأغلال

۞ عن عون بن المعمر، قال:

دخل عمر بن عبد العزيز على امرأته فقال: يا فاطمة عندك درهم أشترى به عنبًا؟ قالت: لا. قال: فعندك ثُمُنُهُ – يعنى الفلوس – نشترى به عنبًا؟ فأقبلت عليه فقالت: أنت أمير المؤمنين لا تقدر على درهم ولا ثُمُنُهُ تشترى به عنبًا؟ فقال: هذا أهون علينا من معالجة الأغلال فى جهنم.

---

(١) أخرجه ابن سعد (٥/ ٤٠٤) فى الطبقات الكبرى، والفسوى (١/ ٦٠٨) فى تاريخه.

والله... ما له قميص غيره!!!

۞ عن مَسلمة[1] قال:

دخلتُ على عمر بن عبد العزيز أعوده فى مرضه، فإذا عليه قميصٌ وسخ، فقلت لفاطمة بنت عبد الملك، يا فاطمة! اغسلى قميص أمير المؤمنين، قالت: نفعل إن شاء الله، ثم غدوت فإذا القميص على حاله، فقلت: يا فاطمة! ألم آمركم أن تغسلوا قميص أمير المؤمنين فإن الناس يعودونه؟ قالت: والله ما له قميصٌ غيره.

۞ وقال عمارة بن أبى حفصة: دخل مَسلمة على عمر فى مرضه وعليه قميص قد اتسخ جيبه، وتخرَّق، فدخل فقال لأخته فاطمة امرأة عمر: ناولينى قميصًا غير هذا حتى يلبسه أمير المؤمنين، فإن الناس يدخلون عليه، فقال عمر: «دعها يا مَسلمة، فما أصبح ولا أمسى لأمير المؤمنين ثوب غير الذى يُرى عليه».

۞ وعن مَسلمة، قال: دخلت على عمر بن عبد العزيز فى اليوم الذى مات فيه، وفاطمة بنت عبد الملك جالسة عند رأسه، فلما رأتنى تحولت وجلست عند رجليه، وجلست أنا عند رأسه، فإذا عليه قميص وسخ، مخرق الجيب، فقلت لها: لو أبدلتم هذا القميص. فسكتت. ثم أعدت القول عليها مرارًا حتى غلظت، فقالت: «والله ما له قميص غيره».

(١) مَسلمة بن عبد الملك.

ورع عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ

۞ عن رياح بن عبيدة قال:

كان عمر بن عبد العزيز يعجبه أن يتأدم بالعسل، فطلب من أهله يومًا عسلًا فلم يكن عنده، فأتوه بعد ذلك بعسل فأكل منه فأعجبه، فقال لأهله: من أين لكم هذا؟

قالت امرأته: بعثتُ مولاى بدينارين على بغل البريد فاشتراه لى .

فقال: أقسمت عليك لما أتيتنى به، فأتته بعكة فيها عسل، فباعها بثمنٍ زهيد، وردَّ عليها رأس المال، وألقى بقيته فى بيت مال المسلمين، وقال: نَصَبتْ [1] دواب المسلمين فى شهوة عمر؟.

۞ وعن فاطمة بنت عبد الملك قالت: اشتهى عمر بن عبد العزيز يومًا عسلًا، فلم يكن عندنا، فوجَّهنا رجلًا على دابة من البريد إلى بعلبك فأتى بعسل، فقلنا يومًا: إنك ذكرت عسلًا، وعندنا عسل، فهل لك فيه؟ قال نعم فأتينا به. فقال: من أين لكم هذا العسل؟ قالت: وجَّهنا رجلًا، على دابة من دواب البريد، بدينارين إلى بعلبك فاشترى بها لنا عسلًا.

قال: فأرسل إلى الرجل، فجاءه فقال: انطلق بهذا العسل إلى السوق، فبِعه فارْدُدْ إلينا رأس مالنا، وانظر إلى الفضل، واجعله فى بيت مال المسلمين علف دواب البريد، ولو ينفع المسلمين قىء لتقيأت.

۞ وبلغ عمر بن عبد العزيز أن ابنًا له اشترى خاتمًا له فص بألف درهم، فكتب إليه: «أقسمت إليك أن تبيع الخاتم، وتُطعم بثمنه ألف

(١) تعِبَت.

مسكين، واشترِ خاتمًا من حديد بدرهم، وانقش عليه: رحم الله امرأً عرف قدر نفسه!».

۞ وعن عمرو بن مهاجر، قال: اشتهى عمر بن عبد العزيز تفاحًا فقال: لو كان لنا - أو عندنا - شيء من التفاح؟ فإنه طيب الريح طيب الطعم. فقام رجل من أهل بيته فأهدى إليه تفاحًا. فلما جاء به الرسول، قال عمر: ما أطيب ريحه وأحسنه! ارفعه يا غلام، فأقرئ فلانًا السلام، وقل له: إن هديتك قد وقعت منا بموقع بحيث تحب. فقلت: يا أمير المؤمنين، ابن عمك ورجل من أهل بيتك، وقد بلغك أن النبى ﷺ كان يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة. قال: ويحك؟ إن الهدية كانت للنبى ﷺ هدية وهى لنا اليوم رشوة.

۞ لما فرغ عمر بن عبد العزيز، من دفن سليمان بن عبد الملك، سمع للأرض رجة، فإذا مراكب الخلافة، البراذين والخيل والبغال، ولكل دابة سائس، فقال: ما هذا؟ قالوا: مراكب الخلافة يا أمير المؤمنين، قُربت إليك لتركبها. فقال: ما لى ولها، نَحُّوها عنى، دابتى أوفق لى، ثم لمح صاحب الشرطة يسير بين يديه بالحربة، فقال له: تَنَحَّ عنى، ما لى وما لك، إنما أنا رجل من المسلمين.

وكان الخليفة إذا مات، فما لبس من الثياب أو مَسَّ من الطِّيب، كان لولده، وما لم يلبس من الثياب ما لم يمس من الطيب، فهو للخليفة بعده، فلما أن جاء عمر بن عبد العزيز قال له أهل سليمان: هذا لك. وهذا لنا، فقال لهم: وما هذا وما هذا؟ قالوا: هذا ما لبس الخليفة من الثياب ومَسَّ من الطيب فهو لولده، وما لم يمس وما لم يلبس فهو للخليفة بعده، وهو لك، فقال عمر: ما هذا لى ولا لسليمان، ولا لكم، ولكن يا مزاحم، ضم هذا كله إلى بيت مال المسلمين.



هكذا كان خوفه من الله

۞ وعن النصر بن سهل، عن أبيه، قَال:

بينما عمر بن العزيز ذات يوم مضطجع إذ قال لجارية له: روِّحيني. قال: فأخذت المروحة، فأقبلت تُروحه، فغلبتها عينها، فنامت فانتبه فإذا هو بالجارية قد احمرَّ وجهها وقد عرقت عرقًا شديدًا، فأخذ المروحة فأقبل يُروحها، فانتبهت فوضعت يدها على رأسها وصاحت، فقال لها عمر: إنما أنت بشرٌ مثلى، أصابك من الحر ما أصابنى، فأحببت أن أُروحك مثل الذى روحتنى، قال: فقالت له: يا أمير المؤمنين! إنى لم أستيقظ من ترويحك هذا، ولكنى رأيت فى منامى رؤيا، فقال لها عمر: ما رأيت؟ قالت كأن القيامة قد قامت، وكأن الميزان قد عُلق، وكأن الصراط قد نُصب، فإذا المنادى قد نادى: أين الخليفة الذى كان قبل عمر بن عبد العزيز؟ قالت: فأُتى به، والله يا أمير المؤمنين! وأنا أنظر إليه. ويده مشدودة إلى عنقه، فوقف على شفير جهنم فنادى منادٍ إنه قد جار فى كتاب الله، وفسق فى العباد، ألقوه فى النار. قال: فسقط يا أمير المؤمنين! على حر وجهه فى جهنم، ثم نادى الثانية: أين الذى كان قبل ذلك، قالت: فأُتى به، والله يا أمير المؤمنين، وأنا أنظر إليه، ويده مشدودة إلى عنقه فوقف على شفير جهنم فنادى مُنادٍ: إنه جار فى كتاب الله وفسق فى العباد، ألقوه فى النار.

قال: فسقط يا أمير المؤمنين! على حر وجهه فى جهنم.

قال: فشهق عمر بن عبد العزيز شهقة فمكث نهاره جميعًا يخور كما يخور الثور، حتى بال، فعلمنا أن عقله قد ذهب لما أصابه ثم أصابه برد

السحر فأفاق، ثم قال لها: يا جارية! ثم ماذا؟ قالت: ثم أُتى بك، والله يا أمير المؤمنين، وأنا أنظر إليك ويدك مشدودة إلى عنقك، فوقفت على شفير جهنم فنادى مُنادٍ: ألا إنه قد حكم بالكتاب، وعدل فى العباد، أدخلوه الجنة، فحمد الله وأثنى عليه.

أعجب شيء!!

۞لما أراد أبو جعفر بيت المقدس، نزل براهب كان ينزل به عمر بن عبد العزيز إذا أراد بيت المقدس. فقال: يا راهب! أخبرنى بأعجب شيء رأيت من عمر بن عبد العزيز. قال: نعم يا أمير المؤمنين بينا عمر عندى ذات ليلة، على سطح غرفتى هذه - وهو من رخام - وأنا مُستلقٍ على قفاى، فإذا أنا بماءٍ يقطر من الميزاب على صدرى. فقلت: والله، ما عندى ماء، ولا رشَّت السماء مطرًا. فصعدت. فإذا هو ساجد، وإذا دموع عينيه تنحدر من الميزاب.

لا طاعة لمخلوقٍ في معصية الخالق

۞ عن وُهَيبٍ قَالَ:

خطَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ذَاتَ يوْمٍ فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ اللهَ لَمْ يبْعَثْ نَبيا بَعْدَ نَبيهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَلَمْ يُنْزِلْ كِتَابًا مِنْ بَعْدِ كِتَابِهِ الَّذِى أَنْزَلَهُ عَلَى نَبيهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، أَلَا وَإِنَّ مَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ فَهُوَ الْحَقُّ إِلَى يوْمِ الْقِيامَةِ، أَلَا وَإِنِّى لَسْتُ بِمُبْتَدِعٍ وَلَكِنِّى مُتَّبِعٌ، أَلا وَإِنِّى لَسْتُ بِخَيرِكُمْ، وَلَكِنِّى أَثْقَلُكُمْ حِمْلًا، أَلَا وَإِنَّ السَّمْعَ وَالطَّاعَةَ وَاجِبَانِ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ مَا لَمْ يؤْمَرْ بِمَعْصِيةٍ، فَمَنْ أُمِرَ بِمَعْصِيةٍ أَلَا فَلَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ بِمَعْصِيةِ الْخَالِقِ، أَلَا هَلْ أَسْمَعْتُ؟ قَالَهَا ثَلَاثًا»[1].

(١) «حلية الأولياء» (٥/ ٢٩٥-٢٩٦).

حلم عمر بن عبد العزيز وصبره

۞ قَالَ قَيسُ بْنُ عَبْدِ المَلِكِ:

قَامَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِلَى قَائِلَتِهِ -القيلولة النوم وقت الظهيرة- وَعُرِضَ لَهُ رَجُلٌ بِيدِهِ كتَاب، قَالَ: فَظَنَّ الْقَوْمُ أَنَّهُ يرِيدُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ،... فَخَافَ الرَّجُل أَنْ يُحْبَسَ دُونَهُ، فَرَمَاهُ بالكتاب.

فَالْتَفَتَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فَأَصَابَهُ فِي وَجْهِهِ فَشَجَّهُ،... فَنَظَرْتُ إِلَى الدِّمَاءِ تَسِيلُ عَلَى وَجْهِهِ وَهُوَ فِي الشَّمْسِ، فَقَرَأَ الْكِتَابَ وَأَمَرَ لَهُ بِحَاجَتِهِ، وَخَلَّى سَبِيلِهِ[1].

حرص عمر بن عبد العزيز على هداية الناس

۞ كَتَبَ عَدِى بْنُ أَرْطَأَةَ إِلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ النَّاسَ قَدْ كَثُرُوا فِي الْإِسْلَامِ، وَخِفْتُ أَنْ يقِلَّ الْخَرَاجُ؟

فَكَتَبَ إِلَيهِ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ: «فَهِمْتُ كِتَابَكَ، وَوَاللهِ لَوَدِدْتُ أَنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ أَسْلَمُوا حَتَّى نَكُونَ أَنَا وَأَنْتَ حَرَّاثِينَ نَأْكُلُ مِنْ كَسْبِ أَيدِينَا»[2].

---

(١) «الحلية» (٥/ ٣١١).

(٢) «الحلية» (٥/ ٣٠٥).

هذا صوت رحمته فكيف بصوت عذابه!!

۞ عَنْ عَبْدِ العَزِيزِ بنِ يزِيدَ الأَيلِي، قَالَ:

حَجَّ سُلَيمَانُ، وَمَعَهُ عُمَرُ بنُ عَبْدِ العَزِيزِ، فَأَصَابَهُمْ بَرْقٌ وَرَعْدٌ حَتَّى كَادَتْ تَنْخَلِعُ قُلُوْبُهُم، فَقَالَ سُلَيمَانُ: يا أَبَا حَفْصٍ، هَلْ رَأَيتَ مِثْلَ هَذِهِ اللَّيلَةِ قَطُّ، أَوْ سَمِعْتَ بِهَا؟

قَالَ: يا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، هَذَا صَوْتُ رَحْمَةِ اللهِ، فَكَيفَ لَوْ سَمِعْتَ صَوْتَ عَذَابِ اللهِ!؟[1].

عَلامَ ندخل النار؟!!

۞ عن مسلمة قال:

دَخَلْتُ عَلَى عُمَرَ بَعْدَ الْفَجْرِ فِي بَيتٍ كَانَ يخْلُو فِيهِ بَعْدَ الْفَجْرِ، فَلَا يدْخُلُ عَلَيهِ أَحَدٌ، فَجَاءَتْ جَارِيَةٌ بِطَبَقٍ عَلَيهِ تَمْرٌ صَبحَانِي، وَكَانَ يُعْجِبُهُ التَّمْرُ، فَرَفَعَ بِكَفِّهِ مِنْهُ فَقَالَ: «يا مَسْلَمَةُ، أَتَرَى لَوْ أَنَّ رَجُلًا أَكَلَ هَذَا ثُمَّ شَرِبَ عَلَيهِ الْمَاءَ - فَإِنَّ الْمَاءَ عَلَى التَّمْرِ طَيبٌ - أَكَانَ يجْزِيهِ إِلَى اللَّيلِ؟» قُلْتُ: لَا أَدْرِي، فَرَفَعَ أَكْثَرَ مِنْهُ قَالَ: «فَهَذَا» قُلْتُ: نَعَمْ يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ كَانَ كَافِيهِ دُونَ هَذَا حَتَّى مَا يبَالِي أَنْ لَا يذُوقَ طَعَامًا غَيرَهُ.

قَالَ: «فَعَلَامَ نَدْخُلُ النَّارَ» ... قَالَ مَسْلَمَةُ: فَمَا وَقَعَتْ مِنِّي مَوْعِظَةٌ مَا وَقَعَتْ هَذِهِ[2].

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (٥/ ١٢١).

(٢) «حلية الأولياء» (٥/ ٢٧٧).

المشتاقون إلى الجنة

۞ قال رجاء بن حيوة - الوزير المخلص لعمر بن عبد العزيز -: كنت مع عمر ابن عبد العزيز لما كان واليًا على المدينة، فأرسلني لأشترى له ثوبًا، فاشتريته له بخمسمائة درهم، فلما نظر فيه قال: هو جيد لولا أنه رخيص الثمن.

فلما صار خليفة للمسلمين، بعثني لأشترى له ثوبًا، فاشتريته له بخمسة دراهم، فلما نظر فيه قال: هو جيد لولا أنه غالي الثمن.

قال رجاء: فلما سمعت كلامه، بكيت.

فقال لي عمر: ما يُبكيك يا رجاء؟ قلت: تذكرت ثوبك قبل سنوات وما قلت عنه، فكشف عمر لرجاء بن حيوة سر هذا الموقف، وقال: يا رجاء، إن لي نفسًا تواقة، وما حققت شيئًا إلا تاقت لما هو أعلى منه. تاقت نفسي إلى الزواج من ابنة عمي فاطمة بنت عبد الملك فتزوجتها، ثم تاقت نفسي إلى الإمارة فوليتها، وتاقت نفسي إلى الخلافة فنلتها. والآن يا رجاء تاقت نفسي إلى الجنة. فأرجو أن أكون من أهلها.

وجهه كالقمر ليلة البدر

۞ دخل مسلمة بن عبد الملك، على عمر بن عبد العزيز فى مرضه الذى مات فيه، فقال له: يا أمير المؤمنين، إنك لتترك ولدك عالة على الناس، فأوصِ بهم إلىَّ أَكْفِك أمرهم، فإنك لم تمولهم شيئًا، ولم تُعطهم.

فقال: عمر: يا أبا سعيد، إن ولدى لهم الله الذى نزَّل الكتاب، وهو يتولى الصالحين، ثم دعاهم عمر، وهم أربعة عشر غلامًا، فنظر إليهم، وقد لبسوا الخشن، فاغرورقت عيناه بالدموع، وقال لهم:

أوصيكم بتقوى الله العظيم، وليُجلّ صغيركم كبيركم، وليرحم كبيركم صغيركم.... ثم قال لمسلمة: يا أبا سعيد، إنما ولدى على أحد أمرين: إما عامل بطاعة الله، فلن يضيعه الله، وإما عامل بمعصيته، فلا أحب أن أعِينه بالمال على معصية الله ثم قال لأولاده: قوموا عصمكم الله ووفقكم.

ثم دعا رجاء بن حيوة، فخلا به، وقال له: يا رجاء إن الموت قد نزل، وأنا أعهد إليك عهدًا لا أعهده إلى غيرك، إذا أنا مُتُّ، فكن ممن يقبرنى، فإذا سوَّيت علىَّ اللَّبِن، فارفع لَبِنه، ثم اكشف عن وجهى، وانظر إليه، فإنى قبرتُ ثلاثة رجال بيدى وكشفت عن وجوههم، فنظرت وجوههم قد أسودَّت، وعيونهم قد برزت من وجوههم، فاكشف عن وجهى يا رجاء، وانظر إليه، فإن رأيت شيئًا من هذا، فاستر علىَّ، ولا تُعلم به أحدًا، وإن رأيت غير ذلك، فاحمد الله عليه.

قال رجاء: ففعلت ذلك، فلما سوَّينا عليه اللَّبِن، رفعت لبنة، فإذا وجهه مثل القمر ليلة البدر.

لحظة وفاة عمر بن عبد العزيز

۞ عن أيوب قال: قيل لعمر بن عبد العزيز: يا أمير المؤمنين! لو أتيت المدينة، فإن قضى الله موتًا، دُفنت فى موضع القبر الرابع مع رسول الله ﷺ، قال: والله لأن يُعذِّبنى الله بغير النار أحبُّ إلىَّ من أن يعلم من قلبى أنى أُرانى لذلك أهلًا[١].

وعن عبد الرحمن بن محمد قال: أوصى عُمر بن عبد العزيز عند الموت، فدعا بشعرٍ من شعر النبى ﷺ، وأظفار من أظفاره فقال: اجعلوه فى كفنى.

وعن إبراهيم بن ميسرة أن عمر بن عبد العزيز اشترى موضع قبره قبل أن يموت بعشرة دنانير[٢].

وقال الليث بن سعد: إن مسلمة بن عبد الملك لما رأى عمر بن عبد العزيز اشتد وجعُه، وظن أنه ميت، قال: يا أمير المؤمنين! إنك قد تركت بنيك عالة لا شىء لهم، ولا بُد لهم مما لا بُد منه، فلو أوصيت بهم إلىَّ أو إلى ضُرَبائى من قومى، فكفوك مُؤنتهم. فقال: أَجلسونى؛ فأجلسوه، فقال: أما ما ذكرت من فاقة ولدى وحاجتهم، فوالله ما منعتهم حقًّا هو لهم وما كنتُ لأعطيهم حق غيرهم؛ وأما ما ذكرت من استخلافك ونُظرائك عليهم لتكفونى مؤنتهم، فإن خليفتى عليهم ﴿ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ وَهُوَ يَتَوَلَّى

---

(١) أخرجه يعقوب بن سفيان فى «تاريخه» (١/ ٦٠٨) من طريق أبى النعمان، وابن سعد فى «الطبقات» (٥/ ٤٠٤) من طريق عارم بن الفضل، كلاهما عن حماد بن زيد، عن أيوب، ورجاله ثقات.

(٢) السير (٥/ ١٤٤).

ﭐلصَّٰلِحِينَ ﴾[١] ادعهم لى. فدعوتهم، وهم اثنا عشر، فاغرورقت عيناهُ وقال: بأبى نفرٌ تركتهم عالة، وإنما هم أحد رجلين: إما رجل يتقى الله ويراقبه، فسيرزقه الله؛ وإما رجل وقع فى غير ذلك، فلستُ أحب أن أكون قوَّيتهُ على خلاف الله، وقد تركتكم بخير، لن تلقوا أحدًا من المسلمين وأهل الذمة إلا سيرى لكم حقًّا. انصرفوا عصمكُمُ الله، وأحسن الخلافة عليكم[٢].

وقال يحيى بن أبى كثير: لما حضر عمر بن عبد العزيز الموت بكى فقيل له: ما يُبكيك يا أمير المؤمنين؟ أبشر، فإن الله أحيا بك سُننًا، وأظهر بك عَدلًا، فبكى ثم قال: أليس أُوقفُ فأُسألُ فى أمر هذا الخَلْق؟ فوالله لو رأيتُ أنى عدلتُ فيهم لخفتُ على نفسى أن لا تقوم بحُجتها بين يدى الله ﷻ إلا أن يُلقنها حُجتها! فكيف بكثير مما صنعنا؟ وفاضت عيناه: فلم يلبث بعدها إلا يسيرًا حتى مات[٣].

وعن مجاهد: قال لى عمر بن عبد العزيز: ما يقول فىَّ الناس؟ قلت: يقولون: مسحور، قال: ما أنا بمسحور، ثم دعا غُلامًا له فقال: ويحك! ما حملك على أن سقيتنى السُّم؟ قال: ألف دينار أُعطيتها، وعلى أن أُعتَق، قال: هَاتِها، فجاء بها، فألقاها فى بيت المال، وقال: اذهب حيث لا يراك أحد[٤].

---

(١) سورة الأعراف: الآية (١٩٦).

(٢) المعرفة والتاريخ (١/ ٥٨٥)، وتاريخ ابن عساكر (٥٤/ ٢٠٤).

(٣) المختار لابن الأثير (٤/ ١١١).

(٤) رجال إسناد الخبر ثقات، وقد قال المؤلف فى «تاريخه» (٤/ ١٧٥) بعد أن أورد الخبر: قلت: كانت بنو أمية قد تبرمت بعمر، لكونه شدد عليهم، وانتزع كثيرًا مما فى أيديهم مما قد غصبوه، وكان قد أهمل التحرز، فسقوه السُّمَّ.

وعن ليث بن أبى رُقية أن عُمر بن عبد العزيز قال: أجلسونى، فأجلسُوه، فقال: أنا الذى أمرتنى فقصرت، ونهيتنى فعصيتُ، (ثلاثًا)، ولكن لا إله إلا الله، ثم أحدَّ النظر، وقال: إنى لأرى وجوهًا ما هُم بإنس ولا جن، ثم قُبض.

وقال المغيرة بن حكيم: قلتُ لفاطمة بنت عبد الملك: كنتُ أسمع عمر ابن عبد العزيز فى مرضه يقول: اللهُم أَخْفِ عليهم أمرى ولو ساعة قالت: قلت له: ألا أخرجُ عنك، فإنك لم تنم، فخرجت، فجعلت أسمعُه يقول: ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[1] مرارًا، ثم أطرق، فلبثت طويلًا لا يُسمع له حس، فقلت لوصيف: ويحك! انظر، فلما دخل، صاح، فدخلتُ فوجدته ميتًا، قد أقبل بوجهه على القبلة، ووضع إحدى يديه على فيه، والأخرى على عينيه[2].

وعن عُبيد بن حسان قال: لما احتضر عمر بن عبد العزيز قال: اخرجوا عنى، فقعد مسلمة وفاطمة على الباب، فسمعوه يقول: مرحبًا بهذه الوجوه ليست بوجوه إنس ولا جانٍّ، ثم تلا ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾. ثم هدأ الصوتُ، فقال مسلمةُ لفاطمة: قد قُبض صاحبك فدخلوا فوجدوه قد قُبض.

وقال هشام: لما جاء نعيه إلى الحسن، قال: مات خيرُ الناس[3].

---

(١) سورة القصص: (٨٣).

(٢) السير (٥/ ١٤١).

(٣) السير (٥/ ١٤٢).

ماذا قال ملك الروم عن عمر بن عبد العزيز

۞ عَنْ مَعْبَدٍ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ، أَرْسَلَ بِأُسَارَى مِنَ أُسَارَى الرُّومِ، فَفَادَى بِهِمُ أُسَارَى مِنْ أُسَارَى الْمُسْلِمِينَ، قَالَ: فَكُنْتُ إِذَا دَخَلْتُ عَلَى مَلِكِ الرُّومِ فَدَخَلَتْ عَلَيهِ عُظَمَاءُ الرُّومِ خَرَجْتُ، قَالَ: فَدَخَلْتُ يوْمًا فَإِذَا هُوَ جَالِسٌ فِي الْأَرْضِ مُكْتَئِبًا حَزِينًا، فَقُلْتُ: مَا شَأْنُ الْمَلِكِ؟ قَالَ: وَمَا تَدْرِى مَا حَدَثَ؟ قُلْتُ: وَمَا حَدَثَ؟ قَالَ: مَاتَ الرَّجُلُ الصَّالِحُ، قُلْتُ: مَنْ؟ قَالَ: عُمَرُ ابْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، قَالَ: ثُمَّ قَالَ مَلِكُ الرُّومِ: لَأَحْسِبُ أَنَّهُ لَوْ كَانَ أَحَدٌ يحْيى الْمَوْتَى بَعْدَ عِيسَى ابْنِ مَرْيمَ عليه السلام لَأَحْياهُمْ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، ثُمَّ قَالَ: «لَسْتُ أَعْجَبُ مِنَ الرَّاهِبِ أَغْلَقَ بَابَهُ وَرَفَضَ الدُّنْيا وَتَرَهَّبَ وَتَعَبَّدَ، وَلَكِنْ أَتَعَجَّبُ مِمَّنْ كَانَتِ الدُّنْيا تَحْتَ قَدَمَيهِ فَرَفَضَهَا ثُمَّ تَرَهَّبَ»(١).

الحسن يرضع من أم سلمة رضي الله عنها

۞ عَنْ عَوْفِ بْنِ أَبِى جَمِيلَةَ الْأَعْرَابِى، قَالَ: كَانَ الْحَسَنُ ابْنًا لَجَارِيةِ أُمِّ سَلَمَةَ زَوْجِ النَّبِى ﷺ فَبَعَثَتْ أُمُّ سَلَمَةَ جَارِيتَهَا فِى حَاجَتِهَا فَبَكَى الْحَسَنُ بُكَاءً شَدِيدًا فَرَقَّتْ عَلَيهِ أُمُّ سَلَمَةَ رَضِى اللهُ تَعَالَى عَنْهَا فَأَخَذْتهُ فَوَضَعْتُهُ فِى حِجْرِهَا فَأَلْقَمَتْهُ ثَدْيهَا فَدَرَّ عَلَيهِ فَشَرِبَ مِنْهُ فَكَانَ يقَالُ: «إِنَّ الْمَبْلَغَ الَّذِى بَلَغَهُ الْحَسَنُ مِنَ الْحِكْمَةِ مِنْ ذَلِكَ اللَّبَنِ الَّذِى شَرِبَهُ مِنْ أُمِّ سَلَمَةَ زَوْجِ النَّبِى ﷺ».

---

(١) حلية الأولياء(٥/ ٢٩٠-٢٩١).

عمل السر أقرب للإخلاص

۞ قال المبارك بن فضالة: عن الحسن قال: إن كان الرجل لقد جمع القرآن[١] وما يشعر به جاره، وإن كان الرجل لقد فقه الكثير، وما يشعر به الناس، وإن كان الرجل ليصلى الصلاة الطويلة فى بيته وعنده الزُّوَّار وما يشعرون به، ولقد أدركنا أقوامًا ما كان على ظهر الأرض من عملٍ يقدرون على أن يعملوه فى سِرٍّ فيكون علانية أبدًا، ولقد كان المسلمون يجتهدون فى الدعاء وما يُسمع لهم صوت، إن كان إلا همسًا بينهم وبين ربهم ﷻ، ذلك أن الله تعالى يقول: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ﴾[٢]. وذلك أن الله تعالى ذكر عبدًا صالحًا ورضى قوله[٣] فقال: ﴿إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيّٗا﴾[٤].

خوفهم من الرياء

۞ عن الربيع بن صبيح قال: كنا عند الحسن البصرى رَحِمَهُ ٱللَّهُ فوعظ، فانتحب رجل (بكى) فقال الحسن: والله ليسألنك الله ﷻ يوم القيامة ماذا أردت بهذا!

۞ كان مالك بن دينار يبكى، ثم يقول: تحسبون أن عينى تُقر بكلامى عليكم، وأنا أعلم أن الله سائلى عنه يوم القيامة ما أردت به.

يا ابن آدم، إن لك قولًا وعملًا، سرًّا وعلانية، فعملك أولى بك من قولك، وسِرُّك أولى بك من علانيتك[٥].

(١) أى حفظ القرآن الكريم كاملًا.

(٢) سورة الأعراف: الآية: (٥٥).

(٣) الزهد لابن حنبل (ص/ ٢٦٢)، الزهد لابن المبارك (١٤٠).

(٤) سورة مريم: الآية: (٣).

(٥) الحدائق (٣/ ٢٤٤- ٢٤٥) لابن الجوزى.

بكاء القلوب والعيون

۞ قَالَ: أَبُو قُدَامَةَ بْنُ عُبَيدٍ الإِيادِي: أَنَّ قَوْمًا دَخلُوا عَلَى الْحَسَنِ فَقَالُوا: يا أَبَا سَعِيدٍ إِنَّا نَغْشَى الذِّكْرَ وَإِنَّ قَوْمًا دَخلُوا يبْكُونَ وَإِنَّا لَا نَبْكِي قَالَ: فَإِنْ لَمْ تَبْكِ الْعُيونُ فَلْتَبْكِ الْقُلُوبُ وَالْأَعْمَالُ فَرُبَّ عَينٍ بَاكِيةٍ كَاذِبَةٌ[1] وَتَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ﴾[2].

هؤلاء أفضل

۞ سَأَلَ الْمُغِيرَةُ بْنُ مُخَادِشٍ الْحَسَنَ فَقَالَ: يا أَبَا سَعِيدٍ كَيفَ نَصْنَعُ بِمُجَالَسَةِ أَقْوَام يحَدِّثُونَا حَتَّى تَكَادَ قُلُوبُنَا تَطِيرُ؟ فَقَالَ الحَسَنُ البصرِيّ: «أَيهَا الشَّيخُ، إِنَّكَ وَاللهِ إِنْ تَصْحَبْ أَقْوَامًا يُخَوِّفُونَكَ حَتَّى تُدْرِكَ أَمْنًا خَيرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تَصْحَبَ أَقْوَامًا يؤَمِّنُونَكَ حَتَّى تَلْحَقَكَ الْمَخَاوِفُ»[3].

---

(١) الإشراف (٤٥٠) لابن أبى الدنيا.

(٢) سورة يوسف: الآية: (١٦).

(٣) الزهد لأحمد (٢/ ٢٢٧)، الحلية (٢/ ١٥٠).

وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها

۞ روى عبد الله بن محمد بن إسماعيل، فقال:

حدثني رجلٌ من قيس يُكنَّى أبا عبد الله، قال: بتنا ذات ليلةٍ عند الحسن البصري، فقام من الليل يصلي، فلم يزل يردد هذه الآية حتى أصبح: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾[1]، فلما أصبح قلنا له: يا أبا سعيد، لم تكن تجاوز هذه الآية سائر الليلة؟!

قال: إن فيها معتبراً، ما إن ترفع طرفًا، ولا ترده إلا وقع على نعمة، وما لا نعلم من نِعم الله أكثر[2].

---

(١) سورة إبراهيم: الآية: (٣٤).

(٢) التهجد (٥٠) لابن أبي الدنيا.

إن العين لتدمع وإن القلب ليحزن

۞ عن المُبَارَكِ بْنِ فَضَالَةَ قَالَ:

دَخَلْنَا عَلَى الْحَسَنِ حِينَ نُعِي لَهُ أَخُوهُ وَهُوَ يبْكِي فَدَخلَ عَلَيهِ بَكْرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ فَعَزَّاهُ وَقَالَ: يا أبا سَعِيدٍ إِنَّك تُعلِّمُ النَّاسَ وَإِنَّهُم يرَوْنَكَ تَبْكِي فَيذْهَبُونَ بِهَذَا إِلَى عَشَائِرِهِمْ فيقُولُونَ: رَأَينَا الْحَسَنَ يبْكِي عِنْدَ الْمُصِيبَةِ. فَيحْتَجُّونَ بِهِ عَلَى النَّاسِ... فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيهِ وَقَدْ خَنَقَتْهُ الْعَبْرَةُ. فقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ إِنَّ اللهَ جَعَلَ هَذِهِ الرَّحْمَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ فَيرْحَمُ بِهَا بَعْضُهُمْ بَعْضًا. فَتَدْمَعُ الْعينُ وَيحْزَنُ الْقَلْبُ وَلَيسَ ذَلِكَ بِجَزَعٍ إِنَّمَا الْجَزَعُ مَا كَانَ مِنَ اللِّسَانِ أَوِ الْيدِ. قَالَ: ثُمَّ قَالَ: إِنَّ اللهَ لَمْ يجْعَلْ حُزْنَ يعْقُوبَ عَلَيهِ ذَنْبًا إِذْ قَالَ: ﴿وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾[1].

۞ وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: دَخَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَلَى أَبِي سَيفٍ القَينِ، وَكَانَ ظِئْرًا[2] لِإِبْرَاهِيمَ عَلَيهِ السَّلامُ، فَأَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِبْرَاهِيمَ، فَقَبَّلَهُ، وَشَمَّهُ، ثُمَّ دَخَلْنَا عَلَيهِ بَعْدَ ذَلِكَ وَإِبْرَاهِيمُ يجُودُ بِنَفْسِهِ، فَجَعَلَتْ عَينَا رَسُولِ اللهِ ﷺ تَذْرِفَانِ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: وَأَنْتَ يا رَسُولَ اللهِ؟ فَقَالَ: «**يا ابْنَ عَوْفٍ إِنَّهَا رَحْمَةٌ**»، ثُمَّ أَتْبَعَهَا بِأُخْرَى، فَقَالَ ﷺ: «**إِنَّ العَينَ تَدْمَعُ، وَالقَلْبَ يحْزَنُ، وَلاَ نَقُولُ إِلَّا مَا يُرضِى رَبَّنَا، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ**»[3].

---

(١) سورة يوسف: الآية: (٨٤).

(٢) الظئر: المرضع.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (١٢٤١)، ومسلم (٢٣١٥).

هوَّنت عليَّ حزني على ابني

۞ عن الحسن البصرى رَحِمَهُ اللَّهُ، أنّ رجلًا جَزِعَ على ولده، وشكا ذلك إليه، فقال الحسن: كان ابنك يغيب عنك؟ قال: نعم كانت غيبته أكثر من حضوره، قال: فأنزِله غائبًا -أى: أنزله منزلة الغائب-، فإنه لم يغبْ عنك، غيبة إلا أُجر لك فيها أعظم من هذه، فقال: يا أبا سعيد! هوَّنت عنّى وجدى (حزنى) على ابنى[1].



۞ مر الحسن البصرى برجل يُقاد منه[2].

فقال للولى: يا عبد الله، إنك لا تدرى لعل هذا قتل وليك وهو لا يريد قتله، وأنت تقتله متعمدًا، فانظر لنفسك.

قال: قد تركته لله[3].

(١) جنة الرضا (٣/ ٣٥) للغرناطى، العقد الفريد (٣/ ٢٢٩) لابن عبد ربه.

(٢) القود: القصاص.

(٣) عيون الأخبار (١/ ١٨٠).

القُضاة ثلاثة

۞ قال ﷺ: «الْقُضَاةُ ثَلاثَةٌ: اثْنَانِ فِي النَّارِ، وَوَاحِدٌ فِي الْجَنَّةِ، رَجُلٌ عَرَفَ الْحَقَّ فَقَضَى بِهِ، فَهُوَ فِي الْجَنَّةِ، وَرَجُلٌ عَرَفَ الْحَقَّ وَلَمْ يقْضِ بِهِ، فَجَارَ فِي الْحُكْمِ، فَهُوَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ لَمْ يعْرِفِ الْحَقَّ، فَقَضَى لِلنَّاسِ عَلَى جَهْلٍ، فَهُوَ فِي النَّارِ»[(١)].

وفى رواية قال ﷺ: «القُضَاةُ ثَلاَثَةٌ: قَاضِيانِ فِي النَّارِ، وقَاضٍ فى الجَنَّةِ؛ قَاضٍ قَضَى بِالهَوَى فَهُوَ فى النَّارِ، وقَاضٍ قَضَى بِغَيرِ عِلْمٍ فَهُوَ فى النَّارِ، وقَاضٍ قَضَى بِالحَقِّ فَهُوَ فى الجَنَّةِ»[(٢)].

۞ روى حُمَيدٌ الطَّويل رَحِمَهُ اللَّهُ فقَالَ:

إنَّ إياسَ بْنَ مُعَاوِيةَ لَمَّا اسْتُقْضِى أَتَاهُ الْحَسَنُ فَبَكَى إياسُ، فَقَالَ لَهُ الْحَسَنُ: مَا يُبْكِيكَ؟

قَالَ: يا أَبَا سَعِيدٍ بَلَغَنِى أَنَّ الْقُضَاةَ ثَلاثَةٌ: رَجُلٌ اجْتَهَدَ فَأَخْطَأَ فَهُوَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ مَالَ بِهِ الْهَوَى فَهُوَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ اجْتَهَدَ فَأَصَابَ فَهُوَ فِي الْجَنَّةِ.

فَقَالَ الْحَسَنُ: إِنَّهُ فِيمَا قَصَّ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ دَاوُدَ وَسُلَيمَانَ مَا يرُدُّ قَوْلَ هَؤُلَاءِ، يقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَـٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَـٰهَا سُلَيْمَـٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾[(٣)].

---

(١) صحيح: رواه الحاكم، وأصحاب السنن، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٤٤٤٦).

(٢) صحيح: رواه الطبرانى فى الكبير، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٤٤٤٧).

(٣) سورة الأنبياء: الآيتان: (٧٨-٧٩).

فَأَثْنَى اللهُ عَلَى سُلَيمَانَ وَلَمْ يَذُمَّ دَاوُدَ ... ثُمَّ قَالَ الْحَسَنُ: إِنَّ اللهَ ﷻ أَخَذَ عَلَى الْعُلَمَاءِ ثَلَاثًا:

لَا يشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا، وَلَا يتَّبِعُونَ فِيهِ الْهَوَى، وَلَا يخْشَوْنَ فِيهِ أَحَدًا، ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَآءَۚ فَلَا تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنًا قَلِيلًاۚ ﴾[1].

---

(١) سورة المائدة: الآيتان: (٤٣، ٤٤).

هذا هو الفقيه

۞ عَنْ عِمْرَانَ الْقَصِيرِ قَالَ:

جَاءَ رَجُلٌ إِلَى الْحَسَنِ فَسَأَلَهُ عَنْ مَسَائِلَ فَأَجَابَهُ فَقَالَ الرَّجُلُ: يا أَبَا سَعِيدٍ، إِنَّ الْفُقَهَاءَ يقُولُونَ كَذَا وَكَذَا فَقَالَ لَهُ الْحَسَنُ: «وَهَلْ رَأَيتَ بِعَينِكَ فَقِيهًا إِنَّمَا الْفَقِيهُ: الزَّاهِدُ فِى الدُّنْيا الرَّاغِبُ فِى الْآخِرَةِ الْبَصِيرُ بِذَنْبِهِ الْمُدَاوِمُ عَلَى عِبَادَةِ رَبِّهِ»[١].

إياكم وأبواب الملوك

۞ عن عبد الرحمن بن أخى الأصمعى عن عمه قال:

مَرَّ الحسن البصرى رحمه الله بباب عمر بن هبيرة، وعليه القُرَّاء، فسلَّم، ثم قال: ما لكم جلوسًا قد أحفيتم شواربكم، وحلقتم رءوسكم، وقصَّرتم أكمامكم، وفرطحتم نعالكم، أما والله لو زهدتم فيما عندهم، لرغبوا فيما عندكم، ولكنكم رغبتم فيما عندهم، فزهدوا فيما عندكم، فضحتم القُراء فضحكم الله.

إن سَرَّكم أن تَسلموا أو يَسْلَم لكم دينكم فكُفُّوا أيديكم عن أموالهم، وكُفُّوا ألسنتكم عن أعراضهم، ولا تجالسوا أهل البدع، ولا تأتوا الملوك فيُلبِّسوا عليكم دينكم[٢].

(١) الزهد لأحمد بن حنبل (ص ٣٢٧).

(٢) ما رواه الأساطين (٦٦) و (٦٧) للسيوطى.

هذا (والله) فعل الأخيار

۞ روى الْمُفَضَّلُ بْنُ غَسَّانَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ رَجُلٍ، قَالَ:

كَانَ لِلْحَسَنِ الْبَصْرِي بيتٌ إِذَا فُتِحَ بَابُهُ فَهُوَ إِذْنُهُ فَجَاءَ أَعْرَابِي فَصَادَفَهُ مَفْتُوحًا فَدَخَلَ وَالْحَسَنُ فِي الْمَذْهَبِ فَجَاءَ إِلَى شَيءٍ تَحْتَ سَرِيرِ الْحَسَنِ فَأَخْرَجَهُ وَجَعَلَ يأْكُل فَنظَرَ إِلَيهِ الْحَسَنُ وَجعَلَ يبْكِي فَقِيلَ لَهُ: «مَا يُبْكِيكَ يا أَبَا سَعِيدٍ؟» فَقَالَ: «ذَكَّرَنِي هَذَا أَخْلاَقَ قَوْمٍ قَدْ مَضَوْا»[1].

۞ وَرَوَى عَوْنُ بْنُ يونُس، فَقَالَ: دَخَلَ رَجُلٌ عَلَى الْحَسَنِ رَحِمَهُ اللهُ فَوَجَدَهُ نَائِمًا عَلَى سَرِيرِه، وَوَجَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ سَلَّةً فِيهَا فَاكِهَةٌ فَفَتَحَهَا فَجعَلَ يأْكُل مِنْهَا فَانْتَبَهَ فَرَأَى الرَّجُلَ يأْكُلُ، فَقَالَ: «رَحِمَكَ اللهُ هَذَا وَاللهِ فِعْلُ الْأَخْيارِ»[2].



وصية مسافر

۞ قَالَ أَبُو مُوسَى رَحِمَهُ اللهُ:

سَمِعْتُ الْحَسَنَ البصري، يقُولُ وَأَتَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ: إِنِّي أُرِيدُ السِّنْدَ فَأَوْصِنِي قَالَ: «حَيثُمَا كُنْتَ فَأَعِزَّ اللهَ يُعِزُّكَ» قَالَ: فَحَفِظْتُ وَصِيتَهُ فَمَا كَانَ بِهَا أَحَدٌ أَعَزَّ مِنِّي حَتَّى رَجَعْتُ[3].

(١) الزهد (ص/ ٣١٢) لابن حنبل.

(٢) الإخوان (٢١٤) لابن أبي الدنيا.

(٣) الحلية (٢/ ١٥٢).

لا تطمع إلا في رضا الخالق (جلّ وعلا)

۞ قَالَ جَرِيرُ بْنُ حَازِمٍ رَحِمَهُ اللَّهُ : قِيلَ لِلْحَسَنِ الْبَصْرِى:
إِنَّ النَّاسَ يأْتُونَ مَجْلِسَكَ لِيأْخُذُوا سَقْطَ كَلَامِكَ فَيجِدُونَ الْوَقِيعَةَ فِيكَ، فَقَالَ: «هَوِّنْ عَلَيكَ فَإِنِّى أَطْمَعْتُ نَفْسِى فِى جِوَارِ اللهِ، فَطَمِعَتْ ، وَأَطْمَعْتُ نَفْسِى فِى الْجِنَانِ فَطَمِعَتْ ، وَأَطْمَعْتُ نَفْسِى فِى الْحُورِ الْعِينِ، فَطَمِعَتْ ، وَأَطْمَعْتُ نَفْسِى فِى السَّلَامَةِ مِنَ النَّاسِ، فَلَمْ أَجِدْ إِلَى ذَلِكَ سَبِيلًا، إِنِّى لَمَّا رَأَيتُ النَّاسَ لَا يرْضَوْنَ عَنْ خَالِقِهِمْ عَلِمْتُ أَنَّهُمْ لَا يرْضَوْنَ عَنْ مَخْلُوقٍ مِثْلِهِمْ»[١].

موعظة بليغة

۞ قالوا إن الحسن البصرى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان شديد الخوف من الله، وكان لا يُرى ضاحكًا ولا لاهيًا، وبينما كان فى طريقه يومًا إلى المسجد إذ مَرَّ بشابٍّ يضحك ويُسرف فى الضحك، فلم يعجبه مجونه ولا خلاعته، فوقف عليه يعظه ويُذكره ما أُلقى عليه من تبعات وأعباء ووجَّه إليه هذه الأسئلة، فقال: يا هذا أراك تضحك وتلعب وتسرف فى اللهو والمجون. فهل أخذت على الله عهدًا أن يبقى لك هذا الشباب غضًّا طريًّا وفتيًّا قويًّا؟ فقال الشاب: لا. فقال الحسن: وهل أخذت على الله عهدًا أن يُؤمِّنك الفتن فى هذه الدنيا؟ قال: لا. قال: فهل أطلعك الله على خاتمتك فرأيتها حسنة؟ فقال: لا. قال: فهل تعلم متى الموت وأين تموت وكيف تموت؟ قال: لا والله، قال: فهل

(١) الزهد / للبيهقى (١٧٠).

أَمِنت فتنة القبر وهل أعددت الجواب على سؤالك؟ قال: لا. قال: فهل علمت متى تُبعث وكيف تُحشر وتُنشر وهل ستأخذ كتابك بيمينك أم بشمالك؟ قال: لا. قال: وهل تعلم أن ستثقل حسناتك على سيئاتك أم ستخف عنها؟ قال: لا، قال: وهل علمت أنك ستمر على الصراط وهو ممتد فوق متن جهنم دون أن تسقط فيه أو تعلق بك كلاليبه أو خطاطيفه؟ قال: لا، قال وهل أيقنت أنك ستَرِد حوض رسول الله فيسقيك منه أو يطردك عنه؟ قال: لا، قال فهل علمت أنك ستدخل الجنة فتكون فى جوار الرحمن أم ستسوقك الزبانية إلى النار فتكون من أهل الشيطان والعصيان؟ قال: لا، قال: يا هذا إذا كانت تنتظرك كل هذه العقبات ولا تعلم مكانك منها ولا تدرى مصيرك معها، فكيف تسرف فى المجون وتكون من الغافلين؟

قالوا: فاستقام الشاب وحَسُنت أخلاقه وتبع الشيخ يحفظ منه ويروى عنه ويتأدب بكل آداب الدين الحنيف.

يومان وليلتان

۞ عَنْ رَجُلٍ، مِنْ أَصْحَابِ الْحَسَنِ قَالَ: قَالَ الْحَسَنُ: «يوْمَانِ وَلَيلَتَانِ لَنْ تَسْمَعَ الْخَلَائِقُ بِمِثْلِهِنَّ قَطُّ، لَيلَةٌ تَبِيتُ مَعَ أَهْلِ الْقُبُورِ وَلَمْ تَبِت لَيلَةً قَبْلَهَا، وَلَيلَةٌ صَبِيحَتُهَا يوْمُ الْقِيامَةِ ... وَيوْمَ يأْتِيكَ الْبَشِيرُ مِنَ اللهِ إِمَّا بِالْجَنَّةِ، وَإِمَّا بِالنَّارِ، وَيوْمَ تُعْطَى كِتَابَكَ إِمَّا بِيمِينِكَ، وَإِمَّا بِشِمَالِكَ»(١).

قولوا للحسن: أبشر

۞ عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ الرَّبِيعِ أَبِى حَمْزَةَ الْعَطَّارِ، قَالَ:

«بَينَا أَنَا عِنْدَ الْحَسَنِ، إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: يا أَبَا سَعِيدٍ إِنِّى رَأَيتُ الْبَارِحَةَ فِيمَا يرَى النَّائِمُ النَّبِىَّ ﷺ مِمَّا يلِى مَرْجِيةَ بَنِى سُلَيمٍ فِى أُنَاسٍ وَعَلَيكَ جُبَّةٌ مِنْ بُرُودٍ ، فَقِيلَ: يا رَسُولَ اللهِ، هَـذَا الْحَسَنُ مُقْبِلٌ، قَالَ: قُولُوا لَهُ أَبْشِرْ ثُمَّ أَبْشِرْ ثُمَّ أَبْشِرْ ، فَدَمَعَتْ عينُ الْحَسَنِ وَقَالَ أَقَرَّ اللهُ عَينَكَ(٢) ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ رَآنِى فِى الْمَنَامِ فَقَدْ رَآنِى ، لَيسَ لِلشَّيطَانِ أَنْ يتَمَثَّلَ فِى صُورَتِى**»(٣).

---

(١) الأهوال (١٤) لابن أبى الدنيا.

(٢) أخرجه ابن أبى الدنيا (١٣١) فى المنامات.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (١١٠)، ومسلم (٢٢٦٦).

مناماتٌ رآها الصالحون للحسن البصري

۞ قَالَ عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ زَيدٍ، لِحَوْشَبٍ:

«يا أَبَا بِشْرٍ إِنْ قَدِمْتَ عَلَى رَبِّكَ قَبْلَنَا فَقَدَرْتَ عَلَى أَنْ تَأْتِينَا فَتُخْبِرَنَا بِمَا صِرْتَ إِلَيهِ فَافْعَلْ ، قَالَ: إِنْ قَدَرْتُ عَلَى ذَلِكَ ... قَالَ: فَمَاتَ حَوْشَبٌ فِي الطَّاعُونِ قَبْلَ عَبْدِ الْوَاحِدِ بِزَمَنٍ طَوِيلٍ، قَالَ عَبْدُ الْوَاحِدِ: فَلَبِثْتُ زَمَانًا لَا أَرَاهُ، ثُمَّ رَأَيتُهُ فِي مَنَامِي ، فَقُلْتُ لَهُ:

يا أَبَا بِشْرٍ أَلَمْ تَعِدْنَا أَنْ تَأْتِينَا؟

قَالَ: بَلَى ، فَإِنَّمَا اسْتَرَحْتُ الْآنَ ، قُلْتُ: فَكَيفَ حَالُكُمْ؟

قَالَ: نَجَوْنَا بِعَفْوِ اللهِ ، قَالَ: قُلْتُ: فَالْحَسَنُ؟

قَالَ: ذَاكَ فِي عِلِّيينَ يرَانَا وَلَا نَرَاهُ ، قَالَ: فَمَا الَّذِي تَأْمُرُنَا بِهِ؟ قَالَ: عَلَيكُمْ بِمَجَالِسِ الذِّكْرِ ، وَحُسْنِ الظَّنِّ بِمَوْلَاكَ ، وَكَفَى بِهِمَا خَيرًا»[1].

۞ ويروى عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ زَيدٍ، قَالَ:

«رَأَيتُ فِيمَا يرَى النَّائِمُ لَيلَةَ مَاتَ الْحَسَنُ كَأَنَّ أَبْوَابَ السَّمَاءِ مُفَتَّحَةً وَكَأَنَّ الْمَلَائِكَةَ صُفُوفٌ صُفُوفٌ ، فَقُلْتُ: إِنَّ هَذَا لَأَمْرٌ عَظِيمٌ ، فَسَمِعْتُ مُنَادٍ ينَادِي: أَلَا إِنَّ الْحَسَنَ بْنَ أَبِي الْحَسَنِ قَدِمَ عَلَى اللهِ وَهُوَ عَنْهُ رَاضٍ.

۞ ويحدثنا مالك بن دينار رَحِمَهُ اللهُ فيقول:

رَأَيتُ الْحَسَنَ فِي الْمَنَام مَسْرُورًا شَدِيدَ الْبَيَاضِ، تَبْرُقُ مَجَارِي دُمُوعِهِ مِنْ شِدَّةِ بَياضِهَا، فَقُلْتُ: يا أَبَا سَعِيدٍ! أَلَسْتَ مِنَ الْمَوْتَى؟ قَالَ: بَلَى. قُلْتُ: فَمَاذَا صِرْتَ إِلَيهِ بَعْدَ الْمَوْتِ فِي الْآخِرَةِ؛ فَوَاللهِ لَقَدْ طَالَ حُزْنُكَ وَبُكَاؤُكَ أَيامَ

---

(١) حسن الظن بالله (٨) لابن أبي الدنيا، والحلية (٦/ ١٩٩).

الدُّنْيا؟ فَقَالَ مُبْتَسِمًا: رَفَعَ اللهُ لَنَا ذَلِكَ الْحُزْنَ وَالْبُكَاءَ عَلَمَ الْهِدَايَةِ إِلَى طَرِيقِ مَنَازِلِ الْأَبْرَارِ، فَحَلَلْنَا بِثَوَابِهِ مَسَاكِنَ الْمُتَّقِينَ، وَايمُ اللهِ؛ إِنْ ذَلِكَ إِلَّا مِنْ فَضْلِ اللهِ عَلَيْنَا. قُلْتُ: فَمَا تأمرني به؟ قال: ما آمُرُكَ؟ أَطْوَلُ النَّاسِ حُزْنًا فِي الدُّنْيَا أَطْوَلُهُمْ فَرَحًا فِي الْآخِرَةِ[1].

---

(١) المنامات (٤٢) لابن أبي الدنيا.

هذا هو أبو حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ

۞ قال أسد بن عمرو:

صلى أَبُو حنيفة فيما حُفظ عليه صلاة الفجر بوضوء صلاة العشاء أربعين سنة، فكان عامة الليل يقرأ جميع القرآن فى ركعة واحدة، وكان يُسمع بكاؤه بالليل حتى يرحمه جيرانه، وحُفظ عليه أنه ختم القرآن فى الموضع الذى توفى فيه سبعة آلاف مرة(١).

۞ وقَالَ حَمَّادِ بْنِ أَبِى حَنِيفَةَ:

لَمَّا مات أَبِى سألنا الحسن بن عمارة أن يتولى غسله ففعل، فَلَمَّا غسله قَالَ: رحمك الله وغفر لك لم تُفطر منذ ثلاثين سنة ولم تتوسد يمينك بالليل منذ أربعين سنة، وقد أتعبت مَن بعدك، وفَضَحت القُرَّاء(٢).

أي: أظهرت عجزهم عن أن يأتوا بمثل ما تفعله من الطاعات.

۞ وقَالَ المنصور بن هاشم:

كُنَّا مَعَ عَبْد الله بن المبارك بالقادسية إِذْ جاءه رجلٌ من أهل الكوفة فوقع فى أَبِى حنيفة، فَقَالَ لَهُ عَبْد الله: ويحك أتقع فى رجل صلى خمسًا وأربعين سنة خمس صلوات على وضوءٍ واحد؟ وَكَانَ يجمع القُرْآن فى ركعتين فى ليلة(٣).

۞ وقَالَ زائدة: صليت مَعَ أَبِى حنيفة فى مسجده عشاء الآخرة وخرج

(١) تاريخ بغداد (١٣/ ٣٥٣).

(٢) تاريخ بغداد (١٣/ ٣٥٤).

(٣) تاريخ بغداد (١٣/ ٣٥٥).

النَّاس ولم يعلم أنى فى المسجد، وأردت أن أسأله عن مسألة من حيث لا يرانى أحد قَالَ: فقام فقرأ- وقد افتتح الصَّلاة- حَتَّى بلغ إلى هذه الآية: ﴿ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴾[1] فأقمت فى المسجد أنتظر فراغه فلم يزل يرددها حَتَّى أذَّن المُؤَذِّن لصلاة الفجر.

۞ وقَالَ يزيد بن الكميت -وكان من خيار الناس-:

كَانَ أَبُو حنيفة شديد الخوف من الله، فقرأ بنا عَلى بن الحُسَين المُؤَذِّن ليلة فى عشاء الآخرة: ﴿إِذَا زُلۡزِلَتِ﴾ وَأَبُو حنيفة خلفه، فَلَمَّا قضى الصَّلاة وخرج النَّاس، نظرت إلى أَبِى حنيفة وَهُوَ جالس يفكر ويتنفس، فَقُلْتُ أقوم لا يشتغل قلبه بى، فَلَمَّا خرجت تركت القنديل ولم يكن فيه إلا زيت قليل، فجئت وقد طلع الفجر وَهُوَ قائم قد أخذ بلحية نفسه وَهُوَ يقُولُ: يا من يجزى بمثقال ذرة خيرٍ خيرًا، ويا من يجزى بمثقال ذرة شرٍّ شرًّا، أَجِر النُّعْمَان عبدك من النار، وما يقرب منها من السوء، وأدخله فى سعة رحمتك قَالَ: فأذنت فَإِذَا القنديل يزهر وَهُوَ قائم، فلما دخلت قال: تريد أن تأخذ القنديل قَالَ: قُلْتُ قد أذنت لصلاة الغداة، قال اكتم عَلىَّ ما رَأَيت، وركع ركعتى الفجر وجلس حَتَّى أقمت الصَّلاة وصلى معنا الغداة على وضوء أول الليل.

۞ وقَالَ القاسم بن معن: إِنَّ أَبَا حنيفة قام ليلة بهذه الآية: ﴿ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوۡعِدُهُمۡ وَٱلسَّاعَةُ أَدۡهَىٰ وَأَمَرُّ ﴾[2] يرددها ويبكى ويتضرع[3].

---

(١) سورة الطور: الآية: (٢٧).

(٢) سورة القمر: الآية: (٤٦).

(٣) تاريخ بغداد (١٣/ ٣٥٧).

۞ وقَالَ وكيع:

كَانَ أَبُو حنيفة قد جعل على نفسه ألا يحلف بالله فى عرض كلامه إلا تصدق بدرهم، فحلف فتصدق بِهِ، ثُمَّ جعل عَلَى نفسه إن حلف أن يتصدق بدينار، فكَانَ إِذَا حلف صادقًا فى عرض الكلام تصدق بدينار، وَكَانَ إِذَا أنفق عَلَى عياله نفقة تصدق بمثلها، وَكَانَ إِذَا اكتسى ثوبًا جديدًا كسى بقدر ثمنه الشيوخ العُلَمَاء، وَكَانَ إِذَا وُضع بين يديه الطعام أخذ منه فوضعه عَلَى الخبز حَتَّى يأخذ منه بقدر ضعف ما كَانَ يأكل، فيضعه عَلَى الخبز ثُمَّ يعطيه إنسانًا فقيرًا، فإن كَانَ فى الدار من عياله إِنْسَان يحتاج إِلَيهِ دفعه إِلَيهِ وإلا أعطاه مسكينًا.

۞ وقَالَ أَبو عَبْد الرَّحْمَن المسعودى عن أَبِيهِ قَالَ: ما رَأَيت أحسن أمانة من أَبِى حنيفة، مات يوم مات وعنده ودائع بخمسين ألفًا، ما ضاع منها ولا درهم واحد[1].

۞ وقَالَ قيس بن الربيع:

يُحَدِّثَنِى عن أَبِى حنيفة أَنَّهُ كَانَ يبعث بالبضائع إلى بَغْدَاد فيشترى بها الأمتعة ويحملها إلى الكوفة، ويجمع الأرباح عنده من سنة إلى سنة، فيشترى بها حوائج الأشياخ المحدثين وأقواتهم وكسوتهم وجميع حوائجهم، ثُمَّ يدفع باقى الدنانير من الأرباح إليهم فيقول: أنفقوا فى حوائجكم ولا تحمدوا إلا الله، فإنى ما أعطيتكم من مالى شيئًا، ولكن من فضل الله عَلَيَّ فيكم، وهذه أرباح بضائعكم فَإِنَّهُ هُوَ والله مما يجريه الله لكم عَلَى يدى، فما فى رزق الله حولٌ لغيره.

---

(١) تاريخ بغداد (١٣/ ٣٥٨).

۞ وقَالَ حفص بن حمزة القُرَشِى:

كَانَ أَبُو حنيفة ربما مَرَّ بِهِ الرجل فيجلس إِلَيهِ لغير قصد ولا مجالسة، فَإِذَا قام سَأَلَ عَنْهُ فإن كانت بِهِ فاقة وصله، وإن مرض عاده، وَكَانَ أكرم الناس مجالسة[١].

۞ وقَالَ أَبُو سَعِيد الكِنْدِى:

كان أبو حنيفة يبيع الخَزَّ[٢]، فجاءه رجل فَقَالَ: يا أَبَا حنيفة قد احتجت إلى ثوبِ خزٍّ. فَقَالَ: ما لونه؟ فَقَالَ: كذا وكذا فقَالَ لَهُ: اصبر حَتَّى يقع وآخذه لك إن شاء الله. قَالَ: فما دارت الجُمُعة حَتَّى وقع، فمرَّ بِهِ الرجل فَقَالَ لَهُ أَبُو حنيفة قد وقعت حاجتك، قَالَ: فأخرج إِلَيهِ الثوب فأعجبه فقَالَ: يا أَبَا حنيفة كم أَزِنُ للغلام؟ قَالَ: درهمًا، قَالَ يا أَبَا حنيفة ما كُنْت أظنك تهزأ؟ قَالَ: ما هزأت إنى اشتريت ثوبين بعشرين دينارًا ودرهم، وإنى بعت أحدهما بعشرين دينارًا وبقى هَذَا بدرهم وما كنت لأربح عَلَى صديق[٣].

۞ وقَالَ ابن المبارك: قُلْتُ لسفيان الثورى: يا أَبَا عَبْد الله ما أبعد أَبَا حنيفة من الغيبة ... ما سَمِعْتُهُ يغتاب عدوًّا لَهُ قط. قَالَ: هُوَ والله أعقل من أن يسلط عَلَى حسناته ما يذهب بها[٤].

---

(١) تاريخ بغداد (١٣/ ٣٦٠، ٣٦١).

(٢) الحرير.

(٣) تاريخ بغداد (١٣/ ٣٦٢).

(٤) تاريخ بغداد (١٣/ ٣٦٣).

أبو حنيفة ... وأسئلة عجيبة!!

❁ قال النضر بن مُحَمَّد:

دخل قتادة الكوفة ونزل فى دار أبى بردة، فخرج يومًا وقد اجتمع إليه خلقٌ كثير، فقال قتادة: والله الذى لا إله إلا هو ما يسألنى اليوم أحد عن الحلال والحرام إلا أجبته، فقام إليه أَبُو حنيفة فقال: يا أبا الخطاب ما تقول فى رجل غاب عن أهله أعوامًا فظنت امرأته أن زوجها مات فتزوجت، ثم رجع زوجها الأول ما تقول فى صَداقها؟ وقال لأصحابه الذين اجتمعوا إليه: لئن حدَّث بحديث ليكذبن، ولئن قال برأى نفسه ليخطئن ...

فقال قتادة: ويحك أوقعت هذه المسألة؟ قال لا، قال: فلِمَ تسألنى عما لم يقع؟ قال أَبُو حنيفة إنا نستعد للبلاء قبل نزوله، فإذا ما وقع عرفنا الدخول فيه والخروج منه. قال قتادة: والله لا أحدثكم بشىء من الحلال والحرام، سلونى عن التفسير، فقام إليه أَبُو حنيفة فقال له: يا أبا الخطَّاب ما تقول فى قول الله تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾[1] قال نعم، هذا آصف بن برخيا بن شمعيا كاتب سليمان بن داود كان يعرف اسم الله الأعظم، فقال أَبُو حنيفة: هل كان يعرف الاسم سليمان؟ قال لا، قال: فيجوز أن يكون فى زمن نبى من هو أعلم من النبى؟ فقال قتادة: والله لا أحدثكم بشىء من التفسير، سلونى عما اختلف فيه العلماء، قال: فقام إليه أَبُو حنيفة فقال: يا أبا الخطّاب أمؤمن أنت؟ قال: أرجو! قال: ولِمَ؟ قال: لقول إبراهيم عليه السلام: ﴿وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى

(١) سورة النمل: الآية: (٤٠).

خَطِيٓـَٔتِى يَوۡمَ ٱلدِّينِ﴾[١] فقال أبو حنيفة: فهلَّا قلت كما قال إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿قَالَ أَوَلَمۡ تُؤۡمِنۖ قَالَ بَلَىٰ﴾[٢] فهلا قلت بلى؟ قال: فقام قتادة مُغضبًا ودخل الدار وحلف ألا يحدثهم.[٣].

مكانة أبي حنيفة رَحِمَهُ اللَّهُ

۞ دخل أبو حنيفة ذات مرة على الإمام مالك بن أنس فوقَّره، ولما خرج أبو حنيفة قال مالك لمن معه: أتدرون من هذا؟! قالوا: لا، قال: هذا النعمان، لو قال هذه الأسطوانة من ذهب لخرجتْ كما قال!

۞ ولقد روى النووى عن ابن المبارك قوله: ما كان أوقر مِن مجلس أبى حنيفة، ويقص علينا أن أبا حنيفة كان فى مجلسه بالجامع فوقعت حية فسقطت فى حجره، فخاف الناس وهربوا، ولكنَّه ما زاد على أن نفض الحية وجلس مكانه!

۞ ومما يدل على إجلال السلف لأبى حنيفة أنَّه لما مات أخو سفيان الثورى جاء الناس يعزونه وجاء أبو حنيفة فيمن جاء فقام إليه سفيان وأكرمه وأقعده مكانه، وقعد بين يديه، فلما تفرق الناس قال أصحاب سفيان له: رأيناك فعلت شيئًا عجيبًا مع هذا الرجل، فقال: هذا رجل من العلم بمكان فإن لم أقم لعلمه قمت لسِنِّه، وإن لم أقم لسنه قمت لفقهه، وإن لم أقم لفقهه قمت لورعه!

(١) سورة الشعراء: الآية: (٨٢).

(٢) سورة البقرة: الآية: (٢٦٠).

(٣) «تاريخ بغداد» (١٣/ ٣٤٨، ٣٤٩).

مناظرة بين راهب والإمام أبي حنيفة

۞ ومما يُحكى:

أن ملكًا من ملوك النصارى أرسل راهبًا من علماء ملّته لمناظرة علماء المسلمين وكان أبو حنيفة إذ ذاك صغيرًا، فلما جاء الراهب إلى علماء المسلمين، واجتمع فى المسجد الجامع وفى المنبر ليسألهم عن مسائل، فقام أبو حنيفة من بين العلماء وقال للراهب: أسائل أنت أم مسؤول؟ فقال: سائل، فقال: انزل مكانك الأرض ومكانى المنبر فصعد أبو حنيفة المنبر، وقال: سَلْ ما شئت.

قال الراهب: ماذا قبل الله؟

قال أبو حنيفة: هل تُحسن العدد؟ قال: نعم، قال: ماذا قبل الواحد؟ قال: لا شيء قبله، قال أبو حنيفة: إذا كان الواحد الفانى لا شيء قبله، فالله سبحانه وتعالى لا شيء قبله.

ثم قال: فى أى جهة يكون وجه الله؟

قال: إذا أوقدت السراج ففى أى جهة يكون وجهه؟

قال: ذاك نور يملأ البيت وليس له جهة.

قال: إذا كان النور الزائل الحادث لا جهة له فوجه ربى جلَّ وعلا مُنزَّهٌ عن الجهة والمكان ... قال: بماذا يشتغل الله؟

قال: إذا كان عالمٌ موحدٌ مثلى رَفَعَهُ، وإذا كان كافر مثلك وَضَعَهُ، كل يوم هو فى شأن ... فخرس الراهب وتوجَّه مخزيًا[1].

---

(١) «لطائف الأول» (ص/ ١٢١).

أبو حنيفة يُلقي الحجة على جهم بن صفوان

۞ذهب جهم بن صفوان إلى أبى حنيفة وقال له: يا أبا حنيفة أتيتك لأكلمك فى أشياء هيأتها لك، فأجابه أبو حنيفة: الكلام معك عار والخوض فيما أنت فيه نارٌ تتلظَّى! قال جهم: فكيف حكمت علىَّ بما حكمت ولم تسمع كلامى ولم تَلقنى؟ أجاب أبو حنيفة: بلغنى عنك أقاويل لا يقولها أهل الصلاة، قال جهم: أفتحكم علىَّ بالغيب؟ أجاب أبو حنيفة: اشتهر عنك ذلك وظهر عند العامة والخاصة فجاز لى أن أحقق ذلك عليك، قال جهم: لا أسألك عن شىء إلا عن الإيمان، قال أبوحنيفة: أَوَ لم تعرف الإيمان إلى الساعة حتى تسألنى عنه؟ قال جهم: بلى، ولكن شككت فى نوعٍ منه، قال أبو حنيفة: الشك فى الإيمان كفر، فردَّ جهم: لا يحل لك إلا أن تبين لى من أى وجه يلحقنى الكفر، قال أبو حنيفة: سَلْ، فسأله جهم: أخبرنى عمن عرف الله بقلبه وعرف أنه واحد لا شريك له ولا نِدَّ له، وعرفه بصفاته، وأنه ليس كمثله شىء ثم مات قبل أن يتكلم بلسانه؛ أمؤمنًا مات أم كافرًا؟ أجاب أبو حنيفة بقوله: كافر من أهل النار حتى يتكلم بلسانه مع ما عرفه بقلبه، فسأله جهم: وكيف لا يكون مؤمنًا وقد عرف الله بصفاته؟

قال أبو حنيفة: إن كنت تؤمن بالقرآن وتجعله حجة كلمتك به. وإن كنت لا تؤمن به ولا تجعله حجتك كلمتك بما نكلم به من خالف ملة الإسلام، قال جهم: أؤمن بالقرآن وأجعله حجة.

قال أبو حنيفة: قد جعل الله تبارك وتعالى الإيمان فى كتابه بجارحتين: بالقلب وباللسان فقال تبارك وتعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا

﴿نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُوا۟ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[1]، ما وصلهم إلى الجنة بالمعرفة والقول وجعلهم مؤمنين بالجارحتين: بالقلب واللسان.

وقال تعالى: ﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿وَهُدُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾[5]، وقال تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ﴾[6].

وقال النبي ﷺ: «**قولوا لا إله إلا الله تفلحوا**»[7]، فلم يجعل الفلاح بالمعرفة دون القول. وقال النبي ﷺ: «**يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه كذا....!**»[8]، ولم يقل: يخرج من النار من عرف الله وكان في

---

(١) سورة المائدة: الآيات: (٨٣– ٨٥).

(٢) سورة البقرة: الآيتان: (١٣٦– ١٣٧).

(٣) سورة الفتح: الآية: (٢٦).

(٤) سورة الحج: الآية: (٢٤).

(٥) سورة فاطر: الآية: (١٠).

(٦) سورة إبراهيم: الآية: (٢٧).

(٧) صحيح: رواه ابن حبان، وابن أبي شيبة، وصححه الألباني في صحيح موارد الظمآن (١٤٠١).

(٨) متفق عليه: رواه البخاري (٤٢)، ومسلم (٢٧٨).

قلبه كذا، ولو كان القول لا يُحتاج إليه ويُكتفى بالمعرفة لكان مَن رَدَّ الله بلسانه وأنكره بلسانه إذا عرفه بقلبه مؤمنًا، لكان إبليس مؤمنًا لأنه عارف بربه، يعرف أنه خالقه ومُميته وباعثه ومغويه: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي﴾[1].

وقال: ﴿أَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[2]، وقال: ﴿خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾[3]، ولكان الكفار مؤمنين بمعرفتهم بربهم إذ أنكروا بلسانهم، قال الله تعالى: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ﴾[4]، فلم يجعلهم مع استيقانهم بأن الله واحد مؤمنين مع جحدهم بلسانهم وقال ﷻ: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[5]، وقال تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾[6]، فلم تنفعهم معرفتهم مع إنكارهم، وقال تعالى: ﴿يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾[7] فلم تنفعهم المعرفة مع كتمانهم أمره وجحودهم به! وهنا قال جهم لأبى حنيفة: قد أوقعت فى خلدى شيئًا فسأرجع إليك!.

---

(١) سورة الحجر: الآية: (٣٩).

(٢) سورة الأعراف: الآية: (١٤).

(٣) سورة الأعراف: الآية: (١٢).

(٤) سورة النمل: الآية: (١٤).

(٥) سورة النحل: الآية: (٨٣).

(٦) سورة يونس: الآية: (٣١).

(٧) سورة البقرة: الآية: (١٤٦).

حُجة دامغة

۞ يروى أن بعض الملاحدة الذين ينكرون وجود الخالق جلَّ جلاله التقوا بأبى حنيفة فقال لهم: ما تقولون فى رجل يقول لكم: إنى رأيت سفينة مشحونة مملوءة بالأمتعة والأحمال، قد احتوشتها فى لجة البحر أمواج متلاطمة ورياح مختلفة، وهى من بينها تجرى مستوية ليس فيها ملاح يجريها أو يقودها، ولا متعهد يدفعها أو يسوقها، هل يجوز ذلك فى العقل؟ فقالوا: لا، فهذا شىء لا يقبله العقل ولا يجيزه الوهم.

فقال أبوحنيفة: فيا سبحان الله إذا لم يجز فى العقل وجود سفينة مستوية من غير متعهد ولا مُجرٍ فكيف يجوز قيام هذه الدنيا على اختلاف أحوالها، وتغير أحوالها وأمورها وأعمالها وسعة أطرافها وتباين أكنافها من غير صانع وحافظ ومحدث لها؟!

براعة أبي حنيفة في الجدال والمناظرة

۞ وقد هيأ لأبى حنيفة الذكاءُ أن يكون بارعًا فى الجدال والمناظرة ولذلك نراه يجتمع بطائفة من الخوارج الذين يقولون: أن مرتكب الذنب كافر وتجرى بينهم هذه المحاورة:

قالوا له: هاتان جنازتان على باب المسجد أما إحداهما جنازة رجل شرب الخمر حتى ملأته وحشرج بها فمات والأخرى امرأة زنت حتى إذا أيقنت بالحمل قتلت نفسها! وطلبوا منه رأيه فيهما.

فسألهم أبو حنيفة: من أى الملل كانا؟ من اليهود؟!

قالوا: لا.

قال: أفمن النصارى؟

قالوا: لا.

قال: أفمن المجوس؟

قالوا: لا.

قال: من أى الملل كانا؟

قالوا: من الملة التى تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله.

قال: فأخبرونى عن الشهادة: أهى من الإيمان ثلث أو ربع أو خمس؟

قالوا: إن الإيمان لا يكون ثلثًا ولا ربعًا ولا خمسًا.

قال: فكم هى من الإيمان؟

قالوا: الإيمان كله!

قال: فما سؤالكم إياى عن قوم زعمتم وأقررتم أنهما كانا مؤمنين؟

قالوا: دع عنك، أمن أهل الجنة هما أم أهل النار؟

قال: أما إذ أبيتم فإني أقول فيهما ما قاله نبي الله إبراهيم في قوم كانوا أعظم جرمًا منهما: ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[1]، وأقول فيهما ما قاله نبي الله عيسى في قوم كانوا أعظم جرمًا منهما: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[2]، وأقول فيهما ما قاله نبي الله نوح إذ قالوا: ﴿قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ﴾[3]، قال: ﴿وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّى لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[4]، وأقول ما قال نوح عليه السلام: ﴿وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ إِنِّىٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[5]، ولما سمع الخوارج هذا من الإمام خضعوا وألقوا السلاح!.

---

(١) سورة إبراهيم: الآية: (٣٦).

(٢) سورة المائدة: الآية: (١١٨).

(٣) سورة الشعراء: الآية: (١١١).

(٤) سورة الشعراء: الآيات: (١١٢ - ١١٤).

(٥) سورة هود: الآية: (٣١).

يتخلص من هذا الموقف بفرط ذكائه

۞ ومن الأمثلة الدالة على حسن تخلُّصه بفرط ذكائه ما يُروى أنه كان يسير يومًا مع محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى قاضى الكوفة، ولعله كان بينهما تنافس المتعاصرين، ومرَّا ببستان فيه مغنيات يغنين فلما حاذيا المغنيات سكتن، فقال لهن أبو حنيفة: قد أحسنتن!

وبعد حين شهد أبو حنيفة عند أبى ليلى فى قضية، فقال لأبى حنيفة: شهادتك ساقطة.

فقال: ولِمَ؟

قال: لقولك للمغنيات: أحسنتن؛ لأن هذا رضى منك بمعاصى الله تعالى.

فسأله أبو حنيفة: متى قلت لهن: أحسنتن حين غنين أم حين سكتن؟!

فقال ابن أبى ليلى: حين سكتن.

فقال أبو حنيفة: الله أكبر، إنما أردت بقولى: أحسنتن فى السكوت لا فى الغناء!

فلم يسع ابن أبى ليلى إلا أن يقبل شهادته، وحينئذ تلا أبو حنيفة قول الله تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾[1]، وصار ابن أبى ليلى يحذر أبا حنيفة بعد ذلك!

---

(١) سورة فاطر: الآية: (٤٣).

أخطأ فى سبعة مواضع

۞ ومن شواهد ذكائه وتوقُّد ذهنه مع سعة معرفته، أن امرأة معتوهة تعرضت لإيذاء رجل، فقالت له: يا ابن الزانيين.

وذهبوا بها إلى قاضى الكوفة محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى فاعترفت بالقذف فأقام عليها الحدَّين[1] فى المسجد.

وبلغ ذلك أبا حنيفة، فقال: أخطأ فى سبعة مواضع:

- بنى الحكم على إقرار المعتوهة؛ وإقرارها هدر.
- وألزمها الحد؛ والمعتوهة ليست من أهل العقوبة.
- وأقام عليها حدين؛ ومن قذف جماعة لا يقام عليه إلا حد واحد.
- وأقام حدين معًا؛ ومن اجتمع عليه حدان لا يوالى بينهما ولكن يُضرب أحدهما ثم يُترك حتى يبرأ ثم يُقام الآخر.
- وأقام الحد فى المسجد؛ وليس للإمام أن يقيم الحد فى المسجد.
- وضربها قائمة؛ وإنما تُضرب المرأة قاعدة.
- وضربها بغير حضرة وليها؛ وإنما يقام الحد على المرأة بحضرة وليها، حتى إذا انكشف شىء من بدنها فى اضطرابها ستر الولى ذلك عليها.

---

(١) فعل ذلك ظنًّا منه أنها تستحق حدين، لأنها قذفت شخصين هما والدا الرجل لا شخصًا واحدًا.

أراد أن يوثقنى فربطته

۞ وكان أبو العباس الطوسى سيىء الرأى فى أبى حنيفة، وكان أبو حنيفة يعرف ذلك، فدخل أبو حنيفة على المنصور وكثر الناس فقال الطوسى: اليوم أقتل أبا حنيفة، فأقبل عليه فقال: يا أبا حنيفة إن أمير المؤمنين يدعو الرجل فيأمر بضرب عنق الرجل لا يدرى ما هو، أيسعه أن يضرب عنقه؟

فقال: يا أبا العباس، أمير المؤمنين يأمر بالحق أم بالباطل؟

فقال: بالحق.

قال: أنفذ الحق حيث كان ولا تسأل عنه،... ثم قال أبو حنيفة لمن قرب منه: إن هذا أراد أن يوثقنى فربطته.

من صاحب هذه الفتاوى؟

۞ كان الإمام الأوزاعى معاصرًا لأبى حنيفة وبلغه عنه ما يكره فلما التقى فقيه الشام الإمام الأوزاعى بعبد الله بن المبارك قال له: من هذا المبتدع الذى خرج بالكوفة ويكنى أبا حنيفة؟ فلم يجب ابن المبارك على سؤاله مباشرة - وكان يحب أبا حنيفة - بل أخذ يعرض مسائل عويصة فى الفقه، ويعرض فيها فتاوى يعجب بها الأوزاعى حتى يسأل قائلًا: من صاحب هذه الفتاوى؟

فيجيبه ابن المبارك: شيخ لقيته بالعراق.

فيقول الأوزاعى عنه: هذا نبيل من المشايخ، اذهب فاستكثر منه.

فقال له ابن المبارك: هذا أبو حنيفة!

وشاء الله ﷻ بعد ذلك أن يلتقى الأوزاعى بأبى حنيفة، واطلع الأوزاعى على فقه الإمام وعلمه، فقال الأوزاعى لابن المبارك فيما بعد: «غبطت الرجل بكثرة علمه ووفور عقله وأستغفر الله تعالى، لقد كنت فى غلط ظاهر، الزم الرجل، فإنه بخلاف ما بلغنى عنه»!!.

أطاعه في السر

۞بعث الوالى إلى أبى حنيفة يمنعه من الفُتيا، فيقال: إنه كان يومًا فى بيته وعنده زوجته وابنه حماد وابنته، فقالت له ابنته: إنى صائمة وقد خرج من بين أسنانى دم وبصقته حتى عاد الريق أبيض لا يظهر عليه أثر الدم، فهل أفطر إذا بلعت الآن الريق فقال لها: سَلِى أخاك حمَّادًا فإن الأمير منعنى من الفُتيا.

۞ **قال ابن خلكان:** وهذه الحكاية معدودة فى مناقب أبى حنيفة وحُسن تَمسُّكِه بامتثال إشارة ولى الأمر، فإنَّ إجابته طاعة، حتى إنه أطاعه فى السر، ولم يرد على ابنته جوابًا، وهذا غاية ما يكون من امتثال الأمر. [1].

علمت أن الرجل فقيه

۞ **قال ابن شبرمة:** كنت شديد الإزراء على أبى حنيفة فحضر الموسم وكنت حاجًّا يومئذ، فاجتمع إليه قوم يسألونه، فوقفت من حيث لا يعلم من أنا فجاءه رجل فقال: يا أبا حنيفة، قصدتك، أسألك عن أمر أهمنى وأزعجنى.

قال: وما هو؟ **قال:** لى ولد وليس لى غيره، فإن زوَّجته طلق، وإن سرَّيته أعتق، وقد عجزت عن هذا فهل من حيلة؟

قال له: نعم، اشترِ الجارية التى يرضاها لنفسه ثم زوِّجها منه، فإن طلق رجعت إليك مملوكتك، وإن أعتق أعتق ما لا يملك، وإن ولدت ثبت نسبه لك،... فعلمت أن الرجل فقيه من يومئذ وكففت عن ذكره إلا بخير.

---

(١) «وفيات الأعيان» (٤/ ١٨٠).

لا يستغنى التلميذ عن شيخه

۞ مرض أبو يوسف مرضًا شديدًا، فعاده أستاذه أبو حنيفة مرارًا، فلما صار إليه آخر مرة، رآه ثقيلًا، فاسترجع، ثم قال: لقد كنت أؤمه بعدى للمسلمين، ولئن أُصيب الناس به ليموتن عِلمٌ كثير.

ثم رُزق أبو يوسف العافية، وخرج من العِلَّة، فلما أُخبر بقول أبى حنيفة فيه، ارتفعت نفسه، وانصرفت وجوه الناس إليه، فعقد لنفسه مجلسًا فى الفقه، وقصَّر عن لزوم مجلس أبى حنيفة.

وسأل أبو حنيفة عنه فأُخبر أنه عقد لنفسه مجلسًا بعد أن بلغه كلام أستاذه فيه، فدعا أبو حنيفة رجلًا وقال له: اذهب إلى مجلس أبى يوسف، فقل له: ما تقول فى رجل دفع إلى قَصَّارٍ[1] ثوبًا ليصبغه بدرهم، فصار إليه بعد أيام فى طلب الثوب، فقال له القصار: ما لك عندى شىء، وأنكره، ثم إن صاحب الثوب رجع إليه بعد أيام فدفع إليه الثوب مصبوغًا، أَلَهُ أَجرُه؟ فإن قال أبو يوسف: له أجره، فقل له: أخطأت، وإن قال: لا أجرَ له فقل له: أخطأت!

فصار الرجل إلى أبى يوسف، وسأله، فقال أبو يوسف: له الأجرة.

قال الرجل: أخطأت.

ففكر ساعة، ثم قال: لا أجرة له.

فقال له: أخطأت!

فقام أبو يوسف من ساعته، فأتى أبا حنيفة، فقال له: ما جاء بك إلا مسألة القصَّار.

---

(١) القصار: محترف صبغ الثياب.

قال: أجل.

فقال أبو حنيفة: سبحان الله! من قعد يفتى الناس، وعقد مجلسًا يتكلم فى دين الله، لا يحسن أن يجيب فى مسألة الإجارات؟!

فقال: يا أبا حنيفة، علِّمنى.

فقال: إنْ صَبَغه القصَّار بعدما غصَبَه فلا أجرة له؛ لأنه صبغ لنفسه، وإن كان صبغه قبل أن يغصبه، فله الأجرة؛ لأنه صبغه لصاحبه.

ثم قال: من ظن أن يستغنى عن التعلُّم فَلْيبكِ على نفسه.

الناس عيالٌ على هؤلاء الخمسة

قال الشافعى: الناس عيالٌ على هؤلاء الخمسة، من أراد أن يتبحَّر فى الفقه فهو عيال على أبى حنيفة، وكان أبو حنيفة ممن وفق له الفقه، ومن أراد أن يتبحر فى الشعر فهو عيال على زهير بن أبى سلمى، ومن أراد أن يتبحر فى المغازى فهو عيال على محمد بن إسحاق، ومن أراد أن يتبحر فى النحو فهو عيال على الكسائى، ومن أراد أن يتبحر فى التفسير فهو عيال على مقاتل بن سليمان.

إنما فعلت ذلك لله

۞ وقع فى يوم من الأيام خلاف بين أبى جعفر المنصور وبين زوجته الحرة، أدى إلى شقاق بسبب ميله عنها، وطلبت العدل منه، فقال لها: بمن ترضين فى الحكومة بينى وبينك؟ فقالت: بأبى حنيفة، فرضى هو به أيضًا، فأحضره، وقال له: الحرة تخاصمنى فأنصِفنى منها.

قال أبو حنيفة: ليتكلم أمير المؤمنين، فقال: كم يحل للرجل أن يتزوج من النساء فيجمع بينهن؟ قال: أربع، قال: وكم يحل له من الإماء؟ قال: ما شاء، ليس لهن عدد قال: وهل يجوز لأحد أن يقول خلاف ذلك؟ قال: لا.

قال أبو جعفر: قد سمعتَ – يعنى سمعتَ مقالتى وحجتى.

فقال أبو حنيفة: إنما أحلَّ الله هذا لأهل العدل، فمن لم يعدل أو خاف ألا يعدل فينبغى ألا يجاوز الواحدة. قال الله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾[1].

فينبغى لنا أن نتأدب بأدب الله، ونتعظ بمواعظه ... فسكت أبو جعفر وطال سكوته، فخرج أبو حنيفة، فلما وصل منزله أرسلت إليه زوجة الخليفة خادمًا، ومعه مال وثياب وجارية وحمار، فردَّها، وقال للخادم: أَقرئها سلامى، وقل لها: إنما ناضلت عن دينى وقمت ذلك المقام لله، لم أُرد بذلك تقرُّبًا إلى أحدٍ، ولا التمست به دنيا.

---

(١) سورة النساء: الآية: (٣).

وصية غالية لمن دخل على السلطان

۞ قال أبو حنيفة لتلميذه أبي يوسف: يا يعقوب وقِّر السلطان وعظِّم منزلته وإياك والكذب بين يديه، ولا تدخل عليه في كل وقت وفي كل حال، ما لم يدعك لحاجة علمية فإنك إن أكثرت الاختلاف إليه تهاون واستخفَّ بك، وصغرت منزلتك في عينه، فكن منه كما أنت من النار، تنتفع بها وتتباعد عنها ولا تدنُ منها، فإنك تحترق وتتأذى منها، فإن السلطان لا يرى لأحدٍ ما يرى لنفسه وإياك وكثرة الكلام بين يديه، فإنه يأخذ عليك ما تفوه به ليرى من نفسه بين يدى حاشيته أنه أعلم منك وأنه يخطئك فتصغر بذلك في أعين قومه، ولتكن إذا دخلت عليه تعرف قدرك وقدر غيرك.

تواضع أبي حنيفة

۞ قال الشافعى: قيل لمالك: هل رأيت أبا حنيفة؟ قال: نعم، رأيت رجلًا لو كلمك في هذه السارية أن يجعلها ذهبًا لقام بحجته.

۞ وقال يزيد بن كميت: سمعت رجلًا يقول لأبى حنيفة: اتق الله، فانتفض واصفرَّ وأطرق وقال: جزاك الله خيرًا، ما أحوج الناس في كل وقت إلى من يقول لهم مثل هذا، ... ويُروى أن أبا حنيفة ختم القرآن سبعة آلاف مرة.

حرص أبي حنيفة على راحة أمه

۞ عن مغيث بن بديل قال: دعا المنصور أبا حنيفة إلى القضاء فامتنع فقال: أترغب عما نحن فيه؟ فقال: لا أصلح، قال: كذبت، قال: فقد حكم عليَّ أمير المؤمنين أنى لا أصلح، فإن كنت كاذبًا فلا أصلح وإن كنت صادقًا فقد أخبرتكم أنى لا أصلح.

۞ قال يحيى بن عبد الحميد: كان الإمام أبى حنيفة يخرج كل يوم من السجن فيُضرَب ليدخل القضاء، فيأبى، فلما ضُرب رأسه وأثَّر ذلك فى وجهه بكى فقيل له فى ذلك فقال: إذا رأته أمى بكت واغتمَّت وما علىَّ شىء أشد من غم أمى!

۞ كان الإمام أبو حنيفة بارًّا بوالديه، وكان يدعو لهما ويستغفر لهما مع شيخه حمَّاد، وكان يتصدق كل شهر بعشرين دينارًا عن والديه[(١)].

القول ما قال أبو حنيفة

۞ قال أبو حنيفة: استفتت أمى عن شىء فأفتيتها فلم تقبله، وقالت: لا أقبل إلا بقول أبى زُرعة القاص – الواعظ – فجاء بها إليه، وقال له: إن أمى تستفتيك فى كذا، فقال: أنت أعلم وأفقه، فأفتها، قال: أفتيتها بكذا، فقال أبو زرعة: القول ما قال أبو حنيفة، ... فرضيت وانصرفت[(٢)]!.

(١) «أبو حنيفة النعمان» وهبى الألبانى (ص: ١٠٢).

(٢) «أخلاق العلماء» محمد سليمان (ص: ٧٩).

هل أضعناك يا فتى

۞ قال عبد الله بن رجاء: كان لأبى حنيفة جار بالكوفة إسكاف[1]، يعمل نهاره أجمع حتى إذا جنَّه الليل رجع إلى منزله وقد حمل لحمًا فطبخه أو سمكة فيشويها ثم لا يزال يشرب[2] حتى إذا دب الشراب فيه غرد بصوت وهو يقول:

أضاعونى وأى فتى أضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغر

فلا يزال يشرب ويردد هذا البيت حتى يأخذه النوم، وكان أبو حنيفة يسمع جَلَبته كل ليلة، وكان أبو حنيفة يصلى الليل كله، ففقد أبو حنيفة صوته فسأل عنه، فقيل: أخذته الشرطة منذ ليال وهو محبوس، فصلى أبوحنيفة صلاة الفجر من غد، وركب بغلته، واستأذن على الأمير، فقال الأمير: ائذنوا له وأقبلوا به راكبًا ولا تدعوه ينزل حتى يطأ البساط ببغلته ففعل، ولم يزل الأمير يوسع له فى مجلسه وقال: ما حاجتك؟

فقال: لى جار إسكاف أخذته الشرطة منذ ليالٍ فهل يأمر الأمير بتخليته؟

فقال: نعم، وكل من أُخذ فى تلك الليلة إلى يومنا هذا، فأمر بتخليتهم أجمعين، فركب أبو حنيفة والإسكاف يمشى وراءه، فلما نزل أبو حنيفة مضى إليه وقال: يا فتى أضعناك؟

فقال: لا، بل حفظت ورعيت جزاك الله خيرًا عن حرمة الجوار ورعاية الحق وتاب الرجل ولم يعد إلى ما كان عليه.

(١) الإسكاف: الذى يصلح الأحذية.

(٢) أى: يشرب الخمر.

قدر ومكانة الإمام مالك

۞ **قال أبو عبد الله مولى الليثين رأيت (أي: في المنام)**: رسول الله ﷺ فى المسجد قاعدًا والناس حوله، ومالك قائم بين يديه، وبين يدى رسول الله ﷺ مسك، وهو يأخذ منه قبضة قبضة فيدفعها إلى مالك ومالك ينشرها على الناس، قال مطرف: فأوَّلتُ ذلك العلم واتباع السنة.

۞ **وقال ابن مزاحم**: رأيت النبى ﷺ فى المنام، فقلت: يا رسول الله مَن نسأل بعدك؟ قال: مالك بن أنس.

۞ **وقال ابن القاسم**: بينما أنا نائم، أتانى آتٍ فقال لى: إذا أردت العلم فعليك بعالم الآفاق فقلت: من هو؟ فقال لى: هذا الشيخ انظر إليه، فنظرت إليه فإذا شيخ أشقر طويل حسن اللحية فاستيقظت وقد مضى أكثر شوَّال فتوجهت إلى مكة وحججت فلما أتيت المدينة اغتسلت ودخلت مسجد النبى ﷺ فنظرت فإذا بالصفة التى فى المنام، وإذا هو مالك، فعرفت أنه هو الذى قيل لى فيه عالم الآفاق، فلزمته.

۞ **وقال القعنبى**: أتينا سفيان بن عُيينة فرأيته حزينًا، فقيل: بلغه موت مالك بن أنس رضي الله عنه، ثم قال سفيان: ما ترك على الأرض مثله.

إني خبَّأت لكم تحت منبري علمًا وأمرت مالكًا أن يفرقه على الناس

۞ قال خلف: دخلت على مالك بن أنس، فقال لى: انظر ما تحت مُصلَّاى أو حَصيرى، فنظرت فإذا بكتاب، فقال: اقرأه فإذا فيه رؤيا رآها له بعضُ إخوانه، فقال: رأيت النبى ﷺ فى المنام فى مسجده، وقد اجتمع الناس عليه، فقال لهم: إنى قد خبَّأت لكم تحت منبرى طِيبًا أو علمًا، وأمرت مالكًا أن يفرّقه على الناس، فانصرف الناس وهم يقولون: إذًا ينفذ مالك ما أمره به رسول الله ﷺ،... ثم بكى فقمت عنه.

۞ وعن ابن أبى أُوَيس قال: كان مالك إذا أراد أن يُحدِّث توضأ وجلس على صدر فراشه، وسرّح لحيته، وتمكَّن من الجلوس بوقار وهيبة، ثم حدّث. فقيل له فى ذلك، فقال: أُحبّ أن أُعظّم حديثَ النبى ﷺ ولا أحدّث به إلا على طهارة متمكنًا. وكان يكره أن يُحدِّث فى الطريق وهو قائم أو مستعجِل. فقال: أحب أن يُفهَم ما أُحدّث به عن رسول الله ﷺ.

۞ قال إبراهيم بن المنذر: سمعت معن بن عيسى يقول: كان مالك بن أنس إذا أراد أن يُحدِّث بحديث رسول الله ﷺ اغتسل وتبخّر وتطيب، وإذا رفع أحدٌ صوته عنده قال: اغضض من صوتك، فإن الله ﷻ يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ﴾[1][2].

(١) سورة الحجرات: الآية: (٢).

(٢) انظر: «صفة الصفوة» (٢/ ١٧٨).

الرؤيا تَسُرُّ ولا تَغُرُّ

۞ جاء رجل إلى مجلس مالك فقال: أيكم مالك؟ فقالوا: هذا، فسلَّم عليه واعتنقه وضمَّه إلى صدره، وقال: والله لقد رأيت رسول الله ﷺ البارحة جالسًا هنا، فقال: هاتوا بمالك فجيء بك ترتعد فرائصك فقال: ليس بك بأس يا أبا عبد الله، اجلس، فجلست، فقال: افتح حجرك، ففتحت، فملأه مسكًا منثورًا، وقال: ضُمَّه إليك وبُثَّه فى أمتى، فبكى مالك وقال: الرؤيا تَسُرّ ولا تَغُر، إن صدقت رؤياك فهو العلم الذى أودعنى الله.

لا تخبرني فقد رأيت ما رأيت

۞ قال العامرى: رأيت فيما يرى النائم أنه بينما أنا فى المسجد وهو غاصٌّ بأهله، وإذا أنا برسول الله ﷺ قد خرج من قبره، وبيده قارورة مسك فوقف ثم قال: أيكم مالك؟ فقال مالك: ها أنا ذا بأبى أنت وأمى يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: خذ هذه، وناوله القارورة، فاقسم بين الناس، فجاء العامرى يخبر بها مالكًا، فقال له مالك: لا تخبرنى فقد رأيت مثل ما رأيت.

لدغته عقرب ولم يقطع حديث رسول الله ﷺ

۞ قال عبد الله بن المبارك: كنت عند مالك وهو يُحدثنا فلدغته عقرب ستة عشر مرة ومالك يتغير لونه ويصبر ولا يقطع حديث رسول الله ﷺ فلما فرغ من المجلس وتفرق الناس قلت: يا أبا عبد الله لقد رأيت منك اليوم عجبًا، قال: إنما صبرت إجلالًا لحديث رسول الله ﷺ.

أحببت أن أتأهب لحديث رسول الله ﷺ

۞ حكى الزبير عن عمه مصعب وغير واحد أن هارون الرشيد لما حَجَّ أتى مالكًا فاستأذن عليه حاجبه ثم أذن له، (وفي رواية: ثم خرج إليه) فلما دخل قال: يا أبا عبد الله ما حملك على أن أبطأت وقد علمت مكاني - وفي رواية: حبستنا على بابك؟- قال: والله يا أمير المؤمنين ما زِدُّت على أن توضأت وعلمت أنك لا تأتي إلا لحديث رسول الله ﷺ فأحببت أن أتأهب له، فقال: قد علمت أن الله ما رفعك باطلًا! وأخذه بيده فمضى إلى قبر النبي ﷺ فقال: أخبِرني عن مكان أبي بكر وعمر من النبي ﷺ فقال: محلهما منه في حياته كمحلهما منه بعد وفاته.

ترك ركوب الدابة إجلالاً لرسول الله ﷺ

۞ ولما دخل المهدى المدينة ونزل وجَّه بغلة إلى مالك ليركبها ويأتيه فرَدَّ البغلة وقال: إنى لأستحى من الله أن أركب فى مدينة فيها جثة رسول الله ﷺ، وأتاه ماشيًا، وكانت به علة فاتكأ على المغيرة المخزومى وعلى ابن حسن العلوى وعلى ابن على اللهلى، وهؤلاء علماء المدينة وأشرافها، فلما بصر به المهدى قال: يا سبحان الله ترك ركوب البغلة إجلالًا لرسول الله ﷺ فقيض له هؤلاء فاتكأ عليهم، والله لو دعوتهم أنا إلى هذا ما أجابونى! فقال المغيرة: يا أمير المؤمنين نحن قد افتخرنا على أهل المدينة لما اتكأ علينا.

هكذا يكون توقير النبي ﷺ

۞ قال الإمام الشافعى رضي الله عنه: زُرت الإمام مالك فى مدينة رسول الله ﷺ فوجدت على بابه خيلًا كثيرًا فسألته شيئًا منها. فقال: يا أخى هى لك كلها. فتعجبت من كرمه وقلت له: هلا أمسكت لك شيئًا منها فقال: يا أخى لا حاجة لى فى ركوب الخيل وقد أُهديت إلىَّ من فواضل الكرماء وإنى لأستحيى من الله أن أطأ أرضًا تضم جثمان النبى ﷺ بحافر دابة،... فأخذها الشافعى كلها.

الرحمن على العرش استوى

۞ قال سفيان بن عيينة: سأل رجل مالكًا فقال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾[١] كيف استوى يا أبا عبد الله؟ فسكت مالك مليًّا حتى علاه الرحضاء وما رأينا مالكًا وَجَدَ من شيء وَجْدُهُ من مقالته، وجعل الناس ينتظرون ما يأمر به، ثم سُرى عنه، فقال: الاستواء معلوم والكَيف منه غير معقول، والسؤال عن هذا بدعة، والإيمان به واجب، وإنى لأظنك خبالًا، أَخرجوه عنى، فناداه الرجل: يا أبا عبد الله والله الذى لا إله إلا هو لقد سألت عن هذه المسألة أهل البصرة والكوفة والعراق فلم أجد أحدًا وُفق لما وُفقت له.

قم فأنت من أوعية العلم

قال مالك: شهدت العيد فقلت: هذا اليوم يخلو فيه ابن شهاب، فانصرفت من المصلى حتى جلست على بابه فسمعته يقول لجاريته: انظرى من على الباب، فنظرت فسمعتها تقول: مولاك الأشقر مالك، قال: أدخليه، فدخلت، فقال: ما أراك انصرفت بعد إلى منزلك؟ قلت: لا، قال: هل أكلت شيئًا؟ قلت: لا، قال: فاطعم، قلت: لا حاجة لى فيه، قال: فما تريد؟ قلت: تحدثنى،... فحدثنى سبعة عشر حديثًا ثم قال: وما ينفعك إن حدثتك ولا تحفظها! قلت: إن شئت رددتها عليك. وفى رواية قال لى: هات فأخرجت ألواحى فحدثنى بأربعين حديثًا، فقلت: زدنى، قال: حسبك إن كنت رويت هذه الأحاديث فأنت من الحفاظ قلت: قد رويتها، فجبذ الألواح من يدى ثم قال: حدِّث، فحدثته بها فردها إلىَّ وقال: قم فأنت من أوعية العلم[٢].

---

(١) سورة طه: آية: (٥).

(٢) القاضى عياض «ترتيب المدارك» (جـ١، ص: ١٢١، ١٢٢).

هكذا كان حالهم عند ذكر النبي ﷺ

۞ قال مصعب بن عبد الله: كان مالك إذا ذُكر النبى ﷺ عنده تغير لونه وانحنى حتى يصعب ذلك على جُلسائه، فقيل له فى ذلك يومًا، فقال: لو رأيتم لما أنكرتم علىَّ ما ترون،... كنت آتى محمد بن المنكدر وكان سيد القراء لا نكاد نسأله عن حديث إلا بكى حتى نرحمه ولقد أتى جعفر بن محمد وكان كثير المزاح والتبسُّم فإذا ذُكر النبى ﷺ عنده اخضرَّ واصفرَّ، ولقد اختلفت إليه زمانًا فما رأيته قط يُحدِّث عن رسول الله ﷺ إلا على طهارة.

قمة فى العفو والتسامح

قال العمرى: لما ضُرب مالك رحمه الله تعالى ونيلَ منه حُمل مغشيًّا عليه فدخل الناس عليه فأفاق فقال: أُشهدكم أنى جعلت ضاربى فى حِل، فعدناه فى اليوم الثانى فإذا به قد تماثل، قلنا له ما سمعنا منه، وقلنا له: قد نال منك، فقال: تخوفت أن أموت أمس فألقى النبى ﷺ فأستحى منه أن يدخل بعض آله النار بسببى فما كان إلا مدة حتى غضب المنصور الخليفة على ضاربه وضُرب ونيل منه أمر شديد، فبُشر مالك بذلك فقال: سبحان الله! أترون حظنا مما نزل بنا الشماتة به؟! إنا لنرجو من عقوبة الله أكثر من ذلك، ونرجو من عفو الله أكثر من هذا، وقد ضُربت فيما ضُرب فيه محمد ابن المنكدر وربيعة وابن المسيب ولا خير فيمن لا يؤذَى فى هذا الأمر.

هكذا كان حالهم مع القرآن

قال المغيرة: خرجت ليلة بعد أن هجع الناس هجعة فمررت بمالك بن أنس فإذا أنا به قائم يصلى فلما فرغ من الحمد لله ابتدأ بـ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾، حتى بلغ ﴿لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾[1]، فبكى بكاءً طويلًا، وجعل يرددها ويبكى وشغلنى ما سمعت ورأيت منه عن حاجتى التى خرجت إليها، فلم أزل قائمًا وهو يرددها ويبكى حتى طلع الفجر، فلما تبين له ركع فصرت إلى منزلى فتوضأت فأتيت المسجد فإذا به فى مجلسه والناس حوله فلما أصبح نظرت فإذا أنا بوجهه قد علاه نور حسن.

عليك صيام ثلاثة أيام أيها الأمير

قال يحيى بن كثير: جئت الرشيد فى يمين فجمع العلماء فأجمعوا أن عليه عتق رقبة، وسأل مالكًا فقال: صيام ثلاثة أيام، فقال الرشيد، لِمَ أأنا مُعدم؟! وقد قال الله: ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾[2] فأقمتنى مقام المعدم، قال: نعم يا أمير المؤمنين كل ما فى يديك ليس لك فعليك صيام ثلاثة أيام.

(١) سورة التكاثر: الآيات: (١-٨).

(٢) سورة البقرة: آية: (١٩٦).

إنما يأتى الفرج بالذل والانكسار والخشوع لله (جل وعلا)

قال عتيق بن يعقوب: خرجنا مع مالك إلى المصلى يوم عيد ومالك يمشى، وخرج عبد الملك بن صالح أمير المدينة فى سلاح وتعبية ورايات وأعلام فنظر إليهم مالك فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون ما هكذا كان النبى ﷺ والخلفاء الراشدون، فبلغ ذلك عبد الملك فأتاه فى المصلى، فقال: يا أبا عبد الله ما الذى أنكرت؟ قال: ما رأيت معك، إنما أتى الناس الصلاة خاشعين يرجون المغفرة ولقد أخبرنى يحيى بن سعيد أن النبى ﷺ دخل عام الفتح مكة فى عشرة آلاف أو اثنى عشر ألفًا وكان راكبًا وحط راحلته وتحته قطيفة قيمتها أربعة دراهم منكس الرأس وهو يقول: «الملك لله الواحد القهار»، وكان يأتى المصلى للعيدين والاستسقاء متوكئًا على عصا أو قوس منكسًا رأسه خاشعًا.

لو لم أملك من الدنيا إلا ردائى هذا لواسيتهم به

قال هارون الزهرى: سمعت مالكًا يقول: لما قدم هارون الرشيد كنت ممن لقيته فقلت: يا أمير المؤمنين إن لأهل المدينة حقًّا فاستوص بهم خيرًا، فقال: وما حقهم؟ فقلت: هل تعلم أنه لا يُعرف على وجه الأرض قبر نبى غير نبيك محمد ﷺ؟ قال: لا، قلت: فلو أن أهل المدينة خرجوا عنها وجب عليك أن تجىء بمن يسكنها ويجاور قبره، وتجرى عليه الرزق؟ فقال لى: لو لم أملك من الدنيا إلا ردائى هذا لواسيتهم به.

فراسة الإمام مالك

قال الشافعى: لما سرت إلى المدينة ولقيت مالكًا وسمع كلامى، نظر إلىَّ ساعة وكانت له فراسة ثم قال لى: ما اسمك؟ قلت: محمد، قال: يا محمد اتق الله واجتنب المعاصى فإنه سيكون لك شأنٌ من الشأن.

الله هو الذي يَقسم الأرزاق

۞ قال ابن عبد البر، في التمهيد:

كتب العمرى العابد إلى مالك يَحضُّه على الانفراد والعمل، ويُرغبه به عن الاجتماع عليه في العلم، فكتب إليه مالك أن الله ﷻ قسَّم الأعمال، كما قسم الأرزاق، فَرُبَّ رجل فُتح له في الصلاة ولم يُفتح له في الصوم.

وآخر فُتح له في الصدقة ولم يُفتح له في الصيام.

وآخر فُتح له في الجهاد ولم يُفتح له في الصلاة.

ونشر العلم وتعليمه من أفضل أعمال البر.

وقد رضيت بما فتح الله لي فيه من ذلك، وما أظن ما أنا فيه بدون ما أنت فيه، وأرجو أن يكون كلانا على خير وبِرٍّ.

ويجب على كل واحد منا أن يرضى بما قسم الله له والسلام[1].

---

(١) «حياة الحيوان الكبرى» (٨/ ١٢٢٠).

هارون الرشيد يطلب العلم على يد الإمام مالك

۞ قال مالك بن أنس: وجَّه إليَّ هارون الرشيد، فسألنى أن أُحدثه، فقلت: يا أمير المؤمنين، إن العلم يُؤتَى ولا يأتى، فصار إلى منزلى، فاستند معى إلى الجدار، فقلت له: يا أمير المؤمنين، إن من إجلال الله إجلال ذى الشيبة المسلم، قال: فقام فجلس بين يدى، فقال لى بعد مدة: يا أبا عبد الله تواضعنا لعلمك فانتفعنا به، وتواضع لنا علم سفيان بن عيينة فلم ننتفع، وكان سفيان يأتيهم إلى بيوتهم فيأخذ دراهم(١).

أدب الإمام مالك

۞ قال عبد الله بن عبد الحكم: هيأ مالك بن أنس دعوة للطلبة وكنت فيهم فمضينا معه إلى داره، فلما دخلنا الدار، قال: هذا المُستراح وهذا الماء، ثم دخلنا البيت فلم يدخل معنا، ودخل بعد ذلك فأتانا بالطعام ولم يأتِ بالماء قبله لغسل أيدينا، ثم أتى به بعده، فلما خرج الناس سألته عما رأيت قال: أما إعلامى لكم بالمستراح والماء، فإنما دعوتكم لأبركم، ولعل أحدكم يصيبه بول أو غيره فلا يدرى أين يذهب فيصل إليه الضرر، وأما تركى الدخول معكم فى البيت فلعلى أقول: ها هنا أبا فلان اجلس، وها هنا أبا فلان اجلس، وقد أنسى بعضكم فيظن ذلك نقصًا فيه فتركتكم حتى أخذتم مجالسكم ودخلت عليكم، وأما تركى الماء قبل الطعام فإن الوضوء قبله من سنة الأعاجم، وأما بعده فقد جاء فى ذلك حديث.

---

(١) «صلاح الأمة» (جـ٣، ص: ١٣٤).

رجلٌ يجدد للأمة أمر دينها

۞ روى أبو هريرة عن النَّبى ﷺ أنَّه قال: «إنَّ الله يبْعثُ لهذه الأُمَّةِ على رأسِ كلِّ مائةِ سنةٍ من يجدِّدُ لها دينها»[(١)].

قال أحمدُ بنُ حنبل: نظرنا فإذا فى رأسِ المائةِ الأولى عمرُ بن عبد العزيز، وفى رأسِ المائة الثانية مُحمدُ بن إدريس الشَّافعى[(٢)].

۞ وكتب عبدُ الرحمن بن مهدى إلى الشَّافعى وهو شابٌ: أن يصنعَ له كتابًا فيه معانى القُرآن، ويجمعَ له قَبُولَ الأخبار، وفيه حُجَّةُ الإجماع، وبيان النَّاسخ والمنسوخ من القرآن والسُّنَّة. فوضع له كتابَ «الرِّسالة»[(٣)].

قال عبد الرحمن: ما أُصلى صلاةً إلاّ وأنا أَدعو للشَّافعى فيها[(٤)].

وقال يحيى بنُ سعيد القطَّان: إنِّى لأدعو اللهَ للشَّافعى فى كلِّ صلاةٍ. يعنى لِما فتحَ اللهُ عليه من العلم، ووفَّقه للسَّداد فيه[(٥)].

وقال أيوبُ بن سُويد الرَّملى لمّا رأى الشَّافعى: ما ظَنُنْتُ أنِّى أعيشُ حتى أرى مثلَ هذا الرَّجلِ، وما رأيتُ مثلَه قطُّ. وكان قد رأى الأوزاعى، ومالكًا،

---

(١) رواه أبو داود (٤٢٩١) فى الملاحم، باب ما يذكر فى قرن المائة، والحاكم فى «المستدرك» (٤/ ٥٢٢) وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (١٨٧٤).

(٢) الحلية (٩/ ٩٨) تاريخ بغداد (٢/ ٦٢).

(٣) كتاب الرسالة أَلَّفه الشافعى مرتين: الرسالة القديمة، وقد ذهبت، أَلَّفها فى مكّة، وأرسلها إلى عبد الرحمن بن مهدى، ولهذا سُمِّيت الرسالة. والرسالة الجديدة وهى التى فى أيدى الناس الآن، وقد ألّفها فى مصر من حفظه، ولم تكن كتبه كلُّها معه. وقد حققها العلامة الأستاذ أحمد شاكر رحمه الله تعالى. انظر مقدمة الرسالة صفحة (٩).

(٤) تاريخ بغداد (٢/ ٦٤، ٦٥).

(٥) تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٥٩).

والثورى.

وقال الزعفرانى: حجَّ بِشرُ المَرِيسِى[١]، فلمّا عاد، قال: رأيتُ بالحجازِ رجلًا ما رأيتُ مثله سائلًا، ولا مُجيبًا. يعنى الشافعى. فلمّا قدِمَ الشّافعى اجتمعَ النَّاسُ عليه وخفُّو عن بشرٍ قال: قيل له: هذا الشافعى الذى كنتَ تزعُمُ قد قَدمَ. قال: إنهُ قد تغير عمّا كان عليه. قال الزَّعفرانى: فما كان مثلُه إلا مثلَ اليهود فى أمر عبد الله بن سلَّام حيث قالوا: سيدُنا، وابنُ سيدنا فلمّا أسلمَ، قالوا: شرُّنا، وابنُ شرِّنا[٢].

وقال **محمدُ بن عبد الله بن عبد الحكم**: ما رأينا مثلَ الشَّافعى، كان أصحابُ الحديثِ ونُقَّادُه يجيئون إليه، فيعرضون عليه، فربَّما أَعلَّ نقدَ النُّقَّادِ منهم، ويقفُهم على غوامضَ من عِلل الحديث لم يقفوا عليها، فيقومون وهم متعجِّبون منه. ويأتيه أصحابُ الفقه المُخالفون والمُوافقون ولا يقومون إلاّ وهم مُذعِنون له بالحِذْق والدِّيانة. ويجيئه أصحابُ الأدبِ، فيقرؤون عليه الشِّعرَ فيفسِّرُه. ولقد كان يحفظُ عشرةَ آلاف بيتٍ من أَشعار هُذَيل بإعرابها وغريبها ومعانيها. وكان من أضْبَطِ النَّاسِ للتَّاريخ. وكان

---

(١) بشر بن غياث المريسى، العدوى بالولاء، فقيه معتزلى عارف بالفلسفة، يُرمَى بالزندقة، وهو رأس الطائفة المريسية القائلة بالإرجاء، وقال برأى الجهمية، وهو من أهل بغداد، يُنسب إلى درب المريس. أُوذى فى دولة هارون الرشيد... الأعلام.

(٢) مختصر تاريخ دمشق (٢١/ ٣٨٢) وأمر اليهود فى عبد الله بن سلام أنه لما أراد أن يُسلم، قال للنبى ﷺ إن اليهود قوم بُهت، وإنهم إنْ يعلموا بإسلامى بهتونى، فأرسِل إليهم فسلهم عنى. فأرسل إليهم، فقال: «**أى رجلٍ فيكم عبد الله بن سلام؟**» قالوا: حَبرُنا، وابنُ حبرنا، وعالمنا وابن عالمنا... فلمّا أعلنَ عبد الله بن سلام إسلامه، قالوا: شرنا وابنُ شرِّنا، وجاهلنا وابنُ جاهلنا. روى الحديث البخارى (٦/ ٣٦٢) (٣٣٢٩)، فى أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم وذريته، و(٧/ ٢٤٩) (٣٩١١) فى مناقب الأنصار: باب هجرة النبى وأصحابه إلى المدينة.

يعينه على ذلك شيئان: وفورُ عقلٍ، وصِحَّةُ دِينٍ، وكان مِلاكُ أمرِهِ إخلاصَ العملِ لله تعالى[1].

وكان سُفيان بن عُيينة إذا جاءَهُ شيءٌ من الفُتيا والتَّفسير يُسألُ عنها، التفتَ إلى الشَّافعي فيقول: سَلوا هذا[2].

وقال محمد بن الفضل البزار: قال أبي: حججتُ مع أحمدَ بن حنبل ونزلت في مكانٍ واحدٍ معه - يعني بمكةَ - فخرج أحمدُ باكرًا، وخرجتُ بعده فلمّا صليتُ الصُّبحَ درتُ المسجدَ فجئت إلى مجلس ابن عُيينة، وكنتُ أدور مجلسًا مجلسًا فلم أرَهُ حتى وجدته عند شابٍّ أعرابي، عليه ثيابٌ مصبوغةٌ وعلى رأسه جُمَّةٌ. فقعدتُ عند أحمد، وقلت له: تركتَ ابنَ عيينة وعنده الزُّهري، وابنُ دينار، وزياد بن عِلاقة، والتابعون ما اللهُ به عَليم! فقال: اسكتْ، إن فاتَكَ حديثٌ بعلوٍّ تجدهُ إلى يوم القيامة. ما رأيتُ أحدًا أفقَهَ في كتابِ الله من هذا الفتى القُرشي. قلت: من هذا؟ قال: محمد بن إدريس الشَّافعي[3].

---

(١) مختصر تاريخ دمشق (٢١/ ٣٨٠، ٣٨١).

(٢) الحلية (٩/ ٩٢).

(٣) الحلية (٩/ ٩٨، ٩٩) مختصر تاريخ دمشق (٢١/ ٣٧٩).

بشرى النبي ﷺ للإمام الشافعي

۞ قال أبو عبد الله الحسين الحليمى: رأيت النبى ﷺ فى المنام ببخارى كأنه فى صحراء على ربوة من الأرض وبين يديه الأئمة الأربعة: أبو بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم أجمعين، وكل واحد منهم على يسار صاحبه دونه وأنا دونهم، فقال لى رسول الله ﷺ: هذه الأحاديث التى فى كتاب الشافعى وهو يرويها عنى يجب أن تأخذها لفظًا بعد لفظٍ[1].

وقال أحمد بن الحسين الترمذى: رأيت النبى ﷺ فى المنام، فسألته عن الاختلاف، فقال: أما الشافعى فمنى وإلىَّ، وفى الرواية الأخرى: أحيا سنتى[2].

كنت يتيمًا في حجر أمي

۞ قَالَ الْحُمَيدِى قَالَ الشَّافِعِى:

«كُنْتُ يتِيمًا فِى حِجْرِ أُمِّى وَلَمْ يكُنْ مَعَهَا مَا تُعْطِى الْمُعَلِّمَ، وَكَانَ الْمُعَلِّمُ قَدْ رَضِى مِنِّى أَنْ أَخْلُفُهُ إِذَا قَامَ، فَلَمَّا خَتَمْتُ الْقُرْآنَ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ، فَكُنْتُ أُجَالِسُ الْعُلَمَاءَ، فَأَحْفَظُ الْحَدِيثَ، أَوِ الْمَسْأَلَةَ، وَكَانَ مَنْزِلُنَا بِمَكَّةَ فِى شِعْبِ الْخيفِ، فَكُنْتُ أَنْظُرُ إِلَى الْعَظْمِ يلُوحُ فَأَكْتُبُ فِيهِ الْحَدِيثَ وَالْمَسْأَلَةَ، وَكَانَتْ لَنَا جَرَّةٌ قَدِيمَةٌ فَإِذَا امْتَلأَ الْعَظْمُ طَرَحْتُهُ فِى الْجَرَّةِ»[3].

(١) «المناقب» (ج٢ ص ٣٥-٤٠).

(٢) السير (١٠/ ٤٤).

(٣) حلية الأولياء (٩/ ٧٣)، السير (ج١٠/ ص١١).

كان الشافعي كالشمس للدنيا

۞ قَالَ عَبْدُ اللهِ بنُ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَل: قُلْتُ لأَبِي: أَي رَجُلٍ كَانَ الشَّافِعِي فَإِنِّي سَمِعتُكَ تُكْثِرُ مِنَ الدُّعَاءِ لَهُ؟ قَالَ: يا بُنِي كَانَ كَالشَّمْسِ لِلدُّنْيا، وَكَالعَافِيةِ لِلنَّاسِ فَهَلْ لِهَذَينِ مِنْ خَلفٍ، أَوْ مِنْهُمَا مِنْ عوض؟[1]

۞ وَسُئِلَ أَحْمَدَ بن حَنْبَلٍ، عَنِ الشَّافِعِي فَقَالَ: لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَينَا بِهِ لَقَدْ كُنَّا تَعَلَّمْنَا كَلامَ القَوْمِ، وَكَتَبْنَا كُتُبَهُمْ حَتَّى قَدِمَ عَلَينا فَلَمَّا سَمِعْنَا كَلامَهُ عَلِمْنَا أَنَّهُ أَعْلَمُ مِنْ غَيرِهِ وَقَدْ جَالَسْنَاهُ الأَيامَ وَاللَّيالِي، فَمَا رَأَينا مِنْهُ إلَّا كُلَّ خيرٍ فَقِيلَ لَهُ: يا أَبَا عَبْدِ اللهِ كَانَ يحْيى، وَأَبُو عُبيدٍ لاَ يرْضَيانِهِ - يشِيرُ إِلَى التَّشَيُّعِ وَأَنَّهُمَا نَسَبَاهُ إِلَى ذَلِكَ -فَقَالَ أَحْمَدُ بنُ حَنْبَلٍ: مَا نَدْرِى مَا يقُولاَنِ وَاللهِ مَا رَأَينَا مِنْهُ إلَّا خَيرًا[2].

۞ وقال ابْنُ مَاجَهِ الْقُزْوِينِى: جَاءَ يحْيى بْنُ مَعِينٍ يوْمًا إِلَى أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ فَبَينَمَا هُوَ عِنْدَهُ، إِذْ مَرَّ الشَّافِعِى عَلَى بَغْلَتِهِ، فَوَثَبَ أَحْمَدُ فَسَلَّمَ عَلَيهِ، وَتَبِعَهُ، فَأَبْطَأَ، وَيحْيى جَالِسٌ فَلَمَّا جَاءَ قَالَ يحْيى: يا أَبَا عَبْدِ اللهِ، كَمْ مِنْ هَذَا؟ فَقَالَ أَحْمَدُ: «دَعْ هَذَا عَنْكَ إِنْ أَرَدْتَ الْفِقْهَ فَالْزَمْ ذَنَبَ الْبَغْلَةِ»[3].

---

(١) السير (١٠/ ٤٥).

(٢) السير (١٠/ ٥٨).

(٣) المناقب (٢/ ٢٥٢).

من مناقب الإمام الشافعي وكراماته

۞ عَنْ ابْنِ عَبْدِ الحَكَمِ قَالَ: لَمَّا حَمَلَتْ والدة الشافعي به رأت كأن المُشْتَرِي خَرَجَ مِنْ فَرْجِهَا حَتَّى انْقَضَّ بِمِصْرَ ثُمَّ وَقَعَ فِي كُلِّ بَلْدَةٍ مِنْهُ شَظِيَّةٌ فَتَأَوَّلَهُ المُعَبِّرُونَ أَنَّهَا تَلِدُ عَالِمًا يَخُصُّ عِلْمَهُ أَهْلَ مِصْرَ، ثُمَّ يَتَفَرَّقُ فِي البُلْدَانِ[1].

۞ وَقَالَ الربيع بن سليمان: سمعت الشافعي يقول: كان لي غلام أعشى لم يكن يبصر باب الدار، فأخذت له زيادة الكبد فكحلته بها فأبصر[2].

۞ وَقَالَ الْحُمَيدِي: سَمِعْتُ مُسْلِمَ بْنَ خَالِدٍ الزِّنْجِي يقُولُ لِلشَّافِعِي: «أَفْتِ يا أَبَا عَبْدِ اللهِ، فَقَدْ وَاللهِ آنَ لَكَ، أَنْ تُفْتِي». وَهُوَ ابْنُ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً.

---

(١) السير (١٠/ ١٠)، وتاريخ بغداد (٢/ ٥٨).

(٢) المناقب (٢/ ١١٥).

كرم الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ

۞ قَالَ عَمْرُو بْنُ سَوَادٍ: كَانَ الشَّافِعِي أَسْخَى النَّاسِ عَلَى الطَّعَامِ وَالدِّينَارِ وَالدِّرْهَمِ وَقَالَ لِي الشَّافِعِي: «أَفْلَسْتُ مِنْ دَهْرِي ثَلَاثَ إِفْلَاسَاتٍ، فَكُنْتُ أَبِيعُ قَلِيلِي وَكَثِيرِي، وَحُلِي ابْنَتِي وَزَوْجَتِي، ولَمْ أَرْهَنْ قَطُّ»[١].

۞ وَقَالَ الحُمَيدِي: قدم الشافعي صَنْعَاءَ فضُرِبَتْ لَهُ خَيمَةٌ، وَمَعَهُ عَشْرَةُ آلَافِ دِينَارٍ فَجَاءَ قَوْمٌ فَسَأَلُوهُ فَمَا قُلِعَتِ الخَيمَةُ، وَمَعَهُ مِنْهَا شَيءٌ[٢].

۞ وَقَالَ الشَّافِعِي: خَرَجَ هَرْثَمَةُ فَأَقْرَأَنِي سَلامَ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ هَارُونَ وَقَالَ: قَد أمَرَ لَكَ بِخَمْسَةِ آلَافِ دِينَارٍ قَالَ: فَحَمَلَ إِلَيهِ المَالَ فَدَعَا بِحَجَّامٍ فَأَخَذَ شَعْرَهُ فَأَعْطَاهُ خَمْسِينَ دِينَارًا ثُمَّ أَخَذَ رِقَاعًا فَصَرَّ صُرَرًا، وَفَرَّقَهَا فِي القُرَشِيينَ الَّذِينَ هُم بِالحَضْرَةِ، وَمَنْ بِمَكَّةَ حَتَّى مَا رَجَعَ إِلَى بَيتِهِ إِلَّا بِأَقَلَّ مِنْ مائَةِ دِينَارٍ[٣].

۞ وَقَالَ الرَّبِيعُ: كَانَ الشَّافِعِي مَارًّا بِالحَذَّائِينَ فَسَقَطَ سَوْطُهُ فَوَثَبَ غُلَامٌ وَمَسَحَهُ بِكُمِّهِ وَنَاوَلَهُ، فَأَعْطَاهُ سَبْعَةَ دَنَانِيرٍ[٤].

۞ وَقَالَ المُزَنِي: كُنْتُ مَعَ الشَّافِعِي يوْمًا، فَخَرَجْنَا الأَكْوَامَ فَمَرَّ بِهَدَفٍ فَإِذَا بِرَجُلٍ يرْمِي بِقَوسٍ عَرَبِيةٍ، فَوَقَفَ عَلَيهِ الشَّافِعِي ينْظُرُ، وَكَانَ حَسَنَ الرَّمْي فَأَصَابَ بِأَسْهُمٍ فَقَالَ الشَّافِعِي: أَحْسَنْتَ، وَبَرَّكَ عَلَيهِ ثُمَّ قَالَ: أَعْطِهِ ثَلَاثَةَ دَنَانِيرَ وَاعذِرْنِي عِنْدَهُ[٥].

---

(١) الحلية (٩/ ١٣٢).

(٢) مناقب الشافعي (٢/ ٢٢٠).

(٣) الحلية (٩/ ١٣١).

(٤) المناقب للبيهقي (٢/ ٢٢١)

(٥) السير (١٠/ ٣٧).

۞ وَقَالَ ابْنِ عَبْدِ الْحَكَمِ، قَالَ: كَانَ الشَّافِعِي أَسْخَى النَّاسِ بِمَا يجِدُهُ، فَكَانَ يمُرُّ بنَا، فَإِنْ وَجَدَنِي، وَإِلَّا قَالَ: قُولِي لِمُحَمَّدٍ إِذَا جَاءَ يأْتِي الْمَنْزِلَ، فَإِنِّي لَسْتُ أَتَغَدَّى حَتَّى يجِيءَ. فَرُبَّمَا جِئْتُهُ فَإِذَا قَعَدْتُ مَعَهُ عَلَى الْغَدَاءِ قَالَ: يا جَارِيةُ اضْرِبِي لَنَا فَالُوذَجًا، فَلَا تَزَالُ الْمَائِدَةُ بَينَ يدَيهِ حَتَّى تَفْرُغَ مِنْهُ وَيتَغَدَّى[١].

۞ وقَالَ أَبُو ثَوْرٍ: أَرَادَ الشَّافِعِي الْخُرُوجَ إِلَى مَكَّةَ، وَمَعَهُ مَالٌ فَقُلْتُ لَهُ - وَقَلَّمَا كَانَ يمْسِكُ الشَّيءَ مِنْ سَمَاحَتِهِ: ينْبَغِي أَنْ تَشْتَرِي بِهَذَا الْمَالِ ضَيعَةً تَكُونُ لِوَلَدِكَ مِنْ بَعْدَكِ. فَخَرَجَ ثُمَّ قَدِمَ عَلَينَا فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ الْمَالِ مَا فَعَلَ بِهِ فَقَالَ: «مَا وَجَدْتُ بِمَكَّةَ ضَيعَةً يمْكِنُنِي أَنْ أَشْتَرِيهَا لِمَعْرِفَتِي بِأَهْلِهَا، أَكْثَرُهَا قَدْ رُفِعَتْ عَلَيَّ. وَلَكِنْ قَدْ بَنَيتُ بِمَكَّةَ بَيتًا يكُونُ لِأَصْحَابِنَا ينْزِلُونَ فِيهِ إِذَا حَجُّوا».

۞ وقال عبد الله بن محمد: أَمَرَ الرَّشِيدُ للشَّافِعِي بِأَلْفِ دِينَارٍ فَقبِلَهَا. وَأَمَرَ الرَّشِيدُ خَادِمَهُ سِرَاجًا بِاتِّبَاعِهِ، فَمَا زَالَ يفَرِّقُهَا قَبْضَةً قَبْضَةً حَتَّى انْتَهَى إِلَى خَارِجِ الدَّارِ وَمَا مَعَهُ إِلَّا قَبْضَةٌ وَاحِدَةٌ فَدَفَعَهَا إِلَى غُلَامِهِ وَقَالَ لَهُ: انْتَفِعْ بِهَا. فَأَخْبَرَ سِرَاجٌ الرَّشِيدَ بِذَلِكَ فَقَالَ: لِهَذَا فَرُغَ هَمُّهُ، وَقَوِي مَتْنُهُ[٢].

---

(١) الحلية (٩/ ١٣٢).

(٢) الحلية (٩/ ١٢٩).

فراسة الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ

۞ ذكر ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: «أن الشافعى رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى من أَفرس النَّاس وَكَانَ قد قَرَأَ كتب الفراسة وَكَانَت لَهُ فِيهَا الْيد الطُّولى»[١].

وقد أكذب ابن القيم من ادَّعى أنَّ الشَّافعى كان عالِمًا بالنُّجوم التى تُنسَب إلى المُنجمين الكذَّابين المفترين، وقد ذكر ابن القيم بعض ما نُسب من ذلك إلى الشَّافعى، ثُمَّ قال: «هذا كذبٌ مختلقٌ، وإفكٌ مُفترى على الشافعى»[٢].

۞ وقد أورد ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى قصة حيرت الشافعى فى فراسته فى أول أمرها، ولكن خاتمة القصة جلبت له الطمأنينة والراحة،... قال ابن القيم فى كتابه: [مفتاح السعادة: ٣/ ٢٥١].

«ذكر عبد الرحمن بن أبى حاتم والحاكم وغيرهما عن الحُميدى، قال: قال الشافعى: خرجت إلى اليمن فى طلب كتب الفراسة، حتى كتبتها وجمعتها، ثم لما كان انصرافى مررت فى طريقى برجل، وهو مُحْتبٍ بفناء داره أزرق العين ناتئ الجبهة سِناط، فقلت له: هل من منزل؟ قال: نعم، قال الشافعى: وهذا النعت أخبث ما يكون فى الفراسة، فأنزلنى، فرأيت أكرم رجل؛ بعث إلىَّ بعشاء، وطِيبٍ، وعلف لدوابى، وفراش، ولحاف، وجعلت أتقلب الليل أجمع، ما أصنع بهذه الكتب؟ فلما أصبحت، قلت للغلام: أسرج، فأسرَج، فركبت، ومررت عليه، وقلت له: إذا قَدِمت مكة،

---

(١) مفتاح دار السعادة (٣/ ٢٥٠).

(٢) مفتاح دار السعادة (٣/ ٢٤٧).

ومررت بذى طُوَى، فاسأل عن منزل محمد بن إدريس الشافعى، فقال لى الرجل: أمولى لأبيك أنا؟ قلت: لا، قال: فهل كانت لك عندى نعمة؟ قلت: لا، قل: فأين ما تكلّفت لك البارحة؟ قلت: وما هو؟ قال: اشتريت لك طعامًا بدرهمين، وأُدمًا بكذا، وعِطْرًا بثلاثة دراهم، وعَلَفًا لدوابك بدرهمين، وكِرى الفراش واللحاف درهمان، قال: قلت: يا غلام! فهل بقى شىء؟ قال: كِرى المنزل(١)، فإنى وسّعت عليك، وضيقت على نفسى! فغبطت نفسى بتلك الكتب، فقلت له بعد ذلك: هل بقى شىء؟ قال: امضِ أخزاك الله، فما رأيت شرًّا منك».

۞ وأورد ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ فى كتابه السابق [٣/ ٢٥٢] بعضًا مما كان عليه الشافعى من الفراسة، فقال: «قال الربيع: اشتريت للشافعى طِيبًا بدينار، فقال لى: ممّن اشتريته؟ فقلت: من ذلك الأشقر الأزرق، فقال: أشقرُ أزرق! اذهب فرُدَّه.

وقال الربيع: مَرَّ أخى فى صحن الجامع، فدعانى الشافعى، فقال لى: يا ربيع، انظر إلى الذى يمشى، هذا أخوك؟ قلت: نعم، أصلحك الله، قال: اذهب،... ولم يكن رآه قبل ذلك.

قَالَ الْحُمَيدِى: كُنْتُ مَعَ الشَّافِعِى وَمُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ يتفرّسانِ النَّاسَ فَمَرَّ رَجُلٌ فَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ لِلشَّافِعِى: أَحْرِزْ. فَقَالَ الشَّافِعِى: قَدْ رَابَنِى أَمْرُهُ، إِمَّا أَنْ يكُونَ نَجَّارًا أَوْ خياطًا. قَالَ الْحُمَيدِى: فَقُمْتُ إِلَيهِ فَقُلْتُ: مَا حِرْفَةُ الرَّجُلِ؟ فَقَالَ: كُنْتُ نَجَّارًا وَأَنَا الْيوْمَ خياطٌ(٢).

---

(١) أى: إيجار المنزل.

(٢) حلية الأولياء (٩/ ١٣٩).

وَقَالَ الرَّبِيعُ: كُنْتُ عِنْدَ الشَّافِعِي إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ بِرُقْعَةٍ فَقَرَأَهَا، وَوَقَّعَ فِيهَا، وَمَضَى الرَّجُلُ فَتَبِعْتُهُ إِلَى بَابِ الْمَسْجِدِ فَقُلْتُ: وَاللهِ لَا تَفُوتُنِي فُتْيَا الشَّافِعِي فَأَخَذْتُ الرُّقْعَةَ مِنْ يَدِهِ، فَوَجَدْتُ فِيهَا:

سَلِ الْعَالِمَ الْمَكِّي هَلْ مِنْ تَزَاوُرٍ وَضَمَّةِ مُشْتَاقِ الْفُؤَادِ جُنَاحُ

فَإِذَا قَدْ وَقَّعَ الشَّافِعِي:

فَقُلْتُ مَعَاذَ اللهِ أَنْ يَذْهَبَ التُّقَى تَلَاصُقُ أَكْبَادٍ بِهِنَّ جِرَاحُ

قَالَ الرَّبِيعُ: فَأَنْكَرْتُ عَلَى الشَّافِعِي أَنْ يُفْتِي لِحَدَثٍ بِمِثْلِ هَذَا فَقُلْتُ: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ، تُفْتِي بِمِثْلِ هَذَا شَابًّا؟ فَقَالَ لِي: «يَا أَبَا مُحَمَّدٍ هَذَا رَجُلٌ هَاشِمِي قَدْ عَرَّسَ فِي هَذَا الشَّهْرِ - يَعْنِي شَهْرَ رَمَضَانَ - وَهُوَ حَدَثُ السِّنِّ، فَسَأَلَ هَلْ عَلَيهِ جُنَاحٌ أَنْ يُقَبِّلَ أَوْ يَضُمَّ مِنْ غَيرِ وَطْءٍ فَأَفْتَيتُهُ بِهَذِهِ الْفُتْيَا» قَالَ الرَّبِيعُ: فَتَبِعْتُ الشَّابَّ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ حَالِهِ، فَذَكَرَ لِي أَنَّهُ مِثْلَ مَا قَالَ الشَّافِعِي، فَمَا رَأَيتُ فِرَاسَةً أَحْسَنَ مِنْهَا[1].

---

(١) حلية الأولياء (٩/ ١٥٠)، مناقب الشافعي (٢/ ٩٤-٩٥)، معجم الأدباء (١٧/ ٣٠٥).

الإمام الشافعي في بيت الإمام أحمد

۞ كان الإمام أحمد كثيرًا ما يحدث ابنته عن فضل الإمام الشافعى وعلمه وتقواه، فدعاه الإمام يومًا لزيارته، فلما تناول طعام العشاء، توجه الشافعى إلى فراشه واستلقى عليه .. ونام.

فقالت بنت الإمام أحمد: يا أبتاه! أهذا هو الشافعى الذى كنت تحدثنى عنه؟ قال لها: نعم.

قالت: لقد لاحظت عليه ثلاثة أمور انتقدته فيها: إنه عندما قدمنا له الطعام أكل كثيرًا.. وعندما دخل الغرفة، لم يقم ليصلى قيام الليل والتهجد... وقد صلى بنا الفجر من غير أن يتوضأ!

فذهب أحمد للشافعى مستفسرًا عن هذه الأمور.

فقال له الشافعى: يا أحمد لقد أكلت كثيرًا لأننى أعلم أن طعامكم من حلال وأنت كريم، وطعام الكريم دواء، وطعام البخيل داء، وما أكلت لأشبع، وإنما أكلت لأتداوى بطعامك.

وأما أننى لم أقم الليل، فلأنى عندما وضعت رأسى لأنام، نظرت كأن كتاب الله وسنة نبيه أمام عينى، فاستنبطت اثنتين وسبعين مسألة فقهية ينتفع بها المسلمون، فلم يكن هناك فرصة لقيام الليل.

وأما أننى صليت بكم الفجر بغير وضوء، فوالله ما ذاقت عينى طعم النوم حتى أجدد الوضوء، فلقد بقيت طول الليل يقظانًا، فصليت بكم الفجر بوضوء العشاء.

الفقه هو سيد العلم

۞ قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ بِنْتِ الشَّافِعِى: سَأَلْتُ أَبِى فَقُلْتُ: يا أَبَتِ أى الْعِلْمِ أَطْلُبُ. فَقَالَ: يا بُنَى أَمَا الشِّعْرُ فَيضَعُ الرَّفِيعَ، وَيرْفَعُ الْخَسِيسَ وَأَمَّا النَّحْوُ فَإِذَا بَلَغَ الْغَايَةَ صَارَ مُؤَدِّبًا، وَأَمَّا الْفَرَائِضُ فَإِذَا بَلَغَ صَاحِبُهَا فِيهَا غَايَةً صَارَ مُعَلِّمَ حِسَابٍ ، وَأَمَّا الْحَدِيثُ فَتَأْتِى بَرَكَتُهُ وَخَيرُهُ عِنْدَ فَنَاءِ الْعُمُرِ ، وَأَمَّا الْفِقْهُ فَلِلشَّابِّ وَلِلشَّيخِ، وَهُوَ سَيدُ الْعِلْمِ.

هذا بيت القصيد

۞ قال الربيع بن سليمان: سمعت الشافعى يقول: قال لى الرشيد: يا محمد بلغنى أنك تُباكر الغداء؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين، قال: ولِمَ ذاك؟ قلت: يا أمير المؤمنين لأربع خصال، قال: وما هى؟ قلت: برد الماء وطيب الهواء، وقلة الذباب، ثم رحمى نفسى من موائد غيرى، قال الرشيد: هذا بيت القصيد.

لا تغترَّ بالمظهر

۞ لما دخل الشافعى إلى مدينة سامُراء العراقية كان عليه ثيابٌ رَثَّة وكان شعره طويلًا:

فتقدم إلى مزين فاستقذره لما نظر إلى زِيِّه، فقال له: امضِ إلى غيرى، فاشتد على الشافعى أمره، فالتفت إلى غلام كان معه، فقالَ: إيش معك من النفقة؟ قال: عشرة دنانير، قال: ادفعها إلى المزين فدفعها الغلام إليه، فولى الشافعى، وهو يقول:

علىَّ ثياب لو يُباع جميعها بفلسٍ لكان الفلس فيهن أكثرا

وفيهن نفسٌ لو يُقاس بمثلها نفوس الورى كان أجلَّ وأخطرا

وما ضر نصلَ السيف إخلاقُ غِمْدِه إذا كان عَضْبًا حيث أنفذته برى

فإن تكن الأيام أَزرتْ[1] ببِزَّتى[2] فكم من حُسامٍ[3] فى غلافٍ مُكسَّرا

---

(١) تهاونت.

(٢) الثياب.

(٣) السيف.

حرص الشافعي على عيادة إخوانه المرضى

۞ قال سليمان بن الربيع: جاء رجل إلى الشَّافعي فقال له: إنَّ فُلانًا صديقك عليل، فقال له الشَّافِعي: لقد اتخذت عندى يدًا وأحسنت إلىَّ حيث أيقظتنى لمكرمة ودللتنى على أفضالٍ ودفعت عنى اعتذارًا يشوبه بعض الكذب، ثم قال: يا غلام: نعلى فالمشى على الحفا علة الوجا فى حر الرمضا إلى ذى طوى، أيسر من اعتذار إلى صديقك ربما لا يعذرك فيه، وربما يشوبه شىء من الكذب وإن قلَّ[١].

قال ﷺ: «**من عاد مريضًا أو زار أخًا له فى الله ناداه مُنادٍ: أن طبت وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة منزلًا**»[٢].

وقال ﷺ: «**ما من مسلم يعود مسلمًا غُدوة إلا صلى عليه سبعون ألف مَلَك حتى يُمسى وإن عادهُ عشيةً صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح وكان له خريفٌ فى الجنة**»[٣].

وعن جابر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من عاد مريضًا لم يزل يخوضُ فى الرحمة حتى يجلس فإذا جلس اغتمس فيها**»[٤].

وعن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**عُودوا المرضى، واتبعوا الجنائز؛ تُذكركُمُ الآخرة**»[٥].

---

(١) المناقب (٢/ ١٠٣).

(٢) حسن: رواه الترمذى وابن ماجه، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٦٣٨٧).

(٣) صحيح: رواه الترمذى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٧٦٧).

(٤) صحيح: رواه أحمد ومالك والبزار، وصححه الألبانى فى صحيح الترغيب (٣٤٧٧).

(٥) صحيح: رواه أحمد، والبزار، وابن حبان، وصححه الألبانى صحيح الترغيب (٣٤٩٧).

عزاءٌ جميل

۞ قالت الرواة: إن الإمام الشافعى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان له ولد ولم يكن له غيره. وكان يلازمه أينما ذهب وحيثما صار لا يفارق مجلس علمه ولا يغيب عن مُصلاه.

وفجأة وافته منيته فخاف الناس أن يفتك الحزن بالإمام فتوجهوا إليه ليعزوه فيه فلم يزد على أن قال:

وما الدهر إلا هكذا فاصبر لها ... رذيـة مـالٍ أو فـراق حبيـبِ

وقد أُثر عن الإمام الشافعى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه لما بلغه أن عبد الرحمن بن المهدى قد مات ولده فجزع عليه جزعًا شديدًا، فكتب إليه الإمام الشافعى يُعزيه وقال: يا أخى عَزِّ نفسك بما تعزَّى به غيرك واستقبح من فعلك ما تستقبحه من فعل غيرك، واعلم يا أخى أن أمضى المصائب وأحرّها فُقدان سرور وحرمان أجر، فكيف إذا اجتمعا مع اكتساب وِزر؟ فتناول يا أخى حظك إذا قرب منك قبل أن تطلبه، وقد بَعُد عنك، ألهمك الله عند المصائب صبرًا، وأحرز لنا ولك بالصبر أجرًا.

كأنما جُمع له الرجاء والرهبة جميعًا

۞ قال الكرابيسى:

بِتُّ مَعَ الشَّافِعِى لَيلَةً فَكَانَ يصَلِّى نَحْوَ ثُلُثِ اللَّيل فَمَا رَأَيتُهُ يزِيدُ عَلَى خَمْسِينَ آيةً، فَإِذَا أَكْثَرَ فمائَةِ آيةٍ.... وَكَانَ لاَ يمُرُّ بآيةِ رَحمَةٍ إلَّا سَأَلَ اللهَ، وَلاَ بآيةِ عَذَابٍ إلَّا تَعَوَّذَ وَكَأَنّمَا جُمع له الرجاء والرهبة جميعًا(١).

لا يكون التمكين إلا بعد المحنة

۞ كان عبدُ القاهر بن عبد العزيز رجلًا صالحًا، وَرِعًا. وكان يسألُ الشَّافعى عن مسائلَ فى الورع. والشَّافعى يُقْبِلُ عليه لورعه، فقال للشَّافعى: أَيما أفضلُ الصَّبرُ، أو المحنةُ، أو التَّمكينُ؟. فقال: التَّمكين درجةُ الأنبياء، ولا يكونُ التمكين إلا بعد المِحنة، فإذا امتُحن صبرَ، فإذا صَبَر مُكِّنَ. ألا ترى الله تعالى امتحنَ إبراهيمَ عليه السلام، ثم مكَّنه. وامتحنَ موسى عليه السلام ثم مكَّنه، وامتحن أيوبَ عليه السلام ثم مكّن له، وامتحن سُليمان عليه السلام ثم آتاه مُلكًا، فالتمكينُ أفضلُ الدَّرجات(٢)

---

(١) السير (١٠/ ٣٥).

(٢) المختار من مناقب الأخيار (٤/ ٣٣٩).

أفلا أزيدك؟

۞ قال عبدُ الله بن محمد البَلَوى: كنت أنا وعمر بن نباتة جلوسًا نتذاكر العُبَّاد والزُّهَّاد فقال لى عمر: ما رأيت أورع ولا أفصح من محمد بن إدريس الشافعى، خرجت أنا وهو والحارث بن لبيد إلى الصّفا، وكان الحارث تلميذًا لصالح المُرّى، فافتتح يقرأ وكان حسن الصوت، فقرأ: ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾[1] فرأيت الشافعى وقد تغيَّر لونه واقشعرَّ جلده، فاضطرب اضطرابًا شديدًا وخرَّ مغشيًّا عليه، فلمّا أفاق جعل يقول: أعوذ بك من مقام الكذابين، وإعراض الغافلين، اللهم لك خضعت قلوب العارفين، وذلّت هيبة المشتاقين، إلهى هَبْ لى جودك وجلِّلنى بسترك، واعفُ عن تقصيرى بكرم وجهك[2].

قال عبد الله: ثم قمنا وانصرفنا، فلمّا دخلت بغداد، وكان هو بالعراق، فقعدت على الشطّ أتوضأ للصلاة إذ مَرَّ بى رجل فقال لى: يا غلام أحسِن وضوءك أحسَن الله إليك فى الدنيا والآخرة، فالتفتُّ فإذا أنا برجل يتبعه جماعة، فأسرعت فى وضوئى وجعلت أقفو أثره، فالتفت إلىَّ فقال: هل لك من حاجة؟

فقلت: نعم تُعلّمنى مما علّمك الله شيئًا، فقال لى: اعلم أنّ مَن صدق الله نجا، ومن أشفق على دينه سَلِم من الردى، ومَن زَهِد فى الدنيا قرّت عيناه بما يرى من ثواب الله غدًا، أفلا أزيدك؟

قلت: بلى.

---

(١) سورة المرسلات: الآيتان: (٣٥-٣٦).

(٢) الخبر لهنا فى مختصر تاريخ دمشق (٢١/ ٣٨١).

قال: من كان فيه ثلاث خصال فقد استكمل الإيمان: من أمر بالمعروف وائتمر، ونهى عن المنكر وانتهى، وحافظ على حدود الله تعالى؛ ألا أزيدك؟ قلت: بلى، قال: كن فى الدنيا زاهدًا، وفى الآخرة راغبًا، واصدق الله فى جميع أمورك تنجو مع الناجين، ثم مضى فسألت عنه مَن هذا؟ فقالوا: هو الشافعى[1].

(١) المختار من مناقب الأخيار لابن الأثير (٤/ ٣٣٨-٣٣٩).

الإخلاص عزيز

۞ قال الشافعى: ما ناظرت أحدًا قط إلا على النصيحة، وما ناظرت أحدًا قط إلا أحببت أن يُوفَّق ويُسدَّد ويُعان ويكون عليه رعاية من الله وحفظ، وما ناظرت أحدًا إلا ولم أبال بيَّن الله الحق على لسانى أو لسانه.

وقال الشافعى للربيع: لو قدرت أن أطعمك العلم لأطعمتك!

۞ وقال الربيع بن سليمان: دخلت على الشافعى وهو عليل فسأل عن أصحابنا وقال: يا بنى! لوددت أن الخلق كلهم تعلموا كتبى ولا يُنسب إلىَّ منه شيء؛ وفى رواية: وددت أن كل علم أعلمه يعلمه الناس أوجر عليه ولا يحمدونى.

أنت والله فى العلم أكثر منك فى الرمى

۞ قال الشافعى: كانت نهمتى فى شيئين: فى الرمى وفى طلب العلم، فنلت فى الرمى حتى كنت أصيب من العشرة عشرة،... وسكتَ عن العلم، فقيل: أنت والله فى العلم أكثر منك فى الرمى[1].

يأكل النصف ويطرح النصف

۞ قال حرملة: سُئل الشافعى عن رجل فى فمه تمرة، فقال: إن أكلتها، فامرأتى طالق، وإن طرحتها فامرأتى طالق، قال: يأكل نصفًا ويطرح النصف[2].

---

(١) الحلية (٩/ ٧٧) - والسير (١٠/ ١١).

(٢) الحلية (٩/ ١٤٣).

فاستدل بالمخلوق على الخالق

۞ قال المزنى: قلت: إن كان أحد يُخرج ما فى ضميرى وما تعلق به خاطرى من أمر التوحيد فالشافعى، فصرت إليه وهو فى مسجد مصر، فلما جثوت بين يديه قلت: هجس فى ضميرى مسألة فى التوحيد، فعلمت أن أحدًا لا علم له كعلمك، فما الذى عندك؟ فغضب، ثم قال: أتدرى أين أنت؟ قلت: نعم، قال: هذا الموضع الذى أغرق الله فيه فرعون، أبلغك أن رسول الله ﷺ أمر بالسؤال عن ذلك؟ قلت: لا، قال: هل تكلم فيه الصحابة؟ قلت: لا، قال: تدرى كم نجمًا فى السماء؟ قلت: لا، قال: فكوكب منها: تعرف جنسه، طلوعه، أُفوله، مم خُلق؟ قلت: لا، قال: فشىء تراه بعينك من الخلق لست تعرفه تتكلم فى علم خالقه؟! ثم سألنى عن مسألة فى الوضوء، فأخطأت فيها، ففرعها على أربعة أوجه فلم أصب فى شىء منه، فقال: شىء تحتاج إليه فى اليوم خمس مرات، تدع علمه، وتتكلف علم الخالق، إذا هجس فى ضميرك ذلك، فارجع إلى الله وإلى قوله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾[1] فاستدل بالمخلوق على الخالق ولا تتكلف علم ما لم يبلُغْهُ عقلك، قال: فثبتُّ[2].

---

(١) سورة البقرة: الآية: (١٦٣).

(٢) السير (١٠/ ٣٢).

من أعجب مواقف الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ

۞ قال محمد بن العباس: سمعت إبراهيم بن بريه يقول -وكان جليسًا للشافعي-: دخلت مع الشافعي حمامًا وخرجت قبله، وكان الشافعي طوالًا جسيمًا نبيلًا. وكان إبراهيم جسيمًا طويلًا. فلبس إبراهيم ثياب الشافعي ولبس الشافعي ثياب إبراهيم، والشافعي لا يعلم أنها ثياب إبراهيم، وإبراهيم لا يعلم أنها ثياب الشافعي، فانصرف الشافعي إلى منزله فنظر فإذا هي لإبراهيم، فأمر بها فطُويت وبُخِّرت وجُعلت في منديل، ونظر إبراهيم فطواها وجعلها في منديل ثم راحا جميعًا، فجعل الشافعي ينظر إلى إبراهيم ويبتسم إليه، قال إبراهيم: أصلحك الله! هذه ثيابك. فقال الشافعي: وهذه ثيابك، والله لا يعود إلَيَّ منها شيء ولا يلبسها غيرك. فأخذهما إبراهيم جميعًا.

الإيمان قولٌ وعملٌ

۞ قال الربيع: سأل رجل من أهل بلخ الشافعى عن الإيمان، فقال للرجل: فما تقول أنت فيه؟ قال: أقول: إن الإيمان قول، قال: ومن أين قلت؟ قال: من قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾[١] فصار الواو فصلًا بين الإيمان والعمل فالإيمان قول والأعمال شرائعه، فقال الشافعى: وعندك الواو فصل؟ قال: نعم، قال فإذًا كنت تعبد إلهين إلهًا فى المشرق وإلهًا فى المغرب لأن الله تعالى يقول: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ﴾[٢] غضب الرجل وقال: سبحان الله!! أجعلتنى وثنيًّا؟ فقال الشافعى: بل أنت جعلت نفسك كذلك، قال: كيف؟ قال: بزعمك أن الواو فصل، فقال الرجل: فإنى أستغفر الله مما قلت، بل لا أعبد إلا ربًّا واحدًا، ولا أقول بعد اليوم إن الواو فصل، بل أقول: إن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص.

قال الربيع: فأنفق على باب الشافعى مالًا عظيمًا وجمع كتب الشافعى وخرج من مصر سُنِّيًّا.

---

(١) سورة مريم: الآية: (٩٦).

(٢) سورة الرحمن: الآية: (١٧).

فتركنا بدعتنا واتبعناه

۞ قال أبو ثور: لما ورد الشافعى العراق جاءنى حسين الكرابيسى - وكان يختلف معى إلى أصحاب الرأى- فقال: قد ورد رجل من أصحاب الحديث يتفقه: فقم بنا نسخر به، فذهبنا حتى دخلنا عليه، فسأله الحسين عن مسألة فلم يزل الشافعى يقول: قال الله وقال الرسول ﷺ حتى أظلم علينا البيت، فتركنا بدعتنا واتبعناه.

هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة

۞ قال الزعفرانى: سمعنا الشافعى يقول: حكمى فى أهل الكلام أن يُضربوا بالجريد ويُحملوا على الإبل ويُطاف بهم على العشائر يُنادَى عليهم: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على الكلام.

عليك بتقوى الله

۞ قال الربيع: قال الشافعى: يا ربيع! رضا الناس غاية لا تُدرَك، فعليك بما يصلحك فالزمه، فإنه لا سبيل إلى رضاهم، واعلم أن من تعلم القرآن جلَّ فى عيون الناس ومن تعلم الحديث قويت حجته، ومن تعلم النحو هيب، ومن تعلم العربية رق طبعه، ومن تعلم الحساب جلَّ رأيه، من تعلم الفقه نبل قدره، ومن لم يضر نفسه لم ينفعه علمه، وملاك ذلك كله التقوى.

وصية الإمام الشافعى لمؤدب الأمراء

❁ قال نهشل بن كثير: أُدخل الشافعى يومًا إلى بعض حُجَر هارون الرشيد ليستأذن على أمير المؤمنين، ومعه سراج الخادم، فأقعده عند أبى عبد الصمد مؤدب أولاد الرشيد، فقال سراج للشافعى: يا أبا عبد الله! هؤلاء أولاد أمير المؤمنين وهذا مؤدبهم فلو أوصيته بهم، فأقبل الشافعى على أبى عبد الصمد فقال له: ليكن أول ما تبدأ من إصلاح أولاد أمير المؤمنين إصلاح نفسك، فإن أعينهم معقودة بعينك، فالحسن عندهم ما تستحسنه، والقبيح عندهم ما تركته، علمهم كتاب الله ولا تكرههم عليه فيملوه ولا تتركهم منه فيهجروه، ثم رَوِّهم من الشعر أَعفَّه، ومن الحديث أشرفه، ولا تخرجنهم من علم إلى غيره حتى يُحكموه، فإن ازدحام الكلام فى السمع مضلة للفهم.

هكذا تكون الأخوة الصادقة

۞ قال يونس بن عبد الأعلى: قال لى الشافعى ذات يوم: يا يونس إذا بُلِّغت عن صديق لك ما تكرهه فإياك أن تبادر بالعداوة وقطع الولاية، فتكون ممن أزال يقينه بالشك، ولكن ألقه وقل له: بلغنى عنك كذا وكذا، وأجدر أن تسمى المُبلِّغ، فإن أنكر ذلك فقل له: أنت أصدق وأبر، ولا يزيدن على ذلك شيئًا، وإن اعترف بذلك فرأيت له فى ذلك وجهًا بعذر فاقبل منه، وإن لم يرد ذلك فقل له: ماذا أردت بما بلغنى عنك؟ فإن ذكر ما له وجه من العذر فاقبله، وإن لم يذكر لذلك وجهًا لعذر وضاق عليك المسلك فحينئذ أثبتها عليه سيئة أتاها، ثم أنت فى ذلك بالخيار إن شئت كافأته بمثله من غير زيادة، وإن شئت عفوت عنه، والعفو أبلغ للتقوى وأبلغ فى الكرم لقول الله تعالى: ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ ﴾(١) فإن نازعتك نفسك بالمكافأة فاذكر فيما سبق له لديك ولا تبخس باقى إحسانه السالف بهذه السيئة، فإن ذلك الظلم بعينه، وقد كان الرجل الصالح يقول: رحم الله من كافأنى على إساءتى من غير أن يزيد ولا يبخس حقًّا لى، يا يونس إذا كان لك صديق فشد يديك به، فإن اتخاذ الصديق صعب، ومفارقته سهل وقد كان الرجل الصالح يُشبِّه سهولة مفارقة الصديق بصبى يطرح فى البئر حجرًا عظيمًا فيسهل طرحه عليه ويصعب إخراجه على الرجال فهذه وصيتى لك.. والسلام.

---

(١) سورة الشورى: الآية: (٤٠).

نصيحة غالية

۞ قال يونس بن عبد الأعلى: سمعت الشافعي يقول: يا يونس الانقباض عن الناس مكسبة للعداوة، والانبساط إليهم مجلبة لقرناء السوء، فكن بين المنقبض والمنبسط،... رضا الناس غاية لا تُدرَك، وليس إلى السلامة منهم سبيل، فعليك بما ينفعك فالزمه[1].

حسن الظن بالناس

۞ قال الربيع: مرض الشافعي فدخلت فقلت: يا أبا عبد الله! قوَّى الله ضعفك، فقال: يا أبا محمد لو قوى الله ضعفي على قوتي أهلكني، قلت: يا أبا عبد الله! ما أردت إلا الخير، فقال: لو دعوت الله عليَّ لعلمت أنك لم تُرد إلا الخير.

ألا يستقيم أن نكون إخوانًا وإن لم نتفق في مسألة؟

۞ قال يونس الصدفي: ما رأيت أعقل من الشافعي، ناظرته يومًا في مسألة ثم افترقنا ولقيني فأخذ بيدي، ثم قال: يا أبا موسى، ألا يستقيم أن نكون إخوانًا وإن لم نتفق على مسألة[2].

---

(١) السير (١٠/ ٨٩).

(٢) السير (١٠/ ١٦).

كلمات الشافعي في مرض الموت

۞ قال المُزني: دخلت على الشافعي في مرضه الذي مات فيه فقلت: يا أبا عبد الله كيف أصبحت؟ فرفع رأسه، وقال: أصبحت من الدنيا راحلًا، ولإخواني مفارقًا، ولسوء عملي ملاقيًا، وعلى الله واردًا، ما أدري روحي تصير إلى جنة فأهنيها أو إلى نار فأعزيها ثم بكى وأنشأ يقول:

ولما قسا قلبي وضاقت مذاهبي ... جعلت رجائي دون عفوك سُلَّما

تعاظمني ذنبي فلما قرنته ... بعفوك ربي كان عفوك أعظما

فما زلت ذا عفو عن الذنب لم تزل ... تجود وتعفو منةً وتكرما

فإن تنتقم مني فلست بآيس ... ولو دخلت نفسي بجرمي جهنما

ولولاك لم يُغو بإبليس عابد ... فكيف وقد أغوى صفيَّك آدما

وإني لآتي الذنب أعرف قدره ... وأعلم أن الله يعفو ترحما[1]

---

(١) المناقب (٢/ ١١١).

أجلَسني على كرسي من ذهب ونثر عليَّ اللؤلؤ

۞ عن الحسن بن حبيب الدمشقى قَالَ: سَمِعْتُ الربيع بن سليمان يقُولُ: رأيت الشافعى بعد وفاته فى المنام فقلت: يا أبا عبد الله، ما صنع الله بك؟ قَالَ: أجلسنى على كرسى من ذهب، ونثر علىَّ اللؤلؤ الرطب[1].

۞ وعن أبى بيان الأصفهانى يقُولُ: رأيت النبى ﷺ فى النوم، فقلت: يا رسول الله،... محمد بن إدريس الشافعى ابن عمك، هل نفعته بشىء؟ أو خصصته بشىء؟ قَالَ: نعم، سألت الله تعالى أن لا يحاسبه، فقلت: بماذا يا رسول الله؟ قَالَ: إنه كان يصلى علىَّ صلاة لم يُصلِّ بمثل تلك الصلاة أحد، فقلت: وما تلك الصَّلاة؟ قَالَ: كان يصلى علىَّ ويقول: اللَّهمَّ صلِّ على محمد كلما ذكره الذاكرون، وصلِّ على محمد كلما غفل عنه الغافلون[2].

۞ وعن محمد بن يحيى الذهلى قال: سمعت محمد بن عبد الله بن الفضل الهاشمى قال وكان ما علمته صدوق اللسان يقول: رأيت النبى ﷺ فى النوم فقال: الشافعى المطلبى فى الجنة، أو من أهل الجنة[3].

---

(١) انظر: «تاريخ بغداد» (٢/ ٧٠)، والمنتظم (١٠/ ١٣٨) - حوادث سنة ٢٠٤.

(٢) انظر: «المنتظم» (١٠/ ١٣٨، ١٣٩) الحوادث سنة ٢٠٤.

(٣) تاريخ دمشق (٥١/ ٤٣٥).

بشرى النبي ﷺ للشافعي وأحمد (رحمهما الله)

❁ قال أحمد بن محمد الرملي قاضي دمشق:

دخلت العراق فكتبت كتب أهلها، وأهل الحجاز فمن كثرة خلافهما لم أدرِ بأيهما آخذ.

فلما كان جوف الليل قمت فتوضأت وصليت ركعتين، وقلت: اللهم اهدنى إلى ما تحب. ثم أويت إلى فراشى، فرأيت النبى ﷺ فيما يرى النائم دخل من باب بنى شيبة، وأسند ظهره إلى الكعبة، فرأيت الشافعى وأحمد ابن حنبل على يمين النبى ﷺ، والنبى ﷺ يتبسم إليهما، وبِشر المريسى من ناحية أخرى.

فقلت: يا رسول الله، من كثرة اختلافهما لا أدرى بأيهما آخذ، فأوما إلى الشافعى، وأحمد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا[1] فقال:

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَۚ﴾[2].

ثم أومأ إلى بِشر، فقال: ﴿فَإِن يَكۡفُرۡ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدۡ وَكَّلۡنَا بِهَا قَوۡمٗا لَّيۡسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ٨٩ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾[3].

---

(١) أخرجه ابن الجوزى (ص/ ٤٤٣-٤٤٤) فى «مناقب أحمد».

(٢) سورة الأنعام: الآية: (٨٩).

(٣) سورة الأنعام: الآيتان: (٨٩، ٩٠).

من أجمل الرُّؤى للإمام أحمد

۞ عَنْ صدقة المقابرى قَالَ: كان فِى نفسى عَلَى أحمد بن حنبل، قَالَ: فرأيت فِى النوم كأَنَّ النَّبِى ﷺ يمشى فِى طريق وهو آخذ بيد أحمد بن حنبل، وهما يمشيان عَلَى تؤدة ورفق وأنا خلفهما أجهد نفسى فِى أن ألحق بهما فما أقدر، فلما استيقظت ذهب ما كان فِى نفسى، ثم رأيت بعد كأنى فى الموسم وكان الناس مجتمعين فنادى مُنادٍ: الصلاة جامعة، فاجتمع الناس، فنادى: يؤمكم أحمد بن حنبل، فإذا أحمد بن حنبل فصلى بالناس، وكنت بعد إذا سُئلت عَنْ شىء قلت: عليكم بالإمام، يعنى: أحمد بن حنبل.

۞ وَعنْ حَمْزَةَ بْنِ الْحُسَينِ، قَالَ: سَمِعْتُ أَحْمَدَ بْنَ الْجِلْدِ الدَّعَّاء، يقُولُ: الْيَوْمُ الَّذِى مَاتَ فِيهِ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ كَانَ يوْمَ الْجُمُعَةِ، فَانْصَرَفْتُ فَلَمَّا أَرَدْتُ أَنْ أَنَامَ قُلْتُ: اللَّهُمَّ أَرِنِيهِ هَذِهِ اللَّيْلَةَ فِى مَنَامِى، فَرَأَيْتُهُ كَأَنَّهُ بَينَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ عَلَى نَجِيبٍ مِنْ نُورٍ وَبِيدِهِ خِطَامٌ مِنْ نُورٍ فَضَرَبْتُ بِيدِى الْخِطَامَ، فَأَخَذْتُهُ فَقَالَ لِي: لَيسَ الْخَبَرُ كَالْمُعَاينَةِ فتَرَكْتُهُ وَانْتَبَهْتُ.

۞ وعن حُبَيشِ بْنِ الْوَرْدِ، قَالَ: رَأَيتُ النَّبِى ﷺ فِى الْمَنَام، فَقُلْتُ: يا نَبِى اللهِ مَا بَالُ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ. فَقَالَ: سَيأْتِيكَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَاسْأَلْهُ فَإِذَا أَنا بِمُوسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقُلْتُ: يا نَبِى اللهِ مَا بَالُ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ؟ فَقَالَ: أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ بُلِى فِى السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ فَوُجِدَ صِدِّيقًا فَأُلْحِقَ بِالصِّدِّيقِينَ[1].

---

(١) تاريخ دمشق (٥/ ٣٣٩-٣٤٠).

اذهب فأنت أمير القوم

۞ عَن عبد الله بن خُبيق الأنطاكى رَحِمَهُ اللَّهُ قال:

قَدِم علينا رجل من أهل العراق يقال: إنه من أفاضلهم.

فقال لى يومًا: رأيت رؤيا وقد احتجت أن تدلنى على رجل حسن العبارة ... يُعبِّر، قال: قل ... فقال لى: رأيت النبى ﷺ كأنه فى فضاءٍ من الأرض وعنده نفر.

فقلت لبعضهم: من هذا؟

قال: هذا محمد النبى ﷺ.

فقلت: وما تصنعون ها هنا؟ قال: ينتظر أمته أن يوافوه.

فقلت فى منامى: لأقعدن حتى أنظر ما يكون حاله فى أمته.

فبينا أنا كذلك إذ اجتمع الناس وإذا مع كل رجل قناة[1] فظننت أنه يريد أن يبعث بعثًا قال فنظر ﷺ فرأى قناة أطول من تلك القنا كلها.

فقال: من صاحب القناة؟

قالوا: أحمد بن حنبل. فقال النبى ﷺ: ائتونى به. قال: فجيء به والقناة فى يده، فأخذها النبى ﷺ فهزَّها ثم ناوله إياها، وقال له: اذهب فأنت أمير القوم، ثم قال للناس: اتبعوه فإنه أميركم، واسمعوا له وأطيعوا.

قال عبد الله بن خبيق[2]: فقلت: هذه رؤيا لا تحتاج إلى عبارة[3].

---

(١) الرمح.

(٢) أحد الزُّهاد العُبَّاد، أصله من الكوفة، سكن أنطاكية، انظر ترجمته: حلية الأولياء (١٠/ ١٦٨-١٧٠)، صفة الصفوة (٤/ ٢٨٠).

(٣) أخرجه ابن الجوزى (ص ٤٤٥-٤٤٦) فى مناقب أحمد.

يا أحمد هذا وجهي فانظر إليه

۞ عن أحمد بن محمد الأنماطى السامرى المعدل قال:

حدثنى أحمد بن نصر قال: رأيت النبى ﷺ فى منامى فقلت له: يا رسول الله، بمن تأمرنا أن نقتدى من أمتك فى عصرنا، ونركن إلى قوله ونعتقد مذهبه؟ فقال لى: عليكم بمحمد بن إدريس فإنه منى، وإن الله قد رضى عنه وعن جميع أصحابه ومن يصحبه ويعتقد مذهبه إلى يوم القيامة. قلت له: وبمن؟ قال: بأحمد بن حنبل، فنعم الفقيه الورع الزاهد.

۞ وعن أَحْمَد بْن مُحَمَّد الكِنْدى قَالَ:

رأيت أَحْمَد بْن حَنْبَل فِى المنام. قَالَ: فقلت: يا أبا عَبْد الله ما صنع الله بك؟ قَالَ: غفر لى، ثم قَالَ يا أَحْمَد ضُربت فِىَّ؟ قَالَ: قلت نعم يا رب، قَالَ: يا أَحْمَد هذا وجهى فانظر إليه، فقد أبحتك النظر إليه[1].

مع المحبرة إلى المقبرة

۞ قال صالح بن أحمد بن حنبل:

رأى رجل مع أبى محبرة، فقال له: يا أبا عبد الله أنت قد بلغت هذا المبلغ وأنت إمام المسلمين!!، فقال رحمه الله: مع المحبرة إلى المقبرة، وقال رحمه الله: أنا أطلب العلم إلى أن أدخل القبر[2].

---

(١) تاريخ دمشق (٥/ ٣٤١).

(٢) ابن الجوزى: «مناقب الإمام أحمد».

الإمام أحمد يتبرك بآثار الرسول ﷺ

۞ قال حنبل:

رأيت أبَا عبدِ الله إذَا أرادَ القِيامَ قَالَ لِجُلَسَائِه: إِذَا شِئْتُمْ.

ومِن أَدبه: قالَ عبد الله بن أحمد: رَأَيتُ أَبِى آخِذًا شَعْرَةً مِنْ شَعْرِ النَّبى ﷺ فَيضَعُهَا عَلَى فِيهِ يُقبِّلُهَا، وَأَحْسِبُ أَنِّى رَأَيْتُهُ يضَعُهَا عَلَى عَينَيه، وَيغْمِسُهَا فِى الْمَاءِ، ثُمَّ يشْرَبُهُ، ثُمَّ يسْتَشْفِى بِهَا. وَرَأَيتُهُ قَدْ أَخَذَ قَصْعَةً لِلنَّبى ﷺ، فَغَسَلَهَا فِى جُبِّ الْمَاءِ، ثُمَّ شَرِبَ فِيهَا، وَرَأَيتُهُ غَيرَ مَرَّةٍ يشْرَبُ مَاءَ زَمْزَمٍ يسْتَشْفِى بِهِ، وَيمْسَحُ بِهِ يدَيهِ وَوَجْهَهُ»[١].

رحمة الله على هؤلاء الأئمة الأعلام

۞ قال الهلال بن العلاء:

خرج الشافعى ويحيى بن معين وأحمد بن حنبل إلى مكة فلما أن صاروا بمكة، نزلوا فى موضع، فأمَّا الشافعى فإنه استلقى، ويحيى بن معين أيضًا استلقى، وأحمد بن حنبل قائم يصلى، فلما أصبحوا قال الشافعى: لقد عملت للمسلمين مائتى مسألة، وقيل ليحيى بن معين: ماذا فعلت؟ قال: نفيت عن النبى ﷺ مائتى كذاب، وقيل لأحمد بن حنبل: فأنت؟ قال: صليت ركعات ختمت فيها القرآن[٢].

(١) الذهبى: «سير أعلام النبلاء» (١١/ ٢١٢).

(٢) ابن الجوزى: «مناقب الإمام أحمد» (ص: ٣٥٧-٣٥٨).

خير أهل زماننا

۞ قال قتيبة:

خير أهل زماننا ابن المبارك ثم هذا الشاب - يعنى: أحمد بن حنبل- وإذا رأيت رجلًا يحب أحمد فاعلم أنه صاحب سنة، ولو أدرك عصر الثورى والأوزاعى والليث لكان المُقدَّم عليهم، فقيل لقتيبة: يُضَمُّ أحمد إلى التابعين؟ قال: إلى كبار التابعين.

وقال بشر بن الحارث: أَأُسأل عن أحمد بن حنبل؟! إن أحمد أُدخل الكير، فخرج ذهبًا أحمر.

رحم الله أبا الهيثم

۞ وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل:

كنت كثيرًا أسمع، والدى يقول: رحم الله أبا الهيثم، غفر الله لأبى الهيثم، عفا الله عن أبى الهيثم. فقلت: يا أبتِ مَن أبو الهيثم؟ فقال: لما أُخرجتُ للسياط، ومُدّت يداى إذا أنا بشابّ يجذب ثوبى من ورائى، ويقول لى: تعرفنى؟ قلت لا. قال: أنا أبو الهيثم العيَّار اللصُّ الطَّرَّار(١)، مكتوب فى ديوان أمير المؤمنين أنى ضُربت ثمانية عشر ألف سوْطٍ بالتّفاريق، وصبرت فى ذلك على طاعة الشيطان لأجل الدنيا، فاصبر أنت فى طاعة الرحمن لأجل الدين .. قال: فضُربت ثمانية عشر سوطًا بدل ما ضُرب ثمانية عشر ألفًا، وخرج الخادم، فقال: عفا عنه أمير المؤمنين(٢).

---

(١) العيَّار: الكثير المجىء والذهاب، الكثير التطواف - والطَّرَّار: هو الذى يشق كُمَّ الرجل ويسلُّ ما فيه، من الطَّرّ، وهو القطع والشق. اللسان والقاموس (عير، طرر).

(٢) صفة الصفوة (٢/ ٣٥١).



اللهم إن كنت تعلم أنِّى على صواب فلا تهتك لي سترًا

۞ قال عبدُ الله بن الإمام أحمد:

كان أبى يصلّى فى كل يوم وليلةٍ ثلاثَ مائةِ ركْعة. فلما مرض من تلك الأسواط أضعفته، فكان يصلّى فى كل يوم وليلة مائةً وخمسين ركعةً. وقد كان قَرُبَ من الثمانين، وكان يقرأ فى كل يوم سُبعًا يختم فى سبعة أيام، وكانت له ختْمةٌ فى كل سبع ليالٍ سوى صلاة النهار، وكان ساعةَ يصلّى عِشاء الآخرة ينام نومةً خفيفةً، ثم يقوم إلى الصباح يصلى ويدعو. وحجّ أبى خمس حجّاتٍ: ثلاثَ حجَجٍ ماشيًا، واثنتْين راكبًا، وأنفق فى بعض حجّاته عشرين درهمًا.

وقال: كنت أسمع أبى كثيرًا يقول فى دُبُر الصلاة: اللهم كما صُنتَ وجْهى عن السجود لغيرك صُنه عن المسألة لغيرك[1].

۞ وقال ميمون بن الأصبغ: كنت ببغداد، فسمعتُ ضجّةً، فقلت: ما هذا؟ فقالوا: أحمد بن حنبل يُمتَحن. فدخلت، فلما ضُرب سوطًا قال: بسم الله. فلما ضُرب الثانى قال: لا حول ولا قوّة إلا بالله. فلما ضُرب الثالث قال: القرآن كلام الله غيرُ مخلوق. فلما ضُرب الرابع قال: ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا ﴾[2]، فضُرب تسعة وعشرين سوطًا.

وكانت تكّة[3] أحمد حاشية ثوب، فانقطعت، فنزلَ السروالُ إلى عانته، فرمى أحمد طرفه إلى السماء، وحرّك شفتيه، فما كان بأسرع أن بقى

---

(١) الحلية (٩/ ١٨١، ١٨٣)، وصفة الصفوة (٢/ ٣٤٩).

(٢) سورة التوبة: الآية: (٥١).

(٣) التِّكّة: رباط السراويل. القاموس (تكك).

السّروال لم ينزِل.

فدخلت إليه بعد سبعة أيام، فقلت: يا أبا عبد الله رأيتك تحرّك شفتيك، فأى شىء قَلت؟ قال: قلت: اللهم إنّى أسألك باسمك الذى ملأت به العرش إن كنتَ تعلم أنى على الصّواب، فلا تهتِك لى سترًا[1].

اتقِ الله ولا تُجبهم إلى شيء

قال أبو جعفر الأنبارى:

لما حُمِل أحمد إلى المأمون أُخبرتُ، فعبرتُ الفرات، فإذا هو جالسٌ فى الخان، فسلمت عليه، فقال: يا أبا جعفر! تعنَّيتَ -أي: أتعبت نفسك-، فقلت: يا هذا، أنت اليوم رأس، والناس يقتدون بك، فوالله لئن أجبتَ إلى خلق القرآن ليُجيبنَّ خَلْقٌ كثيرٌ، وإن لم تُجِب ليمتنعن خلق من الناس كثير، ومع هذا فإن الرجل إن لم يقتلك، فإنك تموت، لابد من الموت، فاتق الله ولا تُجبهم إلى شىء، فجعل أحمد يبكى، ويقول: «ما شاء الله!»، «ما شاء الله!»، «ما شاء الله!».

ثم قال: «يا أبا جعفر، أعِدْ»، فأعدتُ عليه وهو يقول: «ما شاء الله!»، «ما شاء الله!»[2].

(١) صفة الصفوة (٢/ ٣٥٠، ٣٥١).

(٢) تاريخ دمشق (٧/ ٢٧١).

أدب الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ

۞ لقد كان الإمام فى غاية الأدب منذ صغره.

۞ قال المروزى: قال لى أبو سراج بن خزيمة:

كنا مع أبى عبد الله فى الكُتَّاب فكان النساء يبعثن إلى المُعلم: ابعث لنا بابن حنبل، ليكتب جواب كتبهم، فكان إذا دخل إليهن لا يرفع رأسه ينظر إليهن، قال أبو سراج: فقال أبى وذكره فجعل يعجب من أدبه وحُسن طريقته، فقال لنا ذات يوم: أنا أُنفق على ولدى، وأجيئهم بالمؤدبين على أن يتأدبوا فما أراهم يفلحون، وهذا أحمد بن حنبل غلام يتيم، وجعل يعجب من أدبه وحسن طريقته.

۞ وَقَالَ خَلَفٌ: جَاءَنِى أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ يسْمَعُ حَدِيثَ أَبِى عَوَانَةَ فَاجْتَهَدْتُ أَنْ أَرْفَعهُ فَأَبَى وَقَالَ لَا أَجْلِسُ بَينَ يدَيك، أُمِرْنَا أَنْ نَتَوَاضعَ لِمَنْ نَتَعَلَّمُ مِنْهُ(١).

۞ وَقَالَ إبْرَاهِيمُ الْحَرْبِى: كَانَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ كَأَنَّهُ رَجُلٌ قَدْ وُفِّقَ لِلْأَدَبِ، وَسُدِّدَ بِالْحِلْمِ، وَمُلِئَ بِالْعِلْمِ، أَتَاهُ رَجُلٌ يوْمًا فَقَالَ عِنْدَكَ كِتَابُ زَنْدَقةٍ؟ فَسَكَتَ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ: إنَّمَا يُحْرِزُ الْمُؤْمِنُ قَبْرُهُ(٢).

۞ وَقَالَ الْحُسَينُ بْنُ إسْمَاعِيلَ: سَمِعْتُ أَبِى يقُولُ كَانَ يجْتَمِعُ فِى مَجْلِسِ أَحْمَدَ زُهَاءُ عَلَى خَمْسَةِ آلَافٍ، أَوْ يزِيدُونَ، أَقَلُّ مِنْ خَمْسِمِائَةٍ يكْتُبُونَ، وَالْبَاقِى يتَعَلَّمُونَ مِنْهُ حُسْنَ الْأَدَبِ وَحُسْنَ السَّمْتِ(٣).

(١) مناقب الإمام أحمد (ص ٨٢-٨٣).

(٢) المناقب (ص ٢٨٧).

(٣) المناقب (ص ٢٧١).

۞ وعن عمرو الناقد قال: كنا عند وكيع، وجاء أحمد بن حنبل فقعد، وجعل يصف من تواضعه بين يديه، قال عمرو: فقلت: يا أبا عبد الله، إن الشيخ يُكرمك فمالك لا تتكلم؟ قال: وإن كان يكرمنى، فينبغى لى أن أُجِلَّه.

۞ وقال إسحاق الشهيد: كُنْت أَرَى يحْيى بْنَ الْقَطَّانِ يُصَلِّى الْعَصْرَ ثُمَّ يستَنِدُ إِلَى أَصْلِ مَنَارِ مَسْجِدِهِ فَيقِفُ بَينَ يدَيهِ عَلِى بْنُ الْمَدِينِى، وَالشَّاذَكُونِى، وَعَمْرُو بْنُ عَلِى، وَأَحْمَدُ بْنُ حَنْبَل، وَيحْيى بْنُ مَعِينٍ، وَغَيرُهُمْ يسْأَلُونَهُ عَن الْحَدِيثِ وَهُمْ قِيامٌ عَلَى أَرْجُلِهِمْ، إِلَّى أَنْ تَجِىءَ صَلاَةُ الْمَغرِبِ، وَلَا يقُولُ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ: اجْلِسْ، وَلَا يجْلِسُونَ هَيبَةً لَهُ وإعظامًا.

۞ وقال أَبُو بَكْرٍ الْمُطَّوِّعِى: اخْتَلَفتُ إِلَى أَبِى عَبْدِ اللهِ ثِنْتَى عَشْرَةَ سَنَةً، وَهُوَ يقْرَأُ (الْمُسْنَدَ) عَلَى أَوْلاَدِهِ، فَمَا كَتَبْتُ عَنْهُ حَدِيثًا وَاحِدًا، إِنَّمَا كُنْتُ أَنْظُرُ إِلَى هَدْيهِ وَأَخلاَقِهِ[1].

(١) الذهبى: «سير أعلام النبلاء» (١١/ ٣١٦).

زهد الإمام أحمد وورعه

۞ قَالَ صَالِحُ بنُ الإِمَامِ أَحْمَدَ:

دَخَلْتُ عَلَى أَبِى يوْمًا أَيامَ الوَاثِقِ - وَاللهُ يعلَمُ عَلَى أى حَالٍ نَحْنُ - وَقَدْ خَرَجَ لِصَلاَةِ العَصرِ، وَكَانَ لَهُ لِبْدٌ يجْلِسُ عَلَيهِ، قَد أَتَى عَلَيهِ سِنُوْنَ كَثِيرَةٌ حَتَّى بَلِى، وَإذَا تَحْتَه كِتَابٌ كَاغَدٌ فِيهِ:

بَلَغَنِى يا أَبَا عَبْدِ اللهِ مَا أَنْتَ فِيهِ مِنَ الضِّيقِ، وَمَا عَلَيكَ مِنَ الدَّينِ، وَقَدْ وَجَّهْتُ إِلَيكَ بِأَرْبَعَةِ آلاَفِ دِرْهَم عَلَى يدَى فُلاَنٍ، وَمَا هِى مِنْ صَدَقَةٍ وَلاَ زَكَاةٍ، وَإِنَّمَا هُوَ شَىءٌ وَرِثْتُهُ مِنْ أَبِى. فَقَرَأْتُ الكِتَابَ، وَوَضَعتُه، فَلَمَّا دَخَلَ، قُلْتُ: يا أَبَتِ، مَا هَذَا الكِتَابُ؟

فَاحْمَرَّ وَجْهُه، وَقَالَ: رَفَعْتُه مِنْكَ.

ثُمَّ قَالَ: تَذْهَبُ لِجَوَابِه؟

فَكَتَبَ إِلَى الرَّجُلِ: وَصَلَ كِتَابُكَ إِلَىَّ، وَنَحْنُ فِى عَافِيةٍ.

فَأَمَّا الدَّينُ، فَإِنَّهُ لِرَجُلٍ لاَ يُرهِقُنَا، وَأَمَّا عِيالُنَا، فَفِى نِعمَةِ اللهِ.

فَذَهَبتُ بِالكِتَابِ إِلَى الرَّجُلِ الَّذِى كَانَ أَوصلَ كِتَابَ الرَّجُلِ، فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ حِينٍ، وَردَ كِتَابُ الرَّجُلِ مِثْلَ ذَلِكَ، فَردَّ عَلَيهِ بِمِثلِ مَا ردَّ.

فَلَمَّا مَضتْ سَنَةٌ أَوْ نَحوُهَا، ذَكرنَاهَا، فقَالَ: لَوْ كُنَّا قَبِلنَاهَا، كَانَتْ قَدْ ذَهَبتْ[1].

---

(١) «السير» (١١/ ٢٠٦)، و«المناقب» (ص ٢٣٢).

عفة الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ

۞ عن عَلِى بْنِ الْجَهْمِ بْنِ بَدْرٍ، قَالَ:

«كَانَ لَنَا جَارٌ فَأَخْرَجَ إِلَينَا كِتَابًا» فَقَالَ: أَتَعْرِفُونَ هَذَا الْخَطَّ قُلْنَا: «نَعَمْ هَذَا خَطُّ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ». فَقُلْنَا لَهُ: «كَيفَ كَتَبَ ذَلِكَ» قَالَ: كُنَّا بِمَكَّةَ مُقِيمِينَ عِنْدَ سُفْيَانَ بْنَ عُيينَةَ فَقَصَدْنَا أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلِ أَيامًا، فَلَمْ نَرَهُ، ثُمَّ جِئْنَا إِلَيهِ لِنَسْأَلَ عَنْهُ، فَقَالَ لَنَا أَهْلُ الدَّارِ الَّتِى هُوَ فِيهَا. هُوَ فِى ذَلِكَ الْبَيتِ، فَجِئْنَا إِلَيهِ، وَالْبَابُ مَرْدُودٌ عَلَيهِ، وَإِذَا عَلَيهِ خِلْقَانٌ -ثياب ممزقة-. فَقُلْنَا لَهُ: يا أَبَا عَبْدِ اللهِ مَا خَبَرُكَ؟ لَمْ نَرَكَ مُنْذُ أَيامٍ؟ فَقَالَ: سُرِقَتْ ثِيَابِى فَقُلْتُ لَهُ: مَعِى دَنَانِيرُ فَإِنْ شِئْتَ خُذْ قَرْضًا وَإِنَّ شِئْتَ صِلَةً. فَأَبَى أَنْ يفْعَلَ فَقُلْتُ: تَكْتُبُ لِى بِأُجْرَةٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَأَخْرَجتُ دِينَارًا، فَأَبَى أَنْ يأْخُذَهُ، وَقَالَ: اشْتَرِ لِى ثَوْبًا، وَاقْطَعْهُ بِنِصْفَينِ فَأَوْمَى أَنَّهُ يأْتَزِرُ بِنِصْفٍ وَيرْتَدِى بِالنِّصْفِ الآخَرِ. وَقَالَ: جِئْنِى بِبَقِيتِهِ، فَفَعَلْتُ وَجِئْتُ بِوَرَقٍ وَكَاغِدٍ، فَكَتَبَ لِى، فَهَذَا خَطُّهُ[1].

۞ وَقَالَ حَمْدَانُ بْنُ سِنَانَ الْوَاسِطِى:

قَدِمَ عَلَينَا أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، وَمَعَهُ جَمَاعَةٌ قَالَ: فَنَفِدَتْ نَفَقَاتُهُمْ. قَالَ: فَبررتهم فَأَخَذُوا. قَالَ: وَجَاءَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلِ بِفَرْوَةٍ فَقَالَ: «قُلْ لِمَنْ يبِيعُ هَذِهِ وَيجِيئُنِى بِثَمَنِهَا فَأَتَّسِعُ بِهِ» قَالَ: فَأَخَذْتُ صُرَّةَ دَرَاهِمَ، فَمَضَيتُ بِهَا إِلَيهِ، فَرَدَّهَا قَالَ فَقَالَتِ امْرَأَتِى: هَذَا رَجُلٌ صَالِحٌ، لَعَلَّهُ لَم يرْضَهَا فَأُضْعِفُهَا. قَالَ: فَأَضْعَفْتُهَا، فَلَمْ يقْبَلْ، فَأَخَذَ الْفَرْوَةَ مِنِّى وَخَرَجَ[2].

---

(١) تاريخ دمشق (٧/ ٢٦٢).

(٢) تاريخ دمشق (٧/ ٢٦١).

۞ وعَنْ مُحَمَّد بْن سَعِيد التِّرْمِذِى قَال:

قَدِم صديقٌ لنا من خُراسان، فَقَالَ: إنى اتخذت بضاعة، ونويت أن أجعل ربحها لأحمد بن حنبل، فخرج ربحها عشرة آلاف درهم، فأردت حملها إليه، ثم قلت: حَتَّى أذهب إليه فأنظر كيف الأمر عنده، فذهبت إليه، فسلمت عَلَيهِ، فقلت: فلان، فعرفه، فقلت: إنه أبضع بضاعة، وجعل ربحها لك، وهو عشرة آلاف درهم، فَقَالَ: جزاه الله عَنِ العناية خيرًا، نحن فِى غِنى وسعة ... وأبى أن يأخذها[١].

لو قَبِلتُ من الناس شيئًا لقَبلتُ منك

۞ ذكر عَبْدُ الرَّزَّاقِ الصَّنعانى أَحْمَدَ بن حنبل، فَدَمَعَتْ عَينُه ثُمَّ قَالَ:

قَدِمَ علينا فأقَام هَا هُنَا سَنتين، وبَلَغَنِى أَنَّ نَفَقَتَه نَفَدَتْ، فَأَخَذتُ بيدِهِ، فَأَقَمتُه خَلْفَ البَابِ، وَمَا مَعِى ومعه أَحَدٌ، فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّهُ لاَ تَجتَمِعُ عِنْدَنَا الدَّنَانِيرُ، إِذَا بِعْنَا الغلَّةَ، أَشغَلْنَاهَا فِى شَىءٍ، وَقَدْ وَجَدتُ عِنْد النِّسَاءِ عَشْرَةَ دَنَانِيرَ، فَخُذْهَا، وَأَرْجُو أَنْ لاَ تُنْفِقَها حَتَّى يتَهيأَ شَىءٌ. قال: قال لى أحمد: فَقَالَ لِى: يا أَبَا بَكْرٍ، لَوْ قَبِلْتُ مِنْ أَحَدٍ شَيئًا، قَبِلتُ مِنْكَ[٢].

۞ قال ابن كثير: سُرِقَتْ ثِيابُ الإمام أحمد وَهُوَ بالْيَمَنِ فجلس فى بيته وردَّ عليه الباب وفقده أَصْحَابُهُ فَجَاءُوا إِلَيهِ فَسَأَلُوهُ فَأَخْبَرَهُمْ فَعَرَضُوا عَلَيهِ ذهبًا فلم يقبله ولم يأخذ مِنْهُمْ إِلَّا دِينَارًا وَاحِدًا لِيكْتُبَ لَهُمْ بِهِ فَكَتَبَ لَهُمْ بِالْأَجْرِ رَحِمَهُ اللهُ[٣]، فنسخ لهم من الكتب أجرة لما أخذ الدينار.

---

(١) تاريخ دمشق (٧/ ٢٦٤).

(٢) ابن أبى يعلى الحنبلى: «طبقات الحنابلة» (١/ ٣٠٩).

(٣) البداية والنهاية/ لابن كثير (١٠/ ٣٢٩).

تواضع الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ

۞ قال المروذى:

لم أرَ الفقير فى مجلسٍ أعزَّ منه عند أبى عبد الله (الإمام أحمد). كان مائلًا إليهم، مُقْصِرًا عن أهل الدّنيا. وكان فيه حلمٌ، ولم يكن بالعَجُول. وكان كثير التّواضع، تَعْلوه السّكينة والوقار. إذا جلس فى مجلسه بعد العصر للفُتيا لا يتكلّم حتى يُسأل. وإذا خرج إلى مسجده لم يتصدّر. يقعد حيث انتهى به المجلس[1].

وقال الخراسانى للإمام أحمد: الحمد لله أنى رأيتك، قال له: اقعد، أى شىء أنا؟! أى شىء أنا؟!... وقيل لأبى عبد الله: جَزَاكَ اللهُ عَنِ الْإِسْلَامِ خَيرًا، فقَالَ: لَا، بَلْ جزَى اللهُ الْإِسْلَامَ عَنِّى خَيرًا. ثُمَّ قَالَ: وَمَنْ أَنَا؟ وَمَا أَنَا؟

وَقَالَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِسْحَاقَ السَّرَّاجُ: قُلْت لِأَبِى عَبْدِ اللهِ أَوَّلَ مَا رَأَيته: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ ائْذَنْ لِى أَنْ أُقَبِّلَ رَأْسَك، قَالَ: لَمْ أَبْلُغْ أَنَا ذَاكَ.

وقال يحْيى بْنُ مَعِينٍ: «مَا رَأَيتُ مِثْلَ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ؛ صَحِبْنَاهُ خَمْسِينَ سَنَةً مَا افْتَخَرَ عَلَينَا بِشَىءٍ مِمَّا كَانَ فِيهِ مِنَ الصَّلَاحِ وَالْخَيرِ، وكان الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ يقول: نحن قوم مساكين».

(١) الذهبى: «تاريخ الإسلام» (ص: ٣١).

كأن ليس في الدنيا يحيى بن معين وأحمد بن حنبل غيركما

۞ قَالَ جَعْفَرُ بنُ مُحَمَّدٍ الطَّيالِسِى:

صَلَّى أَحْمَدُ بنُ حَنبَل، وَيحْيى بنُ مَعِينٍ فِى مَسْجِدِ الرُّصَافَةِ، فَقَامَ قَاصٌّ فَقَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بنُ حَنْبَلٍ، وَيحْيى بنُ مَعِينٍ قَالاَ:

حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ قتَادَةَ، عَنِ أَنَسٍ:

قَالَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ: «مَنْ قَالَ: لاَ إِلهَ إِلاَّ اللهُ، خَلَقَ اللهُ مِنْ كُلِّ كَلِمَةٍ طَيرًا، مِنْقَارُهُ مِنْ ذَهَبٍ، وَرِيشُهُ مِنْ مَرْجَانَ».

وَأخذَ فِى قِصَّةٍ نَحْوًا مِنْ عِشْرِينَ وَرَقَةً، وَجَعَلَ أَحْمَدُ ينْظُرُ إِلَى يحْيى، وَيحْيى ينْظُرُ إِلَى أَحْمَدَ، فَقَالَ: أَنْتَ حَدَّثتَهُ بِهذا؟

فَيقُوْلُ: وَاللهِ مَا سَمِعْتُ بِهِ إِلاَّ السَّاعَةَ.

فسكتَا حَتَّى فرَغَ، وَأخذَ قِطَاعَهُ، فَقَالَ لَهُ يحْيى بِيدِهِ: أَنْ تعَالَ.

فَجَاءَ مُتَوهِّمًا لنَوَالٍ (مالٍ أو جائزةٍ).

فَقَالَ: مَنْ حدَّثَكَ بِهَذَا؟

فَقَالَ: أَحْمَدُ وَابْنُ مَعِينٍ.

فَقَالَ: أَنَا يحْيى، وَهَذَا أَحْمَدُ، مَا سَمِعْنَا بِهَذَا قَطُّ، فَإِنْ كَانَ وَلاَ بُدَّ وَالكَذِبَ، فَعَلَى غيرِنَا.

فَقَالَ: أَنْتَ يحْيى بنُ مَعِينٍ؟

قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ: لَمْ أزَلْ أَسْمَعُ أَنَّ يحْيى بنَ مَعِينٍ أَحْمَقُ، مَا عَلِمتُ إِلاَّ السَّاعَةَ، كَأَنْ

لَيسَ فِى الدُّنْيا يحْيى بنُ مَعِينٍ، وَأَحْمَدُ بنُ حَنْبَلٍ غيرَكمَا!! كَتَبْتُ عَنْ سَبْعَةَ عشرَ أَحْمَدَ بنَ حَنْبَلٍ، وَيحْيى بنَ مَعِينٍ غيرَكمَا.

فوضعَ أَحْمَدُ كُمَّهُ عَلَى وَجْهِهِ، وَقَالَ: دَعْهُ يقومُ، فَقَامَ كَالمستهزِئِ بِهِمَا[1].

تركته بين يدي الجليل

❁ قَالَ ابْنُ خُزَيمَةَ:

لَمَّا مَاتَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ اغْتَمَمْتُ غَمًّا شَدِيدًا فَبِتُّ مِنْ لَيلَتِى فَرَأَيتُهُ فِى الْمَنَامِ وَهُوَ يتبَخْتَرُ فِى مِشْيتِهِ فَقُلْتُ لَهُ: يا أَبَا عَبْدِ اللهِ أَى مِشْيةٍ هَذِهِ؟ قَالَ: مِشْيةُ الْخُدَّامِ فِى دَارِ السَّلَامِ. قَالَ: قُلْتُ: مَا فَعَلَ اللهُ بِكَ؟ قَالَ: غفَرَ اللهُ لِى وَتَوَّجَنِى وَأَلْبَسَنِى نَعْلَينِ مِنْ ذَهَبٍ، وَقَالَ لِى: يا أَحْمَدُ، هَذَا بِقَوْلِكَ الْقُرْآنُ كَلَامِى. قُلْتُ: فَمَا فَعَلَ بِشْر بن الحارث ، فَقَالَ لِى: بَخٍ بَخٍ وَمَنْ مِثْلُ بِشْرٍ؟ تَرَكْتُهُ بَينَ يدَى الْجَلِيلِ وَبَينَ يدَيهِ مَائِدَةٌ مِنَ الطَّعَامِ، وَالْجَلِيلُ جَلَّ جَلَالُهُ مُقْبِلٌ عَلَيهِ وَهُوَ يقُولُ:

كُلْ يا مَنْ لَمْ يأْكُلْ، وَاشْرَبْ يا مَنْ لَمْ يشْرَبْ، وَانْعَمْ يا مَنْ لَمْ ينْعَمْ[2].

---

(١) السير (١١/ ٣٠١).

(٢) صفة الصفوة (٢/ ٣٣٥-٣٣٦)، وأخرجه ابن الجوزى (ص/ ٤٣٨) فى «مناقب أحمد» وسنده صحيح بطرقه.

تواضع العلماء

❁ عن يزيد بن خنيس، قَالَ:

سَمِعْتُ رَجُلًا، قَالَ لِسُفْيانَ الثَّوْرِى: لَوْ أَنَّكَ نَشَرْتَ مَا عِنْدَكَ مِنَ الْعِلْمِ رَجَوْتُ أَنْ ينْفَعَ اللهُ بِهِ بَعْضَ عِبَادِهِ وَتُؤْجَرَ عَلَى ذَلِكَ، فَقَالَ سُفْيانُ: وَاللهِ لَوْ أَعْلَمُ بِالَّذِى يَطْلُبُ هَذَا الْعِلْمَ لَا يرِيدُ بِهِ إِلَّا مَا عِنْدَ اللهِ لَكُنْتُ أَنَا الَّذِى آتِيهِ فِى مَنْزِلِهِ فَأُحَدِّثُهُ بِمَا عِنْدِى مِمَّا أَرْجُو أَنْ ينْفَعَهُ اللهُ بِهِ[1].

❁ وقَالَ خَلَفُ بنُ تَمِيم: رَأَيتُ الثَّوْرِى بِمَكَّةَ، وَقَدْ كَثُرُوا عَلَيهِ، فَقَالَ: إِنَّا للهِ، أَخَافُ أَنْ يكُونَ اللهُ قَدْ ضَيعَ هَذِهِ الأُمَّةَ حَيثُ احْتَاجَ النَّاسُ إِلَى مِثْلِى. وَسَمِعْتُهُ يقُوْلُ: لَوْلاَ أَنْ أُسْتَذَلَّ، لَسَكَنْتُ بينَ قَوْمٍ لاَ يعْرِفُونِى[2].

❁ وَقَالَ عَلِى بْنُ ثَابِتٍ الْجَزَرِى: لَوْ لَقِيتَ سُفْيانَ فِى طَرِيقِ الْحَجِّ وَمَعَكَ فِلْسَان تُرِيدُ أَنْ تَصَدَّقَ بِهِمَا وَأَنْتَ لا تَعْرِفُ سُفْيانَ، لَظَنَنْتَ أَنَّكَ تَضَعهُمَا فِى يدِهِ.

وما رأيت سفيان فى صدر المجلس قط، إنما كان يقعد إلى جانب الحائط ويستند إلى الحائط ويجمع بين ركبتيه[3].

---

(١) حلية الأولياء (٦/ ٣٦٩).

(٢) السير (٧/ ٢٧٥).

(٣) صفة الصفوة (٣/ ١٤٧) لابن الجوزى.

هذا هو الأدب ... وتلك المروءة

۞ قَالَ أَبُو صَفْوَانَ: قَدِمَ عَلَينا مُعَاوِيةُ وَعَبْدُ الْوَهَّابِ ابْنَا عَبْدِ الْمَجِيدِ، وَكَانَا يُلَطِّفَانِ سُفيانَ، وَيهْدِيانِ إِلَيهِ قَالَ: فَرَأَيتُ سُفْيانَ يوْمًا فِي الْحَنَّاطِينَ، فَقَالَ: «إِنَّ ابْنَي عَمَّتِكَ هَذَينِ أَلْطَفَانِي، وَأَكْثَرا مِنَ اللُّطْفِ، وَقَدْ ذَهَبْتُ إِلَى صَاحِبِ بِضَاعَتِي، فَأَخَذْتُ دِينَارَينِ أُرِيدُ أَنْ أَشْتَرِي بِهِمَا لَهُمَا حِنْطَةً، فَأُهْدِيهِمَا لَهُمَا، فَاشْتَرَى لَهُمَا حِنْطَةً، وَأَهْدَاهَا إِلَيهِمَا».

۞ وروى دَاوُدُ بْنُ يحيى، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: «صَعِدَ سُفْيانُ الثَّوْرِي يؤَذِّنُ الْعَصْرَ وَتَرَكَ نَعْلَيهِ فِي الْمِحْرَابِ، فَأَشْرَفَ يؤَذِّنُ فَرَأَى ابْنَ عَمٍّ لَهُ قَدْ أَخَذَ نَعْلَيهِ، فَلَمَّا صَلَّى أَرْسَلَ إِلَيهِ بِعَشَرَةِ دَرَاهِمَ»[١] خوفًا من أن يكون أخذها محتاجًا إليها.

بدون تعليق

۞ وتالله .. لا أجد تعليقًا على هذه القصة التي تعكس لنا صورة حية من أدب وتواضع الإمام سفيان الثوري رَحِمَهُ اللهُ:

قَالَ أَحْمَدُ بنُ عَبْدِ اللهِ العِجْلِي: آجَرَ سُفْيانُ نَفْسَه مِنْ جَمَّالٍ إِلَى مَكَّةَ فأمروه يعمل لهم خبزة فلم تجيء جَيدَةً فَضَرَبَهُ الجَمَّالُ فَلَمَّا قَدِمُوا مَكَّةَ دَخَلَ الجَمَّالُ فَإِذَا سُفْيانُ قَدِ اجْتَمَعَ حَوْلَهُ النَّاسُ. فسأل؟ فقالوا: هذا سفيان الثَّوْرِي فَلَمَّا انْفَضَّ عَنْهُ النَّاسُ تَقَدَّمَ الجمَّالُ إِلَيهِ، وَقَالَ: لَمْ نَعْرِفْكَ يا أَبَا عَبْدِ اللهِ. قَالَ: مَنْ يُفسِدُ طَعَامَ النَّاسِ يصِيبُهُ أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ[٢].

---

(١) الحلية (٧/ ٥٩).

(٢) السير (٧/ ٢٧٥-٢٧٦).

قصة الثوري ومَجمع التيمي

۞ قَالَ حَفْصُ بْنُ غِيَاثٍ: دَخَلَ سُفْيَانُ الثَّوْرِى عَلَى مجمع التَّيمِى قَالَ: فَإِذَا فِى إِزَارِ سُفْيَانَ خَرْقٌ، قَالَ فَأَخَذَ أَرْبَعَةَ دَرَاهِمَ فَنَاوَلَ سُفْيَانَ فَقَالَ: اشْتَرِ إِزَارًا، قَالَ سُفْيَانُ: لَا أَحْتَاجُ إِلَيهَا، قَالَ مجمعٌ: صَدَقْتَ أَنْتَ لَا تَحْتَاجُ وَلَكِنْ أَنَا أَحْتَاجُ قَالَ: فَأَخَذَهَا فَاشْتَرَى بِهَا إِزَارًا قَالَ: فَكَانَ سُفْيَانُ يقُولُ: كَسَانِى مجمعٌ جَزَاهُ اللهُ خَيرًا، وَقَالَ سُفْيَانُ: لَيسَ شَىءٌ مِنْ عِلْمِى أَرْجُو أَنْ لَا يشُوبَهُ شَىءٌ كَحُبِّى مجمعًا التَّيمِى[1].

ذاكرة الثوري

۞ قال زائدة: كنا نأتى الأعمش فنكتب عنه، ثم نأتى سفيان فنعرض عليه، فيقول لبعضها: ليس هذا من حديث الأعمش، فنقول إنما حَدَّثَنَاه الآن فيقول: اذهبوا إليه فقولوا له، فنذهب إليه فنقول له، فيقول: صدق سفيان، فمحاه[2].

۞ وروى الأشجعى قال: دخلت مع سفيان الثورى على هشام بن عروة، فجعل سفيان يسأل وهشام يحدثه فلما فرغ قال: أُعيدها عليك؟ قال: نعم، فأعادها عليه، ثم خرج سفيان وأذن لأصحاب الحديث، وتخلفت معهم، فجعلوا إذا سألوه أرادوا الإملاء فيقول: احفظوا كما حفظ صاحبكم، فيقولون لا نقدر أن نحفظ كما حفظ صاحبنا[3].

(١) الزهد/ لابن حنبل (ص/ ٤٥٥).
(٢) تاريخ بغداد (٩/ ١٦٧).
(٣) تاريخ بغداد(٩/ ١٦٥).

العالِم يخاف على كتبه

۞ عن عبد الله الحارثى، قال: خاف سفيان شيئًا فطرح كتبه، فلما آمن[١] أرسل إلىَّ وإلى يزيد بن توبة المرهبى، فجعلنا نُخرجها، فأقول:

يا أبا عبد الله وفى الركاز الخُمس، وهو يضحك، فأخرجنا تسع قمطرات، كل واحدة إلى هاهنا، وأشار إلى أسفل من ثدييه.

قال: فقلت له اعرض لى كتابًا تُحَدِّثَنِى به، فعزل لى كتابا فحَدَّثَنِى به[٢].

إعانة الملك (جل وعلا) لطالب العلم

۞ عن دَاوُدَ بْنِ يحيى بْنِ يمَانٍ، سَمِعْتُ أَبِى يقُولُ: قَالَ الثَّوْرِى: لَمَّا هَمَمْتُ بِطَلَبِ الْحَدِيثِ، وَرَأَيتُ الْعِلْمَ يدْرَسُ، قُلْتُ أى رَبِّ إِنَّهُ لا بدّ لى من مَعِيشَةٍ، فَاكْفِنِى أَمَرَ الرِّزْقِ وَفرِّغْنِى لِطَلَبِهِ، فتَشَاغَلْتُ بِالطَّلَبِ، فَلَمْ أَرَ إِلا خَيرًا إِلَى يوْمِى هَذَا[٣].

---

(١) أى: شعر بالأمان.

(٢) تاريخ بغداد (٩/ ١٦١).

(٣) أخرجه أبو نعيم فى الحلية (٦/ ٢٧١).

الثوري .. والقائد الضرير

۞ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُصْعَبٍ، قَالَ:
كَانَ رَجُلٌ ضَرِيرٌ يجَالِسُ سُفْيانَ الثَّوْرِى ، فَإِذَا كَانَ شَهْرُ رَمَضَانَ يخْرُجُ إِلَى السَّوَادِ فيصَلَّى بِالنَّاسِ فَيُكْسَى وَيُعْطَى.
فَقَالَ سُفْيانُ: إِذَا كَانَ يوْمُ الْقِيامَةِ أُثِيبَ أَهْلُ الْقُرْآنِ مِنْ قِرَاءَتِهِمْ وَيقَالُ لِمِثْلِ هَذَا: قَدْ تَعَجَّلْتَ ثَوَابَكَ فِى الدُّنْيا ، فقَالَ: يا أَبَا عَبْدِ اللهِ ، تَقُولُ لِى هَذَا وَأَنَا جَلِيسُكَ؟ قَالَ: أَخَافُ أَنْ يُقَالَ لِى يوْمَ الْقِيامَةِ: كَانَ هَذَا جَلِيسَكَ ، أَفَلَا نَصَحْتَهُ[(١)] .

اعملوا ولا تكونوا عالة على الناس

۞ روى عَطَاءَ بْنَ مُسْلِمِ الْخَفَّافُ، يقُولُ: سَمِعْتُ سُفْيانَ الثَّوْرِى، يقُولُ: قَدِمْتُ الْبَصْرَةَ فَجَلَسْتُ إِلَى يوسُفَ بْنِ عُبَيدٍ فَإِذَا فتيَانِ كَأَنَ عَلَى رُءُوسِهِمُ الطَّيرُ فَقُلْتُ: يا مَعْشَرَ الْقُرَّاءِ، ارْفَعُوا رُءُوسَكُمْ فَقَدْ وَضَحَ الطَّرِيقُ، وَاعْمَلُوا وَلَا تَكُونُوا عَالَةً عَلَى النَّاسِ فَرَفَعَ يونُسُ رَأْسَهُ إِلَيهِمْ، فَقَالَ: قُومُوا فَلَا أَعَلْمَنَّ أَحَدًا مِنْكُمْ جَالَسَنِى حَتَّى يكْسِبَ مَعَاشَهُ مِنْ وَجْهِهِ فَتَفَرَّقُوا.
قَالَ سُفْيانُ: فَوَاللهِ مَا رَأَيتُهُمْ عِنْدَهُ بعدُ[(٢)] .

---

(١) حلية الأولياء (٧/ ١٦).
(٢) الحلية (٦/ ٣٨٢).

سلوا الله العافية

۞ قَالَ وَهْبُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ:

كُنَّا يوْمًا عِنْدَ سُفْيانَ فَمَرَّ رَجُلٌ مِنْ هَؤُلَاءِ الْجُنْدِ فَجَعَلَ سُفْيانُ ينْظُرُ إِلَيهِ وَينْظُرُ إِلَينَا، ثُمَّ قَالَ: يمُرُّ بِكُمُ الْمُبْتَلَى وَالْمَكْفُوفُ وَالزَّمْنَى الَّذِينَ يؤْجَرُونَ عَلَى بَلَائِهِمْ فَتَسْأَلُونَ اللهَ الْعَافِيةَ وَيمُرُّ بِكُمْ هَؤُلَاءِ فَلَا تُسْأَلُونَ اللهَ الْعَافِيةَ؟![1]

ما بقي في الأرض من يُستحيى منه غير هذا

۞ روى شعيب بن حرب، فقال: كان سفيان الثورى، وسليمان الخواص بمِنى، فقال: امضِ بنا إلى هذا - يعنى الخليفة - حتى نأمره.

فدخل سفيان، فقال له: أُدنه. فقال: لا أطأ على ما لا تملك!

قال: يا غلام، أدرج، فأدرج البساط، فقال له سفيان: كم أنفقت فى حجتك؟

قال: لا أدرى، فقال سفيان: أنفقت الأموال، وأجحفت ببيت المال!

فقال الخليفة: شططت،... تُكلم أمير المؤمنين بمثل هذا؟

فقال له سفيان: اسكت، ما أهلك فرعون إلا هامان.

فلما ولَّى سفيان، قال الحاجب: يا أمير المؤمنين، ائذن لى أن أضرب عنقه.

فقال له: اسكت، ما بقى على وجه الأرض من يُستحيى منه غير هذا[2].

---

(١) الحلية (٦/ ٣٨٧).

(٢) الورع/ لابن حنبل (ص ٩٥).

ستُسأل عمَّا جرى على يديك

۞ قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الْحَوَارِي:

مَرَّ شَيخٌ مِنَ الْكُوفِيينَ كَانَ كَاتِبًا لِسُفْيانَ الثَّوْرِي فقَالَ لَهُ سُفْيانُ: يا شَيخُ وَلِي فُلَانٌ فكَتَبْتَ لَهُ، ثُمَّ عُزِلَ وَوَلِي فُلَانٌ فكَتَبْتَ لَهُ ثُمَّ عُزِلَ وَوَلِي فُلَانٌ فَكَتَبْتَ لَهُ وَأَنْتَ يوْمَ الْقِيامَةِ أَسْوَأُهُمْ حالًا، يُدْعَى بِالْأَوَّلِ فيُسْأَلُ وَيُدْعَى بِكَ فَتُسْأَلُ مَعَهُ عَمَّا جَرَى عَلَى يدِكَ لَهُ، ثُمَّ يذْهَبُ وَتُوقَفُ أَنْتَ حَتَّى يُدْعَى بِالْآخَرِ فَيُسْأَلُ وَتُسْأَلُ أَنْتَ عَمَّا جَرَى عَلَى يدِكَ لَهُ، ثُمَّ يذْهَبُ وَتُوقَفُ أَنْتَ حَتَّى يُدْعَى بِالْآخرِ فَأَنْتَ يوْمَ الْقِيامَةِ أَسْوَأُهُمْ حالًا، قَالَ: فَقَالَ الشَّيخُ: فَكَيفَ أَصْنَعُ يا أَبَا عَبْدِ اللهِ بِعِيالِي؟ فقَالَ سُفْيانُ: اسْمَعُوا هَذَا يقُولُ: أَنَّهُ إِذَا عَصَى اللهَ رُزِقَ عِيالُهُ، وَإِذَا أَطَاعَ اللهَ ضُيعَ عِيالُهُ، قَالَ: ثُمَّ قَالَ سُفْيانُ: لَا تَقْتَدُوا بِصَاحِبِ عِيالٍ فَمَا كَانَ عُذْرُ مَنْ عُوتِبَ إِلَّا أَنْ قَالَ عِيالِي[1].

---

(١) الحلية (٦/ ٣٨٠-٣٨١).

ثلاث خصال لمن يأمر بالمعروف

۞ دخل رجلٌ على سفيان، فَقَالَ: مَنْ أَدْخَلَ هَذَا؟ قُلْتُ: إنَّمَا دَخَلْتُ إلَى الطَّبِيبِ لِأُخْبِرَهُ بِدَائِي، فَانْتَفَضَ سُفْيانُ. وَقَالَ:

إنَّمَا هَلَكْنَا إذْ نَحْنُ سُقْمَى، وَنُسَمَّى أَطِبَّاءَ، ثُمَّ قَالَ: لَا يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا يَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ إلَّا مَنْ كُنَّ فِيهِ خِصَالٌ ثَلَاثٌ: رَفِيقٌ بِمَا يأْمُرُ، رَفِيقٌ بِمَا يَنْهَى عَدْلٌ بِمَا يأْمُرُ، عَدْلٌ بِمَا يَنْهَى، عَالِمٌ بِمَا يأْمُرُ، عَالِمٌ بِمَا يَنْهَى [1].

احتسبيه عند الله

۞ قَالَ إبْرَاهِيمُ بْنُ سُلَيمَانَ الزَّيات:

كُنَّا عِنْدَ سُفْيانَ الثَّوْرِي فَجَاءَتِ امْرَأَةٌ فَشَكَتْ إلَيهِ ابْنَهَا، وَقَالَتْ: يا أَبَا عَبْدِ اللهِ أَجِيئُكَ بِهِ تَعِظُهُ؟ فَقَالَ: «نَعَمْ جِيئِي بِهِ»، فَجَاءَتْ بِهِ، فَوَعَظَهُ سُفْيانُ بِمَا شَاءَ اللهُ، فَانْصَرَفَ الْفَتَى فَعَادَتِ الْمَرْأَةُ بَعْدَ مَا شَاءَ اللهُ، فَقَالَتْ: جَزَاكَ اللهُ خَيرًا يا أَبَا عَبْدِ اللهِ ... وَذَكَرَتْ بَعْضَ مَا تُحِبُّ مِنْ أَمْرِ ابْنِهَا، ثُمَّ جَاءَتْ بَعْدَ حِينٍ فَقَالَتْ: يا أَبَا عَبْدِ اللهِ، ابْنِي مَا ينَامُ اللَّيلَ وَيصُومُ النَّهَارَ، وَلَا يأْكُلُ وَلَا يشْرَبُ، فَقَالَ: «وَيحَكِ مِمَّ ذَاكَ؟» قَالَتْ: يطْلُبُ الْحَدِيثَ. فَقَالَ: «احْتَسِبِيهِ عِنْدَ اللهِ» [2].

(١) الورع (ص/ ١٥٥) لابن حنبل.

(٢) حلية الأولياء (٧/ ٦٦).

سُفيان الثوري .. وماء زمزم

۞ قَالَ شَيخٌ، مِنْ أَهْلِ هَرَاةَ يقَالُ لَهُ عَبْدُ اللهِ الْهَرَوِى - رَجُلُ صِدْقٍ -:
دَخَلْتُ زَمْزَمَ فِى السَّحَرِ، فَإِذَا بِشَيخٍ ينزِعُ الدَّلْوَ الَّذِى يلِى الرُّكْنَ، فَلَمَّا شَرِبَ أَدْخَلَ الدَّلْوَ، فَأَخَذْتُهُ فَشَرِبْتُ فَضْلَهُ، فَإِذَا هُوَ سَوِيقُ لَوْزٍ لَمْ أَذُقْ سَوِيقَ لَوْزٍ أَطْيبَ مِنْهُ، فَلَمَّا كَانَ فِى الْقَابِلَةِ رَصَدْتُهُ، فَلَمَّا كَانَ فِى ذَلِكَ الْوَقْتِ دَخَلَ فَسَدَلَ ثَوْبَهُ عَلَى وَجْهِهِ فَنَزَعَ بِالدَّلْوِ مِمَّا يلِى الرُّكْنَ ثُمَّ شَرِبَ وَأَدْخَلَ الدَّلْوَ، فَأَخَذْتُ فَضْلَهُ، فَشَرِبْتُ فَإِذَا مَاءٌ مَضْرُوبٌ بِعَسَلٍ لَمْ أَشْرَبْ عَسَلًا قَطُّ أَطْيبَ مِنْهُ، قَالَ: فَأَرَدْتُ أَنْ آخُذَ بِطَرَفِ ثَوْبِهِ أَنْظُرُ مَنْ هُوَ فَفَاتَنِى، فَلَمَّا كَانَتِ اللَّيلَةُ الثَّالِثَةُ قَعَدْتُ قُبَالَةَ بَابِ زَمْزَمَ، فَلَمَّا كَانَ فِى ذَلِكَ الْوَقْتِ دَخَلَ قَدْ سَدَلَ ثَوْبَهُ عَلَى وَجْهِهِ، فَدَخَلْتُ فَأَخَذْتُ بِطَرَفِ ثَوْبِهِ، فَلَمَّا شَرِبَ مِنَ الدَّلْوِ أَرْسَلَهُ، قُلْتُ: يا هَذَا، أَسْأَلُكَ بِرَبِّ هَذِهِ الْبِنْيةِ، -أى: الكعبة- مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ:

«تَكْتُمْ عَلَيَّ حَتَّى أَمُوتَ؟» قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «أَنَا سُفْيانُ بْنُ سَعِيدٍ»، فَأَرْسَلْتُهُ، وَشَرِبْتُ مِنَ الدَّلْوِ، فَإِذَا لَبَنٌ مَضْرُوبٌ بِسُكَّرٍ لَمْ أَرَ لَبَنًا قَطُّ أَطْيبَ مِنْهُ، قَالَ: وَكَانَتِ الشَّرْبَةُ تَكْفِينِى إِذَا شَرِبْتُهَا إِلَى مِثْلِهَا، لَا أَجِدُ جُوعًا وَلَا عَطَشًا[1].

---

(١) حلية الأولياء (٧/ ٧٣).

شيبان والثورى في مواجهة الأسد

۞ عن زَيْدُ بْنُ أَبِى الزَّرْقَاءِ، قَالَ:

سَمِعْتُ الثَّوْرِيَّ، يَقُولُ: خَرَجْتُ حَاجًّا أَنَا وَشَيْبَانُ الرَّاعِى، مُشَاةً ، فَلَمَّا صِرْنَا بِبَعْضِ الطَّرِيقِ إِذَا نَحْنُ بِأَسَدٍ قَدْ عَارَضَنَا ، فَقُلْتُ لِشَيْبَانَ: أَمَا تَرَى هَذَا الْكَلْبَ قَدْ عَرَضَ لَنَا؟ فَقَالَ لِى: لَا تَخَفْ يَا سُفْيَانُ ، ثُمَّ صَاحَ بِالْأَسَدِ فَبَصْبَصَ[1] وَضَرَبَ بِذَنَبِهِ مِثْلَ الْكَلْبِ ، فَأَخَذَ شَيْبَانُ بِأُذُنِهِ فَعَرَكَهَا ، فَقُلْتُ لَهُ: «مَا هَذِهِ الشُّهْرَةُ؟» فَقَالَ لِى: وَأَىُّ شُهْرَةٍ تَرَى يَا ثَوْرِيُّ؟ لَوْلَا كَرَاهِيَةُ الشُّهْرَةِ مَا حَمَلْتُ زَادِى إِلَى مَكَّةَ إِلَّا عَلَى ظَهْرِهِ[2]. -أى: على ظهر الأسد-.

روشتة سفيان الثورى

أهدى إليك أيها الأخ الحبيب تلك الروشتة من صيدلية الإمام الجليل سفيان الثورى رحمه الله فقد جاءه رجل يشكو إليه أنه مريض بمرض البعد عن الله، فقال له سفيان الثورى: يا هذا عليك بعروق الإخلاص وورق الصبر وعصير التواضع،... ضع هذا كله فى إناء التقوى، وصُبَّ عليه ماء الخشية، وأوقد عليه نار الحزن على المعصية، وصفِّه بمصفاة المراقبة لله وتناوله بكف الصدق، واشربه من كأس الاستغفار وتمضمض بالورع وابعد عن الحرص والطمع يُشفَى مرض قلبك بإذن الله.

(١) البصبصة: تحريك ذَنَبه طمعًا أو خوفًا.

(٢) حلية الأولياء (٧/ ٦٨-٦٩).

تصديق النبي ﷺ للثوري في المنام

۞ قَالَ يَزِيدُ بْنُ أَبِي حَكِيمٍ:

رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي الْمَنَامِ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ رَجُلٌ مِنْ أُمَّتِكَ يُقَالُ لَهُ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ لَا بَأْسَ بِهِ،... فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «نَعَمْ لَا بَأْسَ بِهِ» فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّهُ حَدَّثَنَا عَنْكَ أَنَّكَ رَأَيْتَ يُوسُفَ النَّبِيَّ عليه السلام فِي السَّمَاءِ حِينَ أُسْرِيَ بِكَ فَقَالَ: «صَدَقَ»[١].

هكذا يُنجي الله الصالحين

۞ قَالَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ:

«بَعَثَ أَبُو جَعْفَرٍ الْخَشَّابِينَ حِينَ خَرَجَ إِلَى مَكَّةَ، فَقَالَ: إِنْ رَأَيْتُمْ سُفْيَانَ الثَّوْرِيَّ فَاصْلُبُوهُ قَالَ: فَجَاءَ النَّجَّارُونَ فَنَصَبُوا الْخَشَبَ، وَنُودِيَ سُفْيَانُ، وَإِذَا رَأْسُهُ فِي حِجْرِ فُضَيْلِ بْنِ عِيَاضٍ، وَرِجْلَاهُ فِي حِجْرِ ابْنِ عُيَيْنَةَ، فَقَالُوا لَهُ: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ، اتَّقِ اللهَ وَلَا تُشَمِّتْ بِنَا الْأَعْدَاءَ، قَالَ: فَتَقَدَّمَ إِلَى الْأَسْتَارِ -أي: أستار الكعبة- ثُمَّ دَخَلَهُ ثُمَّ أَخَذَهُ وَقَالَ: «بَرِئَتْ مِنْهُ إِنْ دَخَلَهَا أَبُو جَعْفَرٍ»، قَالَ: فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ مَكَّةَ، فَأُخْبِرَ بِذَلِكَ سُفْيَانُ فَلَمْ يَقُلْ شَيْئًا[٢].

---

(١) الحلية (٦/ ٣٨٣).

(٢) الحلية (٧/ ٤٢).

إلى متى تطلب العلم؟

۞ كانوا يسألون الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللهُ ويقولون له: إلى متى تطلب العلم؟ .. فكان يقول: مع المحبرة إلى المقبرة.

۞ وهكذا كان أهل العلم من سلفنا الصالح ينشغلون بطلب العلم حتى آخر لحظة في حياتهم.

۞ قال فرقد إمام مسجد البصرة:

دَخَلُوا عَلَى سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، فَحَدَّثَهُ رَجُلٌ بِحَدِيثٍ، فَأَعْجَبَهُ وَضَرَبَ يَدَهُ إِلَى تَحْتِ فِرَاشِهِ، فَأَخْرَجَ أَلْوَاحًا لَهُ فَكَتَبَ ذَلِكَ الْحَدِيثَ، فَقَالُوا لَهُ: عَلَى هَذِهِ الْحَالِ مِنْكَ؟

فَقَالَ: «إِنَّهُ حَسَنٌ، إِنْ بَقِيتُ فَقَدْ سَمِعْتُ حَسَنًا، وَإِنْ مُتُّ فَقَدْ كَتَبْتُ حَسَنًا» (١).

---

(١) حلية الأولياء (٧/ ٦٤).

شغله ذكر الآخرة عن كل شيء

۞ عَنْ يُوْسُفَ بنِ أَسْبَاطٍ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ:

قَالَ لِي سُفْيَانُ بَعْدَ العِشَاءِ: نَاوِلْنِي المِطْهَرَةَ -الإناءالذى يتوضأ به- أَتَوَضَّأْ. فَنَاوَلْتُهُ فأخذها بيمينه، ووضع يساره عَلَى خَدِّهِ فَبَقِيَ مُفَكِّرًا، وَنِمْتُ ثُمَّ قُمْتُ، وَقْتَ الفَجْرِ فَإِذَا المِطْهَرَةُ فِي يَدِهِ كَمَا هِيَ فَقُلْتُ: هَذَا الفَجْرُ قَدْ طَلَعَ فَقَالَ: لَمْ أَزَلْ مُنْذُ نَاوَلْتَنِي المِطْهَرَةَ أَتفكَّرُ فِي الآخِرَةِ، حَتَّى السَّاعَةَ(١).

اذكر وقوفك بين يدي الله (جل وعلا)

۞ رُوِيَ أَنَّ رَجُلًا، كَانَ يَتْبَعُ سُفْيَانَ الثَّوْرِيَّ فَيَجِدُهُ أَبَدًا يُخْرِجُ مِنْ لَبِنَةٍ رُقْعَةً يَنْظُرُ فِيهَا، فَأَحَبَّ أَنْ يَعْلَمَ مَا فِيهَا، فَوَقَعَ فِي يَدِهِ الرُّقْعَةُ، فَإِذَا فِيهَا مَكْتُوبٌ: سُفْيَانُ، اذْكُرْ وُقُوفَكَ بَيْنَ يَدَيِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ(٢).

(١)الحلية (٧/ ٥٣)، سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٤١).

(٢)الحلية (٧/ ١٥).

ما ضَرَّ من كانت الفردوس مسكنه

۞ عن سَالِم الْخَوَّاص، قَالَ:

قَالَ رَجُلٌ لِسُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ إِنَّ فِيكَ لَعَجَبًا، قَالَ: يَا ابْنَ أَخِي مَا الَّذِي بَانَ لَكَ مِنِّي حَتَّى عَجِبْتَ؟.. قَالَ: تَنَقُّلُكَ مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ، إِنَّ لِلنَّاسِ مَأْوًى، وَلِلسَّبْعِ مَأْوًى، وَمَا لَكَ مَأْوًى تَأْوِي إِلَيْهِ!

فَقَالَ لَهُ سُفْيَانُ: أَيُّ رَجُلٍ كَانَ الْمُغِيرَةُ بْنُ مِقْسَمٍ الضَّبِّيُّ؟ قَالَ: رَجُلٌ صَالِحٌ إِنْ شَاءَ اللهُ ... قَالَ: وَأَيُّ الرِّجَالِ كَانَ إِبْرَاهِيمُ النَّخَعِيُّ؟ قَالَ: بَخٍ بَخٍ، قَالَ: فَأَيُّ الرِّجَالِ كَانَ عَلْقَمَةُ؟ قَالَ: لَا تَسْأَلْ، قَالَ: فَأَيُّ الرِّجَالِ كَانَ عَبْدُ اللهِ ابْنُ مَسْعُودٍ؟ قَالَ: الثِّقَةُ الصَّدُوقُ، فَقَالَ سُفْيَانُ: حَدَّثَنَا الْمُغِيرَةُ بْنُ مِقْسَمٍ، عَنِ ابْرَاهِيمَ، عَنْ عَلْقَمَةَ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: اقْتَحَمَ عَلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ نُورٌ فِي قِبَابِهِمْ كَادَ أَنْ يَخْطَفَ نُورُهُ أَبْصَارَ الْقَوْمِ فَإِذَا نُورُ سِنِّ حَوْرَاءَ ضَحِكَتْ فِي وَجْهِ وَلِيِّهَا فَمَا كُنْتُ أَدَعُ هَذَا الْخَيْرَ أَبَدًا لِقَوْلِكَ ... ثُمَّ أَنْشَأَ سُفْيَانُ يَقُولُ:

مَا ضَرَّ مَنْ كَانَتِ الْفِرْدَوْسُ مَسْكَنُهُ ... مَاذَا تَجَرَّعَ مِنْ بُؤْسٍ وَإِقْتَارِ

تَرَاهُ يَمْشِي كَئِيبًا خَائِفًا وَجِلًا ... إِلَى الْمَسَاجِدِ يَمْشِي بَيْنَ أَطْمَارِ

ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى نَفْسِهِ فَقَالَ:

يَا نَفْسُ مَا لَكِ مِنْ صَبْرٍ عَلَى النَّارِ ... قَدْ حَانَ أَنْ تُقْبِلِي مِنْ بَعْدِ إِدْبَارِ[1]

---

(١) حلية الأولياء (٦/ ٣٧٤).

احذر هذا المصرع

۞ عَنِ ابْنِ مَهْدِيٍّ، قَالَ:

نَزَلَ عِنْدَنَا سُفْيَانُ، وَقَدْ كُنَّا نَنَامُ أَكْثَرَ اللَّيْلِ، فَلَمَّا نَزَلَ عِنْدَنَا، مَا كُنَّا نَنَامُ إلاَّ أَقَلَّهُ، وَلَمَّا مَرِضَ بِالبَطْنِ، كُنْتُ أَخدِمُه، وَأَدَعُ الجَمَاعَةَ، فَسَأَلْتُهُ، فَقَالَ: خِدمَةُ مُسْلِمٍ سَاعَةً، أَفْضَلُ مِنْ صَلاَةِ الجَمَاعَةِ.

فَقُلْتُ: مِمَّنْ سَمِعْتَ هَذَا؟

قَالَ: حَدَّثَنِى عَاصِمُ بنُ عُبَيْدِ اللهِ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ عَامِرِ بنِ رَبِيْعَةَ، عَنْ أَبِيْهِ قَالَ: لأَنْ أَخْدُمَ رَجُلًا مِنَ المُسْلِمِيْنَ عَلَى عِلَّةٍ يَوْمًا وَاحِدًا، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ صَلاَةِ الجَمَاعَةِ سِتِّيْنَ عَامًا، لَمْ يَفُتْنِى فِيْهَا التَّكْبِيْرَةُ الأُوْلَى.

قَالَ: فَضجَّ سُفْيَانُ لَمَّا طَالتْ عِلَّتُهُ، فَقَالَ: يَا مَوْتُ، يَا مَوْتُ.

ثُمَّ قَالَ: لاَ أَتَمَنَّاهُ، وَلاَ أَدْعُو بِهِ.

فَلَمَّا احْتُضِرَ، بَكَى وَجَزِعَ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ! مَا هَذَا البُكَاءُ؟

قَالَ: يَا عَبْدَ الرَّحمَنِ! لِشِدَّةِ مَا نَزَلَ بِى مِنَ المَوْتِ.. المَوْتُ -وَاللهِ- شَدِيْدٌ. فَمَسِسْتُهُ، فَإِذَا هُوَ يَقُوْلُ: رُوْحُ المُؤْمِنِيْنَ تَخْرُجُ رَشحًا، فَأَنَا أَرْجُو.

ثُمَّ قَالَ: اللهُ أَرْحَمُ مِنَ الوَالِدَةِ الشَّفِيْقَةِ الرَّفِيْقَةِ، إِنَّهُ جَوادٌ كَرِيْمٌ، وَكَيْفَ لِى أَنْ أُحِبَّ لِقَاءَهُ، وَأَنَا أَكرَهُ المَوْتَ. فَبَكَيتُ حَتَّى كِدْتُ أَنْ أَخْتَنِقَ، أُخْفِى بُكَائِى عَنْهُ، وَجَعَلَ يَقُوْلُ: أَوَّه ....، أَوَّهُ مِنَ المَوْتِ.

قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: فَمَا سَمِعْتُهُ يَقُوْلُ: أَوَّه، وَلاَ يَئِنُّ إلاَّ عِنْدَ ذَهَابِ عَقْلِهِ. ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِرَسُوْلِ رَبِّى. ثُمَّ أُغْمِىَ عَلَيْهِ، ثُمَّ أُسْكِتَ حَتَّى أَحْدَثَ، ثُمَّ أُغْمِىَ عَلَيْهِ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُ قَدْ قَضَى -مات-، ثُمَّ أَفَاقَ.

فَقَالَ: يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ! اذْهبْ إِلَى حَمَّادِ بنِ سَلَمَةَ، فَادْعُهُ لِى، فَإِنِّى أُحِبُّ أَنْ يَحْضُرَنِى.

وَقَالَ: لَقِّنِّى قَوْلَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، فَجَعَلتُ أُلَقِّنُهُ.

قَالَ: وَجَاءَ حَمَّادٌ مُسْرِعًا حَافِيًا، مَا عَلَيْهِ إِلاَّ إِزَارٌ، فَدَخَلَ وَقَدْ أُغْمِىَ عَلَيْهِ، فَقَبَّلَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَقَالَ: بَارَكَ اللهُ فِيْكَ يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ. فَفَتَحَ عَيْنَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: أَىْ أَخِى، مَرْحَبًا.

ثُمَّ قَالَ: يَا حَمَّادُ! خُذْ حِذْرَكَ، وَاحْذَرْ هَذَا المَصْرَعَ[١].

القبر أول منازل الآخرة

۞ عن هانئ مولى عثمان، قال: كان عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته، فقيل له: تذكر الجنة والنار فلا تبكى، وتبكى من هذا؟ فقال: إن رسول الله ﷺ قال: «**إن القبر أول منازل الآخرة، فإن نجا منه صاحبه فما بعده أيسر منه، وإن لم ينجُ منه فما بعده أشد منه**»[٢].

قال: وقال رسول الله ﷺ: «**ما رأيت منظرًا قط إلا والقبر أفظع منه**»[٣].

لمثل هذا اليوم فأعدوا

۞ عن البراء بن عازب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: بينا نحن مع رسول الله ﷺ، إذ بصر بجماعة، فقال: «**علام اجتمع هؤلاء؟**» قيل: على قبر يحفرونه. قال: ففزع

(١) سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٥٠-٢٥١).

(٢) حسن: رواه الترمذى، وابن ماجه، والحاكم عن عثمان وحسنه الشيخ الألبانى فى صحيح الجامع (١٦٨٤).

(٣) حسن: رواه الترمذى، وابن ماجه والحاكم عن أبى هريرة وحسنه الشيخ الألبانى فى صحيح الجامع (٥٦٢٣).

رسول الله ﷺ فبدّى بين يدى أصحابه مُسرعًا، حتى انتهى إلى القبر فجثى عليه، قال: فاستقبلته من بين يديه لأنظر ما يصنع، فبكى حتى بَلَّ الثرى من دموعه، ثم أقبل علينا فقال: «**أى إخوانى لمثل هذا اليوم فأعدوا**»(١).

وقال ﷺ: «**زوروا القبور فإنها تذكركم الآخرة**»(٢).

وقال ﷺ: «**كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها فإنها تُرق القلب وتُدمع العين وتذكر الآخرة....**»(٣).

۞ قال سفيان الثورى: «من أكثر ذكر القبر وجده روضة من رياض الجنة ومن غفل عنه وجده حفرة من حفر النار».

---

(١) رواه أحمد، وابن ماجه عن البراء وحسنه الشيخ الألبانى فى صحيح الجامع (٢٦٥٩).

(٢) رواه ابن ماجه عن أبى هريرة وصححه الشيخ الألبانى فى صحيح الجامع (٣٥٧٧).

(٣) رواه الحاكم عن أنس وصححه الشيخ الألبانى فى صحيح الجامع (٤٥٨٤).

هذا هو سفيان الثوري

۞ عن عبد الله بن محمد بن أيوب المخرمي قال: سمعت يزيد بن هارون: يقول: أُخِذ العلم عن سفيان الثورى، وهو ابن ثلاثين سنة.

۞ وعن يحيى بن أيوب المقابرى قال: سمعت على بن ثابت قال: لو لقيت سفيان فى طريق مكة ومعك فلسان تريد أن تتصدق بهما وأنت لا تعرف سفيان، ظننت أنك ستضعهما فى يده. وما رأيت سفيان فى صدر المجلس قط، إنما كان يقعد إلى جانب الحائط، ويستند إلى الحائط ويجمع بين ركبتيه.

۞ وعن أبى يزيد محمد بن حسان قال: وكان عبد الرحمن بن مهدى يقول: ما عاشرت فى الناس رجلًا أرقّ من سفيان، وكنت أرمقه الليلة بعد الليلة، فما كان ينام إلا أول الليل، ثم ينتفض فزعًا مرعوبًا ينادى: النار النار شغلنى ذكر النار عن النوم والشهوات، ثم يتوضأ ويقول على إثر وضوئه: اللهم إنك عالم بحاجتى غير مُعلَّم، وما أطلب إلا فكاك رقبتى من النار إلهى إنه الجزع قد أرَّقنى وذلك من نعمك السابغة علىَّ، إلهى لو كان لى عذر فى التخلى ما أقمت مع الناس طرفة عين، ثم يُقبل على صلاته، وكان البكاء يمنعه من القراءة حتى إن كنت لا أستطيع سماع قراءته من كثرة بكائه، وما كنت أقدر أن أنظر إليه استحياءً وهيبة منه.

۞ وعن على بن حمزة، (ابن أخت سفيان) قال : ذهبت ببول سفيان إلى الديرانى، وكان لا يخرج من باب الدير، فأريته، فقال: ليس هذا بول حنيفى. قلت: بلى والله من أفضلهم. فقال: أنا أجىء معك، فقلت لسفيان: قد جاء بنفسه. فقال: أدخله. فأدخلته فمسَّ وجسَّ عرقه ثم خرج، فقلت:

أىّ شىء رأيت؟ قال: ما ظننت أن فى الحنيفية مثل هذا، هذا رجل قد قطع الحزن كبده.

۞ وعن عبد الرحمن بن مهدى قال: بات سفيان عندى، فلما اشتد به الأمر جعل يبكى، فقال له رجل: يا أبا عبد الله أراك كثير الذنوب، فرفع شيئًا من الأرض فقال:والله لذنوبى أهون عندى من ذا، إنى أخاف أن أُسلب الإيمان قبل أن أموت.

۞ وعن ابن أبجر قال: لما حضرت سفيان الوفاة قال: يا ابن أبجر قد نزل بى ما قد ترى فانظر مَن يَحضرنى، فأتيته بقوم فيهم حماد بن سلمة، وكان حماد من أقربهم إلى رأسه. قال: فتنفس سفيان، فقال له حماد:أبشر فقد نجوت مما كنت تخاف، وتَقْدُم على ربٍّ كريم قال: فقال: يا أبا سلمة أترى أن الله يغفر لمثلى؟ قال: إى والله الذى لا إله إلا هو. قال: فكأنما سُرِّى عنه.

۞ وعن عبد الرحمن به مهدى قال: رأيت سفيان الثورى فى المنام، فقلت:ما فعل الله بك؟ قال: لم يكن إلا أن وُضعت فى اللحد حتى وقفت بين يدى الله عز وجل فحاسبنى حسابًا يسيرًا، ثم أمر بى إلى الجنة. فبينا أنا أدورُ بين أشجارها وأنهارها، ولا أسمع حسًّا ولا حركة، إذ سمعت قائلًا يقول: سفيان بن سعيد. قال: تحفظ أنك آثرت الله على هواك يومًا، قلت: إى والله. فأخذتنى صوانى النثار[1] من جميع الجنة[2].

---

(١)النثار: ما يُنثر أى يُلقى فى العُرس أو الفرح على الحاضرين.

(٢)صفة الصفوة (٣/ ٨٥-٨٧) بتصرف.

دفنوا البُلبل معه فى قبره!!

۞ قَالَ عَارِمٌ أَبُو النُّعْمَانِ:

أَتَيْتُ أَبَا مَنْصُورٍ أَعُودُهُ، فَقَالَ لِى: بَاتَ سُفْيَانُ فِى هَذَا الْبَيْتِ، وَكَانَ هَهُنَا بُلْبُلٌ لِابْنِى، فَقَالَ: «مَا بَالُ هَذَا الطَّيْرِ مَحْبُوسٌ، لَوْ خُلِّىَ عَنْهُ» فَقُلْتُ: هُوَ لِابْنِى، وَهُوَ يَهَبُهُ لَكَ، قَالَ: فَقَالَ: «لَا، وَلَكِنِّى أُعْطِيهِ دِينَارًا»، قَالَ: فَأَخَذَهُ فَخَلَّى عَنْهُ، فَكَانَ يَذْهَبُ فَيَرْعَى فَيَجِىءُ بِالْعَشِىِّ فَيَكُونُ فِى نَاحِيَةِ الْبَيْتِ - أى: البلبل -، فَلَمَّا مَاتَ سُفْيَانُ تَبِعَ جَنَازَتَهُ، فَكَانَ يَضْطَرِبُ عَلَى قَبْرِهِ، ثُمَّ اخْتَلَفَ بَعْدَ ذَلِكَ لَيَالِىَ إِلَى قَبْرِهِ، فَكَانَ رُبَّمَا بَاتَ عَلَيْهِ، وَرُبَّمَا رَجَعَ إِلَى الْبَيْتِ، ثُمَّ وَجَدُوهُ مَيِّتًا عِنْدَ قَبْرِهِ، فَدُفِنَ مَعَهُ فِى الْقَبْرِ أَوْ إِلَى جَنْبِهِ.(١).

أدخلوا الجنة أبا عبد الله وأبا عبد الله

۞ قال أحمد الأنطاكى رَحِمَهُ اللَّهُ:

رأيت فى المنام كأن القيامة قد قامت، وكأن الخلائق قد حُشروا، وكأن الله قد برز لفصل القضاء، وكأن مناديًا ينادى من بطنان العرش: ألا أدخلوا الجنة أبا عبد الله، وأبا عبد الله، وأبا عبد الله، وأبا عبد الله. فقلت لمَلَكٍ إلى جنبى: مَن هؤلاء؟ فقال: أما أولهم فسفيان الثورى، وأما ثانيهم فمالك بن أنس، وأما ثالثهم فمحمد بن إدريس الشافعى، وأما رابعهم فأحمد بن حنبل، أئمة أمة محمد ﷺ قد سيق بهم إلى الجنة.(٢).

(١) الحلية (٧/ ٥٨).

(٢) مناقب الإمام (ص/ ٨٣) للذهبى.

استرحت من غموم الدنيا

۞ قَالَ مُؤَمَّلُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ:

رَأَيْتُ سُفْيَانَ الثَّوْرِيَّ فِي الْمَنَامِ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ مَا صَنَعَ بِكَ رَبُّكَ؟ قَالَ: غَفَرَ لِي، فَقُلْتُ: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ لَقِيتَ مُحَمَّدًا ﷺ وَحِزْبَهُ؟ قَالَ: نَعَمْ [١].

۞ وقَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَعْيَنَ الْبَجَلِيُّ: رَأَيْتُ سُفْيَانَ الثَّوْرِيَّ فِي الْمَنَامِ وَلِحْيَته حَمْرَاءُ فَقُلْتُ: مَا صَنَعْتَ ؟

قَالَ: أَنَا مَعَ السَّفَرَةِ قُلْتُ: وَمَا السَّفَرَةُ؟ قَالَ: الْكِرَامُ الْبَرَرَةُ -الملائكة-.

۞ وقال أبو خالد الأحمر:

رأيت سفيان بن سعيد بعد ما مات، فقلت: أبا عبد الله كيف حالك؟ قال: خير حال، استرحت من غموم الدنيا وأفضيت إلى رحمة الله عز وجل [٢].

وَقَالَ قبيصَة بن سُفْيَان: رَأَيْت سُفْيَان الثَّوْرِيّ فِي النّوم بعد مَوته فَقلت لَهُ مَا فعل الله بك؟ فَقَالَ:

نظرت إِلَى رَبِّي عيانًا فَقَالَ لي	هنيئًا رضائي عَنْك يَا ابْن سعيد
لقد كنت قواما إِذا لِلّيْل قد دجا	بعبرة محزون وقلب عميد
فدونك فاختر أَي قصر تريده	وزرني فَإِنِّي مِنْك غير بعيد [٣]

(١) الحلية / لأبي نعيم (٦/ ٣٨٤).

(٢) تاريخ بغداد (٩/ ١٧٣).

(٣) أورده ابن القيم (ص/ ٢٦) في الروح نقلًا عن العاقبة (ص/ ١٣١) باختصار.

بداية الإمام البُخاري

۞ عن أبى جعفر محمد بن أبى حاتم الورَّاق قال: قلت لأبى عبد الله ابن محمد بن إسماعيل البخارى: كيف كان بدو أمرك فى طلب الحديث؟ قال: أُلهمت حفظ الحديث وأنا فى الكُتَّاب. قلت: وكم أتى عليك إذ ذاك، فقال: عشر سنين أو أقل، ثم خرجت من الكُتَّاب بعد العشر، فجعلت أختلف إلى الداخلى وغيره، فقال يومًا فيما كان يقرأ للناس: سفيان عن أبى الزبير، عن إبراهيم، فقلت له: يا فلان إن أبا الزبير لم يرو عن إبراهيم، فانتهرنى، فقلت له: ارجع إلى الأصل إن كان عندك. فدخل فنظر فيه، ثم خرج، فقال لى: كيف هو يا غلام؟ قلت: هو الزبير بن عدى عن إبراهيم. فأخذ القلم منى فأَحكَم كتابه وقال: صدقت. فقال له بعض أصحابه: ابن كم كنت إذ رددت عليه؟ قال: ابن إحدى عشرة سنة. فلما طعنت فى سن ست عشرة حفظت كتب ابن المبارك ووكيع، ثم خرجت مع أمى وأخى إلى مكة،فلما حججت رجع أخى، وتخلفت بها فى طلب الحديث، فلما طعنت فى ثمان عشرة جعلت أُصنف قضايا الصحابة والتابعين وأقاويلهم، وصنفت كتاب التاريخ عند قبر الرسول ﷺ فى الليالى المقمرة.

۞ وعن أبى محمد عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن البخارى قال: سمعت أبا عبد الله محمد بن إسماعيل يقول: لقيت أكثر من ألف رجل من أهل العلم من أهل الحجاز ومكة والمدينة والكوفة والبصرة وواسط وبغداد والشام ومصر.

۞ وعن السعدانى قال: سمعت بعض أصحابنا يقولون: قال محمد بن

إسماعيل أخرجت هذا الكتاب، يعنى: الصحيح، من زُهاءِ ستمائة ألف حديث.

۞ وعن محمد بن يوسف الفرابرى قال: قال محمد بن إسماعيل: ما وضعت فى كتاب الصحيح حديثًا، إلا اغتسلت قبل ذلك وصليت ركعتين.

۞ وعن محمد بن أبى حاتم قال: كنت أرى أبا عبد الله يقوم فى ليلة واحدة خمس عشرة مرة إلى عشرين مرة فى كل ذلك يأخذ القداحة، فيورى نارًا ويسرج ثم يخرج أحاديث، فيُعلِّم عليها ثم يضع رأسه، وكان يصلى فى وقت السَّحَر ثلاث عشرة ركعة يوتر منها بواحدة.[1].

أنتظر محمد بن إسماعيل البخاري

۞ وَقَالَ مُحَمَّدُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ مكِّى الجُرْجَانِيُّ: سَمِعْتُ عَبْدَ الوَاحِدِ بنَ آدَمَ الطَّواويسِىَّ يَقُوْلُ: رَأَيْتُ النَّبىَّ ﷺ فِى النَّوْمِ وَمَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ، وَهُوَ وَاقِفٌ فِى مَوْضِعٍ فسلَّمْتُ عَلَيْهِ فردَّ علىَّ السَّلاَمَ فَقُلْتُ: مَا وُقُوفُكَ يَا رَسُوْلَ اللهِ؟ قَالَ: أَنتَظِرُ مُحَمَّدَ بنَ إِسْمَاعِيْلَ البُخَارِىَّ فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ أَيَّامٍ بَلَغَنِى مَوْتَهُ، فَنظَرتُ فَإِذَا قَدْ مَاتَ فِى السَّاعَةِ الَّتِى رَأَيْتُ النَّبِىَّ ﷺ فِيْهَا.[2].

(١) صفة الصفوة (٤/ ٣٥٤-٣٥٥).

(٢) سير أعلام النبلاء (١٠/ ٣٢١).

أنت تذُبّ عنى الكذب

۞ عَن مُحَمَّد بن سُلَيْمَان بن فَارس قَالَ: سَمِعت البُخَارِيّ يَقُول رَأَيْت النَّبِي ﷺ وكأنني وَاقِف بَين يَدَيْهِ وَبِيَدِي مروحة أَذُبُّ بهَا عَنهُ فَسَأَلت بعض المُعبرين فَقَالَ لي أَنْت تَذُبّ عَنهُ الْكَذِب ... فَهُوَ الَّذِي حملَنِي على إِخْرَاج الْجَامِع الصَّحِيح[1].

۞ وعن أَبي زيدٍ المَرْوَزِيّ الفَقِيْهَ قَالَ: كُنْتُ نَائِمًا بَيْنَ الرُّكْنِ، وَالمقَام فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ لِي: يَا أَبَا زيدٍ إِلَى مَتَى تدرسُ كِتَابَ الشَّافِعِيِّ، وَلاَ تدرُسُ كِتَابِي؟ فَقُلْتُ: يَا رَسُوْلَ اللهِ، وَمَا كِتَابُكَ؟ قَالَ: «جَامِعُ مُحَمَّدِ بنِ إِسْمَاعِيْلَ» -أي: البخاري-[2].

۞ وَقَالَ النَّجْمُ بنُ الفُضَيْل: رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي النَّوْم، كَأَنَّهُ يَمْشِي، وَمُحَمَّدُ ابنُ إِسْمَاعِيْلَ البُخَارِيّ يَمْشِي خَلْفَهُ، فَكُلَّمَا رَفَعَ النَّبِيُّ ﷺ قَدَمَهُ، وضعَ مُحَمَّدُ بنُ إِسمَاعيلَ قدَمَهُ فِي المكَانِ الَّذِي رَفَعَ النبي ﷺ قدمه[3].

---

(١) انظر: «هدى السارى مقدمة فتح البارى» (ص/ ١١).

(٢) انظر: «سير أعلام النبلاء» (١٠/ ٣٠٢).

(٣) انظر: «سير أعلام النبلاء» (١٠/ ٢٨١).

البخارى .. وقصة أغرب من الخيال

۞ إن الله ﷻ هو الذى يُقسِّم الأرزاق بين عباده.

ولقد ساق الله ﷻ الرزق الوفير فى الحفظ للإمام البخارى حتى أنه كان يقرأ الكتاب مرة واحدة فيحفظه كله .. وكان يستمع إلى أى شيخ من شيوخه فيحفظ ما سمعه دون أن يكتبه.

ولقد ذاع صيته بين المسلمين حتى كانت هذه القصة العجيبة حينما اختبره علماء بغداد اختبارًا عجيبًا ما سمعنا بمثله قط.

۞ قَدِم محمد بن إسماعيل البخارى بغداد، فسمع به أصحاب الحديث، فاجتمعوا إليه وعمدوا إلى أحاديث، فقلبوا متونها وأسانيدها، وجعلوا متن هذا الإسناد لإسناد آخر، وإسناد هذا المتن لمتن آخر، ودفعوا إلى عشرة أنفس، إلى كل رجل عشرة أحاديث، وأمروهم إذا حضروا المجلس، أن يلقوا ذلك على البخارى، وأخذوا الموعد للمجلس، فحضر المجلس جماعة أصحاب الحديث من الغرباء أهل خراسان، وغيرها، من البغداديين، فلما اطمأن المجلس بأهله انتُدب إليه رجل من العشرة، فسأله عن حديث من تلك الأحاديث.

فقال البخارى: لا أعرفه، فسأله عن آخر: فقال: لا أعرفه. فمازال يلقى عليه واحدًا بعد واحد بعد واحد حتى فرغ من عشرته، والبخارى يقول: لا أعرفه، فكان الفهماء ممن حضر المجلس يلتفت بعضهم إلى بعض، ويقولون: الرجل فَهِمٌ، ومن كان منهم غير ذلك يقضى على البخارى بالعجز والتقصير وقلة الفهم.

ثم انتدب رجل آخر من العشرة فسأله عن حديث من تلك الأحاديث المقلوبة، فقال البخارى: لا أعرفه، فسأله عن آخر. فقال: لا أعرفه فلم يزل يلقى عليه واحدًا بعد آخر حتى فرغ من عشرته، والبخارى يقول: لا أعرفه، ثم انتدب إليه الثالث والرابع حتى تمام العشرة، حتى فرغوا كلهم من الأحاديث المقلوبة، والبخارى لا يزيدهم على: لا أعرفه، فلما علم البخارى أنهم فرغوا التفت إلى الأول منهم فقال: أما حديثك الأول فهو كذا، والحديث الثانى فهو كذا، والثالث والرابع على الولاء حتى أتى على تمام العشرة، فرد كل متن إلى إسناده، وكل إسناد إلى متنه، وفعل بالآخرين مثل ذلك، وردّ متون الأحاديث كلها إلى أسانيدها، وأسانيدها إلى متونها، فأقر له الناس بالحفظ وأذعنوا له بالفضل.

عرفنا أنه لا يتقدمه أحد

۞ قَالَ حَاشِدَ بنَ إِسْمَاعِيْلَ: كَانَ أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحمدُ بنُ إسماعِيل البُخَارِيُّ يَختلِفُ مَعَنَا إِلَى مَشَايِخِ البَصْرَةِ وَهُوَ غُلاَمٌ، فَلاَ يَكْتُبُ، حَتَّى أَتى عَلَى ذَلِكَ أَيَّامٍ، فكنَّا نَقُوْل لَهُ: إِنَّك تختلفُ معنَا ولاَ تَكْتُبُ، فَمَا تصنَعُ؟

فَقَالَ لَنَا يَوْمًا بَعْد ستَّةَ عشرَ يَوْمًا: إِنَّكمَا قَدْ أَكْثَرْتُمَا عَلَيَّ وَأَلْححتُمَا، فَاعرِضَا عَلَيَّ مَا كَتَبْتُمَا.

فَأَخرجْنَا إِلَيْهِ مَا كَانَ عِنْدنَا، فَزَادَ عَلَى خَمْسَةَ عَشَرَ أَلفِ حَدِيْثٍ، فقرأَهَا كُلَّهَا عَنْ ظَهرِ القَلْبِ، حَتَّى جَعلنَا نُحْكِمُ كُتُبنَا مِنْ حِفْظِهِ... ثُمَّ قَالَ: أَتَرَوْنَ أَنِّي أَختلِفُ هَدْرًا، وَأُضيِّعُ أَيَّامِي؟! فَعرفْنَا أَنَّهُ لاَ يتقدَّمُهُ أَحَدٌ [١].

---

(١) طبقات الحنابلة (١/ ٢٧٦)، تاريخ بغداد (٢/ ١٤).

الإمام البخارى ... خشوعه وتوقيره لبيت الله

۞ قال محمد بن منصور: كنا فى مجلس أبى عبد الله محمد بن إسماعيل، فرفع إنسان من لحيته قذاة، فطرحها على الأرض. قال: فرأيت محمد بن إسماعيل ينظر إليها وإلى الناس، فلما غفل الناس رأيته مَدَّ يده، فرفع القذاة من الأرض، فأدخلها فى كُمِّه. فلما خرج من المسجد رأيته أخرجها فطرحها على الأرض.

۞ وقال ابن منير: كان محمد بن إسماعيل يصلى ذات يوم فلسعه الزنبور سبع عشرة مرة، فلما قضى صلاته قَالَ: انظروا أيْش هذا الذى آذانى فى صلاتى؟ فنظروا فإذا الزنبور قد لسعه فى سبعة عشر موضعًا ولم يقطع صلاته فتورم من ذلك جسده[1].

البخارى .. والوفاء بالوعد

۞ عن بكر بن منير قال:

كان قد حُمل إلى محمد بن إسماعيل بضاعة أنفذها إليه فلان، فاجتمع التجار إليه بالعشية، فطلبوها منه بربح خمسة آلاف درهم، فقال لهم: انصرفوا الليلة فجاءه من الغد تجار آخرون فطلبوا منه تلك البضاعة بربح عشرة آلاف درهم فردَّهم وقال: إنى نويت البارحة أن أدفع إليهم بما طلبوا، يعنى: الذين طلبوا أول مرة، ففعل وقال: لا أحب أن أنقض نيتى.[2].

(١) تاريخ بغداد (٢/ ١٢)، تهذيب الكمال (٢٤/ ٤٤٦).

(٢) صفة الصفوة (٤/ ٣٥٥).

جاءوا ليُلقنوه فلقَّنهم!!

۞ إنه الإمام الحافظ الثقة أبو زُرعة الرازى.

عن عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: سمعت أبى يقول: ما جاوز الجسر أحفظ من أبى زُرعة.

۞ وعن أبى عبد الله محمد بن مسلم بن واره يقول: كنت عند إسحاق بن إبراهيم، فقال رجل من أهل العراق: سمعت أحمد بن حنبل يقول: صَحَّ من الحديث سبعمائة ألف حديث وكسر، وهذا الفتى ـ يعنى: أبا زرعة ـ قد حفظ ستمائة ألف.

۞ وعن أبى العباس محمد بن جعفر بن حمدويه الرازى قال: سُئل أبو زرعة الرازى عن رجل حلف بالطلاق أن أبا زرعة يحفظ مائتى ألف حديث هل حنث؟ فقال: لا. ثم قال أبو زرعة: أحفظ مائتى ألف حديث كما يحفظ الإنسان: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾[1]. وفى المذاكرة ثلاثمائة ألف.

۞ وعن أحمد بن سعيد الدارمى قال: صلى أبو زرعة الرازى فى مسجده عشرين سنة بعد قدومه من السفر، كان يوم من الأيام قدم عليه قوم من أصحاب الحديث، فنظروا فإذا فى محرابه كتابه، قالوا له: كيف تقول فى الكتابة فى المحاريب؟ فقال: قد كرهه قوم ممن مضى. قالوا له: هو ذا فى محرابك كتابة أَوَ ما علمت به؟ قال: سبحان الله، رجل يدخل على الله تعالى ويدرى ما بين يديه.

۞ وعن أبى جعفر التُّسترى قال: حضرنا أبا زرعة وكان فى السَّوق[2]،

---

(١) سورة الإخلاص: الآية: (١).

(٢) أى: فى بداية السكرات.

وعنده أبو حاتم، ومحمد بن مسلم، والمنذر بن شاذان، وجماعة من العلماء، فذكروا حديث التلقين، وقوله عليه الصلاة والسلام: «**لقنوا موتاكم لا إله إلا الله**»[١]. فاستحيوا من أبى زرعة وهابوا أن يلقنوه، فقالوا: تعالوا نذكر الحديث، فقال محمد بن مسلم: أنبأنا الضحاك بن مخلد، عن عبد الحميد ابن جعفر بن صالح ولم يجاوز، والباقون سكتوا، فقال أبو زرعة وهو فى السوق: ثنا[٢] بندار قال: ثنا أبو عاصم قال: ثنا عبد الحميد بن جعفر، عن صالح بن أبى غريب، عن كثير بن مرة الحضرمى، عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله ﷺ: «**من كان آخر كلامه لا إله إلا الله**»[٣] وتوفى رحمه الله.

۞ وعن أحمد بن محمد أبو العباس المرادى قال: رأيت أبا زرعة فى المنام، فقلت: يا أبا زرعة ما فعل الله بك؟ فقال: لقيت ربى عز وجل، فقال لى: يا أبا زرعة إنى أُوتى بالطفل فآمر به إلى الجنة، فكيف بمن حفظ السنن على عبادى؟ تبوأ من الجنة حيث شئت[٤].

---

(١) حسن: رواه الطبرانى فى الكبير، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥١٤٩).

(٢) ثنا: أى: حدثنا.

(٣) صحيح: رواه أبو داود، وأحمد، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٦٤٧٩).

(٤) صفة الصفوة (٤/ ٢٩٧-٢٩٨) بتصرف.

يطوف الأرض في طلب العلم

❁ قال ابن إسحاق:

سمعتُ مكحولًا يقول: «طُفتُ الأرضَ فى طلب العلم»[١].

قَالَ مكحول رَحِمَهُ اللَّهُ: «كنت عبدًا بمصر لامرأة من بنى هُذيل فأعتقتنى فما خرجت من مصر وبها علم إلّا حويت عليه فيما أرى، ثمّ أتيت الحجاز فما خرجت منها وبها علم إلّا حويت عليه فيما أرى، ثمّ أتيت العراق فما خرجت منها وبها علم إلّا حويت عليه فيما أرى، ثمّ أتيت الشّام فغربلتها، كلّ ذلك أسأل عن النّفل[٢]، فلم أجد أحدًا يخبرنى فيه بشىء حتّى أتيت شيخًا يقال له زياد بن جارية التّميمىّ فقلت له: هل سمعت فى النّفل شيئا؟ قال: نعم سمعت حبيب بن مسلمة الفهرىّ يقول: شهدت النّبىّ ﷺ نفّل الرُّبع فى البدأة والثّلث فى الرّجعة»[٣].

---

(١) تذكرة الحفاظ (١/ ١٠٨).

(٢) النَّفَل: هو الزيادة على الحق المفروض للجندى، يجعله له القائد؛ تشجيعًا على القتال، أو مُكافأة على عملٍ أجراه.

(٣) رواه أبو داود بلفظه فى الجهاد وسكت عليه أبو داود والمنذرى، ورواه بلفظه أيضًا الخطيب فى «الرحلة فى طلب الحديث» (ص ١٩٨-١٩٩).

لقى ابنه بعد رحلة طويلة في طلب العلم

۞ إنه عبد الرحمن بن القاسم العُتقى المصرى:

أحد أصحاب مالك والليث؛ بل هو تلميذ مالك المُبَرَّز، وهذه قصَّتُه، وهى والله عجبُ العجاب!

۞ قال ابن القاسم: «كنت آتى مالكًا غَلَسًا، فأسأله عن مسألتين .. ثلاثة أربعة، وكنت أجد منه فى ذلك الوقت انشراح صدر، فكنت آتى كل سَحَر، فتوسدت مرة فى عتبته فغلبتنى عينى، فنمت وخرج مالك إلى المسجد فلم أشعر به، فركضتنى سوداء له برجلها وقالت لى: إن مولاك قد خرج ليس يغفل كما تغفل أنت،... اليوم له تسع وأربعون سنة ما صلى الصبح إلا بوضوء العتمة».

ظنت السوداء أنه مولاه من كثرة اختلافه إليه!!

قال ابن القاسم: «وأنخت بباب مالك سبع عشرة سنة، ما بعت فيها ولا اشتريت شيئًا ... قال: فبينما أنا عنده إذ أقبل حاجُّ مصر، فإذا شاب متلثم دخل علينا فسلَّم على مالك. فقال أفيكم ابن القاسم؟ فأُشير إلىَّ فأقبل يُقبل عينى ووجدت منه ريحًا طيبة، فإذا هى رائحة الولد وإذا هو ابنى،.... وكان ترك أمه به حاملًا، وكانت ابنة عمه، وقد خيَّرها عند سفره لطول إقامته فاختارت البقاء»[1].

---

(١) ترتيب المدارك (٣/ ٢٥٠).

سقطت عليه جَرَّة فأخذ ثلاثمائة حديث بدلاً من الدية

۞ إنه عبد الله بن فَرُّوخ القيروانى:

أحد أصحاب الإمام مالك وأبى حنيفة والثورى وغيرهم.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «لما أتيت الكوفة وأكثر أملى السماع من الأعمش، فسألت عنه، فقيل لى غضب على أصحاب الحديث، فحلف أن لا يُسمعهم مدة، فكنت أختلف إلى باب داره لعلِّى أصل إليه، فلم أقدر على ذلك فجلست يومًا على بابه وأنا متفكرٌ فى غُربتى وما حُرمته من السماع منه إذ فتحت جارية يومًا بابه وخرجت منه، فقالت لى: ما بالك على بابنا؟ فأعلمتها بخبرى. قالت: وأين بلدك؟ قلت أفريقية. فانشرحت إلىَّ وقالت: تعرف القيروان؟ قلت: أنا من أهلها. قالت: تعرفُ دار ابن فروخ؟ قلت: أنا. فتأملتنى، ثم قالت: عبد الله؟ قلت نعم. وإذا هى جارية لنا بعناها صغيرة، فصارت إلى الأعمش، وقالت له: مولاى الذى كنت أخبرتك بخبره بالباب. فأمر بإدخالى فدخلت، وأسكننى بيتًا قبالة بيته، فسمعت منه وحدثنى، وقد حرم سائر الناس إلى أن قضيتُ أَرَبى منه.

۞ وذكر القاضى عياض عنه أنه رحل قديمًا، فلقى الشيوخ والفقهاء، وسمع من أبى حنيفة مسائل كثيرة غير مُدوَّنة، يقال: إنها عشرة آلاف مسألة، وذكر أنه قال: سقطت جرَّة من أعلى دار أبى حنيفة - وأنا عنده- على رأسى فأُدمى! فقال: اختر: الأرش[1]، أم ثلاثمائة حديث؟ قلتُ: الحديث، فحدَّثنى»[2].

---

(١) الدِّية.

(٢) «ترتيب المدارك» للقاضى عياض (٣/ ١١٠).

إن بيني وبينه لإخاءً

۞ قال أبو شِهَابٍ الْحَنَّاطِ:

«بَعَثَتْ أُخْتُ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ مَعِي بِجِرَابٍ إِلَى سُفْيَانَ وَهُوَ بِمَكَّةَ فِيهِ كَعْكٌ وَخُشْكُنَانِجُ. فَقَدِمْتُ مَكَّةَ فَسَأَلْتُ عَنْهُ فَقِيلَ لِي إِنَّهُ رُبَّمَا قَعَدَ دُبُرَ الْكَعْبَةِ مِمَّا يَلِي بَابَ الْحَنَّاطِينَ. قَالَ فَأَتَيْتُهُ هُنَاكَ. وَكَانَ لِي صَدِيقًا. فوجدته مستلقيًا فسلمت عليه فلم يسائلني تلك الْمُسَاءَلة وَلَمْ يُسَلِّمْ عَلَيَّ كَمَا كُنْتُ أَعْرِفُ مِنْهُ. فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّ أُخْتَكَ بَعَثَتْ إِلَيْكَ مَعِي بِجِرَابٍ فِيهِ كَعْكٌ وَخُشْكُنَانِجُ. قَالَ: فَعَجِّلْ بِهِ عَلَيَّ. وَاسْتَوَى جَالِسًا.

فَقُلْتُ: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ أَتَيْتُكَ وَأَنَا صَدِيقُكَ فَسَلَّمْتُ عَلَيْكَ فَلَمْ تَرُدَّ عَلَيَّ ذَاكَ الرَّدَّ. فَلَمَّا أَخْبَرْتُكَ أَنِّي أَتَيْتُكَ بِجِرَابِ كَعْكٍ لا يُسَاوِي شَيْئًا جَلَسْتَ وَكَلَّمْتَنِي. فَقَالَ: يَا أَبَا شِهَابٍ لا تَلُمْنِي فَإِنَّ هَذِهِ لِي ثَلاثَةُ أَيَّامٍ لَمْ أَذُقْ فِيهَا ذَوَاقًا ... فَعَذَرْتُهُ»(١).

قلتُ للفقر أين أنت مقيمٌ ... قال لي في عمائم الفقهاءِ

إنَّ بيني وبينهم لإخاءً ... وعَزيزٌ عليَّ قطعُ الإخاءِ

۞ قال إبراهيم بن أدهم: إنَّ الله تعالى يدفع البلاء عن هذه الأمة برحلة أصحاب الحديث(٢).

۞ وقال يزيد بن هارون: قلت لحماد بن زيد: يا أبا إسماعيل، هل ذكر الله ﷻ أصحاب الحديث في القرآن؟ فقال: بلى، ألم تسمع إلى قوله تعالى:

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد (٦/ ٣٧٢).

(٢) شرف أصحاب الحديث (ص ٥٩).

﴿لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ﴾[1] الآية؟ فهذا في كل من رحل في طلب العلم والفقه، ويرجع به إلى مَن وراءه، يُعلِّمهم إياه.

وعن عكرمة مولى ابن عباس في قوله تعالى: ﴿السَّائِحُونَ﴾ قال: هم طلبة الحديث.

زِدْ من الضرب .. وزِدْ من الحديث

❁ قال الحافظ جزرة: سمعتُ هشام بن عمار يقول: دخلت على مالك ابن أنس، فقلتُ له: حدِّثني، فقال: اقرأ فقلت: لا بل حدِّثني، فقال: اقرأ فلما رَادَدْتُه قال: يا غلام: تعالَ اذهب فاضربه، خمس عشر درَّة، قال: فذهب بي، فضربني خمس عشرة درَّة، ثم جاء بي إليه، فقال: قد ضربتُه، فقلت: قد ظلمتني! ضربتني خمس عشرة درة بغير جُرْمٍ، لا أجعلُك في حِلٍّ. فقال مالكٌ: فما كفَّارتُهُ؟ قلتُ: كفَّارتُهُ أنْ تُحَدِّثَنِي بخمسة عشر حديثًا، قال: فحدثني بخمسة عشر حديثًا، فقلتُ له: زِدْ من الضرب، وزِدْ في الحديث، فضحك مالكٌ، وقال: اذهب»[2].

(١) سورة التوبة: الآية: (١٢٢).

(٢) معرفة القراء الكبار للذهبي (١/ ١٩٦).

باع سقف بيته طلبًا للعلم

۞ عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: «لَيَضْرِبَنَّ النَّاسُ أَكْبَادَ الإِبِلِ فِي طَلَبِ العِلْمِ، فَلاَ يَجِدُوْنَ عَالِمًا أَعْلَمَ مِنْ عَالِمِ المَدِيْنَةِ»(١).

ويُروى عن ابن عيينة قال: كنتُ أقول: هو سعيد بن المسيب، حتى قلتُ: كان في زمانه سليمان بن يسار، وسالم بن عبد الله، وغيرهما، ثم أصبحتُ اليوم أقول: إنه مالك، لم يبق له نظير بالمدينة.

وقال الذهبي: «ولم يكن بالمدينة عالمٌ من بعد التابعين يُشبهُ مالكًا في العلم والفقه والجلالة والحفظ».

قَالَ مَالِكٌ: «مَا أَجبتُ فِي الفَتْوَى حَتَّى سَأَلْتُ مَنْ هُوَ أَعْلَمُ مِنِّي: هَلْ تَرَانِي مَوْضِعًا لِذَلِكَ؟ سَأَلْتُ رَبِيْعَةَ، وَسَأَلْتُ يَحْيَى بنَ سَعِيْدٍ، فَأَمَرَانِي بِذَلِكَ.

قال ابن القاسم: أفضى بمالك طلبُ العلم إلى أن نقض سقف بيته فباع خشبه! ثم مالت عليه الدنيا بعد.

ثم قال القاضي عياض: قال مالك: لا يُنال هذا الأمر حتى يُذاق فيه طعمُ الفقر.

---

(١) أخرجه، أحمد، والترمذي، وابن حبان، والحاكم، والبيهقي، كلهم من حديث ابن عيينة عن ابن جريج عن أبي الزبير عن جابر، ورجاله ثقات، إلا أن ابن جريج وأبا الزبير مُدلِّسان وقد عنعنا، وأَعَلَّه أحمد بالوقف، ومع ذلك حسَّنه الترمذي، وصحَّحه الحاكم، ووافقه الذهبي، وصحَّحه ابن حبان.

لرفسته أحبُّ إليَّ من سفرتي

۞ قال أحمد بن منصور الرمادي: «خرجتُ مع أحمد بن حنبل ويحيى ابن معين إلى عبد الرزاق خادمًا لهما، قال: فلما عُدنا إلى الكوفة؛ قال يحيى بن معين: أُريد أن أختبر أبا نُعيم، فقال أحمد: لا تُرد، فالرجل ثقة، قال يحيى: لابُدَّ لي، فأخذ ورقة، فكتب فيها ثلاثين حديثًا، وجعل على رأس كل عشرة منها حديثًا ليس من حديثه، ثم إنهم جاءوا إلى أبى نُعيم، فخرج، وجلس على دُكَّان طينٍ، وأخذ أحمد بن حنبل فأجلَسَه عن يمينه، ويحيى عن يساره، وجلستُ أسفل الدُّكَّان، ثم أخرج يحيى الطبق، فقرأ عليه عشرة أحاديث، فلما قرأ الحادى عشر؛ قال أبو نعيم: ليس هذا من حديثى، اضربْ عليه، ثم قرأ العُشر الثانى، وأبو نعيم ساكت، فقرأ الحديث الثانى، فقال أبو نعيم: ليس هذا من حديثى، فاضرب عليه، ثم قرأ العُشر الثالث، ثم قرأ الحديث الثالث، فتغيَّر أبو نعيم، وانقلبت عيناه، ثم أقبل على يحيى، فقال: أمَّا هذا - وذراع أحمد بيده- فأورعُ من أن يعمل مثل هذا، وأمَّا هذا -يُريدنى- فأقلّ من أن يفعل ذلك، ولكنَّ هذا من فعلك يا فاعل، وأخرج رجله، فرفس يحيى، فرمى به من الدُّكَّان، وقام فدخل داره.. فقال أحمد بن حنبل ليحيى: ألم أمنعك وأقل لك: إنه ثَبْتٌ؟! قال: والله، لرفستُه لى أحبُّ إليَّ من سَفرتى»[1].

---

(١) مناقب الإمام أحمد لابن الجوزى (٧٩/ ٨٠)، وتاريخ بغداد (١٢/ ٣٥٤)، سير أعلام النبلاء (١٠/ ١٤٩).



أعطاه أبوه مائة ألف درهم وقال: اذهب فلا أرى وجهك إلا بمائة ألف حديث



۞ إنه على بن عاصم رَحِمَهُ اللَّهُ.

۞ قال على رَحِمَهُ اللَّهُ: دَفَعَ إِلَيَّ أَبِى مائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ وَقَالَ: اذْهَبْ، فَلاَ أَرَى لَكَ وَجْهًا إِلَّا بِمائَةِ أَلْفِ حَدِيْثٍ.

وقال: أَعْطَانِى أَبِى مائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ فَأَتَيْتُهُ بِمائَةِ أَلْفِ حَدِيْثٍ، وَكُنْتُ أُرْدِفُ هُشَيْمًا خَلْفِى لِيَسْمَعَ مَعِىَ الشَّىْءَ بَعْدَ الشَّىْءِ[1].

۞ قال على بن عاصم: خَرَجْتُ مِنْ وَاسِطَ أَنَا، وَهُشَيْمٌ إِلَى الكُوْفَةِ لِلُقِىِّ مَنْصُوْرٍ، فَلَمَّا خَرَجْتُ فَرَاسِخَ لَقِيَنِى أَبُو مُعَاوِيَةَ فَقُلْتُ: أَيْنَ تُرِيْدُ؟ قَالَ: أَسعَى فِى دَيْنٍ عَلَيَّ. فَقُلْتُ: ارْجِعْ مَعِى، فَإِنَّ عِنْدِى أَرْبَعَةَ آلاَفٍ أُعْطِيْكَ مِنْهَا أَلْفَيْنِ. فَرَجَعتُهُ فَأَعْطَيْتُهُ أَلفينِ ثُمَّ خَرَجْتُ فَدَخَلَ هُشَيْمٌ الكُوْفَةَ غَدَاةً، وَدَخَلْتُهَا العَشِيَّ فَذَهَبَ فَسَمِعَ مِنْ مَنْصُوْرٍ أَرْبَعِيْنَ حَدِيْثًا، وَدَخَلْتُ أَنَا الحَمَّامَ، ثُمَّ أَصْبَحتُ فَأَتَيْتُ بَابَ مَنْصُوْرٍ فَإِذَا جِنَازَتَهُ فَقَعَدْتُ أَبْكِى، فَقَالَ شَيْخٌ هُنَاكَ: يَا فَتَى مَا يُبْكِيْكَ؟

قُلْتُ: قَدِمْتُ لأَسْمَعَ مِنْ هَذَا الشَّيْخِ فَمَاتَ.

قَالَ: فَأَدُلُّكَ عَلَى مَنْ شَهِدَ عُرْسَ أُمِّ ذَا؟

قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: اكْتُبْ: حَدَّثَنَا عِكْرِمَةُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ... فَجَعَلتُ أَكْتُبُ شَهْرًا.

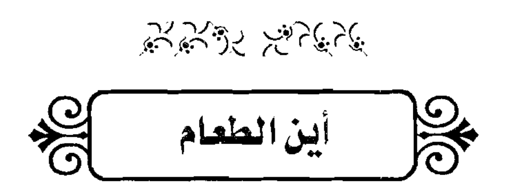
فَقُلْتُ: مَنْ أَنْتَ؟

---

(١) تاريخ بغداد (١١/ ٤٤٧، ٤٤٨).

قَالَ: أَنَا حُصَيْنُ بنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ مَا كَانَ بَيْنِى، وَبَيْنَ أَنْ أَلْقَى ابْنَ عَبَّاسٍ إِلَّا تِسْعَةَ دَرَاهِمَ وَكَانَ عِكْرِمَةُ يَسْمَعُ مِنْهُ، ثُمَّ يَجِيْءُ فَيُحَدِّثُنِى[١].

قَالَ البِيْكَنْدِيُّ: كَانَ يَجْتَمِعُ عِنْدَ عَلِيِّ بنِ عَاصِمٍ أَكْثَرُ مِنْ ثَلاَثِيْنَ أَلْفًا، وَكَانَ يَجْلِسُ عَلَى سَطْحٍ وَكَانَ لَهُ ثَلاَثَةُ مُسْتَمْلِيْنَ[٢].



أين الطعام

❁ قال القاضى عياض:

«كانت لمحمد بن سحنون، سُرِّية[٣] يقال لها: أُمُّ مُدام. فكان عندها يومًا، وقد شُغل فى تأليف كتاب إلى الليل، فحضر الطعام، فاستأذنته، فقال لها: أنا مشغول الساعة. فلما طال عليها، جعلت تُلقمه الطعام، حتى أتت عليه. وتمادى هو على ما هو فيه إلى أن أُذن لصلاة الصبح. فقال: شُغِلنا عنك الليلة يا أُمَّ مُدَام. هاتِ ما عندك. فقالت قد والله يا سيدى ألقمته لك. فقال لها: ما شعرت بذلك»[٤].

(١) تاريخ بغداد (١١/ ٤٥٣)، سير أعلام النبلاء (٩/ ٢٥٣).
(٢) سير أعلام النبلاء (٩/ ٢٥٧)، وتاريخ بغداد (١١/ ٤٥٤).
(٣) أى: أَمة.
(٤) ترتيب المدارك (٣/ ١١٤).

الأجر رحمك الله !!

۞ إنه شيخ الإسلام بَقىٌّ بن مخلد رَحِمَهُ اللَّهُ:

قال الذهبى: «صاحب «التفسير» و«المسند» اللذين لا نظير لهما، وعُنِى بِهَذَا الشَّأْنِ عِنَايَةً لاَ مَزِيْدَ عَلَيْهَا، وَأَدْخَلَ جَزِيْرَةَ الأَنْدَلُسِ عِلْمًا جَمًّا، وَبِهِ وَبِمُحَمَّدِ بنِ وَضَّاحٍ صَارَتْ تِلْكَ النَّاحِيَةَ دَارَ حَدِيْثٍ».

قال ابن حزم: «أقطع أنه لم يُؤلَّف فى الإسلام مثل «تفسير بقىّ»، ولا «تفسير محمد بن جرير» ولا غيره»[1].

۞ قال بقىٌّ بن مخلد عن نشره للسنة بالأندلس: «لقد غرستُ لهم بالأندلس غرسًا لا يُقلَع إلا بخروج الدَّجَّال»[2].

۞ قال حفيده عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ أَحْمَدَ: «سَمِعْتُ أَبِى يَقُوْلُ: رَحَل أَبِى مِنْ مَكَّةَ إِلَى بَغْدَادَ، وَكَانَ رَجُلًا بُغْيَتُهُ مُلاَقَاةُ أَحْمَدَ بنَ حَنْبَلٍ. قَالَ: فَلَمَّا قَرُبْتُ بَلَغَتْنِى المِحْنَةُ، وَأَنَّهُ مَمْنُوْعٌ، فَاغتَمَمْتُ غَمًّا شَدِيْدًا، فَاحتَلَلْتُ بَغْدَادَ، وَاكتَرَيْتُ (استأجرت) بَيْتًا فِى فُنْدُقٍ، ثُمَّ أَتَيتُ الجَامِعَ وَأَنَا أُرِيْدُ أَنْ أَجْلِسَ إِلَى النَّاسِ، فدُفِعْتُ إِلَى حَلْقَةٍ نَبِيْلَةٍ، فَإِذَا بِرَجُل يَتَكَلَّمُ فِى الرِّجَالِ، فَقِيْلَ لِى: هَذَا يَحْيَى ابنُ مَعِيْنٍ. فَفُرِجَتْ لِى فُرْجَةٌ، فَقُمْتُ إِلَيْهِ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا زَكَرِيَّا: -رَحِمَكَ اللهُ- رَجُلٌ غَرِيْبٌ نَاءٍ عَنْ وَطَنِهِ، يُحِبُّ السُّؤَالَ، فَلاَ تَسْتَجْفِنِى. فَقَالَ: قُلْ. فَسَأَلْتُ عَنْ بَعْضِ مَنْ لَقِيْتُهُ، فَبَعْضًا زَكَّى، وَبَعْضًا جَرَحَ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ هِشَامِ ابنِ عَمَّارٍ. فَقَالَ لِى: أَبُو الوَلِيْدِ، صَاحِبُ صَلاَةِ دِمَشْقَ، ثِقَةٌ، وَفَوْق

---

(١) معجم الأدباء (٧/ ٧٧، ٧٨)، وسير أعلام النبلاء (١٣/ ٢٨٨).

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٤٨٧٨)، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٢١٣).

الثِّقَةِ، لَوْ كَانَ تَحْتَ رِدَائِهِ كِبْرٌ، أَوْ مُتَقَلِّدًا كِبْرًا، مَا ضَرَّهُ شَيْئًا لِخَيْرِهِ وَفَضْلِهِ، فَصَاحَ أَصْحَابُ الحَلْقَةِ: يَكْفِيكَ - رَحِمَكَ اللهُ - غَيْرُكَ لَهُ سُؤَالٌ. فَقُلْتُ: وَأَنَا وَاقِفٌ عَلَى قَدَمٍ: اكْشِفْ عَنْ رَجُلٍ وَاحِدٍ: أَحْمَدَ بنَ حَنْبَلٍ، فَنَظَرَ إِلَيَّ كَالمُتَعَجِّبِ، فَقَالَ لِي: وَمِثْلُنَا، نَحْنُ نَكْشِفُ عَنْ أَحْمَدَ؟! ذَاكَ إِمَامُ المُسْلِمِيْنَ، وَخَيْرُهُم وَفَاضِلُهُم. فَخَرَجْتُ أَسْتَدِلُّ عَلَى مَنْزِلِ أَحْمَدَ بنِ حَنْبَلٍ، فَدُلِلْتُ عَلَيْهِ، فَقَرَعْتُ بَابَهُ، فَخَرَجَ إِلَيَّ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ رَجُلٌ غَرِيْبٌ، نَائِي الدَّارِ، هَذَا أَوَّلُ دُخُوْلِي هَذَا البَلَد، وَأَنَا طَالِبُ حَدِيْثٍ، وَمُقَيِّدُ سُنَّةٍ، وَلَمْ تَكُنْ رِحْلَتِي إِلاَّ إِلَيْكَ.

فَقَالَ: ادْخُلِ الأَصطوَانَ وَلاَ يَقَعُ عَلَيْكَ عَيْنٌ. فَدَخَلْتُ، فَقَالَ لِي: وَأَيْنَ مَوْضِعُكَ؟ قُلْتُ: المَغْرِبُ الأَقْصَى. فَقَالَ: إِفْرِيْقِيَّة؟ قُلْتُ: أَبْعَدُ مِنْ إِفْرِيْقِيَّةَ، أَجُوْزُ مِنْ بَلَدِي البَحْرَ إِلَى إِفْرِيْقِيَّةَ، بَلَدِي الأَنْدَلُس. قَالَ: إِنَّ مَوْضِعَكَ لَبَعِيْدٌ، وَمَا كَانَ شَيْءٌ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُحْسِنَ عَوْنَ مِثْلِكَ، غَيْرَ أَنِّي مُمْتَحَنٌ بِمَا لَعَلَّهُ قَدْ بَلَغَكَ. فَقُلْتُ: بَلَى، قَدْ بَلَغَنِي، وَهَذَا أَوَّلُ دُخُولِي، وَأَنَا مَجْهُوْلُ العَيْنِ عِنْدَكُم، فَإِنْ أَذِنْتَ لِي أَنْ آتِيَ كُلَّ يَوْمٍ فِي زَيِّ السُّؤَّالِ، فَأَقُوْلُ عِنْدَ البَابِ مَا يَقُوْلُهُ السُّؤَّالُ، فَتَخْرُجُ إِلَى هَذَا المَوْضِعِ، فَلَو لَمْ تُحَدِّثْنِي كُلَّ يَوْمٍ إِلاَّ بِحَدِيْثٍ وَاحِدٍ، لَكَانَ لِي فِيهِ كِفَايَةٌ. فَقَالَ لِي: نَعَمْ، عَلَى شَرْطِ أَنْ لَا تَظْهَرَ فِي الخَلْقِ، وَلا عِنْدَ المُحَدِّثِيْنَ.

فَقُلْتُ: لَكَ شَرْطُكَ، فَكُنْتُ آخُذُ عَصًا بِيَدِي، وَأَلُفُّ رَأْسِي بِخِرْقَةٍ مُدَنَّسَةٍ، وَآتِي بَابَهُ فَأَصِيحُ: الأَجْرَ - رَحِمَكَ اللهُ - وَالسُّؤَّالُ هُنَاكَ كَذَلِكَ، فَيَخْرُجُ إِلَيَّ، وَيُغْلِقُ، وَيُحَدِّثُنِي بِالحَدِيْثَيْنِ وَالثَّلاثَةِ وَالأَكْثَر، فَالْتَزَمْتُ ذَلِكَ حَتَّى مَاتَ المُمْتَحِنُ لَهُ، وَوُلِّيَ بَعْدَهُ مَنْ كَانَ عَلَى مَذْهَبِ السُّنَّةِ، فَظَهَرَ

أَحْمَدُ، وَعَلَتْ إِمَامَتُهُ، وَكَانَتْ تُضَرَبُ إِلَيْهِ آباطُ الإبل، فَكَانَ يَعْرِفُ لِي حَقَّ صَبْرِي، فَكُنْتُ إِذَا أَتَيْتُ حَلْقَتَهُ فَسَحَ لِي، وَيَقُصُّ عَلَى أَصْحَابِ الحَدِيْثِ قِصَّتِي مَعَهُ، فَكَانَ يُنَاوِلُنِي الحَدِيْثَ مُنَاوَلَةً، وَيَقْرَؤُهُ عَلَيَّ، وَأَقرَؤُهُ عَلَيْهِ، فاعتللتُ علَّةً أشفيتُ منها، ففقدنى من مجلسى، فسأل عنى، فأُعلمَ بعِلَّتى، فقام من فوره مُقبلًا إلىَّ عائدًا لى بمن معه، وأنا مُضطجِعٌ فى البيت الذى كنتُ اكتريتُ، ولَبَدى تحتى، وكسائى علىَّ، وكُتُبى عند رأسى، فسمعتُ الفندق قد ارتجّ بأهله، وأنا أسمعهم: هو ذاك، أبصروه، هذا إمام المسلمين مُقبلًا، فبدر إلىَّ صاحب الفندق مُسرعًا، فقال لى: يا أبا عبد الرحمن، هذا أبو عبد الله أحمد بن حنبل إمام المسلمين مُقبلًا إليك، عائدًا لك.

فدخل فجلس عند رأسى، وقد احتشى البيت من أصحابه فلم يسعهم، حتى صارت فرقةٌ منهم فى الدار وقوفًا، وأقلامهم بأيديهم، فما زادنى على هذه الكلمات، فقال لى: يا أبا عبد الرحمن، أبشرْ بثواب الله، أيام الصحة لا سقم فيها، وأيام السقم لا صحة فيها، أعلاك الله إلى العافية، ومسح عنك بيمينه الشافية، فرأيت الأقلام تكتب لفظه، ثم خرج عنى، فأتانى أهل الفندق يلطفون بى، ويخدموننى ديانةً وحسبَةً، فواحد يأتى بفراش، وآخر بلحاف، وبأطيب الأغذية، وكانوا فى تمريضى أكثر من تمريض أهلى لو كنت بين أظهرهم؛ لعيادة الرجل الصالح[1].

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢٩٢- ٢٩٤).

رجلٌ نصرانيٌّ يبشر صلاح الدين بفتح القدس

۞ كان داود بن أبى المُنى، المعروف بأبى سُلَيْمَان الطبيب النصرانى، موجودًا بمصر، وله خمسة أولاد، وأصله من القدس... فاتَّفق أن أبا سليمان قد تنبأ بأنَّ القائد صَلَاح الدّين سيفتح الْقُدس سنة ثمانين وخمسمائة، وَأَنه سيدْخل إِلَيْهَا من بَاب الرَّحْمَة فَقَالَ أبو سليمان لوَلَده الْفَارِس أبى الْخَيْر ابْن أبى سُلَيْمَان: امْضِ يا ولدى إِلَى القائد صَلَاح الدّين وبشِّره بهذه البشارة!!

فوصل إلى صلاح الدين، وبلَّغه بشارة أبيه، ففرح صلاح الدين بذلك، وأنعم عليه بجائزة سَنيَّة، وَقَالَ لَهُ: متى أتمَّ الله ما ذكرتَ، فاجعلوا هذا العلم الأصفر فوق داركم، فإن داركم فى أمان، وكذلك الحارة التى بها داركم إكرامًا لكم!!

وأرسلوا العلم الأصفر مع الفقيه عيسى الذى كان قد توجَّه إلى القُدس لتعليم أهلها مبادئ الدين .. ودخل الفقيه عيسى إلى الدار، ووضع العلم الأصفر عليها، وأقام بالدار حفظًا لها وللحارة.

فلمَّا قامت الحرب، وحلَّ الميعاد، صح جميع ما قاله الطبيب النصرانى أبو سليمان ... ولم يَسْلَم من القتل والأسر والدمار سوى بيت أبى سليمان..

ولما انتهتِ الحربُ وفُتِحَتِ القُدس، استدعى القائد صلاح الدين الأيوبى الطبيب النصرانى أبا سليمان، وعند قدومه قام له صلاح الدين واستقبله بنفسه، وقابله بالأحضان، وقال له: أنت طبيب ماهر، وقد وصلتنا بُشْرَاك، وأتمَّ الله لنا جميع ما قُلت، فَتَمَنَّ عليَّ الأمانى.

فقال أبو سليمان والدموعُ تقطُرُ من عينيهِ: أتمنى حفظ أولادى الخمسة!!

فأخذ صلاح الدين أولاده، واعتنى بهم، وسَلَّمَهَم إلى الملك العادل، وأوصاه بإكرامهم، ثم كتب صلاح الدين كُتبًا إلى سائر ممالكه برًّا وبحرًا بإعفاء جميع النصارى من الجزية إكرامًا لهم[١].

(١) الوافى بالوفيات للصفدى (١٣/ ٥٠٤) صلاح الدين القائد وعصره الدكتور/ مصطفى الحيارى (ص٥٢٥، ٥٢٦).

هذا هو صلاح الدين الأيوبى رَحِمَهُ اللَّهُ

۞ مضى صلاح الدين الأيوبى فى فتح القدس، وحين طلب منه الصليبيون الأمان والسلام، استجاب لهم...

وتَسلَّم صلاح الدين القدس فى اليوم السابع والعشرين من رجب، وكان يوم جمعة وفيه ليلة الإسراء.

ولم يفعل صلاح الدين بالصليبيين مثلما فعلوا بالمسلمين من قتلٍ وسبى وذبح وتشريد، وإنما استجاب إلى طلب الصلح الذى طلبه منه البطريرك المسيحى الصليبى[1].

۞ جاء جنود صلاح الدين الأيوبى إليه بأسير من الصليبيين، فأخذ الأسير يرتجف ويرتعد.

فسأله صلاح الدين عن سبب جزعه وارتجافه، فقال الأسير فى اطمئنان، وهو رابط الجأش (أى شجاع قوى القلب) بعد أن شعر بالأمان: إننى لا أخاف شيئًا، وقد رأيت نور وجهك!!

فهشَّ له صلاح الدين (أى انشَرحَ صدرُه سُرورًا به) وعفا عنه، وأطلق سراحه[2].

۞ وفى عكا، دَخَلَ رجلٌ طاعنٌ فِى السنِّ من الصليبيين المسيحيين إلى القائد صلاح الدين الأيوبى، فسأله صلاح الدين: ما الذى جاء بك؟!

(١) أيام صلاح الدين/ لعبد العزيز سيد الأهل (ص ١٨٧).

(٢) أيام صلاح الدين / لعبد العزيز سيد الأهل، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة، (ص ٥٢).

فقال الرجُل: لقد جئت للحج، لا للحرب.

فأمر صلاح الدين بتوصيله على فرسٍ إلى حيث يريد[١].

أطلقوا سراح العريس

❁ تقدمت عروس شابة من الصليبيين إلى القائد صلاح الدين الأيوبى وهو يحاصر حصن (برزيه) فى بلاد الشام، فقالت له:

أيها القائد العظيم، إننى كنتُ سأُزفُّ إلى شابٍّ من بلدى، وكان ميعاد الزفاف بالأمس، لولا أنه وقع فى الأَسر، وأصبح الآن أسيرًا عندك...

ثُمَّ انهمرت دموعها تسيل على خدَّيها وظلت تبكى بين يديه.

فأمر القائد صلاح الدين بإطلاق الأسير، وأهداهُ إلى عروسه، ومنحهما بعض المال[٢].

---

(١) أيام صلاح الدين/ لعبد العزيز سيد الأهل، (ص ٥٢). ملاحظة: المسيحيون يحجون إلى كنيسة القيامة فى فلسطين.

(٢) صلاح الدين الأيوبى قاهر العدوان الصليبى / للدكتور محمد رجب البيومى، سلسلة أعلام المسلمين، العدد (٧٠)، ص (١٨٢).

صلاح الدين يجمع شمل أُسَرِ أعدائه

۞ جاءت الملكة (سيبيل) زوجة أحد الأمراء الصليبيين على القائد صلاح الدين الأيوبى وهى تبكى، وطلبت منه الذهاب إلى زوجها بنابلس، فاستجاب إلى رغبتها، وبعث بها إلى حيث تريد فى حراسة من جنوده، وقد تبعها عدد كبير من النساء والأطفال، فلم يشأ أن يعترض طريقهن، وقد أدركن تسامحه، فرجعن إليه باكيات، وقلن له: لقد أذِنْتَ برحيلنا دون فدية، وفى بيت المقدس أزواجنا الرجال، وإخواننا لا يملكون ما يفتدون به أنفسهم، وهُمْ عُدَّتنا فى حياتنا، وسلاحنا فى أيامنا، وأكثرهم فى الأَسر عندك، فإذا تفضلت علينا بإطلاقهم، حفظت علينا كرامتنا؛ إذ لا بقاء لنا بدونهم، ثم تساقطت دموعهن ألمًا وحسرة. فبكى صلاح الدين بكاءً شديدًا متأثرًا بما سمع، وأمر بإعطاء الأمهات أبناءهن، والزوجات أزواجهن، والبنات آباءهن، وعفا عنهم جميعًا[1].

صفحٌ يغلب انتقامًا

۞ انتصر ريتشارد قلب الأسد قائد الصليبيين فى موقعة عكا، وكان بينه وبين صلاح الدين الأيوبى صُلح، فدخل ريتشارد عكا مُقيدًا بشروط الصلح، ولكنه طرحها وراء ظهره، وقبض على المسلمين الموجودين بعكا، وكانوا أكثر من ثلاثة آلاف مسلم، وأعمل فيهم السيف جميعًا (أى قتلهم).

---

(١) صلاح الدين الأيوبى قاهر العدوان الصليبى للدكتور محمد رجب البيومى (ص ١٨١).

وفى فتح القدس انتصر صلاح الدين الأيوبى على الصليبيين، فكيف كان موقفه من أسرى الصليبيين وعددهم كان أكثر من عدد المسلمين الشهداء؟! وقد أُشير عليه بأن ينتقم من أَسرى الصليبيين ردًّا على موقف ريتشارد من المسلمين فى عكا!!... إلاَّ أن صلاح الدين قال قولته المشهورة:

«الخطأ لا يبرر الخطأ، وما ذنب هؤلاء الأسرى إذا كان غادرٌ لم يفِ بالعهد، أنحاسبهم بذنبه؟!».

ولهذا عفا عنهم جميعًا، وتركهم يرحلون آمنين، ومن بقى منهم كان آمنًا على نفسه وماله[1].

حرية العبادة للمسيحيين

۞ انعقد الصلح النهائى بين الصليبيين وبين صلاح الدين الأيوبى، على أن يكون للصليبيين المنطقة الساحلية من صور إلى يافا، مع ضمان حرية الحج للمسيحيين فى كنيسة القيامة، وعدم مطالبة المسيحيين بدفع أية ضريبة، وعلى أن تعود مدينة (عسقلان) إلى المسلمين.

وهذه شروط قد مكنت صلاح الدين من الاحتفاظ ببيت المقدس.

وقد ارتضى الطرفان هذا الصلح وفرحا به فرحًا شديدًا[2].

ومما فيه من سماحة أنه ضَمِنَ حرية العبادة للمسيحيين دون أية ضغوط عليهم أو إلزامهم بدفع ضريبة!!.

(١) صلاح الدين الأيوبى قاهر العدوان الصليبى / للدكتور محمد رجب البيومى، (ص ٢٣٥).

(٢) صلاح الدين الأيوبى قاهر العدوان الصليبى / للدكتور محمد رجب البيومى، (ص ٢٤٢).

صلاح الدين يكظم غيظه

۞ من صفات المتقين، وسمات المحسنين كظم الغيظ، والعفو عن الإساءة وتُعظَّم هذه الصفات وتُعلي قدر صاحبها إذا كانت مع غير المسلمين، فمن التزم الإسلام الصحيح تسربل بثياب السماحة مع المسلم وغير المسلم،... وهذا القائد المظفر، وسلطان المسلمين فى زمانه صلاح الدين يضرب لنا مثلًا رائعًا فى ذلك، فقد خاطبه أحد الأكراد من المسيحيين بألفاظ هى أفظع ما يُوجَّه لإنسان، فما كان من هذا القائد العظيم إلا أن كظم غيظه وانصرف إلى خيمته.

ظن ولده الظاهر أن والده صلاح الدين سيُصدر أمرًا خطيرًا بشأن هذا الكردى، ولكن القائد العظيم المتسامح عفا عن هذا المتهور، وتركه يمضى إلى حال سبيله، ثمَّ قدَّم الفاكهة لزائريه وهو يقول لهم: كُلوا كُلوا لتنسوا ما كان[1].

---

(١) صلاح الدين الأيوبى قاهر العدوان الصليبى للدكتور محمد رجب البيومى (ص ٢٥٧، ٢٥٨) بتصرف.

غدر الأسير وسماحة صلاح الدين

۞ كان من القادة الذين أُسروا فى معركة حطين (باليان الثانى)، وقد توسل لصلاح الدين، وركع على قدميه راجيًا أن يُطلق سراحه، فتأثر صلاح الدين لمذلَّته وانكساره، وعفا عنه على أن يذهب (باليان الثانى) إلى بيت المقدس ليجمع أولاده وأمواله وينتقل إلى إمارة أخرى.

ولم يصدق (باليان الثانى) عفو القائد صلاح الدين، فانهار على يده لثمًا وتقبيلًا، ولكن (باليان) حينما وصل بيت المقدس أعلن غدره استجابة للجنود وللقادة الصليبيين الموجودين بها، وأخذ (باليان) يجمع الرجال والصبيان وكل من بلغ الخامسة عشرة من التجار والصُّنَّاع، واتَّجه إلى كنيسة القيامة وأخذ ما بها من النفائس والجواهر والحُلى والأوانى الذهبية والفضية، وصهر ذلك كله نقودًا يستعين بها على قضاء حاجات الجيش المستعد لمواجهة صلاح الدين، وقد علم صلاح الدين أن هذا الأسير المُعتَق يستعد لمواصلة الحرب.

ولكن صلاح الدين لم يشأ أن يواجهه فى فورة حماسة جنوده، بل تظاهر أنه عَدَلَ نهائيًّا عن غزو بيت المقدس، واتَّجه إلى المُدن الساحلية ليستولى عليها مدينة تلو الأخرى؛ إذ توقع إمدادات كثيرة ستصل من أوروبا إلى الساحل عن طريق البحر انتقامًا لموقعة حطين، فإذا سقطت مُدن الساحل كان ذلك صدمة للقادمين وقطعًا للاتصال البحرى بين القادم والمحاصر.

واستولى صلاح الدين فى طريقه على مدن كثيرة متجهًا إلى بيت المقدس، ولم يشأ أن يهاجم المدينة على حين غِرَّة (غفلة) من أهلها،

حفاظًا على أرواح أهلها، وتقديرًا لما بها من مقدسات دينية، ولهذا أرسل رسله إلى (باليان الثانى) يُذكرِّه بالعهد السابق، فعرض عليه صلاح الدين أن تُسَلَّم مدينة بيت المقدس بشروط آمنة قبِلها الصليبيون فى مُدنٍ مجاورة، وأهمها الأمان على الأرواح والأموال والنساء والأولاد، والسماح بالرحيل لمن لم يشأ أن يقيم ببيت المقدس.

ولكن (باليان الثانى) أصرَّ على العناد ورفض هذه الشروط!!

وقد جاءت رسالةٌ إلى صلاح الدين الأيوبى من زوجة (باليان الثانى) وهى الملكة (ماريا كومنين) ترجو منه أن يوفر لها الحراسة الآمنة حتى تنتقل بحاشيتها من بيت المقدس إلى طرابلس.

وقد علم صلاح الدين أن هذه الرسالة من وحى زوجها الماكر وتدبيره حرصًا على زوجته وأولاده من نيران الحرب؛ فإذا بصلاح الدين يرحب بالرسالة ويستجيب للملكة ويطلب منها أن تعلن أن صلاح الدين الأيوبى لن يعترض طريق أى راحل من بيت المقدس من النساء والشيوخ والأطفال؛ لأن هؤلاء ليسوا من أهل الحرب، وهو لا يحارب إلا من يرفع السلاح فى وجهه.

ومن أطرف ما واجهه صلاح الدين حين أعلن ذلك، أَنَّ صليبيًّا تقدَّم إليه يسأله: إذا كان صلاح الدين يُعلن سماحته هكذا، فلماذا حضر إلى بيت المقدس؟!.

فقال صلاح الدين فى هدوء: هل كانت بيت المقدس لكم أم أنكم جئتم فأخذتموها من أصحابها، وأهدرتم الدماء فى يومٍ مشئوم تتحدثون عنه بالإعجاب؟!

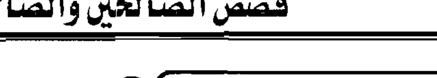
ثم قال للسائل: اذهب سالمًا ولن يعترضك أحد، وقُل لمن أرسلوك: إننا لا نحاربكم فى أوروبا، ولم نخترق البحر بسفننا؛ كى نعتدى عليكم فى دياركم، ولكنكم اعتديتم على الآمنين، فكان علينا أن نرد الاعتداء!!

وهاجم صلاح الدين بيت المقدس، وأدرك (باليان الثانى) أن المقاومة لن تُجدى شيئًا، فعمل على الاتصال بصلاح الدين من أجل التفاوض والصلح.. وانتهى الصلح إلى أن يغادر الصليبيون بيت المقدس على أن يدفع الرجل منهم عشرة دنانير، والمرأة خمسة، والطفل دينارًا واحدًا، وأعلن صلاح الدين عفوه التام لفقراء الصليبيين رحمة بفقرهم، ولم يأخذ منهم فدية.

وبدأت رحلة الجلاء على مدى أربعين يومًا[1].

---

(١) صلاح الدين الأيوبى قاهر العدوان الصليبى للدكتور محمد رجب البيومى، (ص ١٧٤) وما بعدها. نقلًا عن كتاب (١٠٠ قصة وقصة فى سماحة الإسلام)/ د. صلاح عبد التواب، د. محمد الحصاد (ص ٦٤: ٦٩) بتصرف.



رقة قلب صلاح الدين الأيوبي رَحِمَهُ اللَّهُ

۞ أثناء الحرب الطويلة بين المسلمين والصليبيين، أغار المسلمون على الصليبيين، فأخذوا معهم من معسكرهم طفلًا رضيعًا من مهده (سريره).

فحزنت عليه أمه حُزنًا شديدًا، واشتكت إلى ملوك الصليبيين.

فقالوا لها: إن سلطان المسلمين (أى القائد صلاح الدين الأيوبى) رحيم القلب، وقد أَذِنَّا لكِ أَنْ تذهبى إليه فتشتكى أمركِ إليه.

فجاءت الأم إلى السلطان صلاح الدين الأيوبى واشتكت أمرها إليه.

فَرَقَّ لها صلاح الدين رقةً شديدةً حتى دمعتْ عيناه، ثُمَّ أَمَرَ بإحضار ولدها، فإذا هو قَدْ بِيعَ فى السوق.

فأمر بدفع ثمنه إلى المشترى، ولم يزل واقفًا حتى جىء بالغلام، فأخذتهُ أمهُ وأرضعتهُ ساعةً، وهى تبكى من شدة فرحها وشوقها إليه.

ثم أمر صلاح الدين الأيوبى بحملها إلى خيمتها على فرس مُكَرَّمة[1].

---

(١) «البداية والنهاية» لابن كثير (١٢/ ٤١٧).

صلاح الدين يرد الفتاة لأخيها

۞سحق السلطان صلاح الدين الأيوبى جيش الإفرنج فى «طبريا»، ومزَّق شملهم شر مُمزق، وانتزع منهم بيت المقدس، وبسط سلطان العرب على سورية ومصر.

وكان من ضمن الأسرى والسبايا الذين حملهم فرسان العرب معهم فتاة تُدعى «مارى» وهى أخت أحد جنود الإفرنج يُدْعى «روجيه» وقد جُرح هذا الجندى أثناء المعركة، فَنُقِل مع المصابين من أبناء قومه إلى المستشفيات.

أقامت الفتاة فى قصر الملك الناصر صلاح الدين بين السرارى والجوارى، وقد أشفق عليها الملك الناصر وجعلها حرة فى حدائق القصر وردهاته الواسعة.

ولكنها كانت كالعصفور السجين تطوف فى أرجاء القصر ناظرة إلى النور من خلال السجف (الستائر) الشفافة والنوافذ الضيقة.

بعد فترة علم «روجيه» بمكان أخته، فأسرع الشاب إلى مولاه الملك ريكاردوس، وألقى بنفسه على قدميه باكيًا، طالبًا منه المعونة لإنقاذ أخته من الأسر، فطيَّب خاطره وهدَّأ رَوعه، ووعده بأنه سيحقق أمنيته قائلًا له: اعلم أن السلطان صلاح الدين شهم همام، شريف النفس، عالى الهمة، عادلٌ رحيم، وقد أثبتت لى الحوادث ذلك بما لم يترك مجالًا للشك.

وكتب ملك الإنجليز إلى السلطان صلاح الدين الخطاب الآتى:

أيها الملك، حامل خطابى، جندى من جنودى البواسل، وهو بطل

لاقى أبطالك فى الميادين، وأبلى مثلهم فى القتال البلاء الحسن، وقعت أخته أسيرة فساقها رجالك إلى قصرك، كانت تُدْعى مارى، فأطلقتم عليها اسم ثريا، ولملك الإنجليز رجاء يفضى به إلى ملك العرب: إما أن تُعيد إلى الأخ أخته، وإما أن تحتفظ به أسيرًا معها فلا تفرق بين من جمعهما الله، ولا تحكم على عصفور بأن يعيش بعيدًا عن عشه.

إنى فى انتظار قرارك، وأُذكرك بقول إمامكم عمر بن الخطاب وقد تلقنته عن صديقى الأمير حارث اللبنانى: «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا؟».

فامتطى «روجيه» أسرع الجياد، وراح ينهب الأرض نهبًا إلى مقر السلطان وسجن شقيقته.

ومثل بين يدى الملك الناصر، فدفع إليه الكتاب ووقف ينتظر الرد وقلبه يخفق وشفتاه تختلجان.

قرأ صلاح الدين الكتاب ورفع نظره إلى الشاب المضطرب، ويده تعبث بلحيته الكثيفة، وقد ارتسمت على فمه ابتسامة هى علامة الرضا والارتياح.

ثم دعا «روجيه» إلى الجلوس، وقال: يسرنى أيها الفتى أن أجيب مليكك إلى رغبته، وأن يكون حامل رسالته إلىَّ بطلًا من أبطاله الشجعان، وأن أصافح هذا البطل مصافحة الجندى للجندى! سأكون عند حسن الظن بى، ولن أرفض لريكاردوس طلبًا.

وأمر السلطان بردِّ الفتاة إلى أخيها، ومَدَّ يده إلى «روجيه» فأكبَّ الشاب عليها يُقبلها، وقد تساقطت دموع الفرح من عينيه.

وكتب صلاح الدين الأيوبى إلى ريكاردوس قلب الأسد هذا الرد على كتابه:

«أيها الملك: صافحت الجندى الباسل الذى بعثت به رسولًا إلىَّ، فليحمل إليك المصافحة ممن عرف قدرك فى الميادين، لن أحتفظ بالأخ أسيرًا مع أخته؛ لأننا لا نستبقى فى بيوتنا إلا أسلاب المعارك، لقد أعدنا للأخ أخته، وإذا ما نزل صلاح الدين على قول عمر بن الخطاب، فإنما فعل ذلك لكى ينزل ريكاردوس على قول عيسى: «أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله»، فارحل أيها الملك عن أرضٍ ليست ملكًا لك، وأعدها إلى أصحابها الذين اغتصبتها منهم!»[1].

---

(١) «سماحة الإسلام» للدكتور عمر بن عبد العزيز القريشى (٣/ ٨٥)، ١٩٩٩م.

تلك أخلاق الملوك

۞ في موقعة حِطِّين، حاصر المسلمون الصليبيين في مكان يقال له: حطين، بين طبرية وعكا في بلاد الشام، فما كان من الصليبيين إلا أن جاءوا إلى صلاح الدين في استسلام وخضوع، وقد وقع في الأَسر المئات منهم، ومن بينهم ملك بيت المقدس (جوى)، وكذلك أمير حصن الكرك المسمى (أرناط).

وكان (أرناط) قد نقض عهده مع صلاح الدين الأيوبي باعتدائه على قافلة مصرية عظيمة للتجارة وأسرها وأخذ ما فيها، فذكَّره المسلمون بالهدنة، ولكنه قتل عددًا كبيرًا منهم، واستولى على القافلة.

فأقسم صلاح الدين أن يقتله بنفسه لو أمكنه الله منه!!

فكانت موقعة حطين، وانهزم الصليبيون وكانت كارثة فادحة لحقت بهم، فكان مَنْ شاهد القتلى، قال: ما هناك أسير!!

ومَنْ عاين الأسرى، قال: ما هناك قتيل!!

وبعد انتصار المسلمين، جيء بالملك (جوى) والأمير (أرناط) إلى صلاح الدين.

فكان الملك (جوى) يلهث من العطش، وطَلَبَ الماءَ للشُّرب، فشرب ومد يده بالإناء للأمير (أرناط) ليشرب أيضًا.

فقال صلاح الدين للملك (جوى): أخبر (أرناط) بأنك أنت الذى سقيته وليس صلاح الدين (فقد كانت عادة العرب أن الأسير يأمن من القتل إذا أُذن له بطعام أو شراب) ولهذا لم يحنث في قسمه على قتل أرناط.

وأراد صلاح الدين أن يُبْرئ ذمته من دمه، فعرض عليه الإسلام لعله ينجو ... فرفض (أرناط).

فقال له صلاح الدين: تُرى لو سلكت أنا مسلكك، ثـمَّ وقعت أسيرًا فى قبضتك، فأى المواقف يكون موقفك منى؟!

فأجاب أرناط فى غلظة واضحة: أقطع رأسك دون تردُّد!!

فانتفض صلاح الدين وصاح به: يا لك من وقح!! أفى خيمتى وتجيبنى بهذه اللهجة!!

ثم تقدم منه وسَلَّ خنجره، وضربه ضربةً أطاحت بكتفه، ومات.

ولما رأى الملك (جوى) قتل (أرناط)، فزع على نفسه فأمَّنه صلاح الدين وطيَّبَ خاطره، وقال له: ليس من عادة الملوك أن يقتلوا الملوك!!

وتركه صلاح الدين وعفا عنه، ولم يتعرض لأذى، وودَّعه بعد أن أمَّنه على نفسه وأهله وماله وعفا عمَّن معه من الأسرى من أجله.... وكان صلاح الدين كريمًا نبيلًا معه[1].

(١) «أيام صلاح الدين» لعبد العزيز سيد الأهل، (ص ١٧٧) وما بعدها.

حوار عجيب بين صلاح الدين وقائد صليبي

۞ بعد هزيمة صلاح الدين الأيوبى لجيوش الإفرنج، وانسحابهم إلى الشمال، مرت شهور اقتصرت فيها العلاقات بين السلطان صلاح الدين والأمراء الصليبيين على المعاملات المألوفة، والرامية بعد الحرب لافتداء الأسرى من الجانبين، وتسليم المواقع الحربية،... وأخلد كلا الفريقين إلى الهدوء.

وفى هذه الحال لم يعمد واحد من القواد الصليبيين إلى الهدوء، وجمع حوله فريقًا من المغامرين، وجعل منهم عصابة مسلحة لقطع الطريق على رجال صلاح الدين، سواء أكانوا من الجنود أو من التجار أو من المزارعين والرعاة، يقتلون ويسلبون وينهبون، بقيادة «جان ديلى».

جرَّد صلاح الدين حملة قوامها ثلاثمائة فارس للقضاء على تلك العصابة المؤذية المقلقة، والمجىء إليه بقائدها حيًّا.

على ضفاف الأردن، بالقرب من بحيرة الجليل، وعلى مسافة غير بعيدة من ميدان معركة حطين، تمكن فرسان السلطان من الإحاطة برجال «جان ديلى» وإرغامهم على القتال، وكان عددهم لا يزيد على ستين من الفرسان المدججين بالسلاح والمدرعين بالفولاذ.

قاتل رجال العصابة قتال الأبالسة، وسقطوا فى الميدان الواحد بعد الآخر، وبعد صراع مرير دام ساعات، لم يبقَ من العصابة على قيد الحياة غير قائدها «جان ديلى»، والذى تحطم سيفه فى يده فألقاه جانبًا، واستلَّ خنجرًا واصل به القتال.

ولكن قواه خانته فى النهاية فسقط من الإعياء، وتحطم الخنجر كما تحطم السيف من قبله، ووثب عليه رجال صلاح الدين، وقد غاب عن الوعى.

وبعد حمله إلى السلطان وإفاقته، دار بينه وبين صلاح الدين حوارٌ عجيب؛ حيث سأله صلاح الدين:

۞ ابن مَن أنت؟

قال: ابن أبى وأمى، ويكفيك أن تعرف اسمى، وهو الاسم الذى سيُنقش على جدران الكنائس فى بلدتى: اسمى «جان ديلى».

۞ وما اسم بلدتك؟

۞ ماروندول، فى مقاطعة بروفانس، من ممتلكات ملكِ فرنسا.

۞ متى جئت إلى هنا؟

۞ جئت إلى الأرض المقدسة منذ ثمانية أعوام، وزرت أورشليم حيث قبر المسيح.

۞ أمتزوج أنت؟

۞ نعم. وزوجتى رافقتنى فى رحلتى هذه، وقد قُتلت فى اليوم الذى استوليتم فيه على المدينة المقدسة.

۞ من قتلها؟

۞ جندى من جنودك.

۞ ليس عهدى بهؤلاء الجنود أن يقتلوا النساء.

۞ قتلها جندى من جنودك، إننى لا أكذب، قتلها بسهم وهى واقفة على الأسوار.

۞ كانت إذن تحارب؟

۞ نعم كانت تحارب، ألا تحارب نساؤكم إذا ما ادلهم الخَطب واشتد الخطر؟

۞ فى هذه الحالة يجب على المرأة المحاربة أن تتحمل نصيبها من عواقب القتال.

۞ إننى لا أشكو إليك ذلك الجندى، ولكننى منذ مصرع زوجتى عولت على الأخذ بثأرها.

۞ هل تعرف الجندى الذى قتلها؟

۞ كلَّا.... ولذا فقد قتلت من جنودك كل من تمكنت منه لعله يكون هو القاتل.

۞ ما سنك؟

۞ ثمانية أعوام.

۞ ثمانية أعوام فقط؟

۞ نعم؛ لأننى لا أحسب السنوات التى قضيتها فى وطنى، وقد عشت عمرًا جديدًا منذ أن وطئت قدماى هذه الأرض المقدسة.

۞ أليس لك أبناء؟

۞ كلا.. لم يبقَ لى غير أمى.

۞ ألا تتوق إلى رؤيتها؟

۞ كنت أعلم قبل رحيلى عن وطنى أننى سأواجه المخاطر هنا، وأخوض المعارك، وأُعرض نفسى للموت.

۞ ألست نادمًا على شىء مما أقدمت عليه؟

۞ لم أقدم على شيء مما تحرمه قوانين الحروب، وقوانين الشرف.

۞ لقد سرقت ونهبت وقتلت.

۞ وهل الحرب غيرُ قتلٍ ونهبٍ وَسَرِقَةٍ؟

۞ لقد تسببت فى قتل ستين من الأبطال الذى تبعوك.

۞ نعم، وضعف العدد من الأبطال الذين أرسلتهم أنت للقبض علىَّ حيًّا لا ميتًا.

۞ أليس هذا حرامًا؟

۞ لقد ماتوا مُخيرين، وكان فى وسعهم ألا يموتوا.

۞ أليس لديك رغبة تبديها؛ لكى نجيبك إليها؟

۞ لى رغبة واحدة، كنت أقاتل بالسيف فتكسَّر السيف بيدى، وكنت أقاتل بالخنجر فتكسر نصله أيضًا، ولكنى أريد أن أبحث عن قبضته؛ لكى تُدفَن معى عندما تواروننى التراب.

۞ وأية أهمية لقبضة الخنجر؟! أهى من فضة أو ذهب؟

۞ لا.. إنها قبضة من خشب.. صنعتها لى أمى من غصن شجرة غرستها بيدى وأنا طفل فى البلدة الصغيرة التى نشأت فيها.. فهى إذن التذكار الباقى لى من الشخص الوحيد الباقى على قيد الحياة من أسرتى.

۞ سكت صلاح الدين الأيوبى، وجال بنظره على الأعوان والأنصار الذين حضروا تلك الجلسة وسمعوا تلك المحاورة العجيبة، مذهولين مدهوشين من حلم السلطان ورقته وسعة صدره.

ثم التفت الفاتح العظيم إلى الرجل الذى كان ينتظر الحكم عليه بالإعدام، وقال:

۞ لن نقتلك، ولن ندفن جثتك فى التراب يا «جان ديلى»، فشجاعتك تشفع لك، وحرام علينا أن نجازيك بالموت، ما دمت قد نجوت منه فى الميادين، كنت تعتقد أنك تؤدى واجبًا فرضته الشهامة عليك، طلبًا لثأر زوجتك، فنحن نعفو عنك، ونُطلق سراحك، ولكننا نشترط عليك شرطًا، وهو أن تعود إلى بلادك، وترجع إلى أمك، وتذكر بالخير قومًا كان فى وسعهم أن يعدموك الحياة، فتركوها لك.

فانحنى الرجل أمام السلطان، وقَبَّل طرف ردائه، وظل برهة من الوقت يحدق البصر فى وجه البطل الذى ملأ ذكره الآفاق، وأراد أن يتكلم فعصاه النطق للمرة الأولى فى حياته.

واستطرد صلاح الدين يقول:

۞ سنوفد معك بعض رجالنا للبحث عن قبضة خنجرك، وما تبقَّى من نصله، ثم إننا نهديك هذا الخنجر؛ لتحتفظ به فى بلادك، وتَذْكُر صلاح الدين الأيوبى كلما وقع نظرك على نصله.

أخذ السلطان خنجره الذهبى، وقدَّمه إلى الفارس الصليبى الذى تقبَّله والدموع تترقرق فى عينه.

وأبحر «جان ديلى» عائدًا إلى بلاده، حاملًا معه قبضة الخنجر الذى أهدته إليه أمه، والخنجر الذهبى الذى أهداه إليه السلطان صلاح الدين الأيوبى، بعد أن ربط نفسه بِقَسَم ألا يحمل السلاح محاربًا فى الأرض المقدسة[1].

---

(١) «تاريخ ما أهمله التاريخ»، ص (١٣٣ : ١٣٩) بتصرف.

صلاح الدين لا ينصر خائنًا

۞ بعد فتح المدينة المقدسة، واصل السلطان صلاح الدين طوافه بالمدينة وسط أصوات المنادين يشقون له الطريق، ويدعون صاحب الحاجة إلى بسط حاجته، وصاحب الشكوى إلى رفع شكواه، بلا تمييز بين مسلم ومسيحى، وصديق وعدو، وشرقى وغربى.

وفى طريق الجلجلة، تقدَّم من السلطان أربعة رجال، كُلٌّ منهم يصيح طالبًا من صلاح الدين العدل والإنصاف.

هذا شيخ مسيحى مُسِنٌّ، يمسك بذراع شاب مسلم ويقول بصوت متهدج: إذا كان سلطانكم صالحًا عادلًا، فلن يسكت على ما صنعته بى يا خائن.

سأله صلاح الدين: ما الخبر؟

فقال الرجل: أيها الوالى، أنا فرنسى من بلدة (تولوز)، أقيم فى هذه المدينة منذ عشرين سنة، وقد جاءنى هذا الشاب منذ سنتين، هاربًا من مدينة عسقلان؛ لعمل ارتكبه يستحق الجزاء، ودَخل مدينة القدس خلسة بدون أن يشعر به أحد من الحراس المسيحيين، فأخفيته فى بيتى، وكتمت خبره عن الناس، ولم أطلب منه أن يقص علىَّ قصته.

وقد أقام فى بيتى هذه المدة كلها، يأكل ويشرب وينام، وما فعلت هذا إلا تمشيًا مع واجب الضيافة الذى تعلمته من العرب فى هذا الشرق، ولكن عندما استرجعتم القدس، وخسر الصليبيون كل شىء، وشعر هذا الشاب بأننى أصبحت ضعيفًا، وأصبح هو قويًا، انقلب علىَّ وطردنى من بيتى واستولى على كل شىء منه، فهل أنتم تُطلقون الأيدى للسلب والنهب؟! وتقرون خيانة

الضيف للمضيف، أم تطبقون علينا شروطًا قبلناها، وارتبطتم بها؟.

إن هذا الرجل خائن وسارق، فهل تعاقبه يا صلاح الدين، أم تسكت عن خيانته وسرقته؟

لم يتردد صلاح الدين لحظة في الجواب، بل التفت وقال: أعيدوا إلى هذا الشيخ بيته وماله، واعفوه من الفدية أو الجزية، واسجنوا هذا الشاب حتى ننظر في أمره[١].

رد الجميل

۞ بعدما انتهى السلطان صلاح الدين من الرجلين السابقين التفت إلى الرجلين الآخرين، وسألهما: ما يريدان؟ فقال أحدهما: أنا محمود البصرى يا مولاى، منذ ثلاث أعوام، سقطت فى معركة بيسان جريحًا، وأشرفت على الموت، فأنقذنى هذا الرجل وهو من الفلاحين النصارى، من أبناء سردينيا، وقد التقيت به هنا، بعد دخولنا بيت المقدس منتصرين وهو فقير لا يملك الفدية، ولم يدفعها عنه أحد، فجئت طالبًا أن تُطلق سراح هذا الرجل وتعيد إليه حريته؛ لأنه أنقذ منذ ثلاثة أعوام حياة جندى من جنودك، لا يزال إلى الآن يحارب تحت لوائك ويشاركك فى انتصاراتك.

فقال صلاح الدين: ما اسم الرجل؟

قال: برتران موليه.....

قال صلاح الدين: أنت حر يا برتران موليه... اذهب إلى حيث تشاء، أو ابقَ فى هذه المدينة حرًّا طليقًا معفى من كل قيد[٢].

(١) انظر: تاريخ ما أهمله التاريخ لحبيب جاماتى ص (٩٢).

(٢) المرجع السابق: ص (٩٣).

الرهبان ينحنون لصلاح الدين

۞ إن الناظر لتاريخ المسلمين لا سيما أبطالهم ... وأَخُصُّ بالذكر الناصر صلاح الدين، يجد أنه أمام جبال شوامخ من العظمة، وشواطئ بحار من الرحمة والتسامح،... ومن القصص الدالة على ما تقدم موقف صلاح الدين من كنيسة القيامة ورهبانها بعد دُخوله بيت المقدس.

فقد ترجَّل الفرسان أما مدخل الكنيسة التاريخية (كنيسة القيامة) تنفيذًا لأمر صلاح الدين، وأحاطوا بالسلطان مطرقين صامتين، ورفع صلاح الدين رأسه وقال: جاءنى أمس وفد من الأمراء، يطلبون هدم هذا المكان، وإزالة معالمه، وإنهم لمخطئون، فما جئنا إلى هنا للتخريب والتدمير، ولو قوضنا هذا البناء لاقترفنا عملًا لن يرضى عنه الله، ومنعنا النصارى من أن يحجُّوا إلى هنا، ويستمطروا علينا اللعنة،... سيبقى هذا البناء قائمًا، كما أراد عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يبقيه قائمًا.

علا الهتاف بحياة السلطان مرة أخرى من أفواه المسلمين والنصارى على السواء، وفى هذه اللحظة شق الصفوف فارس من حاشية السلطان، وأسرع إلى صلاح الدين قائلًا: إن البطريرك هرقليوس الرومى يستعد للرحيل عن المدينة، حاملًا معه أكداسًا من التحف والصلبان والمصابيح، والأدوات الكنسية الغالية، وإن المشرفين على تفتيش الراحلين يمنعونه من الخروج بهذه الثروة الطائلة، باعتبارها من الأموال المنقولة التى تعدها شروط الصلح ملكًا للغزاة الفاتحين.

فنظر صلاح الدين إلى الرجل نظرة تمثلت فيها نفسه الأبية النبيلة وأجاب متبسمًا: دع الكهنة والرهبان، وما يستطيعون حمله، فالأموال غير

المنقولة هى التى لا يقوون على حملها، وإذا كنا لا نخرجهم من أماكن العبادة ومن مواصلة صلواتهم وطقوسهم، فهل تريد أن نحرمهم من الأدوات التى يستخدمونها للصلاة فى تلك الأماكن؟ فتقدم أربعة من الرهبان وانحنوا أمام صلاح الدين شاكرين.

وقال كبيرهم: اسمح لنا إذن أيها المولى بالبقاء داخل كنيسة القيامة هذه، وإقامة طقوسنا الدينية فيها، واعفنا من كل جزية وضريبة.

فأجابهم: سيكون لكم ما تريدون، ولن يقال: إن صلاح الدين رفض اليوم طلبًا لواحدٍ منكم.

فانحنى الرهبان الأربعة مرة أخرى، ودعوا للسلطان بالبقاء[1].

(١) (تاريخ ما أهمله التاريخ) (ص ٩١).

هكذا يكون الوفاء

۞ كان فى صفوف الصليبيين أثناء حروبهم مع صلاح الدين جندى فرنسى يُدعى (فيليب دورسال) يخدم الكونت (رودمير)، وفى إحدى المعارك انتحى (فيليب) ناحية ميدان القتال، فرأى بطلًا عربيًّا مشهورًا كثيرًا ما رآه فى الميادين، ولكن هذه المرة رآه وهو يفقد دمه بغزارة، ويئن من الألم.

وكان يطلب الماء، فحمله إليه فيليب، وبعدما رَوى ظمأه فتح عينيه قائلًا: اقتلنى الآن أيها الجندى الصليبى، فإنى أرحل عن هذا العالم قرير العين بعدما قمت بواجبى، وأرجو أن يكون النصر فى هذه الوقعة لأعلام المسلمين.

فقال له (فيليب): وهل سمعت يا ابن الأكارم أن أحدًا من رجال (رودمير) أجهز على جريح؟ لقد عرفتك يا عامر التهامى، وشاهدت فعالك فى الميادين، وثق أن الجندى الذى تراه الآن أمامك يُجلُّ فيك الشهامة والإباء، سأنقذ حياتك، وقد تسنح لك الفرصة فى مستقبل الأيام فتنقذ حياتى.

ولقد انتهت تلك المعركة بانهزام المسلمين، وعند مطاردة الصليبيين للمسلمين لم يلحق (فيليب) بهم، بل ركب جواده وحمل معه عامرًا التهامى إلى مكان منعزل فى الجبل حيث قضى ليلته بقربه، وضمَّد جراحه، حتى عادت إليه قوته.

توثقت عرى الصداقة بين الرجلين، فانتقلا معًا إلى جبل لبنان، فأقاما معًا مدة من الزمن بعيدين عن ساحات القتال.

وكانت الحوادث تتتابع وتتسارع، فاستأذن عامرٌ صديقه الفرنسى ليعود لأهله، فأجابه (فيليب) لذلك، وافترق الصديقان على أمل اللقاء، وانطلق عامرٌ فى طريق العودة حتى حَلَّ فى مضارب عشيرته بوادى التيم، فقوبل بالتهليل والتكبير؛ فقد ظنوه ميتًا، وعلم الرجل أن الملك الناصر صلاح الدين قد أوفد رسله على القبيلة يطلب قيامها إلى القتال، والتحامها بجيش المسلمين فى طبرية.

وفى الاتجاه الآخر علم (فيليب) أن الملك (جى دى لوسينيان) الصليبى قد أوفد رسله إلى الإمارات والحصون والقلاع المسيحية، يطلب من رجالها الاستعداد للحرب، وموافاته إلى بحيرة طبرية للقاء المسلمين.

ولحق كلٍّ من (عامر) و (فيليب) بقيادته العليا، والتوجه حيث تأمرهم به.

وقرر القائد صلاح الدين قتال الصليبيين وانتزاع الأماكن المقدسة من أيديهم، فالتحم الجيشان فى معركة فاصلة يوم السبت الخامس والعشرين من ربيع الثانى سنة (٥٨٢) للهجرة الموافق لسنة (١١٨٧) ميلادية، وانتصر المسلمون، وأعملوا السيف فى الأعداء، ولم ينجُ من الإفرنج إلا بضعة آلاف، طلبوا الأمان من صلاح الدين، فأمر بالكفِّ عن القتال، وأخذ الأسرى إلى القلاع.

وكان منهم (فيليب دورسال)، فطلب عامر من السلطان صلاح الدين العفو عنه.

فقال له: جئتنى تطلب العفو عن جندى مسيحى، حاول ضرب عنقى بسيفه فى الميدان.

فقال له: أعْلَمُ ذلك يا مولاى، ولو كان ذلك الرجل جنديًّا خاملًا لما رأيت منى اهتمامًا بأمره، لكنه من أبطال الصليبيين المعدودين، ومن فرسانهم المغاوير، وقد أنقذ حياتى، فأقسمت أن أُنقذ حياته، وأقابل صنيعه بمثله عندما تسنح الفرصة، وقد سنحت اليوم.

طلب صلاح الدين أن يُؤتى إليه بذلك الرجل الصليبى، فساق الجنود إليه (فيليب دورسال).

فقال صلاح الدين: لقد حاولت قتلنا يا هذا، ونحن الآن نعفو عنك، فهل تحفظ لنا جميل الذكرى على صنيعنا هذا؟

فقال له بعد أن ألقى نظرة على حاشية السلطان: أيها المولى، إنك تعفو عنى إجابة لرغبة عامر التهامى، الذى أنقذت حياته، فأراد اليوم أن ينقذ حياتى، فلست إذن مدينًا لك بعطفٍ أو معروف، وإنما أنا مدين بهما إلى هذا الصديق الوفى؛ ولولاه لما عفوت عنى، بل لضربت عنقى.

فمد صلاح الدين يده إلى (فيليب دورسال) وقال: وددت والله لو لم يطلب عامر العفو عنك؛ لكى أصدر ذلك العفو من تلقاء نفسى، مكافأة لك على صراحتك، واعترافًا منى بشجاعتك، فَصَافِح أيها البطل هذه اليد التى لم تصافح إلا أيدى الشجعان الصناديد.

لقد أجبت عامرًا التهامى إلى رغبته، وعفوت عنك، وأضيف على ذلك أننى لن أحتفظ بك أسيرًا، وإنك حُرٌّ طليق[١].

---

(١) تاريخ ما أهمله التاريخ، ص (٨٢، ٨٧) بتصرف.

ربيعة الرأي.... وقصة تفوق الخيال

۞ عن عبد الوهاب بن عطاء الخفاف قال: حدثنى مشيخة أهل المدينة أن فَرُّوخًا أبا عبد الرحمن أبا ربيعة خرج فى الثغور إلى خُراسان أيام بنى أمية غازيًا وربيعة حَمْلٌ فى بطن أمه، وخلَّف عند زوجته أم ربيعة ثلاثين ألف دينار فقَدِم المدينة بعد سبعٍ وعشرين سنة وهو راكب فرس وفى يده رمح، فنزل عن فرسه، ثم دفع الباب برمحه، فخرج ربيعة، فقال له: يا عدو الله، أتهجم على منزلى؟

فقال: لا. وقال فروخ: يا عدو الله، أنت رجل دخلت على حرمتى، فتواثبا، وتلبَّث كل واحدٍ منهما بصاحبه، حتى اجتمع الجيران، فبلغ مالك ابن أنس والمشيخة، فأتوا إلى ربيعة، فجعل ربيعة يقول: والله لا أفارقك إلا عند السلطان، وجعل فروخ يقول: والله لا أفارقك إلا بالسلطان، وأنت مع امرأتى ... وكثر الضجيج.

فلما بصروا بمالك سكت كلهم، فقال مالك: أيها الشيخ، لك سَعَة فى غير هذه الدار.

فقال الشيخ: هى دارى، وأنا فَرُّوخ مولى بنى فلان، فَسمِعَتْ امرأته كلامه، فخرجت، فقالت: هذا زوجى، وهذا ابنى الذى خَلَفَه وأنا حامل به، فاعتنقا جميعًا، وبكيا.

فدخل فروخ المنزل، وقال: هذا ابنى؟

قالت: نعم.

قال: فأَخْرِجى المال الذى لى عندك، وهذه معى أربعة آلاف دينار.

فقالت: المال قد دفنته، وأنا أُخرجه بعد أيام.

فخرج ربيعة إلى المسجد، وجلس فى حلقته، وأتاه مالك بن أنس والحسن بن زيد وابن أبى على اللهبى والمساحقى وأشراف أهل المدينة وأحدق الناس به.

فقالت امرأة فروخ: اخْرُجْ فصلِّ فى مسجد الرسول، فخرج، فنظر إلى حلقةٍ وافرة، فأتاه فوقف عليه، ففرَّجوا له قليلًا، ونكَّس ربيعة رأسه يُوهِمُه أنه لم يره.

فقال أبو عبد الرحمن: مَنْ هذا الرجل؟

فقالوا: هذا ربيعة بن عبد الرحمن! فقالوا أبو عبد الرحمن: لقد رفع الله ابنى،... فرجع إلى منزله، فقال لوالدته: لقد رأيت ولدك فى حالة ما رأيت أحدًا من أهل العلم والفقه عليها! فقالت أمه: أيما أحب إليك ثلاثون ألف دينار أو هذا الذى هو فيه من الجاه؟

قال: لا والله بل هذا.

قالت: فإنى أنفقت المال كله عليه.

قال: فو الله ما ضيعته[1].

---

(١) أخرجه الخطيب فى تاريخ بغداد (٨/ ٤٢١، ٤٢٢)، وابن الجوزى فى صفة الصفوة (٢/ ١٤٩، ١٥٠)، والمزى فى تهذيب الكمال (٩/ ١٢٦، ١٢٧)، والذهبى فى سير أعلام النبلاء (٦/ ٩٣).

المرأة التي وعظت عالمًا

۞ هذه قصة من قصص بنى إسرائيل حدَّث بها رجل ممن أسلم منهم، وهى تحكى خبر عالم من علماء بنى إسرائيل توفيت زوجته، فانقطع عن الناس لشدة حزنه عليها، فأصرت امرأة على مقابلته، وضربت له مثلًا، يصور حاله من حيث لا يدرى، فانتفع بما ضربته له، وأقلع عن شديد حزنه، ورجع إلى مخالطة قومه.

روى مالك فى موطئه عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ، عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ، أَنَّهُ قَالَ: «هَلَكَتِ امْرَأَةٌ لِى، فَأَتَانِى مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ الْقُرَظِيُّ يُعَزِّينِى بِهَا فَقَالَ: إِنَّهُ كَانَ فِى بَنِى إِسْرَائِيلَ رَجُلٌ فَقِيهٌ عَالِمٌ عَابِدٌ مُجْتَهِدٌ، وَكَانَتْ لَهُ امْرَأَةٌ. وَكَانَ بِهَا مُعْجَبًا وَلَهَا مُحِبًّا، فَمَاتَتْ فَوَجَدَ عَلَيْهَا وَجْدًا شَدِيدًا، وَلَقِىَ عَلَيْهَا أَسَفًا، حَتَّى خَلَا فِى بَيْتٍ، وَغَلَّقَ عَلَى نَفْسِهِ، وَاحْتَجَبَ مِنَ النَّاسِ. فَلَمْ يَكُنْ يَدْخُلُ عَلَيْهِ أَحَدٌ.

وَإِنَّ امْرَأَةً سَمِعَتْ بِهِ فَجَاءَتْهُ، فَقَالَتْ: إِنَّ لِى إِلَيْهِ حَاجَةً أَسْتَفْتِيهِ فِيهَا. لَيْسَ يُجْزِينِى فِيهَا إِلَّا مُشَافَهَتُهُ، فَذَهَبَ النَّاسُ، وَلَزِمَتْ بَابَهُ. وَقَالَتْ: مَا لِى مِنْهُ بُدٌّ.

فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ: إِنَّ هَاهُنَا امْرَأَةً أَرَادَتْ أَنْ تَسْتَفْتِيَكَ، وَقَالَتْ: إِنْ أَرَدْتُ إِلَّا مُشَافَهَتَهُ وَقَدْ ذَهَبَ النَّاسُ. وَهِىَ لَا تُفَارِقُ الْبَابَ. فَقَالَ: ائْذَنُوا لَهَا. فَدَخَلَتْ عَلَيْهِ. فَقَالَتْ: إِنِّى جِئْتُكَ أَسْتَفْتِيكَ فِى أَمْرٍ. قَالَ: وَمَا هُوَ؟

قَالَتْ: إِنِّى اسْتَعَرْتُ مِنْ جَارَةٍ لِى حُلْيًا، فَكُنْتُ أَلْبَسُهُ وَأُعِيرُهُ زَمَانًا، ثُمَّ إِنَّهُمْ أَرْسَلُوا إِلَيَّ فِيهِ، أَفَأُؤَدِّيهِ إِلَيْهِمْ؟

فَقَالَ: نَعَمْ. وَاللهِ. فَقَالَتْ: إِنَّهُ قَدْ مَكَثَ عِنْدِى زَمَانًا، فَقَالَ: ذَلِكِ أَحَقُّ لِرَدِّكِ إِيَّاهُ إِلَيْهِمْ، حِينَ أَعَارُوكِيهِ زَمَانًا، فَقَالَتْ: أَى يَرْحَمُكَ اللهُ، أَفَتَأْسَفُ عَلَى مَا أَعَارَكَ اللهُ، ثُمَّ أَخَذَهُ مِنْكَ وَهُوَ أَحَقُّ بِهِ مِنْكَ؟ فَأَبْصَرَ مَا كَانَ فِيهِ وَنَفَعَهُ اللهُ بِقَوْلِهَا (١).

***

(١) هذا الحديث رواه مالك فى موطئه، كتاب الجنائز، باب جامع الحسبة فى المصيبة، (ص١٦٣)، ورقم (٤٣).

وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط فى تعليقه على الحديث فى جامع الأصول (٦/ ٣٣٩): إسناده إلى محمد بن كعب القرظى صحيح.

* وجد عليها وجدًا شديدًا: أى: حزن عليها حزنًا عظيمًا.

ليس يجزينى: أى: ليس يغنينى.

أى: يرحمك الله: (أى) لنداء القريب.



كانت تمسك عن الزواج بعد موت زوجها لتكون زوجته في الجنة

۞ وكان من صور الوفاء التى تُنقش على القلوب بماء الذهب أن الواحدة من نساء السلف كانت إذا مات زوجها تُمسك عن الزواج من بعده لتكون زوجة له فى جنة الرحمن (جل وعلا).

۞ عن عكرمة: أن أسماء بنت أبى بكر كانت تحت الزبير بن العوام، وكان شديدًا عليها، فأتت أباها، فشكت ذلك إليه، فقال: «يا بنية اصبرى، فإن المرأة إذا كان لها زوج صالح، ثم مات عنها، فلم تَزوَّج بعده جُمع بينهما فى الجنة»[١].

۞ وعن جبير بن نفير، عن أم الدرداء، أنها قالت لأبى الدرداء: «إنك خطبتنى إلى أبوى فى الدنيا، فأنكحوك، وأنا أخطبك إلى نفسك فى الآخرة»، قال: «فلا تنكحين بعدى»، فخطبها معاوية، فأخبرته بالذى كان، فقال: «عليكِ بالصيام»[٢] ....أى: حتى لا تحتاج إلى الزواج.

وعن ميمون بن مهران قال: خطب معاوية بن أبى سفيان ﵁ أم الدرداء، فأبت أن تزوَّجه، وقالت: سمعت أبا الدرداء يقول: قال رسول الله ﷺ: «**المرأة فى آخر أزواجها**، أو قال: **لآخر أزواجها**»[٣].

۞وعن حذيفة ﵁ أنه قال لزوجته: «إن شئتِ أن تكونى زوجتى فى

---

(١) صحيح: صححه العلامة الألبانى ﵀ فى السلسلة الصحيحة (١٢٨١).

(٢) سير أعلام النبلاء (٤/ ٢٧٨).

(٣) الحديث صححه الألبانى فى الصحيحة بشواهده (١٢٨١).

الجنة، فلا تزوجى بعدى، فإن المرأة فى الجنة لآخر أزواجها فى الدنيا»[(١)].

۞ **صورة للوفاء تفوق الخيال:**

وهذه صورة للوفاء تفوق الخيال يعجز القلم عن وصفها فتأملى أيتها الأخت الفاضلة كيف كان حال نساء سلفنا الصالح مع نعمة الوفاء.... وخلاصة هذه الصورة التى تفوق الخيال:

«إن فاطمة بنت أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان كان لأبيها - يوم تزوجت- السلطان الأعظم على الشام والعراق والحجاز واليمن وإيران والسند وقفقاسيا والقريم وما وراء النهر إلى نجارا وجنوة شرقًا، وعلى مصر والسودان وليبيا وتونس والجزائر والمغرب الأقصى وإسبانيا غربًا، ولم تكن فاطمة هذه بنت الخليفة الأعظم وحسب، بل كانت كذلك أخت أربعة من فحول خلفاء الإسلام وهم: الوليد بن عبد الملك، وسليمان بن عبد الملك، ويزيد بن عبد الملك، وهشام بن عبد الملك، وكانت فيما بين ذلك زوجة أعظم خليفة عرفه الإسلام بعد خلفاء الصدر الأول، وهو أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز.

بنــت الخليفــة، والخليفــة جَــدُّها أخت الخلائف، والخليفة زوجها[(٢)]

وهذه السيدة التى كانت بنت خليفة، وزوجة خليفة، وأخت أربعة من الخلفاء، خرجت من بيت أبيها إلى بيت زوجها يوم زُفَّت إليه وهى مثقلة بأثمن ما تملكه امرأة على وجه الأرض من الحُلى والمجوهرات، ويقال إن

(١)أخرجه البيهقى فى «سننه» (٧/ ٦٩، ٧٠) وتتمته: «فلذلك حرم الله على أزواج النبى ﷺأن ينكحن بعده، لأنهن أزواجه فى الجنة»، وفيه أبو إسحاق السبيعى.

(٢)البداية والنهاية (٩/ ١٩٣).

من هذه الحلى قرطى مارية[1] اللذين اشتهرا فى التاريخ، وَتغنَّى بهما الشعراء، وكانا وحدهما يساويان كنزًا.

(١) وكان أبوها عبد الملك بن مروان رَحِمَهُ اللَّهُ قد أعطاها قُرْطى مارية، والدُّرَّةَ اليتيمة، وكانت أحبَّ أخواتها إليه، وكان قد دعا لها قائلًا: «اللهم احفظنى فيها» فتزوجها ابن عمها عمر بن عبد العزيز اهـ من «البداية والنهاية» (٩/ ٦٧).

الرباب بنت امرئ القيس

۞ أجمع كلُّ مَنْ عرف الرَّباب بنت امرئ القيس أنَّها من خيار النسوة، ومن فضليات التَّابعيات اللاتى تركن مجدًا مؤثلًا من الفضائل والوفاء والإخلاص. فقد كانت الرَّباب فتاة تبدو عليها ملامح الذكاء والفطنة، وتسيلُ على لسانها نفحات من الشِّعر ورقائق من الأدب، وقد حباها الله ﷻ مسحةً من الوضاءة والجمال، وجمعت من كلِّ فضلٍ من الفضائل بطرف، مما جعلها أثيرةً لدى زوجها الحُسين بن على رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا[1].

۞ ولما قُتل الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فى أرض كربلاء حزنت الرباب عليه حزنًا كاد أن يمزق قلبها.

۞ وفى المدينة المنورة، أقامتِ الرَّبابُ بنت امرئ القيس، ولما انتهت عدتها، توافدَ الأشرافُ من قريش لخطبتها، لِمَا عهدوا عندها من صفاتٍ كريمةٍ لا تتوافر إلا فى قليلاتٍ من بناتِ جنْسِها، ولكن أنَّى لهم ذلك؟!!

وقد عقدت الرَّباب حلفًا وثيقًا مع الوفاء عنوانه: الوفاء للحسين، وأبَتِ الزواج بعده، وردَّتِ الخاطبين ردًّا جميلًا، وقالت لهم قولتها المشهورة التى تدلُّ على حُسْنِ وفائها وأدبها:

واللهِ ما كنتُ لأتخذَ حموًا بعد رسول الله ﷺ[2] ... وأبت رَحِمَهَا اللَّهُ أن تستبدلَ بالحسين زوجًا، وبالنبى ﷺ صهرًا.

واللهِ لا أَبْتَغِى صِهْرًا بصهركم حتى أُغيَّبَ بين الرَّمل والطِّين

---

(١) نساء من عصر التابعين / أ. أحمد خليل جمعة (ص/ ٦١).

(٢) الأغانى (١٤/ ١٥٨)، والكامل فى التاريخ (٤/ ٨٨).

ولذلك قال عنها هشام بن السَّائب الكلبى رَحِمَهُ اللَّهُ[1]: كانتِ الرَّباب من خيار النساء وأفضلهن.

قال الزركلى رَحِمَهُ اللَّهُ فى الأعلام[2]: بقيتِ الرَّباب بعد الحسين سنة لم يظلها سقفُ بيتٍ حتى بليتْ، وماتتْ كمدًا رَحِمَهَا اللَّهُ.

۞ وحدّدَ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ وفاة الرَّباب فى سنة (٦٢ هـ) وقال: وفيها توفيتِ الرَّبابُ امرأة الحسين بن على رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَ[3].

۞ وهكذا فقد عاشت الرَّباب بعد زوجها الحسين قرابة عام، ثم توفيت حزنًا عليه، وعلىٰ ابنها عبد الله الذي قُتل صغيرًا مع أبيه[4].

---

(١) هشام بن محمد بن السائب الكلبى، أبو المنذر، مؤرِّخ، عالم بالأنساب وأخبار العرب وأيامها، كثير التَّصانيف بين أهل الكوفة، له نيفٌ ومائة وخمسون كتابًا، منها: «جمهرة الأمثال» و«الأصنام» و«ألقاب قريش»، و«أسواق العرب» وغيرها. توفى هشام بالكوفة سنة (٢٠٤هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ (الأعلام ٨/ ٨٧).

(٢) الأعلام (٣/ ١٣)، وانظر الخبر بشكل أوسع فى الكامل لابن الأثير (٤/ ٨٨).

(٣) البداية والنهاية (٨/ ٢٢٠).

(٤) نساء من عصر التابعين / أ. أحمد خليل جمعة (ص/ ٦٤-٦٥).

نساءٌ صابرات

۞ قال ﷺ: «أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل يُبتلى الرجل على حسب دينه فإن كان فى دينه صُلبًا اشتد بلاؤه وإن كان فى دينه رِقة ابتُلى على قدر دينه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشى على الأرض وما عليه خطيئة»(١).

۞ وها هى أم أيمن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا يُقتل زوجها زيد بن حارثة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فى غزوة مؤتة فما كان منها إلا أن صبرت واحتسبت فلم تشق جيبًا ولم تلطم خدًّا بل رضيت بقضاء الله (جلَّ وعلا).

بل يُقتل ولدها أيمن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فى غزوة حُنين فتحتسب ولدها عند الله كما احتسبت زوجها من قبل.

۞ وها هى أم سليم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تحتسب ولدها وترضى بقضاء الله (جلَّ وعلا).

فعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: مات ابن لأبى طلحة من أم سليم فقالت لأهلها: لا تحدثوا أبا طلحة بابنه حتى أكون أنا أحدثه. قال: فجاء فقربت إليه عشاءً فأكل وشرب، فقال: ثم تصنَّعت له أحسن ما كان تصنع قبل ذلك فوقع بها. فلما رأت أنه قد شبع وأصاب منها، قالت: يا أبا طلحة أرأيت لو أن قومًا أعاروا عاريتهم أهل بيت فطلبوا عاريتهم ألهم أن يمنعوهم؟ قال: لا. قالت: فاحتسب ابنك. قال: فغضب وقال: تركتنى حتى تلطخت ثم

---

(١) صحيح: رواه الترمذى (٢٣٩٨) كتاب الزهد، وابن ماجه (٤٠٢٣) كتاب الفتن، وأحمد (١/ ١٧٢)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (١٤٣).

أخبرتني بابني، فانطلق حتى أتى رسول الله ﷺ فأخبره بما كان فقال رسول الله ﷺ: «**بارك الله لكما في غابر ليلتكما**»[(١)].

قال رجل من الأنصار: فرأيت لهما تسعة أولاد كلهم قد حفظوا القرآن[(٢)]. فيا لها من ذرية مباركة، ويا له من أجرٍ عظيم في الدنيا لمن صبر على البلاء - هذا مع الخير الذي ينتظره في جنة الرحمن التي فيها ما لا عينٌ رأت ولا أذنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشر[(٣)].

۞ وها هي سمية رضي الله عنها التي قتل المشركون زوجها فصبرت واحتسبت... وأذاقوها من العذاب ألوانًا فصبرت واحتسبت إلى أن جاءت اللحظة التي خلَّد التاريخ فيها ذكرها فلقد طعنها أبو جهل (عليه من الله ما يستحقه) في موطن عفتها فقتلها فكانت أول شهيدة في الإسلام.

فياليت نساء المسلمين يتخذن من سيرة هذه الصحابية الجليلة مثلًا يحتذينه في التضحية والفداء والصبر والعطاء.

۞ وها هي الخنساء رضي الله عنها التي ملأت الدنيا بكاءً وعويلًا عل موت أخيها (صخر) في الجاهلية... ها هي بعد أن صاغها الإسلام صياغة باهرة تقدم في يوم القادسية أولادها الأربعة لينالوا شرف الشهادة!!!

أنا لا أستطيع أن أُعلق بكلمة واحدة سوى أن أقول: إنها معجزة من معجزات الإيمان الذي يقذفه الله في قلب من يشاء من عباده.

۞ لقد علمنا كيف كان حُزنها على أخيها وجزعها لموته وتصدُّع قلبها

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢١٤٤) كتاب فضائل الصحابة عن أنس رضي الله عنه.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (١٣٠١) كتاب الجنائز، ومسلم (٢١١٩) كتاب اللباس والزينة.

(٣) أصحاب الرسول ﷺ للمصنف (١/ ٤٥٨-٤٥٩).

واضطرام حشاها. لقد استحال كل ذلك إلى صبرٍ أساغه الإيمان، وجمَّله التُّقَى، فلم تأس على فائت من متاع الحياة الدنيا.

أولئك أبناؤها، وهو أشطار كبدها، ونياط قلبها، خرجوا إلى القادسية وكانوا أربعة، فكان مما أوصتهم به قولها: «يا بنى إنكم أسلمتم طائعين، وهاجرتم مختارين، والله الذى لا إله إلا هو، إنكم لبنو رجل واحد، كما أنكم بنو امرأة واحدة، ما هجَّنت حَسبكم، وما غيرت نسبكم، واعلموا أن الدار الآخرة خير من الدار الفانية.

اصبروا، وصابروا، ورابطوا، واتقوا الله لعلكم تفلحون، فإذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها، وجللت نارًا على أرواقها، فيمموا وطيسها[1]، وجالدوا رسيسها[2]، تظفروا بالغُنم والكرامة، فى دار الخلد والمقامة».

فلما أصبحوا باشروا القتال بقلوبٍ فتية، وأنوفٍ حمية، فإذا فتر أحدهم ذكَّره إخوته وصية الأم العجوز، فزأر كالليث، وانطلق كالسهم. وانقضَّ كالصاعقة، ونزل كقضاء الله على أعداء الله، وظلوا كذلك حتى استشهدوا واحدًا بعد واحد.

وبلغ الأم نعى الأربعة الأبطال فى يوم واحد، فلم تلطم خدًّا، ولم تشق جيبًا، ولكنها استقبلت النبأ بإيمان الصابرين، وصبر المؤمنين، وقالت: «الحمد لله الذى شرفنى بقتلهم، وأرجو من ربى أن يجمعنى بهم فى مستقر رحمته».

---

(١) الوطيس: المعركة أو الضرب فيها.

(٢) الرسيس: الأصل.

ولنا أن نسأل أنفسنا هذا السؤال. ما الذى حوَّلها وغيَّرها من حال إلى حال؟! إنه إكسير الإيمان الذى وضعه النبى ﷺ فى قلوب المؤمنين فنقلهم من دنيا الجهالة إلى عالم المُثل العليا والقيم الرفيعة والأخلاق العالية والشوق إلى رضوان الله[1] .

الأم التى احتسبت أولادها التسعة

❁ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الأَجْلَحِ الْكِنْدِيِّ، قَالَ:

كَانَتِ امْرَأَةٌ مِنْ بَنِى عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ، وَكَانَ لَهَا تِسْعَةٌ مِنَ الْأَوْلَادِ، فَدَخَلُوا غَارًا وَأُمُّهُمْ مَعَهُمْ، فَخَرَجَتْ لِحَاجَةٍ وَتَرَكَتْهُمْ، فَرَجَعَتْ وَقَدْ سَقَطَ الْغَارُ عَلَيْهِمْ، فَجَعَلَتْ تَسْمَعُ أَنِينَهُمْ حَتَّى مَاتُوا، فَقَالَتْ:

إِمَّا تُصِيبْكَ مِنَ الْأَيَّامِ جَائِحَةٌ ... فَمَا لَقِي مَا لَقِيتُ الْعَامَ مِنْ أَحَدِ

رَبَّيْتُهُمْ تِسْعَةً حَتَّى إِذَا اتَّسَقُوا ... أُفْرِدْتُ مِنْهُمْ كَقَرْنِ الأَعضَبِ الْوَحِدِ

وَكُلُّ أُمٍّ وَإِنْ سُرَّتْ بِمَا وَلَدَتْ ... يَوْمًا سَتَثْكَلُ مَا رَبَّتْ مِنَ الْوَلَدِ[2]

---

(١) ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون/ للمصنف (ص ٧١-٧٢).

(٢) أخرجه ابن أبى الدنيا (ص/ ٦٨) فى الاعتبار كما فى فضل الجلد للسيوطى.

الصبر الجميل

❁ قال الأصمعي:

رأيت سيدة جميلة يبدو عليها أثر النعمة، وصحة البدن مما يُلفت الأنظار، فقلت لها: سيدتي، أرى عليك أثر النعمة .. وبقية من عافية .. فأخذت تبكي، وقالت: يا سيدي، لو علمت ما أنا فيه من الهموم لرحمتني، ولبكت عيناك، قلت لها: حدثيني لعلي أساعدك، قالت: والله لا يملك عوني على ما أنا فيه إلا الله.. ثم قالت: اسمع أحدثك عن شأني: في سنة من السنين، جاءنا عيد الأضحى .. وكنا في دارنا مع زوجي وأبنائي .. وقد أعدَّ زوجي أضحية، فلما رجع من مُصلاه قمنا بذبح الأضحية.. وكان لنا ولدان حبيبان..فلما فرغ من الذبح انصرف لبعض شأنه، وترك السكين أمام الغلامين، فقال الأكبر لأخيه الأصغر: ألا أريك كيف ذبح أبوك الأضحية؟ قال: نعم.. فتناول السكين وذبحه، فلما رأى الدم، ولى هاربًا في جوف الصحراء.. فلما جاء الأب وعلم بما حدث، ذهب وراء الغلام ليبحث عنه في الصحراء.. فمات عطشًا بين الجبال..ففقدت في ساعة واحدة زوجي وولداي...فقال الأصمعي: كيف أنت والصبر؟ قالت: لو دام لي لدُمت له[1].

❁❁❁

---

(١) سمير الصالحين وأنيس المتقين للشهاوي (٢/ ١٦٤) بتصرف.

بائعة اللبن .... وثمرة المراقبة

۞ هذا هو الفاروق عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لا يقيم وزنًا عند اختياره لبنت بائعة اللبن، زوجًا لابنه عاصم للحسب أو النسب، ولا للمال أو الجاه، وإنما أقام الوزن كله لما أظهرته تلك الفتاة الطيبة، من إيمان بالله، ومراقبة له فى السر والعلانية، ويقين بأنه جل وعلا لا تخفى عليه خافية، حتى قد بلغت - وهى الفتاة الرقيقة الحال، الفقيرة فى الجاه والمال - فى عبادتها لربها درجة الإحسان، فهى تعبد الله كأنها تراه، فإن لم تكن تراه فهو يراها.

كان الفاروق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يتفقد أحوال الرعية ذات ليلة، فسمع امرأة تقول لابنة لها: قومى إلى ذاك اللبن فامزجيه بالماء، فأجابت الفتاة.

يا أمتاه! وما علمت بما كان من عزم أمير المؤمنين؟

قالت المرأة: وما كان من عزمه يا بنية؟

قالت: إنه أمر مناديه فنادى: لا يُشاب اللبن بالماء، فردت المرأة قائلة: يا بنية! قومى إلى اللبن فامزجيه بالماء، فإنك بموضع لا يراك عمر، ولا منادى عمر.

فردت الفتاة على الفور: يا أمتاه! إن كان عمر لا يعلم، فإله عمر يعلم، والله ما كنت لأطيعه فى الملإ وأعصيه فى الخلاء.

فلما أصبح عمر، قال لابنه عاصم: اذهب إلى مكان كذا وكذا، فإن هناك صبية، فإن لم تكن مشغولة فتزوج بها، لعل الله أن يرزقك منها نسمة مباركة.

وصدقت فراسة الفاروق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فقد تزوج عاصم بتلك البنية، فولدت له «أم عاصم» فتزوجها عبد العزيز بن مروان، فولدت له عمر بن عبد العزيز الأمير العادل - رحمه الله تعالى- ورضي عنه.

قلب الأم

خرجت امرأتان ومعهما صبيان، فتعدى الذئب على صبى إحداهما وأكله، فاختصمتا فى الصبى الثانى إلى داود ﷺ، فقصتا عليه القصة، فحكم به للكبرى منهما، فاختصمتا إلى سليمان ﷺ.

فقال: ائتونى بسكين أشق الغلام نصفين لكل منهما نصف.

فقالت الصغرى: أتشقه يا رسول الله؟

قال: نعم.

فقالت: لا تفعل، فنصيبى فيه لها.

فقال: خذيه فهو ابنك، وقضى به لها.

۞ وتأمل معى هذه القصة التى صاغها الشاعر فى تلك الأبيات:

أغرى امْرُؤٌ يومًا غلامًا جاهلًا ... بنقوده كيما ينال به الوطر

قال: ائتنى بفؤاد أمك يا فتى ... ولك الجواهر والدراهم والدُّرر

فمضى وأغرز خِنجرًا فى صدرها ... والقلبَ أخرجه وعاد على الأثر

لكنه من فرط سرعته هوى ... فتدحرج القلب المقطع إذ عثر

ناداه قلبُ الأم وهو مُعفرٌ ... ولدى حبيبى هل أصابك من ضرر؟

فكأن هذا الصوت رغم حُنُوِّه ... غضبُ السماء على الغلام قد انهمر

فدرى فظيع جنايةٍ لم يَجْنِها ... ولدٌ سواه منذ تاريخ البشر

فارْتد نحو القلب يغسله بما ... فاضت به عيناه من سيل العبر

ويقولُ: يا قلب انتقم منى ولا ... تغفر فإن جريمتى لا تُغتفر

واســـتل خنجـــره ليطعـــن قلبَـــه طعنًـــا فيبقـــى عِبـــرةً لمـــن اعتبـــر

نـــاداه قلـــبُ الأم كُـــف يـــدًا، ولا تطعـــن فـــؤادى مـــرتين علـــى الأثـــر

لا أُبالى إذا سَلِمت من عطب

۞ لَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ حَاصَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ حَيْصَةً، قَالُوا: قُتِلَ مُحَمَّدٌ ﷺ، حَتَّى كَثُرَتِ الصَّوَارِخُ فِى نَاحِيَةِ الْمَدِينَةِ، فَخَرَجَتِ امْرَأَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ مُتَحَزِّمَةً، فَاسْتُقْبِلَتْ بِابْنِهَا وَأَبِيهَا وَزَوْجِهَا وأَخِيها، لَا أَدْرِى أَيُّهُمُ اسْتُقْبِلَتْ بِهِ أَوَّلَ، فَلَمَّا مَرَّتْ عَلَى آخِرِهِمْ قَالَتْ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: أَبُوكِ، أَخُوكِ، زَوْجُكِ، ابْنُكِ، تَقُولُ: مَا فَعَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ؟ يَقُولُونَ: أَمَامَكِ حَتَّى دُفِعَتْ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَخَذَتْ بِنَاحِيَةِ ثَوْبِهِ، ثُمَّ قَالَتْ: بِأَبِى أَنْتَ وَأُمِّى يَا رَسُولَ اللهِ، لَا أُبَالِى إِذْ سَلِمْتَ مَنْ عَطِبَ[1].

---

(١) انظر: مغازى الواقدى (ص/ ٢٩٢)، التذكرة الحمدونية (٤/ ٣١٣) لابن حمدون.

شكوى امرأة وذكاء قاضٍ

۞ روى الزبير بن بكار: أن امرأة أتت عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقالت: يا أمير المؤمنين! إن زوجى يصوم النهار ويقوم الليل، وأنا أكره أن أشكوه، وهو يعمل بطاعة الله.

فقال لها: نِعْم الزوج زوجُك، فجعلت تكرر عليه القول، وهو يكرر عليها الجواب.

فقال له كعب بن سوار الأسدى: يا أمير المؤمنين! هذه امرأة تشكو زوجها فى مباعدته إياها عن فراشه، فقال له عمر رضي الله عنه: كما فهمت كلامها، فاقض بينهما.

فقال كعب: علىّ بزوجها، فأُتِى به، فقال له: إن امرأتك تشكوك.

فقال: أفى طعام أو شراب؟ قال: لا فى واحد منهما، فقالت المرأة من الرَّجَز:

يا أيُّها القاضى الحكيمُ رشدُهْ ... ألهى خليلى عن فراشى مسجدُهْ

زَهَّده فى مضجعى تعبُّدُهْ ... نهاره وليله ما يرقُدُهْ

فلست فى أمر النساء أحمدُهْ ... فاقض القضا يا كعب لا تردّدُهْ

فقال الزوج من الرَّجز:

زهَّدنى فى فَرْشِها وفى الحجَلْ ... أنِّى امرؤٌ أذهلنى ما قد نزلْ

فى سورة النحل وفى السبع الطوال ... وفى كتاب الله تخويف جَلَلْ

فقال كعْب من الرَّجَز:

إن لها حقًّا عليك يا رجل ... نصيبها فى أربعٍ لِمَنْ عَقَلْ

فأعطهـــــا ذاك ودَعْ عنـــــك العِلَــــلْ

ثم قال له: إن الله قد أحلَّ لك من النساء مثنى وثلاث ورباع، فلك ثلاثة أيام ولياليهنَّ، تعبد فيهن ربك، ولها يوم وليلة.

فقال عمر لكعب: والله ما أدرى من أى أمريك أعجب أمن فهمك أمرهما، أم من حكمك بينهما؟ اذهب فقد وليتك القضاء بالبصرة(١).



أنتِ من الأولين

❁ عن أنس بن أم حرام أنها قالت: «بينا رسول الله ﷺ قائلًا فى بيتى استيقظ وهو يضحك، فقلت: بأبى وأمى ما يُضحكك؟

قال: «**عُرض علىَّ ناسٌ من أمتى يركبون ظهر هذا البحر كالملوك على الأَسِرَّة**» فقلت: ادعُ الله أن يجعلنى منهم، فقال: «**اللهم اجعلها منهم**». ثم نام فاستيقظ وهو يضحك، فقلت: بأبى وأمى ما يُضحكك، قال: «**عُرض علىَّ ناسٌ من أمتى يركبون هذا البحر كالملوك على الأَسِرَّة**»، فقلت: ادعُ الله أن يجعلنى منهم، فقال: «**أنتِ من الأولين**».

فغزتْ مع عُبادة بن الصامت وكان زوجها عبادة بن الصامت فوقصتها بغلة لها شهباء فوقعت فماتت... قال هرم بن عمار: أنا رأيت قبرها ووقفت عليه بالساحل بفاقيس.

وقال هشام بن الغار: قبرها بقبرص، وهم يقولون: هذا قبر المرأة الصالحة.

(١) الأحكام السلطانية (ص:٩٢) للماوردى.

وامعتصماه

۞ وقف رجل على الخليفة المعتصم فقال:

يا أمير المؤمنين! كنت بعمُّورية[1] وجارية من أحسن النساء سيرة، قد لطمها علجٌ[2] فى وجهها، فنادت: وامعتصماه، فقال العلج: وما يقدر عليه المعتصم! يجىء على أبلَق وينصرك، وزاد ضربها، فقال المعتصم: وفى أى جهة عمورية ؟ فقال له الرجل وأشار إلى جهتها: ها هى ذى، فأدار المعتصم وجهه إليها، وقال: لبيك أيتها الجارية، لبيك هذا المعتصم بالله أجابك، ثم تجهَّز إليها فى اثنى عشر ألف فرس أبْلق، وحاصرها وطال مُقامه، فشقَّ عليه ذلك واغتمّ، وخرج ليلة مع بعض حَشَمِهِ متجسسًا فى العسكر يسمع ما يقول الناس، فمرَّ بخيمة حدَّاد يضرب نعال الخيل، وبين يديه غلام أقرع، قبيح الصورة، وهو يضرب على السّندان ويقول: فى رأس المعتصم، فقال له معلمه: اتركنا من هذا، ما لك وللمعتصم؟ فقال: ما عنده تدبير، له كذا وكذا يومًا على هذه المدينة مع قوته ولا يفتحها، لو أعطانى الأمر ما بات غدًا إلا فيها.

فتعجب المعتصم مما سمع، وترك بعض رجاله موكَّلًا به، وانصرف إلى خبائه، فلما أصبح جاؤوا به، فقال: ما حملك يا هذا على ما بلغنى عنك؟

فقال الرجل: الذى بلغك حق، ولو ولَّيْتَنى الحرب فإنى أرجو أن يفتح الله عليك، فقال: قد ولَّيتك، وخلع عليه وقدَّمه على الحرب، ففتح الله

---

(١) كانت بلدة ببلاد الروم.

(٢) العلج: الواحد من كفار العجم.

عليه، ودخل المعتصم المدينة.

ثم دعا بالرجل الذى بلّغه حديث الجارية، فقال له: سِر بى إلى الموضع الذى رأيتها فيه، فسار به، وأخرجها من موضعها، وقال لها: يا جارية! هل أجابك المعتصم؟ ثم ملّكها العِلج الذى لطمها، والسَّيد الذى كان يملكها وجميع ماله.

أسلمت المرأة وقُتل المرتد!!!

❁ قال بعضهم: كُنت جالسًا عند الحسن البصرى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فمرَّ بنا قوم يجرُّون قتيلًا، فلما رآه الحسن وقع مغشيًّا عليه، فلما أفاق من غشيته سألته عن أمره فقال: إن هذا الرجل كان من أفضل العُباد وكبار السادات الزُّهَّاد، فقلت له: يا أبا سعيد أخبرنا بخبره وأطلعنا على أمره، قال: إن هذا الشيخ خرج من بيته يريد المسجد ليصلى فيه فرأى فى طريقه جارية نصرانية فافتتن بها فامتنعت عنه، فقالت له: لا أتزوجك حتى تدخل فى دينى!..، فلما طالت المدة وزاد به الأمر جذبته شقوته فأجاب إلى ذلك وبرئ من دين الحنيفية فلما صار نصرانيًّا وكان منه ما كان خرجت المرأة من خلف الستر وقالت: يا هذا لا خير فيك، خرجت من دينك الذى صحبته عمرك من أجل شهوة لا قدر لها، لكن أنا أترك دين النصرانية طلبًا لنعيم لا يفنى عنى طول الأبد فى جوار الواحد الصمد، ثم قرأت: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾[1] فتعجب الناس من أمرها وقالوا لها: كنتِ تحفظين هذه السورة قبل هذا؟! قالت: لا - والله - ما عرفتها قط، ولكن الرجل لما ألَحَّ علىَّ رأيت فى النوم كأنى دخلت النار فعُرض علىَّ مكانى منها فارتعبت وخفت خوفًا شديدًا، فقال لى مالك[2]: لا تخافى ولا تحزنى؛ فقد فداك الله بهذا الرجل منها ثم أخذ بيدى وأدخلنى الجنة، فوجدتُ فيها سطرًا مكتوبًا فقرأته فوجدتُ فيه:

---

(١) سورة الإخلاص: الآيات: (١-٤).

(٢) مالك: خازن النار.

﴿يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾[١]، ثم أقرأني سورة الإخلاص فأقبلتُ أُرددها ثم انتبهت وأنا أحفظها، قال الحسن: فأسلمت المرأة وقُتل الشيخ على رِدَّته.. نسأل الله الثبات والعافية[٢].

إن أكن من أهل الجنة فسيُبدلني الله عينين خيراً منهما

❁ قال ثابت البُنَانيُّ: إنَّ امرأةً من الصَّدْرِ الأول كان يُقالُ لها بَرْدَة، وكانتْ تُكثِرُ البكاء حتى فسدَ بصرُها، فقيل: اتَّقي الله، أما تخافينَ على بصرِكِ أنْ يَذْهَبَ؟ قالت: دَعوني، فإن أَكُنْ من أهل النار فأبعدني الله، وأبْعَدَ بصري، وإنْ أَكُنْ من أهل الجنَّةِ فسيُبدلَنِي الله عينَينِ خيرًا من عينيّ.

❁ وقيل للحسن البصري: يا أبا سعيد، إنَّ ههنا امرأة يُقالُ لها بَرْدَة، قد فسَدَت عيناها من البُكاء. فدخلَ عليها، فقال: يا بَرْدَة، إنَّ لِبَدَنِكِ عليكِ حقًّا، وإنَّ لبصرِكِ عليك حقًّا، قالت: يا أبا سعيد، إن أكن من أهل الجنَّة فسيُبدلني اللهُ بصرًا خيرًا من بصري، وإن أكن من أهلِ النار فأبعدَ الله بصري[٣].

---

(١) سورة الرعد: الآية: (٣٩).

(٢) «بحر الدموع» (٩٧-٩٨).

(٣) «المختار من مناقب الأخيار» (٥/ ٢٣٨).

درسٌ عظيمٌ من خادمة لسيدها

۞ قال محمد بن أبى الفرج:

احتجت إلى خادمة فى رمضان، لتصنع لى الطعام، فرأيت فى السوق جارية مُصفرة اللون، نحيلة الجسم، يابسة الجلد، فرضيت أن تكون لى خادمة، رحمة بها، وأتيت بها إلى المنزل، وقلت لها: خذى وعاءً وامضى معى إلى السوق، لنشترى حوائج رمضان، فتعجبت وقالت: يا سيدى، أنا كنت عند قوم كل زمانهم رمضان، فعلمت أنها من الصالحات، وكانت تقوم الليل كله فى رمضان، فلما كانت ليلة العيد قلت لها: امضى بنا إلى السوق، لنشترى حوائج العيد، فقالت: يا سيدى: أى حوائج العيد تريد؟ حوائج العوام أم حوائج الخواص؟ فقلت لها: صِفى لى حوائج كُلٍّ، فقالت: يا سيدى حوائج العوام: الطعام المعهود، وأما حوائج الخواص فهى الاعتزال عن الخلق والتفريد، والتفرغ للخدمة والتجريد، والتقرب بالطاعة إلى الله والتزام ذل العبيد، فقلت لها: إنما أريد حوائج الطعام، فقالت: أى طعام تعنى؟ طعام الأجسام أم طعام القلوب؟ فقلت لها: صِفيهما لى، فقالت: أما طعام الأجسام: فهو القوت المعتاد. وأما طعام القلوب: فتركُ الذنوب، وإصلاح العيوب، والتمتُّع بمشاهدة المحبوب، والرضا بحصول المطلوب، وحوائجه الخشوع والتقوى، وترك الكِبر والدعوى، والرجوع إلى الله، والتوكل عليه فى السرِّ والنجوى، ثم قامت تصلى فى خشوع وخضوع، وما أن انتهت من صلاتها، حتى وافاها الأجل، رحمة الله عليها.

هكذا فازت بنعمة التوحيد والإيمان

۞ وحُكى أنه كان بمدينة بغداد رجل يُعرف بأبى عبد الله الأندلسى، وكان شيخًا لكل مَن بالعراق وكان يحفظ ثلاثين ألف حديث عن رسول الله ﷺ وكان يقرأ بجميع الروايات، فخرج فى بعض السنين إلى السياحة، ومعه جماعة من أصحابه مثل الجنيد والشبلى وغيرهما من مشايخ العراق.

قال الشبلى: فلم نَزَلْ فى خدمته، ونحن مُكرَّمون بعناية الله تعالى إلى أن وصلنا إلى قرية من قرى الكفار فطلبنا ماءً نتوضأ به، فلم نجد، فجعلنا ندور بتلك القرية، وإذا نحن بكنائس وبها شمامسة، وقساوسة ورهبان، وهم يعبدون الأصنام، والصُّلبان، فتعجبنا منهم ومن قلة عقلهم، ثم انصرفنا إلى بئر فى آخر القرية، وإذا نحن بجَوَارٍ يستقين الماء على البئر، وبينهن جارية حسنة الوجه ما فيهن أحسن ولا أجمل منها وفى عنقها قلائد الذهب، فلما رآها الشيخ تغير وجهه، وقال: هذه ابنة مَنْ؟ فقيل له: هذه ابنة ملك هذه القرية، فقال الشيخ: فلِمَ لا يُدللها أبوها ويكرمها ولا يدعها تستقى الماء؟ فقيل له: أبوها يفعل ذلك بها حتى إذا تزوجها رجل أكرمته وخدمته ولا تعجبها نفسها، فجلس الشيخ ونكَّس رأسه، ثم أقام ثلاثة أيام لا يأكل ولا يشرب، ولا يكلم أحدًا، غير أنه يؤدى الفريضة، ... والمشايخ واقفون بين يديه، ولا يدرون ما يصنعون، قال الشبلى: فتقدمت إليه، وقلت له: يا سيدى إن أصحابك ومريديك يتعجبون من سكوتك ثلاثة أيام وأنت ساكت لم تكلم أحدًا، قال: فأقبل علينا، وقال: يا قوم: اعلموا أن الجارية التى رأيتها بالأمس قد شُغفت بها حبًّا، واشتغل بها قلبى، وما بقيت أقدر أن أفارق هذه الأرض.

قال الشبلى: فقلت يا سيدى أنت شيخ أهل العراق ومعروف بالزهد فى سائر الآفاق، وعدد مريديك اثنا عشر ألفًا، فلا تفضحنا وإياهم بحرمة الكتاب العزيز. فقال يا قوم: جرى القلم بما حكم، ووقعت فى بحار العدم وقد انحلَّت عنى عُرَى الولاية، وطُويت عنى أعلام الهداية، ثم إنه بكى بكاءً شديدًا، وقال يا قوم: انصرفوا، فقد نفذ القضاء والقدر، فتعجبنا من أمره، وسألنا الله تعالى أن يُجيرنا من مكره، ثم بكينا وبكى حتى أروى التراب، ثم انصرفنا عنه راجعين إلى بغداد، فخرج الناس إلى لقائه، ومريدوه فى جملة الناس، فلم يروه، فسألوا عنه، فعرَّفناهم بما جرى، فمات من مريديه جماعة كثيرة حزنًا عليه وأسفًا، وجعل الناس يبكون ويتضرعون إلى الله تعالى أن يرده عليهم وغُلِّقت الرباطات، والزوايا والخوانق، ولحق الناس حزنٌ عظيم فأقمنا سنة كاملة، وخرجت مع بعض أصحابى نكشف خبره، فأتينا القرية، فسألنا عن الشيخ، فقيل لنا: إنه فى البرية يرعى الخنازير، قلنا: وما السبب فى ذلك؟ قالوا: إنه خطب الجارية من أبيها، فأبى أن يزوجها إلا ممن هو على دينها ويلبس العباءة ويشد الزنَّار[1]، ويخدم الكنائس ويرعى الخنازير، ففعل ذلك كله، وهو فى البرية يرعى الخنازير.

قال الشبلى: فانصدعت قلوبنا، وانهملت بالبكاء عيوننا، وسرنا إليه، وإذا به قائم قُدام الخنازير، فلما رآنا نكَّس رأسه، وإذا عليه قلنسوة النصارى، وفى وسطه زنار، وهو متوكئ على العصا التى كان يتوكأ عليها إذا قام إلى المحراب، فسلمنا عليه، فردَّ علينا السلام، فقلنا: يا شيخ ما ذاك وماذا؟ وما هذه الكروب والهموم بعد تلك الأحاديث والعلوم؟ فقال: يا

---

(١) حزام يلبسه النصرانى على وسطه.

إخوانى وأحبابى ليس لى من الأمر شىء، سيدى تصرف فىَّ كيف شاء، وحيث أراد أبعدنى عن بابه بعد أن كنت من جملة أحبابه، فالحذر الحذر يا أهل وداده من صدِّه وإبعاده، والحذر الحذر يا أهل المودة والصفاء من القطيعة والجفاء، ثم رفع طرفه إلى السماء وقال: يا مولاى ما كان ظنى فيك هذا، ثم جعل يستغيث ويبكى ونادى يا شبلى اتعظ بغيرك، فنادى الشبلى بأعلى صوته؛ بك المستعان، وأنت المستغاث، وعليك التكلان يارب اكشف عنا هذه الغمة بحلمك، فقد دهمنا أمر لا كاشف له غيرك، قال: ثم إن الشيخ بكى بكاء شديدًا. قال الشبلى: فقلنا له، هل لك أن ترجع معنا إلى بغداد؟ فقال: كيف لى بذلك، وقد استرعيت الخنازير بعد أن كنت أرعى القلوب؟ فقلت: يا شيخ كنت تحفظ القرآن وتقرؤه بالسبع فهل بقيت تحفظ منه شيئًا؟ فقال: نسيته كله إلا آيتين، فقلت: وما هما؟ قال: قوله تعالى: ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩﴾[1]. والثانية قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾[2]. فقلت: يا شيخ كنت تحفظ ثلاثين ألف حديث عن رسول الله ﷺ، فهل تحفظ منها شيئًا؟ قال: حديثًا واحدًا، وهو قوله ﷺ: «**مَن بَدَّل دينه فاقتلوه**»، قال الشبلى: فتركناه، وانصرفنا، ونحن متعجبون من أمره، فسرنا ثلاثة أيام وإذا نحن به أمامنا قد تطهر من نهر وطلع، وهو يشهد شهادة الحق، ويُجدد إسلامه، فلما رأيناه لم نملك أنفسنا من الفرح والسرور، فنظر إلينا، وقال: يا قوم اعطونى ثوبًا طاهرًا، فأعطيناه ثوبًا، فلبسه، ثم صلى

(١) سورة الحج: الآية (١٨).

(٢) سورة البقرة: الآية (١٠٨).

وجلس، فقلنا له: الحمد لله الذى ردَّك علينا، وجمع شملنا بك، فصِف لنا ما جرى لك، وكيف كان أمرك؟ فقال يا قوم: لما وليتم من عندى سألته بالوداد القديم، وقلت له: يا مولاى أنا المذنب الجانى، فعفا عنى بجوده، وبستره غطانى، فقلنا له: بالله نسألك هل كان لمحنتك من سبب؟ قال: نعم. لما وردنا القرية، وجعلتم تدورون حول الكنائس قلت فى نفسى: ما قدر هؤلاء عندى، وأنا مؤمن موحد، فنوديت فى سرى ليس هذا منك، ولو شئت عرفناك، ثم أحسست بطائر قد خرج من قلبى، فكان ذلك الطائر هو الإيمان.

قال الشبلى: ففرحنا به فرحًا شديدًا، وكان يوم دخولنا يومًا عظيمًا مشهودًا، وفُتحت الزوايا، والرباطات والخوانق، ونزل الخليفة للقاء الشيخ، وأرسل إليه الهدايا، وصار يجتمع عنده لسماع علمه أربعون ألفًا وأقام على ذلك زمنًا طويلًا وردَّ الله عليه ما كان نسيه من القرآن والحديث، وزاده على ذلك.

فبينما نحن جلوس عنده فى بعض الأيام بعد صلاة الصبح، وإذا نحن بطارق يطرق باب الزاوية، فنظرت من الباب، فإذا شخص ملتف بكساء أسود، فقلت له: ما الذى تريد؟ فقال: قل لشيخكم إن الجارية الرومية التى تركتها بالقرية الفلانية قد جاءت لخدمتك، قال: فدخلت فعرفها الشيخ، فاصفرَّ لونه وارتعد، ثم أمر بدخولها، فلما دخلت عليه بكت بكاء شديدًا، فقال لها الشيخ: كيف كان مجيئك، ومن أوصلك إلى ههنا؟ قالت: يا سيدى لما وليت من قريتنا جاءنى من أخبرنى بك، فبتُّ ولم يأخذنى قرار، فرأيت فى منامى شخصًا وهو يقول: إن أحببتِ أن تكونى من المؤمنات،

فاتركى ما أنت عليه عبادة الأصنام: واتَّبعى ذلك الشيخ، وادخلى فى دينه، فقلت: وما دينه؟ قال: دين الإسلام، قلت: وما هو؟ قال: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، فقلت: كيف لى بالوصول إليه؟ قال: أغمضى عينيك، وأعطينى يدك، ففعلت، فمشى قليلًا، ثم قال: افتحى عينيك، ففتحتهما، فإذا أنا بشاطئ دجلة، فقال: امضى إلى تلك الزاوية، وأقرئى منى الشيخ السلام، قال: فأدخلها الشيخ إلى جواره وتزوجها وقال: تعبَّدى ههنا. فكانت أعبد أهل زمانها تصوم النهار وتقوم الليل حتى نحل جسمها، وتغير لونها، فمرضت مرض الموت، وأشرفت على الوفاة، ومع ذلك لم يرها الشيخ، فقالت: قولوا للشيخ يدخل علىَّ قبل الموت، فلما بلغ الشيخ ذلك دخل عليها، فلما رأته بكت، فقال لها: لا تبكى، فإن اجتماعنا غدًا فى القيامة فى دار الكرامة، ثم انتقلت إلى رحمة الله تعالى، فلم يلبث الشيخ بعدها إلا أيامًا قلائل حتى مات رحمة الله تعالى عليه.

الموتُ خيرٌ من عذاب الله

۞ قال رجل تاجر: كنت ذات ليلة في منزلى، فقرع علىَّ الباب قارع، وإذا أنا بشابة جميلة، تُخْجِل البدر، وكأنها الشمس في وسط النهار، فشكتْ إلىَّ جوعها، فحادثتها ثم راودتها عن نفسها، فقالت: الموت ولا معصية ربى، ثم رجعتْ من حيث أتت، وبعد أيام، عادت وتوسلت إلىِّ، فقلت كما قلت أولًا، فبكت، ثم دخلت البيت وقد أشرفت على الهلاك، ثم قالت: تطعمنى لوجه الله، قلت: لا، إلا أن تُمكنينى من نفسك، فقالت: الموت خير من عذاب الله، فسمعتها تقول وهى منصرفة:

أيا واحدًا إحسانه شَمل الخلقا ... بسمعك ما أشكو بعينك ما ألقى
لقد صدمتنى شدة وخَصاصة ... ونازلنى ما بعضه يمنع النُّطقا
كأنى ظمآن ترى الماء عينه ... فلا غلة تُروى ولا شربة تسقى
تُنازعنى نفسى إلى نيل أكلة ... لذاذتها تفنى وغُصَّتها تبقى
أأعصيك بعد الفضل والجود والهدى ... وكيف وبالطاعات أسْتَجْلِبُ الرزقا
سأتلفها في نيل حبك سيدى ... عساى بها أستوجب القرب والعتقا

قال: فجزعتُ لما سمعتُ من قولها، ودخل في قلبى الإيمان، وقلت لها: عودى وكُلى وخذى من المال ما شئتِ لله، فقالت: اللهم كما أَنَرْتَ قلبه، وهديت لُبَّه، فأجب دعاءه، ولا ترده خائبًا، فكان ما دعت به، ثم تزوجها.

حَسُن قصدها .. وغلطت فى فعلها

۞ عن عبيد الله بن عبد الخالق قال:

سبى الروم نساءً مسلمات، فبلغ الخبر الرِّقة وبها هارون الرشيد أمير المؤمنين، فقيل لمنصور بن عمار: لو اتخذت مجلسًا بالقرب من أمير المؤمنين، فحرضت الناس على الغزو. ففعل، فبينا هو يُذكرهم ويحرض إذا نحن بخرقة مصرورة مختومة قد طُرحت إلى منصور، وإذا كتاب مضموم إلى الصرة ففكَّ الكتاب، فقرأه فإذا فيه: إنى امرأة من أهل البيوتات من العرب، بلغنى ما فعل الروم بالمسلمات، وسمعت تحريضك الناس على الغزو، وترغيبك فى ذلك، فعمدت إلى أكرم شيء من بدنى وهما: ذؤابتاى فقطعتهما وصررتهما فى هذه الخرقة المختومة، وأناشدك بالله العظيم لما جعلتهما قيد فرسٍ غازٍ فى سبيل الله، فلعل الله العظيم أن ينظر إلىَّ على تلك الحال نظرة فيرحمنى بها.

قال: فبكى وأبكى الناس، وأمر هارون أن ينادى بالنفير، فغزا بنفسه فأنكى فيهم وفتح الله عليهم.

قلت: هذه امرأة حَسُن قصدها وغلطت فى فعلها؛ لأنها جهلت أن ما فعلت منهى عنه، فليُنظَر إلى قصدها [1].

(١) صفة الصفوة (٤/ ٣٧٦).

المُحب لا يسأم من خدمة حبيبه

۞ عن أبى بكر الهذلى قال: كانت عجوز من بنى عبد القيس متعبدة، فكانت تقول: عاملوا الله على قدر نعمه عليكم وإحسانه إليكم، فإن لم تطيقوا فعلى قدر ستره، فإن لم تطيقوا فعلى الحياء منه فإن لم تطيقوا فعلى الرجاء لثوابه، فإن لم تطيقوا فعلى خوف عقابه.

۞ عن أبى بكر الهذلى قال: كانت عجوز فى عبد القيس متعبدة، فكان إذا جاء الليل تحزَّمت، ثم قامت إلى المحراب، وكانت تقول: المحب لا يسأم من خدمة حبيبه، فإذا جاء النهار خرجت إلى القبور، فلبغنى أنها عُوتبت فى كثرة إتيانها المقابر[1]، فقالت: إن القلب القاسى إذا جفا لم يُلينه إلا رسوم البِلى، وإنى لآتى القبور، فكأنى أنظر وقد خرجوا من بين أطباقها، وكأنى أنظر إلى تلك الوجوه المتعفرة وإلى تلك الأجسام المتغيرة وإلى تلك الأكفان الدّسمة، فيا له من منظرٍ كريه لو أشربه العباد قلوبهم ما أثكل مرارته للأنفس وأشدّ إتلافه للأبدان[2].

---

(١) وذلك لأنَّ النبى ﷺ قال: «**لعن الله زوَّارات القبور**» رواه أحمد، وابن ماجه، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥١٠٩).

(٢) صفة الصفوة (٤/ ٥٢٢).

رضي الله عن أبيك وجدِّك بحبهما أبا بكر وعمر

۞ عن يحيى بن إسماعيل بن سلمة بن كُهيل قال: كانت لى أخت أسن منى فاختلطت. وذهب عقلها، فتوحّشت فكانت فى غرفة فى أقصى سُطوحنا، فمكثت بذلك بضع عشرة سنة، وكانت مع ذهاب عقلها تحرص على الطهور، وتفقُّد الصلوات، وربما غُلبت على عقلها الأيام، فتحفظ ذلك حتى تقضيه.

قال: فبينما أنا نائم ذات ليلة إذا باب بيتى يدق فى نصف الليل، فقلت: مَن هذا؟ قالت: (بُخَّة) قلت: أختى. قالت: أختك. قلت: لبيك، وقمت ففتحت الباب، فدخلت ولا عهد لها بالبيت منذ أكثر من عشر سنين، فقلت لها: يا أختاه خير. قالت: خير، أُتيت الليلة فى منامى، فقيل لى: السلام عليك يا بُخة فقلت: وعليك السلام فقيل لى: إن الله قد حفظ أباك إسماعيل لسلمة بن كهيل جَدك، وحفظك لأبيك إسماعيل، فإن شئتِ دعوتُ الله لك فأذهب ما بك، وإن شئتِ صبرتِ ولكِ الجنة، فإن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما قد شفعا لك إلى الله عز وجل بحب أبيك وجدك إياهما، فقلت: إن كان لا بد من أن أختار أحدهما فالصبر على ما أنا فيه والجنة، والله واسع لا يتعاظمه شيء، إن شاء أن يجمعهما لى فعل، قالت: فقيل لى: قد جمعهما الله لك ورضى عن أبيك وجدك بحبهما أبا بكر وعمر، قومى فانزلى، فأذهب الله ما كان بها [1].

---

(١) صفة الصفوة (٣/ ١١٨).

إنها امرأة صالحة

۞ كانت الشيخة الفقيهة الواعظة فاطمة بنت عباس رحمها الله تصعد المنبر[١]، وتعظ النساء، وانتفع بوعظها جماعة من النسوة، ورقَّت قلوبهن للطاعة بعد القسوة.... وكان الإمام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ يتعجب من عملها، ويثنى على ذكائها وخشوعها وبكائها.

قال صلاح الدين الصفدى: حُكى لى أن الشيخ تقى الدين ابن تيمية قال: بقى فى نفسى منها شىء؛ لأنها تصعد المنبر، وأردت أن أنهاها، فنمت ليلة، فرأيت النبى ﷺ فى المنام، فسألته عنها، فقال: «امرأة صالحة»[٢].

مَنْفوسة بنتُ زيد الفوارس

قال رجلٌ من بنى ثُعَل: كنتُ ببعضِ نواحى نجد، فرُفعتْ لى قُبَّةٌ من أدم، فإذا أصواتُ نساءٍ مُعْوِلاتٍ، فدنوتُ منهنَّ وسألتُهنَّ عن شأنهنَّ، فقلْنَ: مَنْفوسة بنتُ زيد الفوارس أُصيبتْ بابنها، وإذا هو فى حِجْرِها، وهى تقول: واللهِ لتَقَدُّمُكَ أَمامى أحبُّ إلىَّ من تأَخُّركَ ورائى، ولصبرى عنك. أجدى من جَزَعى عليك، وما حظُّ مُصيبةٍ تحلُّ من التَّلَفِ محلَّك، وتُورِث من العطبِ مثل مَضجعك؟ ولئن كان فراقُكَ حَسْرةً إنَّ توقَع أجرك لخيِّرة، ثم قالت: للهِ در عَمرو بن معدى كرب حيثُ يقول:

وإنّــا لَقَــومٌ لاتَفيــضُ دُموعُنــا ... على هالكٍ مِنّا وإنْ قَصَمَ الظَّهْرا[٣]

---

(١) أى: أنها تُلقى الدروس على النساء .. وليس المقصود أنها تخطب الجمعة، وذلك لأنه لا يجوز للمرأة أن تكون إمامًا للرجال أو أن تخطب الجمعة.

(٢) انظر «أعيان العصر وأعوان النصر» (٩٩٦٨، ٩٩٧٠).

(٣) المختار من مناقب الأخيار (٥/ ٢٨٤).

زُجلة العابدة

۞ قال أحمد بن سهل الأزدى: دخل على زُجلة العابدة نفرٌ من القُرّاء فكلموها فى الرفق بنفسها، فقالت: ما لى وللرفق بها؟ فإنما هى أيام مبادرة، فمن فاته اليوم شىء لم يدركه غدًا. والله يا إخوتاه لأُصلين ما أقلتنى جوارحى، ولأصومن له أيام حياتى، ولأبكين له ما حملت الماء عيناى، ثم قالت: أيكم يأمر عبده بأمر فيحب أن يُقصر فيه؟

۞ وقال أبو عتبة الخواص: دخلنا على زُجلة العابدة، وكانت قد صامت حتى اسودَّت، وبكت حتى عمشت، وصلت حتى أُقعدت، وكانت صلاتها قاعدة، فسلمنا عليها، ثم ذكَّرناها شيئًا من العفو،أردنا أن نُهوِّن عليها الأمر هناك، فشهقت ثم قالت: علمى بنفسى قرَّح فؤادى، وكَلَمَ قلبى، والله لوددت أن الله لم يخلقنى ولم أكُ شيئًا مذكورًا، ثم أقبلت على صلاتها وتركتنا فخرجنا من عندها.

۞ قال كليب بن عيسى: كانت زجلة لا ترفع بصرها إلى السماء، وكانت تخرج إلى الساحل فتغسل ثياب المرابطين [1].

(١) صفة الصفوة (٤/ ٤٠).

جعل الله قِراكم من بيتى دخول الجنة

۞ قال روح بن سلمة: قلتُ لعفيرة العابدة: بلغنى أنك لا تنامين بالليل. فبكت، ثم قالت: ربما اشتهيت أن أنام فلا أقدر عليه، وكيف ينام أو كيف يقدر على النوم، من لا ينام عنه حافظاه ليلًا ولا نهارًا؟ قال: فأبكتنى والله، وقلت فى نفسى: أُرانى فى شىء وأُراك فى شىء.

۞ وقال يحيى بن بسطام: دخلت مع نفر من أصحابنا على عفيرة، وكانت قد تعبَّدت وبكت حتى عميت، فقال بعض أصحابنا لرجل إلى جنبه: ما أشد العمى على من كان بصيرًا، فسمعت عفيرة فقالت له: يا عبد الله عمى القلب، والله، عن الله أشد من عمى العين عن الدنيا، والله وددت أن الله وهب لى كُنْهَ[١] محبته،وأنه لم تبق منى جارحة إلا أخذها[٢].

۞ وقال محمد بن عُبيد: دخلنا على امرأة بالبصرة يقال لها: عُفيرة، فقيل لها: يا عفيرة ادعى الله لنا. فقالت: لو خرس الخاطئون ما تكلمت عجوزكم، ولكن المحسن أَمَرَ المسىء بالدعاء، جعل الله قِراكم من بيتى [دخول] الجنة، وجعل الموت منى ومنكم على بالٍ.

۞ وقال يحيى بن راشد: كنا عند عفيرة العابدة فقدم ابن أخ لها كانت طالت غيبته فبُشِّرت به، فبكت قيل لها: ما هذا البكاء؟ اليوم يوم فرح وسرور، فازدادت بكاءً، ثم قالت: والله ما أجد للسرور فى قلبى مسكنًا مع ذكر الآخرة، ولقد أذكرنى قدومه يوم القدوم على الله، فمن بين مسرور ومثبور، ثم غُشى عليها [٣].

---

(١) كُنْهَ الشىء: نهايته.

(٢) «صفة الصفوة» (٤/ ٣٣).

(٣) «الكواكب الدرية» (١/ ٣٩٢)، وما بين معقوفتين مستدرك منه.

دعوني أُبادر طيَّ صحيفتي

۞ قال أبو عبد الرحمن المَرْوزى: قال مالكُ بنُ دينار: بينا أنا أطوفُ بالبَيت إذا أنا بامرأةٍ جَهِيرةٍ فى الحِجْر، وهى تقول: أتيتُكَ من شُقَّةٍ بعيدةٍ، مؤمِّلةً لمعروفك، فأنِلْنى مَعروفًا من معروفك تُغنينى به عن معروف مَن سواك، يا مَعروفًا بالمعروف ... فعرّفتُ أيوب السختيانى، فسألنا عن منزِلِها، وقصدْناها، وسلَّمْنا عليها، فقال لها أيّوب: قولى خيرًا يرحمُكِ الله. قالت: وما أقولُ؟ أشكو إلى اللهِ قلبى وهواى فقد أضرَّا بى، وشغلانى عن عبادةِ ربى. قُوما، فإنِّى أُبادرُ طيَّ صحيفتي. قال أيوب: فما حدَّثتُ نفسى بامرأةٍ قبلَها، فقلت لها: لو تزوَّجتى رجلًا كان يُعينك على ما أنتِ عليه. قالت: لو كان مالكُ بنُ دينار أو أيوب السَّختيانى ما أردْتُهُ. فقلت: أنا مالكُ بنُ دينار، وهذا أيوبُ السختيانى. فقالت: أُفٍّ، لقد ظننتُ أنَّه يشغلُكما ذِكرُ اللهِ عن مُحادثةِ النساء، وأقبلتْ على صلاتها. فسألتُ عنها، فقالوا: مُليكة بنتُ المُنكدر.

وقال أبو خالد البرَّاد: كلَّمْنا بنتَ المُنكدر فى تخفيفِ بعضِ العِبادة، فقالت: دَعونى أُبادرُ طيَّ صحيفتى[1].

---

(١) المختار من مناقب الأخيار (٥/ ٢٨٣).

مُنيفة بنت أبي طارق

۞ قال مسمع بن عاصم: كانت بالبحرين امرأةٌ عابدةٌ يُقال لها مُنيفة، وكانت إذا هَجَمَ الليلُ عليها. قالت: بخٍ بخٍ! يا نفسُ قد جاء سُرورُ المؤمنين.

فتقومُ إلى مِحرابها وكأنَّها الجِذْعُ القائم حتى تُصبح، فإذا أصبحتْ وأمكنتِ الصلاة فإنما هى فى صلاةٍ حتى يُنادَى بالعصر، فإذا صلَّتِ العصرَ هجَعَتْ إلى غروبِ الشمس، وكان هذا دَأْبَها. فقيل لها: لو جعلتِ هذهِ النَّومةَ فى الليل كان أهدأَ لبدَنِك. قالت: فلا واللهِ لا أنامُ فى ظُلمةِ الليلِ ما دمتُ فى الدُّنيا. قال رجلُ من أهلِها: فمكثَتْ كذلك أربعين سنةً، ثم ماتت.

۞ وقال عامرُ بنُ مُليك من أهل البحرين: رأيتُ مُنيفةَ بعدَ موتِها فى منامى فقلت: يا منيفة، ما حالُ الناس هنالك؟ فأقبلت علىَّ وقالت: عن أى حالهم تسأل الدار واحدة لأهلِ الطاعةِ، يتعالَوْن فيها بالأعمالِ، ولا تَسألْ عن حالِ أهلِ النار. فبكيتُ واللهِ من قولها: لا تسألْ عن حالِ أهل النار. ثم ولَّيتُ فأتبعَتْنى صوتًا: عليكَ بالجِدِّ والاجتهاد؛ لعلَّكَ تجرى فى مساعى السابقين غدًا، قال عامر: فمرضتُ واللهِ من هذه الرُّؤيا شهرًا.

وقال عامر عن أُمِّه قالت: بتُّ عند مُنيفةَ بنتِ أبى طارق فما زادَتْ على هذه الآية من أوَّلِ الليل إلى آخره تُردِّدُها وتبكى: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[١][٢].

---

(١) سورة آل عمران: الآية: (١١٠).

(٢) المختار من مناقب الأخيار (٥/ ٢٨٥).

جارية عُبيد الله بن الحسن العنبري

۞ قال: كانتْ عندى جاريةٌ أعجميَّة وَضيئةٌ، وكنتُ بها مُعجَبًا، فكانتْ ذاتَ ليلةٍ نائمةً إلى جنبى، فانتبهتُ، فلم أجدها، فالتمستُها فإذا هى ساجدة، تقول: بحبِّكَ لى اغفِرْ لى. فقلت: يا جارية، لا تقولى بحبِّكَ لى، وقولى: بحُبِّى لك. فقالت: يا بطَّال، حُبُّه لى أخرجَنى من الشِّرْكِ إلى الإسلام، وأيقظَ عينى، وأنامَ عينَك. فقلتُ: اذهبى فأنتِ حُرَّةٌ لوجه الله. قالت: يا مَولاىَ، أسأتَ إلىَّ؛ كان لى أجرانِ فصارَ لى أجرٌ واحدٌ(١).

أم حيَّان السُّلَمية

۞ قال أبو خَلْدَة: ما رأيتُ رجلًا قطُّ ولا امرأة أقوى ولا أصبرَ على طولِ القيام من أُمِّ حيَّانَ السُّلميَّة. إنْ كانتْ لَتقومُ فى مسجدِ الحىِّ كأنَّها نخلةٌ تصفُقُها الرِّياحُ يمينًا وشِمالًا.

وقالت سَوادةُ السُّلَميَّة: كانتْ أمُّ حيَّان تقرأُ القرآنَ فى كلِّ يومٍ وليلةٍ، وكانتْ لا تتكلَّمُ إلاَّ بعدَ العصر، فإنها كانت تأمرُ بالحاجة، والشىءِ تريده(٢).

---

(١) وهذا إشارةٌ إلى قولِ رسولِ الله ﷺ: «**العبد إذا نصحَ سيدَهُ وأحسنَ عبادةَ ربه كان له أجره مرَّتَين**». أخرجه البخارى فى صحيحه ٥/ ١٧٥ (٢٥٤٦) فى العتق: باب العبد إذا أحسنَ عبادةَ ربِّه ونصح سيده؛ ومسلم (١٥٤) فى الإيمان: باب وجوب الإيمان برسالةِ نبيِّنا محمد ﷺ إلى جميع الناس، ونسخ الملل بملة.

(٢) المختار من مناقب الأخيار (٥/ ٢٤٦).

أكثروا من زيارة القبور

۞ قَالَ عُثْمَانُ بْنُ سَوْدَةَ، عَن أُمِّه: وَكَانَتْ أُمُّهُ مِنَ الْعَابِدَاتِ، وَلِذَلِكَ يُقَالُ لَهَا: رَاهِبَةٌ - قَالَ: فَلَمَّا احْتُضِرَتْ رَفَعَتْ رَأْسَهَا إِلَى السَّمَاءِ فَقَالَتْ: يَا ذُخْرِى، وَذَخِيرَتِى، وَيَا مَنْ عَلَيْهِ عِمَادِى فِى حَيَاتِى وَبَعْدَ مَوْتِى، لَا تَخْذُلْنِى عِنْدَ الْمَوْتِ، وَلَا تُوحِشْنِى فِى قَبْرِى، قَالَ: فَمَاتَتْ، وَكُنْتُ آتِيهَا فِى كُلِّ جُمُعَةٍ فَأَدْعُو لَهَا، وَأَسْتَغْفِرُ لَهَا وَلِأَهْلِ الْقُبُورِ، قَالَ: فَرَأَيْتُهَا لَيْلَةً فِى مَنَامِى، فَقُلْتُ: يَا أُمَّاهُ، كَيْفَ أَنْتِ؟ فَقَالَتْ: يَا بُنَىَّ، إِنَّ الْمَوْتَ لَشَدِيدٌ كَرْبُهُ، وَأَنَا بِحَمْدِ اللهِ فِى بَرْزَخٍ مَحْمُودٍ، أَفْتَرِشُ فِيهِ الرَّيْحَانَ، وَأَتَوَسَّدُ فِيهِ السُّنْدُسَ، وَالْإِسْتَبْرَقَ إِلَى يَوْمِ النُّشُورِ، فَقُلْتُ: أَلَكِ حَاجَةٌ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، قُلْتُ: مَا هِىَ؟ قَالَتْ: لَا تَدَعْ مَا كُنْتَ تَصْنَعُ مِنْ زِيَارَتِنَا وَالدُّعَاءَ لَنَا، فَإِنِّى آنَسُ بِمَجِيئِكَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، إِذَا أَقْبَلْتَ مِنْ أَهْلِكَ يُقَالَ: يَا رَاهِبَةُ، قَدْ أَقْبَلَ مِنْ أَهْلِكِ زَائِرٌ، قَالَتْ: فَأُبَشَّرُ، وَيُبَشَّرُ بِذَلِكَ مَنْ حَوْلِى مِنَ الْأَمْوَاتِ[1].

(١) أخرجها ابن الجوزى فى «صفة الصفوة» (٤/ ٤٢).

حرص النساء على طلب العلم

۞ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال:

جَاءَتِ امْرَأَةٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، ذَهَبَ الرِّجَالُ بِحَدِيثِكَ، فَاجْعَلْ لَنَا مِنْ نَفْسِكَ يَوْمًا نَأْتِيكَ فِيهِ تُعَلِّمُنَا مِمَّا عَلَّمَكَ اللهُ، فَقَالَ: «اجْتَمِعْنَ فِي يَوْمِ كَذَا وَكَذَا فِي مَكَانِ كَذَا وَكَذَا»، فَاجْتَمَعْنَ، فَأَتَاهُنَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَعَلَّمَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَهُ اللهُ، ثُمَّ قَالَ: «مَا مِنْكُنَّ امْرَأَةٌ تُقَدِّمُ بَيْنَ يَدَيْهَا مِنْ وَلَدِهَا ثَلاثَةً، إِلَّا كَانُوا لَهَا حِجَابًا مِنَ النَّارِ»، فَقَالَتِ امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَوِ اثْنَيْنِ؟ قَالَ: فَأَعَادَتْهَا مَرَّتَيْنِ، ثُمَّ قَالَ: «وَاثْنَيْنِ وَاثْنَيْنِ وَاثْنَيْنِ»[(١)].

۞ وروى أبو ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ: قال:

«مَا مِنْ مُسْلِمَيْنِ يَمُوتُ بَيْنَهُمَا ثَلَاثَةُ أَوْلَادٍ لَمْ يَبْلُغُوا الْحِنْثَ إِلَّا أَدْخَلَهُمَا اللهُ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ إِيَّاهُمُ الْجَنَّةَ، وَمَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِي سَبِيلِ اللهِ، ابْتَدَرَتْهُ خَزَنَةُ الْجَنَّةِ».[(٢)] ابتدرته: أسرعت إليه.

---

(١) حديثٌ صحيحٌ: أخرجه البخارى (٧٣١٠)، ومسلم (٢٦٣٣).

(٢) حديثٌ صحيح: رواه أحمد، والنسائى، وابن حبان، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٧٧٩).

حُبٌّ وخوفٌ وأُنسٌ

۞ عن أحمد بن أبى الحوارى قال: قلت لرابعة العدوية، وهى امرأتى وقد قامت بليلٍ: قد رأينا أبا سليمان وتعبَّدنا معه، ما رأينا من يقوم من أول الليل، فقالت: سبحان الله مثلك يتكلم بهذا؟ إنما أقوم إذا نوديت ... قال: وجلست آكل وجعلتْ تُذكرنى، فقلت: لها: دعينا يُهنينا طعامنا. قالت: ليس أنا وأنت ممن يتنغص عليه الطعام عند ذكر الآخرة.

وعن أحمد بن أبى الحوارى قال: قالت لى رابعة: أى أخى أعلمت أن العبد إذا عمل بطاعة الله أطلعه الجبار على مساوئ عمله فيتشاغل به دون خلقه؟

۞ وعن أحمد بن أبِى الحوارى قال: كانت لرابعة أحوال شتَّى فمرة يغلب عليها الحب، ومرة يغلب عليها الأنس، ومرة يغلب عليها الخوف فسمعتها تقول فى حال الحب:

حَبيبٌ ليس يَعْدِلُه حَبيبٌ ... ولا لِسواهُ في قَلبي نَصيبُ
حَبيبٌ غاب عن بصَري وشَخصي ... ولكن عن فؤادي ما يَغيبُ

وسمعتها فى حال الأنس تقول:

ولقد جعلتك في الفؤاد مُحدِّثي ... وأبحْتُ جسْمي مَن أرادَ جُلوسي
فالجسمُ مني لِلْجَليس مُؤانِسٌ ... وحَبيبُ قَلْبي في الفؤاد أنيسي

وسمعتها فى حال الخوف تقول:

وَزَادي قليلُ ما أراهُ مبلِّغي ... أَلِلزاد أبكي أم لِطُول مَسافتي؟
أَتحرقني بالنار يا غاية المُنى ... فأين رَجائي فيك؟ أين محبَّتي؟

۞ وعن أحمد بن أبى الحوارى قال: سمعت رابعة تقول: إنى لأضن

باللقمة الطيبة أن أُطعمها نفسى، وإنى لأرى ذراعى قد سمن فأحزن. قال: وربما قلت لها: أصائمة أنت اليوم؟ فتقول: ما مثلى يفطر فى الدنيا. قال: وربما نظرت إلى وجهها ورقبتها فيتحرك قلبى على رؤيتها ما لا يتحرك مع مذاكراتى أصحابنا من أثر العبادة. وقالت لى: لست أحبك حب الأزواج إنما أحبك حب الإخوان، وإنما رغبت فيك رغبةً فى خدمتك. وإنما كنت أحب وأتمنى أن يأكل ملكى ومالى مثلك ومثل إخوانك.

وقال أحمد: وكانت لها سبعة آلاف درهم فأنفقتها علىَّ، فكانت إذا طبخت قدرًا قالت: كلها يا سيدى فما نضجت إلا بالتسبيح. وقالت لى: لست أستحل أن أمنعك نفسى وغيرى اذهب فتزوج. قال: فتزوجت ثلاثًا، وكانت تُطعمنى اللحم وتقول: اذهب بقوتك إلى أهلك. وكنت إذا أردت جماعها نهارًا قالت: أسألك بالله لا تفطرنى اليوم، وإذا أردتها بالليل قالت: أسألك بالله لما وهبتنى لله الليلة.

وعن أحمد بن أبى الحوارى قال: سمعت رابعة تقول: ما سمعت الأذان إلا ذكرت منادى القيامة، ولا رأيت الثلج إلا رأيت تطاير الصحف، ولا رأيت جرادًا إلا ذكرت الحشر.

قال أحمد بن أبى الحوارى: سمعت رابعة تقول: ربما رأيت الجنّ يذهبون ويجيئون، وربما رأيت الحور العين يستترن منى بأكمامهن. وقالت بيدها على رأسها.

قال أحمد: ودعوت رابعة فلم تجبنى، فلما كان بعد ساعة أجابتنى وقالت: إنما منعنى من أن أجيبك أن قلبى قد كان امتلأ فرحًا بالله، فلم أقدر أن أجيبك [(١)].

---

(١) «صفة الصفوة» (٤/ ٤٥٢-٤٥٤) بتصرف.

عُبيدة بنت أبي كلاب

۞ قال ابنُ أبى الدُّنيا بإسنادِه: بكتْ عُبيدةُ بنت أبى كلاب أربعين سنةً حتى ذهبَ بصرُها. وقال سلمةُ الأفقم: قلتُ لعُبيدة بنتِ أبى كلاب: ما تشتهين؟ قالت: الموت. قلتُ: ولِمَ؟ قالت: لأنِّى واللهِ فى كلِّ يومِ أُصبِحُ أخشى أنْ أجنىَ على نفسى جِنايةً يكون فيها عَطَبى أيَّامَ الآخرة.

۞ وقال محمد بنُ عبد العزيز بن سُليمان: اختلفتْ عُبيدةُ وأبى إلى مالكِ ابن دينار عشرين سنة، قال أبى: فما سمعتُها تسألُ مالكًا عن شيءٍ قطُّ إلاَّ مرَّةً، قالتْ: يا أبا يحيى، متى يبلغُ المُتَّقى الدرجةَ العليا التى ليس فوقَها درجة؟ قال مالك: بخٍ بخٍ! يا عُبيدة، إذا بلغَ المُتَّقى تلكَ الدرجةَ العُليا التى ليس فوقها درجة لم يكنْ شىءٌ أحبَّ إليه من القُدومِ على الله. فصرخَتْ عُبيدةُ صرخةً سقطَتْ مَغْشيًّا عليها.

۞ وقال عبد الله بن رُشَيْد السَّعْدىُّ، وكان قد صحِبَ عبدَ الواحدِ بن زيد قال: رأيتُ الشُّيوخَ والشَّبابَ والرِّجالَ والنَّساءَ من المتعبِّدين، ما رأيتُ امرأةً ولا رجلًا أفضلَ ولا أحسَنَ عَقْلًا من عُبيدة بنت أبى كلاب.

وقال البَرَاءُ الغَنَوِىّ: ماتَتْ عُبيدةُ بنتُ أبى كلاب، وما خلَّفتْ بالبصرةِ أفضلَ منها.

۞ وقالتْ عبدةُ بنت أبى شَوَّال: رأيتُ رابعةَ فى المنام، فقلت: ما فعلتْ عُبيدة بنت أبى كلاب؟ فقالت: هَيهات هيهات! سبقَتْنا واللهِ إلى الدَّرجاتِ العُلى. قلت: وبِمَ؟ وقد كنتِ عند الناسِ أكثرَ منها؟ قالت: إنَّها لم تكنْ تُبالى على ما أصبحتْ من الدُّنيا وأمْسَتْ[1].

(١) المختار من مناقب الأخيار (٥/ ٢٧٠- ٢٧١).

بِحُبك لى إلا رددتَ علىَّ قلبى

۞ عن أبى الأشهب السائح: بينا أنا فى الطواف إذا بجويْرية قد تعلقتْ بأستار الكعبة وهى تقول: (يا وَحْشتى بعد الأُنس، ويا ذُلِّى بعد العزّ، ويا فقرى بعد الغِنى)، فقلت لها: ما لكِ؟!، أذَهبَ لكِ مال أو أُصِبْتِ بمصيبة؟!، قالت: (لا، ولكن كان لى قلب ففَقدته). قلت: هذه مصيبتكِ؟!، قالت: (وأىّ مصيبة أعظم من فقْد القلوب وانقطاعها عن المحبوب؟!)، فقلت لها: إن حُسْنَ صوتكِ قد عَطّل على مَن سمع الكلام الطواف!. فقالت: (يا شيخ!، البيت بيتُك أم بيتُه؟!) قلت: بل بيتُه. فقالت: (فالحرم حَرَمُك أم حرَمُه؟!) قلت: بل حَرَمُه. فقالت: (فَدَعْنا نتدلّل عليه على قدْر ما اسْتَزارنا إليه)؛ ثم قالت: (بحبكَ لى إلاّ ردَدْتَ علىَّ قلبى)؛ قال: فقلت: مِن أين تعلمين أنه يحبك؟!، فقالت: (جَيَّش من أجْلى الجيوش، وأنفق الأموال، وأخرجنى من دار الشرك وأدخلنى فى التوحيد، وعَرَّفنى نفْسَه بعد جهلى إياه، فهل هذا إلاّ لِعناية!)، قلت: كيف حبك له؟!، قالت: (أعظم شىء وأجَلُّه)[1].

---

(١) «صفة الصفوة» (٤/ ٥٤٠).

عَجردة العمِّية

۞ من عابدات البصرة.

قال رجاءُ بن مسلم العبدى: كنَّا نكونُ مع عَجردة العمِّيَّةِ فى الدار، فكانتْ تُحيى الليلَ صلاةً، فإذا كان السَّحَرُ نادتْ بصوتٍ لها مَحْزون: إليكَ قطعَ العابدون دُجَى الليل بتبكير الدَّلَجِ إلى ظُلَمِ الأسحار يستبقون إلى رحمتك، وفَضْلِ مغفرتك، فبِكَ إلهى لا بغيرك أسَألُك أنْ تجعلَنى فى أوَّلِ زُمرةِ السابقين إلَيك، وأنْ ترفعَنى إليكَ فى درجةِ المقَرَّبين، وأنْ تُلحِقَنى بعبادِك الصالِحين، وأنتَ أكرَمُ الكُرَماء، وأرحمُ الرحماء، وأعظمُ العظماء، يا كريم، ثم تَخِرُّ ساجدةً، فلا تزالُ تبكى وتدعو فى سجودِها حتى يَطلُعَ الفجر، وكان ذلك دأْبَها ثلاثين سنة.

وقالتْ آمنةُ بنتُ يَعْلَى بن سُهيل: كانتْ عَجردةُ تَغْشانا، فتظلُّ عندَنا اليومَ واليومين، وكانتْ إذا جاءَ الليلُ لبِسَتْ ثيابَها وتقنَّعَتْ، ثم قامتْ إلى المِحراب، فلا تزالُ تُصَلِّى إلى السَّحرِ فتدعو حتى يَطلُعَ الفجر، فقلتُ لها، أو قال لها بعضُ أهلِ الدار: لو نمتِ من الليلِ شيئًا. فبكت، وقالتْ: ذِكْرُ الموتِ لا يَدَعنى أنام[1].

---

(١) المختار من مناقب الأخيار (٥/ ٢٧١- ٢٧٢).

مسكينة الطُّفَاوية

۞ من عابداتِ البصرة.

قال عمَّار بن الراهب وكان من العاملين للهِ فى دارِ الدنيا: رأيتُ مسكينةَ الطُّفاويةَ فى منامى، وكانتْ من المواظباتِ على حِلَق الذِّكر، فقلت: مرحبًا يا مِسكينةُ مرحبًا. قالت: هيهات يا عمَّار، ذهبتِ المسكنةُ وجاءَ الغِنى الأكبر.

قلتُ: ما فعلَ اللهُ بكِ؟ قالتْ: هيه، ما تسألُ عمَّن أُبيحَ لها الجنَّةُ بحذافيرِها، تظلُّ منها حيثُ شاءت؟ قلت: وبِمَ ذاك يرحمُكِ الله؟ قالت: بمجالسِ الذِّكر، والصبرِ على الحقِّ. قال عمار: وكانت تحضرُ معنا مجلسَ عيسى بن زاذَان بالأُبلَّة، تنحدِرُ من البصرةِ حتى تأتيَه قاصدة. قال عمار: قلتُ يا مسكينة، ما فعلَ عيسى؟ فضحكتْ ثم قالت:

قد كُسى حُلَّةَ البَهاءِ وطافَتْ ... بأباريقَ حولَهُ الخُدَّامُ

ثم حُلِّى وقيل: يا قارئُ اقرَأْ ... فلعمرى لقد براكَ الصِّيامُ

وكان عيسى قد صامَ حتى انحنى وانقطَعَ صوتُه[1].

---

(١) المختار من مناقب الأخيار (٥/ ٢٨٠).

جارية خالد الورَّاق

۞ قال خالد الورَّاق: كانت لى جاريةٌ شديدةُ الاجتهاد، فدخلتُ عليها يومًا فأخبرتُها بشىءٍ من رفقِ الله وقَبولِه يَسيرَ العمل، فبكتْ ثم قالتْ: يا خالد، إنِّى لآمُلُ من اللهِ آمالًا لو حمَلَتْها الجبالُ لأشفقتْ من حملِها، كما ضعفتْ عن حملِ الأمانة(١)، وإنِّى لأعلمُ أنَّ فى كرمِ اللهِ مُستغاثًا لكلِّ مُذنبٍ، ولكن كيف لى بحسرةِ السِّباق؟ قلتُ: وما حسْرَةُ السِّباق؟ قالت: غداةَ الحشرِ إذا بُعثِرَ ما فى القبور، ورَكِبَ الأبرارُ نجائبَ الأعمالِ، فاستبَقُوا إلى الصِّراط، وعزَّةِ سيِّدى لا يَسْبِقُ مُقصِّرٌ مجتهدًا أبدًا، ولو حَبَا المُجِدُّ حَبْوا. أم كيف لى بموتِ الحُزنِ والكَمَد؟ إذا رأيتُ القومَ يتراكضون، وقد رُفعتْ أعلامُ المُحسنين، وجازَ الصِّراطَ المُشتاقون، ووصلَ إلى اللهِ المُحِبُّون، وخُلِّفْتُ مع المُسيئين المُذنبين. ثم بكتْ، وقالت: يا خالد، انظرْ لا يقطعكَ قاطعٌ عن سرعةِ المُبادرةِ بالأعمال؛ فإنَّه ليس بين الدَّارَينِ دارٌ يُدرِكُ فيها الخُدَّامُ ما فاتَهم من الخِدْمة، فويلٌ للمقصِّرِ عن خدمةِ سيِّدِهِ ومعه الآمال، فهلَّا كانتِ الآمالُ تُوقِظُهُ إذا نامَ البطَّالون؟(٢).

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [الأحزاب: ٧٢].

(٢) المختار من مناقب الأخيار (٥/ ٢٥٠).

وصية أم

۞ عن أبى عبد الرحمن القرشى قال:

عن رجل من بنى ثعلب: شهدتُ امرأة من أهل البادية توصى ابنًا لها أراد سفرًا فقالت: يا بنى أوصيك بتقوى الله، فإن قليلها أجدى عليك من كثير عقلك وإياك والنمائم فإنها تزرع الضغائن وتفرق بين المحبين، ومثِّل لنفسك ما تستحسنه من غيرك مثالاً ثم اتخذه إمامًا واعلم أنه من جمع بين الحياء والسخاء فقد استجاد الحُلّة إزارها ورداءها.[1].

رُقية المَوصلية

۞ قال منصور بن محمد: قالت رُقيَّةُ العابدة المَوْصلية: إنِّى لأُحبُّ ربِّى حُبًّا شديدًا، فلو أمرَ بى إلى النار ما وجدتُ للنارِ حرارةً مع حُبِّه، ولو أمرَ بى إلى الجنةِ لما وجدتُ للجنَّةِ لَذَّةٍ مع حُبِّه؛ لأنَّ حبَّه هو الغالبُ علىَّ.

۞ وقال فتحُ الموصلى: سمعتُ امرأةً متعبِّدَةً عندنا تقول: إلهى، لو أنَّكَ عذَّبْتنى بعذابِك كلِّه لكانَ ما فاتَنى من قُرْبِكِ أعظمَ عندى من العذاب، ولو نعَّمتنى بنعيمِ الجَنَّةِ كلِّه كان لَذَّةُ حُبِّكَ فى قلبى أكثر.

وقال محمد بن كثير المِصِّيصى: قالت رُقَيَّةُ العابدةُ، وكانت بالموصل: حرامٌ على قلبٍ فيه رهبانيَّةُ المخلوقين أن يَذوقَ حلاوةَ الإيمان. شَغَلوا قلوبَهم بالدُّنيا عن الله، ولو تركوها لجالتْ فى الملكوتِ، ورجعَتْ إليهم بطُرَفِ الفوائد[2].

---

(١) «صفة الصفوة» (٤/ ٥٢٢-٥٢٣).

(٢) المختار من مناقب الأخيار (٥/ ٢٥٩).

يا من يُحبنى وأُحبه

❁ عن أبى عبد الرحمن محمد بن الحسين السُّلَمى قال: سمعت المالينى الصوفى يقول: دخلت على تحية زائرًا فسمعتها من داخل البيت وهى تناجى وتقول فى مناجاتها: يا من يحبنى وأحبه.

فدخلت إليها وسلَّمت عليها وقلت: يا تحية هبى أنك تحبين الله تعالى فمن أين تعلمين أنه يحبك؟ فقالت: نعم إنى كنت فى بلد النوبة وأبواى كانا نصرانيين. وكانت أمى تحملنى إلى الكنيسة وتجىء بى عند الصليب وتقول: قَبِّلى الصليب، فإذا هممت بذلك أرى كفًّا تخرج فترد وجهى حتى لا أُقبله، فعلمت أن عنايته بى قديمة.[1]

كيف تكون حسرة من انقطع عن الوصول إلى رب البيت

❁ عن أبى عبد الرحمن محمد بن الحسين قال: سمعت بعض أصحابنا يقول: كانت عزيزة امرأة أبى علىٍّ تقول: كيف لا أرغب فى تحصيل ما عندك وإليك مرجعى؟ وكيف لا أحبك وما لقيت خيرًا إلا منك؟ وكيف لا أشتاق إليك وقد شوقتنى إليك؟ وحُكى عنها أنها قالت: لا ينتفع العبد بشىء من أفعاله كما ينتفع بطلب قوته من حلالٍ. قال: وخرجت يومًا من مصر وقت خروج الحاجّ والجِمال تمرّ بها وهى تبكى وتقول: واضعفاه. وتنشد على أثره وتقول:

فقلتُ:دَعُوني واتّباعي رِكابَكم ... أكُنْ طوعَ أيديكُم كما يفعل العبدُ

(١) «صفة الصفوة» (٤/ ٤٧٤-٤٧٥).

وما بالُ رغمِي لا يهَون عليهمُ وقد عَلموا أنْ ليس لي منهُم بُدُّ

وتقول: هذه حسرة من انقطع عن الوصول إلى البيت، فكيف ترى حسرة من انقطع عن الوصول إلى رب البيت؟[١]

عابدة في بيت المقدس

۞ عن أبى جعفر السائح قال: رأيت عجوزًا فى بيت المقدس تقول: حججت ماشية اثنتى عشرة حجة ما ركبت فيها، أشترى كل سنة بأربعة دراهم سقطًا[٢] فيكون ذلك زادى فى ذهابى ومنصرفى. قال: فقلت لها: فى بيت المقدس مثلك من المتعبدات؟ قال: فذكرت نسوة يفعلن مثل ما تفعل. قالت: فإذا رجعنا حملنا مغازلنا إلى المسجد، فلا نخرج منه إلا لحدث أو لحاجة. قلت: وكم بقى اليوم من هذه الصفة؟ قالت: نحو من عشرة. قلت: فمن أعبدكن؟ قالت: امرأة من قريش ما نراها تكلم أحدًا إنما هى فى الصلاة قائمة وراكعة وساجدة يأتيها أهلها بما يُصلحها.[٣].

التراب يُحثى على شبابى ولم أشبع من طاعة ربى

۞ عن أبى عياش القطان قال: كانت امرأة بالبصرة متعبدة: يقال لها منيبة، وكانت لها ابنة أشد عبادة منها، فكان الحسن ربما رآها وتعجب من عبادتها على حداثتها.

---

(١) «صفة الصفوة» (٤/ ٤٧٤).

(٢) سِقط: سقط المتاع: هو الردىء منه، وقيل: أمعاء الحيوان وما شابه.

(٣) «صفة الصفوة» (٤/ ٤١٧).

فبينما الحسن ذات يوم جالس إذ أتاه آتٍ، فقال: أما علمت أن الجارية قد نزل بها الموت، فوثب الحسن فدخل عليها، فلما نظرت الجارية إليه بكت، فقال لها: يا حبيبتى ما يُبكيكِ؟ قالت له، يا أبا سعيد التراب يُحثى على شبابى ولم أشبع من طاعة ربى، يا أبا سعيد انظر إلى والدتى وهى تقول لوالدى: احفر لابنتى قبرًا واسعًا وكفِّنها بكفنٍ حسنٍ، والله لو كنت أُجهَّز إلى مكة لطال بكائى، كيف وأنا أُجهَّز إلى ظلمة القبور ووحشتها، وبيت الظلمة والدود؟.[١].

لا أجلس مع النيام ولا أنام مع الجلوس

۞ إنها قطر الندى التى لما تزوجها ودخل بها الخليفة المعتضد أحبها حبًّا شديدًا لجمال صورتها وكثرة آدابها، قيل: إنه خلا بها فى بعض الأيام فوضع رأسه على ركبتيها ونام، وكان المعتضد كثير التحرُّز على نفسه، فلما نام تلطَّفت به وأزالت رأسه عن ركبتها ووضعتها على وسادة، ثم تنحَّت عن مكانها وجلست بالقرب منه فى مكانٍ آخر، فانتبه المعتضد فزعًا ولم يجدها، فصاح بها فكلمته فى الحال، فعاتبها على ما فعلت من إزالة رأسه عن ركبتها، وقال لها: أسلمت نفسى لك فتركتنى وحيدًا وأنا فى النوم لا أدرى ما يُفعل بى!

فقالت: يا أمير المؤمنين، ما جهلت قدر ما أنعمت به علىَّ، ولكن فيما أدَّبنى به والدى خمارويه: أنى لا أجلس مع النيام ولا أنام مع الجلوس، فأعجبه ذلك منها إلى الغاية[٢].

---

(١) «صفة الصفوة» (٤/ ٢٤٨).

(٢) «النجوم الزاهرة» (٣/ ٧٤).

رؤيا تجعل النبي ﷺ يشهد بصلاحه

۞ عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كان الرجل فى حياة النبى ﷺ إذا رأى رؤيا قصَّها على النبى ﷺ، فتمنيت أن أرى رؤيا أقُصُّها على النبى ﷺ، وكنت غلامًا أعزب، وكنت أنام فى المسجد على عهد النبى ﷺ، فرأيتُ فى المنام كأن ملكين أخذانى فذهبا بى إلى النار، فإذا هى مطوية كطى البئر، وإذا لها قرنان كقرنى البئر، وإذا فيها ناسٌ قد عرفتهم، فجعلت أقول: أعوذ بالله من النار، أعوذ بالله من النار. فلقيهما ملك آخر فقال لى: لن تُراع- لا تخف- فقصصتها على حفصة فقصَّتها حفصةُ على النبى ﷺ فقال: «**نعم الرجل عبد الله لو كان يصلى من الليل**» قال سالم: فكان عبد الله لا ينام من الليل إلا قليلًا.

وفى رواية قال ﷺ: «**إن عبد الله رجلٌ صالح**»[1].

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخارى (٣٧٣٨، ٣٧٤٠، ٣٧٤١) كتاب المناقب، ومسلم (٢٤٧٩) كتاب فضائل الصحابة.

لا يفتُر لسانه عن الصلاة على رسول الله ﷺ

۞ عن أبى بن كعب، قال: قلت يا رسول الله: إنى أُكثر الصلاة عليك[١]، فكم أجعل لك من صلاتى[٢]؟

فقال: «**ما شئت**». قلت: الربع؟

قال: «**ما شئت، فإن زدت فهو خير لك**».

قلت: فالنصف؟

قال: «**ما شئت، فإن زدت فهو خير لك**».

قلت: فالثلثين؟

قال: «**ما شئت، فإن زدت فهو خير لك**».

قلت: أجعل لك صلاتى كلها؟

قال: «**إذن يُكفى همك ويُغفر لك ذنبك**»[٣].

۞ قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾[٤].

۞ وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من صلى علىَّ واحدة، صلى الله عليه عشر صلوات وحط عنه عشر خطيئات، ورفع له عشر درجات**»[٥].

---

(١) أى: أريد إكثارها.

(٢) أى بدل دعائى الذى أدعو به لنفسى.

(٣) حسن: رواه الترمذى، وأحمد، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى المشكاة (٩٢٩).

(٤) سورة الأحزاب: الآية: (٥٦).

(٥) صحيح: رواه النسائى، وأحمد، وصححه العلامة الألبانى رَحِمَهُ اللَّهُ فى صحيح الجامع (٦٣٥٩).

۞ وعن أبى طلحة أن رسول الله ﷺ جاء ذات يوم والبِشر فى وجهه فقال: «**إنه جاءنى جبريل فقال: إن ربك يقول: أما يرضيك يا محمد ألا يصلى عليك أحد من أمتك إلا صليت عليه عشرًا، ولا يسلم عليك أحد من أمتك إلا سلمت عليه عشرًا**»[١].

۞ عَنْ عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ زَيْدٍ، قَالَ: «خَرَجْتُ حَاجًّا يَصْحَبُنِى رَجُلٌ فَكَانَ لَا يَقُومُ وَلَا يَقْعُدُ وَلَا يَذْهَبُ وَلَا يَجِيءُ إِلَّا صَلَّى عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقُلْتُ لَهُ فِى ذَلِكَ، فَقَالَ: أُخْبِرُكَ عَنْ ذَلِكَ، خَرَجْتُ أَوَّلَ سِنِيَاتٍ إِلَى مَكَّةَ وَمَعِى أَبِى، فَلَمَّا انْصَرَفْنَا فَكُنَّا فِى بَعْضِ الْمَنَازِلِ فَبَيْنَا أَنَا نَائِمٌ إِذْ أَتَانِى آتٍ فَقَالَ لِى: قُمْ فَقَدْ أَمَاتَ اللهُ أَبَاكَ وَسَوَّدَ وَجْهَهُ، فَقُمْتُ مَذْعُورًا، فَكَشَفْتُ الثَّوْبَ عَنْ وَجْهِ أَبِى فَإِذَا هُوَ مَيِّتٌ أَسْوَدُ الْوَجْهِ، قَالَ: فَدَخَلَنِى مِنْ ذَاكَ ... فَبَيْنَا أَنَا عَلَى ذَلِكَ الْغَمِّ إِذْ غَلَبَتْنِى عَيْنِى فَنِمْتُ فَإِذَا عَلَى رَأْسِهِ أَرْبَعَةٌ مَعَهُمْ أَعْمِدَة حَدِيدٍ، عِنْدَ رَأْسِهِ وَرِجْلَيْهِ وَعَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ إِذْ أَقْبَلَ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ فِى ثَوْبَيْنِ أَخْضَرَيْنِ فَقَالَ لَهُمْ: افْتَتَحُوا، فَرَفَعَ الثَّوْبَ عَنْ وَجْهِهِ فَمَسَحَ وَجْهَهُ بِيَدِهِ ثُمَّ أَتَانِى فَقَالَ لِى: قُمْ فَقَدْ بَيَّضَ اللهُ وَجْهَ أَبِيكَ فَقُلْتُ: مَنْ أَنْتَ بِأَبِى أَنْتَ وَأُمِّى، فَقَالَ لِى: أَنَا مُحَمَّدٌ، قَالَ: فَقُمْتُ فَكَشَفْتُ الثَّوْبَ عَنْ وَجْهِ أَبِى فَإِذَا هُوَ أَبْيَضُ الْوَجْهِ فَأَصْلَحْتُ مِنْ شَأْنِهِ وَدَفَنْتُهُ، فَمَا تَرَكْتُ الصَّلَاةَ بَعْدُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ[٢].

---

(١) صحيح: رواه النسائى، وأحمد، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى المشكاة (٩٢٨).

(٢) إحياء علوم الدين (٤/ ٤٩١).

ما أتيت إلا معتذرًا

۞ عن أبى الحسن بن شمعون قال:

اجتزت يومًا على الصّراة[١]، فرأيت امرأة تلتقط ورق البقل الذى يأتى على الماء، فقلت: لا شك أن هذه امرأة فقيرة، فوقفتُ حتى رجعتْ. فتبعتها، فأتت إلى دار فدخلتْ فرجعتُ إلى بيتى، فما استقر بى المنزل حتى أتانى خادم معه دنانير ودراهم، فقال: ادفع هذا إلى محتاج.

فأخذته وقمت، فأتيت بيت المرأة، فطرقت الباب فخرج إلىَّ رجل من خواصّ مجلسى ومن الملازمين لى، فلما رآنى قال: ما لك هكذا؟ فقلت: جئتكم بهذه الدنانير تستعينون بها على الوقت. فنظر إلىَّ مغضبًا وقال: يا شيخ تُحذّرنا من الدنيا وتأتينا بها، ثم ردّ الباب فى وجهى، ودخل فرجعت منكسرًا إلى بيتى.

ثم قلت فى نفسى: لابد أن أعود إليه فأعتذر، فأتيته فى اليوم الثانى، فطرقت الباب مرارًا، فلم يُجبنى أحد، وإذا امرأة من الجيران تقول: ما لك يا رجل؟ فقلت لها: ما فعل أهل هذه الدار؟ فقالت: كان فى هذه الدار رجل مع والدته، وكنا نتبرك بهم فجاء بالأمس شيطان، فكلّمهم بما كرهوا فانتقلوا عنا.

قال: فعُدت وأنا شديد الحزن على ما فعلت، وجعلت أتفقد مجلسى ولا أرى الرجل.

فلما كان يوم عرفة وأنا أتكلم على الناس رأيته فى أواخرهم، فلما

(١) الصراة: أحدُ نهرَينِ ببغداد، وهما الصراةُ الكبرى، والصراةُ الصغرى. معجم البلدان.

انقضى المجلس مضيت إليه، وسلّمت عليه فردَّ عليَّ، وقال: لا تُعدْ ما فات، ولا تَقُل شيئًا، فلولا أنى أعتقد كلامك دواءً لقلبى لم أحضر وإنما غبتُ عنك، لأنا انتقلنا إلى مكان آخر حتى لا نُعرف. فقلت: ما أتيتُ إلا معتذرًا وما أعود. ثم فارقته.[1].



ذاك هو الله

۞ قال رجل لجعفر الصادق: ما الدليل على الله، ولا تَذْكُرْ لى العالَمَ والعَرَضَ والجوهر؟

فقال له: هل ركبتَ البحر؟ قال: نعم.

قال: هل عصفتْ بكم الريحُ حتى خفتم الغرق؟ قال: نعم.

قال: فهل انقطع رجاؤك من المركب والملاحين؟ قال: نعم.

قال: فهل أحسَّت نفسُك أن ثَمَّ مَن يُنجيك؟ قال: نعم.

قال: فإن ذاك هو الله!

(١) صفة الصفوة (٢/ ٥١٠).

أنا عند ظن عبدى بى

۞ قال الله تعالى: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِى بِى، إِنْ ظَنَّ بِى خَيْرًا فَلَهُ، وَإِنْ ظَنَّ شَرًّا فَلَهُ»(١).

۞ قال بلال بن سعد رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يأْمُرُ اللهُ تَعَالَى بِإِخْرَاجِ رَجُلَيْنِ مِنَ النَّارِ، قَالَ: فَيَخْرُجَانِ بِسَلَاسِلِهِمَا وَأَغْلَالِهِمَا فَيُوقَفَانِ بَيْنَ يَدَيْهِ فَيَقُولُ: كَيْفَ وَجَدْتُمَا مَقِيلَكُمَا وَمَصِيرَكُمَا؟ فَيقُولَانِ: شَرَّ مَقِيل، وَأَسْوَأ مَصِير، فَيقُولُ: بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمَا، وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ، فَيَأْمُرُ بِهِمَا إِلَى النَّارِ، فَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَيَمْضِى بِسَلَاسِلِهِ وَأَغْلَالِهِ حَتَّى يَقْتَحِمَهَا، وَأَمَّا الْآخَرُ فَيَمْضِى وَهُوَ يَتَلَفَّتُ فَيأْمُرُ بِرَدِّهِمَا، فَيقُولُ لِلَّذِى غَدَا بِسَلَاسِلِهِ وَأَغْلَالِهِ حَتَّى اقْتَحَمَهَا: مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا فَعَلْتَ وَقَدِ اخْتَرْتَهَا؟ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، قَدْ ذُقْتُ مِنْ وَبَالِ مَعْصِيَتِكَ مَا لَمْ أَكُنْ أَتَعَرَّضْ لِسَخَطِكَ ثَانِيًا، وَيَقُولُ لِلَّذِى مَضَى وَهُوَ يَتَلَفَّتُ: مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ؟ قَالَ: لَمْ يَكُنْ هَذَا ظَنِّى بِكَ يَا رَبِّ، قَالَ: فَمَا كَانَ ظَنُّكَ؟ قَالَ: كَانَ ظَنِّى حَيْثُ أَخْرَجْتَنِى مِنْهَا أَنَّكَ لَا تُعِيدُنِى إِلَيْهَا، قَالَ: إِنِّى عِنْدَ ظَنِّكَ بِى، وَأَمَرَ بِصَرْفِهِمَا إِلَى الْجَنَّةِ(٢).

۞ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «يُخْرَجُ مِنَ النَّارِ أَرْبَعَةٌ فَيُعْرَضُونَ عَلَى اللهِ، فَيَلْتَفِتُ أَحَدُهُمْ، فَيَقُولُ: أَىْ رَبِّ، إِذْ أَخْرَجْتَنِى مِنْهَا فَلَا تُعِدْنِى فِيهَا، فَيُنْجِيهِ اللهُ مِنْهَا»(٣).

---

(١) صحيح: رواه أحمد، وابن حبان، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٤٣١٥).

(٢) الحلية (٥/ ٢٢٦).

(٣) صحيح: رواه مسلم (١٩٢).

لا تُقنطوا الناس من رحمة الله

۞ عن مالك بن دينار قال: بينا أنا أطوف بالبيت الحرام، وقد أعجبنى كثرة الحجاج والمعتمرين، فقلت: يا ليت شعرى! مَنْ المقبول فيهم فأهنِّيه؟ ومَنْ المردود منهم، فأُعزيه؟

فلما كان فى الليل أُريت فى منامى كأن قائلًا يقول: مالك بن دينار تتفكر فى الحاج والمعتمرين، قد والله غفر الله للقوم أجمعين، الصغير والكبير، والذكر والأنثى، والأسود والأبيض، والعربى والأعجمى، ما خلا رجل واحد، فإن الله عليه غضبان، وقد رَدَّ عليه حجَّه ، وضرب به وجهه، قال مالك: فنمت بليلة لا يعلمها إلا الله عز وجل، وحسبت أن أكون ذلك الرجل، فلما كان فى الليلة الثانية رأيت فى منامى مثل ذلك، غير أنه قيل لى: ولست ذلك الرجل، بل هو رجل من خراسان، من مدينة تُدعَى بلخ، يقال له: محمد بن هارون البلخى، الله عليه غضبان، وقد رَدَّ عليه حجَّه، وضرب به وجهه.

قال مالك: فلما أصبحت أتيت قبائل خُراسان، وهم مجتمعون بمكة، ثم سلَّمت، وقلت: أفيكم البلخيون؟ قالوا: نعم. فقلت: فيكم رجل يقال له: محمد بن هارون البلخى. قالوا: بخٍ! بخٍ! يا مالك تسأل عن رجل ليس بخراسان أعبد ولا أزهد منه! فعجبت من جميل الثناء عليه، وما رأيت فى منامى، فقلت: أرشدونى إليه. قالوا: إنه منذ أربعين سنة يصوم النهار، ويقوم الليل، ولا يأوى إلا إلى الخراب، تظنه فى خراب مكة، فجعلت أجول فى الخراب، وإذا به قائم خلف جدار، وإذا يده اليمنى مقطوعة معلقة فى عنقه، وقد ثقب ترقويه، فأدخل فيها سلسلة، ومدها إلى قيدين فى قدميه،

وهو ساجد وراكع، فلما أحس بهمس قدمى من ورائه انفتل، فقال: مَنْ تكون؟ ومِنْ أين تكون؟ فقلت: أنا مالك بن دينار من أهل البصرة. قال: أنت مالك الذى يذكر عنك أهل العراق العلم والزهد؟ قلت: العالِم هو الله ﷻ، والزاهد عمر بن عبد العزيز، قَدِرَ على الدنيا، فزهد فيها، وأنا أزهدنى الفقر.

قال: يا مالك، فماذا جاء بك إلىَّ، قد رأيت لى رؤيا اقصصها علىَّ، فقلتُ: أستحى أن أقصصها عليك. قال: لا تستحى يا مالك، فقصصتها عليه، فبكى طويلًا، وقال: يا مالك، هذه الرؤيا تُرَى لى منذ أربعين سنة، يراها فى كل سنة رجل زاهد مثلك، إنى من أهل النار. قلت: بينك وبين الله ذنب عظيم؟ قال: نعم ذنبى عظيم، أعظم من السموات والأرض والكرسى والعرش! قلت: يا هذا ، حدثنى بذنبك لأُحَذِّرَ الناس العمل به، قال: يا مالك، كنت رجلًا أُكثر شرب هذا المُسْكِرَ، فشربت يومًا عند خدن لى حتى إذا ثملت وزال عقلى، خرجت، فأتيت منزلى، فقرعت الباب على أهلى، وكانت ابنة عمى، ففتحتْ الباب، فدخلت فإذا والدتى تحصب تنورًا لنا حتى قد ابيضَّ جوفه، فلما رأتنى أتمايل بسُكْرِى، أقبلت علىَّ تعظنى وتقول: هذا آخر يوم من شعبان، وأول ليلة من رمضان، يصبح الناس غدًا صُوَّامًا، وتصبح أنت سكرانًا، أما تستحى من الله، فرفعت يدى فلكزتها، فقالت: تعست، فغضبت من قولها، فحملتها بسُكْرِى، فرميتها فى التنور، فلما رأتنى امرأتى، حملتنى فأدخلتنى القيطون[1]، وأجافت الباب فى وجهى مخافة أن تسمع الجيران.

---

(١) القيطون: المكان الذى يقيم فيه.

فلما كان فى آخر الليل، وذهب سُكْرِى، ورجع ذهنى دعوت ابنة عمى لتفتح الباب، فأجابتنى بجوابٍ فيه جفاء، فقلت: ويلك ما هذا الجفاء الذى لم أعرفه منك؟ فقالت: تستأهل ألا أرحمك، قلت: ولِمَ؟ قالت: قد قتلت أمك، رميت بها فى التنور، فقد احترقت، فلما سمعت ذلك لم أتمالك أن قلعت الباب، وخرجت إلى التنور، فإذا هى فيه كالرغيف المحترق، فالتفتُّ فإذا أنا بقدوم، فوضعت يدى عَلى عتبة الباب، فقطعتها بيدى الشمال، وثقبت ترقوى فأدخلت فيها السلسلة، وقيَّدت قدمى هذين القيدين، وكان ملكى ثمانية آلف دينار، فتصدقت بها قبل مغيب الشمس، وأعتقت ستة وعشرين جارية وثلاثة وعشرين عبدًا، وأوقفت ضِياعى فى سبيل الله، وأنا منذ أربعين سنة أصوم النهار، وأقوم الليل، ولا أفطر إلا فى كل أربعين يومًا على قبضة حمص، وأحج البيت الحرام فى كل سنة، ويرى لى فى كل سنة رجل عالم مثلك مثل هذه الرؤيا!.

قال مالك: فنفضت يدى فى وجهه، وقلت: يا مشؤوم، كدتَ أن تحرق الأرض ومَنْ عليها بنارك ... وغبتُ عنه بحيث أسمع حسه، ولا أرى شخصه، فرفع يده إلى السماء، وجعل يقول: يا فارج الهم وكاشف الغم مجيب دعوة المضطرين، ويا ركنى الوثيق، ويا خالق البحر العميق، ويا إلهى بالتحقيق يا فتَّاح، يا من بيده لكل خير مفتاح، أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك، لا أُحصى ثناءً عليك، أنت كما أثنيت على نفسك، لا تقطع ربِ رجائى وأنا أرجوك، ولا تُخيِّب دعائى وأنا أدعوك، أسألك لذة العيش قبل الموت، ولذة النظر إلى وجهك الكريم.

قال مالك: فأتيت منزلى، فرأيت النبى ﷺ فى منامى، وهو يقول: يا مالك، لا تُقَنِّط الناس من رحمة الله، ولا تُيئسهم من عفوه، إن الله عز وجل قد اطلع من الملأ الأعلى على محمد بن هارون، فاستجاب له دعوته، وأقاله عثرته، أُغد إليه، فقُل له: إن الله يجمع الأولين والآخرين يوم القيامة فى صعيد، فيقتص للجماء من القرناء، ولا يذهب عليه مثقال ذرة، ويقول تبارك وتعالى: وعزتى وجلالى لأجزين اليوم بعشر معشار الذر، حتى أقتص للمظلوم ممن ظلمه، ويجمع بينك يا محمد بن هارون وبين أمك، فيحكم لها عليك، ويأمر الملائكة يقودونك بسلاسل غلاظ إلى النار، فإذا قُذفت فيها مقدار ثلاثة أيام من أيام الدنيا ولياليها؛ لأنى آليت على نفسى ألا يشرب المسكر عبد من عبيدى ويقتل النفس التى حَرَّمْتُ إلا أذيقه طعم النار، ثم أطرح فى قلب أمك الرحمة لك، فأُلهما أن تستوهبك منى، فأهبك لها، فتأخذ بيدها، فتدخلان الجنة.

قال مالك: فلما أصبحت غدوت إلى الشيخ، وأخبرته برؤياى، فو الذى قبض روحه لكأنما كانت حياته حصاة طُرحت فى طشت فيه ماء، فمات رحمه الله فكنت فيمن صلَّى عليه[1].

(١) عيون الحكايات (ص ١٥٥ - ١٥٧).

دواء الذنوب

۞ قال بعض الصادقين الصالحين، وقد سُئل عن توبته قال:

فكرت يومًا فى ذنوبى، وفى تقصيرى، وفى معادى، فرأيت عمرى ينقص، وذنوبى تزيد، ومعادى يَقْرُب، ونفسى على التوبة لا تُقْبِل، فرأيت بلاءً لا تحمله الجبال، فخرجتُ من بيتى مفكرًا فى سوء حالى، فمررت بطبيب وعليه جَمْعٌ من الناس يرفعون إليه القوارير، ويطلبون منه الصفات، فوقفت معهم وقلت: يا شيخ هل عندك دواء الذنوب؟ فأطرق ساعة ثم رفع راسه، وقال: لو علم العاصى مَن يعصى لذَاب قبل المعصية .. فعُدْتُ إلى منزلى وقد أثَّر كلامه فى قلبى، فلزمتُ باب مولاى عسى أن يقبلنى.

إن طالبتني بذنوبي طالبتك بكرمك

۞ عَنْ هَارُونَ بْنِ مُلُوكٍ الْمِصْرِىِّ، قَالَ:

سَمِعْتُ ذَا النُّونِ الْمِصْرِىَّ، يَقُولُ: تَسَمَّعُوا لَيْلًا عَلَى أَبِى سُلَيْمَانَ الدَّارَانِىِّ فَسَمِعُوهُ يَقُولُ: «يَا رَبِّ إِنْ طَالَبْتَنِى بِسَرِيرَتِى طَالَبْتُكَ بِتَوْحِيدِكَ وَإِنْ طَالَبْتَنِى بِذُنُوبِى طَالَبْتُكَ بِكَرَمِكَ وَإِنْ جَعَلْتَنِى مِنْ أَهْلِ النَّارِ أَخْبَرْتُ أَهْلَ النَّارِ بِحُبِّى إِيَّاكَ»[1].

---

(١) الحلية (٩/ ٢٥٥).

ليكونن اليوم لي ولك شأن

۞ قال أبو عبد الله مؤذن مسجد بنى جدار: جاورنى شاب، فكنت إذا أذّنت للصلاة وأقمت كأنه فى نُقرة قفاىَ، فإذا صلّيت صلّى ثم لبس نعليه، فدخل منزله، فكنت أتمنى أن يكلمنى أو يسألنى حاجة، فقال لى ذات يوم: يا أبا عبد الله عندك مُصحف تُعيرنى أقرأ فيه؟ فأخرجت إليه مصحفًا، فدفعته إليه فضمّه إلى صدره، ثم قال: ليكونن اليوم لى ولك شأن[1].

ففقدته ذلك اليوم، فلم أره يخرج، فأقمت المغرب فلم يخرج، وأقمت العشاء الآخرة فلم يخرج، فساء ظنّى فلما صليت العشاء الآخرة جئت إلى الدار التى هو فيها، فإذا فيها دلْو وَمطْهرة، وإذا على بابه ستر فدفعت الباب، فإذا به ميّت والمصحف فى حِجْره، فأخذت المصحف من حِجره واستعنْتُ بقومٍ على حَمله حتى وضعناه على سرير.

وبقيت ليلتى أفكر مَن أكلّم حتى يكفّنه، فأذّنت للفجر بوقتٍ، ودخلت المسجد لأركع، فإذا بضوء فى القبلة فدنوت منه، فإذا كفن ملفوف فى القبلة، فأخذته وحمدت الله عز وجل، وأدخلته البيت، وخرجت فأقمت الصلاة، فلما سلّمت إذا عن يمينى ثابت البنانى، ومالك بن دينار، وحبيب الفارسى، وصالح المرى، فقلت لهم: يا إخوانى ما غَدا بكم؟ قالوا لى: مات فى جوارك الليلة أحد؟ قلت: مات شابّ كان يصلى معى الصّلوات. فقالوا لى: أرِناه. فلمّا دخَلوا عليه كشف مالك بن دينار الثوب عن وجهه، ثم قبّل موضع سجوده، ثم قال: بأبى أنت يا حجّاج إذا عُرفتَ فى موضعٍ

(١) أى: أنى سأعكف على قراءتك وتدبُّرك ولن أغفل عنك لحظة واحدة.

تحوّلت منه إلى موضع غيره حتى لا تُعرف ... خُذوا فى غَسله، وإذا مع كل واحد منهم كفَن، فقال كل واحد منهم: أنا أكفنه، فلما طال ذلك منهم قلت لهم: إنى فكرت فى أمره هذه الليلة، فقلت: من أكلم حتى يكفّنه. فأتيت المسجد فأذَّنت،ثم دخلت لأركع ، فإذا كفَن ملفوف لا أدرى من وضعه؟ فقالوا: يُكَفَّن فى ذلك الكفن فكفَّنَّاه وأخرجناه، فما كِدنا نرفع جنازته، من كثرة مَن حضَره من الجمع.»[1].

أنتِ في الأمنية فاعملى

۞ قَالَ إِبْرَاهِيمُ التَّيْمِيُّ: مَثَّلْتُ[2] نَفْسِى فِى الْجَنَّةِ، آكُلُ ثِمَارَهَا، وَأَشْرَبُ مِنْ أَنْهَارِهَا، وَأُعَانِقُ أَبْكَارَهَا، ثُمَّ مَثَّلْتُ نَفْسِى فِى النَّارِ، آكُلُ مِنْ زَقُّومِهَا[3]، وَأَشْرَبُ مِنْ صَدِيدِهَا[4]، وَأُعَالِجُ سَلَاسِلَهَا وَأَغْلَالَهَا؛ فَقُلْتُ لِنَفْسِى: أَىْ نَفْسِى، أَىُّ شَىْءٍ تُرِيدِينَ؟، قَالَتْ: أُرِيدُ أَنْ أُرَدَّ إِلَى الدُّنْيَا؛ فَأَعْمَلَ صَالِحًا قَالَ: قُلْتُ: فَأَنْتِ فِى الْأُمْنِيَةِ فَاعْمَلِى.

(١) الخبر فى صفة الصفوة (٣/ ٣٥٥-٣٥٧).

(٢) تصورت نفسى وتخيلتها.

(٣) الزقوم: طعام أهل النار.

(٤) الصديد: ما يسيل من أهل النار من الدم والقيح.

يا لها من موعظة

۞ كان قد سُعِي بأبى الحسن على بن محمد بن على بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن أبى طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إلى المتوكل، وقيل له: إن فى منزله سلاحًا وكتبًا وغيرها تأتيه من شيعته، فوجَّه إليه من الأتراك وغيرهم، مَن هجم عليه فى منزله على غفلة ممن فى داره، فوجده وحيدًا فى بيته، والبيت مغلق عليه، وعليه مدرعة من شعر، ولا بساط فى البيت إلا الرمل والحصى، وعلى رأسه ملحفة من الصوف، وهو متوجه إلى ربه، يترنم بآيات من القرآن فى الوعد والوعيد، فأُخذ على ما وُجد عليه، وحُمل إلى المتوكل فى جوف الليل، فمَثُل بين يديه، والمتوكل يشرب وفى يده كأس، فلما رآه، أعظمه وأجلسه إلى جنْبه، ولم يكن فى منزله شىء مما قيل فيه، ولا حالة يتعلل عليه بها، فناوله المتوكل الكأس الذى فى يده، فقال: يا أمير المؤمنين، ما خامر لحمى ودمى قط، فاعفنى منه، فعافاه وقال: أنشدنى شعرًا أستحسنه، فقال: إنى لقليل الرواية للأشعار، فقال: لابد أن تنشدنى، فأنشد:

باتوا على قلل الأجبال تحرسهم ... غُلب الرجال فما أغناهم القللُ

واستُنْزلوا بعد عِزٍّ عن معاقلهم ... فأُودعوا حُفرًا يا بئس ما نزلوا

ناداهُم صارخٌ من بعدما قُبِروا ... أين الأَسِرَّة والتيجان والحُللُ

أين الوجوه التى كانت مُنعَّمة ... من دونها تُضرب الأستار والكللُ

فأفصح القبر عنهم حين ساءلهم ... تلك الوجوه عليها الدود يقتتلُ

قد طالما أكلوا دهرًا وما شربوا ... فأصبحوا بعد طول الأكل قد أكلوا

وطالمـا عَمَّـروا دورًا لتحـصنهم ... ففـارقوا الـدور والأهليـن وانتقلـوا

وطالمـا كنـزوا الأمـوال وادَّخـروا ... فخلَّفوهـا علـى الأعـداء وارتحلـوا

أضـحت منـازلهم قفـرًا مُعطَّلـة ... وساكِنوها إلى الأجداث قـد رحلـوا

قال: فأشفق كل من حضر على أبي الحسن، وظن أن بادرة تبدر من المتوكل إليه،... قال: والله لقد بكى المتوكل بكاءً شديدًا حتى بلَّت دموعُه لحيته، وبكى مَن حضر، ثم أمر برفع الشراب، ثم قال له: يا أبا الحسن، أعليك دَين؟ قال: نعم، أربعة آلاف دينار، فأمر بدفعها إليه، وردَّه إلى منزله من ساعته مُكرمًا.

دعا أخي بدعاءٍ فاستُجيب له

۞ قَالَ حُمَيْدُ بْنُ هِلَالٍ:

كَانَ مِنَّا رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ الْأَسْوَدُ بْنُ كُلْثُوم، وَكَانَ إِذَا مَشَى لَا يُجَاوِزُ بَصَرُهُ قَدَمَيْهِ فَكَانَ يَمُرُّ بِالنِّسْوَةِ وَفِى الْجُدُرِ يَوْمَئِذٍ قِصَرٌ وَلَعَلَّ إِحْدَاهُنَّ أَنْ تَكُونَ وَاضِعَةً ثَوْبَهَا أَوْ خِمَارَهَا فَإِذَا رَأَيْنَهُ رَاعَهُنَّ ثُمَّ يَقُلْنَ كَلَّا إِنَّهُ الْأَسْوَدُ بْنُ كُلْثُوم فَلَمَّا قَرَب[١] غَازِيًا قَالَ: «اللهُمَّ إِنَّ نَفْسِى هَذِهِ تَزْعُمُ فِى الرَّخَاءِ أَنَّهَا تُحِبُّ لِقَاءَكَ، فَإِنْ كَانَتْ صَادِقَةً فَارْزُقْهَا ذَلِكَ، وَإِنْ كَانَتْ كَارِهَةً فَاحْمِلْهَا عَلَيْهِ[٢] وَإِنْ كَرِهَتْ فَأَطْعِمْ لَحْمِى سِبَاعًا وَطَيْرًا»، فَانْطَلَقَ فِى خَيْلٍ فَدَخَلُوا حَائِطًا فَنَذَرَ بِهِمُ الْعَدُوُّ فَجَاءُوا فَأَخَذُوا بِثُلْمَةٍ فِى الْحَائِطِ فَنَزَلَ الْأَسْوَدُ عَنْ فَرَسِهِ فَضَرَبَهَا حَتَّى غَارَتْ فَخَرَجَ فَأَتَى الْمَاءَ فَتَوَضَّأَ ثُمَّ صَلَّى قَالَ: يَقُولُ الْعَجَمُ: هَكَذَا اسْتِسْلَامُ الْعَرَبِ إِذَا اسْتَسْلَمُوا، ثُمَّ تَقَدَّمَ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ قَالَ: فَمَرَّ عُظْمُ الْجَيْشِ بَعْدَ ذَلِكَ بِذَلِكَ الْحَائِطِ فَقِيلَ لِأَخِيهِ: لَوْ دَخَلْتَ فَنَظَرْتَ مَا بَقِىَ مِنْ عِظَامِ أَخِيكَ وَلَحْمِهِ قَالَ: لَا، دَعَا أَخِى بِدَعَوَاتٍ فَاسْتُجِيبَتْ لَهُ فَلَسْتُ أَعْرِضُ فِى شَىْءٍ مِنْ ذَلِكَ[٣].

---

(١) يقال: فلانٌ يقرُبُ أمرًا؛ أى: يغزوه، وذلك إذا فعلَ شيئًا، أو قال قولًا يقرُبُ به أمرًا يغزوه؛ وفى حديث أبى عارم: «فلم يزلِ الناس مقاربين له أى: يقربون حتى جاوز بلادَ بنى عامر». اللسان (قرب).

(٢) فى الحلية: «وإن كانت كاذبة فاحملها عليه وإن كرهت».

(٣) الحلية (٢/ ٢٥٤)، وصفة الصفوة (٣/ ٢٩١).

كل هؤلاء يدعون لك !!

❁ **قال سفيان بن عيينة**: كنتُ طلبت الغزو فأخفقت، وأنفقت ما كان معى، فأتانى صاحبٌ حين بلغه خبرى، وقد كان عرفنى قبل ذلك بطول مجالسته، فقال لى: لا تأسَ على ما فاتك، واعلم أنك لو رُزقت شيئًا لأتاك، ثم قال لى: أبشِر فإنك على خير، تدرى مَن دعا لك؟ قال: فقلت: ومن دعا لى؟ قال: دعا لك حملة العرش، قال: قلت: دعا لى حملة العرش؟! قال: نعم، ودعا لك نبى الله نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ، قال: قلت: دعا لى حملة العرش، ودعا لى نوح؟ قال: نعم، ودعا لك خليل الله إبراهيم، قال: قلت: ودعا لى هؤلاء كلهم؟! قال: نعم، ودعا لك محمد ﷺ، قال: قلت: وأين دعا لى هؤلاء؟ قال: فى كتاب الله، أما سمعت قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾(١) الآية. فقلت: وأين دعا لى نوح؟ قال: أما سمعت قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾(٢)، قال: فقلت: وأين دعا لى خليل الله إبراهيم؟ قال: أما سمعت قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ﴾(٣)، قلت: فقلت: وأين دعا لى محمد ﷺ؟ قال: فهزّ رأسه، ثم قال: أما سمعت قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾(٤)، فكان ﷺ أطوع لله، وأبر بأمته، وأرأف وأرحم، من أن يأمر الله بشىء فيهم، فلا يفعله.

(١) سورة غافر: الآية (٧).

(٢) سورة نوح: الآية (٢٨).

(٣) سورة إبراهيم: الآية (٤١).

(٤) سورة محمد: الآية (١٩).

قيل ادخل الجنة

۞ كان أحد الصالحين قد اعتاد أن يقرأ كل يوم عشرة أجزاء من القرآن الكريم، وذات يوم كان يقرأ في سورة يس، حتى إذا ما وصل إلى قوله تعالى: ﴿ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[1]، صعدت روحه إلى السماء، فتعَجَّب أصحابه من حوله وقالوا: كان هذا الرجل صالحًا فكيف يُختم له بهذه الآية: ﴿ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾؟! فرآه أحد الصالحين في المنام بعد دفنه، فقال له: يا فلان إنك قد خُتم لك بقوله تعالى: ﴿ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ فكيف حالك اليوم مع الله؟، فقال: لما دفنتموني وتركتموني جاءني الملكان وسألاني وقالا: من ربك؟ فأكملت لهم القراءة فقلت: ﴿ إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴾[2]، قيل: ﴿ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ ﴾[3] قال: ﴿يَـٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴾[4].

هذا هو حال المؤمن

۞ وَرُوِىَ عَنِ المَرُّوْذِيِّ، قَالَ: قُلْتُ لأَحْمَدَ: كَيْفَ أَصْبَحْتَ؟

قَالَ: كَيْفَ أَصْبَحَ مَنْ رَبُّهُ يُطَالِبُهُ بِأَدَاءِ الفَرَائِضِ، وَنَبِيُّهُ يُطَالِبُهُ بِأَدَاءِ السُّنَّةِ، وَالمَلَكَانِ يُطَالِبَانِهِ بِتَصْحِيْحِ العَمَلِ، وَنَفْسُهُ تُطَالِبُهُ بِهَوَاهَا، وَإِبْلِيْسُ يُطَالِبُهُ بِالفَحْشَاءِ، وَمَلَكُ المَوْتِ يُرَاقِبُ قَبْضَ رُوْحِهِ، وَعِيَالُهُ يُطَالِبُوْنَهُ بِالنَّفَقَةِ؟!.

(١) سورة يس: الآية: (٢٤).

(٢) سورة يس: الآية: (٢٥).

(٣) سورة يس: الآية: (٢٦).

(٤) سورة يس: الآيتان: (٢٦- ٢٧).

كنت غافلا فذكَّروني

۞ كان أبو يزيد البسطامى رَحِمَهُ ٱللَّهُ قمة فى التواضع.

قالوا: إنه كان يمشى ذات يوم قاصدًا منزله فلما رآه الصبيان التفُّوا حوله وحاولوا أن يعبثوا به، وكان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يلبس شارة حمراء فظنه صبيان أنه من أهل الذمة الذين يدينون بغير الإسلام فتعلقوا بثيابه وجعلوا ينهرونه ويقولون: أسلِم يا يهودى.

فقال لهم أبو يزيد: نعم سأُطيعكم أنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ففرح الصبيان به فرحًا شديدًا، وأظهروا الغبطة والسرور بإسلامه وجمعوا له جوزًا فملئوا به جيبه وأحضروا له دابة فأركبوه عليها وجعلوا يطوفون به الشوارع والأزِقَّة حتى مرُّوا به على من يعرفه فطرد عنه الصبيان ونهرهم فى عنفٍ وغلظة، وقال لأبى يزيد يا سيدى لِم أسلمت نفسك لهؤلاء الصبيان يعبثون بك هكذا؟ فقال له أبو يزيد لا تعجل يا أخى إن لهؤلاء فضلًا كبيرًا علىَّ ... كنت غافلًا فذكَّرونى وجائعًا فأطعمونى ومُجهَدًا فأركبونى.

قصة الحجَّاج بن يوسف مع العابد الجريء

۞ قال طاوس بن كيسان رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَيْنَا أَنَا بِمَكَّةَ، بَعَثَ إِلَيَّ الْحَجَّاجُ فَأَجْلَسَنِي إِلَى جَنْبِهِ، وَأَتْكَأَنِي عَلَى وِسَادَةٍ، إِذْ سَمِعَ مُلَبِّيًا يُلَبِّي حَوْلَ الْبَيْتِ رَافِعًا صَوْتَهُ بِالتَّلْبِيَةِ، فَقَالَ: عَلَيَّ بِالرَّجُلِ، فَأُتِيَ بِهِ، فَقَالَ: مِمَّنِ الرَّجُلِ؟

قَالَ: مِنَ الْمُسْلِمِينَ.

قَالَ: لَيْسَ عَنِ الإِسْلَامِ سَأَلْتُ.

قَالَ: فَعَمَّ سَأَلْتَ؟

قَالَ: سَأَلْتُكَ عَنِ الْبَلَدِ.

قَالَ: مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ.

قَالَ: كَيْفَ تَرَكْتَ مُحَمَّدَ بْنَ يُوسُفَ؟ يُرِيدُ أَخَاهُ.

قَالَ: تَرَكْتُهُ عَظِيمًا، جَسِيمًا، لَبَّاسًا، رَكَّابًا، خَرَّاجًا، وَلَّاجًا.

قَالَ: لَيْسَ عَنْ هَذَا سَأَلْتُكَ.

قَالَ: فَعَمَّ سَأَلْتَ؟

قَالَ: سَأَلْتُكَ عَنْ سِيرَتِهِ.

قَالَ: تَرَكْتُهُ ظَلُومًا، غَشُومًا، مُطِيعًا لِلْمَخْلُوقِ، عَاصِيًا لِلْخَالِقِ.

فَقَالَ لَهُ الْحَجَّاجُ: مَا حَمَلَكَ عَلَى أَنْ تَتَكَلَّمَ بِهَذَا الْكَلَامِ وَأَنْتَ تَعْلَمُ مَكَانَهُ مِنِّي؟ -إنه أخي-.

قَالَ الرَّجُلُ: أَتُرَاهُ بِمَكَانِهِ مِنْكَ أَعَزَّ مِنِّي بِمَكَانِي مِنَ اللهِ وَأَنَا وَافِدُ بَيْتِهِ، وَمُصَدِّقُ نَبِيِّهِ، وَقَاضِي دِينِهِ.

قَالَ: فَسَكَتَ الْحَجَّاجُ فَمَا أَجَابَ إِلَيْهِ جَوَابًا، وَقَامَ الرَّجُلُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُؤْذَنَ لَهُ فَانْصَرَفَ.

قَالَ طَاوُسٌ: فَقُمْتُ فِي أَثَرِهِ وَقُلْتُ: الرَّجُلُ حَكِيمٌ، فَأَتَى الْبَيْتَ فَتَعَلَّقَ بِأَسْتَارِهِ فَقَالَ: اللَّهُمَّ بِكَ أَعُوذُ، وَبِكَ أَلُوذُ، اللَّهُمَّ اجْعَلْ لِي فِي اللَّهَفِ إِلَى جُودِكَ، وَالرِّضَا بِضَمَانِكَ مَنْدُوحَةً عَنْ مَنْعِ الْبَاخِلِينَ، وَغِنًى عَمَّا فِي أَيْدِي الْمُسْتَأْثِرِينَ، اللَّهُمَّ فَرَجَكَ الْقَرِيبَ، وَمَعْرُوفَكَ الْقَدِيمَ، وَعَادَتَكَ الْحَسَنَةَ، ثُمَّ ذَهَبَ فِي النَّاسِ، فَرَأَيْتُهُ عَشِيَّةَ عَرَفَةَ وَهُوَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ لَمْ تَقْبَلْ حَجَّتِي، وَتَعَبِي، وَنَصَبِي، فَلَا تَحْرِمْنِي الْأَجْرَ عَلَى مُصِيبَتِي بِتَرْكِكَ الْقَبُولَ مِنِّي، ثُمَّ ذَهَبَ فِي النَّاسِ، فَرَأَيْتُهُ غَدَاةَ جَمْعٍ يَقُولُ: وَاسَوْأَتَاهُ مِنْكَ، وَاللهِ وَإِنْ غَفَرْتَ،... وَيُرَدِّدُ ذَلِكَ [1].

---

(١) الزهد لأحمد (ص/ ٤٥٠)، الأولياء (٨٨) لابن أبي الدنيا.

فساد في المعتقد

۞ كان الخوارج إذا أصابوا فى طريقهم مُسلمًا على خلاف معتقدهم قتلوه؛ لأنه عندهم كافر، وإذا أصابوا نصرانيًّا استوصوا به، وقالوا: احفظوا ذمة نبيكم...وقد حُكى أن واصل بن عطاء أقبل فى رفقة(١) فأحسّوا بالخوارج.

فقال واصل لأهل الرفقة:

إن هذا ليس من شأنكم، فاعتزلوا ودعونى وإياهم.

وكانوا قد أشرفوا على العطب(٢)، فقالوا: شأنك.

فخرج واصل إلى الخوارج، فقالوا له: ما أنت وأصحابك؟

قال: قوم مشركون مستجيرون بكم ليسمعوا كلام الله، ويفهموا حدوده.

قالوا: قد أجرناكم... قال: فعلِّمونا.

فجعلوا يعلِّمونه أحكامهم، ويقول واصل: قد قبلت أنا ومن معى.

قالوا: فامضوا مصاحَبين(٣) فقد صرتم إخواننا.

فقال: بل تُبلغوننا مأمننا؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ﴾(٤).

فنظر بعضهم إلى بعض، ثم قالوا: ذلك لكم، فساروا معهم بجَمْعِهم حتى أبلغوهم المأمن

---

(١) أى: مع رفاق له.

(٢) كادوا يهلكوا.

(٣) صحبتكم السلامة.

(٤) سورة التوبة: الآية: (٦).

قصة بنى إسرائيل مع الخالق العظيم

۞ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ أَبِى الْمُغِيرَةِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، قَالَ: قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى عليه السلام: أَيَنَامُ رَبُّكَ؟ فقَالَ مُوسَى: اتَّقُوا اللهَ. فقَالُوا: أَيُصَلِّى رَبُّكَ؟ فَقَالَ مُوسَى: اتَّقُوا اللهَ. فَقَالُوا: فَهَلْ يَصْبِغُ رَبُّكَ؟ فَقَالَ مُوسَى: اتَّقُوا اللهَ، فَأَوْحَى اللهُ تَعَالَى إِلَيْهِ: إِنَّ بَنِى إِسْرَائِيلَ سَأَلُوكَ أَيَنَامُ رَبُّكَ، فَخُذْ زُجَاجَتَيْنِ فَضَعْهُمَا عَلَى كَفَّيْكَ ثُمَّ قُمِ اللَّيْلَ، قَالَ: فَفَعَلَ مُوسَى عليه السلام، فَلَمَّا ذَهَبَ مِنَ اللَّيْلِ نَعَسَ مُوسَى عليه السلام فَوَقَعَ لِرُكْبَتَيْهِ فَقَامَ، فَلَمَّا أَدْبَرَ اللَّيْلُ نَعَسَ مُوسَى أَيْضًا، فَوَقَعَ لِرُكْبَتَيْهِ فَوَقَعَتِ الزُّجَاجَتَانِ فَانْكَسَرَتَا، فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: لَوْ نِمْتُ لَوَقَعَتِ السَّمَوَاتُ عَلَى الْأَرْضِ، وَلَهَلَكَ كُلُّ شَيْءٍ كَمَا هَلَكَتَا هَاتَانِ.

قَالَ أَشْعَثُ عَنْ جَعْفَر عَنْ سَعِيدٍ: وَفِيهِ نَزَلَتْ ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ ﴾[1]. قَالَ: وَسَأَلُوكَ: أَيَصْبِغُ رَبُّكَ؟ فَأَنَا أَصْبُغُ الْأَلْوَانَ كُلَّهَا الْأَحْمَرَ، وَالْأَبْيَضَ، وَالْأَسْوَدَ، وَسَأَلُوكَ: أَيُصَلِّى رَبُّكَ، فَإِنِّى أُصَلِّى وَمَلَائِكَتِى عَلَى أَنْبِيَائِى وَرُسُلِى، فَذَلِكَ صَلَاتِى[2].

---

(١) سورة البقرة: الآية: (٢٥٥).

(٢) أخرجه أبو الشيخ (١٤٠) فى العظمة، وأبو نعيم (٤/ ٢٧٦) فى الحلية، وابن أبى حاتم، وابن مردويه كما فى الدر المنثور (٥/ ٢١٥) وسنده حسن.

كيف تُؤتمن على اسم الله الأعظم

۞ عن أبى الحسين محمد بن عبد الله بن جعفر الرازى قال: سمعت يوسف ابن الحسين يقول: قيل لى: إن ذا النون يعرف اسم الله الأعظم، فدخلت مصر وخدمته سنة، ثم قلت: يا أستاذى! إنى قد خدمتك وقد وجب حقى عليك، وقيل لى: إنك تعرف اسم الله الأعظم، وقد عرفتنى ولا تجد له موضعًا مثلى، فأحب أن تعلمنى إياه.

قال: فسكت عنى ذو النون، ولم يجبنى وكأنه أومأ إلىّ أنه يخبرنى.

قال: فتركنى بعد ذلك ستة أشهر، ثم أخرج لى من بيته طبقًا ومكبة مشدودًا فى منديل، وكان ذو النون يسكن الجيزة، فقال: تعرف فلانًا صديقنا من الفسطاط؟

قلت: نعم. قال: فأحب أن تؤدى هذا إليه.

قال: فأخذت الطبق وهو مشدود وجعلت أمشى طول الطريق، وأنا متفكر فيه مثل ذى النون يوجه إلى فلان بهدية، ترى أى شىء هى؟ فلم أصبر إلى أن بلغت الجسر، فحللت المنديل ورفعت المكبة، فإذا فأرة قفزت من الطبق ومرت.

قال: فاغتظت غيظًا شديدًا، وقلت: ذو النون يسخر بى ويوجه مع مثلى فأرة، فرجعت على ذلك الغيظ، فلما أن رآنى، عرف ما فى وجهى، فقال: يا أحمق! إنما جربناك، ائتمنتك على فأرة، فُخنتنى، أفأئتمنك على اسم الله الأعظم؟ مُر عنى، فلا أراك.

هذه بركات الإخلاص

۞ إنه الإمام القدوة شيخ الإسلام أبو إسحاق الشيرازى.

رأى رسول الله ﷺ فى منامه، فقال له: يا شيخ ... فكان يفرح ويقول سمّانى رسول الله ﷺ شيخًا.

وقال: كنت أُعيد كل درسٍ مائة مرة وإذا كان فى المسألة بيت يُستشهد به حفظت القصيدة كلها لأجله، ... وكان عاملًا بالعلم وصابرًا على خشونة العيش.

وكان يومًا يمشى ومعه بعض أصحابه فعرض فى الطريق كلب فزجره صاحبه، فنهاه أبو إسحاق وقال: لِمَ طردته عن الطريق؟ أما علمت أن الطريق بينى وبينه مشترك.

۞ **وقال أبو الوفاء بن عقيل:** شاهدت شيخنا أبا إسحاق لا يُخرج شيئًا إلى فقير إلا أحضر النية، ولا يتكلم فى المسألة إلا قدم الاستعانة بالله وإخلاص القصد فى نُصرة الحق دون التحسُّن للخَلق، ولا صنَّف مسألة إلا بعد أن صلى ركعات، فلا جَرم أن شاع اسمه وانتشرت تصانيفه شرقًا وغربًا، هذه بركات الإخلاص[1].

---

(١) صفة الصفوة (٤/ ٢٨٠).

اللهم أذهب عنه الحر والبرد

۞ قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِى لَيْلَى:

خَرَجَ عَلَيْنَا عَلِىُّ بْنُ أَبِى طَالِبٍ، فِى الْحَرِّ الشَّدِيدِ وَعَلَيْهِ ثِيَابُ الشِّتَاءِ، وَخَرَجَ عَلَيْنَا فِى الشِّتَاءِ وَعَلَيْهِ ثِيَابُ الصَّيْفِ، ثُمَّ دَعَا بِمَاءٍ، فَشَرِبَهُ، ثُمَّ مَسَحَ الْعَرَقَ عَنْ جَبْهَتِهِ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى بَيْتِهِ، فَقُلْتُ لِأَبِى: يَا أَبَتَاهُ أَمَا رَأَيْتَ مَا صَنَعَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ؟

خَرَجَ عَلَيْنَا فِى الشِّتَاءِ وَعَلَيْهِ ثِيَابُ الصَّيْفِ، وَخَرَجَ عَلَيْنَا فِى الصَّيْفِ وَعَلَيْهِ ثِيَابُ الشِّتَاءِ، فَقَالَ أَبُو لَيْلَى: مَا فَطِنْتُ، فَأَخَذَ بِيَدِ أَبِيهِ، فَأَتَى عَلِيًّا فَقَالَ لَهُ الَّذِى صَنَعَ.

فَقَالَ لَهُ عَلِىٌّ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ بَعَثَنِى وَأَنَا أَرْمَدُ(١)، فَبَزَقَ فِى عَيْنِى، ثُمَّ قَالَ:

«افْتَحْ عَيْنَيْكَ»، فَفَتَحْتُهُمَا، فَمَا اشْتَكَيْتُهُمَا حَتَّى السَّاعَةِ، وَدَعَا لِى فَقَالَ: **«اللَّهُمَّ أَذْهِبْ عَنْهُ الْحَرَّ وَالْبَرْدَ»**.

فَمَا وَجَدْتُ حَرًّا وَلَا بَرْدًا حَتَّى يَوْمِى هَذَا(٢).

---

(١) أى: عندما كان مصابًا بالرمد فى عينه، وقد كان ذلك يوم خيبر حين أعطاه رسول الله ﷺ الراية.

(٢) قال الهيثمى: رواه الطبرانى فى الأوسط وإسناده حسن [مجمع الزوائد (٩/ ١٢٢)].

ما رأيت أشجع منه قلبًا

۞ بينما الحَجَّاجُ بن يوسف الثقفي جالسًا في منظرة له وعنده وجوه أهل العراق، أُتِي بصبي من الخوارج يبلغ من العمر نحو بضع عشرة سنة، وله ذؤابتان (ضَفيرتان) مرخيتان قد بلغتا خصره، فلما أُدْخِلَ عليه لم يعبأ بالحجَّاج ولم يكترث به، وإنما صار ينظر إلى بناء المنظرة وما فيها من العجائب، ويلتفت يمينًا وشمالًا، ثم اندفع يقول: ﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾[١].

وكان الحجَّاج مُتَّكِئًا فاستوى في مقعده، وقال للغلام: يا غلام! إني أرى لك عقلًا وذهنًا، أَحَفِظْتَ القرآن؟!

قال الغلام: أَوَخفت عليه من الضياع حتى أحفظه، وقد حفظه الله.

قال الحَجَّاج: أفجمعت القرآن؟

فقال الغلام: أَوَ كان مُفَرَّقًا حتى أجمعه؟!

قال الحَجَّاج: أفأحكمت القرآن؟

قال الغلام: أليس الله أنزله مُحكمًا؟

قال الحَجَّاج: أفاسْتَظْهَرْتَ القرآن؟

قال: معاذ الله أن أجعل القرآن وراء ظهري ... فقال الحَجَّاج وقد ثار غضبًا: ويلك! قاتلك الله!، ماذا أقول؟

قال الغلام: قل: أَوَعِيتَ القرآن في صدرك؟

---

(١) سورة الشعراء: الآيات: (١٢٨-١٣١).

فقال الحَجَّاج: فأقرأ شيئًا.

فاستفتح الغلام: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ﴾ يخرجون من ﴿دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا﴾.

فقال الحَجَّاج: وَيْحَك! إنهم ﴿يَدۡخُلُونَ﴾.

فَرَدَّ عليه الغلام قائلًا: كانوا ﴿يَدۡخُلُونَ﴾ أما اليوم فقد صاروا يخرجون.

قال الحجاج: ولِمَ؟!

قال الغلام: لسوءِ فِعْلكَ بهم.

قال الحجاج: ويلَكَ يا غلام!، وهل تعرف مَن تُخَاطِب؟

قال الغلام: نعم، شيطان ثقيف: الحَجَّاج.

قال الحجاج: ويلك!، مَن رَبَّاك؟

قال الغلام: الذي زرعك.

قال الحجاج: فمن أمك؟

قال الغلام: التي ولدتني.

قال الحجاج: فأين وُلِدْتَ؟

قال الغلام: في بعض الفلوات[1].

قال الحجاج: فأين نَشَأْتَ؟

قال الغلام: فى بعض البرارى.

---

(١) الصحارى.

قال الحجاج: أمجنون أنت فأعالجك؟

قال الغلام: لو كنتُ مجنونًا لما وصلتُ إليك ووقفتُ بين يديك، كأننى ممن يرجو فضلك أو يخاف عقابك.

قال الحجاج: فما تقول فى أمير المؤمنين؟

قال الغلام: رحم الله أبا الحسن[١] رضي الله عنه وأسكنه جنان خلده.

قال الحجاج: ليس هذا عنيت، إنما أعنى عبد الملك بن مروان.

قال الغلام: سامحه الله.

قال الحجاج: ويحك! وهل أخطأ أمير المؤمنين.

قال الغلام: أخطأ خطيئة مَلَأت ما بين السماء والأرض.

قال الحجاج: ما هى؟

قال الغلام: استعماله إياك على رَعِيَّته، تستبيح أموالهم، وتستحل دماءهم.

فالتفت الحجاج إلى جُلسائه، وقال: ما تشيرون فى هذا الغلام؟

قالوا: اسفك دمه، فقد خلع الطاعة، وفارق الجماعة.

فقال الغلام: يا حجَّاج! جُلَسَاء أخيك فرعون خيرٌ من جُلَسَائك، حيث قالوا لفرعون عن موسى عليه السلام وأخيه. ﴿أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾[٢].

وهؤلاء يأمرون بقتلى، إذن والله تقوم عليك الحجة بين يدى الله ملك الجبارين، ومُذِلّ المستكبرين.

---

(١) يعنى الإمام على رضي الله عنه.

(٢) سورة الأعراف: الآية (١١١)، الشعراء: الآية (٣٦).

فقال له الحَجَّاج: هَذِّب ألفاظك، وقَصِّر لسانك، فإنى أخاف عليك بادرة الأمر[1]، وقد أمرتُ لك بأربعة آلاف درهم.

فقال الغلام: لا حاجة لى بها، بَيَّضَ الله وجهك، وأعلى كعبك.

فالتفت الحَجَّاج إلى جُلسائه وقال: هل علمتم ما أراد بقوله: «بَيَّض الله وجهك وأعلى كعبك»؟.

قالوا: الأمير أعلم!.

قال: أراد بقوله: «بَيَّض الله وجهك»: العمى والبرص...، وبقوله: «أعلى كعبك»: التعليق والصَّلْب.

ثم التفت إلى الغلام وقال: ما تقول فيما قلتُ؟

قال الغلام: قاتلك الله، ما أفهَمَك!.

فاستشاط الحجاج غضبًا، وأمر بضرب عنقه، وكان الرقاشى حاضرًا، فقال: أصلح الله الأمير، هَبْهُ لى.

قال الحجاج: هو لك، لا بارك الله لك فيه.

فقال الغلام: والله لا أدرى أيكما أحْمَقُ من صاحبه؟!، الواهب أَجَلًا قد حضر، أم المستوهب أجلًا لم يحضر؟!.

فقال الرقاشى: استنقذتك من القتل وتكافئنى بهذا الكلام؟!

فقال الغلام: هنيئًا لى الشهادة إن أدركتنى السعادة، والله إن القتل فى سبيل الله أَحَبُّ إلَيَّ من أن أرجع إلى أهلى صفر اليدين.

فأمر له الحجاج بجائزة، قال: يا غلام قد أمرنا لك بمائة ألف درهم،

(١) أى ما يحدث عند شدة الغضب.

وعفونا عنك لحداثة سنِّك، وصفاء ذهنك، وحُسن توكلك على الله، وإياك والجرأة على أرباب الأمر، فتقع مع مَن لا يعفو عنك.

فقال الغلام: العفو بيد الله لا بيدك، والشكر له، لا لك، ولا جمع الله بيني وبينك.. ثم هَمَّ بالخروج، فابتدره الغلمان، فقال الحجاج: دعوه، فو الله ما رأيتُ أشجع منه قلبًا، ولا أفصح منه لسانًا، ولعمري ما وجدت مثله قط، وعسى هو لا يجد مثلي، فإن عاش هذا الغلام ليكونن أعجوبة عصره.

لن يَعْدِم الفضل مَن رُزق العقل

۞ جاء فى كتاب (نزهة الأبصار فى أخبار ملوك الأمصار)، أن بعض الملوك مرَّ بغلام وهو يسوق حمارًا غير منبعث، وقد عنف عليه فى السوق.

فقال: يا غلام ارفق به.

فقال الغلام: أيها الملك فى الرفق به مضرة عليه!

قال: وكيف ذلك؟

قال: يطول طريقه ويشتد جوعه، وفى العنف به إحسان إليه.

قال: وكيف ذلك؟

قال: يخف حمله ويطول أكله.

فأُعجب الملك بكلامه، وقال: قد أمرت لك بألف درهم.

فقال: رزق مقدور وواهب مشكور.

قال الملك: وقد أمرت بإثبات اسمك فى حشمى.

قال: كُفيت مؤونة ورُزقت معونة.

فقال له الملك: عظنى فإنى أراك حكيمًا.

فقال: أيها الملك إذا استوت بك السلامة فجدِّد ذِكر العطب، وإذا هنَّأتك العافية، فحدِّث نفسك بالبلاء، وإذا اطمأن بك الأمن فاستشعر الخوف، وإذا بلغتَ نهاية العمل فاذكر الموت، وإذا أحببت نفسك فلا تجعلن لها فى الإساءة نصيبًا .... فأُعجب الملك بكلامه، وقال: لولا أنك حديث السن لاستوزرتك (جعلتك وزيرًا).

فقال: لن يَعدم الفضل مَن رُزق العقل.

قال: فهل تصلح لذلك؟ ... قال: إنما يكون المدح والذم بعد التجربة ولا يعرف الإنسان نفسه حتى يبلوها ... فاستوزره فوجده ذا رأيٍ صائب، وفهمٍ ثاقب، ومشورة تقع موقع التوفيق[١].

لا تسجدوا للشمس ولا للقمر

۞ لما ورد المُعز الفاطمى مصر، استقبله الناس على طبقاتهم مُشاة، فلما رأوه قبَّلوا الأرض بين يديه كلهم، سوى القاضى أبى الطاهر، فإنه كان راكبًا، ولما قرب ترجَّل وسلَّم عليه، ولم يُقبل الأرض... فالتفت المُعز إلى خواص حُجابه وقال: مَن هذا الذى خالف الناس كلهم؟ فقيل: قاضى مصر، وهو من أهل العلم والدين، ثم لامه أحد الحُجَّاب سرًا هكذا فيما فعل، فرفع صوته وقال جهرًا بحيث يسمع المُعز: وما هكذا؟ أهو الشمس التى قال رسول الله ﷺ، من علامات الساعة طلوع الشمس من مغربها، وقال الله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾[٢] فأرضاه بذلك، واستحسن قوله، فرجع وهو قاضى وَعَلَتْ منزلته[٣].

(١) «حياة الحيوان» للدميرى (٣/ ٤٢٧).

(٢) سورة فصلت: الآية: (٣٧).

(٣) «المقفى الكبير» للمقريزى (١/ ٨٢).

ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء [١]

لما عزم المأمون على أن يُزوج ابنته (أم الفضل) أبا جعفر محمد بن على رضي الله عنه اجتمع إليه أهله فقال له الأهل: يا أمير المؤمنين، أما كان فى أهلك من تعدل عليه فى كريمتك عن هذا الغلام الطالبى؟

المأمون: هو بها أولى، ولست أُصغى إلى لوم لائم فيه.

الأهل: يا أمير المؤمنين... إنه غلام غِر[٢] فلو أخَّرت إنكاحه حتى يتفقه فى الدين، ويستبصر فى الأدب.

المأمون: إنه لأفقه منكم، وأعلم بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وأرسخ بالنظر فى الحلال والحرام، والمُحكَم والمتشابه والناسخ والمنسوخ والخاص والعام فاسألوه لتعلموا حقيقة رأيى فيه.

فخرجوا من عنده، وقصدوا يحيى بن أكثم فأخبروه الخبر وقالوا له: أيها القاضى... عليك أن تتولى مسألته وتحرص على إفحامه[٣].

القاضى يحيى: لقد اختلفتم لغير مهم، وما أمر صبى لعله أنه لا يتجاوز سِنُّه عشر سنين.

الأهل: إن أمره لعظيم عند أمير المؤمنين.

يحيى: سترون.

فلما اجتمعوا للتزويج، وحضر أبو جعفر للمأمون:

الأهل: يا أمير المؤمنين.... هذا القاضى يسأل أبا جعفر إن أذنت له.

---

(١) «أنباء نُجباء الأبناء» (ص: ٥٦، ٥٨)، «ذكاء أهل البيت» (ص: ١٣٦، ١٤١).

(٢) غر: جاهل.

(٣) إفحامه: إعجازه أمام الحجة.

المأمون: اسأله.

يحيى: ما تقول يا أبا جعفر فى مُحْرِم قتل صيدًا؟

محمد: أَقَتله فى حِلٍّ أم حرم؟ أعالمًا أم جاهلًا؟ أعمدًا أم خطأً؟ أكان عبدًا أم حُرًّا؟ صغيرًا أو كبيرًا؟ أكان الصيد طائرًا أم وحشيًّا؟ أمن صغار الصيد أم من كبارها؟ أبليل فى مأواها أم فى النهار؟ بمسرحها أم محرمًا بالحج أم بالعمرة؟.

فلم يجب يحيى بن أكثم، فقال المأمون: نخطب يا أبا جعفر.

محمد: نعم يا أمير المؤمنين.

المأمون: الحمد لله إقرارًا بنعمته، ولا إله إلا الله إخلاصًا لعظمته، وصلى الله على محمد وعلى آله عند ذكره، أما بعد... فقد كان من فضل الله على الأنام، أن أغناهم بالحلال عن الحرام، وقال: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[١].

إن محمد بن على خطب أم الفضل بنت عبد الله، وبذل لها من الصَّدَاق[٢] خمسمائة درهم، وقد زوَّجته، فهل قبلت يا أبا جعفر؟

محمد: نعم. قبلت هذا التزويج بهذا الصِّداق.

ثم إن المأمون أولم[٣]، وحضر الناس على مراتبهم، ولما تفرقوا أمر المأمون استبقاء بعض الخاصة[٤]. وقال لأبى جعفر: يا أبا جعفر... بيِّن لنا

---

(١) سورة النور: الآية (٣٢).

(٢) الصداق: مهر الزوجة.

(٣) أولم: عمل وليمة، والوليمة: طعام العُرس.

(٤) الخاصة: أصدقاء الرجل وخلصاؤه المقربون منه.

الفتيا فى التقسيم الذى قسمته.

محمد: نعم... إن المُحرم إذا قتل صيدًا فى الحِل والصيد من ذوات الطير من كبارها فعليه جمل قد فُطم، وليس عليه قيمته لأنه ليس فى الحرم، وإذا قتله فى الحرم فعليه الجمل وقيمته لأنه فى الحرم، وإن كان من الوحشى فعليه فى حمار الوحش بدنة[1]، وكذلك فى النعامة، وإن كان بقرة فعليه بقرة، فإن لم يقدر فليُطعم ثلاثين مسكينًا، فإن لم يقدر فليصم تسعة أيام، وإن كان ظبيًا فعليه شاة، فإن لم يقدر فعليه إطعام عشرة مساكين، فإن لم يقدر فصيام ثلاثة أيام، فإن كان فى الحرم فعليه الجزاء مضاعفًا هديًا بالغ الكعبة واجبًا عليه، وإن كان فى حجٍّ نحره بمنى، وإن كان فى عمرة نحره بمكة، وتصدق بمثل ثمنه ليتضاعف عليه الجزاءن كذلك إذا أصاب أرنبًا أو ثعبانًا فعليه شاة، ويتصدق إذا قتل الحمامة بعد الشاة بدرهم، أو يشترى به طعامًا للحمام الحرمية[2]، وفى الفرخ نصف درهم، وفى البيضة ربع درهم وكل ما أتى به الصغير غير البالغ فلا شىء عليه، فإن كان ممن عاد فينتقم الله منه ليس عليه كفارة، والنقمة فى الآخرة، وإن دلَّ على الصيد وهو مُحرم فقُتل، فعليه الفداء، وإذا أصابه فى وكره أو مأواه ليلًا خطأ فلا شىء عليه إلا أن يصَّدق، فإن تصيد فى ليل أو نهار فعليه الفداء بمنى حيث ينحر الناس، والمحرم بالعمرة بنحره بمكة.

فأمر المأمون بأن يكتب ذلك كله عنده، ثم قرأه عليهم وقال لهم المأمون: هل فيكم من يجيب بمثل هذا؟ فاعترف الجميع بفضله.

---

(١) البدنة: ناقة أو بقرة.

(٢) الحمام الحرمية: الحمام التى تعيش داخل الحرم وحوله.

رضي الله عنك فإني عنك راضٍ



قال محمد بن سعد:

أَقْبَلَ وَهْبُ بْنُ قَابُوسَ الْمُزَنِيُّ وَمَعَهُ ابْنُ أَخِيهِ الْحَارِثُ بْنُ عُقْبَةَ بْنِ قَابُوسَ بِغَنَمٍ لَهُمَا مِنْ جَبَلِ مُزَيْنَةَ ، فَوَجَدَا الْمَدِينَةَ خالية، فَسَأَلَا: أَيْنَ النَّاسُ؟ فَقَالُوا: بِأُحُدٍ ... خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُقَاتِلُ الْمُشْرِكِينَ مِنْ قُرَيْشٍ ، فَقَالَا: لَا نَسْأَلُ أَثَرًا بَعْدَ عَيْنٍ. فَأَسْلَمَا ، ثُمَّ خَرَجَا حَتَّى أَتَيَا النَّبِيَّ ﷺ بِأُحُدٍ ، فَوَجَدَا الْقَوْمَ يَقْتَتِلُونَ ، وَالدَّوْلَةُ لِرَسُولِ اللهِ وَأَصْحَابِهِ ، فَأَغَارُوا مَعَ الْمُسْلِمِينَ فِي النَّهْبِ، وَجَاءَتِ الْخَيْلُ مِنْ وَرَائِهِمْ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ وَعِكْرِمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ ، فَاخْتَلَطُوا ، فَقَاتَلَا أَشَدَّ الْقِتَالِ ، فَانْفَرَقَتْ فِرْقَةٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**مَنْ لِهَذِهِ الْفِرْقَةِ**» ، فَقَالَ وَهْبُ بْنُ قَابُوسَ: أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَامَ فَرَمَاهُمْ بِالنَّبْلِ حَتَّى انْصَرَفُوا ، ثُمَّ رَجَعَ، فَانْفَرَقَتْ فِرْقَةٌ أُخْرَى، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**مَنْ لِهَذِهِ الْكَتِيبَةِ**»؟ فَقَالَ الْمُزَنِيُّ: أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَامَ فَذَبَّهَا بِالسَّيْفِ حَتَّى وَلَّوْا، ثُمَّ رَجَعَ الْمُزَنِيُّ، ثُمَّ طَلَعَتْ كَتِيبَةٌ أُخْرَى ، فَقَالَ: «**مَنْ يَقُومُ لِهَؤُلَاءِ**» ؟ فَقَالَ الْمُزَنِيُّ: أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَالَ: «**قُمْ وَأَبْشِرْ بِالْجَنَّةِ**» فَقَامَ الْمُزَنِيُّ مَسْرُورًا يَقُولُ: وَاللهِ لَا أَقِيلُ وَلَا أَسْتَقِيلُ ، فَقَامَ ، فَجَعَلَ يَدْخُلُ فِيهِمْ ، فَيَضْرِبُ بِالسَّيْفِ حَتَّى يَخْرُجَ مِنْ أَقْصَاهُمْ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ وَالْمُسْلِمُونَ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ وَرَسُولُ اللهِ يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ**» فَمَا زَالَ كَذَلِكَ وَهُمْ مُحْدِقُونَ بِهِ حَتَّى اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَسْيَافُهُمْ وَرِمَاحُهُمْ ، فَقَتَلُوهُ ، فَوُجِدَ بِهِ يَوْمَئِذٍ عِشْرُونَ طَعْنَةً بِرُمْحٍ كُلُّهَا قَدْ خَلَصَتْ إِلَى مَقْتَلٍ ، وَمُثِّلَ بِهِ يَوْمَئِذٍ أَقْبَحَ الْمُثَلِ. ثُمَّ قَامَ ابْنُ أَخِيهِ الْحَارِثُ بْنُ عُقْبَةَ ، فَقَاتَلَ كَنَحْوٍ مِنْ قِتَالِهِ حَتَّى قُتِلَ ، فَوَقَفَ عَلَيْهِمَا رَسُولُ اللهِ وَهُمَا مَقْتُولَانِ ، فَقَالَ: «**رَضِيَ اللهُ عَنْكَ فَإِنِّي عَنْكَ رَاضٍ**» يَعْنِي

وَهْبًا ، ثُمَّ قَامَ عَلَى قَدَمَيْهِ، وَقَدْ نَالَهُ مِنَ الْجِرَاحِ مَا نَالَهُ - وَإِنَّ الْقِيَامَ لَيَشُقُّ عَلَيْهِ - فَلَمْ يَزَلْ قَائِمًا حَتَّى وُضِعَ الْمُزَنِيُّ فِي لَحْدِهِ ، عَلَيْهِ بُرْدَةٌ لَهَا أَعْلَامٌ حُمْرٌ، فَمَدَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْبُرْدَةَ عَلَى رَأْسِهِ ، فَخَمَّرَهُ وَأَدْرَجَهُ فِيهَا طَوْلًا، وَبَلَغَتْ نِصْفَ سَاقَيْهِ، وَأَمَرَنَا فَجَمَعْنَا الْحَرْمَلَ ، فَجَعَلْنَاهُ عَلَى رِجْلَيْهِ وَهُوَ فِي اللَّحْدِ، ثُمَّ انْصَرَفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ، فَكَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ يَقُولَانِ: فَمَا حَالٌ نَمُوتُ عَلَيْهَا أَحَبَّ إِلَيْنَا مِنْ أَنْ نَلْقَى اللهَ عَلَى حَالِ الْمُزَنِيِّ رضي الله عنه[1].

٭ ٭ ٭

---

(١) «المغازى» (١/ ٢٧٤).

كلمة حق أمام الحجَّاج بن يوسف

۞ يُروى أن حطيطًا الزيات رَحِمَهُ اللَّهُ جيء به إلى الحجَّاج، فلم دخل عليه، قال: أنت حطيط؟

قال: نعم... سَلْ عما بدا لك، فإنى عاهدت الله عند المقام على ثلاث خصال: إن سُئِلت لأصدقن، وإن ابتُليت لأصبرن، وإن عُوفيت لأشكرن.

قال: فما تقول فيَّ؟

قال: أقول أنك من أعداء الله فى الأرض، تنتهك المحارم، وتقتل بالظنة.

قال: فما تقول فى أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان؟

قال: أقول: إنه أعظم جُرمًا منك. وإنما أنت خطيئة من خطاياه.

قال: فقال الحجاج: ضعوا عليه العذاب، قال: فانتهى به العذاب إلى أن شُقق له القصب، ثم جعلوه على لحمه، وشدُّوه بالحبال، ثم جعلوا يمدون قصبة قصبة، حتى انتحلوا لحمه فسمعوه يقول شيئًا.

قال: فقيل للحجاج: إنه فى آخر رمقٍ، فقال: أخرجوه فارموا به فى السوق.

قال جعفر: فأتيته أنا وصاحب له، فقلنا له: حطيط ألك حاجة.

قال: شربة ماء، فأتوه بشربةٍ، ثم مات، وكان ابن ثمان عشرة سنة.

ثبتك الله كما ثبتَّ الدين

۞ قَالَ حَنْبَلُ بنُ إِسْحَاق:

حَضَرْتُ أَبَا عَبْدِ اللهِ أحمد بن حَنْبَل، وَيَحيى بْنَ مَعِيْنٍ عِنْدَ عَفَّانَ بَعْدَ مَا دَعَاهُ إِسْحَاقُ بنُ إِبْرَاهِيْمَ لِلْمِحْنَةِ[1]، وَكَانَ أَوَّلَ مَنِ امْتُحِنَ مِنَ النَّاسِ عَفَّانَ فَسَأَلَهُ يَحْيَى بن معين مِنَ الغَدِ بَعْدَ مَا امْتُحِنَ، وَأَبُو عَبْدِ اللهِ حَاضِرٌ، وَنَحْنُ مَعَهُ فَقَالَ له يحيى: يا أبا عثمان، أَخْبِرْنَا بما قَالَ لك إسحاق بْن إبراهيم، وما رددت عليه؟ فقال عَفَّان: يَا أَبَا زَكَرِيَّا لَمْ أُسَوِّدْ وَجْهَكَ وَلاَ وُجُوْهَ أَصْحَابِكَ -يعني بذلك: إِنِّيْ لَمْ أُجِبْ - فَقَالَ لَهُ: فَكَيْفَ كَانَ؟ قَالَ: دَعَانِي إسحاق بن إبراهيم، فلما دخلت عليه، قَرَأَ عَلَيَّ الكِتَابَ الَّذِي كَتَبَ بِهِ المَأْمُوْنُ مِنَ الرَّقَّةِ فَإِذَا فِيْهِ: امْتَحِنْ عَفَّانَ، وَادْعُهُ إِلَى أَنْ يَقُوْلَ: القُرْآنُ كَذَا وَكَذَا فَإِنْ قَالَ ذَلِكَ فَأَقِرَّهُ عَلَى أَمْرِهِ، وَإِنْ لَمْ يُجِبْكَ إِلَى مَا كَتَبْتُ بِهِ إِلَيْكَ فَاقْطَعْ عَنْهُ الَّذِي يُجْرَى عَلَيْهِ ... وَكَانَ المَأْمُوْنُ يُجْرِي عَلَى عَفَّانَ كُلَّ شَهْرٍ خَمْسَ مائَةِ دِرْهَمٍ.

قال عفَّان: فَلَمَّا قَرَأَ عَلَيَّ الكِتَابَ قَالَ لِي إِسْحَاقُ: مَا تَقُوْلُ؟ فَقَرَأْتُ عَلَيْهِ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ حَتَّى خَتَمْتُهَا فَقُلْتُ: أَمَخْلُوْقٌ هَذَا؟ فَقَالَ لِي: يَا شَيْخُ! إِنَّ أَمِيرَ المُؤْمِنِيْنَ يَقُوْلُ: إِنَّكَ إِنْ لَمْ تُجِبْهُ إِلَى الَّذِي يَدْعُوكَ إِلَيْهِ يَقْطَعْ عَنْكَ مَا يُجرِي عَلَيْكَ وإن قطع عنك أمير المؤمنين قطعنا عنك نحن أيضا، فقلت له يقول الله تعالى: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾[2]، فَسَكَتَ عَنِّي وَانْصَرَفْتُ فسُرَّ بذلك أبو عبد الله ويحيى ومن حضر من أصحابنا[3].

---

(١) أي: محنة القول بخلق القرآن.

(٢) سورة الذاريات: الآية: (٢٢).

(٣) تاريخ بغداد (١٢/ ٢٧٠-٢٧١)، وتهذيب الكمال (٢٠/ ١٦٥).

زادَ في رواية: فَلَمَّا رَجَعَ إِلَى دَارِهِ عَذَلَهُ نِسَاؤُهُ وَمَنْ في دَارِه؛ وَكَانَ في دَارِهِ[١] نَحْوُ أَرْبَعِينَ إِنْسَانًا؛ فَدَقَّ عَلَيْهِ دَاقٌّ الْبَاب؛ فَدَخَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ وَمَعَهُ كِيسٌ فِيهِ أَلْفُ دِرْهَمٍ فَقَال: ثَبَّتَكَ اللهُ يَا أَبَا عُثْمَانُ كَمَا ثَبَّتَّ الدِّين، وَهَذَا في كُلِّ شَهْر»[٢].

وتوفي عفَّان ببغداد سنة عشرين ومئتين، وقيل: سنة تسع عشرة.

---

(١) ما بين معقوفين مستدرك من السير (١٠/ ٢٤٥).

(٢) تاريخ بغداد (١٢/ ٢٧١-٢٧٢)، وتهذيب الكمال (٢٠/ ١٦٦).

امسح عينى يا رسول الله

۞ كان نصر بن منصور العطار أبو القاسم الحرانى يُكثر فعل الخير ويتتبع الفقراء ويمشى بنفسه إليهم ويكسو العُراة ويفك الأسرى كل ذلك من زكاة ماله، وكان كثير التلاوة للقرآن محافظًا على الجماعة ...

قال أبو محمد العكبرى: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فى المنام فقلت: يا رسول الله امسح بيدك عينى فإنها تؤلمنى فقال اذهب الى نصر ابن العطار يمسح عينك قال: فقلت فى نفسى: أترك رسول الله وأمضى إلى رجل من أبناء الدنيا .. فعاودته القول يا رسول الله امسح عينى بيدك فقال لى: أما سمعت الحديث إن الصدقة لتقع فى يد الله وهذا نصر قد صافحته يد الحق فامض إليه قال فانتبهت فقصدته فلما رآنى قام يتلقانى حافيًا فقال: الذى رأيته فى المنام قد تقدم فى حقك بشىء فقرأ على عينى الفاتحة والمعوذات فسكن الألم ووجدت العافية.[1].

---

(١) «المنتظم» (١٨/ ١٢٨).

إن الله أطعمني وسقاني

۞ قال أبو أُمامة الباهلى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: بعثنى رسول الله ﷺ إلى قومى فانتهيتُ إليهم وأنا طاوٍ وهم يأكلون الدَّمَ فقالوا: هَلُمَّ. فقلت: إنما جئتُكم لأنهاكم عن هذا. قال: فاستهزؤوا بى، وكنت بجهد فسمعتهم يقولُ بعضهم لبعض: أتاكم رجل من سُراة[١] قومكم فما لكم بُدٌّ أن تُتحفوه ولو مَذْقة[٢]. قال: فوضعت رأسى ونمت، فأتانى آتٍ فناولنى إناء، فأخذته فشربتُه، فاستيقظتُ وقد كظَّنى بَطْنى[٣]، فناولونى إناء وقالوا: خذ. قلت: لا حاجةَ لى فيه. قالوا: قد رأيناكَ بجهد. قلت: إن الله أطعَمنى وسقانى؛ فأريتُهم بطنى فأسلموا عن آخرهم.

۞ وقال أَبُو أُمَامَةَ: أَنْشَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ غَزْوًا فَأَتَيْتُهُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، ادْعُ اللهَ لِي بِالشَّهَادَةِ. فَقَالَ: «**اللَّهُمَّ سَلِّمْهُمْ وَغَنِّمْهُمْ**» . قَالَ: فَسَلِمْنَا وَغَنِمْنَا. قَالَ: ثُمَّ أَنْشَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ غَزْوًا ثَانِيًا، فَأَتَيْتُهُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، ادْعُ اللهَ لِي بِالشَّهَادَةِ. فَقَالَ: «**اللَّهُمَّ سَلِّمْهُمْ وَغَنِّمْهُمْ**». قَالَ: فَسَلِمْنَا وَغَنِمْنَا. قَالَ: ثُمَّ أَنْشَأَ غَزْوًا ثَالِثًا، فَأَتَيْتُهُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي أَتَيْتُكَ مَرَّتَيْنِ قَبْلَ مَرَّتِي هَذِهِ فَسَأَلْتُكَ أَنْ تَدْعُوَ اللهَ لِي بِالشَّهَادَةِ، فَدَعَوْتَ اللهَ أَنْ يُسَلِّمَنَا وَيُغَنِّمَنَا فَسَلِمْنَا وَغَنِمْنَا. يَا رَسُولَ اللهِ، فَادْعُ اللهَ لِي بِالشَّهَادَةِ. فَقَالَ: «**اللَّهُمَّ سَلِّمْهُمْ وَغَنِّمْهُمْ**». قَالَ: فَسَلِمْنَا وَغَنِمْنَا، ثُمَّ أَتَيْتُهُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مُرْنِي بِعَمَلٍ. قَالَ: «**عَلَيْكَ بِالصَّوْمِ؛ فَإِنَّهُ لا مِثْلَ لَهُ**» . قَالَ: فَمَا رُئِيَ أَبُو أُمَامَةَ وَلَا امْرَأَتُهُ وَلَا خَادِمُهُ إِلَّا صُيَّامًا. قَالَ: فَكَانَ إِذَا رُئِيَ فِي دَارِهِمْ دُخَانٌ بِالنَّهَارِ قِيلَ اعْتَرَاهُمْ ضَيْفٌ أَوْ

---

(١) السراة: جمع سَرى؛ وهو الشريف.

(٢) مذقة: شربة من لبن ممزوج بالماء.

(٣) الكِظَّة: البِطْنة، ما يعترى الإنسان عند الامتلاء من الطعام. اللسان (كظظ).

نَزَلَ بِهِمْ نَازِلٌ. قَالَ: فَلَبِثْتُ بِذَلِكَ مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ أَتَيْتُهُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَمَرْتَنَا بِالصِّيَامِ فَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ قَدْ بَارَكَ اللهُ لَنَا فِيهِ يَا رَسُولَ اللهِ، فَمُرْنِى بِعَمَلٍ آخَرَ قَالَ: «**اعْلَمْ أَنَّكَ لَنْ تَسْجُدَ لِلَّهِ سَجْدَةً إِلَّا رَفَعَ اللهُ لَكَ بِهَا دَرَجَةً، وَحَطَّ عَنْكَ بِهَا خَطِيئَةً**». وفى رواية: «**أو حَطَّ**»[1].

فيك أربع خصال

۞ عن أبى إسحاق بن حفص بن نوح قال: قيل لإياس بن معاوية: فيك أربع خصال: دَمامة، وكثرة كلام، وإعجاب بنفسك، وتعجيل بالقضاء، قال: أما الدّمامة فالأمر فيها إلى غيرى، وأما كثرة الكلام فبصواب أتكلم أم بخطأ؟ قالوا: بصواب. قال: فالإكثار من الصواب أمثل، وأما إعجابى بنفسى أفيعجبكم ما ترون منى؟ قالوا: نعم. قال: فإنى أحق أن أُعجب بنفسى، وأما قولكم إنك تعجّل بالقضاء فكم هذه؟ وأشار بيده خمسة، فقالوا: خمسة. فقال: أعجلتم ألا قلتم واحدًا واثنين وثلاثة وأربعة وخمسة؟ قالوا: ما نعدّ شيئًا قد عرفناه. قال: فما أحبس شيئًا قد تّبين لى فيه الحكم[2].

(١) صحيح: رواه أحمد فى المسند (٥/ ٢٤٨-٢٤٩ و٢٥٥و٢٥٨)، والنسائى (٤/ ١٦٥-١٦٦) فى فضل الصيام.

(٢) صفة الصفوة (٣/ ١٦٠).

وهكذا يفعل المعروف بالعقول

۞ عن أبى الفرج المعروف بالأصبهانى قال:

قَالَ: قَرَأت فِى بعض الْأَخْبَار للأوائل، أَن الْإِسْكَنْدَر لما انْتهى إِلَى الصين، وحاصر مَلِكهَا، أَتَاهُ حَاجِبه، وَقد مضى من اللَّيل شَطْرُه، فَقَالَ لَهُ: هَذَا رَسُول ملك الصين بِالْبَابِ، يسْتَأْذن عَلَيك.

فَقَالَ: أدخلهُ.

فَوقف بَين يدى الْإِسْكَنْدَر، وَسلَّم، وَقَالَ: إِن رأى الْملك أَن يخلينى، فعل. فَأمر الْإِسْكَنْدَر من بِحَضْرَتِهِ بالانصراف، وَبَقِى حَاجِبه، فَقَالَ: إِن الَّذِى جِئْت لَهُ لَا يحْتَمل أَن يسمعهُ غَيرك.

فَقَالَ: فتشوه، ففُتِّش، فَلم يوجد مَعَه شَىء من السِّلَاح.

فَوضع الْإِسْكَنْدَر بَين يدَيهِ سَيفًا مسلولًا، وَأخرج حَاجِبه، وكل من كَانَ عِنْده، وَقَالَ لَهُ: قف بمكانك، وَقل مَا شِئْت.

فَقَالَ لَهُ: إِنِّى أَنا ملك الصين، لَا رَسُوله، وَقد جِئْت أَسأَلك عَمَّا تريده، فَإِن كَانَ مِمَّا يمكن الانقياد إِلَيهِ، وَلَو على أشق الْوُجُوه، قبلته، وغُنيت أَنا وَأَنت عَن الْحَرْب.

قَالَ الْإِسْكَنْدَر: وَمَا آمنك منى؟

قَالَ: علمى بأنك رجل عَاقل، وَلَيسَ بَيننَا عَدَاوَة، وَلَا مُطَالبَة، وَأَنت تعلم أَنَّك إِن قتلتنى لم يكن ذَلِك سَببًا لِأَن يُسلِّم إِلَيك أهل الصين ملكهم، وَلم يمنعهُم قَتْلِى من أَن ينصبوا لأَنْفُسِهِمْ مَلكًا غَيرِى، ثمَّ تُنْسَب أَنْت إِلَى غير الْجَمِيل، وضد الحزم.

فَأَطْرَقَ الْإِسْكَنْدَر، وَعلم أَنه رجل عَاقل، ثم قال الإسكندر: أما عن سبب غزوى لبلادكم فإنى إن لم أغزُكم أخذت منكم خَراجًا عظيمًا.

فقال له ملك الصين: وكم تريد من الخَراج حتى تقى البلاد شر الغزو وسفك الدماء؟ فقال الإسكندر: أريد كذا وكذا - وطلب شيئًا كثيرًا.

فوافق ملك الصين على قوله ثم ودَّعه وانصرف إلى مستقره

فَلَمَّا طلعت الشَّمْس، أقبل جَيش ملك الصين حَتَّى طبق الأَرْض، وأحاط بِجَيش الْإِسْكَنْدَر حَتَّى خَافُوا الْهَلَاك، وتواثب أَصْحَابه فَركبُوا، واستعدوا للحرب.

فَبَينَمَا هم كَذَلِك إِذْ طلع ملك الصين، وَعَلِيهِ التَّاج، وَهُوَ رَاكب، فَلَمَّا رأى الْإِسْكَنْدَر، ترجَّل.

فَقَالَ لَهُ الْإِسْكَنْدَر: غدرت؟ قَالَ: لَا وَالله.

قَالَ: فَمَا هَذَا الْجَيش؟ قَالَ: إِنِّى أردْت أَن أريك أننى لم أُطعك من قلَّة وَلَا من ضعف، وَأَنت ترى هَذَا الْجَيش، وَمَا غَابَ عَنْك مِنْهُ أَكثر، وَلَكِنِّى أردت حقن الدماء وصيانة النفوس والأرواح .. فدُهش الإسكندر من حكمته وفطنته وقال له: لَيسَ مثلك من يؤْخَذ مِنْهُ شَىء، فَمَا رَأَيت بينى وَبَينك أحدًا يسْتَحق التَّفْضِيل، وَالْوَصْف بِالْعقلِ غَيرك، وَقد أعفيتك من جَمِيع مَا أردته مِنْك، وَأَنا منصرف عَنْك.

فَقَالَ ملك الصين: أما إِذْ فعلت ذَلِك، فلست تخسر.

فَلَمَّا انْصَرف الْإِسْكَنْدَر، أتبعه ملك الصين، من الْهَدَايا، بِضعْف مَا كَانَ قَرَّرَهُ مَعَه[١].

---

(١) مختصر الفرج بعد الشدة (٢١٥-٢١٦).

إنى أخاف الداهية الكبرى

۞ عن الحسن قال: خرج هرم بن حيان، وعبد الله بن عامر يؤمان الحجاز، فجعلت أعناق رواحلهما تتخالجان الشجر، فقال هَرِم لابن عامر: أتحبّ أنك شجرة من هذا الشجر؟ فقال ابن عامر: لا والله، لما أرجو من ربّى عز وجل، فقال هرم: لكنى والله لوددت أنى شجرة من هذا الشجر أكلتنى هذه الراحلة، ثم قذفتنى بَعرًا ولم أُكابد الحساب، يا ابن عامر إنى أخاف الداهية الكبرى، إما إلى الجنة، وإما إلى النار.

۞ وعن الحسن قال: مات هرم بن حيان فى يومٍ صائف شديد الحر، فلما نفضوا أيديهم عن قبره جاءت سحابة تسير حتى قامت على قبره، فلم تكن أطول منه ولا أقصر، فرشّته حتى روتُه ثم انصرفت.

وعن قتادة قال: أُمطر قبر هرم بن حيان من يومه، وأُنبت العشب من يومه.

قلت: لا يُحفظ لهرم مسند أصلًا.[١].

---

(١) صفة الصفوة (٣/ ١٢٨-١٢٩) بتصرف.

كان أشد الناس على نفسه سُلطانًا

۞ قال معاوية بن هشام لخالد بن صفوان: بمَ بلغ فيكم الأحنف بن قيس ما بلغ؟ قال: إن شئت حدثتك ألفًا، وإن شئت حذفت لك الحديث حذفًا. قال: احذفه لى حذفًا. قال: فإن شئت فثلاثًا، وإن شئت فاثنتين، وإن شئت فواحدة. قال: ما الثلاث؟ قال: كان لا يشره ولا يحسد ولا يمنع حقًّا. قال: فما الثنتان؟ قال: كان مُوفَّقًا للخير، معصومًا من الشر. قال: فما الواحدة؟ قال: كان أشد الناس على نفسه سلطانًا.

۞ وعن الحسن قال: كانوا يتكلمون عند معاوية والأحنف ساكت، فقالوا: ما لك لا تتكلم يا أبا بحر؟ قال: أخشى الله إن كذبت، وأخشاكم إن صدقت... وعن سليمان التيمى قال: قال الأحنف بن قيس: ما ذكرت أحدًا بسوء بعد أن يقوم من عندى.

۞ وعن سلمة بن منصور، عن مولى لهم كان يصحب الأحنف بن قيس، قال: كنت أصحبه، فكان عامة صلاته بالليل الدعاء. وكان يجىء إلى المصباح فيضع أصبعه فيه ثم يقول: حسّ. ثم يقول: يا حُنيف ما حملك على ما صنعت يوم كذا؟ ما حملك على ما صنعت يوم كذا؟

وعن مغيرة قال: اشتكى ابن أخى الأحنف إلى الأحنف بن قيس وجع ضرسه، فقال له الأحنف: لقد ذهبت عينى منذ أربعين سنة ما ذكرتها لأحد.

قال قبيصة: قيل للأحنف بن قيس: ألا تأتى الأمراء؟ قال: فأخرج جرة مكسورة فكبَّها فإذا كِسَرٌ، فقال: من كان يُجزئه مثلُ هذا ما يصنع بإتيانهم؟[1].

---

(١) صفة الصفوة (٣/ ١١٩-١٢٠) بتصرف.

لابد من إفراغ ذلك الشر

۞ مشى الخليفة القادر بالله ذات ليلة فى أسواق بغداد إذ سمع شخصًا يقول لآخر:

لقد طالت دولة هذا المشؤوم، وليس لأحدٍ عنده نصيب.

فأمر خادمًا كان معه، أن يُحضره بين يديه، فما شك أنه يبطش به، فسأله عن صنعته فقال: إنى كنت من السُّعاة[1] الذين يستعين بهم أرباب هذا الأمر على معرفة أحوال الناس، فمذ ولى أمير المؤمنين أقصانا، وأظهر الاستغناء عنا، فتعطَّلت معيشتنا وانكسر جاهُنا.

فقال له: أتعرف من فى بغداد من السعاة مثلك؟

قال: نعم، فأحضَر كاتبًا، وكتب أسماءهم، وأمر بإحضارهم، ثم أجرى لكل واحد منهم معلومًا، ونفاهم إلى الثغور القاصية، ورتبهم هناك عيونًا على أعداء الدين.

ثم التفت إلى من حوله وقال: اعلموا أن هؤلاء ركَّب الله فيهم شرًّا وملأ صدورهم حقدًا على العالم، ولا بد لهم من إفراغ ذلك الشر، فالأَولى أن يكون ذلك فى أعداء الدين، ولا نُنغِّص بهم المسلمين.

---

(١) السُّعاة: العيون والجواسيس.

هكذا كانت عبادة (عامر بن عبد القيس)

❁ قَالَ الْحَسَنُ البصرى رَحِمَهُ اللَّهُ:

كَانَ عَامِرُ بْنُ عَبْدِ قَيْسٍ إِذَا صَلَّى الصُّبْحَ تَنَحَّى فِى نَاحِيَةِ الْمَسْجِدِ فَقَالَ: مَنْ يقرأ بين يدىّ؟

قَالَ: فَيَأْتِى قَوْمٌ فَيُقْرِئُهُمْ حَتَّى إِذَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ وَأَمْكَنَتِ الصَّلَاةُ قَامَ يُصَلِّى إِلَى أَنْ يَنْتَصِفَ النَّهَارُ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى مَنْزِلِهِ فَيَقِيلُ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى الْمَسْجِدِ إِذَا زَالَتِ الشَّمْسُ فَيُصَلِّى حَتَّى يُصَلِّىَ الظُّهْرَ ثُمَّ يُصَلِّى حَتَّى يُصَلِّىَ الْعَصْرَ فَإِذَا صَلَّى الْعَصْرَ تَنَحَّى فِى نَاحِيَةِ الْمَسْجِدِ ثُمَّ يَقُولُ: مَنْ يقرَأ بين يَدىَّ؟ قَالَ: فَيَأْتِيهِ قَوْمٌ فَيُقْرِئُهُمْ حَتَّى إِذَا غَرَبَتِ الشَّمْسُ صَلَّى الْمَغْرِبَ ثُمَّ يُصَلِّى حَتَّى يُصَلِّىَ الْعِشَاءَ الْآخِرَةَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى مَنْزِلِهِ فَيَتَنَاوَلُ أَحَدَ رَغِيفَيْهِ فَيأْكُلُه، ثُمَّ يَضْطَجِعُ هَجْعَةً خَفِيفَةً ثُمَّ يَقُومُ، فَإِذَا كَانَ السَّحَرُ تَنَاوَلَ رَغِيفَهُ الْآخَرَ فَيَأْكُلُهُ ثُمَّ يَشْرَبُ عَلَيْهِ شَرْبَةً مِنْ مَاءٍ ثُمَّ يَخْرُجُ إِلَى الْمَسْجِدِ، قَالَ خَلَفٌ: وَحَدَّثَنِى بَعْضُ أَصْحَابِنَا قَالَ: كَانَ مَنْصُورُ بْنُ زَاذَانَ يَفْعَلُ هَذَا كُلَّهُ وَيَفْضُلُ بِخَاصَّةٍ لَا يَبِيتُ كُلَّ لَيْلَةٍ حَتَّى تُبَلَّ عِمَامَتُهُ بِدُمُوعِهِ ثُمَّ يَضَعَهَا[1].

---

(١) الزهد/ للإمام أحمد (ص/ ٢٧٤).

ذاكرة كالخيال

۞ حدّث الوزير الأندلسى أبو بكر محمد ابن الوزير أبى مروان عبد الملك بن زهر، قال: بينما أنا قاعد فى دهليز دارنا وعندى رجل ناسخ أمرته أن يكتب لى كتاب الأغانى، لأبى الفرج الأصبهانى، إذ جاء الناسخ بالكراريس التى كتبها، فقلت له: أين الأصل الذى كتبتَ منه لأقابل[1] معك به؟

قال: ما أتيت به معى.

فبينما أنا معه فى ذلك إذ دخل الدهليز علينا رجل بَذُّ الهيئة[2]. عليه ثياب غليظة أكثرُها صوف، وعلى رأسه عمامة قد لاثها[3] من غير إتقان لها، فحسبته لما رأيته من بعض أهل البادية، فسلَّم وقعد، وقال لى:

يا بنىّ، استأذن لى على الوزير أبى مروان.

فقلت له: هو نائم، ... هذا بعد أن تكلّفتُ جوابه غاية التكلف، حملنى على ذلك نزوةُ الصبا، وما رأيت من خشونة هيئة الرجل.

ثم سكت عنى ساعة. وقال: ما هذا الكتاب الذى بأيديكما؟

فقلت له: ما سؤالك عنه؟

فقال: أحب أن أعرف اسمه، فإنى كنت أعرف أسماء الكتب.

فقلت: هو كتاب الأغانى.

---

(١) يراجع.
(٢) ردىء الملبس.
(٣) لفَّها.

فقال: إلى أين بلغ الكاتب منه؟.

قلت: بلغ موضع كذا.

وجعلت أتحدث معه على طريق السخرية به. فقال: وما لكاتبك لا يكتب؟

قلت: طلبتُ منه الأصل الذى يكتب منه لأعارض به هذه الأوراق، فقال: لم أجئ به معى، قال: يا بنى خذ كراريسك وعارض.

قلت: بماذا؟ وأين الأصل؟

قال: كنت أحفظ هذا الكتاب فى مدة صباى.

فتبسَّمتُ من قوله، فلما رأى تبسُّمى قال: يا بُنىّ، أمسك علىَّ.

فأمسكت عليه وجعل يقرأ، فو الله إن أخطأ واوًا، ولا فاء، قرأ هكذا نحوًا من كراستين، ثم أخذت له فى وسط السِّفر[1] وآخره، فرأيت حفظه فى ذلك كل سواء.

فاشتد عجبى، وقمت مسرعًا حتى دخلت على أبى فأخبرته بالخبر، ووصفت له الرجل، فقام كما هو من فَوره. وكان ملتفًّا برداء ليس عليه قميص، وخرج حاسر الرأس، حافى القدمين، لا يرفُقُ على نفسه، وأنا بين يديه، وهو يُوسعنى لومًا، حتى ترامى على الرجل وعانقه، وجعل يقبّل رأسه ويديه، ويقول: يا مولاى، اعذرنى، فو الله ما أعلمنى هذا الجِلْف إلا الساعة

وجعل يَسُبّنى، والرجل يُخَفِّض عليه، ويقول: ما عرفنى، وأبى يقول:

---

(١) السِّفر: الكتاب.

هَبْه ما عرفك، فما عُذره في حسن الأدب؟

ثم أدخله الدار وأكرم مجلسه، وخلا به فتحدثا طويلًا ثم خرج الرجل وأبى بين يديه حافيًا حتى بلغ الباب. وأمر بدابته التى يركبها فأُسْرِجت، وحلف عليه لَيرْكَبنها ثم لا ترجع إليه أبدًا.

فلما انفصل قلت لأبى: من هذا الرجل الذى عظمته هذا التعظيم؟

قال لى: اسكت ويحك، هذا أديب الأندلس وإمامها وسيّدها فى علم الآداب، هذا ابن عبدون، أيسرُ محفوظاته كتاب الأغانى.

جزاؤه جنتان

۞ عَنِ الْحَسَنِ البصرى رَحِمَهُ اللهُ قَالَ: كَانَ فِى زَمَنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَتًى يَتَنَسَّكُ وَيَلْزَمُ الْمَسْجِدَ فَعَشِقَتْهُ جَارِيَةٌ فَجَاءَتْهُ فَكَلَّمَتْهُ سِرًّا فَقَالَ:

يَا نَفْسُ تُكَلِّمِينَهَا سِرًّا فَتَلْقَيْنَ اللهَ زَانِيَةً؟!

فَصَرَخَ صَرْخَةً غُشِىَ عَلَيْهِ فَجَاءَ عَمٌّ لَهُ فَحَمَلَهُ إِلَى مَنْزِلِهِ فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ لَهُ: يَا عَمِّ الْقَ عُمَرَ فَاقْرَأْ عَلَيْهِ مِنِّى السَّلَامَ وَقُلْ لَهُ: مَا جَزَاءُ مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ؟ فَقَالَ: «وَعَلَيْكَ السَّلَامُ جَزَاؤُهُ جَنَّتَانِ جَزَاؤُهُ جَنَّتَانِ»[1].

(١) الحلية (١٠/ ١٨٤).

اقرأ وارتقِ ورتّل

۞ قَالَ ﷺ: «يُقَالُ لصاحبِ القُرآن: اقْرَأْ، وَارْقَ، وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي دَارِ الدُّنْيَا، فَإِنَّ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ كُنْتَ تَقْرَؤُهَا»(١).

۞ عن حمزة الزيات قال: رأيت البارحة فى منامى كأنّ القيامة قد قامت وقد دُعى بُقَرَّاء القرآن، فكنت فيمن حضر فسمعت قائلًا يقول بكلامٍ عذب: «لا يدخل علىَّ إلا مَن عمل بالقرآن»، فرجعت القهقرى فهتف باسمى: أين حمزة بن حبيب الزيات؟ فقلت: لبيك داعى الله. فبدرنى مَلَك فقال: قُل لبيك اللهم. فقلت كما قال لى. فأدخلنى دارًا فسمعت فيها ضجيج القرآن، فوقفت أرعُدُ فسمعت قائلًا يقول: لا بأس عليك ارقَ واقرأ، فأدرتُ وجهى فإذا أنا بمنبر من دُرٍّ أبيض، دفَّتاه من ياقوتٍ أصفر، مراقيه من زَبَرْجَدٍ أخضر فقال لى: ارقَ واقرأ فرقيت، فقال لى اقرأ سورة الأنعام، فقرأت وأنا لا أدرى على من أقرأ حتى بلغت الستين فلما بلغتُ: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ قال لى: يا حمزة ألستُ القاهرُ فوق عبادى؟ فقلت: بلى. قال صدقت، اقرأ، فقرأت حتى ختمتها ثم قال لى: اقرأ فقرأت الأعراف حتى بلغت آخرها، فأومأت إلى الأرض بالسجود. فقال لى: حسبك ما مضى، لا تسجد يا حمزة. مَن أقرأك هذه القراءة؟ فقلت: سليمان. قال: صدقت من أقرأ سليمان؟ قلت: يحيى. قال: صدق يحيى، على من أقرأ يحيى؟ فقلت: على أبى عبد الرحمن السُّلَمى، قال: صدق أبو عبد الرحمن السلمى، من أقرأ أبا عبد الرحمن؟ فقلت: ابن عم نبيك

---

(١) صحيح: رواه أحمد والترمذى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٨١٢٢).

علىّ. فقال صدق علىّ، فمن أقرأ عليًّا؟ قلت: نبيك محمد ﷺ قال: ومن أقرأ نبيّى؟ قال: قلت جبريل عليه السلام. قال: ومن أقرأ جبريل؟ قال: فسكتُّ. فقال لى: يا حمزة قل: أنت. قال: فقلت: ما أجسر أن أقول، فقال: قل، فقلت: أنت. فقال: صدقت يا حمزة: وحق القرآن لأُكرمن أهل القرآن لا سيما إذا عملوا بالقرآن ... يا حمزة القرآن كلامى وما أحب أحدًا كحبِّى أهل القرآن.

ادنُ يا حمزة فدنوت فضمَّنى بالغالية وقال: ليس أفعل بك وحدك، قد فعلت ذاك بنُظرائك ممن فوقك ومَن دونك. ومن أقرأ القرآن كما أقرأته لم يُرِد بذلك غيرى، وما خبّأت لك يا حمزة عندى أكثر فأعلِمْ أصحابك بمكانى من حبى لأهل القرآن وفعلى بهم فهم المصطفون الأخيار .... يا حمزة وعزتى وجلالى لا أُعذب لسانًا تلا القرآن بالنار، ولا قلبًا وعاه، ولا أُذنًا سمعته، ولا عينًا نظرته، فقلت: سبحانك سبحانك. فقال: يا حمزة أين نُظَّار المصاحف؟ فقلت: يا رب أفحُفاظٌ هم؟ قال: لا، ولكنى أحفظه لهم حتى يوم القيامة فإذا لقونى رفعت لهم لكل آية درجة[1].

---

(١) صفة الصفوة (٢/ ٥٧٥) صح عن النبى ﷺ قوله: «من سره أن يحب الله ورسوله فلينظر فى المصحف». رواه أبو نعيم فى الحلية وحسنة الألبانى فى صحيح الجامع رقم (٣٢٦٨).

حب الخير للغير

۞ عن مصعب بن أحمد بن مصعب قال:

قَدِم أبو محمد المروزى إلى بغداد يريد مكة، وكنت أحب أن أصحبه، فأتيته واستأذنته فى الصحبة فلم يأذن لى فى تلك السنة، ثم قدم سنة ثانية وثالثة فأتيته فسلمت عليه، وسألته فقال: اعزم على شرط، يكون أحدنا الأمير لا يخالفه الآخر. فقلت: أنت الأمير، فقال: لا، بل أنت. فقلت: أنت أسن وأولى. فقال: فلا تعصنى. فقلت: نعم. فخرجت معه وكان إذا حضر الطعام يُؤْثِرنى فإذا عارضته بشىء قال: ألم أشرط عليك أن لا تخالفنى؟ فكان هذا دأبنا حتى ندمت على صُحبته لما يُلحق نفسه من الضرر. فأصابنا فى بعض الأيام مطر شديد ونحن نسير فقال لى: يا أبا أحمد اطلب الميل[1] ثم قال لى: اقعد فى أصله فأقعدنى فى أصله وجعل يديه على الميل وهو قائم قد حنا علىَّ، وعليه كساء قد تجلل به يُظلنى من المطر حتى تمنيت أنى لم أخرج معه لما يلحق نفسه من الضرر، فلم يزل هذا دأبه حتى دخل مكة – رحمة الله عليه–.

---

(١) اطلب الميل: اذهب إلى أقرب ميل. والميل هو: حجر قائم يُبنى للمسافر، ولا سيما فى طريق مكة؛ للاهتداء به وإدراك المسافة، وبين كل ميل وآخر مقدار مدى البصر.

قُم فاطلب حاجتك

❁ عن ثابت البناني قال:

أخذ عُبَيدُ الله بن زياد ابنَ أخٍ لصفوان بن محرز، فحبسه في السجن،فلم يدع صفوان شريفًا بالبصرة يرجو منفعته إلا تحمَّل به عليه، فلم يرَ لحاجته نجاحًا، فبات في مُصلاه حزينًا.قال: فهوّم[١] من الليل فإذا آتٍ قد أتاه في منامه، فقال: يا صفوان قم فاطلب حاجتك من جهتها.قال: فانتبه فزعًا فقام فتوضأ، ثم صلّى ثم دعا. فأرِق ابنُ زياد، فقال: عليَّ بابن أخي صفوان بن محرز، فجاء بالحرس وجيء بالنيران، ففُتحت تلك الأبواب الحديد في جوف الليل،فقال: ابن أخي صفوان أخرجوه،فإنّي قد مُنعت من النوم منذ الليلة، فأُخرج فأُتِي به ابن زياد، فقال: انطلق بلا كفيل ولا شيء، فما شعر صفوان حتى ضرب عليه ابنُ أخيه بابه، قال صفوان: مَن هذا؟ قال: أنا فلان. قال: أيّ ساعة هذه الساعة؟ فحدّثه الحديث.[٢].

---

(١) فهوَّم: أي: تثاءب من النعاس وهزَّ رأسه.

(٢) صفة الصفوة (٣/ ١٣٧-١٣٨).

المسلمون تتكافأ دماؤهم

۞ حاصر المسلمون حِصْنًا على عهد عُمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فى الشام، فرمى عبدٌ من المسلمين بسهم فيه أمان (أى به رسالة مكتوبة بالأمان على الأموال والأنفس والممتلكات والأعَراض إلى أهل الحِصْن المحاصرين)، فخرج أهل الحِصْنِ.

فسألهم المسلمون: ما أخرجكم؟!

قالوا: أعطيتمونا عهدًا بالأمان.

فقال المسلمون: ما ذاك إلا عبدٌ قد رمى بهذه الرسالة يعطيكم بها الأمان، وإننا لا نُجيز ما فعله!!.

فقال أهل الحِصْن: إننا لا نعرف العبد منكم من الحُر!!

فكتب المسلمون إلى عُمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يسألونه فى ذلك.

فكتب إليهم أمير المؤمنين عُمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «إِنَّ العبدَ رجلٌ من المسلمين وأَنَّ أَمَانَهُ جائزٌ»[1].

وفى رواية: «رجل من المسلمين ذمته ذمتكم (أى عهده عهدكم)».

وفى الحديث الشريف قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**المسلمون تتكافأ دماؤهم** (أى متساوون)، **ويسعى بذمتهم** (أى عهدهم الذى يعطونه لغيرهم بالأمان)، **أدناهم** (أى أقلهم جديرٌ بإعطاء ذلك العهد بالأمان)»[2].

---

(١) انظر: «شرح السير الكبير» للسرخسى (١/ ١٧١ - ١٧٢)، و «مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوى والخلافة الراشدة» لمحمد حميد الله، الطبعة الثامنة ص ٤١١، سنة ٢٠٠٩م.

(٢) الدكتور عبد الحميد بن محمد ندا، «التعامل مع غير المسلمين فى السنة النبوية» (ص ١٧٩، ١٨٠).

اللهم إن كان صادقًا فألبسه العافية

۞ قال مسلم بن إبراهيم: أَنَّ رَجُلًا أَتَى حبيبًا الفارسي، فَقَالَ: إِنَّ لِي عَلَيْكَ ثَلاثَمِائَةِ دِرْهَمٍ، قَالَ: مِنْ أَيْنَ صَارَتْ لَكَ عَلَيَّ؟ قَالَ: لِي عَلَيْكَ ثَلاثُمِائَةِ دِرْهَمٍ، قَالَ حَبِيبٌ: اذْهَبْ إِلَى غَدٍ فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ تَوَضَّأَ وَصَلَّى وَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ صَادِقًا فَأَدِّ إِلَيْهِ وَإِنْ كَانَ كَاذِبًا فَابْتَلِهِ فِي بدَنِهِ، قَالَ: فَجِيءَ بِالرَّجُلِ مِنْ غَدٍ قَدْ حُملَ وَقَدْ ضَرَبَ شِقَّهُ الْفَالِجُ فَقَالَ: مَا لَكَ؟ قَالَ: أَنَا الَّذِي جِئْتُكَ أَمْسِ لَمْ يَكُنْ لِي عَلَيْكَ شَيْءٌ وَإِنَّمَا قُلْتُ يَسْتَحِي مِنَ النَّاسِ فَيُعْطِينِي فَقَالَ لَهُ تَعُودُ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ صَادِقًا فَأَلْبِسْهُ الْعَافِيَةَ، قَالَ: فَقَامَ الرَّجُلُ عَلَى الأَرْضِ يَعْدُو كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ شَيْءٌ[1].

۞ وقال حَمَّادٌ، وَأَبو عَوَانَةَ: شَهِدْنَا حَبِيبًا الْفَارِسِيَّ يَوْمًا فَجَاءَتْهُ امْرَأَةٌ فَقَالَتْ: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ -كأنَّها طلبت منه شيئًا- فَقَالَ لَهَا: كَمْ لَكِ مِنَ الْعِيَالِ؟ فَقَالَتْ: كَذَا وَكَذَا، فَقَامَ حَبِيبٌ إِلَى وَضُوئِهِ فَتَوَضَّأَ ثُمَّ جَاءَ إِلَى الصَّلَاةِ فَصَلَّى بِخُضُوعٍ وَسُكُونٍ، فَلَمَّا فَرَغَ قَالَ: يَا رَبِّ إِنَّ النَّاسَ يُحْسِنُونَ ظَنَّهُمْ بِي وَذَلِكَ مِنْ سَتْرِكَ عَلَيَّ فَلَا تُخْلِفْ ظَنَّهُمْ بِي، ثُمَّ رَفَعَ حَصِيرَهُ فَإِذَا بِخَمْسِينَ دِرْهَمًا طَارِحَةً فَأَعْطَاهَا إِيَّاهَا، ثُمَّ قَالَ: يَا حَمَّادُ اكْتُمْ مَا رَأَيْتَ حَيَاتِي.

۞ وقال إسماعيل بن زكريا – وكان جارًا لحبيب –: كنتُ إذا أمسيتُ سمعتُ بكاءَه، وإذا أصبحتُ سمعتُ بكاءَه، فأتيتُ أهلَهُ فقلت: ما شأنه يبكي إذا أمسى ويبكي إذا أصبح؟ فقالوا لي: يخافُ والله إذا أمسى أنْ لا يصبح، وإذا أصبح أن لا يُمسي[2].

---

(١) مختصر تاريخ ابن عساكر (٦/ ١٨٧).

(٢) صفة الصفوة (٣/ ٣٢٠).

۞ وقال جعفر: كنا ننصرِفُ من مجلس ثابت البُنانى فنأتى حبيبًا أبا محمد؛ فيحثُّ على الصدقة، فإذا وقعتْ قام فتعلَّق بقَرْنٍ معلَّقٍ فى بيته ثم يقول: سبحانك وحنانَيْك[1]! خلقتَ فسوَّيت، وقدَّرْتَ فهدَيْت، وأعطيتَ فأغْنَيْت وأقْنيتَ، وعافَيتَ وعفَوْت؛ فلك الحمدُ على ما أعطيت حمدًا كثيرًا طيِّبًا مباركًا، حمدًا لا ينقطعُ أُولاه، ولا يَنْفَدُ أُخراه، حمدًا أنت منتهاه، فتكون الجنَّةُ عقباه؛ أنت الكريم الأعلى، وأنت جَزْلُ العطاء، وأنت أهلُ النعمات، وأنت ولىُّ الحسنات، لا يُحْفيك سائل، ولا ينقصك نائل، ولا يبلغُ مِدْحَتَك قولُ قائل، سجد وجهى لوجهك الكريم، ثم يَخِرُّ ويسجد، ويسجدُ [معه] ثم يفرِّقُ الصدقةَ على مَنْ حضَرَهُ من المساكين[2].

۞ ورُوى أنَّ الحسن البصرى لما خاف الحجَّاج بنَ يوسف وهرب منه، دخل على حَبيب فقال له: أعندك موضعٌ أستترُ فيه؟ فقال: نعم، اقعُدْ ورائى. فقعد، فلم يَرُعْهُ إلا أصحابُ الحجَّاج قد دخلوا على حَبيب، فسألوه عن الحسن هل رأيتَه؟ فقال: أبْصِرُوه ورائى. فطلبوه فلم يرَوْه، فخرجوا من عنده، فقال له الحسن: أما خِفتَ الله؟! دلَلْتَهم علىَّ! فقال حبيب: إنَّ الذى أوْدَعْتُكَ عنده لا يُضيعُك. فقال له الحسن واهًا لك يا حَبيب، لو كان لك عِلْمٌ. فقال حَبيب: واهًا لك يا حسن لو كان لك يقينٌ[3].

---

(١) قبل كلمة «سبحانك وحنانيك» فى الحلية رجزٌ وهو:

هـا قـد تغـذيت وطابـت نفسـى   فليـس فى الحـى غـلام مثلـى

إلا غـلام قـد تغـدى قبلـى

(٢) الحلية (٦/ ١٥٤)، وما بين معقوفين منه.

(٣) المختار من مناقب الأخيار/ لابن الأثير (٢/ ١٦٤).

النساء ثلاثة

۞ حكى ابن حبيب أن رجلًا أقسم على ألا يتزوج حتى يشاور مائة إنسان، وذلك نظرًا لما قاساه من النساء ... فاستشار تسعة وتسعين، وبقى عليه واحد... فخرج يسأل من لقيه، وإذا بمجنون قد اتخذ قلادة من عظم وسوَّد وجهه، وركب قصبة كالفرس، فسلم عليه.

وقال له: أريد أن أسالك عن مسألة أرجو الجواب عنها.

فقال له: سَلْ ما يعنيك، وإياك أن تتعرض لما لا يعنيك.

قال له: إنى رجل لقيت من النساء بلاءً عظيمًا... وآليت على نفسى أن لا أتزوج حتى أستشير مائة نفس، وأنت تمام المائة، فماذا تقول؟

فقال: اعلم أن النساء ثلاثة، واحدة لك، وواحدة عليك، وواحدة لا لك، ولا عليك.... أما التى لك: فهى شابة جميلة لطيفة لم يعرفها الرجال قبلك إن رأت خيرًا حمدت، وإن رأت شرًّا سترت.

وأما التى عليك: فامرأة لها ولد من غيرك، فهى تنهب مالك وتعطى ولدها، ولا تشكرك مهما عملت معها.

وأما التى لا لك ولا عليك: فهى امراة تزوجت غيرك من قبلك، فإن رأت خيرًا قالت هذا ما نحب، وإن رأت شرًّا حنَّت إلى زوجها الأول.

وهذه هى أحوال النساء، شرحتها لك فاعلم، وإن شئت أن تتزوج فانتقِ من خيرهن وإلا، فلا.

قال: ناشدتك الله من أنت؟

قال الرجل المتمم للمائة: ألم أشترط عليك ألا تسأل عما لا يعنيك؟

سبعة أشياء

۞ قالوا أن رجلًا سمع عن حكمة (بزر جمهر) وهو حكيم فارس فسافر إليه من أطراف الأرض وقطع المفاوز والقفار حتى وصل إليه ليتعلم منه الحكمة وأراد أن يختبر حكمته أولًا، فبعد أن قضى عنده حق الضيافة قال له يا سيدى إن كنت حكيمًا فإنى آتيك لأسألك عن سبعة أشياء، فإن أجبتنى عنها فأنت حكيم، فقال له: سَلْ ما تريد والله المستعان، فقال له الزائز: جئت أسألك عن السماء وما أثقل منها وعن الأرض وما أوسع منها، وعن الصخر وما أقسى منه، وعن النار وما أحرُّ منها، وعن الزمهرير، وما أبرد منه، وعن البحر وما أغنى منه، وعن اليتيم وما أذل منه، فقال له يا سيدى اصغ أذنك واستمع لما أقول فعسى ربى أن يهدينى إلى الصواب، إن غيبة البرىء والبهتان عليه أثقل من السماء، والحق أوسع من الأرض. والقلب القانع أغنى من البحر، والحسد أحرُّ من النار، والحاجة إلى الأقارب إذا لم تنجح أبرد من الزمهرير، وقلب البخيل أقسى من الصخر، والنمام إذا كُشف أمره أذل من اليتيم، وأخيرًا فإن فوق كل ذى علم عليم. فقال له الضيف والله ما رأيت بين العرب والعجم أصدق منك حكمة ولا أقوى منك رأيًا ولا أكثر منك رشادًا ولولا أنى أحب نقل هذا إلى تلامذتى ما فارقت مجلسك.

إنهم معروفون في ملكوت السموات

۞ قَالَ مَخْلَدُ بْنُ الْحُسَيْنِ: خَرَجْتُ أَنَا وَعُتْبَةُ الْغُلَامُ، وَيَحْيَى الْوَاسِطِيُّ، وَمُشَمْرِخُ الضَّبِّيُّ، قَالَ: فَنَزَلْنَا الْمِصِّيصَةَ فِى الْحِصْنِ فَرَأَيْتُ لَيْلَةً فِى الْمَنَام كَأَنَّ مَلَكًا نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ وَمَعَهُ ثَلَاثَةُ أَكْفَانٍ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ فَأَلْبَسَ عُتْبَةَ كَفَنًا وَيَحْيَى كَفَنًا وَرَجُلًا آخرَ كَفَنًا.

قَالَ: فَلَمَّا أَصْبَحْتُ دَعْوتُهُمْ لِأُحَدِّثَهُمْ بِالرُّؤْيَا فَقَالَ لِى عُتْبَةُ: لَا تَذْكُرْ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ الرُّؤْيَا قَالَ: فَمَكَثتُ أَشْهُرًا فَإِنِّى لَنَائِمٌ عَلَى سَرِيرٍ.لَيْلَةً فَإِذَا إِنْسَانٌ يُحَرِّكُنِى... قَالَ: فَرَفَعْتُ رَأْسِى فَإِذَا عُتْبَةُ فَقُلْتُ: مَا حَاجَتُكَ فَقَالَ لِى: اجْلِسْ قُصَّ عَلِىَّ الرُّؤْيَا قَالَ: فَجَلَسْتُ فَحَدَّثْتُهُ فَرَفَعَ يَدَهُ وَقَالَ شَيْئًا لَا أَدْرِى مَا هُوَ ثُمَّ قَامَ وَوَضَعْتُ رَأْسِى فَانْتَبَهْتُ فَإِذَا صَاحِبُ التَّنُّورِ قَدْ نَوَّرَ، قَالَ: فَأَسْرَجْتُ دَابَّتِى وَجِئْتُ فَإِذَا بِعُتْبَةَ جَالِسٌ عَلَى الْبَابِ بِيَدِهِ عَنَانُ فَرَسِهِ قَالَ، وَقَالَ عُتْبَةُ لَمَّا وَرَدَ حَلَبَ: اشْتَرُوا لِى فَرَسًا يَغِيظُ الْمُشْرِكِينَ إِذَا رَأَوْهُ قَالَ: فَوَقَفْنَا حَتَّى إِذَا جَاءَ الْوَالِى فَفَتَحَ الْبَابَ فَخَرَجَ وَكَانَ مُشَمْرِخٌ رَاجِلًا فَإِذَا إِنْسَانٌ مَعَهُ فَرَسٌ عَلَى الْبَابِ يُنَادِى: يَا ثَوْرُ، قَالَ: فَدَنَوْتُ مِنْهُ فَقُلْتُ: هَلْ لَكَ فِى ثَوْرٍ مَكَانَ ثَوْرٍ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَأَخَذَ مُشَمْرِخٌ الْفَرَسَ فَرَكِبَهُ قَالَ: وَمَضَيْنَا حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى أَذَنَةَ فَإِذَا آثَارُ عَدُوٍّ.

قَالَ:فَقَالَ لِى الْوَالِى: مَنْ يَجِيئُنَا بِخَبَرِ هَؤُلَاءِ قَالَ: فَقَالَ عُتْبَةُ: أَنَا ... فَخَرَجَ فِى أُنَاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ يَتْبَعُ الْأَثَرَ فَخَرَجَ عَلَيْهِمُ الْعَدُوُّ فَقُتِلُوا جَمِيعًا إِلَّا رَجُلًا أَفْلَتَ وَرَجَعَ إِلَيْنَا.

قَالَ:وَمَضَيْنَا قَالَ: فَأَوَّلُ مَا رَأَيْتُ بَيَاضَ جَسَدِ عُتْبَةَ وَقَدْ قُتِلَ وَسُلِبَ، قَالَ: فَإِذَا بِصَدْرِهِ سِتُّ طَعَنَاتٍ - أَوْ سَبْعُ طَعَنَاتٍ - وَإِذَا يَدُهُ عَلَى فَرْجِهِ قَالَ:

فَدَفَنْتُهُ قَالَ مَخْلَدٌ: فَرَأَيْتُ شَابًّا جَاءَنَا بَعْدَ عُتْبَةَ لِسَنَةٍ قُتِلَ فِي الْمَنَامِ، قَالَ: قُلْتُ: مَا صَنَعَ اللهُ بِكَ.

قَالَ: أَلْحَقَنِي بِالشُّهَدَاءِ الْمَرْزُوقِينَ، قَالَ: قُلْتُ: أَخْبِرْنِي عَنْ عُتْبَةَ وَأَصْحَابِهِ لَكَ بِهِمْ عِلْمٌ، قَالَ: قَتْلَى قَرْيَةِ الْحُبَابِ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: إِنَّهُمْ مَعْرُوفُونَ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ[1].

معاليق إبليس

۞ قَالَ ثَابِتٌ الْبُنَانِيُّ: بَلَغَنَا أَنَّ إِبْلِيسَ ظَهَرَ لِيَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا عليهما السلام، فَرَأَى عَلَيْهِ مَعَالِيقَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ.

فَقَالَ لَهُ يَحْيَى: يَا إِبْلِيسُ، مَا هَذِهِ الْمَعَالِيقُ الَّتِي أَرَى عَلَيْكَ؟

قَالَ: هَذِهِ الشَّهَوَاتُ الَّتِي أُصِيبُ مِنْ بَنِي آدَمَ، قَالَ: فَهَلْ لِي فِيهَا شَيْءٌ؟

قَالَ: رُبَّمَا شَبِعْتَ، فَثَقَّلْنَاكَ عَنِ الصَّلَاةِ وَعَنِ الذِّكْرِ، قَالَ: فَهَلْ غَيْرُ هَذَا؟

قَالَ: لَا، قَالَ يَحْيَى: لِلَّهِ عَلَيَّ أَنْ لَا أَمْلَأَ بَطْنِي مِنْ طَعَامٍ أَبَدًا، قَالَ: فَقَالَ إِبْلِيسُ: لِلَّهِ عَلَيَّ أَنْ لَا أَنْصَحَ مُسْلِمًا أَبَدًا.[2].

---

(١) الحلية (٦/ ٢٢٤).

(٢) «جامع العلوم والحكم» لابن رجب (٢/ ٤٨١).

رُفع القلم عن ثلاثة

۞ عَنْ أَبِى ظَبْيَانَ الْجَنْبِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ قال:

أُتِىَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ بِامْرَأَةٍ قَدْ زَنَتْ فَأَمَرَ بِرَجْمِهَا، فَذَهَبُوا بِهَا لِيَرْجُمُوهَا فَلَقِيَهُمْ عَلِىٌّ فقَالَ: مَا لِهَذِهِ؟

فَقَالُوا: زَنَتْ، فَأَمَرَ عُمَرُ بِرَجْمِهَا، فَانْتَزَعَهَا (عَلِىٌّ) مِنْ أَيْدِيهِمْ وَرَدَّهُمْ، فَرَجَعُوا إِلَى عُمَرَ، فقَالَ: مَا رَدَّكُمْ؟ قَالُوا: رَدَّنَا (عَلِىٌّ).

قَالَ: مَا فَعَلَ هَذَا عَلِىٌّ إِلَّا لِشَىْءٍ قَدْ عَلِمَهُ، فَأَرْسَلَ إِلَى عَلِىٍّ: فَجَاءَ وَهُوَ شِبْهُ الْمُغْضَبِ، فقَالَ: مَا لَكَ رَدَدْتَ هَؤُلَاءِ؟

قَالَ: أَمَا سَمِعْتَ النَّبِىَّ ﷺ يَقُولُ: «**رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ: عَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ، وَعَنِ الصَّغِيرِ حَتَّى يَكْبُرَ، وَعَنِ المعتُوه حَتَّى يَعْقِلَ**»[1]؟

قَالَ: بَلَى، قَالَ عَلِىٌّ: هَذِهِ مُبْتَلَاةُ بَنِى فُلَانٍ، فَلَعَلَّهُ أَتَاهَا وَهُوَ بِهَا.

فَقَالَ عُمَرُ: لَا أَدْرِى.

قَالَ: وَأَنَا لَا أَدْرِى ... فَلَمْ يَرْجُمْهَا.

۞ «فلعله أتاها وهو بها»: يعنى لعل الفاعل أتاها فى وقتٍ كان بها البلاء، أى: الصرع، أو الجنون الذى كان ينوبها.

(١) صحيح: رواه أحمد والترمذى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٥١٤).

يدَّعى الجنون لينجو من الفتن

۞ لما كانت فتنة القول بأن القرآن مخلوق قد ابتُلى فيها كثيرٌ من أهل العلم فمنهم من أجابهم إلى ما أرادوا ومنهم من ثبت على القول بأن القرآن كلام الله وليس بمخلوق ... وعلى رأس هؤلاء الذين ثبتوا: إمام أهل السنة والجماعة الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ.

لكن هناك من كان يخشى على نفسه من الفتنة والعذاب فادَّعى أنَّه مجنون لكى ينجو من بطشهم.

۞ فعن منصور بن سعيد الرازى قال: حدثنا قاسم بن محمد بن عريب من ولد أبى أيوب الأنصارى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أُدخل عبادة المخنث على الواثق والناس يُضربون ويُقتلون فى الامتحان قال: فقلت: والله لئن امتحننى قتلنى فبدأته فقلت: أعظم الله أجرك أيها الخليفة فقال: فيمن؟ فقلت: فى القرآن قال: ويحك والقرآن يموت؟ قلت: نعم كل مخلوق يموت فإذا مات القرآن فى شعبان فبإيش يصلى الناس فى رمضان؟ فقال: أخرجوه فإنه مجنون.

عُقلاء المجانين

۞ كان بهلول من عقلاء المجانين، قال مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِى فُدَيْكٍ: سمعت بهلولًا فى بعض المقابر وقد دلَّى رجليه فى قبر وهو يلعب بالتراب، فقلت له: ما تصنع هاهنا؟

فقال: أجالس أقوامًا لا يؤذوننى، وإن غبت عنهم لا يغتابوننى، فقلت: قد غلا السعر بمرة فهل تدعو الله فيكشف؟ فقال: والله ما أبالى، ولو حبة بدينار، إن لله علينا أن نعبده كما أمرنا، وإن عليه أن يرزقنا كما وعدنا! ثم صفق يده وأنشأ يقول:

يا من تمتع بالدنيا وزينتها ... ولا تنام عن اللذات عيناهُ
شغلت نفسك فيما لست تدركه ... تقول لله ماذا حين تلقاهُ

۞ قال بعض الكوفيين: حَجَّ الرشيد فذكر بهلولًا حين دخل الكوفة فأمر بإحضاره وقال ألبسوه سوادًا وضعوا على رأسه قلنسوة طويلة وأوقفوه فى مكان كذا ففعلوا به ذلك وقالوا إذا جاء أمير المؤمنين فادعُ له، فلما حاذاه الرشيد رفع رأسه إليه وقال يا أمير المؤمنين اسأل الله أن يرزقك ويوسع عليك من فضله، فضحك الرشيد وقال آمين، فلما جازه الرشيد دفعه صاحب الكوفة فى قفاه وقال: أهكذا تدعو لأمير المؤمنين يا مجنون، قال بهلول اسكت ويلك يا مجنون فما فى الدنيا أحب إلى أمير المؤمنين من الدراهم، فبلغ ذلك الرشيد فضحك وقال: والله ما كذب.

۞ وحَدَّث على بن ربيعة الكندى قال: خرج الرشيد إلى الحج فلما كان بظاهر الكوفة إذ بصر بهلولًا المجنون على قصبة وخلفه الصبيان وهو يعدو

فقال من هذا، قالوا بهلول المجنون، قال كنت أشتهى أن أراه فادعوه من غير ترويع، فقالوا له أجب أمير المؤمنين، فعدا على قصبته، فقال الرشيد السلام عليك يا بهلول، فقال وعليك السلام يا أمير المؤمنين، قال: كنت إليك بالأشواق، قال لكنى لم أشتق إليك، قال عظنى يا بهلول، قال: وبِمَ أعظك ... هذه قصورهم وهذه قبورهم، قال زدنى فقد أحسنت، قال يا أمير المؤمنين: «من رزقه الله مالًا وجمالًا فعفَّ فى جماله وواسى فى ماله كُتب فى ديوان الأبرار».

فظن الرشيد أنه يريد شيئًا فقال قد أمرنا لك أن تقضى دَينك، فقال لا يا أمير المؤمنين لا يُقضى الدَّين بدين اردد الحق على أهله واقضِ دَين نفسك من نفسك، قال فإنا قد أمرنا أن يجرى عليك الرزق، فقال يا أمير المؤمنين أترى الله يعطيك وينسانىٰ؟ ثم ولَّى هاربًا.

وروى بإسناد آخر أنه قال للرشيد: يا أمير المؤمنين فكيف لو أقامك الله بين يديه فسألك عن النقير والفتيل والقطمير، قال فخنقته العَبرة فقال الحاجب حسبُك يا بهلول قد أوجعت أمير المؤمنين، فقال الرشيد دعه، فقال بهلول إنما أفسده أنت وأضرابك، فقال الرشيد أريد أن أصلك بصلة فقال بهلول رُدَّها على من أخذت منه، فقال الرشيد: فَحاجتك، قال: أن لا ترانى ولا أراك، ثم قال يا أمير المؤمنين حدثنا أيمن بن نائل عن قدامة بن عبد الله الكلابى قال: رأيت رسول الله ﷺ يرمى جمرة العقبة على ناقة له صهباء لا ضرب ولا طرد، ثم ولى بقصبته وأنشأ يقول:

فعدّك قد ملأت الأرض طرًا ... ودان لك العباد فكان ماذا

ألست تموت في قبرٍ ويحوي ... تراثك بعدُ هذا ثم هذا

إنَّ الله ﷻ قد تقبَّل نُسكك

۞ قال سلام بن سالم:

زَامَلْتُ الْفَضْلَ بْنَ عَطِيَّةَ إِلَى مَكَّةَ، فَلَمَّا رَحَلْنَا مِنْ فَيْدَ، أَنْبَهَنِى فِى جَوْفِ اللَّيْلِ، قُلْتُ: مَا تَشَاءُ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَنْ أُوصِىَ إِلَيْكَ، قُلْتُ: غَفَرَ اللهُ لِى وَلَكَ أَنْتَ صَحِيحٌ، فَجَزِعْتُ مِنْ قَوْلِهِ، فَقَالَ: لَتَقْبَلَنَّ مَا أَقُولُ لَكَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، فَأَخْبِرْنِى مَا حَمَلَكَ عَلَيْهَا هَذِهِ السَّاعَةَ؟ قَالَ: رَأَيْتُ فِى مَنَامِى مَلَكَيْنِ، فَقَالَا: إِنَّا أُمِرْنَا بِقَبْضِ رُوحِكَ، فَقُلْتُ: لَوْ أَخَّرْتُمَانِى إِلَى أَنْ أَقْضِى نُسُكِى؟ فَقَالَا: إِنَّ اللهَ ﷻ قَدْ تَقَبَّلَ مِنْكَ نُسُكَكَ، ثُمَّ قَالَ أَحَدُهُمَا لِلْآخَرِ: افْتَحْ أَصَابِعَكَ السَّبَّابَةَ وَالْوُسْطَى، فَخَرَجَ مِنْ بَيْنِهِمَا ثَوْبَانِ مَلَأَتْ خُضْرَتُهُمَا مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَقَالَا: هَذَا كَفَنُكَ مِنَ الْجَنَّةِ، ثُمَّ طَوَاهُ وَجَعَلَهُ بَيْنَ أُصْبُعَيْهِ،... فَمَا وَرَدْنَا الْمَنْزِلَ، حَتَّى قُبِضَ، فَإِذَا امْرَأَةٌ قَدِ اسْتَقْبَلَتْنَا وَهِىَ تَسْأَلُ الرِّفَاقَ: أَفِيكُمُ الْفَضْلُ بْنُ عَطِيَّةَ؟ فَلَمَّا انْتَهَتْ إِلَيْنَا.

قُلْتُ: مَا حَاجَتُكِ إِلَى الْفَضْلِ هَذَا زَمِيلِى؟ قَالَتْ: رَأَيْتُ فِى الْمَنَامِ أَنَّهُ يُصْبِحُنَا الْيَوْمَ رَجُلٌ مَيِّتٌ يُسَمَّى الْفَضْلَ بْنَ عَطِيَّةَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَشْهَدَ الصَّلَاةَ عَلَيْهِ [1].

(١) المنتظم (٨/ ١٨٠).

سماحة أخلاق خالد بن الوليد رضي الله عنه

۞ قتل خالد بن الوليد رضي الله عنه الملك (توما) زوج ابنة ملك الروم، وأسر زوجته.... فأقبل رجلٌ عجوزٌ فى ثوب الرهبان إلى خالد رضي الله عنه رسولًا من هرقل ملك الروم، يريد فداء ابنة الملك بالمال أو بالصُلح..

ووقف بين يدى خالد بن الوليد رضي الله عنه وقال: أنا رسول الملك (هرقل) وقد أرسلنى ليقول لك: بلغنى ما فعلت برجالى، وقتلتَ الملك (توما) زوج ابنتى، وأسرتَ ابنتى، فإما أن تبيع ابنتى أو تهديها إلىَّ، فالكرمُ من طَبْعِكُم. وأرجو أن يكون الصُّلح بيننا....فقال خالد بن الوليد رضي الله عنه: «والله لا أرجع حتى أفتح بلادكم وأملك عرشك، وما تحت قدميك، وأمَّا ابنتك فهى هدية لك منَّا»، وأطلق سراح ابنة الملك[1].

---

(١) انظر: «فتوح الشام» للواقدى (١/ ٩٠-٩١).

مروءة بمروءة

❁ قتلت قبيلةُ خزاعة (ولم تكُنْ أسلمتْ بعد، ولكنها كانت فى حِلْفِ النبى ﷺ طبقًا لصلح الحُديبية) الوليدَ بن الوليد بن المغيرة، وهو أخو خالد ابن الوليد رضي الله عنه القائد المسلم، وَهُمَا من قبيلة بنى مخزوم.

فطلبتْ قبيلة بنى مخزوم دية القتيل من قبيلة خُزاعة!!

وكان بُسْر بن سفيان أحد أشراف قبيلة خُزاعة فى مكة هو وابنه.

فلمَّا سَمِعَ بذلك أسرع إلى قبيلة بنى مخزوم وأعطاهم ابنه رهينه (ضمانًا) حتى يأتيهم بالدية.

فأتى القائد المسلم خالد بن الوليد رضي الله عنه إلى ابن بُسر بن سفيان، وأطعمهُ وكساهُ وطيَّبه بالمسكِ، وقال لَهُ: انطلق إلى أبيكَ يا غلام!!

فانطلق الغلام إلى أبيه، وأسرع (بُسرُ بن سفيان) يحمل الدِّيَة ردًّا على مروءة خالد[١].

الرحمة في أخذ الجزية

❁ قَدِمَ أحد عمَّال الجزية فى عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بأموال الجزية، فوجدها سيدنا عمر رضي الله عنه كثيرة، فقال لعامله: إنِّى لأظنكم قد أهلكتم الناس (أى أرهقتم الناس).

فقال: لا، والله ما أخذنا إلا عفوًا صفوًا (عفوًا: أى ما زاد عن الحاجة، وصفوًا: أى من خير المال وأحسنه، وبلا إرهاق للناس).

---

(١) الإمام ابن حجر العسقلانى (الإصابة فى تمييز الصحابة) (١/ ٢٩٣).

فقال عُمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: بلا سوط (أى بغير ضربهم وتعذيبهم بالسوط)، ولا نوط (أى تعليقهم وتعذيبهم)؟ فقال: نعم.

فقال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الحمدُ للهِ الذى لم يجعل ذلك على يدى ولا فى سلطانى[1].

۞ مَرَّ عُمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بباب قومٍ وعليه سائل يسأل (أى يتسول): شيخ كبير السن، ضرير البصر (كفيف).

فضرب عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَضُدَهُ مِنْ خلفهِ (العَضُدُ ما بين المرفقِ والكتِفِ)، وقال: مِنْ أَى أهل الكتاب أنتَ؟! فقال: يهودى.

قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فما ألجأكَ إلى ما أرى (أى التَّسَوُّل)؟!

قال: أسأل الجزية والحاجة والسن (أى أنه يتسول من أجل سداد الجزية وإشباع متطلبات معيشته).

فأخذ عُمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بيده، وذهب به إلى بيته، فأعطاهُ شيئًا من المنزل، ثم أرسل إلى خازن بيت المالِ، وقال: أُنظر هذا وضرباءه (أى ومن كان فى مثل ظروفه)..

ثم قال: واللهِ ما أَنْصَفْنَاهُ إِنْ أكلنا شَبِيبَتَهُ (شَبَابهُ) ثم نخذله (أى نتخلى عنهُ) عند هِرمه (كبَر سِنه)، ووضع عنهُ الجزية (أى أعفاه منها هو ومن كان فى مثل ظروفه)، وجعل لَهُ راتبًا شهريًّا يصرفه من بيت مال المسلمين[2].

---

(١) «الأموال» لأبى عبيد، (ص ٦٣)، انظر: «سماحة الإسلام» للدكتور عمر عبد العزيز قريشى، (٣/ ٢٦٢) سنة ١٩٩٩م.

(٢) الدكتور محمد الصادق عرجون، «الموسوعة فى سماحة الإسلام» (١/ ٤٣٠)، وكتاب «الخراج» للقاضى أبى يوسف، ص ٧١، ٧٢، ١٢٦.

لا تُكلِّفوهم ما لا يطيقون

۞ لم يكن المسلمون الفاتحون للبلاد غير الإسلامية جُباةً للمال، ولا مُستبيحين لدماء الآخرين، وإنما الهدف الرئيس لهم هو تبليغ رسالة الإسلام، ونشر تعاليمه السمحة، ومن يرفض الدخول فى الإسلام من أهل البلاد المفتوحة تُفْرض عليهم الجزية مقابل حماية جند المسلمين لهم ويُعفَى منها النساء والأطفال وغير القادرين، وقد كان المسلمون وقادتهم يضربون أروع الأمثلة فى استخدام هذا الحق بتسامح تشهد به الأعداء أنفسهم، ومن هذه الأمثلة:

۞ ما روى عن أبى عبيدة رضي الله عنه أنه أخذ الجزية من المدن التى فتحها بالشام، فلما عَلِمَ أن الروم تزحف لحربه رَدَّ الجزية إلى أصحابها؛ لأنه سينشغل بحرب الروم، ولن يستطيع أن يكفل الحماية للمدن التى أخذ منها الجزية، فإنه لم يأخذ منهم إلا فى مقابل ضمان الحماية لهم والدفاع عنهم.

وكان عمل أبى عبيدة رضي الله عنه مثار إعجاب أهل الكتاب وتقديرهم؛ لسماحته التى لم يروا مثلها من قبل، فأعانوا المسلمين على حرب الروم، وآزروهم حتى انتصروا عليهم[1].

۞ وحدث أن مَرَّ سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو بالشام بقومٍ أُقيموا فى الشمس.

فقال: ما شأن هؤلاء؟

فقيل له: إنهم أُقيموا فى الجزية (أى لامتناعهم عن أداء الجزية).

---

(١) انظر «الخراج» لأبى يوسف ص (٨)، «سماحة الإسلام» للدكتور أحمد محمد الحوفى، ص (٢٤١) بتصرف.

فكره ذلك سيدنا عمر رضي الله عنه وقال: وبأى شىء يعتذرون؟!

قالوا: إنهم يقولون لا نجد.

قال: دعوهم ولا تكلّفوهم ما لا يطيقون، ثم أمر فأخلى سبيلهم[١].

۞ وأعفى عمرو بن العاص رضي الله عنه بعض القبط من أداء الجزية، فقد جاءه أحدهم وقال له: إذا أخذتك إلى مكان قريب من السفن التى تصل إلى مكة، فهل تعفينى وأسرتى من الجزية؟ فوافقه عمرو[٢].

۞ واستعمل على بن أبى طالب رضي الله عنه رجلًا من ثقيف على يزرح سابور (بينها وبين بغداد عشرة فراسخ).

فقال له: لا تضربن سوطًا فى جباية درهم، ولا تبيعنَ لهم رزقًا ولا كسوة شتاءً ولا صيفًا، ولا دابة يعتملون عليها، ولا تقيمن رجلًا قائمًا فى طلب درهم.

فقال الثقفى: يا أمير المؤمنين، إذًا أرجع إليك كما ذهبت من عندك (أى يقصد أنه بهذا لن يجمع شيئًا من الجزية).

فقال الإمام على رضي الله عنه: يكفى أن نأخذ منهم العفو (يعنى الفضل)[٣].

---

(١) «الخراج» لأبى يوسف (ص ٧١)، «سماحة الإسلام» للدكتور أحمد محمد الحوفى، ص (٢٤٦).

(٢) «فتوح مصر» لابن عبد الحكم، (ص ١٦٦)، و «سماحة الإسلام» للدكتور أحمد محمد الحوفى، (ص ٢٤٦).

(٣) «الخراج» للقرشى (ص٧٥)، و«سماحة الإسلام» للدكتور أحمد محمد الحوفى (ص٢٤٧).

تيسير الأمور بقدر صلاح النية

۞ عن على بن محمد الحلوانى قال: كان إبراهيم الخواص جالسًا فى مسجد الرى وعنده جماعة إذ سمع ملاهى من الجيران، فاضطرب من ذلك من كان فى المسجد وقالوا: يا أبا إسحاق ما ترى؟ فخرج إبراهيم من المسجد نحو الدار التى فيها المنكر فلما بلغ طرف الزقاق إذا كلب رابض فلما قرب منه إبراهيم نبح عليه وقام فى وجهه، فرجع إبراهيم إلى المسجد وتفكَّر ساعة، ثم قام مبادرًا وخرج فمرَّ على الكلب فبصبص الكلب له فلما قرب من باب الدار خرج إليه شاب حسن الوجه وقال: أيها الشيخ لِمَ انزعجت؟ كنت وجهت ببعض من عندك فأبلغ لك كل ما تريد، وعلىَّ عهد الله وميثاقه لا شربت أبدًا... وكسر جميع ما كان عنده من الشراب وآلته وصحب أهل الخير ولزم العبادة.

ورجع إبراهيم إلى مسجده فلما جلس سُئل عن خروجه فى أول مرة ورجوعه، ثم خروجه فى الثانية وما كان من أمر الكلب، فقال: نعم إنما نبح علىَّ الكلب لفسادٍ كان قد دخل علىّ فى نيتى بينى وبين الله لم أنتبه له فى الوقت، فلما رجعت إلى الموضع ذكرته فاستغفرت الله عز وجل منه، ثم خرجت الثانية فكان ما رأيتم، وهكذا كل من خرج لإزالة منكر فتحرك عليه شىء من المخلوقات فلفساد نيته بينه وبين الله عز وجل، فإذا وقع الأمر على الصحة لم يتحرك عليه شىء[1].

---

(١) «صفة الصفوة» (٤/ ٣٠٦).

بكى الدماء خوفًا من الله (جلَّ وعلا)

۞ قال عبد الله بن الفرج العابد: كان بالموصل رجل نصراني يُكنَّى: أبا إسماعيل. قال: فمر ذات ليلة برجل، وهو يتهجد على سطحه وهو يقرأ: ﴿وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾[1] قال: فصرخ أبو إسماعيل صرخة غُشى عليه، فلم يزل على حاله تلك حتى أصبح، فلما أصبح أسلم، ثم أتى فتحًا الموصلى، فاستأذنه فى صحبته، فكان يصحبه ويخدمه.

قال: وبكى أبو إسماعيل حتى ذهبت إحدى عينيه وعشى من الأخرى، فقلت له ذات يوم: حدثنى ببعض أمر فتح الموصلى. قال: فبكى، ثم قال: أخبرك عنه: كان والله كهيئة الروحانيين، معلق القلب بما هناك، ليست له فى الدنيا راحة. قلت: على ما ذاك؟ قال: شهدت العيد ذات يوم بالموصل، ورجع بعد ما تفرق الناس ورجعت معه، فنظر إلى الدخان يفور من نواحى المدينة، فبكى ثم قال: قد قرب الناس قربانهم، فليت شعرى ما فعلت فى قربانى عندك أيها المحبوب؟ ثم سقط مغشيًّا عليه.

فجئت بماء فمسحت به وجهه فأفاق ثم مضى حتى دخل بعض أزقة المدينة فرفع رأسه إلى السماء ثم قال: قد علمت طول غمى وحزنى وترداى فى أزقة الدنيا، فحتى متى تحبسنى أيها المحبوب؟ ثم سقط مغشيًّا عليه فجئت بماء فمسحت على وجهه فأفاق. فما عاش بعد ذلك إلا أيامًا حتى مات رحمه الله[2].

---

(١) سورة آل عمران: الآية: (٨٣).

(٢) «صفة الصفوة» (٤/ ١٨٧).

وقال بعض أصحابه: دخلت عليه يومًا وقد مد كفيه يبكى، حتى رأيت الدموع من بين أصابعه تنحدر فدنوت منه لأنظر إليه فإذا دموعه قد خالطتها صفرة،. فقلت: بالله يا فتح بكيت الدم؟ فقال: لولا أنك حلفتنى بالله عز وجل ما أخبرتك، بكيت دمًا، فقلت: على ماذا بكيت الدموع؟ وعلى ماذا بكيت الدم؟ فقال: بكيت الدموع على تخلُّفى عن واجب حق الله عز وجل، وبكيت الدم على الدموع خوفًا أن تكون ما صحَّت لى الدموع.

قال الرجل: فرأيت فتحًا بعد موته فى المنام. فقلت: ما صنع الله بك؟ فقال: غفر لى قلت: فما صنع فى دموعك؟ فقال: قربنى ربى عز وجل وقال لى: يا فتح، الدمع على ماذا؟ قلت: يا رب على تخلفى عن واجب حقك قال: فالدم لِمَ بكيت؟ فقلت: يا رب على دموعى خوفًا أن لا تصح لى[1] فقال لى: يا فتح ما أردت بهذا كله؟ وعزتى لقد صعد إلىّ حافظاك أربعين سنة بصحيفتك ما فيها خطيئة[2].

---

(١) قال عبد الله بن أسعد اليافعى فى «روض الرياحين» (٢٥٧): أن لا تصح لى، معناه أن لا تُقبل منِّى.

(٢) «صفة الصفوة» (٤/ ١٨٨).

حاجتى أن يتوفانى على الإسلام

۞ وقال عليٌّ بن الحسن: كان رجل بالمصيصة ذاهبٌ نصفه الأسفل لم يبقَ منه إلا روحه فى بعض جسده، ضرير على سرير مثقوب فدخل عليه داخل ، فقال له: كيف أصبحت يا أبا محمد؟ قال: مَلِكُ الدنيا، منقطع إلى الله عز وجل ما لى إليه من حاجة إلا أن يتوفانى على الإسلام(١).

أريد أن أموت وأنا في مسجدي

۞ قَالَ عَطَاءٌ: دَخَلْنَا عَلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ حَبِيبٍ وَهُوَ يَقْضِى فِى مَسْجِدِهِ فَقُلْنَا: يَرْحَمُكَ اللهُ، لَوْ تَحَوَّلْتَ إِلَى فِرَاشِكَ قَالَ: حَدَّثَنِى مَنْ سَمِعَ، النَّبِىَّ ﷺ يَقُولُ: «**لَا يَزَالُ الْعَبْدُ فِى صَلَاةٍ مَا كَانَ فِى مُصَلَّاهُ يَنْتَظِرُ الصَّلَاةَ تَقُولُ الْمَلَائِكَةُ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ**»(٢) قَالَ: فَأُرِيدُ أَنْ أَمُوتَ وَأَنَا فِى مَسْجِدِى(٣).

وقَالَ عطاء: دخلنا على أبى عبد الرحمن السُّلَمى فى مرضه الذى مات فيه، قَالَ: فذهب بعض القوم يُرجِّيه، فقَالَ: أنا أرجو ربى، وقد صُمت له ثَمانين رمضانًا.

وَقَالَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ: «إِنَّ الْمَلَكَ يَجِىءُ إِلَى أَحَدِكُمْ غُدْوَةً بِصَحِيفَةٍ، فَلْيُمْلِ فِيهَا خَيْرًا، فَإِنَّهُ إِذَا أَمْلَى فِى أَوَّلِ الصَّحِيفَةِ خَيْرًا وَفِى آخِرِهَا خَيْرًا كَانَ عَسَى أَنْ يُكَفَّرَ مَا بَيْنَهُمَا»(٤).

---

(١) صفة الصفوة (٤/ ٢٨٧).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٦٥٩) كتاب الأذان، ومسلم (٦٤٩) كتاب المساجد.

(٣) طبقات ابن سعد (٦/ ١٧٤-١٧٥)، وتاريخ بغداد (٩/ ٤٣١).

(٤) الحلية (٤/ ١٩٢).

ارفع حاجتك إلى الله ﷻ

۞ عن عبد الرحمن بن إبراهيم الفهرى قال: أتى رجل بعض الأمراء فى طلب حاجةٍ فوجده ساجدًا يدعو ربه ﷻ، فقال: هذا يحتاج إلى غيره، فكيف أحتاج أنا إليه؟ لِمَ لا أرفع حاجتى إلى مَنْ لا تختلج الحوائج دونه.

قال: فسمعه الأمير، فلما رفع رأسه قال: علىَّ بالرجل، فأُتى به، فقال: أَعْطُوه عشرة آلاف، وقال: إنما أعطاك هذا مَنْ كنتُ أدعوه، وأنا ساجد، ومَنْ رجعت إليه[١].

قبَّل رجلى النبى ﷺ فى المنام فاتبع سُنته ونشرها

۞ عن أبى القاسم السمرقندى قَالَ: رَأَيْتُ النَّبِىَّ ﷺ فى النوم كأنه مريض وقد مَدَّ رجله فدخلت فجعلت أُقبِّل أخمص رجليه وأمرُّ وجهى عليهما، فحكيت هذا المنام لأبى بكر ابن الخاضبة فقال: أبشر يا أبا القاسم بطول البقاء وبانتشار الرواية عنك لأحاديث رسول الله ﷺ فإن تقبيل رجليه اتباع أثره، وأما مرض النبى ﷺ فوهن يحدث فى الإسلام ... فما أتى على هذا إلا قليل حتى وصل الخبر أن الإفرنج استولت على بيت المقدس.

وتوفى شيخنا إِسْمَاعِيل ليلة الثلاثاء سادس عشرين ذى القعدة عن اثنتين وثمانين سنة وثلاثة أشهر، ودُفن بباب حرب فى المقابر المنسوبة إلى الشهداء. وهذه المقبرة قريبة من قبر الإمام أحمد[٢].

---

(١) عيون الحكايات (ص ٤٩٨).

(٢) انظر «المنتظم» (١٠/ ٩٨).

أنتم عبيدى حقًّا

۞ قَالَ الْجُنَيْدُ: «بِتُّ لَيْلَةً عِنْدَ السَّرِىِّ، فَلَمَّا كَانَ بَعْضُ اللَّيْلِ قَالَ لِى: يَا جُنَيْدٍ أَنْتَ نَائِمٌ؟ قُلْتُ: لَا، قَالَ: السَّاعَةَ أَوْقَفَنِى الْحَقُّ بَيْنَ يَدَيْهِ وَقَالَ: يَا سَرِىُّ أَتَدْرِى لِمَ خلقتُ الْخَلْقَ؟ قُلْتُ: لَا، قَالَ: خَلَقْتُ الْخَلْقَ فَادَّعَوْا مَحَبَّتِى فَخَلَقْتُ الدُّنْيَا فَاشْتَغَل بِهَا مِنْ عَشَرَةِ آلَافٍ تِسْعَةُ آلَافٍ، وَبَقِىَ أَلْفٌ فَخَلَقْتُ الْجَنَّةَ فَاشْتَغَلَ تِسْعُمِائَةٍ بِالْجَنَّةِ، وَبَقِيَتْ مِائَةٌ فَسَلَّطْتُ عَلَيْهِمْ شَيْئًا مِنَ الْبَلَاءِ، فَاشْتَغَلُوا عَنِّى بِالْبَلَاءِ مِنَ الْمِائَةِ تِسْعُونَ، وَبَقِيَتْ عَشَرَةٌ فَقُلْتُ لَهُمْ: مَا أَنْتُمْ .. لَا الدُّنْيَا أَرَدْتُمْ، وَلَا فِى الْجَنَّةِ رَغِبْتُمْ، وَلَا مِنَ الْبَلَاءِ هَرَبْتُم قَالُوا: وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ؟ فَقَالَ: إِنِّى أُنْزِلُ بِكُمْ مِنَ الْبَلَاءِ مَا لَا تُطِيقُهُ الْجِبَالُ الرَّوَاسِى أفَتَثْبُتُونَ لِذَلِكَ؟ فَقَالُوا: أَلَسْتَ أَنْتَ الْفَاعِلَ بِنَا قَدْ رَضِينَا قُلْتُ: أَنْتُمْ عَبِيدِى حَقًّا»[1].

---

(١) أخرجها البيهقى فى شعب الإيمان (١/ ٣٧٤) (٤٣٦)، وابن عساكر فى تاريخ دمشق (٢٠/ ١٨٦).

تسبيحة أو تسبيحتان خيرٌ من الدنيا

۞ روى ابن أبى الدنيا بإسناده عن زيد بن نعامة قال:

هلكت جارية فى الطاعون فلقيها أبوها بعد موتها فى المنام فقال لها: يا بُنية أخبرينى عن الآخرة فقالت: يا أبتِ قَدِمنا على أمرٍ عظيم نعلم ولا نعمل وتعملون ولا تعلمون ... والله لتسبيحة أو تسبيحتان أو ركعة أو ركعتان فى عملى أحبُّ إلىَّ من الدنيا وما فيها.

ومَرَّ بعض السلف بالمقابر فقال: أصبح هؤلاء زاهدين فيما نحن فيه راغبون.

انقطاع العمل

۞ عن صفوان بن سُليم أنه كان فى جنازة فى نفر من العباد فلما صلى عليها قال صفوان: أما هذا قد انقطعت عنه أعماله واحتاج إلى دعاء مَن خُلِّف بعده فأبكى القوم جميعًا.

۞ وقال أبو وهب محمد بن مزاحم: قام رجل إلى ابن المبارك فى جنازة فسأله عن شىء. فقال له: يا هذا سبِّح فإنَّ صاحب السرير مُنع من التسبيح[١].

(١) «أهوال القبور» لابن رجب (ص ٣٩).

ركعتان خيرٌ من الدنيا وما فيها

۞ عن أبي قلابة قال: أقبلت من الشام إلى البصرة فنزلت الخندق فتطهرت وصليت ركعتين بالليل ثم وضعت رأسي على قبر فنمت ثم انتهيت فإذا صاحب القبر يشتكيني يقول لقد آذيتني منذ الليلة ثم قال: إنكم لا تعلمون ونحن نعلم ولا نقدر على العمل إن الركعتين اللتين ركعتهما خير من الدنيا وما فيها ثم قال: جزى الله أهل الدنيا خيرًا أَقرئهم منا السلام فإنه يدخل علينا من دعائهم نور مثل الجبال[1].

لا تزال مستمسكًا بالإسلام حتى تموت

۞ عَنْ قَيْسِ بْنِ عَبَّادٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَلاَمٍ، قَالَ:

رَأَيْتُ كَأَنِّي فِي رَوْضَةٍ، وَوَسَطَ الرَّوْضَةِ عَمُودٌ، فِي أَعْلَى العَمُودِ عُرْوَةٌ، فَقِيلَ لِي: ارْقَهْ، قُلْتُ: لاَ أَسْتَطِيعُ، فَأَتَانِي وَصِيفٌ فَرَفَعَ ثِيَابِي فَرَقِيتُ، فَاسْتَمْسَكْتُ بِالعُرْوَةِ، فَانْتَبَهْتُ وَأَنَا مُسْتَمْسِكٌ بِهَا، فَقَصَصْتُهَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «تِلْكَ الرَّوْضَةُ رَوْضَةُ الإِسْلاَمِ، وَذَلِكَ العَمُودُ عَمُودُ الإِسْلاَمِ، وَتِلْكَ العُرْوَةُ العُروة الوُثْقَى، لاَ تَزَالُ مُسْتَمْسِكًا بِالإِسْلاَمِ حَتَّى تَمُوتَ»[2].

---

(١) «أهوال القبور» لابن رجب (ص ٣٧).

(٢) صحيح: رواه البخاري (٧٠١٤).

أعمالك الصالحة تدافع عنك في قبرك

۞ عن كعب قال:

إذا وُضع العبد الصالح فى قبره احتوشته أعماله الصالحة؛ الصلاة، والصيام، والحج، والجهاد، والصدقة، قال: وتجىء ملائكة العذاب من قِبل رجليه فتقول الصلاة: إليكم عنه فقد أطال القيام لله عليهما قال: فيأتون من قِبل رأسه فيقول الصيام: لا سبيل لكم عليه فقد أطال ظمأه لله تعالى فى الدنيا، قال: فيأتون من قِبل جسده فيقول الحج والجهاد: إليكم عنه فقد أَنْصَب نفسه وأتعب بدنه، وحَجَّ وجاهد لله ﷻ لا سبيل لكم عليه.

قال: فيأتونه من قِبل يديه فتقول الصدقة: كُفُّوا عن صاحبى فكم مِن صدقة خرجت من هاتين اليدين حتى وقعت فى يد الله ﷻ ابتغاء وجهه فلا سبيل لكم عليه، فيقال: هنيئًا طيبًا حيًّا وميتًا، قال: ويأتيه ملائكة الرحمة فتفرش له فراشًا من الجنة ودثارًا من الجنة ويُفسح له فى قبره مَدَّ البصر ويُؤتَى بقنديل من الجنة فيستضىء بنوره إلى يوم يبعثه الله من قبره[1].

---

(١) «أهوال القبور» لابن رجب (ص ٣٢).

المسك يفوح من قبره

۞ وخرَّج ابن سعد فى «طبقاته» بإسناده عن أبى سعيد الخدرى قال: كنت فيمن حفر لسعد بن معاذ قبره بالبقيع وكان يفوح علينا المسك كلما حفرنا من قبره ترابًا حتى انتهينا إلى اللحد.

وبإسناده عن محمد بن شرحبيل بن حسنة قال: أخذ إنسان قبضة تراب من تراب سعد فذهب بها فنظر بعد ذلك فإذا هى مسك[١].

ياسمينه على صدر ميت

۞ وروى أبو بكر الخطيب بإسناده عن محمد بن مخلد الدورى الحافظ قال:

ماتت أمى فنزلت أُلحدها فانفرجت لى فُرجة عن قبر بِقُربها فإذا رجل عليه أكفان جُدد وعلى صدره طاقة ياسمين طرية فأخذتها فشممتها فإذا هى أزكى من المسك وشمَّها جماعة كانوا معى، ثم رددتها إلى موضعها وسددت الفرجة[٢].

(١)«أهوال القبور» لابن رجب (ص ٧٣).

(٢)«أهوال القبور» لابن رجب (ص ٧٢).

احفظوا عنى خمسًا

۞ قال على بن أبى طالب رضي الله عنه: أيها الناس، احفظوا عنى خمسًا، فلو شددتم إليها المطايا حتى تقضوها، لم تظفروا بمثلها: ألا لا يرجُوَنَّ أحدكم إلا ربه، ولا يخافنَّ إلا ذنبه، ولا يستحى أحدكم إذا لم يعلم أن يتعلم، وإذا سُئل العالِم عما لا يعلم، قال: لا أعلم، ألا وإن الخامسة الصبر، فإن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، ومن لا صبر له، لا إيمان له، ومن لا رأس له لا جسد له، ولا خير فى قراءة إلا بتدبُّر، ولا فى عبادة إلا بتفكُّر، ولا فى حلم إلا بعلم، ألا أنبئكم بالعالِم كل العالِم، من لم يُزين لعباد الله معاصى الله، ولم يُؤمِّنهم مكره، ولم يؤيسهم من رَوْحه.

كيف حالك؟

۞ وَرَوَى ابن أَبِى الدُّنيَا بِإِسْنَادِهِ عَنْ أَمينَة بِنْتِ عِمْرَانَ بْنِ يَزِيد قالت: رأيتُ أَبِى فِى مَنَامِى فَقُلْتُ: يَا أَبَتِ إِنَّهُ لَا عَهْدَ بِكَ مُنْذُ فَارَقْتَنَا، قَالَ: يَا بُنَيَّةُ فَكَيْفَ تَعْهَدِينَ مَنْ فَارَقَ الْحَيَاةَ وَصَارَ إِلَى ضِيقِ الْقُبُورِ وَظُلْمَتِهَا، قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا أَبَتِ كَيْفَ حَالُكَ مُنْذُ فَارَقْتَنَا؟ قَالَ: خَيْرُ حَالٍ يَا بُنَيَّةُ بُوِّئْنَا الْمَنَازِلَ وَمُهِّدَتْ لَنَا الْمَضَاجِعُ، نَحْنُ هَهُنَا يُغْدَى عَلَيْنَا وَيُرَاحُ بِرِزْقِنَا مِنَ الْجَنَّةِ، قَالَتْ: فَقُلْتُ فَمَا الَّذِى بَلَّغَكُمْ هَذَا؟ قَالَ: الضَّمِيرُ الصَّالِحُ وَكَثْرَةُ التِّلَاوَةِ لِكِتَابِ اللهِ عز وجل.

تلاقى الأرواح

۞ قال مسمع بن عاصم: حدّثنى رجل من آل عاصم الجحدرى قال: رأيت عاصمًا الجحدرى بعد موته بسنتين، فقلت: أليس قدْ مِتَّ؟ قال: بلى. فقلت: أين أنت؟ قال: أنا والله فى روضة من رياض الجنة أنا ونفر من أصحابى نجتمع كل ليلة جمعة وصبيحتها إلى بكر بن عبد الله المُزنى، فنتلاقى فى أخباركم قال: قلت أجسامكم أم أرواحكم؟ قال: هيهات بَليت الأجسام،وإنما تتلاقى الأرواح[1].



نحن عند رسول الله ﷺ

۞ عن أبى الفضل بن يعقوب العدل قال:

سمعت الثقة من أصحابنا يقول: رأيت أبا النضر[2] فى المنام بعد وفاته بسبع ليالٍ فقلت له: وصلت إلى ما طلبته؟

قال: أى والله نحن عند رسول الله ﷺ، وبِشر بن الحارث يحجبنا بين يديه ويرافقنا، فقلت له: كيف وجدت مصنفاتك فى الحديث؟

قال: قد عرضتها كلها على رسول الله ﷺ فرضيها[3].

---

(١) «صفة الصفوة» (٣/ ١٥١).

(٢) هو محمد بن محمد بن يوسف بن الحجاج – أبو النضر الطوسى– كان فقيهًا أديبًا عابدًا، يصوم النهار، ويقوم الليل، ويتصدق الليل، ويتصدق بالفاضل من قوته، ويأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، ورحل فى طلب الحديث. انظر المنتظم (١٤/ ١٠٠).

(٣) انظر «المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم» (١٤/ ١٠١) حوادث سنة ٣٤٤ هـ.

إنه لذو منزلة من رسول الله ﷺ

۞ عن الوليد بن مسلم قال: رأيت النبى ﷺ فى منامى فقلت: يا رسول الله عمَّن أكتب العلم؟ فقال: عن الأوزاعى.

۞ وعن الوليد بن مسلم يحدث قال: رأيت النبى ﷺ فى المنام فسلَّمت عليه، فقلت: يا رسول الله! ائذن لى فى تقبيل يديك، قال: «ومالك وتقبيل اليد؟ إنما تقبيل اليد من شغل الأعاجم» ثم قام النبى ﷺ فى مصلى ذلك البيت يصلى، قال الوليد: فحانت منى التفاتة، فإذا أنا بالأوزاعى قائم فى مصلى النبى ﷺ.

۞ وعن عمرو بن أبى سلمة قال: سمعت الوليد بن مسلم يُحدث قال رأيت فى المنام كأنى دُفعت إلى النبى ﷺ وإذا شيخ جالس إلى جنب النبى ﷺ، وإذا الشيخ مُقبل على النبى ﷺ يحدثه، وإذا النبى ﷺ مقبل على الشيخ يسمع حديثه، قال: فسلمت على النبى ﷺ فردَّ علىَّ السلام، ثم جلست إلى بعض الجلساء فقلت للذى جلست إليه: من ذا الشيخ الذى قد أقبل على النبى ﷺ وهو يسمع حديثه؟ قال: وما تعرف هذا؟ قال: قلت: لا، قال: هذا عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعى، قال: قلت: إنه لذو منزلة من رسول الله ﷺ، قال: نعم[1].

---

(١) انظر تاريخ دمشق (٣٥/ ١٩٢)، والحلية (٦/ ١٤٢)، والسير (٧/ ١١٨).

وشهد شاهد من أهلها

۞ كل أمة تدَّعى أنها الأفضل والأكمل، وغيرها أهل حمقٍ وجهل، فاليهود يدَّعون ذلك، والنصارى كذلك، والذين لا يعلمون وهم العرب فى الجاهلية يدَّعون هذه الدعوى:

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾[1].

وقد أورد ابن القيم فى كتابه [مفتاح دار السعادة: ١/ ٣٦٦] قصة فى هذا المعنى، فقال: «يُحكى أن جماعة من النصارى تحدّثوا بينهم، فقال قائل منهم: ما أقلّ عقول المسلمين! يزعمون أن نبيهم كان راعى الغنم، فكيف يصلح راعى الغنم للنبوة؟ فقال له آخر من بينهم: أما هم فو الله أعقل منا، فإن الله بحكمته يسترعى النبى الحيوان البهيم، فإذا أحسن رعايته والقيام عليه نقله منه إلى رعاية الحيوان الناطق؛ حكمة من الله وتدريجًا لعبده، ولكن نحن جئنا إلى مولود خرج من امرأة يأكل، ويشرب، ويبول، ويبكى، فقلنا: هذا إلهنا الذى خلق السموات والأرض! فأمسك القوم عنه».

---

(١) سورة البقرة: الآية: ١١٣.

الحقائق السبع

۞ عَنْ زَافِرِ بْنِ سُلَيْمَانَ ، قَالَ:

قَالَ عَوْنُ بْنُ عَبْدِ اللهِ: قَالَ لُقْمَانُ الْحَكِيمُ لِابْنِهِ: «الْإِيمَانُ سَبْعُ حَقَائِقَ ، وَلِكُلِّ حَقِيقَةٍ مِنْهَا حَقِيقَةٌ ، الْيَقِينُ ، وَالْمَخَافَةُ ، وَالْمَعْرِفَةُ ، وَالْهُدَى ، وَالْعَمَلُ ، وَالتَّفَكُّرُ ، وَالْوَرَعُ ،... فَحَقِيقَةُ الْيَقِينِ الصَّبْرُ ، وَحَقِيقَةُ الْمَخَافَةِ الطَّاعَةُ ، وَحَقِيقَةُ الْمَعْرِفَةِ الْإِيمَانُ وَحَقِيقَةُ الْهُدَى الْبُصَيْرَةُ ، وَحَقِيقَةُ الْعَمَلِ النِّيَّةُ وَحَقِيقَةُ التَّفَكُّرِ الْفِطْنَةُ ، وَحَقِيقَةُ الْوَرَعِ الْعَفَافُ»[١].

ألا تحب أن تَلْقَى مَن تطيع؟

۞ كان أبو عبد الله النباجى يقول فى مناجاته:

إنك لتعلم أنى لو خيَّرتنى بين أن تكون لى الدنيا منذ يوم خُلقتْ أتنعم فيها حلالًا، ولا تسألنى عنها يوم القيامة، وبين أن تخرج نفسى الساعة، لاخترت أن تخرج نفسى الساعة... فقيل له: لماذا.

فقال: ألا تحب أنك تلقى مَن تطيع[٢].

قال ﷺ: «**مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ، أَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ، كَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ**»[٣].

(١) كتاب «اليقين» لابن أبى الدنيا (٢٨).

(٢) استنشاق نسيم الأنس (ص/ ١٣٤) لابن رجب الحنبلى.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٦٥٠٧)، ومسلم (٢٦٨٣).

يُصلب وهو يذكر الله (جلَّ وعلا)

۞ قَالَ إِبْرَاهِيمُ مُؤَذِّنُ بَنِى حَنِيفَةَ:

«أَمَرَ الْحَجَّاجُ بِمَاهَانَ أَنْ يُصْلَبَ[1] عَلَى بَابِهِ. قَالَ: وَرَأَيْتُهُ حِينَ رُفِعَ عَلَى خَشَبَتِه يُسَبِّحُ وَيُهَلِّلُ وَيُكَبِّرُ وَيَعْقِدُ بِيَدِهِ حَتَّى بَلَغَ تِسْعًا وَعِشْرِينَ. قَالَ: وَطَعَنَهُ الرَّجُلُ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ، قَالَ: فَلَقَدْ رَأَيْتُهُ بَعْدَ شَهْرٍ مَعْقُودًا بِيَدِهِ تِسْعَةً وَعِشْرِينَ، قَالَ: وَكُنَّا نَرَى عِنْدَهُ الضَّوْءَ بِاللَّيْلِ شِبْهَ السِّرَاجِ»[2].

إن الأرض لتبكي من رجلٍ وتبكي على رجلٍ

۞ قال محمد بن كعب رَحِمَهُ اللهُ:

إِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا، جَعَلَ فِيهِ ثَلَاثَ خِصَالٍ: فِقْهًا فِى الدِّينِ، وَزَهَادَةً فِى الدُّنْيَا، وَبَصَرًا بِعُيُوبِهِ[3]. قَالَ: «إِنَّ الْأَرْضَ لَتَبْكِى مِنْ رَجُلٍ، وَتَبْكِى عَلَى رَجُلٍ، تَبْكِى عَلَى مَنْ كَانَ يَعْمَلُ عَلَى ظَهْرِهَا بِطَاعَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَتَبْكِى مِمَّنْ كَانَ يَعْمَلُ عَلَى ظَهْرِهَا بِمَعْصِيَةِ اللهِ تَعَالَى»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ﴾[4][5].

---

(١) وسبب قتله إظهاره على الظلمة الإنكار، فأُلصقت به تهمة المروق على الدين، وأنه خارجى انظر الحلية (٤/ ٣٦٤)، وتهذيب الكمال (٢٤/ ١٧١).

(٢) الحلية (٤/ ٣٦٤).

(٣) حلية الأولياء (٣/ ٢١٣)، صفة الصفوة (٢/ ١٣٢).

(٤) سورة الدخان: الآية: (٢٩).

(٥) حلية الأولياء (٣/ ٢١٣).

ما أهون الخلق على الله ﷻ إذا تركوا أمره

۞ قَالَ جُبَيْرُ بْنُ نُفَيْرٍ: لَمَّا فُتِحَتْ قُبْرُصُ فُرِّقَ بَيْنَ أَهْلِهَا فَبَكَى بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ، وَرَأَيْتُ أَبَا الدَّرْدَاءِ جَالِسًا وَحْدَهُ يَبْكِي، فَقُلْتُ: يَا أَبَا الدَّرْدَاءِ، مَا يُبْكِيكَ فِي يَوْمٍ أَعَزَّ اللهُ فِيهِ الْإِسْلَامَ وَأَهْلَهُ؟ قَالَ: «وَيْحَكَ يَا جُبَيْرُ مَا أَهْوَنَ الْخَلْقِ عَلَى اللهِ إِذَا هُمْ تَرَكُوا أَمْرَهُ.. بَيْنَمَا هِيَ أُمَّةٌ قَاهِرَةٌ ظَاهِرَةٌ لَهُمُ الْمُلْكُ تَرَكُوا أَمْرَ اللهِ فَصَارُوا إِلَى مَا تَرَى»[1].

هل رأيت حبيبًا يُعذِّب حبيبه؟

۞ قَالَ أَحْمَد ابْن أَبِي الحوارى:

دخلت عَلَى أَبِي سُلَيْمَان يومًا وَهُوَ يبكي فَقُلْتُ لَهُ: مَا يبكيك؟ فَقَالَ: يا أَحْمَد وَلِمَ لا أبكي؟.. إذا جَنَّ الليل ونامت العيون وخلا كُل حبيبٍ بحبيبه وافترش أهل المحبة أقدامهم وجرتْ دموعهم عَلَى خدودهم وتقطرت فِي محاريبهم أشرف الجليل سبحانه وتعالى، فنادى يا جبريل بعيني مَن تلذذ بكلامي واستراح عَلَى ذكري وإني لمُطلع عَلَيْهِم فِي خلواتهم أسمع أنينهم وأرى بكاءهم، فلِمَ لا تنادي فيهم يا جبريل مَا هَذَا البكاء؟ هل رأيت حبيبًا يعذب أَحِبَّاءه؟ أم كَيْفَ يجمل بي أَن آخذ قومًا إِذَا جَنَّهم الليل تملَّقوا لي، فبي حلفت إنهم إِذَا وردوا عَلَيَّ يَوْم الْقِيَامَة لأكشفن لَهُمْ عَن وجهي الكريم حَتَّى ينظروا إليَّ وأنظر إليهم[2].

---

(١) الحلية (٤/ ٢١٦-٢١٧)، وتاريخ ابن عساكر (١٣/ الورقة ٣٨٩).

(٢) الرسالة القشيرية (١/ ٩٧-٩٨)، ومناقب الأبرار الورقة (٦٣/ أ و٦٤/ ب)، وتاريخ ابن عساكر (٩/ الورقة ٤١٥/ أ).

لو فارق ذكر الموت قلبي ساعة لخشيت أن يفسد عليَّ قلبي

۞ قَالَ خَلَفُ بْنُ حَوْشَبٍ:

كُنْتُ مَعَ ابْنِ أَبِي رَاشِدٍ فِي جَبَّانَةٍ، فَقَرَأَ رَجُلٌ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ ﴾[1] . فَقَالَ رَبِيعُ بْنُ أَبِي رَاشِدٍ: حَالَ ذِكْرُ الْمَوْتِ بَيْنِي وَبَيْنَ كَثِيرٍ مِمَّا أُرِيدُ مِنَ التِّجَارَةِ، وَلَوْ فَارَقَ ذِكْرُ الْمَوْتِ قَلْبِي سَاعَةً، لَخَشِيتُ أَنْ يَفْسَدَ عَلَيَّ قَلْبِي، وَلَوْلا أَنْ أُخَالِفَ مَنْ كَانَ قَبْلِي، لَكَانَتِ الْجَبَّانَةُ مَسْكَنِي حَتَّى أَمُوتَ .

وفي رواية: قَالَ خَلَفٌ: قَالَ لِي الرَّبِيعُ بْنُ أَبِي رَاشِدٍ: اقْرَأْ عَلَيَّ، فَقَرَأْتُ عَلَيْهِ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ ﴾. فَقَالَ: «لَوْلَا أَنْ تَكُونَ بِدْعَةٌ لَسِحْتُ - أَوْ هِمْتُ فِي الْجِبَالِ».

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ ذَرٍّ: قَالَ الرَّبِيعُ بْنُ أَبِي رَاشِدٍ وَرَأَى رَجُلًا مَرِيضًا يَتَصَدَّقُ بِصَدَقَةٍ يَقْسِمُهَا بَيْنَ جِيرَانِهِ فَقَالَ: الْهَدَايَا أَمَامَ الزِّيَارَةِ، فَلَمْ يَلْبَثِ الرَّجُلُ إِلَّا أَيَّامًا حَتَّى مَاتَ، فَبَكَى عِنْدَ ذَلِكَ الرَّبِيعُ وَقَالَ: «أَحَسَّ وَاللهِ بِالْمَوْتِ، وَعَلِمَ أَنَّهُ لَا يَنْفَعُهُ مِنْ مَالِهِ إِلَّا مَا قَدَّمَ بَيْنَ يَدَيْهِ».

وقَالَ سُفْيَانُ: «لَمْ يَكُنْ بِالْكُوفَةِ رَجُلٌ أَكْثَرُ ذِكْرًا لِلْمَوْتِ مِنَ الرَّبِيعِ بْنِ أَبِي رَاشِدٍ» قَالَ: وَسَمِعْتُ سُفْيَانَ يَقُولُ: «إِنْ كَانَ الرَّبِيعُ بْنُ أَبِي رَاشِدٍ مِنَ الْمَوْتِ لَعَلَى حَذَرٍ»[2] .

---

(١) سورة الحج: الآية: (٥).

(٢) حلية الأولياء (٥/ ٧٧).

مرحبًا برسول رسول الله ﷺ

۞ عن أَبى عَبْدِ اللهِ الْفَرَاوِىُّ قَالَ:

قَدِمَ أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ عَسَاكِرَ فقَرَأَ عَلَىَّ ثلاثَةَ أَيَّام، فَأَكْثَرَ وَأَضْجَرَنِى، وَآلَيْتُ عَلَى نَفْسِى أَنْ أُغْلِقَ الْغَدَّ بَابِى وَأَمْتَنِعَ، فَلَمَّا أَصْبَحْتُ قَدِمَ عَلَىَّ شَخْصٌ فقَالَ: أَنَا رَسُولُ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَيْكَ. قُلْتُ: مَرْحَبًا بِرَسُولِ رَسُولِ اللهِ ﷺ. فقَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِى النَّوْم فَقَالَ لِى: امْضِ إِلَى الْفَرَاوِىِّ وَقُلْ لَهُ: قَدِمَ بَلَدَكُمْ رَجُلٌ مِنَ الشَّامِ أَسْمَرُ اللَّوْنِ يَطْلُبُ الْحَدِيث، فَلا يَأْخُذْكَ مِنْهُ ضَجَرٌ ولا ملل.

قال القزوينىّ: فو الله ما كان الفراوى يقوم من المجلس حتّى يقوم الحافظ ابتداءً منه.

۞ وقال ابنه القاسم أَبُو مُحَمَّد الحافظ: كان رَحِمَهُ اللهُ مواظبًا على صلاة الجماعة وتلاوة القرآن. يختم فِى كلّ جمعة، ويختم فِى رَمَضَان كلّ يوم، ويعتكف فِى المنارة الشّرقيّة، وكان كثير النّوافل والأذكار. وكان يُحيى ليلة النّصف والعيدَين بالصّلاة والذكر، وكان يحاسب نفسه على لحظة تذهب فِى غير طاعة.

وقال لى: لمّا حَمَلَتْ بى أمّى رأت فِى منامها قائلًا يقول لها: تَلدين غلامًا يكون لَهُ شأن.

وحدّثنى أنّ أَبَاهُ رَأَى رؤيا معناها: يولدُ لك ولد يُحيى الله به السُّنة[1].

(١) انظر: «تاريخ الإسلام» (١/ ٤٠٣١).

أرجو أن تكون منهم

۞ قال ثابتٌ: قال مطرفٌ:

إنى لأستلقى من الليل على فراشى فأتدبر القرآن كله، فأعرض نفسى على أعمال أهل الجنة فأرى أعمالهم شديدة ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ﴾[1] ﴿يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمۡ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا﴾[2]، ﴿أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا﴾[3]، فلا أرى صفتى فيهم، فأعرض نفسى على أعمال أهل النار، قالوا: ﴿مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمۡ نَكُ مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمۡ نَكُ نُطۡعِمُ ٱلۡمِسۡكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلۡخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلۡيَقِينُ﴾[4]، فأرى القوم مكذبين، فلا أرانى فيهم، ... فأمرُّ بهذه الآية: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعۡتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمۡ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[5]، فأرجو أن أكون أنا وأنتم يا إخوتاه منهم.[6].

۞ وقال ثابت: كان مطرف يقول: يا إخوتى، اجتهدوا فى العمل، فإن يكن الأمر كما نرجو من رحمة الله وعفوه كانت لنا درجات فى الجنة، وإن يكن الأمر شديدًا كما نخاف ونُحاذر لم نقل: ربنا ﴿أَخۡرِجۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ﴾[7].

---

(١) سورة الذاريات: الآية: (١٧).

(٢) سورة الفرقان: الآية: (٦٤).

(٣) سورة الزمر: الآية: (٩).

(٤) سورة المدثر: الآيات: (٤٢-٤٧).

(٥) سورة التوبة: الآية: (١٠٢).

(٦) حلية الأولياء (٢/ ١٩٨)، مختصر تاريخ دمشق (٢٤/ ٣٤٦).

(٧) سورة فاطر: الآية: (٣٧).

نقول: قد عملنا فلم ينفعنا ذلك[١].

۞ وَقَالَ أَبُو عُقَيْلٍ الدَّوْرَقِيُّ قَالَ: كَانَ مُطَرِّفٌ يَبْدُو ، فَإِذَا كَانَتْ لَيْلَةُ الْجُمُعَةِ جَاءَ لِيَشْهَدَ الْجُمُعَةَ، فَبَيْنَا هُوَ يَسِيرُ فِي وَجْهِ الصُّبْحِ سَطَعَ مِنْ رَأْسِ سَوْطِهِ نُورٌ لَهُ شُعْبَتَانِ، فَقَالَ لابْنِهِ عَبْدِ اللهِ وَهُوَ خَلْفَهُ:

أَتُرَانِي لَوْ أَصْبَحْتُ فَحَدَّثْتُ النَّاسَ بِهَذَا كَانُوا يُصَدِّقُونِي؟ فَلَمَّا أَصْبَحَ ذَهَبَ[٢].

۞ وَقَالَ غَيْلَانُ بْنُ جَرِيرٍ: أَقْبَلَ مُطَرِّفٌ مَعَ ابْنِ أَخٍ لَهُ مِنَ الْبَادِيَةِ وَكَانَ يَبْدُو، فَبَيْنَا هُوَ يَسِيرُ سَمِعَ فِي طَرَفِ سَوْطِهِ كَالتَّسْبِيحِ فَقَالَ لَهُ ابْنُ أَخِيهِ: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ لَوْ حَدَّثْنَا النَّاسَ بِهَذَا كَذَّبُونَا فَقَالَ مُطَرِّفٌ: «الْمُكَذِّبُ أَكْذَبُ النَّاسِ»[٣].

وكان يقول في دعائه: «اللهُمَّ إِنِّي أَسْتَغْفِرُكَ مِمَّا تُبْتُ إِلَيْكَ مِنْهُ ثُمَّ عُدْتُ إِلَيْهِ، وَأَسْتَغْفِرُكَ مِمَّا جَعَلْتُهُ لَكَ عَلَى نَفْسِي ثُمَّ لَمْ أَفِ بِهِ، وَأَسْتَغْفِرُكَ مِمَّا زَعَمْتُ أَنِّي أَرَدْتُ بِهِ وَجْهَكَ فَخَالَطَ قَلْبِي فِيهِ مَا قَدْ عَلِمْتَ»[٤].

---

(١) مختصر تاريخ دمشق (٢٤/ ٣٤٦).

(٢) طبقات ابن سعد (٧/ ١٤٤)، حلية الأولياء (٢/ ٢٠٥)، مختصر تاريخ دمشق (٢٤/ ٣٤٩).

(٣) حلية الأولياء (٢/ ٢٠٥).

(٤) حلية الأولياء (٢/ ٢٠٧)، مختصر تاريخ دمشق (٢٤/ ٣٤٩).

لا تُعزوني ولكن هنئوني

۞ قَالَ عَلِيُّ بْنُ خَشْرَمٍ:

سَمِعْتُ بِشْرَ الْحَافِيَ ، قَالَ لَهُ رَجُلٌ: مَا لِى أَرَاكَ عَاشِقًا لِلْمُعَافَى بْنِ عِمْرَانَ؟ فَقَالَ: مَا لِى لَا أَعْشَقُهُ وَكَانَ الثَّوْرِىُّ يُسَمِّيهِ الْيَاقُوتَةَ، قَالَ: وَحَضَرْتُهُ يَوْمًا فَنُعِيَ إِلَيْهِ ابْنَاهُ فَمَا حَلَّ حَبْوَتَهُ حَتَّى قَالَ: ظَالِمِينَ أَوْ مَظْلُومِينَ؟ فَقِيلَ: مَظْلُومِينَ فَحَلَّ حَبْوَتَهُ وَخَرَّ سَاجِدًا ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: كَيْفَ كَانَ قِصَّتُهُمَا؟

فَجَاءَ إِخْوَانُهُ يُعَزُّونَهُ من الغد، فقال لهم: إن كنتم جئتم لتُعزونى فلا تُعزونى، ولكن هنئونى، قَالَ: فهنؤوه، فما برحوا حتى غدّاهم وغلّفهم بالغالية-أى: بالعطر-[1].

وقال بشر: كان المعافى صاحب كَمَد -حزن-، أُصيب بابنين له قُتلا وأُصيب بماله، فما رُئى عليه أثر حزن ولا سُمع فى داره صوت.

قال: وَكَانَ ابْن المبارك يقول: حدثنى ذاك الرجل الصالح،... يعنى المعافى ابن عِمران[2].

---

(١) حلية الأولياء (٨/ ٢٨٨)، تاريخ بغداد (١٣/ ٢٢٨)- والغالية: الطِّيب.

(٢) تاريخ بغداد (١٣/ ٢٢٨).



إنْ صَدَقناكم قتلتمونا وإن كَذَبناكم خشينا الله

۞ قال معاوية بن قُرة رَحِمَهُ اللهُ:

«أَدْرَكْتُ سَبْعِينَ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ لَوْ خَرَجُوا فِيكُمُ الْيَوْمَ مَا عَرَفُوا شَيْئًا مِمَّا أَنْتُمْ عَلَيْهِ الْيَوْمَ إِلَّا الْأَذَانَ»(١).

۞ وقَالَ سُفْيَانُ: قَدِمَ الْحَجَّاجُ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ وَافِدًا، وَمَعَهُ مُعَاوِيَةُ بْنُ قُرَّةَ، فَسَأَلَ عَبْدُ الْمَلِكِ مُعَاوِيَةَ عَنِ الْحَجَّاجِ، فَقَالَ: «إِنْ صَدَقْنَاكُمْ قَتَلْتُمُونَا، وَإِنْ كَذَبْنَاكُمْ خَشِينَا اللهَ» ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ الْحَجَّاجُ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ: لَا تَعْرَّضْ لَهُ، فَنَفَاهُ الْحَجَّاجُ إِلَى السِّنْدِ، وَكَانَ يُذْكَرُ مِنْ بَأْسِهِ(٢).

۞ وقال جعفر بن عبد الله: قال لي معاوية بن قرة يومًا: كُنَّا لا نحمدُ ذا فضلٍ لا يفضل عنه فضلُه، فصرْنا اليوم نحمَدُ ذا شرٍّ لا يفضُلُ عنه شرُّه. ثم قال لي: لا تطلب من الناس اليوم الخير، اطلب منهم كفَّ الأذى، فمن كفَّ أذاه عنك اليوم فهو بمنزلة من كان يُعطيك الجوائز(٣).

۞ وقال مسلم: لقيني معاوية بن قُرة وأنا جاءٍ من الكلأ فقال لي: ما صنعت؟ فقلت: اشتريت لأهلي كذا وكذا. قال: وأصبتَ من حلال؟ قلت: نعم. قال: لأن أغدو فيما غدوت به أحب إليَّ من أن أقوم الليل وأصوم النهار(٤).

---

(١) حلية الأولياء (٥/ ٧٧).

(٢) مختصر تاريخ دمشق (٢٥/ ١٠٣).

(٣) مختصر تاريخ دمشق (٢٥/ ١٠٤).

(٤) حلية الأولياء (٢/ ٣٠٠).

لا تُحيي ذكرى الحجاج

۞ لما مات الوليد بن عبد الملك وتولَّى أخوه سليمان عزل يزيد بن أبى مسلم الثقفى، واستحضره، فرآه دميمًا كبير البطن، قبيح الوجه، قال: لعن الله من أشركك فى أمانته، وحكَّمك فى دينه، فقال: يا أمير المؤمنين لا تقل، فإنك رأيتنى والأمور مُدبرة عنى، ولو رأيتنى وهى مُقبلة علىَّ، لاستعظمت ما استصغرت، ولاستجللت ما احتقرت، فقال سليمان: قاتله الله ما أشد عقله، وأعذب لسانه.

ثم قال سليمان: يا يزيد أترى صاحبك الحجَّاج يهوِى بعدُ فى نار جهنم أم قد استقر فى قعرها؟ فقال: لا تقل ذلك يا أمير المؤمنين، فإن الحجَّاج عادى عدوكم ووالى وليكم، وبذل مُهجته لكم، فهو يوم القيامة عن يمين عبد الملك، وعن يسار الوليد، فاجعله حيث أحببت. وفى رواية أخرى: يُحشر بين اثنين أبيك وأخيك، فضعهما حيث شئت. قال سليمان: قاتله الله أَوفَى لصاحبه، إذا اصطنعت الرجال فلتصنع مثل هذا؟ فقال بعض الحاضرين: اقتله يا أمير المؤمنين، فقال يزيد: مَن هذا؟ قالوا فلان ابن فلان، فقال: والله لقد بلغنى أن أمه ما كان يوارى شعرها أذنيها، فما تمالك سليمان أن ضحك وأمر بتخليته.

ثم كشف عنه سليمان فلم يجد له خيانة فى دينار ولا درهم، فهمَّ باستكتابه فقال له عمر بن عبد العزيز: أنشدك الله يا أمير المؤمنين أن تُحيى ذكرى الحجاج باستكتابك كاتبه، فأعلمه سليمان أنه لم يَخُن قط فى دينار ولا درهم، فأجابه عمر بأن إبليس لم يخن فيهما، وقد أهلك هذا الخلق،... فتركه سليمان[1].

---

(١) مرآة الجنان (١/ ١٦٩).

ليس للدنيا مكان في قلبه

۞ قال ابن السماك رحمه الله تعالى: وُصِف لى رجل من كبار العُبَّاد، فذَهَبتُ إلى زيارته، فقال: يا ابن السماك، ما الذى أوردك بهذا المكان؟ قلت: سمعت بأمرك فأحببت زيارتك فقال لى: غرَّك مَن أخبرك، أنا أَعرَفُ بنفسى من غيرى، فالسعيد يا ابن السماك من اجتهد فى الفكاك قبل الهلاك. فلما سمعتُ كلامه بكيت، فلما أن عزمتُ على الرجوع، قلت له: هل لك من حاجة تُشرِّفنى بها؟ فقال: من جلس فى هذا المكان لم تبقَ له حاجة إلى إنسان. قلت: له: سألتك بالله أخبرنى ما تحب من الدنيا والآخرة؟ فبكى، وقال: والله ما أحب شيئًا، ولكن لولا أقسمت علىَّ ما أخبرتك، أما الذى أُحبه من أمر الدنيا فقوة على العمل بالطاعة، ونفس بعيدة عن الهوى، وقلب حَشوُهُ الخوف والوجل. وأما الذى أُحبه من أمر الآخرة فسماعى من سيدى: اذهب فقد غفرت لك.

بكاء الصالحين

۞ عن عبد الرحمن بن مالك بن مغول قال: بكى أُسيد الضَّبى حتى عَمِىَ، وكان إذا عوتب على البكاء قال: الآن حين لا أهدأ وأنا أموت غدًا؟ والله لأبكين ثم لأبكين، فإن أدركت بالبكاء خيرًا فَبمنٍّ الله وفضله علىَّ، وإن تكن الأخرى فما بكائى فى جنب ما ألقى غدًا؟ قال: فكان ربما بكى حتى يتأذى به جيرانه من كثرة بكائه [1].

(١) صفة الصفوة (٣/ ٩٤).

هذا هو الغريب

۞ قال أبو الحسن العتكى: سمعت إبراهيم الحربى يقول لجماعة عنده: مَن تعدُّون الغريبَ فى زمانكم هذا؟ فقال واحد منهم: الغريب من نأى عن وطنه، قال آخر: الغريب من فارق أحبابه، وقال كل واحدٍ منهم شيئًا... فقال إبراهيم: الغريب فى زماننا رجلٌ صالح عاش بين قوم صالحين، إنْ أمر بالمعروف آزروه، وإن نهى عن المنكر أعانوه، وإن احتاج إلى شىء من الدنيا مانُوه، ثم ماتوا وتركوه.[1].

فى أمتك مثل هذا

۞ عن أبى سعيد أحمد بن المسك بنْ أحمد البزَّاز يقول:

سمعت عمى محمد بن أحمد يقول: رأيت فى المنام رسول الله ﷺ فى جامع الخليفة، وإلى جانبه رجل مكتهل، فسألت عنه، فقيل: هو عيسى ابن مريم روح الله وكلمته، وهو يقول للنبى ﷺ: أليس فى أمتى الأحبار؟ أليس فى أمتى الرهبان؟ أليس من أمتى أصحاب الصوامع؟ قال: فدخل أبو الحسين بن سمعون، فقال له رسول الله ﷺ: «فى أمتك مثل هذا؟» فسكت وانتبهتُ.[2].

(١) صفة الصفوة (١/ ٥١٤).

(٢) انظر «صفة الصفوة» (٢/ ٤٧٦).

لا تأمنن حتى تعلم أين مستقرك

۞ يَقُولُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ بَشَّارٍ رَحِمَهُ اللَّهُ:

مَرَرْتُ أَنَا وَأَبُو يُوسُفَ الْغَسُولِيُّ فِي طَرِيقِ الشَّامِ، فَوَثَبَ إِلَيْهِ رَجُلٌ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ: يَا أَبَا يُوسُفَ ، عِظْنِي بِمَوْعِظَةٍ أَحْفَظُهَا عَنْكَ قَالَ: فَبَكَى، ثُمَّ قَالَ: اعْلَمْ يَا أَخِي أَنَّ اخْتِلَافَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَمَرَّهُمَا يُسْرِعَانِ فِي هَدْمِ بَدَنِكَ، وَفَنَاءِ عُمُرِكَ، وَانْقِضَاءِ أَجَلِكَ، فَيَنْبَغِي لَكَ يَا أَخِي أَنْ لَا تَطْمَئِنَّ وَلَا تَأْمَنَنَّ حَتَّى تَعْلَمَ أَيْنَ مُسْتَقَرُّكَ وَمَصِيرُكَ، وَسَاخِطٌ عَلَيْكَ رَبُّكَ بِمَعْصِيَتِكَ، وَغَفْلَتِكَ أَوْ رَاضٍ عَنْكَ بِفَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ، ابْنُ آدَمَ الضَّعِيفُ نُطْفَةٌ بِالْأَمْسِ وَجِيفَةٌ غَدًا، فَإِنْ كُنْتَ تَرْضَى لِنَفْسِكَ بِهَذَا، فَسَتُرِدّ وَتَعْلَم وَتَنْدَم فِي وَقْتٍ لَا يَنْفَعُكَ النَّدَمُ. قَالَ: فَبَكَى أَبُو يُوسُفَ وَبَكَى الرَّجُلُ وَبَكَيْتُ لِبُكَائِهِمَا[١].

اغتنموا من زمانكم خمسًا

۞ قال عبد الرحمن بن أبى حاتم الرازى: دخلتُ دمشق على كَتَبة الحديث، فمررتُ بحلقةِ قاسم الجُوعى، فرأيتُ نفرًا جُلوسًا حوله، وهو يتكلَّم عليهم، فهالنى منظرُهم، فتقدَّمتُ إليهم، فسمعتُه يقول: اغتنموا من زَمانكم خمسًا: إن حضرتم لم تُعرفوا، وإن غِبتم لم تُفقَدوا، وإن شَهدتم لم تُشاوَروا، وإن قُلتم شيئًا لم يُقبَل قولُكم، وإن عملتم شيئًا لم تُعطَوا به. وأوصيكم بخمسٍ أيضًا: إن ظُلمتُم لم تَظلموا، وإن مُدحتم لم تفرحوا، وإن ذُممتم لم تَجزعوا، وإن كُذِّبتُم فلا تغضَبوا، وإن خانوكم فلا تَخُونوا[٢].

---

(١) الزهد/ للبيهقى (٥١٣).

(٢) المختار فى مناقب الأخيار/ لابن الأثير (٤/ ٢٢١).

ما كنت لأرتفع عليكما في المجلس

۞ قال الضُّميرى: كان عند عبد الصمد جزءٌ سمعه عن أحمد النَّجاد، فأخذت من أبى بكر البقال نسخته، ومضيت أنا وأبو يعلى بن المأمون إليه، فسلمنا عليه، وسألناه أن يحضرنا فى المسجد لنسمع الجزء منه، وسبقناه إلى المسجد. فدخل وسلم وصلّى ركعتين، ثم جاء، فجلس بين أيدينا، فقلت له: إنما حضرنا لنسمع منك، فإن رأيت أن ترتفع إلى صدر المجلس. فقال: هذا ابن عم رسول الله ﷺ، وأشار إلى ابن المأمون، وأنت رجل من أهل العلم، وما كنت لأرتفع عليكما فى المجلس[1].

هذا الذي بلَّغك منازل الأبرار

۞ قَالَ بِشْرٌ الْحَافِى: (رَأَيْتُ النَّبِىَّ ﷺ فِى الْمَنَامِ فقال لى يا بِشر، تدرى لِمَ رفعك الله من بَيْنَ أَقْرَانِكَ؟) قُلْتُ: لَا يَا رَسُولَ اللهِ، قال: (لاتباعك لسنتى، وَحُرْمَتِكَ لِلصَّالِحِينَ، وَنَصِيحَتِكَ لِإِخْوَانِكَ، وَمَحَبَّتِكَ لِأَصْحَابِى وَأَهْلِ بيتى، هو الذى بلَّغك منازل الأبرار)[2].

(١) تاريخ بغداد (١١/ ٤٣-٤٤)، وصفة الصفوة (٢/ ٤٧٧-٤٧٨).

(٢) انظر الاعتصام (١/ ٦٨).

خبتَ وخسرتَ إن كنت إنما عملت لهذا اليوم

۞ قَال جعفر بن محمد بن الأزهر: أن صالحًا المُرِّى لما أرسل إليه المهدىُّ فقَدِم عليه، فلما أُدخل عليه ودنا بحماره من بساط المهدى أمر ابنيه وهما وليا العهد موسى وهارون - فقال: قوما فأنزلا عمكما. فلما انتهيا إليه أقبل صالح على نفسه، فقال: يا صالح لقد خِبْتَ وخَسِرْتَ إن كنت إنما عملت لهذا اليوم.

۞ وَقَالَ عَفَّانُ بْنُ مُسْلِمٍ: كُنَّا نَأْتِى مَجْلِسَ صَالِحِ الْمُرِّيِّ نَحْضُرُهُ وَهُوَ يَقُصُّ، فَكَانَ إِذَا أَخَذَ فِى قَصَصِهِ كَأَنَّهُ رَجُلٌ مَذْعُورٌ يُذْعِرُكَ أَمْرُهُ مِنْ حُزْنِهِ وَكَثْرَةِ بُكَائِهِ كَأَنَّهُ ثَكْلَى، وَكَانَ شَدِيدَ الْخَوْفِ مِنَ اللهِ كَثِيرَ الْبُكَاءِ[1].

وقَالَ الْحَسَنُ بْنُ حَسَّانَ: كُنَّا يَوْمًا عِنْدَ صَالِحِ الْمُرِّيِّ وَهُوَ يَتَكَلَّمُ وَيَعِظُ، فَقَالَ لِرَجُلٍ حَدَثٍ بَيْنَ يَدَيْهِ: اقْرَأْ يَا بُنَىَّ فَقَرَأَ الرَّجُلُ: ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْأَزِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾[2] فَقَطَعَ عَلَيْهِ صَالِحٌ الْقِرَاءَةَ فَقَالَ: وَكَيْفَ يَكُونُ لِلظَّالِمِينَ حَمِيمٌ أَوْ شَفِيعٌ وَالطَّالِبُ لَهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ، إِنَّكَ وَاللهِ لَوْ رَأَيْتَ الظَّالِمِينَ وَأَهْلَ الْمَعَاصِى يُسَاقُونَ فِى السَّلَاسِلِ وَالْأَغْلَالِ إِلَى الْجَحِيمِ حُفَاةً عُرَاةً مُسْوَدَّةً وُجُوهُهُمْ مُزْرَقَّةً عُيُونُهُمْ ذَائِبَةً أَجْسَامُهُمْ يُنَادُونَ يَا وَيْلَاهُ يَا ثُبُورَاهُ مَاذَا نَزَلَ بِنَا؟ مَاذَا حَلَّ بِنَا؟ أَيْنَ يُذْهَبُ بِنَا؟ مَاذَا يُرَادُ مِنَّا؟ وَالْمَلَائِكَةُ تَسُوقُهُمْ بِمَقَامِعِ النِّيرَانِ فَمَرَّةً يُجَرُّونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ وَيُسْحَبُونَ عَلَيْهَا مُتَّكِئِينَ، وَمَرَّةً يُقَادُونَ إِلَيْهَا عُنُتًا مُقَرَّنِينَ ...

(١) الحلية (٦/ ١٦٧)، وتاريخ بغداد (٩/ ٣٠٨).

(٢) سورة غافر: الآية: (١٨).

مِنْ بَيْنِ بَاكٍ دَمًا بَعْدَ انْقِطَاعِ الدُّمُوعِ وَمِنْ بَيْنِ صَارِخٍ طَائِرِ الْقَلْبِ مَبْهُوتٍ، إِنَّكَ وَاللهِ لَوْ رَأَيْتَهُمْ عَلَى ذَلِكَ لَرَأَيْتَ مَنْظَرًا لَا يَقُومُ لَهُ بَصَرُكَ وَلَا يَثْبُتُ لَهُ قَلْبُكَ وَلَا يَسْتَقِرُّ لِفَظَاعَةِ هَوْلِهِ عَلَى قَرَارٍ قَدَمُكَ. ثُمَّ نَحَبَ وَصَاحَ يَا سُوءَ مَنْظَرَاهُ وَيَا سُوءُ مُنْقَلَبَاهُ وَبَكَى وَبَكَى النَّاسُ»[1].

لا تعجل بإجابته فإني أُحب أن أسمع صوت عبدي المؤمن

۞ عن سلام بن مسكين قال: أنبأ ثابت قال: ما دعا المؤمن ربه ﷻ بدعوة، إلاّ وكّل بحاجته جبرائيل ﵇، فيقول: لا تُعجل بإجابته، فإنى أحب أن أسمع صوت عبدى المؤمن، وإن الفاجر يدعو الله عز وجل، فيوكّل جبرائيل بحاجته، فيقول يا جبرائيل أعجل إجابة دعوته فإنى أحب أن لا أسمع صوت عبدى الفاجر»[2].

(١) الحلية (٦/ ١٦٥-١٦٦).

(٢) صفة الصفوة (٣/ ١٥٨).

الكريم واللئيم

۞ عن عُبيد الله بن محمد التميمي قال: حدثنا أصحابنا أن رجلًا انقطع إلى كريم من الكرماء، فألحقه بحشمه، وكفاه مؤنته، فلم يلبث أن بَطَر النعمة، فسعى بالكريم إلى الأمير، فجعل يخبره بما ليس من أخلاقه وما لا يشبهه.

فأرسل إليه الأمير، فذكر له ذلك، فأنكره، فقال: فلان يخبر عنك بذلك، فأزم[1] متعجبًا، فقال له الأمير، ما لك؟ قال: أخاف أن أكون قَصَّرْتُ في الإحسان إليه، فحملته على مساوئ أخلاقه. فقال الأمير: سبحان الله! ما أعجب ما بينكما من الطبع، أنت تحنو عليه، وهو يسعى في سفك دمك، أشهد أنك لكريم، وإنه للئيم.

قال: ثم أَذِن له في الانصراف، فلما وَلَّى الرجل قال الأمير: أدام الله عيش مثلك في الناس، ما أخطأ القائل حيث يقول:

وكل مستخلق تصطلي عداوته ... بالمخلصين فثم الغمر والداء

ولن ترى من بيوت الخير مكرمة ... إلا لها من بيوت السوء أعداء[2]

---

(١) أزم: عض بالفم كله عضًّا شديدًا.

(٢) عيون الحكايات (ص ٤٥١).

أتدرون ما رأيت في نومي

۞ عن على بن الحسين، قال: بينا داود الطائى جالسًا مع أصحابه يومًا، إذ غفا وهو معهم، ثم انتبه، فقال: أتدرون ما رأيت فى نومتى هذه؟

دخلت الجنة، فرأيت فيها صبيانًا يلهون بالتفاح، يناول بعضهم بعضًا، وصبى ناحية عنهم جالس حزين يُرى الانكسار عليه بيِّنًا، فقلت: ما بال ذلك الصبى لا يلهو معكم كما تلهون؟

قالوا: ذاك حديث عهد بالدنيا، وأمه تُكثر البكاء عليه، فانكساره لكثرة بكاء أمه عليه، قال: فقلت: أين منزلهم؟ قالوا فى قبيلة آل فلان، قال: فقلت من أبواه؟ قالوا: فلان وفلانة، قلت: فما اسمه؟ قالوا: فلان.

فقال داود لأصحابه: فانطلقوا، قال: فانطلقوا فأتوا القبيلة، فسألوا عن أبويه، فلقيهما أو لقى أحدهما، فقال لهما ما رأى فى منامه، فجعلت الأم على نفسها أن لا تبكى عليه أبدًا[1][2].

---

(١) تسلية أهل المصائب (ص/ ٦٠).

(٢) مع أنَّ البُكاء ليس حرامًا إذا لم يقترن بالاعتراض على قضاء الله ﷻ.

عليك بالأثر[١] فإنَّ الرأي لا يبلغ المشرق والمغرب

۞ قال محمد بن حميد بن فروة: سمعت قُتيبة يقول:

انْحَدَرتُ إِلَى العِرَاقِ أَوَّلَ مَرَّةٍ سنَةَ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِيْنَ، وَكُنْتُ يَوْمَئِذٍ ابْنَ ثَلاَثٍ وَعِشْرِيْنَ سَنَةً.

۞ وَقَالَ عَبْدُ اللهِ بنُ أَحْمَدَ بنِ شَبَّوَيْه: سَمِعْتُ قُتَيْبَةَ يَقُوْلُ: كُنْتُ فِي حَدَاثَتِي أَطلُبُ الرَّأْيَ، فَرَأَيْتُ -فِيْمَا يَرَى النَّائِمُ- أَنَّ مَزَادَةً دُلِّيَتْ مِنَ السَّمَاءِ، فَرَأَيْتُ النَّاسَ يَتَنَاوَلُونَهَا فَلاَ يَنَالُونَهَا، فَجِئتُ أَنَا، فَتَنَاوَلْتُهَا، فَاطَّلَعتُ فِيْهَا، فَرَأَيْتُ مَا بَيْنَ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ، فَلَمَّا أَصبَحتُ جِئْتُ إِلَى مِخْضَعِ البَزَّازِ -وَكَانَ بَصِيْرًا بِعِبَارَةِ الرُّؤْيَا- فَقَصَصْتُ عَلَيْهِ رُؤْيَايَ فَقَالَ: يَا بُنَيَّ عَلَيْكَ بِالأَثَرِ فَإِنَّ الرَّأْيَ لاَ يَبْلُغُ المَشْرِقَ وَالمَغْرِبَ، إِنَّمَا يَبلُغُ الأَثَرُ. فَتَرَكتُ الرَّأْيَ، وَأَقبَلْتُ عَلَى الأَثَرِ.

۞ وَرَوَى أَحْمَدُ بنُ جَرِيْرٍ اللآلُ، عَنْ قُتَيْبَةَ، قَالَ لِي أَبِي: رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي النَّوْمِ، فِي يَدِهِ صَحِيفَةٌ، فَقُلْتُ: يَا رَسُوْلَ اللهِ، مَا هَذِهِ الصَّحِيفَةُ؟ قَالَ: فِيْهِ أَسَامِي العُلَمَاءِ. قُلْتُ: نَاوِلْنِي أنظر فيه اسم ابْنِي فَنَظَرتُ، فَإِذَا فِيْهِ اسْمُ ابْنِي.[٢].

---

(١) أي: عليك بما ثبت عن النبي ﷺ وأصحابه ولا تتبع أهل الكلام والهوى.

(٢) تهذيب الكمال (٢٣/ ٥٠).

هذه همة الملوك وأخلاق الصِّدِّيقين

۞ عن الفقيه محمد بن حسين الأوقصى وكان صالحًا قال:

والله لو كان على بن زيدان قرشيًّا ودعانا إلى بيعته لَمُتنا تحت رايته لاجتماع شروط الخلافة فيه.

قال لى أخى يحيى: كان علىٌّ لا يغضب ولا يفزع فى القول ولا يَجْبُن ولا يبخل ولا يضرب مملوكًا أبدًا، ولا يرد سائلًا، ولا عصى الله تعالى بقولٍ ولا فعلٍ، وهذه همة الملوك وأخلاق الصِّدِّيقين وحسبُك أنَّه حجَّ أربعين حجة وزار النبى ﷺ عشر مرات، ورآه فى النوم خمس مرات وأخبره بأمور لم يخرم منها شىء [١].

بين السَّرَّاء والضَّرَّاء

۞ عَنْ عُمَرَ بْنِ صَدَقَةَ الْحَمَّالُ قَالَ: كُنْتُ مَعَ ذِى النُّونِ بِأَخْمِيمَ فَسَمِعَ صَوْتَ لَهْوٍ وَدِفَافٍ وَإِكْبَارٍ فَقَالَ: مَا هَذَا؟

فَقِيلَ: عُرْسٌ لِبَعْضِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، وَسَمِعَ إِلَى جَانِبِهِ بُكَاءً وَصِيَاحًا وَوَلْوَلَةً فَقَالَ: «مَا هَذَا؟» فَقِيلَ: فُلَانٌ مَاتَ، فَقَالَ لِى: «يَا عُمَرَ بْنَ صَدَقَة أُعْطِى هَؤُلَاءِ فَمَا شَكَرُوا، وَابْتُلِى هَؤُلَاءِ فَمَا صَبَرُوا، وَلِلَّهِ عَلَىَّ أَلَّا أبيت فِى هَذِهِ الْمَدِينَةِ» فَخَرَجَ مِنْ سَاعَتِهِ مِنْ إِخْمِيمَ إِلَى الْفُسْطَاطِ [٢].

---

(١) انظر: «تاريخ الإسلام» (١/ ٣٩٩٧).

(٢) شعب الإيمان (٤٤٩٢).

ثلاث خصال فى دار الدنيا

۞ عن زيدان قال: قال عتبة الغلام: كابدتُ الصلاة عشرين سنة،وتنعّمت بها عشرين ... قال عبد الله بن مبشر: دعا عتبة الغلامُ ربه أن يهب له ثلاث خصال فى دار الدنيا: دعا الله أن يَمُنَّ عليه بصوتٍ حزين، ودمعٍ غزير، وغذاءٍ من غير تكلُّف.

قال: فكان إذا قرأ بَكى وأبكى وكانت دموعه جارية دهْره، وكان يأوى إلى منزله، فيصيب قوته لا يدرى من أين يأتيه [١].

تلك مكانة إبراهيم بن طهمان

۞ عن أبى زُرعة قال:

سمعت أحمد بن حنبل، وذُكر عنده إبراهيم بن طهمان، وكان متكئًا من علة فاستوى جالسًا وقال: لا ينبغى أن يُذكر الصالحون، فيُتكأ. ثم قال أحمد: حدثنى رجل من أصحاب ابن المبارك؟ قال: رأيت ابن المبارك فى المنام، ومعه شيخ مهيب، فقلت: من هذا معك؟ قال: أما تعرف هذا؟ قال: هذا سفيان الثورى. فقلت: من أين أقبلتم؟ قال: نحن نزور فى كل يوم إبراهيم بن طهمان. قلت: فأين تزورونه؟ قال: دار الصدِّيقين دار يحيى بن زكريا [٢].

---

(١) صفة الصفوة (٣/ ٢٢٥-٢٢٦).

(٢) صفة الصفوة (٤/ ٣٢٧).

هكذا يكون الأدب

۞ قَالَ القاضى يحيى بن أكثم:

كُنتُ نائمًا ذات ليلة عند المأمون، فعطش، فامتنع أن يصيح بغلامٍ يسقيه، وأنا نائم، فيُنغِّص علىَّ نومى، فرأيته وقد قام يمشى على أطراف أصابعه حتى أتى موضع الماء وبينه وبين المكان الذى فيه الكيزان نحو من ثلاثمائة خطوة، فأخذ منها كوزًا، فشرب، ثم رجع يمشى على أطراف أصابعه حتى قرب من الفراش الذى أنا عليه، فخطا خطوات خائفٍ لئلا ينبهنى حتى صار إلى فراشه.

وجدت النُّصرة فى الحلم

۞ سَبَّ رجلٌ المهلَّب وأفحش فى سَبِّه، وهو ساكت، فمرَّ رجل فسمعه فردَّ عليه، وخاصمه وأنكاه[1] ثُمَّ التفت إلى المهلب، وقال له: ألا انتصرت لنفسك؟

فقال المهلب: يا ابن أخى، وجدتُ النُّصرة فى الحلم، ولولا حلمى ما انتصرتَ أنت لى؟

(١) أى: غلبه وقهره.

كُن كوكبًا

۞ عَن ابْنِ حَمْدَانَ، قَالَ:

سَمِعْتُ أَحْمَدَ بْنَ أَبِى الْحَوَارِىِّ، يَقُولُ: قَالَ لِى أَبُو سُلَيْمَانَ: «يَا أَحْمَدُ، كُنَّ كَوْكَبًا فَإِنْ لَمْ تَكُنْ كَوْكَبًا فَكُنْ قَمَرًا، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ قَمَرًا فَكُنْ شَمْسًا».

فَقُلْتُ: يَا أَبَا سُلَيْمَانَ الْقَمَرُ أَضْوَأُ مِنَ الْكَوْكَبِ وَالشَّمْسُ أَضْوَأُ مِنَ الْقَمَرِ.

قَالَ: «يَا أَحْمَدُ، كُنْ مِثْلَ الْكَوْكَبِ طَلَعَ أَوَّلَ اللَّيْلِ إِلَى الْفَجْرِ فَقُمْ أَوَّلَ اللَّيْلِ إِلَى آخِرِهِ، فَإِنْ لَمْ تَقْوَ عَلَى قِيَامِ اللَّيْلِ، فَكُنْ مِثْلَ الشَّمْسِ تَطْلُعُ أَوَّلَ النَّهَارِ إِلَى آخِرِهِ، فَإِنْ لَمْ تَقْدِرْ عَلَى قِيَامِ اللَّيْلِ فَلَا تَعْصِ اللهَ بِالنَّهَارِ»[1].

رجل يهرب من الناس

۞ وقال بعضهم: مررت فى جبال الشام بعابد على رأس جبل، فلما رآنى هرب منى، فقلت: يرحمك الله، إنسىٌّ يهرب من إنسى مثله؟ فقال: وهل البلاء إلا منكم، إنى لفى هذا الجبل مقيم ما شاء الله، تمر بى السباع فلا أجد لها فى قلبى وحشة، وإنى لأستأنس بها أكثر من أُنْسى بكم، لأنكم قوم ملأت الدنيا قلوبكم، فمالت أيديكم إليها، واستأنستم بها، فأنتم تستوحشون عند فقدها، وأنتم مع انقطاعها عنكم، لا يطيب لكم عيش، إن أقبلت عليكم أتعبتكم، وإن انصرفت عنكم أحزنتكم، فهَلُمُّوا أبناء الشقاء، وعبيد الدنيا، إلى الراحة من رِقِّ الهوى والتنعُّم بخدمة المولى.

---

(١) الحلية (٩/ ٢٦١).

علم الليث بن سعد

۞ رَوَى: عَبْدُ المَلِكِ بنُ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيْهِ، قَالَ: قِيلَ لِلَّيْثِ: أَمتَعَ اللهُ بِكَ، إِنَّا نَسْمَعُ مِنْكَ الحَدِيْثَ لَيْسَ فِي كُتُبِكَ. فَقَالَ: أَوَ كُلُّ مَا فِي صَدْرِي فِي كُتُبِي؟ لَوْ كَتَبتُ مَا فِي صَدْرِي، مَا وَسِعَه هَذَا المَرْكَبُ[1].

الكلام على أربعة وجوه

۞ قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ الْفَزَارِيِّ:

كَانَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَدْهَمَ يُطِيلُ السُّكُوتَ، فَإِذَا تَكَلَّمَ؛ انْبَسَطَ، فَقُلْتُ لَهُ ذَاتَ يَوْمٍ: لَوْ تَكَلَّمْتَ! فَقَالَ: الْكَلامُ عَلَى أَرْبَعَةِ وُجُوهٍ؛ فَمِنْهُ كَلامٌ تَرْجُو مَنْفَعَتَهُ وَتَخْشَى عَاقِبَتَهُ؛ فَالْفَضْلُ فِيهِ السَّلامَةُ، وَمِنْهُ كَلامٌ لا تَرْجُو مَنْفَعَتَهُ وَلا تَخْشَى عاقبته؛ فأقل ما لك فِي تَرْكِهِ خِفَّةُ الْمَؤُنَةِ عَلَى بَدَنِكَ وَلِسَانِكَ، وَمِنْهُ كَلامٌ لا تَرْجُو مَنْفَعَتَهُ وَتَخْشَى عَاقِبَتَهُ، وَهَذَا هُوَ الدَّاءُ الْعُضَالُ، وَمِنَ الْكَلامِ كَلامٌ تَرْجُو مَنْفَعَتَهُ وَتَأْمَنُ عَاقِبَتَهُ؛ فَهَذَا الَّذِي يَجِبُ عَلَيْكَ نَشْرُهُ...، فَإِذَا هُوَ قَدْ أَسْقَطَ ثَلاثَةَ أَرْبَاعِ الْكَلامِ.

(١) السير (٨/ ١٥٣).

هذا مجلس أبي إسحاق الفزارى

۞ عن الفضيل بن عياض قال: رأيت رسول الله ﷺ فى المنام وإلى جنبه فرجة، فذهبت لأجلس فيها، فقال: هذا مجلس أبى إسحاق الفزارى، فقلت لأبى أسامة: أيهما كان أفضل؟ فقال: كان فُضيل رجل نفسه وكان أبو إسحاق رجل عامة.

۞ وعن محمد بن هارون، أبو نشيط قال: قال أبو صالح، يعنى: الفرَّاء: لقيت الفضيل بن عياض، فعزَّانى فى أبى إسحاق، وقال: لربما اشتقت إلى المصيصة ما بى فضل الرباط إلا أن أرى أبا إسحاق.

۞ وعن عبَّاد الغنوى، عن أبى إسحاق الفزارى قال: من قال: الحمد لله على كل حال، فإن كانت نعمة كان لها كفاء وإن كانت مصيبة كان لها عزاء.

۞ وعن أبى يحيى قال: سمعت أبا عبيد يقول: لما مات أبو إسحاق الفزارى بكى عطاء، ثم قال: ما دخل على الإسلام من موت أحد ما دخل عليه من موت أبى إسحاق [١].

إن كنت كاذبًا فعجَّل الله حتفك

۞ عن حميد بن هلال قال: كان بين مطرّف، وبين رجل من قومه شىء، فكذب على مطرّف، فقال له مطرّف: إن كنت كاذبًا فعجّل الله حتفك، فمات الرجل مكانه. قال: فاستعدى أهله زيادًا على مطرّف، فقال لهم زياد: هل ضربه؟ هل مسّه بيده؟ فقالوا: لا. فقال: دعوة رجل صالح وافقت قدرًا، فلم يجعل لهم شيئًا [٢].

---

(١) صفة الصفوة (٤/ ٤٢٢-٤٢٣) بتصرف.

(٢) صفة الصفوة (٣/ ١٣٦).

ثلاث عجائب

۞ قال الشافعى: رأيت بالمدينة ثلاث عجائب لم أرَ مثلها قط، رأيت رجلًا فلَّس فى مُدٍّ من نوى - فلَّسه القاضى- ورأيت رجلًا له سن شيخ كبير خضيب يدور على بيوت القِيان ماشيًا يُعلمهم الغناء، فإذا حضرت الصلاة صلى قاعدًا، ورأيت رجلًا أعسر يكتب بشماله وهو يسبق من يكتب بيمينه.

محمد بن جحادة الأودي

۞ عن سفيان قال: كان محمد بن جحادة من العابدين، وكان يقال: إنه لا ينام من الليل إلا أيسره. قال: فرأت امرأة من جيرانه كأن حُللًا فُرقت على أهل مسجدهم، فلما انتهى الذى يفرقها إلى محمد بن جحادة دعا بسفطٍ مختوم، فأخرج منه حُلة صفراء، قالت: فلم يقم لها بصرى، فكساه إياها، وقال له: هذه لك بطول السهر. قالت تلك المرأة: فوالله لقد كنت أراه بعد ذلك فأخالها عليه.[1].

كان أبو حاتم سخيًّا وكان حاتم مُبذرًا

۞ قال الشافعى: كَانَ أَبُو حَاتِم سَخِيًّا - يَعْنِى: أَبُو حَاتِمَ الطَّائِىَّ - وَكَانَ يَضعُ الْأَشْيَاءَ مَوَاضِعَهَا، وَكَانَ حَاتِمٌ مُبَذِّرًا، فَاجْتَمَعَ يَوْمًا عِنْدَ أَبِيهِ أَصْحَابُهُ، فَشَكَا إِلَيْهِمْ حَاتِمًا، فَقَالَ: وَاللهِ مَا أَدْرِى مَا أَصْنَعُ بِهِ، مَا أخذ شَيْئًا إِلَّا بَذَّرَهُ. وَاسْتَشَارَ أَصْحَابَهُ: مَا الْحِيلَةُ فِيهِ؟ قَالَ: فَاجْتَمَعَ رَأْيُهُمْ عَلَى أَنْ لَا يُعْطِيَهُ سَنَةً

---
(١) صفة الصفوة (٣/ ٦٤).

شَيْئًا. قَالَ: فَقَامَ أَبُوهُ - يَعْنِى عَلَى ذَلِكَ - قَالَ: فَذُكَرَ لَهُ عَنِ ابْنِهِ حَاتِمٍ مَا هُوَ فِيهِ مِنَ الضُّرِّ وَالضِّيقَةِ، قَالَ: فَبَعَثَ إِلَيْهِ بِمِائَةِ نَاقَةٍ حَمْرَاءَ فَلَمَّا وَقَفَتْ عَلَيْهِ قَالَ حَاتِمٌ: مَنْ أَخَذَ شَيْئًا فَهُوَ لَهُ. فَأَخَذُوهَا كُلَّهَا فَدَعَاهُ أَبُوهُ فَقَالَ: يَا بُنَيَّ مَاذَا تَصْنَعُ؟ قَالَ: وَاللهِ يَا أَبَتِ لَقَدْ بَلَغَ مِنِّى الْجُوعُ شَيْئًا لَا يَسْأَلُنِى أَحَدٌ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَيْتُهُ إِيَّاهُ.

الخليفة المثمّن

۞ الخليفة المثمن هو المعتصم محمد بن هارون الرشيد بن المهدى ابن منصور العباسى، عهد إليه بالخلافة المأمونُ، وكان شجاعًا شهمًا مهيبًا، لكنه كثير اللهو مسرف على نفسه، وهو الذى افتتح عمورية من أرض الروم.

ويقال له المُثمن، لأنه وُلد سنة ثمانية ومائة فى ثامن عشر منها، وهو ثامن الخلفاء من بنى العباس، وفتح ثمان فتوحات، وقف فى خدمته ثمانية ملوك من العجم، ثم قتل ستة منهم، واسُتخلف ثمانى سنين وثمانية أشهر وثمانية أيام، وخلف ثمانية بنين وثمانى بنات، وخلَّف من الذهب ثمانية آلاف دينار، ومن الدراهم ثمانية عشر ألف ألف درهم، ومن الخيل ثمانين ألف فرس، ومن الجمال والبغال مثل ذلك، ومن المماليك ثمانية آلاف مملوك وثمانية آلاف جارية، وبنى ثمانية قصور،... هكذا قيل فى التواريخ، فإن صحّ هذا فهو من جملة العجائب، قالوا: وكانت له نفس سبعية، إذا غضب لم يبالِ بمن قتل ولا بما فعل، وعمره سبع وأربعون سنة، وأقام بعده ابنه الواثق[1].

---

(١) مرآة الجنان (٢/ ٧١) لأبى محمد بن عبد الله بن أسعد اليافعى.

علاج الوساوس

۞ عن ابْنِ أَبِي الْحَوَارِيِّ، قَالَ: شَكَوْتُ إِلَى أَبِي سُلَيْمَانَ الْوَسْوَاسَ فَقَالَ: «إِنِّي أَرَى الشَّيطَان قَدْ غَمَّكَ يَا أَبَا الْحَسَنِ، إِنْ أَرَدْتَ أَنْ يَنْقَطِعَ عَنْكَ فَإِنْ أَحْسَسْتَ بِهَا فَافْرَحْ بِهَا فَإِنَّكَ إِذَا فَرِحْتَ بِهَا انْقَطَعَ عَنْكَ، فَإِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ أَبْغَضَ إِلَيْهِ مِنْ سُرُورِ الْمُؤْمِنِ، وَإِنِ اغْتَمَمْتَ مِنْهَا زَادَكَ»[1].

۞ وعَنْ أَحْمَدِ بْنِ أَبِي الْحَوَارِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا سُلَيْمَانَ، يَقُولُ: «إِنَّمَا يَجِيءُ الْوَسْوَاسُ وَكَثْرَةُ الرُّؤْيَا إِلَى كُلِّ ضَعِيفٍ فَإِذَا أَخْلَصَ انْقَطَعَ عَنْهُ الرُّؤْيَا وَكَثْرَةُ الْوَسْوَاسِ». قَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ: «وَرُبَّمَا أَقَمْتُ سِنِينَ لَا أَرَى الرُّؤْيَا»[2].

(١، ٢) الحلية (٩/ ٢٦٠).

دعوة مستجابة

۞ أخى الحبيب.. أختى الفاضلة:

أضع بين أيديكم هذا الكتاب المتواضع سائلًا ربى ﷻ أن ينفع به المسلمين فى كل زمان ومكان، وأن يجعله فى ميزان حسنات أبى وأمى.

فما كان فى هذا الكتاب من صواب فمن الله وحده، وما كان فيه من سهوٍ أو خطأ أو نسيان فمنى ومن الشيطان.. والله ورسوله ﷺ منه براء... وأعوذ بالله أن أُذكّركم به وأنساه.

فمن استفاد فائدة من هذا الكتاب فلا يبخل علىَّ بدعوة لعل الله أن يتجاوز عنى وعنكم، وأن يجمعنا جميعًا فى جنته إخوانًا على سُررٍ متقابلين.

۞ روى مسلم أن النبى ﷺ قال: «**من دعا لأخيه بظهر الغيب قال الملك الموكَّل به: آمين ولك بمثله**»(١).

۞ جزى الله خيرًا كل من قرأ هذا الكتاب وتعلم منه شيئًا وعلَّمه لمن حوله.

۞ كما أنصح إخوانى وأخواتى بقراءة هذا الكتاب على المسلمين فى المساجد والبيوت ومجالس العلم لتعم الفائدة وتموت البدع وتحيا السنن وتعود الأمة مرة أخرى خير أمة أُخرجت للناس.

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٧٣٢) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

۞ سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك....

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

وكتبه الفقير إلى عفو الرحيم الغفار



فهرس الموضوعات

قصص الصالحين والصالحات



رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com



قصة النهاية
أهوال نهاية العالم



من قصص
نهاية الظالمين



قصص التائبين



من إصداراتنا
قصص الزاهدين و الزاهدات



قصص
مفاتيح الفرج
وتفريج الهموم



أسباب النزول
محمود المصري



تحذير الساجد
من أخطاء العبادات والعقائد



عالم الجن والشياطين
ليلة في بيت النبي



ساعة و ساعة
نوادر وعجائب



لا تحزن
وابتسم للحياة



يوم في الجنة



مسك الختام



الزواج الإسلامي السعيد



يوسف الأحلام
السحر الحلال
كيف تكسب قلوب الناس



رحلة إلى
الدار الآخرة



للمرأة المسلمة
محمود المصري





الفقه الميسر



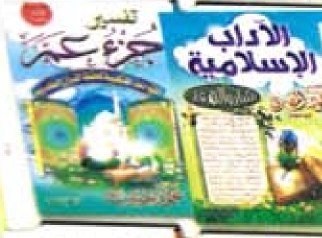
منهج المسلم
للكبار والصغار
أخلاق الرسول



فتاوى الحج والعمرة



الحقوق الإسلامية



تفسير جزء عم
الآداب الإسلامية



قصص القرآن



أذكار المسلم
للكبار والصغار



حكايات عمو محمود
حكايات عمو محمود
للأطفال





معجزات الأنبياء وكرامات الصحابة
أمهات المؤمنين
زوجات الرسول
أصحاب الرسول



قصص الرسول



قصص الأنبياء
سيرة الرسول



فقه المسلم



فقه المسلم
فقه المسلم



سيرة الرسول
صحابيات حول الرسول
أصحاب الرسول